الحدود الفاصلة بين

أصول منهج السلف الصالح وأصول القطبية السرورية

وتضمن:

المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج السلف الصالح ووافق فيها أصول القطبية السرورية

تأليف

أبي عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان

راجعه وقرظه جمع من العلماء

١- فضيلة الشيخ/ عبيد بن عبد الله الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

٢- أ.د/ عبد الرحمن بن صالح محيي الدين
أستاذ الدراسات العليا بقسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

٣- فضيلة الشيخ/ حسن بن عبد الوهاب مرزوق البنا
مدرس العقيدة والفرق بكلية الشريعة الإسلامية بالإسكندرية والجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

٤- فضيلة الشيخ/ فلاح بن إسماعيل مندكار
أستاذ العقيدة بكلية الشريعة بجامعة الكويت

٥- د/ محمد بن عمر بن سالم بازمول
أستاذ مشارك بجامعة أم القرى بمكة

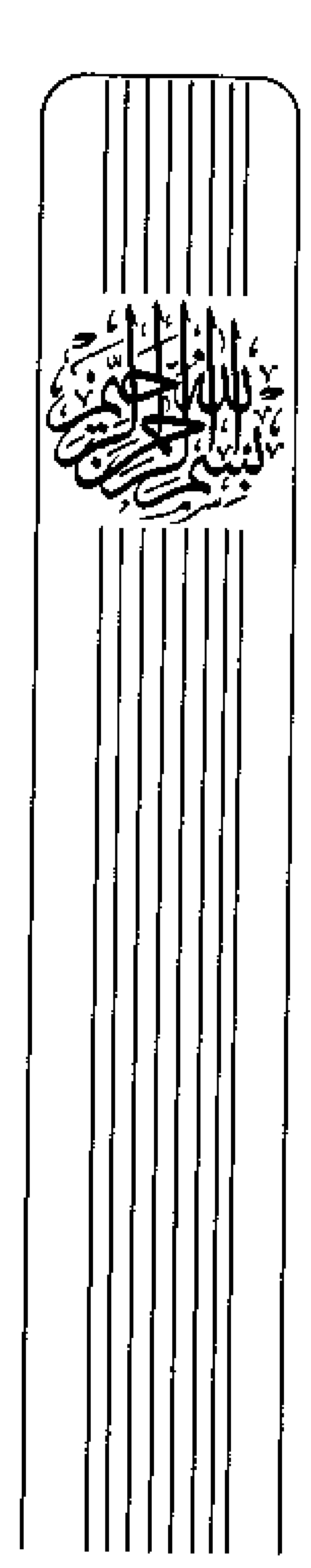
دار علم السلف

دار التوحيد للنشر

الحدود الفاصلة بين

أصول منهج السلف الصالح

وأصول القطبية السرورية



الطبعة الأولى

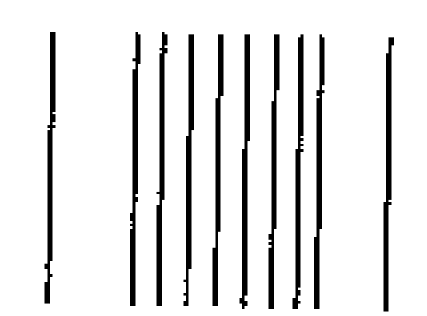
التاريخ: ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م

رقم الإيداع: ١٧٢٥٤/٢٠١٠م

abdelaala@hotmail.com

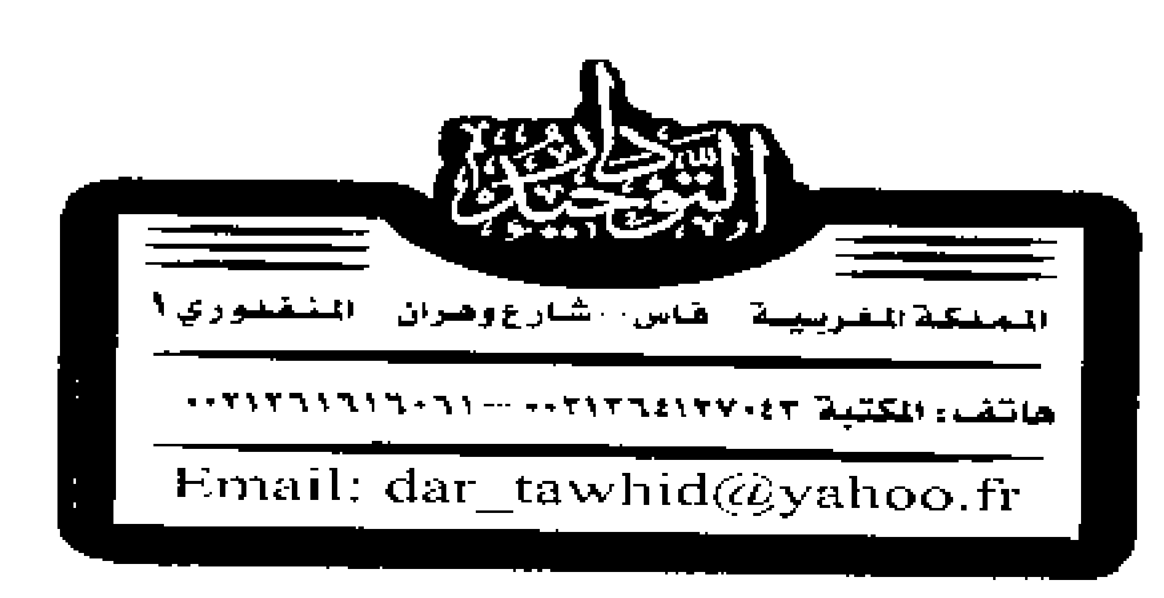
القاهرة - ج.م.ع. جوال: ٠١٤/٩٢٢٢٣١٣





توزيع





الحدود الفاصلة بين
أصول منهج السلف الصالح
وأصول القطبية السرورية

ويتضمن:

المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج السلف الصالح
ووافق فيها أصول القطبية السرورية

تأليف

أبي عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان

راجعه وقرظه جمع من العلماء

١- فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

٢- أ.د/ عبد الرحمن بن صالح بن محيي الدين
الأستاذ المشارك ومدير قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

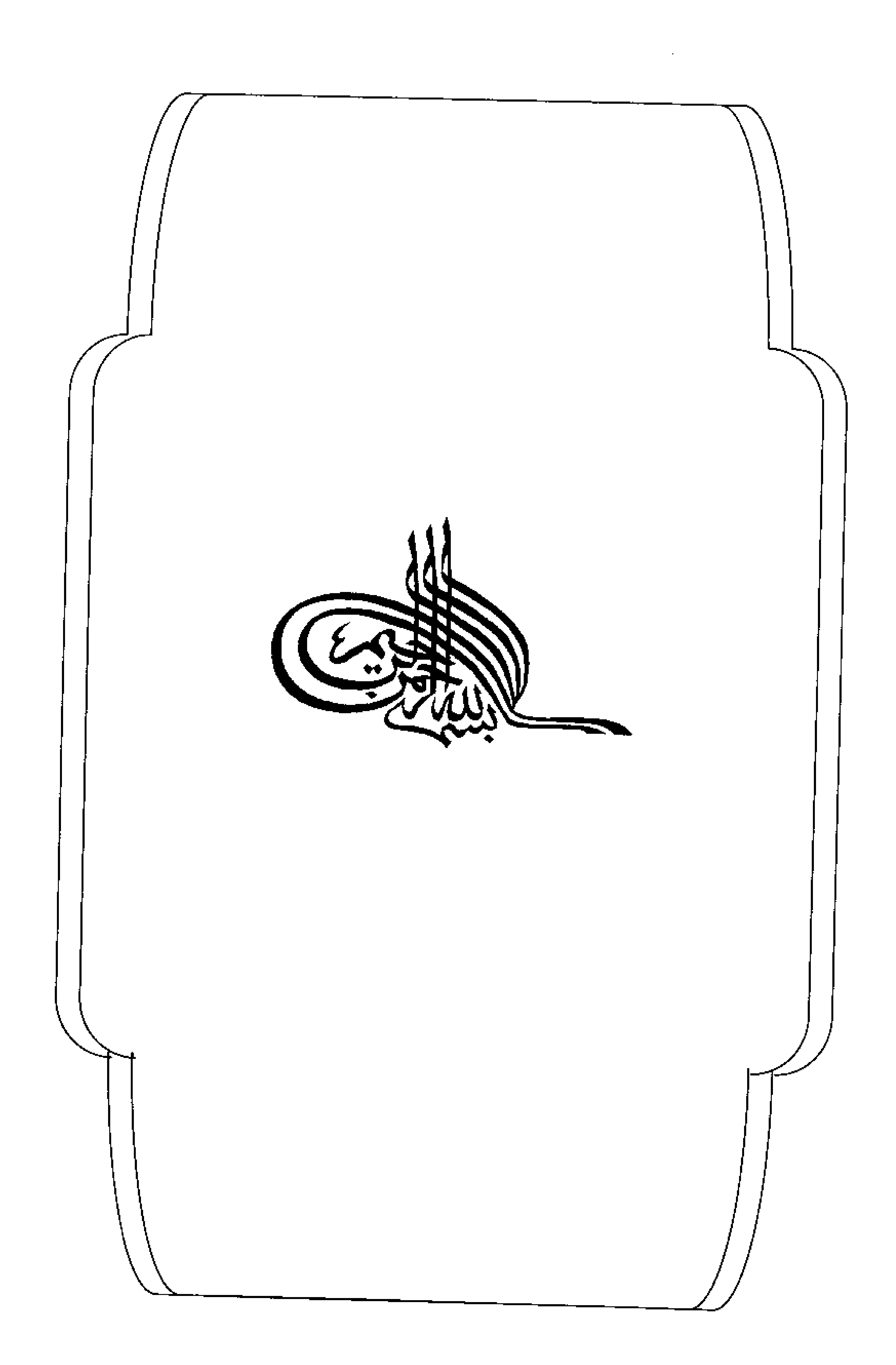
٣- فضيلة الشيخ حسن بن عبد الوهاب مرزوق البنا
مدرس العقيدة وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

٤- فضيلة الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار
أستاذ العقيدة بكلية الشريعة بجامعة الكويت

٥- د/ أحمد بن عمر بن سالم بازمول
الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى بمكة

دار علم السلف




بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة الشيخ العلامــة

عبيـد بن عـبد الله الجـابـري

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

-حفظـه الله تعالـى-

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الملكُ الحقُّ المبين، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله سيد ولد آدم أجمعين، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، وسلم تسليمًا كثيرًا على مرِّ الأيام واللّيالي والشهور والسنين.

أما بعد؛ فقد اطلعت على ما كتبه أخونا أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان بعنوان:

« المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني
أصول منهج أهل السنة -أهل الحديث والأثر-
ووافق فيها منهج القطبية السرورية »

فألفيتُهُ بحثًا نفيسًا جميلاً كشف الكاتب فيه -جزاه الله خيرًا- بالدليل عن جُملة من مخالفات أبي إسحاق الحويني لأهل السنة، ومن تلك الجمل:

تكفيره المُصِر على المعاصي؛ لأنه في زعمه مستحل والمستحل كافر.

ومنها: ثناؤه على رموز في السرورية القطبية، مثل: محمد حسّان.

إلى غير ذلك من التقريرات الشنيعة التي ضمنها الحويني كثيرًا من خطبه ودروسه فيها -مخالفات لعلماء السنة والجماعة-.

فمثل هذا الرجل لا يجوز أخذ العلم عنه، بل يجب الحذر منه؛ وإن زكَّاه من زكَّاه من المنتسبين إلى العلم.

فجزى الله أخانا أبا عبد الأعلى خيرًا لقاء ما كشف لنا عنه من انحرافات الحويني...[1].

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبيد بن عبد الله الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

حرّر صباح الاثنين السادس من رجب
عام ثلاثين وأربعمائة وألف بالمدينة النبوية

---

(١) وبعد أن انتهيت من قراءة المخالفة الأخيرة من مخالفات الحويني لأصول منهج السلف الصالح على العلامة عبيد، قال -حفظه الله- معقّبًا: «بهذا نكتفي.. عرفنا أن الحويني تكفيري قطبي ينهج منهج الإخوان المسلمين».

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمـــة

أ. د. عبد الرحمن بن صالح محيي الدين

الأستاذ الْمشارك ومدير قسم السنة بالْجَامعة

الإسلامية بالْمَدينة النبوية سابقًا

-حفظه الله تعالى-

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.

وبعد:

فقد ناولني الأخ الفاضل أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان كتابه الموسوم:

« المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني

أصول منهج أهل السنة -أهل الحديث والأثر-

ووافق فيها منهج القطبية السرورية »

وهي ثمانية مسائل جمعها الأخ أبو عبد الأعلى من كلام أبي إسحاق من أشرطته وأقواله، فإن كان ما نقله أبو عبد الأعلى صحيحًا، **فآمل من الشيخ أبي إسحاق أن يرجع عن هذه البواطيل، وإلا فللأخ أبو عبد الأعلى نشرها ونشر الردِّ عليها للعامة**؛ حتى يكونوا على بينة من هذه المسائل التي دخلت على منهج من يدَّعي السلفية، ومنهج السلف بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب، ويكون الأخ أبو عبد الأعلى قد أدى ما علّيه؛ فجزاه الله خيرًا.

والعناد والمكابرة من صفات أهل الأهواء وإلا فالمسلم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون.

والله أسأل أن يهدي ضال المسلمين لا سيما دعاتهم فيما أخطؤوا حتى لا يُتَّبع الداعي على خطئه.

والأصل في الشيخ أبي إسحاق إن صدرت منه هذه المسائل أن يتبرأ منها، **ويحمد الأخ أبا عبد الأعلى الذي بصَّره بها**، لا سيما وهو داعية ويرشد العباد إلى منهج السلف الصالح، والناقد بصير، وأذكِّره بالإمام أبي الحسن الأشعري لَمَّا كان على منهج ومذهب الاعتزال حيث نشأ عليه، ثم لَمَّا تبيَّن له خطؤه وضلاله تبرأ منه علانية على الملأ على منبر مسجد الكوفة كما هو مذكور في سيرته.

والله ولي التوفيق.

كتبه وأمضاه

د: عبد الرحمن بن صالح محيي الدين

المدينة النبوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

فضيلة الشيخ الوالد حسن بن عبد الوهاب مرزوق البنا

مدرس العقيدة بالجامعة الإسلامية

وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

- حفظه الله تعالى -

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

فقد طلب مني الأخ الكريم الشيخ أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري أن أطلّع على كتابه الذي بعنوان:

«الحدود الفاصلة بين أصول منهج السلف الصالح وأصول القطبية السرورية.. ويتضمن المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج السلف الصالح ووافق فيها أصول القطبية السرورية».

فسعدت بعرضه وتقبلته بقبول حسن، وكان هدفي الأول هو أن أزداد علمًا، ثم المساهمة بقدر طاقتي في تصحيح مسار العلوم الشرعية التي استُهدفت من قبَل الأعداء وأهل الأهواء، والتي على رأسها: علمَا العقيدة والمنهج، ثم علم الجرح والتعديل والرد على المخالف، والذي حرص عليه علماء السلف الأوائل ومَن تبعهم بإحسان مِمَّن سلك سبيل المؤمنين، والذي يعتبر من أرقى العلوم؛ لأنه يكشف الزيف عن معدن الدين الصحيح، ويُظهره مُيَسرًا خاليًا من التعقيدات المذهبية[1]، والأهواء الحزبية، والآراء البدعية، والتي حاول أصحابها إدخالها في الدين الصحيح، حتى خفي على الكثيرين من أهل الإسلام معالم الدين الصحيح؛ وذلك لقلة العلم والمدارسة بينهم، ونُدرة وجود المراجعات العلمية بين المتصدرين لهذا الشأن العظيم: شأن الدعوة والتعليم، فهذا العلم الجليل حفظ الله -عز وجل- به دينه على المحجة ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

ولا يخفى على الإخوة والأخوات -المسلمين والمسلمات- الذين يبحثون عن الدين الصحيح الذي كان عليه الصحابة -رضي الله عنهم-، أنهم لا يكاد الواحد منهم في هذا الزمان وفي أغلب البلدان أن يجد مَن ينفي عن الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فقد انضوى الأكثرون تحت مظلة دين الفرق والأحزاب، والكلُّ يؤز بعضهم بعضًا على مخالفة أصول السنة، وكل فرد يريد أن يُكثِّرَ حزبه وينصره، والكلُّ يدَّعي وصلاً بالسنة والسنة لا تقر لهم بذاك، وكان أمر الله قدرًا مقدورًا، ولكننا أُمرنا أن نسدد ونقارب ونستبشر خيرًا، حتى نلقى الله تبارك وتعالى ونحن على الإيمان الصحيح إن شاء الله

(١) يظن البعض أن أهل السنة والجماعة -أصحاب الفرقة الناجية والطائفة المنصورة- لا يعتدون بعلم الأئمة الأعلام بحجة عدم التقليد لهم، وهذا ظنٌّ خاطئ، فإن السلفيين يُقدرون هؤلاء الأئمة قدرهم، ويقبلون كلَّ ما قالوه مؤيَّدًا بالأدلة، ويدعون لهم بالخير، ويذكرونهم بالجميل، إلا أنهم يحذِّرون من التعصُّب لهم أو الأخذ بأقوال لهم مرجوحة، مع اعتقادهم أن الأئمة الأعلام مرفوع عنهم الملام؛ لأنهم يجتهدون في معرفة الحق على حسب ما بلغهم من الأدلة، فلا تثريب عليهم، ولا نزكيهم على الله، فالله حسيبهم.

تعالى، وهذا دأب السلف الصالح من عهد الصحابة -رضي الله عنهم-، لمَّا اشرأبت رءوس الفرق في زمانهم، وتبجحت بالتصريح بضلالاتها.

وإن تعجب فعجب قولهم: «لِمَ لا نوفِّق بين المسلمين ونجمعهم على كلمة واحدة»، وهذه رؤية جميلة يسعى كلُّ داعٍ إلى تحقيقها، ولكن أنَّى لهم ذلك، وهم لا يزالون متحزبين متفرقين كل حزب بما لديهم فرحون بما أتاهم من العلم، وقد اختلفوا فيه بغيًا بيـــــنهم، ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فلنعبده سبحانه ولنتقه سبحانه تحت مظلة التوحيد والمنهج الصحيح قولاً وعملاً، أفرادًا وأسرًا وجماعات ودولاً، حتى يسود الدين الصحيح ويعلو ويسعد أهله ويعزون، ويدخل الناس فيه أفواجًا، ويتحقَّق ما يصبو إليه كل مؤمن.

ومن هذا المنطلق أذكِّر إخواني وأخواتي من أهل الإسلام بفشل هذه المحاولات المتكرِّرة من بعض مريدي الإصلاح والسعي إلى وحدة المسلمين مغلِّبين العواطف على الحقائق، وهذه العواطف تؤدي -على حسب سنة الله في خلقه- إلى نتائج سلبية، فيُرَد هؤلاء إلى ما لم يتوقعوه من انصراف الجمع إلى فراغ، وذلك أن المجتمعين ظنوا أنهم جميعًا على الحق، فسئلوا: هل يمكن أن تجتمع كلمتهم على الدين الصحيح الذي كان عليه الصحابة -رضوان الله عليهم-؟ فقال بعضهم: نحن مجتمعون على الحقِّ وللحقِّ! ولكن الراسخين في العلم -المتمكنين من أصول منهج السلف الصالح- اعترضوا بأن هذا الجمع فيه مَن هم مخالفون لبعض أصول السنة، ففيهم مَن ينزع إلى الاعتزال، أو إلى عقيدة الخوارج، أو إلى التصوُّف ...إلخ، فكيف تجتمع كلمتهم، وهم على هذا التفرق في الدين؟! فانتهى الاجتماع إلى فراغ!!

وفي كل مرة يجتمعون ينتهون إلى فراغ وضياع ..فهل من متعظ؟!

· وأخطر دعوات التجميع في الآونة الأخيرة هذه الدعوة القائمة على التآلف مع الرافضة الذين أتوا بقرآن آخر، وحديث آخر، ولكن القوم لا يفقهون ضوابط هذا الأمر الجلل!

وربما يتعجب البعض من هذا السرد، ويعتبره ضياعًا للوقت، بل قد يعتبره حجر

عثرة في سبيل توحيد المسلمين وجمع شملهم، ويقول: هذه أقوال المثبطين المفرِّقين، وإن من هؤلاء ينشأ التنازع في المجتمعات الإسلامية، وتتولد الفتن، وقد مال أغلبهم إلى السياسة البائدة المنادية بترك الاختلافات العقدية بين الفرق والأحزاب كما هي دون تمحيص للحق، ورضا بالواقع الذي لا يسر!.

ومن أهم أسباب تفشي هذه البلبلة في أوساط المسلمين، غفلتهم عن إخبار الرسول ﷺ عمَّا سيكون من اختلاف الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، وهناك مَن يقر بهذا الحديث، لكنه يتأوله بتأويلات باطلة مخالفة لِمَ كان عليه السلف، وكأنهم يريدون تعطيل سنة الله سبحانه في وقوع الخلاف بين الناس، ورغم هذا فالوفاق مُيَسَّرٌ لمن استجاب لله -عز وجل- وللرسول ﷺ إذا دعاه لِمَ يحيه.

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩]. أي: مآلاً وعاقبة، والله المستعان.

وبعد الاطلاع على المؤلَّف الذي نحن بصدده وجدت فيه الردَّ على إحدى الفرق المعاصرة المخالفة لأصول السنة، **وهي السرورية القطبية، والتي بنت أصولها على أصول الخوارج القديمة، فصارت من فرق الخوارج المعاصرة، والسرورية تنسب إلى الداعية محمد سرور زين العابدين الذي تأثر بكتابات الأديب سيد قطب الذي تنسب إليه القطبية.**

وكذلك تضمن الردَّ على بعض الإخوة الدعاة الذين نزعوا إلى آراء هذه الفرقة وغيرها من الفرق في كتاباتهم وخطبهم ودروسهم.

وقد وفَّق الله سبحانه الشيخ خالد محمد عثمان إلى أن يُظهر الحدود الفاصلة بين أصول منهج السلف الصالح وأصول الفرقة القطبية السرورية، وذلك من خلال استعراضه للمخالفات التي وقع فيها أحد هؤلاء الدعاة، وهو الشيخ أبو إسحاق الحويني.

وقد كنت أود الاتصال على الشيخ الحويني لأناقشه في هذه المؤاخذات التي أُخِذَت عليه وأناصحه فيها، إلا أني علمت أن البعض قد ناصحه وناقشه أكثر من مرة، لكنه لم

يقبل منهم نصحًا، وقال لأحد الناصحين -لَمَّا طالبه بالرد على المؤاخذات المنتقَدة عليه-: «الردُ هو عدم الردّ».

ومن ثَمَّ عزمت -مستعينًا بالله- أن أتعاون مع الأخ المصنِّف الشيخ خالد عثمان في دحض الشبهات التي وقعت في كلام الشيخ الحويني، ولا أقصد بذلك التشنيع أو توسعة مجال الفتنة، ولكن انطلاقًا من القاعدة التي سار عليها أهل السنة في الردِّ على المخالف، إذا أظهر مخالفته وأعلن بها.

ومِمَّا يزيد الأمر أهمية أن هذه المخالفات مِمَّا يمس المسائل الاعتقادية، التي هي من الثوابت، أما غيرها فقد يكون فيه السعة والاجتهاد وفق الضوابط الشرعية، ويتأرجح الحكم فيها بين راجح ومرجوح، وهذا بخلاف الثوابت فليس هناك مجال للخلاف فيها إذا توفرت النصوص الدالة عليها.

ومن باب إحقاق الحق وإبطال الباطل، أورد هذه المخالفات التي وقع فيها الشيخ الحويني، -والتي دار الكتاب على تفنيدها-، وأبين بطلانها بكلام موجز مسترشدًا بما قرره أئمة السلف في كتب المعتقد، وما أفتى به الأئمة المعاصرون، فيما نقله المصنِّف -جزاه الله خيرًا- عنهم:

المخالفة الأولى: تكفير المصر على المعصية، حيث صرَّح الشيخ الحويني بتكفير المصر على المعصية، بقوله: «إن المصر هو المستحل، والمستحل كافر»، وقد خالف بقوله هذا أصلاً عظيمًا من أصول السنة، ووافق به منهج السرورية القطبية، والتي هي من فرق الخوارج المعاصرة.

المخالفة الثانية: تسرعه في إصدار الحكم بالتكفير على المعينين، وهذا خلاف ما عليه أئمة السنة من السابقين والمعاصرين، حيث إنهم يتأنون في هذا الباب، ولا يسارعون فيه، نظرًا للوعيد الشديد الوارد فيمن كفَّر مسلمًا بغير حقٍّ، وقد أورد المصنِّف النقولات الوافية عن هؤلاء الأئمة في بيان ذمِّهم التسرع في التكفير.

وهذا التسرع في التكفير -دون توفر الشروط وانتفاء الموانع- هو دأب الخوارج قديمًا وحديثًا، فهو سمة بارزة في زماننا لمن سار على نهج قطب ثم سرور.

المخالفة الثالثة: إحياؤه لقاعدة سيد قطب في الحاكمية، والتي قعّدها في تفسيره الظلال، وفي كتابه: «معالم في الطريق»، وجعلها شعارًا يسير خلفه أتباعه، وهي قوله: «إن أخص خصائص توحيد الإلهية: توحيد الحاكمية».

وقد بيّن أهل العلم السلفيون بطلان هذه القاعدة بقولهم: إن الله أرسل الرسل وأنزل الكتب من أجل توحيد العبادة، وأن الحكم بغير بما أنزل الله داخل في مسمى توحيد العبادة.

ولم يقل بقول سيد قطب وأتباعه أحد من أئمة السلف على حد ما نعلم.

المخالفة الرابعة: عدم اعتباره بولاية الحكّام المسلمين الذين تولّوا وتمكنوا بالغلبة والقهر، حتى استقر لهم الأمر، مخالفًا بهذا أصلاً من أصول السنة المدوَّن في شتى كتب المعتقد، والمتمثل في عدم جواز نزع اليد من طاعة أولي الأمر، وإن جاروا، ووجوب لزوم جماعتهم في العسر واليسر والمنشط والمكره، بغض النظر عن طريقة توليهم الحكم، هل تَمّت باختيار أهل الحلِّ والعقد، أم كانت بالعهد، أم بالغلبة والقهر.

وهو بهذا قد وافق أصلاً من أصول الخوارج والمعتزلة الذين لا يعطون الطاعة في المعروف إلا للحكّام العدول فقط.

المخالفة الخامسة: سلوكه مسلك الخوارج القعدية في تهييج العامة والغوغاء على الحكّام، واستخدامه في سبيل تحقيق هذا ألفاظًا عامية لا تليق بمقام وَرَثة الرسل والموقعين عن ربِّ العالمين، وكأنه تأثّر بشيخه كشك -غفر الله له-، والذي امتلأت خطبه النارية بالإنكار العلني على الحكّام، وهذا المسلك مناقض لِمَا كان عليه السلف الصالح، وهو سمة بارزة من سمات السروريين القطبيين -الذين هم خوارج العصر-، والذين يكفِّرون المجتمعات ويلمزون العلماء.

المخالفة السادسة: ثناؤه على أصناف من الدعاة القطبيين والقصّاص نحو: محمد ابن عبدالمقصود، وفوزي السعيد، ومحمد بن حسّان، وعبد الله السماوي -رحمه الله-.

وقد قال أئمة السلف: مَن أثنى على أهل البدع، فهو داعٍ لهم، وهو منهم ويُلحَق بهم.

المخالفة السابعة: ازدراؤه لبعض أئمة السنة المعاصرين، وطعنه فيهم تصريحًا وتلميحًا، وتهكمه ببعض فتاواهم في النوازل المدلهمة، حيث عرّض بإمام الجرح والتعديل في غير ما موضع، وتهكم بفتاوى الأئمة ابن باز والألباني وابن عثيمين -رحمهم الله- في تحريم العمليات الانتحارية، وقوله عمّن يقول بهذا: «إنها جليطة»، وتهكم أيضًا بالأئمة الذين حذّروا من انحرافات سيد قطب في مسألة وحدة الوجود، وخلق القرآن، وقال عنهم: «إنهم يتلكّكون لسيد قطب»..إلخ.

وقد قال السلف قديمًا: أهل العلم والفقه لا يُذكرون إلا بالجميل ومَن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، وقالوا: لحوم العلماء مسمومة، وسنة الله في منتقصيهم معلومة.

فالبدار البدار إلى التوبة من هذا الغمز والطعن في علماء ربانيين.

المخالفة الثامنة: وقوعه -من الناحية العملية- في بدعة الموازنات العصرية، واعتباره مَن لم يوازن في كلامه على بعض الدعاة المعاصرين من القطبيين أنه من الخوارج، وهذا تعدٍ منه ظاهر على أهل السنة، وعلى علم الجرح والتعديل، مع أنه ينتسب إلى أهل الحديث.

وأنبه إلى أن علم الجرح والتعديل لا يتعلق بالرواة فحسب، لكنه شامل للدعاة والخطباء والكُتّاب، تحت عنوان الرد على المخالف، وهو كذلك داخل تحت مُسمّى شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

المخالفة التاسعة: سلوكه مسلك القصّاص واستخدامه أساليبهم وألفاظهم في الخطابة، وقد ذمّ السلف القصّاص وحذّروا من مجالسهم، ونهوا عن الاستماع لهم، ولذا فقد استبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ولينتبه إلى أن القصص المذموم هو بخلاف قصص القرآن والحديث، فلا يستويان.

فهذه هي أهم المخالفات التي خالف بها الشيخ الحويني أصول منهج السلف الصالح ووافق فيها أصول منهج السرورية القطبية.

وقد أساءني ما اطلعت عليه من كلام فضيلة الشيخ علي الحلبي الأخير في تزكية بعض هؤلاء الدعاة القطبيين السروريين، وأساءني أكثرَ ما أصّله من أصول لم يسبق إليها

في كتابه: «منهج السلف الصالح بين ترجيح المصالح وتطويح المفاسد»، وإن دافع عنها، ونسبها إلى علم الجرح والتعديل، فإن الأئمة -المشهود لهم بالدفاع عن حوزة الدين وسد المسالك التي قد يتسرب منها البعض للطعن في أصول السنة- لم يقولوا بها، ولم يوافقوه على تطبيقها على أمثال هؤلاء الدعاة على النحو الذي صنعه.

وقد تعجبت من هذا الثناء المبالغ فيه الصادر من الحلبي في حق الحويني في مواطن كثيرة، وهذا مِمَّا فُتِن به كثير من شباب أهل السنة، وتميعت عقيدتهم بسببه، وأصبحوا يأخذون علمهم من القنوات الفضائية والتي يظهر فيها الحويني وإخوانه نحو محمد حسَّان والزغبي ومحمد حسين يعقوب وغيرهم من القصَّاص والقطبيين.

وكذلك ما اطلعت عليه من كلام الشيخ مشهور حسن من ثناء مبالغ فيه أيضًا في حق الحويني، مع نفيه عنه الانتساب إلى منهج السرورية القطبية، ردًّا على سؤال وُجِّه إليه، رغم إقراره بأن له أخطاء، ولكنه اعتبر هذه الأخطاء إنما أُوتي فيها الحويني من قِبَل جلسائه، وذكر أن للحويني إطلاقات يقولها ولا يفصِّل فيها؛ وهذه حجة على الشيخ مشهور تتعارض مع قوله عن الحويني: إنه ليس بسروري ولا قطبي؛ لأنه إن لم يكن كذلك لفصَّل في هذه الإطلاقات على طريقة أهل السنة حتى لا يدع فيها أي احتمال فيه مخالفة لأصول أهل السنة، وموافقة لأصول السرورية.

ورغم ذلك فقد دعا الشيخ مشهور الحويني لإقامة دورة في مركز الإمام الألباني، فهل يقول بغير هذه الإطلاقات في هذه الدورة؟ أم يؤصل لها ويدافع عنها، كعادته في السابق؟!!

وفي الاجتماع الذي تمَّ في الأردن في حضور الشيخ الحويني، أقر الشيخ الحويني قول القائل بأننا في حاجة إلى أب حنون يجمع أهل الدعوة السلفية بعد موت الأئمة ابن باز والألباني وابن عثيمين -رحمهم الله-، وقال آخر: إنه لا يوجد رأس للسلفيين الآن، فأقر الحويني هذا الكلام، والذي هو مخالف للواقع، فأين كبار الأشياخ السلفيين الذين حملوا الأمانة بعد موت الأئمة الثلاثة، والذين انتشرت دروسهم وكتاباتهم في الدعوة إلى أصول أهل السنة والذبِّ عنها في أكثر من دولة من الدول الإسلامية، بل والدول الكافرة، نحو

المشايخ: الفوزان، وربيع بن هادي، وعبدالمحسن العبَّاد، وزيد المدخلي، وعُبَيد الجابري، وغيرهم من الأئمة الأعلام، فكأنهم ليس لهم اعتبار عند الشيخ الحويني وإخوانه.

وقد ذكر الشيخ الحويني في هذا المجلس الذي تم في الأردن قاصًّا على الحاضرين أنه قد تواصى مع الشيخ صفوت نور الدين -رحمه الله-، ومحمد حسَّان ألاَّ يردوا على أي منتقد أو ناصح لهم، فيما قد يصدر منهم من مخالفات عقدية؛ لأنهم يعتبرون النقد والنصح سبًّا لهم، وربما يعتبرونه من الغيبة والنميمة.

وزاد الحويني أنه بعد سنوات من السكوت أصدر الشيخ محمد حسَّان ردًّا رفيقًا سمَّاه: «مهلاً يا غلاة التجريح»، وهذا الذي سمَّاه ردًّا رفيقًا يدور حول مهاجمة كلِّ ناصح لهم ولغيرهم من المخالفين للأصول في القليل والكثير، واتهام الناصح لهم والناقد لمخالفاتهم بأنه من غلاة التجريح، وهذا افتراء على الناصحين وإمعانٌ في ترك كلِّ مَن يخالف دون أدنى مراجعة، وتمييعٌ لأصول الدعوة السلفية.

ومِمَّا قاله أيضًا الشيخ الحويني في هذا المجلس: إن الشيخ الألباني -رحمه الله- لم تتح له الفرصة ليربي بالعلم، خلافًا للقاعدة التي قعَّدها في حياته -رحمه الله-، وهي قاعدة التصفية والتربية، وقد قام بها -رحمه الله- خير قيام، وربَّى الكثيرين في بلاد مختلفة على هذا المبدأ العظيم.

وإذا قدَّر الله للبعض أن يغيِّروا ويبدلوا بعد وفاة الشيخ الألباني فإنه لا راد لقضاء الله ولا معقب لحكمه، فنسأل الله الثبات[1].

واقتراح الشيخ الحويني أن مشاكل السلفيين ستحل إذا وُجِد الرأس الحنون الإداري بشرط ألاَّ يكون هذا الرأس له دخل في العلم، هذا الاقتراح يجب أن يُنظَر إليه من جهة القواعد التي قعَّدها السلف.

فإن السلف -غفر الله لهم وبارك في الأحياء منهم- يسعَوْن دائمًا إلى توحيد كلمتهم

---

(١) قال الشيخ -حفظه الله-: «كما حدث مع بعض الدعاة بأن غيَّروا وبدلوا، فنقضوا غزلهم بعد قوة أنكاثًا، ردَّهم الله إلى الحقِّ ردًّا جميلاً».

في العقيدة والمنهج طبقًا للضوابط السلفية، فالذي يطمع فيه الشيخ الحويني بأن يولِّي إداريًّا ليس له علاقة بالعلم؛ لينظم وينسق بين أفراد الدعوة السلفية، ويحل مشاكل الدعوة، هذا خطأ، فهذا الذي ينظم شئون الدعوة ويحل مشاكلها يجب أن يكون عالمًا راسخًا في العلم الشرعي، ثم يكون على علم بالنظم الإدارية بالضوابط الشرعية، أو على الأقل أن يكون سلفيًّا، وعنده خبرة بالنظم الإدارية على أن يكون تحت إمرة الراسخين في العلم متعاونًا معهم ومتبعًا لتوجيهاتهم، ليس متآمرًا عليهم.

وأخيرًا، وبعد سرد المؤاخذات الشرعية في بعض تصريحات الحويني، أحب أن أستفسر من الأشياخ الكرام في الأردن عن أمر هام -بعد سرد المؤاخذات الشرعية على بعض تصريحات الحويني، والتي ذُكرت في هذا البحث-: هل علمها الأشياخ الكرام أم لم يعلموها؟ فإن كانت الأولى -كما صرَّح بهذا بعضهم- فلِمَ لم يراجعوه فيها ويناصحوه فيها في هذه المجالس إعذارًا إلى الله -عز وجل- وانتصارًا للسنة وأهلها بدلاً من أن يقطعوا عنقه بهذا الثناء المفرط الذي يضره ولا ينفعه، فإن رجع إلى الحق واستجاب للنصح -وهذا ما نرجوه-، فإنه بهذا يجتمع الشمل ويلتئم الفتق، وإن أصر على عدم الرجوع؛ فليسلكوا مسلك السابقين من أئمة السلف الصالحين في التحذير مِمَّن هذا حاله حفاظًا على صفاء العقيدة ونقاء المنهج، وإبقاءً للمنتمين إلى السنة متمسكين بالأمر الأول دون أن يحدث عندهم خلط ولا بلبلة ولا انتكاسة عن الحق.

وإن كانت الثانية فننصح لهم بمراجعة الموضوع والاطلاع على تفاصيله حتى يكون لهم إلمام بما تصدروا للكلام فيه، وتحمَّلوا أمانة الفتوى في شأنه، ثم يجب عليهم بعد ذلك تقديم النصح للحويني ولغيره مِمَّن أثنوا عليهم دون أي مجاملة أو مواربة سالكين طريق أهل السنة الْخُلَّص على التفصيل السابق.

وأنا أنصح لنفسي ولإخواني جميعًا الذين تصدروا للدعوة أن يراجعوا كتاباتهم مع غيرهم من أهل العلم المشهود لهم بالثبات، وأن يتحاشوا الإدلاء بأي قواعد تخالف ما كان عليه السلف الصالح، ولو أتوا بمبررات لتأييد كلامهم الجديد.

هـذا، وقـد وفّقـني الله تعـالى إلى الاطـلاع الكامـل علـى الـردود المـذكورة في هـذا المـصنّف، فوجـدتها -علـى حـدّ علمـي- مناسبة وموافقـة للحـق ومؤيّـدة بالأدلـة الكـثيرة والنقولات الوافية عن القدامى والمعاصرين من أئمة السلفيين، وهـي كلُّها قد استخرجها المـصنّف، ولـم أبذل في هـذا أي مجهـود، إنمـا هـي -بتوفيق الله- مـن جمـع الأخ المـصنّف، وحسبي من ذلك أن قرأت الكتاب وعلّقت عليه بعض التعليقات فضلاً عن المقدِّمة.

فإن كنتُ وفقت فمن فضل الله علينا، وعلى الناس، وإن كان غير ذلك فمن نفسي، ونحن لا ندَّعي العصمة لأنفسنا ولا الكمال، فكلٌّ يؤخذ من قوله ويُرَد عليه إلا رسول الله ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلى وحيٌ يُوحَى.

وأدعوا إخواني وأخواتي القرّاء بالتدقيق بعد التدقيق، وأن يبرزوا لنا ملاحظاتهم في أي مخالفة شرعية، وجزاكم الله خيرًا، والله من وراء القصد.

وصلى الله على نبي الهدى محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

كتبه

حسن عبد الوهاب البنا

عضو جماعة أنصار السنة المحمدية

والمدرس بالجامعة الإسلامية وعضو هيئة التوعية الإسلامية

بالمدينة النبوية سابقًا- السادس عشر من شهر رجب ١٤٣١هـ

القاهرة – مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

فضيلة الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار

أستاذ العقيدة بكلية الشريعة بجامعة الكويت

- حفظه الله تعالى -

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا وأقوالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

فقد طلب مني -عبر اتصال هاتفي من مصر العزيزة- الأخ العزيز والشيخ الكريم أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان قراءة كتابه:

«المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج السلف الصالح -أهل الحديث والأثر- وأصول منهج الإمام الألباني ووافق فيها منهج القطبية السرورية».

ثم كتابة تقديم أو تقريظ فوعدته خيرًا مُعلِّقًا طلبه على القراءة والنظر، وقد تأخرت عن القراءة لانشغالي بالإعداد للسفر إلى أوربا للعلاج، ولكني حملت معي رسالته إلى ألمانيا، ثم بعد الجراحة والخروج من المستشفى بزمن شرعتُ فيما وعدته به، والله أسأل أن يغفر تأخري هذا وكذلك أسأل الأخ الكريم العفو والإعذار فإنه أهله ويقدر المعاذير والظروف، وكان الفراغ من القراءة في يوم الجمعة المباركة الموافق العاشر من شهر ربيع الثاني لعام ١٤٣١هـ، الموافق السادس والعشرين من شهر مارس ٢٠١٠ للميلاد، في قرية قرب مدينة (آخن) الألمانية.

إن الشيخ -حفظه الله- بوَّب ورتَّب رسالته على المخالفات التي استدركها، والأخطاء التي عالجها من مقالات وكلمات أخينا أبي إسحاق الحويني، فجاءت الرسالة على تسعة أبواب، وضمّنها فصولاً حول الشُبه التي قد تُثار، والاعتراضات التي قد تنشأ من خلال معالجته للمخالفات والأخطاء، فرأيته قد أحسنَ وأجاد وما ترك شاردة ولا واردة قد ترد، بل لا أخضر ولا يابس مما قد يتعلَّق به من مَرِضَ قَلْبه واتَّبع هواه، فجزاه الله خيرًا، ثم ختم أبواب كتابه بالفتاوى والمقارنات حتى لا يدع للشيطان والأهواء سبيلاً على من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، ثم عقد فصلاً خاصًا ناصحًا ومناشدًا أخًا كريمًا وشيخًا عزيزًا أن يُراجع تقريراته، ويلتزم الثبات على منهج الأكابر، كان معروفًا بذلك وداعيًا إليه ومناديًا وناصحًا.

ورأيتُه في ثنايا حواره مع أبي إسحاق يُخاطبُ وينصح ويعظ من وصفه -بالفتى المتعجل- المتعصِّب لأبي إسحاق والذبِّ والدفاع عنه لدرجة أنه يصدق في حقِّه أن يوصف بـ«**مجنون أبي إسحاق**» قياسًا على كلمة شيخنا العلامة الألباني في أحد أهل الأهواء المعاصرين «مَجنون أبي حنيفة»[1].

الشاهد أني رأيتُ الشيخ فيما كتب وقرر واستشهد واستدل قد نصح وبالغ في النُصح لمن اغترّ، أو غُرِّر به بسبب تزكية أحد العلماء والأئمة الأعلام في بدايات حاله، دون اعتبار لتفصيل القول أو القول المتأخر، أو أقوال المتأخرين من الأئمة العلماء الواصفة لنهاية حاله.

فالسؤال لهؤلاء جميعًا: هل الأمر والاعتبار بوصف حال المرء في بدايات طريقه؟ أم العبرة بالخواتيم؟ وهل يهمل وصف حاله اللاحق والمتأخر لما كان عليه في السابق؟ ولستُ أدري ما قول هؤلاء في المرتدين؟ أو من انحرفَ عن الطريق بعد صلاحه وحسن حاله؟ وأذكِّرهم وأنصحُ لهم بتدبر تزكية إمام أهل السُّنة التابعي الجليل الحسن البصري لعمرو بن عبيد[2]، فلعلَّ وعسى أن تتفتح آذانًا صُمًّا وأعينًا عُميًا وقلوبًا غلفًا ران عليها التعصُّب والهوى.

---

(١) هو: محمد بن زاهد الكوثري.

(٢) قال أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفَسَوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٦٠): «ثنا أبو بكر الحميدي، قال: قال سفيان: رأى الحسن أيوب، فقال: هذا سيد شباب أهل البصرة، قال: ورأى عمرو بن عُبَيد يومًا، فقال: هذا من سيدي شباب أهل البصرة إن لم يُحدِّث».

ورأيته كذلك ناصحًا ومُذكِّرًا ذاك المحب الذي صدق فيه قول القائل: «والحبُّ يعمي ويصم». والذي زعم أن محبوبه (علم من أعلام الدعوة السلفية، ورمز من رموزها، وأنه يمثل أهل السُّنة). فأقول له ولأمثاله: أين أنتم من أقوال وأحوال السلف فقد اشتهرَ أنهم إنما ينتسبون إلى السُّنة والجماعة، وبها يُعرفون، خلافًا لأهل البدع الذين إنما يُعرفون إمَّا بالبدعة التي اشتهروا بها، وإمَّا بأصحابها والرجال الذين يتعصَّبون لهم.

وهذه يا عبد الله من أعظم الفروق بين أهل السُّنة وأهل البدع، وأقول: متى كان الحويني عَلَمًا أو رمزًا أو مُمَثِّلاً للسُّنة وأهلها؟ وهل يقبل شيخك الحويني هذه الأوصاف؟

قاتل الله التعصُّب والتحزب، فكم أضلَّ أقوامًا بعد هُدًى كانوا عليه، وأظهرَ سفاهتهم، وسوء حالهم، وفساد مقالهم، وهم يحسبونَ أنهم يُحسنون ويُصلحون!! وكم أعماهم تعصُّبُهم ذلك، فلم يراجعوا الحق بل تمادوا في غيِّهم وباطلهم، وزادوا في جهالتهم وسقوطهم.

وإني لأرجو الله أن يكتب أخانا الشيخ خالدًا عنده ناصحًا، وأن يتقبل منه ما كتب وتكلَّف به بحثًا وجمعًا، وأن يجعله بمنِّه وتوفيقه داخلاً تحت قوله -جل وعلا-: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩]. فيكتبه ذابًّا عن دينه، وكاشفًا زيف الزائفين، وانتحالات المبطلين، وأسأله -جل وعلا- أن يكتبه في سلك العلماء الذين تحقَّق بهم وعده -عز وجل- القديم بحفظ الدِّين والسُّنة.

وأسأله كذلك أن يُدخله تحت قوله -جلَّ وعلا-: ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. فيكتبه آمرًا بالمعروف والحق، ناهيًا عن المنكر والباطل بالحجة والبرهان وبالحكمة والموعظة الحسنة على منهاج النبوة وقواعد السلف الصالح.

وأسأله -جلّ وعلا- كذلك أن يدخله تحت قول النبي -عليه الصلاة والسلام-: **«الدين النصيحة»** قلنا: لمن يا رسول الله؟! قال: **«لأئمة المسلمين وعامتهم»** فيكتبه ناصحًا لله تعالى ولكتابه، ودينه، ولرسوله الكريم وسنته، ولأئمة المسلمين من الصحابة السابقين ومنهاجهم القويم، ومن تبعهم بإحسان، ولعامة المسلمين مُبلِّغًا إيَّاهم ومُحذِّرًا، وداعيًا إلى صراط ربه المستقيم، وكذلك يكتبه عنده بمنِّه وكرمه وتوفيقه ناصحًا لمن كتب لهم بأسمائهم ووجَّه الخطاب لهم، وكانوا السبب في الكتابة والبحث.

وأخيرًا، وليس آخرًا، أسأل الله -جل وعلا- أن يكتبه عنده من أهل تحقيق الولاء والبراء، والدخول تحت قول نبينا -عليه الصلاة والسلام-: «مَن أحبَّ لله، وأبغضَ لله، وأعطى لله، ومنع لله؛ فقد استكمل الإيمان»[1]، وقوله: «أوثق عُرى الإيمان: الموالاة في الله، والمُعاداة في الله، والحُب في الله، والبُغض في الله»[2].

وذلك بما كتبه وفصّله انتصارًا للسُّنة والجماعة ومنهاج الصحابة، وما كان عليه علماء الأمة وأعلام الهدى والتقى قديمًا وحديثًا، سلفًا وخلفًا، وكذلك بما قرره وأعلن براءته مِمَّن خالفهم وعاداهم، خاصة مِمَّن تشبه بهم وليس منهم، وتكلَّم بألسنتهم مشوهًا مناهجهم وملبسًا على العامة والدهماء من أمة خير البشر.

فجزاك الله خير الجزاء على تفصيل نصحك للأخ الشيخ أبي إسحاق، والله أسأل أن يهدي قلبه لقبول الحق؛ ليعود ناصرًا للسُّنة وأعلامها، كاشفًا للبدعة وأهلها، وينفع الله الخلق والعباد به وبعلمه.

وجزاك الله خير الجزاء على نصحك ومواعظك لأبي حُذيفة الجزائري صاحب «التعصُّب والمين» الذي حيثما تكلَّم، وفيما نطق لا يرى الناظر والمتدبر إلا تَعصُّبًا ومَيْنًا، وكما قيل: «كُلُّ إناء بالذي فيه ينضحُ».

وقد أتى بالعجائب والفرائد عند تفصيله في الذبِّ والدفاع عن محبوبه، فقد كشفت له -وفقك الله- فساد قواعده وتفصيلاته بأقوال المتقدمين والمعاصرين من علماء السُّنة وسَلف الأمة، والله أسأل أن يعيده إلى رشده ويهديه إلى دينه الحق.

وجزاك الله خير الجزاء على ما قمت به من جهد وعمل، وجمع واستدلال، وتأصيل وتفصيل، وكفيت جميع إخوانك مؤنة الاشتغال بالرد، وبيان الحق، وكشف الزيف عن دين الله ومنهج السلف الصالح، فقد كفيت ووفَّيت وأديت الواجبَ وأقمت الحجة ونصرت الحق ودافعت عن الذين آمنوا من علماء السلف قديمًا وحديثًا تحقيقًا لقوله -جلّ وعلا-:

---

(١) صحيح لغيره، كما في الصحيحة للإمام الألباني -رحمه الله- (٣٨٠).

(٢) حسن لشواهده، كما في الصحيحة للإمام الألباني -رحمه الله- (٩٩٨، ١٧٢٨).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨]. فأشهد أنك قمت بالواجب في الدفاع عن علمائنا ومشايخنا، وأشهد أنك جاهدت في الله وفي دينه حقَّ الجهاد في هذا الباب العظيم حتى تحقق فيَّ وفي عامّة إخوانك أنك كفيتنا وأسديت عنا وجاهدت عنا، فالحمد لله الذي منَّ بك علينا وكفانا بك سبحانه شر النزال والقتال والذبِّ والرد.

وأختمُ بالشكر والثناء والدعاء لله تعالى، الشكر والثناء على ما منَّ به وأظهر، والدعاء ببقاء طلاب العلم وأهل الحق ظاهرين بالحق لا يضرُّهم من خالفهم ولا مَن خذلهم، والله أسأل أن يجعلنا جميعًا من حيث العموم، وأخي الشيخ خالدًا من حيث الخصوص من الداخلين والمشمولين في قول القائل:

الحمد لله الذي جعل في كلِّ زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضلَّ إلى الهدى ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويُبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائهٍ قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس، وأقبح أثر الناس عليهم، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحالَ المبطلين وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفونَ في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعونَ على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلّمون بالمتشابه من الكلام ويَخدعون جُهّال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين.

ولله در القائل، ووالله كأنه ينظر بنور الله، فما أقرب تشابه الزمان وتشابه أهل كلِّ زمان، فما أشبه الليلة بالبارحة، أسأل الله الهداية للجميع، وأسأله -جل وعلا- القبول والسداد والتوفيق والثبات، إنه تعالى ولي ذلك والقادرُ عليه، وصلَّى الله وسلَّم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

كتبه

فلاح بن إسماعيل مندكار

ألمانيا

الجمعة ١٠/ ٤/ ١٤٣١هـ

الموافق ٢٦/ ٣/ ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمــة

د. أحمد بن عمر بن سالم بازمول

الأستاذ المساعد بجامعة أم القرى بمكة

- حفظـه الله تعالـى -

إنَّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

ألا وإن أصدق الكلام كلام الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

فالمسلم محتاجٌ للعلم أكثر من حاجته للطعام والشراب؛ قال الإمام أحمد كما في إعلام الموقعين (٢/٢٥٧): «الناس أحوج إلى العلم منهم إلى الطعام والشراب؛ لأن الطعام والشراب يحتاج إليه في اليوم مرتين أو ثلاثًا، والعلم يحتاج إليه في كل وقت». انتهى

والعلماء هم ورثة الأنبياء كما قال النبي ﷺ: **«إِنَّ الْعُلَمَاء وَرَثَةُ الأَنبِيَاءِ وَإِنَّ الأَنبِيَاءَ لم يُوَرِّثُوا دِينَارًا ولا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»**.

أخرجه الترمذي في السنن (٥/٤٨) رقم (٢٦٨٢) عن أبي الدرداء، وصحَّحه الألباني في سنن الترمذي رقم (٢٦٨٢).

فالعلماء المعتبرون هم الآخذون بسنة وهدي المصطفى على منهج السلف الصالح، قال ابن حبان في الصحيح (١/٢٩٠): «العلماء ورثة الأنبياء، والأنبياء لم يورِّثوا إلاَّ العلم، وعلم نبينا ﷺ: سنته؛ فمن تعرى عن معرفتها لم يكن من ورثة الأنبياء». انتهى

وقال مالك: «لا يؤخذ العلم إلاَّ عمَّن يُعْرَفُ مَا يقول، لقد تركت جماعة من أهل

المدينة ما أخذت عنهم من العلم شيئًا، وإنهم لمِمَّن يُؤْخذ عنهم العلم، وكانوا أصنافًا، فمنهم من كان كذابًا في غير علمه تركته لكذبه، ومنهم من كان جاهلاً بما عنده فلم يكن عندي موضعاً للأخذ عنه لجهله، ومنهم من كان يدين برأي سوء».

أخرجه الحاكم في المدخل إلى الإكليل (٤٨).

وقال الشيخ صالح الفوزان في الأجوبة المفيدة (٢٥٤): «لا يجوز الأخذ عن المنحرفين في العقيدة بشرك أو تعطيل، ولا الأخذ عن المبتدعة والمنحرفين وإن سموا علماء». انتهى

وأخذ العلم عن أهل البدع والأهواء من علامات الساعة كما روى أبو أُمَيَّة الْجُمَحِيُّ أَنَّ رَسُول اللَّه ﷺ قَالَ: «مِنْ أَشْرَاط السَّاعَة أَنْ يُلْتَمَس الْعِلْم عِنْد الأَصَاغِر».

أخرجه ابن المبارك في الزهد (٢٠) رقم (٦١) وجوَّده الألباني في الصحيحة رقم (٦٩٥).

قال ابن المبارك : «الأصاغر من أهل البدع».

وقال عبد الله: «قال لا يزال الناس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم وعن أمنائهم، فإذا أخذوا من صغارهم وشرارهم هلكوا».

أخرجه البيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٢١٧) رقم (٢٧٥).

وسئل عبد الله بن المبارك عن معنى هذا الأثر؟

فقال: «هم أهل البدع، فأما صغير يؤدي إلى كبيرهم فهو كبير».

أخرجه الهروي في ذم الكلام وأهله (٥/٧٦) رقم (١٤١١).

وكان إبراهيم الحربي يقول في قوله: «لا يزالون بخير ما أتاهم العلم من قِبَل كُبرائهم»، معناه: أن الصغير إذا أخذ بقول رسول الله ﷺ والصحابة والتابعين فهو كبير، والشيخ الكبير إن أخذ بقول أبي حنيفة وترك السنن فهو صغير».

أخرجه اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنة (١/٨٥) رقم (١٠٣).

ومن أبرز علامات أهل البدع اتباعهم المتشابه تضليلاً للناس وفتنة لهم، كما روت أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- حيث قالَتْ : تَلا رَسُولُ الله ﷺ هَذِهِ الآيَةَ:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَتْ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «فَإِذَا رَأَيْتِ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكِ الَّذِينَ سَمَّى الله فَاحْذَرُوهُمْ».

أخرجه البخاري في الصحيح (٤/١٦٥٥) رقم (٤٢٧٣)، ومسلم في الصحيح (٤/٢٠٥٣) رقم (٢٦٦٥).

قال أيوب: «لا أعلم اليوم أحدًا من أهل الأهواء يخاصم إلا بالمتشابه».

أخرجه ابن بطة في الإبانة (٢/٥٠١) رقم (٥٦٠).

قلت: وبهذا نعلم وجوب التمييز بين من يُؤخذ عنه العلم ومن لا يؤخذ عنه العلم؛ لأننا إذا لم نميز بينهم غابت المرجعية الصحيحة التي يتلقى عنها العلم، فعامة الناس لا يميزون بين الحقّ والباطل، وبين الصواب والخطأ، فإذا رجعوا إلى غير أهل العلم، أفتوهم بلا علم فضلُّوا وأضلُّوا.

وعدم التمييز بين من يُؤخذ عنه العلم وبين من لا يؤخذ عنه العلم يتسبب عنه ضرر كبير جدًّا، ومفسدة بالغة، قال الشيخ ابن عثيمين كما في وصايا وتوجيهات لطلاب العلم (٤٥٩) لسليمان أبا الخيل: «الغلط في أمور الدين، والغلط في العلم الشرعي ليس كالغلط في الأمور الأخرى، وإن كان الغلط في كل شيء مرفوض ومصيبة، ولكن الغلط في أمور الشرع، وفي أمور الدين يترتب عليه ضرر عظيم بالنسبة للأمة».

وقال الشيخ صالح الفوزان في الأجوبة المفيدة (١٥٠): «أصحاب البدع والأفكار الهدّامة، يجب على الشباب الابتعاد عنهم؛ لأنهم يسيئون إليهم، ويغرسون فيهم العقائد الفاسدة والبدع والخرافات؛ ولأن المُعَلِّم له أثره على الْمُتعلِّم، فالمُعَلِّم الضّال ينحرف الشاب بسببه، والمُعَلِّم المستقيم يستقيم على يديه الطلبة والشباب، فالمُعَلِّم له دور كبير، فلا نتساهل في هذه الأمور».

واليوم يوجد كثير ممن تصدَّر لطلاب العلم ولإفادة العامة مَنْ لا يجوز أخذ العلم منه؛ لانحرافه ومخالفته لمنهج السلف، ووقوعه في البدع والضلال ! وقد تصدى العلماء السلفيون وطلابهم لكثير من هؤلاء المتصدِّرين وبيَّنوا ضلالاتهم وانحرافاتهم عن الحقّ بعد نصحهم وإرشادهم للحقّ وتوجيههم إليه بالتي هي أحسن، ولكنهم أصروا وعاندوا وأزبدوا وأرعدوا فحذَّر منهم العلماء وكشفوا عوار منهجهم وفساده بالحجة والبرهان من غير افتراء أو تَقوُّل عليهم بل أثبتوا عليهم الباطل من صريح كلامهم المسجل أو المكتوب، وبيَّنوا مصادرهم ومراجعهم من كتب المردود عليه.

ومن هؤلاء الذين تصدروا لإفادة الناس وطلاب العلم وهم على منهج مخالف لمنهج السلف المدعو بـ(أبي إسحاق الحويني)، فهذا الرجل خالف منهج السلف في مسائل كثيرة منها:

- تكفيره المصر على المعصية.
- تثويره للعامة ضد الحكام على طريقة الخوارج القعدية.
- ثناؤه على أهل البدع والأهواء.
- طعنه في كبار العلماء السلفيين.
- عدم اعتباره لشرعية ولاية الحكام المسلمين.

وغيرها من المخالفات الخطيرة التي تدل بوضوح وجلاء على أن الرجل مبتدع ضال منحرف عن منهج السلف الصالح، قال الشيخ صالح الفوزان في الأجوبة المفيدة (٢٨، ٣٥): «كُلّ من خالف جماعة أهل السنة فهو ضال، ما عندنا إلا جماعة واحدة هم أهل السنة والجماعة، وما خالف هذه الجماعة فهو مخالف لمنهج الرسول ﷺ.

وكل من خالف أهل السنة والجماعة فهو من أهل الأهواء، والمخالفات تختلف في الحكم بالتضليل أو بالتكفير حسب كبرها وصغرها، وبعدها وقربها من الحق.

وكل من خالف أهل السنة والجماعة ممّن ينتسب إلى الإسلام في الدعوة، أو في

العقيدة، أو في شيء من أصول الإيمان، فإنه يدخل في الاثنتين وسبعين فرقة، ويشمله الوعيد، ويكون له من الذمّ والعقوبة بقدر مخالفته». انتهى

○ وأسوق لك بعضًا من أقوال أهل العلم والإيمان في هذا الرجل:

- قال الشيخ العلامة مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله تعالى-: «عبد الرحمن عبد الخالق، وأبو إسحاق الحويني، **هذان يُعتبران من المبتدعة**».

- وقال الشيخ العلامة أحمد بن يحيى النجمي -رحمه الله تعالى-: «الذي أعرفه عن محمد المغراوي أنه تكفيري، وأبوإسحاق الحويني كذلك، وهو من أصدقاء أبي الحسن ومناصريه». انتهى

- وقال الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي -حفظه الله تعالى-: «أنا من سنوات ما أجيب، أريد أن أتريث في أمره،أريد أن أناقشه، أرسلت له مناصحات، لكن كما هو، ما يزداد إلاَّ بعدًا عن المنهج السلفي وتلاحمًا مع القطبيين، فهذا حاله، هذا حاله الآن، هو يدعي أنه من أهل السنة ويقترب من أهل البدع، ويعاشرهم، ويتلاحم معهم». انتهى

- وسئل الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله تعالى- عمَّن يقول: إن الأصل في محمد حسان وأبي إسحاق الحويني وأبي الحسن المصري: الأصل فيهم أنهم سلفيون؟

فأجاب -حفظه الله تعالى-: مَن قال الأصل إنهم سلفيون؟!

الأصل فيهم أنهم من الإخوان، وتربية الإخوان.

والله **أنا أرى أنهما مبتدعة؛ لأنه أصله ما هو سلفي** بارك الله فيك. انتهى

وسئل الشيخ الدكتور محمد بن هادي المدخلي: ما قولكم في الشيخ أبي إسحاق الحويني، وهل تنصحون بسماع أشرطته ودروسه؟

فأجاب -حفظه الله تعالى- أقول: **لا ! لا يُنصح بسماع أشرطته ولا بدروسه**. انتهى

وقد تصدى مجموعة من العلماء وطلاب العلم لفتنة أبي إسحاق الحويني والتحذير منه، ومن هؤلاء: أخونا أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان المصري -حفظه الله تعالى- في كتابه الذي سماه بـــ:

« المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني
أصول منهج أهل السنة -أهل الحديث والأثر-
ووافق فيها منهج القطبية السرورية »

ذكر فيها جملة من المسائل التي خالف فيها الحويني منهج السلف الصالح وأثبتها من صريح كلامه المقروء والمسموع، ثم ردَّها مسألة... مسألة بالحجة والبيان على منهج السلف الصالح دون غلوٍّ ولا تمييع للمسائل السلفية فجزاه الله خيرًا على هذا الكتاب الذي أفاد فيه وأجاد وأبان الحقَّ ونصح الأمة.

والله أسأل أن يجزي كاتبه خير الجزاء، وأن يجعله في ميزان حسناته يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

كتبه

أبو عمر

أحمد بن عمر بن سالم بازمول

الجمعة عصرًا - ١٥ محرم ١٤٣١ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

شهادة فضيلة الشيخ حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-

ضد المُتعصِّبين الذين طعنوا فِي المُصنِّف

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

فهذه كلمة مني، وشهادة في حق أحد أبنائنا من طلبة العلم الشرعي وهو: الشيخ أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان -سلَّمهُ الله وإيَّانا-.

وأنا أدبجها وفقًا لما رأيت منه وعلمته عنه، ومُقدمًا لحسن الظن بالإخوة في الله، وأمرنا أن نحكم بالظاهر، ومنه الاحتكاكات والمجالسة والله حسيب الجميع، ولا نزكي أحدًا على الله.

فأقول مُستعينًا بالله: إن الأخ خالد بن محمد من طلاَّب العلم النابهين الذين لهم باع في المنهج السلفي، وهو يتلقى العلم عن علماء السنة، وعلى رأسهم: فضيلة الشيخ ربيع ابن هادي المدخلي -حفظه الله ورعاه- مشافهة واتصالاً، هذا المنهج الحكيم السديد في التحذير من زلأت وأخطاء المخالفين سواء كانوا من أهل الأهواء أو من أهل السنة نصحًا للمسلمين، وحماية لأصول المنهج السلفي إن هم خالفوا أصول أهل السنة بعد النصح لهم.

وهذا هو المنهج الذي سار عليه أئمة الجرح والتعديل من سلفنا الصالح أمثال: ابن معين وشعبة وأحمد -رحمهم الله تعالى-.

ولقد وصلتني بعض الأراجيف، والادعاءات، والتي أراها مُخالفة لما لمسته من معاملتي واحتكاكي بالأخ **أبي عبد الأعلى** وقد أثيرت حوله، وهذه الأخبار قد تكون صدرت من بعض الشباب المندفع المتحمس مِمّن لم يستوعب العلم بالأصول والتقدير الصحيح للأمور لحداثتهم، أو لإصرارهم على التقليد دون الاتباع فأخذوا بالأخبار المبتورة والتي تشوه الحقائق بسبب عدم إحاطتهم بكل الوقائع الخاصة بما أشاعوه مع قصور علمهم بقواعد الجرح والتعديل في جرح الأشخاص الذين خالفوا أصول أهل السُنة عن علم -ولا أحسب أن الأخ خالدًا من هؤلاء-، وقد يكون من الدوافع لعملهم: التعصُب للأقوال التي يدوكها البعض دون تمحيص أو روية.

ومن الطامات التي يقع فيها هؤلاء وأمثالهم أنهم يتّهمون العلماء الأكبر منهم سنًّا وعلمًا وخبرةً إذا هم أثنوا على طالب علم مجتهد مثل الشيخ خالد تشجيعًا له على السير في هذا السبيل ابتغاء مرضاة الله تعالى وهذا دون التثبت أو التحري عن منهج الشيخ خالد وصبغته، وكأن هؤلاء الشباب -هداهم الله- أخبر بالواقع، وبدخائل النفوس من العلماء، وذلك لحداثتهم، ولم يصقلوا بصبغة الله بعد.

ولتأكيد أقوالي السابقة -وأحسب نفسي أدافع عن عرض أخٍ لي في الله-، **وقد جالست الشيخ خالدًا مجالس عديدة، وتمت بيننا مناقشات علمية ومنهجية استفدت منها كثيرًا، وقد قرأ عليَّ فيها عدة أبحاث ومؤلفات تثبت اطلاعه واجتهاده العلمي، وتدل على صحة منهجه**، ولا أرى كما يدّعي هؤلاء أن مثل الأخ خالد يسعى للوقيعة بين بعض أهل العلم إذ أنه يستجيب لنصح شيخه الشيخ ربيع في هذه المسائل أو تلك مما يوافق الحق، أو أنه -كما يدّعون -قد خالف مذهب السلف الصالح في مسائل الإيمان أو أنه يقوم بخداع العلماء .... إلى غير هذه الافتراءات الْمُدّعاة.

ولا شك أن هؤلاء المرجفين قد أساءُوا الظن بالعلماء الذين زكوا الشيخ خالدًا واتهموهم بالسذاجة، وهذا يُنافي الأدب مع أهل العلم.

وأنا أشهد بمخالطتي للأخ خالد أنه **يُقدِّر أهل العلم**، ويتأدب معهم بآداب

الإسلام، وإن كان حذَّر من خطأ أحد من أهل العلم السلفيين فليس غرضه -كما أظن به- من هـذا التحـذير التشهير أو الانتصـار الشخـصي، أو السـعي لإسقاط أحـد من المشايخ، بل غـرضه -إن شاء الله- إحسانًا للظن به- النصيحة والانتصار للحق، وهو بهذه التصرفات يكـون قد أصاب في صنيعه ولا نزكيه على الله، بل نشهد بالحق كما أمرنا الله سبحانه في قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ [النساء: ١٣٥].

ولقد قرأت كـتابه -أغلبه-: «**دفـع بغي الجـائر الصائل على العلامة ربيع بن هادي والمنهج السلفي بالباطل**»، فوجدته كتابًا ماتعًا نافعًا قد أجاد فيه أبو عبد الأعلى في الذبِّ عن أعراض علماء أهـل السُّـنة وهو ردٌّ علمي قـوي على صاحب ذاك الكتاب المشبوه: «**انصر أخـاك ظـالمًا أو مظلومًا**»، وفي تفنيد شُـبه أهـل الباطل؛ ولأبي عـبد الأعلى كذلك تحقيقات حديثية نافعة، وقد حقَّق عددًا من كتب السلف بعد أن ضبط نصَّها على أصولها الخطية.

وشهادتي هــذه لا تعني أني أشهد للابن خـالد بن محمد بالعصمة، بل هو بشر يُصيب ويُخطئ، فإن أخـطأ فعلى إخـوانه أن ينصحوه بالتي هـي أحسن بـالحجج من الكتاب والسُّـنة، لا أن يشهِّروا به، ويطعنوا في عـرضه ومنهجه، وأراه إن نُصِح فإنه سيرجع للحـق -إن شاء الله- كما هو ظني به، والله حسيبه.

كـما أوجه نصيحتي لأهل السنة -وأركز على الشبيبة- أن يدعـوا التعصُّب الذميم، ويتوقفوا عـن نشر الدعايات والإشاعات الباطلة والتي تثير الفتن، وتحدث الفرقة بين أهل الـسُّنة، وليتقـوا الله سـبحانه، ويـذكروا قولـه -عَـزَّ وَجَـلَّ-: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وكـذلك قـول الرسـول ﷺ: «**ليلة أُسري بي مررت بـأقوام لـهم أظفـار من نحـاس يخمشون وجوههم وصدورهم، فقلت: من هؤلاء يا جبريل؟**» قال: هؤلاء الذين يأكلون

لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم»، وقوله ﷺ: «**من خاصم في باطل وهو يعلمه، لم يزل في سخط من الله حتى ينزع، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال حتى يخرج مما قال، وليس بخارج**»؛ وليس في هذا تعريج على منهج الموازنات الفاسد، ولكن المقصود منه بيان أن الخوض في التجريح والتعديل يُبنى على كلام أهل العلم بالأدلة، لا على الإشاعات ممن ليسوا من أهل العلم والتثبت.

نسأل الله تعالى أن يرد هؤلاء الشباب إلى الحق ردًّا جميلاً، وأن يُطهر قلوبنا جميعًا من الأحقاد والضغائن، ويجمعنا على الحق والهدى، إنه سُبحانه سَمِيعٌ قَرِيب.

وصلى اللهم على النبي مُحمد، وعلى آله وصحبه وسلم....

وكتبه: فقير عفو ربه

حسن عبد الوهاب البنا

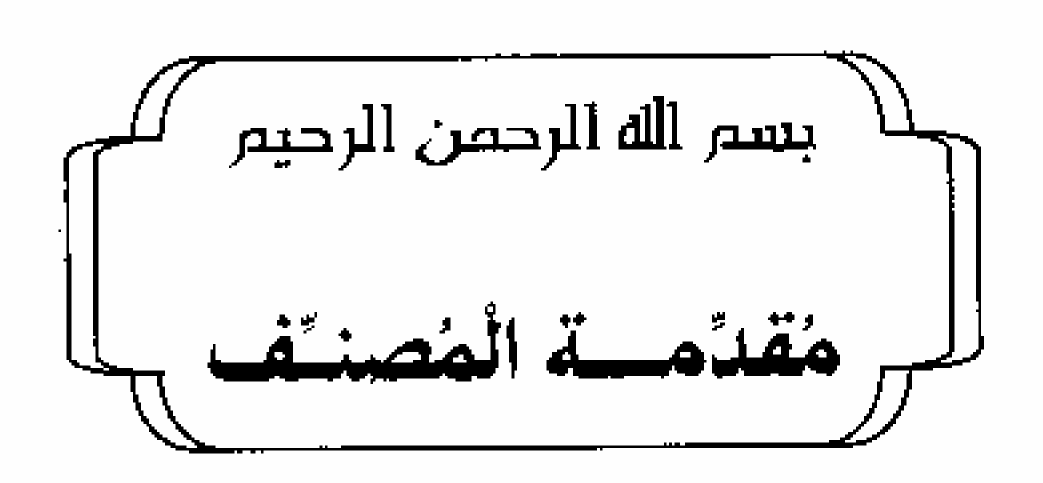
المدرس السابق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وعضو هيئة التوعية الإسلامية بها سابقًا

ميت عقبة - القاهرة الكبرى

٢٩ جمادى الآخرة ١٤٢٥ - الموافق ١٤/٨/٢٠٠٤

* * * *


بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمـــة المُصنِّـف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن مُحمَّدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران:١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء:١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا (٧٠) يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد:

فإن أول عهدي بالشيخ أبي إسحاق حجازيْ بن محمدِ بنِ يوسفَ بنِ شريفٍ الحوينيُّ المصريُّ -على حدِّ ما أذكر- كان عند استماعي لأحد دروسه العلمية، وهو المسمَّى بـ«حلية طالب العلم»، والذي من خلاله استبشرت أنا وإخواني خيرًا، بظهور طالب علم مصري سلفي يسعى إلى التأصيل العلمي، لعلَّ الله سبحانه أن يجعله خير خلف لعلماء السنة المصريين الذين افتقدناهم نحو: العلامة المحدِّث أحمد شاكر، والعلامة عبدالرزاق عفيفي، والعلامة محمد حامد الفقي -رحم الله الجميع-.

ثم لم تمر برهة إلا وتم الإعلان عن سلسلة دروس لأبي إسحاق في شرح كتاب «العلم» من صحيح البخاري في مسجد «العزيز بالله» بحي «الزيتون» بمحافظة القاهرة، فكانت أيضًا بادرة طيبة استشف منها المحبون للسنة أن الرجل يسير -إن شاء الله- على

الجادة العلمية، فازددنا استبشارًا وفرحًا به، إلا أن البعض انتابته الريبة، لنزوله على مسجد العزيز، حيث إن هذا المسجد قد اشتُهِر في هذه الفترة بإيوائه لدعاة ذي نزعة غلو في التكفير نحو فوزي السعيد، ومحمد بن عبد المقصود، وسيد العربي، وكان مسجد العزيز هو محطة الانطلاق ونقطة الاشتهار لهؤلاء الدعاة بين الشباب، في القاهرة على وجه الخصوص.

ثم تبيَّن لنا بعد ذلك أن الإتيان بأبي إسحاق لهذا المسجد إنما كانت خطة مرسومة لتحقيق الشهرة له في القاهرة، ثم دمجه في هذا الخليط القطبي التكفيري من دعاة الفتنة والخروج.

والسؤال المطروح: هل كان الحويني من بداية أمره يوافق هؤلاء على منهجهم، لكنه كان يتخفى ويستخدم التقية تدليسًا على السُّذَّج، ثم سعى للارتباط بإمام السنة الألباني؛ حتى يتمكن من قلوب الشباب والعامة المحبين للسنة، الذين تأثروا بدعوة الألباني التجديدية؟!(1).

أم أنه كان على الجادة، ثم تمكنت هذه الأحزاب من احتواء الحويني وتسييره في الخط المرسوم له؛ لتحقيق أهدافها الحزبية؟!

ومهما كان، فإن الله سبحانه حمى هذا الدين بحماة من أئمة ربانيين يذبُّون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين، ويفنِّدون دعاوى المغرضين، وهذا تحقيقٌ منه لوعده سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

وقال الإمام مسلم في صحيحه (٥٢) حدثني عمرو الناقد، وأبو بكر بن النضر، وعبد ابن حميد -واللفظ لعبد- قالوا: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد قال: حدثني أبي عن صالح ابن كيسان، عن الحارث، عن جعفر بن عبد الله بن الحكم، عن عبد الرحمن بن المسور، عن أبي رافع، عن عبد الله بن مسعود، أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي، إلا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ، وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ**

(١) والتي كانت قائمة على نبذ الغلو في التكفير، وبيان مغبة الخروج على الحكَّام بالكلمة والسلاح، والتحذير من رموز أهل البدع على كافة المستويات، ومن الأحزاب والحزبية، والذي هو باختصار منهج التصفية والتربية.

مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ، حَبَّةُ خَرْدَلٍ».

قال أبو رافع: فحدثت عبد الله بن عمر فأنكره عليَّ، فقدم ابن مسعود فنزل بقناة فاستتبعني إليه عبد الله بن عمر يعوده، فانطلقت معه فلمَّا جلسنا سألت ابن مسعود عن هذا الحديث، فحدَّثنيه كما حدَّثته ابن عمر، قال صالح: وقد تحدَّث بنحو ذلك عن أبي رافع.

وعليه فقد كتبت هذا البحث نصحًا للمسلمين، وذبًّا عن سنة سيد المرسلين ﷺ التي تعلَّق بها الشيخ أبو إسحاق الحويني -وفقه الله إلى الإنصاف من نفسه-، وألصق بها -كمعتقد ومنهج- ما ليس منها، مُتدثرًا برداء علماء الحديث، مِمَّا زاد الأمر تلبيسًا على العامة، والذين ليس لهم من العلم نصيب[1].

وقد قال الإمام مسلم في مقدِّمة صحيحه: حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ الرَّبِيعِ، حَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ زَيْدٍ، عَنْ أَيُّوبَ وَهِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدٍ، وَحَدَّثَنَا فُضَيْلٌ، عَنْ هِشَامٍ قَالَ: وَحَدَّثَنَا مَخْلَدُ بْنُ حُسَيْنٍ، عَنْ هِشَامٍ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: «إِنَّ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ»[2].

وعليه فإن أمر نقد الدعاة بأسمائهم[3] أمر حتم لازم لحفظ هذا الدين من كل دخيل؛ فكان البيان واجبًا ليعرف المسلمون عمَّن يؤخذ الدين؛ ليحيى من حي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة، وحتى تقام حجة الله سبحانه على عباده.

هذا، وقد يسأم البعض من نقد الدعاة بأسمائهم، وهذا السأم نابع من غلو وتعصُّب للرجال، مشوب بعاطفة عمياء، وحميَّة جاهلية[4] وهوىً متبع، وكأن هؤلاء يقولون بلسان

(١) قال الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله- في تعليقه الذي تفضَّل به لَمَّا قرأت عليه مواضع من هذا البحث: «نحن لَمَّا ننتقد شخصًا، لا ننتقده لنزعة وطنية ولا شعوبية ولا شخصية، وإنما ننتقده من الناحية العلمية المنهجية».

(٢) **أثر صحيح**: وأخرجه الدارمي في سننه (٤٣٢)، والترمذي في الشمائل (٤٠٨)، والخطيب في الجامع لأخلاق الرواي وآداب السامع (١٣٩) من طريق ابن عون عن ابن سيرين.

(٣) مع البيان والنصح لهم.

(٤) ليست حميَّة للكتاب والسُّنة بفهم سلف الأمة.

حالهم: «شيوخنا أغلى علينا من ديننا، فنحن نقبل الطعن في أصول السنة، ولا نقبل الطعن في شيوخنا»، وبصيغة أخرى: «نحن نتغاضى عن أخطاء شيوخنا -حتى وإن كانت تمس أصول السنة-، من أجل الحفاظ على مكانتهم ومشاعرهم، وإبقاء لمودتهم»، وبهذا تنغلق قلوبهم عن قبول نصيحة أي ناصح يذب عن أصول السنة، وحجتهم في هذا الانغلاق قولهم: أنتم تسبُّون شيخنا، أو أنتم لستم أعلم من شيخنا بالحق والهدى ...إلخ حُجج المتعصِّبين.

وقد ناقشت باستفاضة هذا الداء العضال، وحاولت بيان الدواء من خلال كتابي: «التعصُّب للشيوخ... عواطف مشوبة بالأهواء... داء وبيل مزَّق الأمة شيعًا»، وجمعت شتات كلام أهل العلم في هذه المسألة الحرجة، قاتل الله التعصُّب، فما أشنع إخساره.

فرجاء من كل مَن شعر بانغلاق في القلب عن إتمام قراءة هذا الرد على الحويني أن يقرأ أولاً كتاب «التعصُّب للشيوخ»، وأن يجتهد مخلصًا في طلب الحق متلمسًا الدواء لدائه متجردًا عن الأهواء، وبعدها لعلَّه يجد الانفتاح بإذن الله وانشراح الصدر لأصول اعتقاد السلف الصالح، ولا يجد غضاضة في قبول أي نقد -مهما كان- لمن كان يتعاطف معهم من الدعاة والخطباء والوعَّاظ.

وأنصح هؤلاء أيضًا بالرجوع إلى كتب الجرح والتعديل ليطلعوا على نقد مئات من الرجال بأسمائهم؛ وليرجعوا إلى كتاب «الكفاية في علم الرواية» للخطيب: «باب: وجوب تعريف الْمُزَكِّي ما عنده من حال المسئول عنه»، ولنذكر شيئًا مما صحَّ من الآثار في هذا الباب لنتعلَّم هدي السلف في التحذير من أهل البدع والأهواء بأسمائهم:

١) عن الحسن قال: «ليس لأهل البدعة غيبة»[١].

٢) عن يحيى بن سعيد قال: سألت شعبة وسفيان -أي الثوري-، ومالك بن أنس، وسفيان بن عيينة عن الرجل يتهم في الحديث أو لا يحفظ: قالوا: «بيِّن أمره للناس».

٣) عن عفَّان قال: «كنا عند إسماعيل بن عُلية جلوسًا فحدَّث رجل عن رجل، فقلت: إن هذا ليس بثبت، فقال الرجل: اغتبته، قال إسماعيل: «ما اغتابه، ولكنه حكم أنه ليس بثبت».

---

(١) قال الشيخ حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «أي: في حدود ما وقعوا فيه من بدعة».

٤) عن حمّاد بن زيد قال: «كلّمنا شعبة بن الحجاج أنا وعبّاد بن عبّاد وجرير بن حازم في رجل، قلنا لو كففت عن ذكره، فكأنه لان وأجابنا، ثم مضيت يومًا أريد الجمعة فإذا شعبة يناديني من خلفي، فقال: «ذاك الذي قلت لكم فيه لا أراه يسعني».

٥) عن أبي بكر بن خلاد قال: قلت ليحيى بن سعيد القطان: «أما تخشى أن يكون هؤلاء الذين تركت حديثهم خصماءك عند الله تعالى؟ قال: لأن يكون هؤلاء خُصمائي أحب إليّ من أن يكون خصمي رسول الله ﷺ يقول: لِمَ حدّثت عني حديثًا ترى أنه كذب؟!».

٦) عن عاصم الأحول قال: كان قتادة يقصّر بعمرو بن عُبَيْد، فجثوت على ركبتي، فقلت: يا أبا الخطاب، هذه الفقهاء ينال بعضها من بعض؟ فقال: يا أحول رجلٌ ابتدع بدعةً فيُذكَر خيرٌ من أن يُكَفّ عنه.

وزاد في رواية: «قال عاصم: فوجدت على قتادة، قال: فرأيت عَمْرًا في النوم معه مصحف وهو يحك آية من القرآن، قال: فقلت له: ما تصنع؟ قال: أعيدها، قال: فحَكَّها، قال: قلت: أعدها، قال: لا أستطيع»[1].

٧) عن مكي بن إبراهيم قال: كان شعبة يأتي عمران بن حُدَيْر يقول: «يا عمران تعال حتى نغتاب ساعة في الله -عز وجل-»، -يذكرون مساوئ أصحاب الحديث-.

٨) عن ابن المبارك قال: «المعلّى بن هلال هو، إلا أنه إذا جاء الحديث يكذب، قال: فقال له بعض الصوفية: يا أبا عبد الرحمن، تغتاب؟ قال: «اسكت، إذا لم نُبيّن كيف يُعرَف الحق من الباطل؟!» -أو نحو هذا الكلام-.

٩) عن أبي زرعة عبد الرحمن بن عمرو قال: سمعت أبا مُسهِر يسأل عن الرجل يغلط ويهم ويُصحّف، فقال: فقلت: لأبي مُسهر: أترى ذلك من الغيبة؟ قال: لا.

١٠) عن محمد بن بُندار السبّاك الجرجاني قال: قلت لأحمد بن حنبل: «إنه ليشتد عمي أن أقول: فلان ضعيف، فلان كذّاب، فقال أحمد: «إذا سكتَّ أنت، وسكتُّ أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم؟!».

---

[1] وأخرجه بهذه الزيادة: الخطيب أيضًا في تاريخ بغداد (١٢/ ١٧٨)، والدارقطني في أخبار عمرو بن عبيد (٥).

١١) عن عبد الله بن أحمد قال: قلت لأبي: ما تقول في أصحاب الحديث يأتون الشيخ لعلَّه أن يكون مُرجئًا أو شيعيًّا أو فيه شيء من خلاف السنة؟! أيسعني أن أسكت عنه أم أحذّر عنه؟ فقال أبي: «إن كان يدعو إلى بدعة، وهو إمام ويدعو إليها قال: نعم، تحذّر عنه».

وأقول: إن الحويني نفسه أقر هذا المنهج: منهج الرد على المخالف الذي انتشرت بدعته، والرد عليه على الملأ، حيث قال كما في (شريط ١٠ من شرح مسلم): «تكلّمت أكثر من مرة في هذا المسجد وفي غيره عن فتوى الدكتور يوسف القرضاوي التي أفتى فيها بجواز أن يصوِّر الرجل نفسه مع امرأته وهو يجامعها بالفيديو، واستنكرت هذه الفتوى أشدَّ الاستنكار وأقمت الدلائل على بطلانها... لكن أحد إخواننا كتب لماذا لم تقم بنصيحة الدكتور يوسف القرضاوي سرًا بدلاً من أن تفضحه؟

أقول: إذا كانت الفتوى فضيحة فأنا ما فضحته، وإنما هو الذي فضح نفسه.

ثانيًا: لم تعد الفتوى أو الكلام الآن لم يعد من حظ أحد إنما صار من حظ الجماهير؛ لأن الدكتور يوسف القرضاوي تكلَّم في قناة الجزيرة القطرية التي يراها الملايين من المسلمين؛ إذن صارت الفتوى عامة وأنا ما قرأت الفتوى هذه مثلاً أو سمعتها في مجلس خاص وطلعت ونددت وشهَّرت... لا إنما هذه الفتوى قالها في قناة الجزيرة، ونشرتها الجرائد -الجماعة الذين يهلّلون ويطبّلون على المسلمين، وعايزين يفضحونهم- قالوا: «فتاوى غرف النوم...»، ثم قال -بعد كلام آخر-: «فشهَّروا بكلام القرضاوي... فصارت المسألة عامة، فرددنا ردًّا عامًا، أنت لما تقول: نحن حضرنا مجلسًا خاصًا، وأنا طلعت وشنَعت... تقول لي: يا أخي الكلام لا أحد يعرفه وأنت الذي أشعت الفتوى عنه بالرد عليه... عشان كده الإمام أحمد لما سئل: مَن ردَّ على أهل البدع... هل كل مبتدع يطلع نرد عليه؟ قال: لا إذا كانت بدعته شهيرة ترد، لكن إذا كان خامل الذكر وما له قيمة لست أنا الذي أنشر بدعته!! لأني لَمَّا أطلع في مسجد مثل هذا وأرد عليه ولا أحد منكم يعرفه ولا يعرف كلامه، أكون أنا الذي نشرت له بدعته، لكن إذا كان واحد بدعته منتشرة وشهيرة، فحينئذ لابد أن نرد عليه، هذا الذي دعانا للرد على الدكتور يوسف القرضاوي، وليس في هذه الفتوى فقط بل لإباحته بيع لحم الخنزير للمسلمين في أمريكا وغيرها، وإباحته بيع

الخمر للمسلمين في أمريكا وغيرها، وله طامات كثيرة ليست هذه الطامة الوحيدة، وديننا أغلى عندنا من أي إنسان، فهذا هو الذي حدَا بي أنني أرد على هذه الفتوى». اهـ

أقول: ولذلك فقد أخطأ المتعصِّبون الذين يتبعون عاطفتهم بغير علم، ويقولون لكل مَن يرد على مخالف أو مبتدع: لماذا لم تنصحوه سرًّا قبل أن تحذّروا من مخالفته على الملأ؟

فالردُّ عليهم في كلام الحويني نفسه.

واعلم -رحمك الله- أن صاحب البدعة إذا أتى بقول خرق به إجماع السلف، وخالف فيه النصَّ، وجب على أهل الحسبة الإنكار عليه، كما قال الماوردي في كتابه «الرُّتبة في طلب الحسبة» (ص١٢٢): «وهكذا لو ابتدع بعض المنتسبين إلى العلم قولاً خرق الإجماع وخالف فيه النصَّ، وردَّ قوله علماء عصره أنكره عليه وزجره عنه -أي: الْمُحْتَسِب-، فإن أقلع وتأدب وإلا فالسلطان بتهذيب الدين أحق، وإذا انفرد بعض المفسِّرين لكتاب الله بتأويل عدل فيه عن ظاهر التنزيل إلى باطن بدعة يتكلَّف له أغمض معانيه، أو انفرد الرواة بأحاديث مناكير تنفر منها النفوس أو يفسد بها التأويل، كان على المحتسِب إنكار ذلك والمنع منه، وهذا إنما يصح منه إنكاره إذا تميز عنده الصحيح من الفاسد والحق من الباطل، وذلك من أحد الوجهين:

○ إما أن يكون بقوته في العلم واجتهاده فيه، فلا يخفى ذلك عليه، وإما أن يتفق علماء الوقت على إنكاره وابتداعه، فيستعدونه فيه، فيعوِّل في الإنكار على أقاويلهم، وفي المنع على اتفاقهم، فإن الخطر عظيم، والمحتَسِب الجاهل إن خاض فيما لا يعلمه، كان ما يفسده أكثر مِمَّا يصلحه، ولهذا قالوا: العامي لا يحتسب إلاَّ في الجليات، وأما ما يعلم كونه منكرًا بالإضافة، ويفتقر إلى اجتهاده، فلا تجوز للعامي الحسبة فيه، فإنه ربما أداه اجتهاده إلى منكر، فيُصيِّره معروفًا أو بالعكس». اهـ

وقال نجم الدين الغزي العامري في رسالة له في الكلام على آية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص١٢٥): «والاحتساب في البدع أهم من الحسبة في غيرها من المعاصي».

قلت: ولقد وقع الداعية الشيخ أبو إسحاق الحويني -ردَّه الله عز وجل إلى الحق- في مخالفات كبرى خالف بها أصول منهج السلف الصالح -أصحاب الحديث والأثر-، ووافق فيها خوارج العصر: السروريين القطبيين ، وهذه المخالفات منشورة: مقروءة ومسموعة، ليست خافية، فلم تحدث في مجالس خاصة مغلقة، إنما كانت في مجالس عامة، وهو يصر عليها، رغم النصح والبيان، فوجب التحذير على الملأ.

واعلموا -رحمكم الله- أن الاشتغال بعلم الحديث كصناعة، وادعاء السلفية بلسان المقال لا يكفيان وحدهما لإثبات صحة المعتقد لصاحبهما، وذلك لِمَ يلي:

أولاً: كم من مشتغل بالحديث تصحيحًا وتضعيفًا، تصنيفًا وتدريسًا، وهو على عقيدة بدعية، فقد يكون متصوفًا أو معتزليًا أو أشعريًا أو جهميًا أو مرجئًا أو خارجيًا... إلخ، والأمثلة من زماننا المعاصر كثيرة، نحو: صِدّيق الغمُاري الصوفي الْمُعَطِّل، وزاهد الكوثري الجهمي المتعصِّب، وعبد الفتاح أبي غدة الصوفي الجهمي الكوثري، وشعيب الأرنؤوط الحزبي الأشعري، ومحمود سعيد ممدوح الصوفي الأشعري ... إلخ.

فالاشتغال بعلم الحديث كعلم آلة، لا يشفع لصاحبه في إدخاله في معتقد أصحاب الحديث.

ثانيًا: ادعاء السلفية بلسان المقال، لا يقبل حتى يلتزم صاحب الدعوى بأصول المنهج السلفي -منهج أصحاب الحديث والأثر- التزامًا فعليًا بلسان الحال.

أما أن يدعي مدعٍ: أنه يدعو إلى الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، ثم إذا نظرنا إلى واقعه وجدناه التزم أصول منهج التصوف، أو التشيع والرفض، أو الخروج... إلخ، فإن دعواه لا قيمة لها[1].

واعلم أن هؤلاء الأدعياء أضرُّ على الدعوة السلفية من المعلنين بالبدعة المصرِّحين بالعداء للمنهج السلفي؛ حيث إن المتشبهين بالسلفيين -وليسوا منهم- يخدعون الأغمار

---

(١) قال فضيلة الشيخ الوالد حسن -حفظه الله-: «ويُصنَّف حسب عقيدته التي يدعو إليها، ومنهجه الذي يسير عليه».

ويدلسون عليهم ويلبسون عليهم الحقَّ بالباطل، كما قال ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في كتابه «الداء والدواء» (ص٧٣- ط- دار عالم الفوائد):

«وسمعت شيخ الإسلام يقول: كما أن خير الناس الأنبياء، فشر الناس من تشبه بهم من الكذَّابين، وادعى أنه منهم، وهو ليس منهم، فخير الناس بعدهم: العلماء، والشهداء، والصديقون، والمخلصون، وشر الناس من تشبَّه بهم يوهم أنه منهم وليس منهم».

قلت: وفي هذا الزمان كثير من أدعياء السلفية هم في حقيقة أمرهم قطبيون سروريون.

والقطبية هي أكبر فرقة من فرق الخوارج في هذا العصر، والسرورية تفرعت عنها.

والقطبية نسبة إلى سيد قطب، الذي امتلأت كتبه -خاصة تفسيره الظلال ومعالم في الطريق- بتكفير المجتمعات الإسلامية ورميها بجاهلية أشد من الجاهلية الأولى[1]، واعتباره المساجد معابد جاهلية[2]، ومن ثَمَّ كان تاركًا للجمعة والجماعات، ومن كتاباته خرجت

---

(١) وقد شهد بهذا القرضاوي حيث قال في أولويات الحركة الإسلامية (ص١٠١): «وفي هذه المرحلة ظهرت كتب الشهيد -كذا- سيد قطب، وهي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره والتي تنضح بتكفير المجتمعات».

وسوف نورد لاحقًا -إن شاء الله- بعض النقولات عن سيد التي تثبت هذا بلا أدنى ريب.

(٢) قال سيد قطب في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]؛ قال: «وهذه التجربة التي يعرضها الله على العصبة المؤمنة ليكون لها فيها أسوة، ليست خاصة ببني إسرائيل، فهي تجربة إيمانية خالصة، وقد يجد المؤمنون أنفسهم ذات يوم مطاردين في المجتمع الجاهلي، وقد عمت الفتنة وتجبر الطاغوت، وفسد الناس، وأنتنت البيئة، وكذلك كان الحال على عهد فرعون في هذه الفترة، وهنا يرشدنا الله إلى أمور:

١- **اعتزال الجاهلية نتنها** وفسادها وشرها ما أمكن في ذلك، وتجمع العصبة المؤمنة الخيرة النظيفة على نفسها، لتطهرها وتزكيها، وتدربها وتنظمها، حتى يأتي وعد الله لها.

٢- **اعتزال معابد الجاهلية**، واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحس فيها بالانعزال عن **المجتمع الجاهلي**، وتزاول فيها عبادتها لربها على نهج صحيح، وتزاول بالعبادة ذاتها نوعًا من التنظيم في جو العبادة الطهور».

الفرق والتنظيمات الخارجية المعاصرة نحو فرقة التكفير والهجرة، وتنظيم الجهاد، والفرقة السرورية، وتنظيم القاعدة[١].

وقد أجاد العلامة أحمد بن يحيى النجمي -رحمه الله- في بيان أهم معالم المنهج القطبي، والسروري -المتفرع عنه- بإيجاز، حيث قال في «الفتاوى الجلية في المناهج الدعوية» (الجزء الأول) (ص ٥٢- ٥٤):

«**القطبيون**[٢]: هم قومٌ قرأوا مؤلفات سيد قطب، وأخذوا ما فيها من حقٍّ وباطل،

---

(١) قال العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- في مقاله: «سيد قطب مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية»: «وبالجملة؛ فسيد سلك مسلكًا في تكفير الناس لا يقره عليه عالم مسلم؛ يرسل الكلام على عواهنه في باب الحاكمية، ويكفِّر عامة الناس بدون ذنب، وبدون إقامة حجة، وبدون التفات إلى تفصيلات العلماء في هذا الباب، هذا من جهة، ولا يعبأ بشرك القبور الذي يرتكبه الروافض وغلاة الصوفية ومَنْ تابعهم من جهة أخرى، ولا يرى -في هذا الموضوع وفي كثير من المواضيع- هذه الشركيات منافية لمعنى لا إله إلا الله!.

لذا ترى الخوارج والروافض وكثيرًا من أهل البدع والأهواء يرحبون بمنهجه وبكتبه، ويفرحون ويعتزون بها، ويستشهدون بأقواله وتفسيراته، وإني لأرجو لكل مسلم صادق في دينه، خصوصًا الشباب الذين انخدعوا بمنهج سيد قطب أن يَمُنّ الله عليهم بجوده وفضله، فيدركوا ما وقعوا فيه من خطأ، وبُعد عن فقه الكتاب والسنة، وفقه سلف الأمة، فيعودوا إلى رحاب الحق والعلم والفهم الصحيح».اهـ

(٢) وقد عرّف صلاح الصاوي «القطبية» بقوله: «أما القطبيون ... فقد قام منهجهم ابتداء على بلورة قضية التشريع وبيان صلتها بأصل الدين، وبيان أن الخلل الذي يغشى أنظمة الحكم في مجتمعاتنا المعاصرة ناقض لعقد الإسلام وهادم لأصل التوحيد.. ومعلوم أن الكتب التي تمثل هذا الاتجاه وتعبر عن منهجه هي: كتب الأستاذ سيد قطب رحمه الله في مجال الدعوة والمخاطبة العامة، وكتاب حد الإسلام للأستاذ عبد المجيد الشاذلي في مجال التأصيل والتنظير».

قلت: وهذا اعتراف صريح من أحد منظِّري القطبية بوجود القطبيين، وفي هذا ردٌ على صاحب «كشف التعصُّب والمين»، الذي ادعى عدم وجود تعريف محدَّد لهذه الاصطلاحات.

و«كشف التعصُّب والمين والكيل بمكيالين .. دفاعًا عن شيخنا أبي إسحاق الحويني»، هو مقال مكوَّن من أربع حلقات منشورة على الإنترنت كتبها شاب جزائري يكنى بأبي حذيفة، ردًّا على الجزء المقتطف من هذا البحث، والذي قد كنت نشرته قديمًا منذ عام ونصف تقريبًا على شبكة سحاب السلفية، ونُشرت هذه الحلقات «كشف التعصُّب» على المنتديات التالية: فرسان السنة، ومنتديات مأرب لأبي الحسن المصري المأربي، ومنتديات «كل السلفيين» والتي يشرف عليها =

=

الشيخ علي بن حسن الحلبي.
وكاتب هذا المقال مجهول العين والحال، وكان الواجب عليه أن يصرِّح باسمه كاملاً، حتىٰ نعرفه ونسأل عنه أهل العلم بالجزائر: هل هو من الذين تأهلوا للنقد العلمي والحكم علىٰ الآخرين؟ أم أنه خرافة، كما كان يقول إبراهيم بن سعد بن إبراهيم الزهري المدني: «كنا نسمي إبراهيم بن أبي يحيىٰ -ونحن نطلب الحديث-: خرافة». أخرجه العقيلي في الضعفاء (١/ ٦٢).
وقال أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني: «وأما أبو يُحمِد -أي: بقية بن الوليد- فرحمه الله وغفر له، ما كان يبالي إذا وجد خرافة عمَّن يأخذه، فأما حديثه عن الثقات فلا بأس به». [كما في أحوال الرجال (٣١٢) (١٧٥)].
وأطلق سفيان بن عيينة علىٰ بقية بسبب أحاديثه في المُلَح: أبا العجب؛ وعلَّل يعقوب بن سفيان سبب إطلاق ابن عيينة هذا علىٰ بقية بقوله كما في المعرفة والتاريخ (٢/ ٤٢٤): «وبقية يذكر بحفظ إلا أنه يشتهي المُلَح والطرائف من الحديث، فيروي عن شيوخ فيهم ضعف، وكان يشتهي الحديث، فيكني الضعيف المعروف بالاسم، ويسمي المعروف بالكنية باسمه».
وقال النهرواني في «الجليس الصالح الكافي» (١/ ٢٧٤-٢٧٥): «عوامُّ الناس يرون أن قول القائل هذه خرافة إنما معناه أنها حديث لا حقيقة له، وأنه مِمَّا يجري في السمر للتأنس... وأنه أو معظمه لا أصل له ...ويقولون: لِمَ لا يحقِّقون صحته من الأخبار: هذه خرافة، وهذا حديث خرافة؟».
وانظر «شرح ألفاظ التجريح النادرة أو قليلة الاستعمال» (٢٠٢-٢٠٦) لـ«د: سعدي الهاشمي».
وجاء في رسالة «القبورية... نشأتها وآثارها وموقف العلماء منها» (ص٤٣٤): «الناس يقرنون الخرافة بالبدع، فيقولون: البدع والخرافات، وهذا من خرافات الصوفية، ويقصدون به بدعهم ومحدثاتِهم، والصحيح التفريق، فالبدع هي المحدثات في الدين، وأما الخرافات فهي ما يشيعه القبوريون وغيرهم من المبتدعة من المناقب والكرامات المخترعة التي لا أصل لها، ولا يثبت وقوعها بسند شرعي أو دليل مادي، فتردها العقول وتمجها الأذواق السليمة».
قلت: فما أخال أبا حذيفة إلا أنه أبو العجب خرافة، كما سوف يظهر -إن شاء الله- جليًّا من خلال نقدنا لمقاله التالف، حيث إنه أتىٰ بكلام لا حقيقة له، ومعظمه لا أصل له، بجانب أنه يشتهي المُلَح والطرائف في تلبيس الباطل لباس الحق، وفي التدليس والكذب علىٰ العلماء، وفي الطعن في الأبرياء بما هم برآء منه، وفي إشاعة المناقب والكرامات المخترعة لشيوخه الذين يتعصَّب لهم، ومن عجائبه أنه قال في حلقته الأولىٰ آخذًا العهد علىٰ نفسه: «أنني سأجعل هذه الحلقات بإذن الله تعالىٰ مرجعًا لكلّ الغيورين علىٰ الشّيخ -أي: الحويني- ممّن أعيتهم شبهات الطّاعنين وقصر علمهم أو وقتهم عن إدراك ما عند هؤلاء الإخوة الجرّاحين هداهم الله من (الكذب - البتر - التّقوّل بلا أدلّة - الظّلم)».
قلت: وسيظهر للقارئ المنصف -إن شاء الله- من الذي عنده الظلم والكذب والبتر والتقوُّل بلا
=

=

أدلة، بل والجهل المركب، فما أشبه حاله بحال هذا الجائر الصائل الذي رددتُ عليه منذ سنوات في كتابي: «دفع بغي الجائر الصائل على إمام الجرح والتعديل والمنهج السلفي وأئمته بالباطل ..نقد علمي لكتاب «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، أو «النقد الجلي لربيع المدخلي»؛ حيث إن كليهما: أبا العجب خرافة: أبا حذيفة الجزائري، والجائر الصائل: صالح بن عبد اللطيف النجدي، لا يُعرَف من هما؟ ولعلَّ أبا حذيفة هذا كنية حركية، كحال النجدي هذا حيث رجحت أنه اسم حركي لا حقيقي، وكما قلت: الظاهر أن الكاتب الحقيقي لكتاب «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» هو عبد الرحمن بن عبد الخالق أو عدنان عرعور، فكذلك لعلَّ أن يكون الكاتب الحقيقي لمقال «كشف التعصُّب والمين»، هو أبو إسحاق الحويني نفسه، ثم أوعز إلى هذا الشاب الجزائري المجهول كي ينزلها منسوبة إليه، أو أن يكون أحد الرجلين اللَّذين أشير إليهما في بداية الحلقة الأولى في قوله: «أنني أتريّث في المراجعة والتّأكّد مع الاستعانة بطلبة العلم الكبار في ذلك، وهنا أذكر و أشكر شيخين فاضلين استفدت منهما في هذا الموضوع: الشيخ محمّد حاج عيسى الجزائري، والشّيخ سليمان بن صالح الخراشي من المملكة؛ وهذا الأخير -جزاه الله خير الجزاء- قرأ البحث كاملاً وأفادني بملاحظتين أخذتهما بعين الاعتبار».

ثم قال أبو العجب خرافة: «فهذه وقفات مع خربشات بعض الإخوة المذكورين ونقولاتهم وحُججهم وأحكامهم و تجريحاتهم التي أرهقوا بها الغيورين على السنّة ممّن لا يزال يلتفت إليهم وهم قلّة والحمد لله قد كتبتها استجابة لإلحاح أخ فاضل رأى المصلحة في التّصدي لهذه الأساليب الظّالمة للعلم وأهله والمغامرة بمن وثق في أصحابها من حدثاء الأسنان من شباب السنّة حفظهم الله من كلّ سوء ...

ها أنا ذا أستعين الله تعالى في الوقوف مع بعض مواطن الخلل في ذلك الفكر المنحرف الذي تلبّس به بعض إخواننا، من خلال الصفحات التي سلّمتها لي، والتي كتبها الأستاذ أبو عبد الأعلى خالد المصري طاعنًا في الشّيخ أبي إسحاق وقد طار بها بعض إخواننا ظنّا منهم أنها تساوي شيئًا في ميزان العلم و أهله وهي -كما سترى- لا تساوي فلسًا، فلا تحقيق ولا تدقيق ولا تأصيل ولا تنزيل، إلاّ على طريقة الحائدين عن السّبيل».

قلت: ما أحوجك أن يقال لك ما قيل للصفدي: «أكان الصفدي مُمتّعًا بعقله إذ كتب هذا الهذيان؟ وبخاصة طعنه في أعظم كتب شيخ الإسلام، وأنفعها، وطعنه في عقل مؤلفها، وشخصيته العلمية، وجهاده الذي يصفه بضياع الزمان، وطعون من خلل ذلك متفرعة!! فإن قلت: نعم؛ لعلك تسأل أخرى: أما كان جديراً بكلمة الإمام العزّ الكناني (ت٨٧٦هـ) الذي وصف «واقع» التاج السبكي بقوله: «هو رجلٌ قليل الأدب، عديم الإنصاف، جاهل بأهل السنّة ورتبتهم، يدلّك على ذلك كلامه؟»

هلاّ رجل قالها للصفدي أيضًا، أو زبَره قائلاً: ابنَ أبيك!! إربع على ظَلْعِك، أما بقية حياء تردعك؟ ورحم الله الإمام الدماميني الذي عرف من أسلوبك في الكتابة فقرك إلى الحياء حين قال فيك: «لو

=

استحيْ هذا الرجل ما سطّر بقلمه في الكتب هذه الفضائح...». [موقف خليل بن أيبك الصفدي من شيخ الإسلام، ص٨٢].

قلت: وهلاَّ رجل قالها لهذا الفتىٰ المفتون أو زبره قائلاً: أبا حذيفة!! أيها المجهول الذي لا نعرف عينه! إربع علىٰ ظَلْعِك، أما بقية حياء تردعك؟ لو كان عندك شيء من الحياء ما سطّرت بقلمك هذه الافتراءات ...وإن لم تستح فاصنع ما شئت!

وسوف تعلم -إن كنت عالمًا- مَن صاحب البضاعة الكاسدة التي لا تساوي فلسًا، وسيرىٰ القرّاء العقلاء عظيم جهلك بأصول النقد والتحقيق، وأنك لا تُحسن الخوض في غمار هذا العلم لا تأصيلاً ولا تحقيقًا ولا تدقيقًا ولا تنزيلاً، فالزم حدَّك واعرف قدر نفسك!!.

ثم استمر أبو العجب خرافة في ذكر خرافاته وافتراءاته قائلاً: «وكيف توصف تلك الكلمات بأنّها (ردّ علميّ) وأركان الرّد العلمي مغيّبةٌ حاضر ما يهدمها، فلا يبقي لها في قلوب الأتباع رسمًا ولا أثرًا؟ وإنّني واللهِ لأتعجّب وأسترجع ذاهلاً أمام ما نضحت به قريحة الأستاذ في هذا المقال من تصرّفات منسوبة للعلم وطريقة أهله تجعل الواقف عليها بين أمرّين أحلاهما مرّ، أيتّهمُ أخاه هذا بسوء الفهم، أو يتّهمه بسوء القصد، أو يجمع له بينهما؟ وهما جماع أسباب فساد العلم والدّين كما هو معلوم، فمن اجتمعا فيه فقل عليه السّلام، واسأل الله العافية».

وقال في استفتاح الحلقة الثانية: «فقد بيّنت في الحلقة الأولىٰ من الحوار مع الأخ خالد المصري فسادَ شيء مما تحزّبَ عليه وعُرِف به مع عدّة من إخوانه فرسان الجرح الجدد، أعني التبديع بالمجملات والقذف بالمحتملات والاستشهاد بالعمومات، وأنّ ذلك في الحقيقة إنّما هو سمة من سمات أهل البدع، يَجدُر بمن انتسب إلىٰ السنّة أن يتنزّه عن التعامل به حتىٰ مع أعداء السنة فإنّ العدل مأمور به مع كلّ أحد، في كلّ موقف وزمان، وما نال أهلُ السنّة مرتبة النصر والظهور إلىٰ قيام الساعة إلا لخصال أبرزُها التوسّط والعدل والإنصاف، ومن رام نصرة الحق بالظلم والتجني لم يعد علىٰ ذلك الحق إلا بالإبطال ثمّ كان في ميزان الشّرع مذمومًا؛ لأنّ الله تعالىٰ طيبٌ لا يقبل إلاّ طيبًا، فكيف بمن نصّب أصولاً مبتدعة ليهاجم بها أهل السنّة و الصّلاح، كما هو حال الأستاذ ومن معه فإنّهم بذلك قد جمعوا بين شرّين:

الأوّل: إدخال أصول فاسدة علىٰ حدثاء الأسنان، وتلفيقها ودسّها في منهج السّلف.

والثاني: إخراج أقوام لا يحصون من السنّة بغير حقّ ولا سلطان مبين.

وقد صار مفروضًا علىٰ كلّ مَن وقف علىٰ فظاعة هذا التجني علىٰ السنّة وأهلها أن لا يتردّد في صدّهم عن غيّهم وبيان عوار مسلكهم، وبراءة منهج السلف منه، بالدّليل القاطع والبرهان السّاطع، لا يخاف في ذلك صمت الجمهور ولا هيبة المجتهد المأجور فإنّ السّاكت عن الحقّ شيطان أخرس، كما قال أبو عليّ الدقّاق -رحمه الله تعالىٰ-».

قلت: ما أشبه كلامك هذا بكلام الأخنائي، حيث قال طاعنًا في شيخ الإسلام ابن تيمية، كما في

=

الرد علىٰ الإخنائي (ص٤٥١): «لكن كم لصاحب هذه المقالة من مسائل خرق فيها الإجماع، وفتاوىٰ أباح ما حرّم الله فيها من الأبضاع، وتعرض لتنقيص الأنبياء، وحط من مقادير الصحابة والأولياء، فلقد تجرأ بما ادعاه وقاله علىٰ تنقيص الأنبياء لا محالة، فتعين مجاهدته والقيام عليه، والقصد بسيف الشريعة المحمدية إليه، وإقامة ما يجب بسبب مقالته نصرةً للأنبياء والمرسلين، ليكون عبرةً للمعتبرين، وليرتدع به أمثاله من المتمرّدين، والحمد لله ربّ العالمين». آخر كلامه فرد عليه شيخ الإسلام قائلاً -وأدفع بالكلام نفسه في نحر الفتىٰ العجول-: «والكلام علىٰ هذا من وجوه: أحدها: أن هذا ليس كلامًا في المسألة العلمية التي وقع فيها النزاع، ولا عينت مسألة أخرىٰ حتىٰ يتكلم فيها بما قاله العلماء ودل عليه الكتاب والسنة، وإنما هي دعاوىٰ مجرّدة علىٰ شخص معين، ومعلوم أن مثل هذا غير مقبول بالإجماع، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«لو يعطى الناس بدعواهم لادَّعى قوم دماء قوم وأموالهم؛ ولكن اليمين على المدّعى عليه»**.

الوجه الثاني: أن يقال: ثم من المعلوم ما من أهل ضلالة إلا وهم يدعون علىٰ أهل الحق من جنس هذه الدعوىٰ؛ فاليهود يدعون أن الرسول ﷺ وأمته أباحوا ما حرّم الله كالعمل في السبت، ومثل أكل كلّ ذي ظفر؛ كالإبل والبط والأوز وكشحم الترائب والكليتين وغير ذلك؛ والنصارىٰ تقول: إنهم تنقّصوا المسيح والحواريين، فإن الحواريين عندهم هم رسل الله، وقد يفضّلونهم علىٰ إبراهيم وموسىٰ، ويقولون عن المسيح: إنه الله؟!! ويقولون: هو ابن الله؟!! ومن قال: إنه عبد الله فقد سبّه وتنقّصه عندهم!!، والطائفتان يحرّمون التّسرّي، والنصارىٰ يحرّمون الطلاق، واليهود إذا تزوجت المطلّقة حرّمت علىٰ المطلّق أبدًا، والنّصارىٰ قد يحرّمون التّزوج ببنات العمّ والعمّة والخال والخالة ويحرّمون أن يتزوّج الرّجل بأكثر من واحدة، فمحمّدٌ ﷺ وأمّته عند الطّائفتين قد أباحوا ما حرّمه الله علىٰ زعمهم، فإذا كان هذا الكلام قد يقوله أهل الباطل من الكفّار لأهل الإيمان كما قد يقوله أهل الحق، بمجرّد دعواه لا يقبل؛ بل علىٰ المدّعي أن يبيّن أنّ ما ادّعاه مما يقوله أهل الحق في أهل الباطل دون العكس.

الوجه الثالث: أن المتنازعين من الأئمّة قد يقول أهل البدع منهم والأهواء مثل هذا في أئمة السنّة والجماعة، كما يقول الرّافضة إن الصّحابة خالفوا نص الرسول ﷺ بالخلافة علىٰ عليٍّ وبدّلوه وكتموه، وذلك أعظم من مخالفة الإجماع.

ويقولون: إن جمهور المسلمين أباحوا نكاح الكتابيات، وهو عندهم مما حرّمه الله من الأبضاع. ويقولون: إن الصحابة وجمهور الأمة حطّوا من مقادير أولياء الله -عليٍّ وأهلِ بيته- وهم الخلفاء الراشدون وهم عندهم معصومون، وهم غلاة في عصمتهم، وقالوا: إنه لا يجوز عليهم السّهو والغلط بحال، وغلوا في عصمة الأنبياء؛ ليكون ذلك تمهيدًا لما يدعونه من عصمة الأئمّة أولياءِ الله، إذ هم عند طائفةٍ منهم أفضل من الأنبياء، وجمهورهم يقولون: النّاس أحوج إليهم من الأنبياء، وإنهم قد يستغنون عن النبي ﷺ ولا يستغنون عن الإمام المعصوم...

=

=

وعندهم من نفى هذا عن الأئمّة والأنبياء فقد تعرّض لتنقيص الأنبياء وحطّ من مقادير الأئمّة والأولياء، وعندهم من قال ذلك فقد تجرّأ بما ادّعاه وقاله على تنقيص الأنبياء لا محالة، فتعيّن عندهم مجاهدته والقيام عليه والقصد بسيف الشّريعة المحمّدية إليه، إقامة ما يجب بسبب مقالته، نصرةً للأنبياء والمرسلين ولأولياء الله أئمّة الدين، وبهذا ونحوه استحل جمهور المسلمين تكفير جمهور المسلمين وقتالهم، واستحلّوا دمائهم وأموالهم وسبي عيالهم، واستعانوا عليهم بالكفار من النصارى والمشركين -الترك والتّتار- حتى فعلوا بديار الإسلام ما فعلوه بالعراق وخرسان والجزيرة والشام وغير ذلك، وكذلك فعلوا بمصر والمغرب في دولة العبيديين.

إذا كان مثل هذا القول يقوله أهل البدع والضلال، بل أهل الرِّدة والنفاق، كما يقوله الكفار في أهل الإيمان، وقد يقوله المُحِقُّ فيمن يستحقه، وأكثر من عُرِف يقوله في أهل العلم هم أهل البدع والنفاق والكفار، **ولا ريب أن قول هذا المبتدع الجاهل هو بهم أشبه، إذ هو من أهل البدع الجهال، ليس هو ممن يَعرف النّظر والاستدلال**». اهـ

ثم قال أبو حُذيفة: «وأمّا نحن: فلا ندّعي له -أي للحويني- ولا لغيره العصمة ولا السلامة من الخطأ والزّلل، ولكنّنا نرى أنّكم بخستموه حقّه، بل وبخستم السنّة حقّها فإنّه قد علم أنّ النّظر إلى المصالح والمفاسد والإنصاف في الحكم واعتبار المآلات، هذا كلّه حاكم على الأمور الاجتهادية التي منها الحكم على الأعيان وخاصة الذين من هذا النّوع.

ولو أنكم فصّلتم في الحكم لكان وقع ظلمكم أخفّ، ولو أنكم لم توالوا وتعادوا على ذلك الحكم لكان أخفّ وأخفّ، لكنكم -والله المستعان- قد أجملتم في موضع التّفصيل وأطلقتم في موضع التّقييد، وقلتم ما ليس لكم عليه غير مشتبهات محتملات».اهـ

قلت: رأيكم هذا تبوّلوا عليه، كما قال الشعبي، فلا قيمة له، بجانب أقوال أهل العلم الربانيين المؤيدة بالأدلة، وهذا الأسلوب في دفع الحق، هو أسلوب المتصنع للآخرين بما ليس فيه، استجلابًا لرأفتهم، وتحنُّنًا إليهم، وهذه سمة الذين يمكرون السيئات، وقد قال ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

وإنكم تذكّروني بهذا التصنع في الدفاع عن الحويني وغيره من القطبيين بتصنع تاج الدين عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السبكي في دفاعه عن الأشاعرة، وقد جلب بخيله ورجله على أئمة أهل السنة، حتى لم يسلم منه شيخه الذهبي، فناله من سبّه وتجديعه الكيل الأوفى.

ولقد ساق الفتى المفتون شُبهات قريبة من الشبهات التي ساقها السبكي في التشكيك في صنيع أئمة الجرح والتعديل تجاه المجروحين حقًّا من أهل البدع، ومن تلبيسه أنه يطلق على الأشاعرة أنهم هم أهل السنة، كما صنع هذا الفتى الجزائري في إدخاله القطبيين في أهل السنة، فقال السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (٢/ ١٣): «وهذا شيخنا الذهبي -رحمه الله- من هذا القبيل، له علم وديانة، وعنده على أهل السنة تحمّل مفرط، فلا يَجوز أن يعتمد عليه».

=

فتجدهم يدافعون عن سيد إذا انتقده أحد، ولو كان الحق مع المنتَقِد، ومعلوم؛ أنَّ سيد قطب ليس من رجال العلم الدِّيني والأصل أنَّه أديب، ثمَّ هو يأخذ بالمذهب الأشعري، مذهب التأويل كغيره من علماء مصر، وعنده أخطاءٌ فاحشة وفادحة، قد تصدَّى لها رجال من أهل العلم، فبيَّنوها، ولمَّا بيَّنوها ثارت عليهم ثائرة القطبيين بالنقد، والكلام، والتجريح

=

قلت: فهل يصدق عاقل أن الإمام الذهبي -وهو من أئمة المحدِّثين- يكون مفرطًا في التحامل على أهل السنة، إلا أن يكون المعني بأهل السنة طائفة من أهل البدع، فكذلك هذا الفتى المفتون يدعي عليَّ وعلى مشايخي من أئمة أهل السنة المعاصرين نحو شيخنا العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله-: أنَّا أصحاب تحمّل مفرط على أهل السنة، ولكنه يقصد بأهل السنة: القطبيين.

وقد سلك المسلك نفسه: السيوطي، فكان يعتبر أهل السُّنة هم الأشاعرة، بل بلغ به الأمر أن اعتبر فخر الدين الرازي -وهو من كبار أئمة المعتزلة- إمام أهل السُّنة في زمانه، ومُجدِّد القرن السادس، كما في الحاوي للفتاوي (٢/ ٢٥٤)، وهذا كحال القطبيين الذين يعتبرون سيد قطب إمامًا للسنة، ويعتبرونه مُجدِّد هذا القرن بعد حسن البنا.

واستطرد المفتون في بثِّ شبهاته فقال: «وممّن يقرأ هذه الورقات أناس يشاهدون الحويني على القنوات فنسألهم: بالله عليكم: هل سمعتم الرّجل يقول إنّ توحيد الألوهيّة هو توحيد الحكم، أو أنّ الخروج على ولاة الأمور جائز أو مختلف فيه أو أنّ حكّام الأرض جميعا كفرة؟».

قلت: وهل تنتظر من صاحب البدعة -خاصة إذا كان يتخفى ويستخدم التقية- أن يقول لك: أنا مبتدع، أم أنه يسوق الشبهات مساق الحجج والبينات، ويسعى إلى تلبيس الحق بالباطل تثبيتًا لبدعته ونصرًا لهواه الذي اعتقده؟ فهل تنتظر أن يقول لك الخارجي: أنا أكفِّر عصاة المسلمين، وأستحل دماءهم، أم أنه سيقول: أنا أكفِّر المرتدين؛ لأنهم أحلوا ما حرَّم الله، أو من القاعدي أن يقول لك: أنا أزين قتال الحكَّام، وأحرِّض على الخروج عليهم، أم يقول: أنا أحرِّض على جهاد الظالمين، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ..إلخ؟

هذا أولاً، وثانيًا، ليس لأهل العلم ناقة ولا بعير في السعي للافتراء على الحويني أو تقويله ما لم يقل، بل عباراته هي التي تدينه، ثم لَمَّا يجابه بها، يستكبر عن قبول الحق، ويصر عليها، ولو كانت هذه العبارات صدرت منه عفو الخاطر أو كانت من فلتات اللسان غير المقصودة كما يعتذر له هذا الفتى الجزائري وغيره تمحلاً؛ لسارع إلى بيان خطئه، وبيَّن المعتقد الصحيح دون تورية أو غمط لمن نصحه، ولحذَّر من خطأ هذه العبارات التي تحتوي على عقائد باطلة.

وأما الرد التفصيلي على هذه المسائل التي تسعى إلى تبرئة الحويني منها، فسيأتيك في فصول تالية -إن شاء الله تعالى-، وعند جهينة الخبر اليقين.

فيهم؛ فحسبنا الله ونعم الوكيل، فالأصل أنَّ الرجال يعرفون بالحق، وليس الحق يعرف بالرجال، فيجب علينا أن نأخذ بالحق، وأن ندين به لله ربِّ العالمين، وأن نترك كلَّ من نهج منهجًا مبتدعًا، ونجعل أسوتنا رسول الله ﷺ وخلفائه، وأصحابه والتابعين لهم من أئمة الهدى، والله الموفق».

ثم عرَّف -رحمه الله- السرورية فقال: «السرورية: قوم؛ أو حزب؛ ينتمون إلى محمد سرور زين العابدين، وهم عندهم شيءٌ من السنّة وشيءٌ من البدعة»[1]، **وأهم الملاحظات عليهم**:

١) أنهم يقدحون في الولاة، ويتكلَّمون فيهم؛ بما ينتج عنه شرٌّ، وفتنةٌ، وخطورةٌ، والظاهر؛ أنَّهم يكفِّرون الولاة؛ لكن هذا إنَّما هو مأخوذ من لسان حالهم، ولم يؤخذ من لسان مقالهم؛ لأنَّ الطريقة التي سلكوها؛ هي طريقة الخوارج؛ أو قريبة منها؛ علمًا بأنَّ النصوص توجب السمع، والطاعة لولاة الأمر، وولاتنا في هذا البلد مسلمون، ولله الحمد يحكِّمون شرع الله في محاكمهم، ويقيمون الحدود، فتكفيرهم، أو الكلام فيهم؛ الذي يوجب الخروج عليهم، ويوجب التمرد عليهم؛ يعدُّ إفسادًا عظيمًا؛ لذلك، فإنَّه ينبغي الحذر من أصحاب هذا المنهج؛ أو التبرؤ منهم؛ لا سيما وهم قد تناولوا علماء هذا البلد؛ بالسبِّ، والشتم المقذع، واتهامهم بالخيانة للدِّين، وهذا أمرٌ يدل على ما وراءه.

٢) أنَّهم يدعون إلى الجهاد، وليس مرادهم جهاد الكفَّار، ولكن الظاهر أنَّ مرادهم ضد الدولة علمًا بأنَّا لا نبرِّئ الدولة من الأخطاء، ولا ندَّعي لها العصمة، ولكن نقول: تجب طاعتهم، ومناصحتهم بطريقة سرية؛ لأنهم مسلمون، والشارع ﷺ قد منع الخروج على الولاة؛ إلاَّ أن يرى الخارج كفرًا بواحًا معه من الله فيه برهان.

٣) أنَّهم يزعمون؛ أنَّ العلماء في هذا البلد -أي السعودية-؛ لا يفقهون الواقع، ويردُّ عليهم؛ بأن المفتين، والقضاة لم يفتوا في مسألة واحدة، ولم يحكموا في مسألة أيضًا؛ إلاَّ بعد أن يعرفوا واقعها؛ الذي يحيط بها من سببٍ، ومناطٍ للحكم، ومؤثراتٍ فيه؛ ومَن يزعم؛

---

(١) ولكن البدعة غلبت عليهم، وصارت منهجًا لهم، وتعصَّبوا لها، وتحزبوا حولها، وقد سئل العلامة الألباني -رحمه الله- كما في شريط رقم (٧٣٤) (الوجه الأول): متى تكون الفرقة فرقة ضالة؟
فأجاب: «حينما تتكتل جماعة على أساس منهج تضعه لها وتتبناه وتتحزب وتتعصَّب له».

أنَّ هؤلاء العلماء وهؤلاء القضاة، لا يفقهون الواقع، فقد ظلم نفسه، وقال: ما لا يجوز له أن يقوله، أمَّا معرفة مكائد الأعداء، وما إلى ذلك فهذه من اختصاص الجيش في كلِّ بلد». اهـ

قلت: وهذا تعريف الإمام الألباني -رحمه الله- بمنهج السرورية في التكفير، لمَّا سئل عن كتاب: «ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي»، لسفر الحوالي، هل رأيته؟

فأجاب قائلاً: رأيته، فقيل له: الحواشي -يا شيخنا- خاصة الموجودة في المجلد الثاني؟!

فقال: كان عندي -أنا- رأي صدر مني منذ نحو أكثر من ثلاثين سنة حينما كنت في الجامعة الإسلامية، وسئلت في مجلس حافل عن رأيي في جماعة التبليغ؟ فقلت يومئذ: **صوفية عصرية**، أما الآن خطر في بالي أن أقول بالنسبة لهؤلاء -هنا- تجاوبًا مع كلمة الذين خرجوا في العصر الحاضر وخالفوا السلف في كثير من مناهجهم فبدَا لي أن أسميهم: **خارجية عصرية**، فهذا يشبه الخروج الآن حين نقرأ من كلامهم -في الواقع- ينحو منحى الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة ولعل هذا -ما أدري أن أقول!- غفلة منهم أو مكر منهم.

وهذا أقوله أيضا من باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

ما أدري لا يصرحون بأن كل كبيرة مُكفِّرة لكنهم يدندنون حول بعض الكبائر ويسكتون -أو يمرون- على بعض الجوانب، وهذا من العدل الذي أمرنا به»[١].

وقال أيضًا عن كتاب ظاهرة الإرجاء: «... وما كنت أظن أن الأمر يصل بصاحبه -أي: بسفر الحوالي- إلى هذا الحدِّ... **ويبدو أن إخواننا المشايخ في المدينة النبوية كانوا أعرف بهؤلاء منا**»[٢]. اهـ

وقال العلامة المُحدِّث مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في تعريفه للسرورية:

---

(١) درس بعنوان: (السرورية خارجية عصرية) وذلك في ليلة السابع من ذي الحجة (١٤١٨هـ).

(٢) الدُّرر المتلألئة بنقض الإمام محمد ناصر الدين الألباني: فرية موافقته المرجئة (ص٦٨).

«أمّا السرورية فهي نسبة إلى الأخ محمد سرور، وهو أخٌ سوري وقد كان في بدء أمره ظاهره الصلاح، وهذا شأنُ الحزبيين أنهم يكونون مستترين لا يظهرون ما عندهم فإذا اشتدت عضلاتهم وعرفوا أن الكلام غير مؤثر فيهم أظهروا بعض ما عندهم على التدريج»[1].

وقال: «**وأنصح كل أخ أن يبتعد عن السرورية**، وكنا قد أثنينا على مجلتهم «البيان» ومجلتهم «السُّنة» فإذا نحن نشم فيما بعد من «السنة» الحزبية، فينبغي أن يبتعد عنهم»[2].

وسُئل -رحمه الله-: ما هي السرورية، وهل هم من أهل السُّنة والجماعة[3]؟

ج: السرورية قد نشروا في بعض جرائدهم أنهم يتبرءُون من هذا الاسم، وقد أثنينا عليهم في غير ما شريط مما تقدم، لكن الحزبية تجعل أهلها يتلونون ويتقلّبون، ففي بدء أمرهم وهم في الكويت ما نعلم عنهم إلاَّ خيرًا، وهم أصحاب دار الأرقم نسبة إلى أخينا محمد سرور، ثم انتقلوا إلى بريطانيا وأخبرت أنني أثنيت عليهم في شريط «سؤال الأخ الألماني»، وأنهم يوزعونه بمكة وبأرض الحرمين ونَجد مجانًا، فنعم أثنينا عليهم بل طلبتُ من الأخ عبد الله بن غالب ومن الأخ قاسم أن يتحفاهم بمقطوعات شعرية في الثناء على مجلة «البيان»، لكن ما شعرنا إلاَّ وهم يثنون على حسن الترابي، وهم يتنقصون أهل العلم، وأنهم لا يعرفون الواقع، وهم يوزعون إلى أصحابهم أن يدخلوا في الانتخابات، فالحزبية تَجعل أصحابها لا يلتزمون بمبدأ:

*** فأيان مـــا تعـــدل به الـــريح تنزل ***

وكما قيل:

يـــدور مـــع الـــزجاجة حيـــث دارت ... ويلـــبسُ للـــسياسة ألـــف لـــبس

فقد نزلوا إلى بريطانيا منذ فترة وقد نصحناهم، وقد زارنا الأخ محمد سرور إلى هنا وقلنا لهم: لابد أن توجدوا مدرسة هنالك لعلم الحديث، فقال: نحن في طريقنا، ولا أدري

---

(١) قمع المعاند (ص٦٩).

(٢) غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة (٢/ ١٦)..

(٣) غارة الأشرطة على أهل الجهل والسفسطة (٢/ ٢١٦- ٢١٨).

قد وصلوا إلى هذه الطريق أم لم يصلوا، والآن بعد أن انتشرت دعوتهم بواسطة مجلة «البيان» ومجلة «السُّنة»، محمد سرور نفسه كتب عن الترابي في دراسات في السيرة كتب كتابات طيبة أنه يقول: لا فرق بين السني والشيعي، وقال هذا في سبيل الإنكار عليه وأنكر عليه فإذا هم يدافعون عنه، وهكذا أيضًا أصحابهم بأرض الحرمين ونَجد يُدافعونَ عن الترابي وعن عباس مدني وغيرهما من الذين انحرفوا، فأنصحك بأنْ تبتعد عن الحزبيين كلهم، وننصحهم أن يرجعوا إلى الله -سبحانه وتعالى- وإلى طريقهم الأولى، وإلاَّ فلابد أن نكشف -إن شاء الله- ما كان مغطى، وقرأتُ مجلة «السنة» ومرّ بي بعض السخرية من أهل العلم فعليهم أن يرجعوا إلى الله -سبحانه وتعالى- إذ مكنهم من النشر ومن الوصول إلى أماكن ربما لا يستطيع غيرهم أن يصل إليها، وفقه الواقع الذين يلمزونَ الدعاة إلى الله بأنهم لا يفهمون فقه الواقع، وفقه الواقع لا يَجهله إلاَّ حمار، فأقل مسلم في الشارع يعلم أن الحكومات أصبحت مسيرة لأمريكا، ويعرف أن المسلمين قد غيّروا وبدّلوا وأنه يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله، فإن هذا الفقر والذل الذي حصل ونزل بهم بسبب ذنوبهم... فسلّط علينا أذناب أمريكا وغيرهم بسبب ذنوبنا يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ﴾ [الرعد: ١١].

وسُئل أيضًا: ما هي السرورية وما هي العلامات الواضحة لها؟ وهل هي حقيقة أم خيال[١]**؟**

ج: الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد: فالسرورية تنتسب إلى الأخ محمد سرور زين العابدين وقد كان بالكويت وأخرج بعض الكتب الطيبة في بيان أحوال الشيعة وأشياء طيبة ثم انتقل إلى ألمانيا، ثم إلى بريطانيا واستقر به المقام هنالك، وأصدر مجلة «البيان» وفرحنا بها غاية الفرح، ثم أصدر مجلة «السُّنة» وفرحنا بها غاية الفرح، وقلنا: هذه هي ضالتنا المنشودة، وأثنى بعض إخواننا

---

(١) محاضر: «هذه السرورية؛ فاحذروها!!»، وانظر: «تحفة المجيب» (١٧٩ - ١٨٢).

على مجلة «البيان» وأثنينا عليها قبل، وقلنا: إنه لا يوجد لها نظير، ولكن **شأن الحزبيين أنهم يدعون في البداية إلى الكتاب والسُّنة، حتى يألفهم الناس وحتى تشتد عضلاتهم، فإذا علموا أن الكلام ليس مؤثرًا فيهم أظهروا ما عندهم**، ومجلة «السنة» التي ينبغي أن تُسمى مجلة البدعة تنفر عن أهل العلم وترميهم بالجمود والعمالة، وبعدم فهم الواقع، والحمد لله ظهرت حقيقة السروريين في قضية الخليج، والفضل في هذا لله -عز وجل-، أذكر أنني قرأتُ ذات مرة كلامًا فيه مهاجمة للشيخ الألباني؛ لأنه أصدر شريطًا بعنوان (لقاء مع سروري)، ثم بعد صفحات يثنون على الشيخ ابن باز، وقد عرفت مغزى هذا الثناء حتى لا يُقال: إنهم يطعنون في العلماء، وبعد أيام بعد فتوى الشيخ ابن باز -حفظه الله- بجواز الصلح مع اليهود حَملوا على الشيخ ابن باز، فإذا هي خطة مدبرة للتنفير عن أهل العلم، وتلمح مجلة «البيان» و«السنة» إلى أنه ينبغي أن يرجع إلى السلفيين الذين يفهمون الواقع في اليمن في شأن قضية اليمن.

فأقول: يا مساكين، ما يوم حَليْمَةَ بِسِرٍّ، ومن الذي يَجهل حالة المسلمين، ولكن الشأن كل الشأن في علاج هذا الواقع، فما يحصل للمسلمين من انهزامات ومن خوف ومن جدب هو بسبب الذنوب... والدواء يكون بالرجوع إلى كتاب الله وسُنَّة رسول الله ﷺ، ثم بالرجوع إلى العلماء، يقول الله -عز وجل-: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ [النساء: ٨٣]. فيجب علينا أن نرجع إلى العلماء: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٣]».

وقال -رحمه الله- أيضًا[1]: «وأمَّا السرورية وأصحاب عبد الرحمن عبد الخالق في اليمن فهم المدخل إلى الإخوان المسلمين، فيذهب الشخص من عندنا فيقول: هؤلاء يؤمنون بأسماء الله وصفاته لكنهم يحبون الدنيا والمال فهذا سهل، ويستدلون بقوله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ [القصص: ٧٧]. فيذهب المسكين يريد أن يأكل معهم من الدنيا ثم لا يحصل ما كان

---

(١) فضائح ونصائح (٧٠- ٧١).

يؤمله فيقول: ننتقل إلى الإخوان المسلمين لعلنا نَجد عندهم مالأ أكثر، فهي فتنة كما قال النبي ﷺ: «**والله ما الفقرُ أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُبسط عليكم الدنيا فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم**»[1].

وقال[2]: «حاصل الأمر أن السرورية في العقيدة كعقيدة أهل السُّنة يؤمنون بأن الله مستوٍ على عرشه، ويؤمنون بأسماء الله وصفاته على ما هي عليه في الكتاب والسُّنة، وفي المنهج قريب من الإخوان المسلمين، وسيكونون بعد غد مثل الإخوان المسلمين، وقد ابتلينا نحن هنا بالسرورية جمعية الإحسان التي انتشرت في حضرموت، وكذلك بعض أصحاب جمعية الحكمة».

وقال[3]: «أمَّا اتِّهامهم للشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله تعالى- بأنه عميل للحكومة، وسمعت مَنْ يقول: إنه عالم حكومة، فهذه الكلمة لا تصدر إلاَّ عن حزبي سواء كان من الحزبيين الظاهرين كالإخوان المفلسين، أو من أصحاب الحزبيات المغلفة كأصحاب جمعية الحكمة وجمعية الإحسان وجمعية الإصلاح وبعض أصحاب جمعية إحياء التراث وهكذا السرورية، وأنا أريد منك أن تفحص هذا الرجل صاحب الاتهام تجده أحد رجلين: إمَّا أن يكون من الحزبيين، وإمَّا أن يكون من الجاهلين فتجده جويهلاً أحيمقًا، ونسيت قسمًا ثالثًا وهم المبتدعة من شيعة وصوفية».

وقال -رحمه الله-[4]: «جَماعة السروريين سواء كانوا بنجد أم كانوا باليمن[5]، هم يسخرون من أهل العلم ويُجَهِّلون أهل العلم.... من علامات الحزبيين أنهم يسخرون من العلماء ويُزَهِّدون في مجالسة العلماء، وهذا مِمَّا تقر به أعين أعداء الإسلام، بل مما تقر به أعين الشياطين».

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٥٨)، ومسلم (٢٩٦١) من حديث عمرو بن عوف الأنصاري -رضي الله عنه-.

(٢) فضائح ونصائح (١٢٤).

(٣) فضائح ونصائح (٢٨- ٢٩).

(٤) غارة الأشرطة (١/ ٣٥٥).

(٥) قلت: أو كانوا بمصر، وما أكثرهم -للأسف!!- بمصر.

وقال -رحمه الله-[١]:

«ونحن نعلم أن هناك مَنْ يدعم السلفية، والسلفية بريئة منه، .... كأصحاب عبد الرحمن عبد الخالق، ومحمد سرور».

وقال -رحمه الله- مُحذِّرًا من محمد سرور، ومن أتباعه:

- صار أتباعه أضر على أهل السُّنة من الإخوان المسلمين[٢].
- وفي اليمن أيضًا تابعه بعض المخذولين من أصحاب جمعية الإحسان[٣].
- أمَّا الحزبية فعندهم حزبية[٤].
- ليسوا خالصين من الحزبية وهم لا يهتمون بطلب العلم ولا يهتمون بالعلم[٥].
- أعظم أعداء الدعوة هم: ..... وأصحاب جمعية الحكمة اليمانيون وجمعية الإحسان السروريون[٦]. اهـ

□ **وسئل الشيخ العلامة محمد أمان الْجَامي -رحمه الله تعالَى- هذا السؤال:**

- ما هي السرورية؟ وما الفرق بينها وبين الإخوان المسلمين؟

الْجواب: «هذا السؤال كما قلتُ لكم مِنْ أسئلة الخرج، ومدينة الخرج لعل لِقِلَّة مَنْ يُحَاضِرُ فِيها عِندهم الأسئلة هذه مهمة وجديدة، لكن بالنسبة لكم فقد تكرَّرت عليكم هذه الأسئلة والإجابة عليها لذلك أنا أجيب كأني جالس في الخرج لا في جدة، فأقول: السرورية نسبة إلى «**مُحمد سرور زين العابدين» الْمَعروف بعدائه لكتب التوحيد وعدائه لأهل التوحيد ومعروف بتزهيده للشباب في كتب التوحيد ومُحاربته لكتب التوحيد**، وكل

(١) هذه دعوتنا (١١- ١٢).

(٢) إلحاد الخميني في الحرمين (حاشية ص١٠١).

(٣) تحفة المجيب (٢٧٧).

(٤) قمع المعاند (٤٠٤).

(٥) قمع المعاند (٤٠٤).

(٦) الترجمة (٨١)، وقد استفدت هذه النقولات السابقة عن العلامة مقبل -رحمه الله- من كتاب «إعلام الأجيال بكلام الإمام الوادعي في الفرق والكتب والرجال».

ذلك مفصَّل عندكم في بعض محاضراتي السابقة، وعرفتم موقف كبار العلماء من كتابه وفتواهم فيه، هذه هي السرورية.

أما الإخوانُ الْمسلمون فأقدم منهم وأوسع منهم باعًا وأكثر منهم دعايةً لِمَنهجهم ولِحركتهم، وهم منتشرون فيكم يعيشون مَعَكُم وهم يتظاهرون بالدعوة إلى الإسلام، لكن دعوة ليستْ دعوة عملية، لا إصلاح ولا أمر ولا نَهيَ ولا إنكار منكر ولا تعليم؛ ولكن تَجْميع وتَجهيل، ضربت مثلاً لهذه الدعوة في بعض محاضراتي مثلهم مثل دعوتهم ومثل دعوة السلفيين كإنسان دخل السوق سلفي دخل السوق فقال للناس: «قوموا يا عباد الله توضئوا، والذي يَحتاج للاغتسال، كذلك يغتسل وتطهروا واذهبوا إلى الْمَسجد فصلوا»، أي: يبدأ بالطهارة والاستعداد للصلاة ثم الصلاة، ويدخل شخص آخر من الطرف الآخر السوق يقول: «اتركوا هذا اذهبوا كلكم إلى المسجد بدون شرط ولا قيد، فالجنب والحائض والنفساء والمحدث كلكم ادخلوا المسجد -مسلمون- ما فيش داعي لهذه الشروط»، هذا مثل دعوتهم أي تجميع الناس تحت اسم الإسلام بدون تربية وبدون تعليم وبدون توجيه، «إسلام»!!! مسلم.. مسلم وكفى، هذا تضييع وتلبيس وغش وعدم النصح.. من غشنا فليس منا.. ليست هذه الدعوة، الدعوة إصلاح فَعَلِّمْ الناسَ الطهارة وعَلِّمْ الناس العقيدة وعلِّمهم شروط لا اله إلا الله، وشروط الوضوء وشروط الصلاة علِّمهم تعليمًا.

الدعوة الإسلامية دعوة تربوية، والغريب في الأمر أنهم يكثرون من لفظة التربية، وليس لديهم تربية لا يربون أبدًا، لكن التربية في كتبهم كثيرة خذوا مثالاً: عملتُ في بلدٍ إسلامي كبير توجد فيه هذه الْجَماعة بنسبة كبيرة جدًّا، ويوجد هناك أهل الحديث «السلفيون»، منهج السلفيين حيث وضعوا لَهم منهجًا خاصًا غير منهج الدولة، فيعلِّمون أولادهم بنين وبنات في مدارسهم الْخَاصة مِنْ تَحفيظ القرآن إلى التعليم الْجَامعي، فإذا رأيت أحدهم تعرفه من زيِّه ومن صلاته ومن حركاته أنه رجل سلفي، هناك تربية تعليم مساجدهم لَهَا ميزة، لكن الآخرين -الجماعة الكبيرة- لا تفرق بينهم وبين سائر الطوائف والفرق الموجودة هناك، فلا مساجد خاصة ولا منهج تعليمي خاص، فهم مُختلطون بالآخرين تَمامًا والفرق والطوائف هناك بلا حساب، فلا تستطيع أن تفرق بينهم وبين

الْجَماعة التي تسمى الجماعة الإسلامية أبدًا حَتَّى يقول: «أنا من الْجَماعة الإسلامية»، فلو جَمعك الْمَجلس مع الديوباندي والفرلوي وآخر من الجماعة الإسلامية لا يُمكن أن تفرّق بينهم أبدًا بأي شكل من الأشكال، لكن أهل الحديث باين، وكثيرًا ما يأتي شخص يُصلي بِجواري في الْمَسجد النبوي من صلاته أعرف أنه من أهل العلم، أسأل بعد الصلاة: «أنت من أهل الْحَديث؟» فيقول: نعم، فمن أي بلد؟ فيقول من الْمَدينة الفلانية باين، لأنه مربى تربية إسلامية هذا الإسلام هذه التربية.

ليست التربية أن أكتب في الكتب التربية والتربية، وليس هناك تربية عملية، لا، هذا الفرق بين الدعوة الإسلامية الصحيحة وبين الانتساب إلَى الإسلام وإلَى الدعوة». اهـ

وقال العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- في مقاله «**السرورية خارجية عصرية**» تعليقًا على كلام الشيخ الألباني -رحمه الله-: «ينبغي أن ينتبه القارئ والسامع لقول الشيخ عن هذه الفئة بأنهم خالفوا السلف في كثير من مناهجهم.

فهذه المناهج الكثيرة التي خالفوا فيها السلف تدل على انحراف كبير، قد تكون أخطر وأشد من مخالفة الخوارج الذين وصفهم رسول الله ﷺ بأنهم شر الخلق والخليقة، وبأنهم كلاب النار، وبأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، وبأنهم يقتلون أهل الاسلام ويدعون أهل الأوثان.

وما قاله الشيخ الألباني -رحمه الله- حقٌّ؛ فلقد خالفوا السلف في أصول كثيرة وخطيرة، منها:

○ **حربهم لأهل السنة** وتنفير الناس منهم ومن كتبهم وأشرطتهم وبغضهم لهم ومعاداتهم وحقدهم الشديد عليهم.

○ **ومنها: موالاتهم لأهل البدع الكثيرة الكبيرة**، وإقرارهم لمناهجهم الفاسدة وكتبهم المليئة بالضلال ونشرهم لها وذبهم عنها ودفع الشباب إلى العبِّ و النهل منها، مِمَّا كان له أسوأ الآثار على الأمة وشبابها من تكفير وتدمير وحروب مستمرة وسفك دماء وانتهاك أعراض.

○ **ومنها**: أنهم قد دفعتهم أهواؤهم إلى رمي أنفسهم وأتباعهم في هوة الإرجاء

الغالي الذي أدى إلى التهوين من خطورة البدع الكبرى بما فيها البدع الكفرية[١]، مِمَّا أوهن الحس السلفي والغيرة على دين الله وحملته من صحابة كرام ومن تبعهم بإحسان، بل التهوين من شأن الطعن في بعض الأنبياء.

○ **ومنها**: أن أهواءهم قد دفعتهم إلى وضع المناهج الفاسدة للذبِّ عن البدع وأهلها مثل منهج الموازنات بين الحسنات والسيئات، وما يدعمه من القواعد الفاسدة التي تؤدي إلى معارضة ما قرَّره كتاب الله وسنة رسوله ﷺ[٢] وإلى هدم السنة وعلومها لا سيما علم الجرح والتعديل الذي امتلأت به المكتبات بالاضافة إلى مساوئ أخرى وضلالات.

نسأل الله أن ينقذ الشباب من شرور هذه الفئة وويلاتها وعواقبها الوخيمة في الدنيا والآخرة.

و **في النهاية**: ينبغي أن يوصف هؤلاء بأنهم: **غلاة مرجئة العصر قبل وصفهم بأنهم: خوارج العصر**». اهـ

وللشيخ الألباني -رحمه الله- فتوى أخرى بعنوان: «**كلمة ضرورية في الجماعة السرورية**»، كما في «الأسئلة الشامية في مسائل الإيمان والتكفير -المنهجية-» (ص٤١)، حيث سئل السؤال التالي:

«نحن مجموعة من الطلبة، تعرفنا إلى شباب طيبين، وقد كانوا يعطوننا دروسًا في العقيدة والفقه وما نحتاجه، واستمرَّ الأمر على ذلك فترةً من الزّمان، حتى وصلتنا إشاعة أن بعضهم يطلق علينا: (سروريون!) ونحن لا نعلم من هم (السروريون) ومامعنى (السروري)!

فأصبح عندنا شك! وشعرنا بأننا مُنظمون! حيث إن الشخص الذي يدرسنا، كان يذهب بعد الدرس- وبسريّة تامّة- ويأتينا بأوامر جديدة!

والحقيقة أننا مللنا من هذه الأوامر التي كانت بصيغة: افعل كذا، ولا تفعل كذا...إلخ، حتى إنه كان يصلهم شكاوى علينا، وبالطبع لا يجوز لأحدنا الاعتراض ولا المناقشة!

---

(١) قال فضيلة الشيخ الوالد حسن -حفظه الله-: «وهذا من الغلو في الدين، الذي نهى الله سبحانه عنه، وهو شأن فرق الضلال».

(٢) قال فضيلة الشيخ الوالد حسن -حفظه الله-: «وقد لمست منهم الغلو في مدح متبوعيهم بصفات مبالغ فيها، وكأنهم يعتقدونَ فيهم الكمال، رغم مناقضتهم لعقيدة ومنهج **أهل السُّنة** بآراء كاسدة».

وقد سمعنا أن عندهم بيعة، وأنهم يدعون إلى الفكر السروري، وقد كنّا نتفاجأ أن أخبارنا -سواء كانت صغيرة أم كبيرة تكون عندهم!

وقد كانوا يتكلّمون على المشايخ المعروفين- أمثال علي الحلبي وغيره- ويتهمونهم بالسرقة...إلخ.

فنحن نريد أن نعرف عن هؤلاء، من هم؟! وما هي طريقتهم؟!

الجواب: (السروريون): هم أتباع محمدبن سرور[1]، وهم منظمون، وهم -من خلال تَعامِلِهم- أرى أنهم صوفية عصرية! فالصوفيون قديما كانوا كالعبيد أمام شيوخهم، ويطلقون عليهم: (المريدون!)، فلا يجوز لهم أن يتحرّكوا أي حركة إلا بإذن الشيخ!

ويوجد في دمشق أحمد كفتاور -رئيس الطريقة النقبشندية-، وهذا الشخص ربّى جماعته على الخضوع التّام الأعمى، فلا يسافر أحدهم حتى يأخذ إذن الشيخ، ولا يُتاجر أي تجارة، أو يتزوّج إلا بإذن الشيخ، فالشيخ هو (الكل بالكل)!

وأما السرّيّة التي ذكرتها في سؤالك، فلا يوجد في الإسلام سريّة، وبخاصّة في هذه الأيام، لأن الكافر يعلن كفره، فما الذي يمنعنا أن نقوم بدعوتنا مجاهرين بها؟!

ونصيحتي لهؤلاء ألا يحضروا جلساتهم، وإذا آنستم منهم رشدًا، واستفدتم منهم علمًا، فصاحبوهم، ولكن لا تتحزّبوا معهم، ولا تُفتنوا بهم..

---

(١) قال الشيخ علي الحلبي تعليقًا على هذا الموضع: «هو من قدماء (الإخوان المسلمين) -السرورين-؛ ثمّ تركهم، مُنشئًا (حركة) جديدة؛ تَلبَس لبُوسَ السلفية، وتنقض أهم أصولها العلميّة المنهجية...ومن أسف: أن هذه (الحركة) وجدت قبولاً عند كثير من الشباب المُسلم النقي، مغترّين بظاهرها، غير عارفين حقائقها!!

والأيام -ولله الحمد- أثبتت فساد منهجها، وحزبية حركتها، وسوء آثارها.اهـ

قلت: وللأسف تقلّبت الأحوال بالشيخ علي الحلبي حتى وقع في فخّ هؤلاء الذين يلبسون لباس السلفية؛ فنقض غزله من بعد قوّة أنكاثًا، وصار يمدح هؤلاء بعد أن كان مُحذّرًا منهم، وصار هو الذي يُلبِّسُ أمرهم على العامة، ويُغرِّر بالشباب المسلم النقي، وسيأتي -إن شاء الله- مزيد بيان لهذا الأمر لأهميته.

وعليكم أن تحضروا الدروس عند من ترون فيهم اتباعًا للكتاب والسنّة، فهو خير لكم -إن شاء الله-». اهـ

قلت: فيتلخص لنا من كلام الأئمة: الألباني، ومقبل، والجامي، والنجمي، وربيع أن أصول السرورية -والتي بها تفارق أصول منهج السلف الصالح هي-:

١- سلوكهم مسلك الخوارج في الخروج على ولاة الأمر خروجًا قوليًا بذكر مساوئهم والدندنة حولها دائمًا في المجالس العامة والخاصة، لتهييج العامة والغوغاء للخروج بالسلاح، دون أن يصرّحوا بتكفير ولاة الأمر، وهذا من منهج الخوارج القعدية.

٢- الدندنة حول بعض الكبائر وتفخيم شأنها، نحو الحكم بغير ما أنزل الله، مع ذكر العبارات والتأصيلات التي تنحىٰ منحىٰ الخوارج في تكفير أصحاب هذه الكبائر إجمالاً بلا تفصيل مخالفةً للسلف الصالح[1].

٣- مخالفتهم لمنهج السلف في مسائل كثيرة، بعضها مسائل كلية وأخرىٰ فرعية.

٤- دعوتهم إلى الجهاد البدعي الغير منضبط بالضوابط الشرعية.

٥- الطعن في العلماء والتنقص منهم، والتهكم بفتاويهم، واتّهامهم بأنّهم لا يفقهون الواقع، وأنّهم عملاء للحُكّام، وسبُّهم بما هم برآء منه.

٦- بُغْضُ السلفيين حقًّا -خاصة المشتغلين بعلم الجرح والتعديل-، واتّهامهم بأنهم خوارج مع الدعاة، مرجئة مع الحكّام.

٧- موالاتهم الظاهرة لبعض أصحاب البدع، وتهوينهم من شأن بدعهم واعتبارها أخطاء اجتهادية، والاعتذار عنهم بشتىٰ المعاذير.

---

(١) قال الشيخ الوصابي في «عشرون مأخذًا على السرورية» (المأخذ السادس) (ص٢٧): «قول سرور عن (العَلَم)، و(صورة الزعيم): (صنمان من أصنام العصر) ذكر هذا في كتابه الذي سمّاه ظلمًا بـ«منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» وهو يُدْخِل فيه سمومه وخبثه وفكره التكفيري، ذكر هذا في قصة قوم إبراهيم -عليه السلام-.
وله كلام كثير في كتابه، ومجلته الخبيثة يُشَمُّ منه رائحة التكفير: تكفير المجتمعات الإسلامية، وتكفير حكّام المسلمين مطلقًا». اهـ

٨- الطاعة العمياء لشيوخهم، والتي شابهوا فيها الصوفية.

٩- يتظاهرون في أول أمرهم بأنّهم دُعاة إلى المنهج السلفي، ثم لَمّا يألفهم الناس، ويشتد ساعدهم، ويعلمون أن الكلام ليس مؤثرًا فيهم؛ يظهرون ما أخفوه من الحزبية والقواعد البدعية الفاسدة.

١٠- وضع التأصيلات الفاسدة لحماية أنفسهم ومَن يوالونهم من أصحاب الأهواء من الحزبيين والقصّاص، وإلباسها لباس السلفية تدليسًا وغشًّا، نحو ما سمّوه بمنهج الموازنات بين حسنات وسيئات المحذَّر منه[1].

---

(١) فهذه معالم واضحة للسرورية تجعلها فرقة -بلا ريب- داخلة تحت فرق الخوارج، ولها تعلُّق أيضًا بالمرجئة، وقد نسبناها إلىٰ القطبية؛ لأنها تفرعت عن منهج سيد قطب، ومؤسسها تربىٰ علىٰ كتبه وتشرب منهجه منها.

وقد قال الشاطبي في الاعتصام (ص٤١٥): «وذلك أن هذه الفرق إنما تصير فرقًا بخلافها للفرقة الناجية في معنىٰ كلّي في الدين وقاعدة من قواعد الشريعة، لا في جزئي من الجزئيات، إذ الجزئي والفرع الشاذ لا ينشأ عنه مخالفة يقع بسببها التفرق شيعًا، وإنما ينشأ التفرق عند وقوع المخالفة في الأمور الكلية؛ لأن الكليّات تقتضي عددًا غير قليل، وشاذها في الغالب أن لا يختص بمحل دون محل، ولا بباب دون باب».اهـ

قلت: وفي هذا ردٌّ علىٰ الشبهة التي أثارها صاحب ورقات: «كشف التعصُّب والمين والكيل بمكيالين ... دفاعًا عن شيخنا أبي إسحاق الحويني» حيث قال: «فهل أجمع أهل السنّة أنها توجد فرقة جديدة اسمها السّروريّة وأدرجوها تحت الأصل البدعي الأكبر الذي هو الخروج؛ لأنهم إذا كانوا قد أجمعوا علىٰ ذلك، فلا شكّ أنّهم بيّنوا رحمهم الله أصول هذه الفرقة ومقالاتها ومميّزاتها، سواءً ما لحقت من أجله بالخوارج أو ما تميّزت به عن باقي فرقهم كالحروريّة والأزارقة وغيرهم، وهذا هو محلّ الخلل في كلام الطّاعن كما سيأتي.

فإن كان الأمر كذلك فإنّ علىٰ المتكلّم أن يبيّن للنّاس أين وقع هذا في فتاواهم -رحمهم الله-، ثمّ بعد ذلك يأتي بدعواه أنّ فلانًا من هؤلاء؛ لكي يَحسُن له الاحتجاج إذا احتج، ويحسن للنّاس النّظر في أقواله المجرّدة التي يبقىٰ أبناؤها أدعياء إلىٰ حين إثبات البيّنات عليها، وهذا لكي لا يكون ممّن يتكلّم في الشّرع وفي أعراض حملة الشّرع بالألفاظ المجملة».

قلت: وقد بيّنا له هذا في فتاويهم أعلاه، فهل يعتبر هو بهذه الفتاوىٰ، أم أنه يضع شرطًا تعجيزيًا آخر؛ ليفر من الحق الواضح تعصبًا لشيخه؟!

وهذا الإجماع الذي ادّعاه لا يشترط -كما هو معلوم-؛ حيث إن العلماء يبنون علىٰ حسب ما =

يصل إليهم من واقع هذه الفرق، وإذا كانت الفرقة حديثة النشء، فإنه يصعب أن يلم بها كل العلماء في وقت واحد، ولكن من علم حجة على من لم يعلم.

وهذه الفرق الخارجية القديمة المشار إليها في كلامه، لم تميز أصولها وتفصّل -في الغالب- إلا بعد موت أصحابها لَمَّا بدأ العلماء في التصنيف في الفرق، ولم يشترط أحد من العلماء أن يبين كل العلماء -الموجودين في زمن ظهور هذه الفرقة-: حالها؛ كي نعتبرها فرقة!!

والعجيب أن هذا الناقد المتعصِّب للحويني رغم تشكيكه في وجود السرورية ونفيه بيان العلماء لحالها، فقد ناقض نفسه حيث اعترف بعد هذا التشكيك بأسطر قليلة بوجود الطائفة السرورية وبردِّ العلماء عليها، بل أشار إلى بعض أصولها البدعية، حيث قال: «أمّا السّروريّة بوصفها حزبًا مباينًا لسبيل المؤمنين، فموجودة، وهي ثلّة من المتحزّبين حسيًّا ومعنويًّا مع المسمّى محمّد سرور الموجود في ديار الكفر، ولها أفكار منحرفة تلبسها ثوب ما يسمّى بالمعارضة السّياسيّة، وتنشرها في مجلّة اسمها (السنّة) وغيرها، وقد ردّ عليهم أهل العلم وبيّنوا حالهم منذ القديم بما لا يحتاج لإعادته هنا ..»، ثم عاد وناقض نفسه في الموضع نفسه، فنفى جعل الطائفة السرورية فرقة، ونفى تكلُّم أهل العلم بهذه النسبة «السرورية». حيث قال: «وإنما المقصود أنه إذا كانت نسبتهم إلى الخوارج مستساغة بما شاع عنهم من التّحريض على الخروج على ولاة الأمر وما شابه ذلك، فإنّ جعلهم فرقة جديدة من تلك الفرق نفسه فيه نظر، فكيف بتعليق الذمّ الشّرعي عليها وإلصاقه بالدّعاة تبديعًا وتشنيعًا، والمتلقّون أكثرهم لا يدرك لا حقيقة السّروريّة، ولا ضابط نسبة النّاس إليها، وأنّى له أن يدرك ذلك والعلماء -كما قلت لك- لم يتكلّموا به ولا صنّفوا النّاس على أساسه».

وأقول: وهل المتلقّون قديمًا كانوا لا يدركون أيضًا حقيقة الجهمية والأشاعرة والماتريدية والأزارقة والنجدات والجاحظية ...إلخ؟!!

ومن ثَمَّ يجب علينا أن نتوقف عن ذكر هذه النِّسب، ونطوي سجل كتب الفرق؛ لأن المتلقين لا يدركون حقائق هذه النِّسب!!

ولقد اعترفت بأنه قد شاع عن الطائفة السرورية الخروج على ولاة الأمر، وأن هذا كافيًا في إلحاقها بالخوارج، ولكنك لم تستسغ عدَّها في الفرق الجديدة، فماذا تعني بالفرقة الجديدة؟ هل تعني أنها فرقة منفصلة ليست مندرجة تحت فرقة من الفرق الأم؟ فإن كان كذلك فهذا صحيح، فالسروية ليست فرقة من الفرق الأم، بل هي فرقة مندرجة تحت الخوارج، وقد تفرعت عن القطبية الخارجية كما بيَّنا.

ثم قال: «فمثل هذه الألفاظ المجملة لا يجوز أن يتعامل بها في مقام الحكم على الأعيان؛ لأنه إذا كان الحويني هذا يكفّر بالكبيرة (أو بالإصرار عليها) و يقول بالخروج فإنه -والعياذ بالله- يلحق بالخوارج لا بالسّروريّة، فلو صحّت دعوى الطّاعن فيه لكانت أدلّته محققة لشطر دعواه وبقي الشّطر الآخر كاذبًا إذ كلامه متكوّن من شقّين: الأول: أنّ الحويني من الخوارج، الثّاني: أنه من السّروريّة».

قلت: أما كون الحويني يكفِّر المصرَّ علىٰ الكبيرة، ويدعو إلىٰ الخروج علىٰ الحُكّام موافقًا طريقة الخوارج القعدية، فهذا سوف أُثبِته في موضعه من البحث -إن شاء الله-، وبه تصح الدعوىٰ بأن الحويني وافق أصول القطبية السرورية، التي هي من فرق الخوارج.

وأما قوله إنه في حالة ثبوت ما ذكره عن الحويني فإنه يلحق بالخوارج لا بالسرورية، فهذا تناقض منه عجيب، إذ أنه اعترف من قبل أن نسبة السرورية إلىٰ الخوارج مستساغ لِمَا شاع عنهم من التحريض علىٰ الخروج علىٰ ولاة الأمر، فلِمَ يريد هنا أن يجعل السرورية فرقة منفصلة بذاتها لا تندرج تحت فرق الخوارج؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ (٧/ ٤٨١): «وهؤلاء الخوارج لهم أسماء يقال لهم: «الحرورية»؛ لأنهم خرجوا بمكان يقال له حروراء، ويقال لهم «أهل النهروان»؛ لأن عليًّا قاتلهم هناك، ومن أصنافهم: «الإباضية» أتباع عبدالله بن إباض، و«الأزارقة» أتباع نافع بن الأزرق، «والنجدات» أصحاب نجدة الحروري». اهـ

قلت: ومن أصنافهم أيضًا في هذا الزمان: «القطبية» أتباع سيد قطب، و«السرورية» أتباع محمد سرور زين العابدين.

وقال أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوىٰ (٥/ ٢٣): «ثم إذا رأىٰ الأئمة -أئمة الهدىٰ-، قد أجمعوا علىٰ ذمِّ المرِّيسية وأكثرهم كفَّروهم أو ضلَّلوهم، وعلم أن هذا القول الساري في هؤلاء المتأخرين هو مذهب المرِّيسي: تبين الهدىٰ لمن يريد الله هدايته». اهـ

قلت: فنسب شيخ الإسلام إلىٰ الأئمة ذمَّ المريسية -التي هي فرع عن الجهمية-، بل بيَّن أن مذهب المتأخرين نحو ابن فورك، والرازي، والجبائي، وأبي حامد الغزالي هو مذهب المرِّيسي، ولم يقل إنهم علىٰ مذهب جهم، رغم أن جهمًا هو أصل هذه الفرقة الضالة، وإنما المرِّيسي أخذ عنه، فعلىٰ تأصيل هذا الفتىٰ العجول، كان الواجب علىٰ شيخ الإسلام أن ينقل ذم الأئمة للجهمية لا للمرِّيسية، وأن ينسب هؤلاء المتأخرين إلىٰ الأخذ بقول الجهم لا المرِّيسي.

ووّاضح أن بعض العقلاء قد راجعك وبيَّن لك هذا التخبط، فاضطررت إلىٰ إثبات اعترافك مرة أخرىٰ بوجود السرورية، ثم حاولت أن تجد اعتذارًا عن هذا التخبط فلم تفلح إلا في التلبيس والتدليس علىٰ الأغمار باستشهادك ببعض كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في غير موضعه، حيث قلت في الحلقة الثالثة: «تمهيد متعلّق بما سبق: وجود الحزبيّين والسّروريّين حقيقة ولكن بميزان الكبار لا الصّغار ...»، ثم قلت: «لا شكّ أنه توجد أحزاب وتوجد فرق، ولا شكّ أنه يوجد قوم متحزّبون علىٰ الرّجال والمناهج والأقوال الدّائرة بين كونها أقوالاً مبتدعة مخالفة للشّرع كأنصار الاضطرابات والفوضىٰ وتكفير المسلمين، و بين كونها أقوالا اجتهاديّة كأهل الإلزام بأقوال الرّجال من متعصّبة المذاهب وأشباههم الذين عقدوا الولاء والبراء علىٰ اجتهادات الرّجال و أحكامهم علىٰ غيرهم من المخالفين.

فمن الحزبيّين: أصحاب البيعات المختلفة الموجودة في السّاحة كتنظيم الإخوان وجماعة التّبليغ وغيرهم.

ويدخل في التّحزُّب المذموم: كلّ من والى وعادى على غير أصل شرعي مجمع عليه، أو على مسائل الاجتهاد التي هي محلّ أخذ وردّ بين أهل العلم، وفرّق بين جماعة المسلمين تبعًا لِمَا يراه من تعظيم رجل أو جماعة أو قول أو مذهب لم يأتِ تعظيمه أو الإلزام به في الشّرع الكريم.

وهذا يدخل فيه من تحزّبوا على سيّد قطب -رحمه الله تعالى- فعادوا كلّ من انتقده ووالوا كلّ من عظّمه تعظيمًا مطلقًا، و يدخل فيه من نصّب طريقة للتّغيير وإقامة دولة الإسلام في زعمه، ثمّ بايع عليها وجعلها مضاهية لجماعة المسلمين ...».

قلت: وهذا كلام جيد في مُجمله، وأول من أحاكمهم إلى كلامك: أنت ومن معك من المتعصّبين للحويني وحسّان وياسر برهامي والمقدّم ...إلخ طائفة أدعياء السلفية؛ حيث تحزبتم على هؤلاء الرجال، وصرتم تحرّفون الكلم عن مواضعه انتصارًا لهم وتلميعًا لصورهم، كما صنعت في مقالاتك التالفة هذه «كشف التعصُّب والمين ...»، أسأل الله سبحانه أن يزيل عنك وعن إخوانك المتعصّبين غشاوة التعصُّب، وأن يردكم ومشايخكم إلى الحق ردًّا جميلاً.

وهاهنا سؤال مهم: هل تعلّمت هذا التأصيل المذكور في كلامك السابق من الحويني أو حسّان أو ...؟

رجاء أن تجيب عن هذا السؤال إجابة من أنصف ولم يتعصّب، ومَن يعلم أنه إن كتم وكذب، فإن الله سائله عمَّا كتمه من الحق أو كذب فيه.

ورغم إقراره السابق بوجود السرورية -كما بيّنا-، جاء في الحلقة الثالثة ونكص على عقبيه؛ حيث أخذ يشكّك القارئ في وجود هذه الأحزاب المعاصرة -نحو «القطبية»، وما تفرع عنها من «سرورية»، و«تكفير وهجرة»، و«تنظيم الجهاد»، ...إلخ، حيث قال: «وأحيانًا يختلقون الفرق بحسب المستجدّات والخصومات مع أهل العلم والعدل، فصار إيقافهم بأيسر ما يمكن وهو أن ينظر في ضابطهم الذي لم نره يومًا».

قلت: أرأيتم هذا التناقض المزري؟! ألا يذكر هذا المدَّعي -هداه الله- أنه قد ذكر من قبل ضابط السرورية، واعترف بكلام أهل العلم عليها؟!

ولكنها الضحالة العلمية عند هذا المدَّعي، والهوى الذي قد غلب عليه، فجعله يخبط خبط عشواء.

وصدق العلامة عبد الرحمن بن يحيى المعلّمي اليماني -رحمه الله- حينما قال -كما في تعليقه على «الفوائد المجموعة للشوكاني» (ص٢٨٥): «كثيرًا ما تجمع المحبة ببعض الناس فيتخطى الحجة ويُحاربها».

وأقول للفتى العجول: حدِّد لنا هذه الفرق المختلقة، وثبّت عرشك المنكوس!

ثم اثبت دعواك بأن هذه الفرق قد اختلقت بسبب الخصومات مع أهل العلم والعدل!

أما كون هذه الفرق كانت بحسب المستجدات؛ فهذا حقٌّ يعرفه طالب العلم الذي له دراية بكتب

ومن هنا تتجلى لنا «الحدود الفاصلة بين أصول منهج السلف الصالح، وأصول القطبية السرورية»، والتي من خلالها تتبين لنا: «**المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج السلف الصالح -أصحاب الحديث والأثر-، ووافق فيها القطبية السرورية**»، ويظهر لنا أن الحويني من هؤلاء الذين ادَّعوا السلفية، وأنهم من أصحاب الحديث -لاشتغاله بعلم الآلة-، وإذا محصّنا دعوته، وجدناه موافقًا للمنهج القطبي السروري الخارجي في أغلب أصوله التي أشرنا إليها، مخالفًا فيها أصول منهج السلف الصالح -منهج أصحاب الحديث-.

وهذه المخالفات الكلية الكبرى التي خالف بها الحويني أصول منهج السلف الصالح -أصحاب الحديث والأثر-، ووافق فيها أصول منهج القطبية السرورية الخارجية هي:

المخالفة الأولى: تكفير الحويني للمُصِر على المعصية.

المخالفة الثانية: تسرع الحويني في التكفير دون الانضباط بضوابط أهل السنة.

المخالفة الثالثة: رفع الحويني شعار سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق»: «إن أخص خصائص توحيد الإلهية توحيد الحاكمية»، وهو شعار القطبيين السروريين: خوارج العصر.

=

الفرق، من أن الفرق تتوالى في الظهور على حسب ما يستجد من عقائد أصحابها.

ونسألك أيضًا -هداك الله عز وجل-: من هم أهل العلم والعدل الذين اختُلِقت بسببهم هذه الفرق؟!

والإجابة واضحة: أن أهل العلم والعدل عندك: حسن البنا، وسيد قطب، ومحمد الغزالي، والمودودي، والحويني، وابن حسّان، وكشك، وسلمان العودة ...إلخ.

فعليك أن تعرض أقوالهم التي خالفوا فيها أصول منهج السلف الصالح، لنرى صدق دعواك من عدمها ! ولتخلع عنك رداء التأويل الفاسد لهذه الأقوال؛ الذي ارتديته لتنفي عنهم لازمها الذي لا ينفك عنها؛ حتى يظهر للقارئ -المخدوع بزخرفتك للكلام وارتدائك لباس أهل العلم زورًا وبهتانًا- صدقك من كذبك!.

ودعك من هذا الإجمال في النقد، فإنه سبيل الفقير في حجته، وهذه سمة عامة عند أهل الأهواء.

المخالفة الرابعة: عدم اعتبار الحويني شرعية ولاية الحكَّام المسلمين الذين تولوا بالغلبة والقهر.

المخالفة الخامسة: سلوك الحويني سبيل التهييج السياسي وإثارة العامة ضد الحكَّام الذي هو سبيل الخوارج القعدية.

المخالفة السادسة: ثناء الحويني على القطبيين السروريين - خوارج العصر-، وعلى القُصَّاص.

المخالفة السابعة: طعن الحويني في طائفة من أكابر العلماء من أئمة المنهج السلفي في هذا الزمان وتهكمه بفتاويهم.

المخالفة الثامنة: تقرير الحويني لبدعة «إيجاب الموازنة بين الحسنات والسيئات عند التحذير من المخالف والمبتدع».

المخالفة التاسعة: مشابهة الحويني للقصَّاص في بعض طريقتهم[1].

وسوف ينتظم بحثنا في سرد الشواهد من كلام الحويني التي تثبت إصراره على هذه المخالفات، وتأصيله لها، وثباته عليها، واستماتته في الدفاع عنها، أحيانًا عن طريق إيراد الشبه الواهية، وأحيانًا عن طريق التدليس والتلفيق؛ مِمَّا يؤكد أنها تمثل سمات رئيسة في منهجه ليست مجرد أخطاء عابرة غير متعمَّدة[2].

---

(١) قال فضيلة الشيخ الوالد حسن -حفظه الله-: «الذين يقيمون محاضراتهم على القصص، ويهملون الأساس، وهو تعليم الناس العقيدة والمنهج الصحيح، ثم الدعوة إلى كل مسائل الدين تحت هذه المظلة».

(٢) وأنبه إلى أن الغالب على لُغة الحويني -في النقولات التي نقلناها- الركاكة الشديدة؛ فأضطر إلى نقل كلامه كما هو -أحيانًا-، حتى لا يقال: إنك غيَّرت كلامه، وأحيانًا أعدل أشياء يسيرة جدًّا، وأترجم معناها إلى اللُّغة العربية؛ حتى يفهم الكلام.

والتحدث باللُّغة العامية -أحيانًا- للحاجة لا ينكر في ذاته، إنما المستنكر على الحويني أنه بالتدريج تحولَّت لُغته الدعوية إلى لُغة القصَّاص الذين لا يتحاشَوْن عن السفاسف والإسفاف في كلامهم، وإليك بعض تعبيراته الدالة على هذا مِمَّا سوف يأتي نقله عنه: «الذين أفتوا بحرمة العمليات الانتحارية عندهم جليطة.... إلِّي عايز يتلكك له -أي: لسيد قطب- حيتلككله .. ربيع هذا أحمق .. قاعدين ليل نهار يتكلمون في المشايخ... هذا إمام الجرح والتعديل قال فيه: لا =

ثم نسوق أدلة أهل السنة مع دُرر من كلام وفتاوى أئمتنا السلفيين من السابقين والمعاصرين -أصحاب الحديث حقًّا- التي تنقض تأصيلات الحويني القطبية السرورية الخارجية[1].

وقد عقد أبو نصر السِّجزي -رحمه الله- في رسالته إلى أهل زَبيد في «الرد على من أنكر الحرف والصوت» (ص٩٩) فصلاً بعنوان: «بيان ما هي السنة؟ وبم يصير المرء من أهلها؟»، قال تحته:

=

يساوي شيئًا... هذا أصل علان العلاني حطوا في المش عارف إيه.. هذا أصله يهادن المبتدعة...».

وقد قال ابن الوزير اليماني في كتابه «العواصم والقواصم» (١/ ٢٣٦): «وقد أخلَّ السيد -أيَّده- بقاعدة كبيرة هي أساس المناظرة، وأصل المراسلة وهي إيراد كلام الخصم بلفظه أولاً، ثم التعرض لنقده ثانيًا، وهذا شيء لا يغفل عنه أحد من أهل الدِّرية بالعلوم والخوض في الحقائق والممارسة للدقائق، وإنما تختلف مذاهب النقاد في ذلك ولهم فيه مذهبان:

المذهب الأول: أن يورد كلام الخصم بنصِّه ويتخلص من التهمة بتغييره ونقصه، وهذا هو المذهب المرتضى عند أمراء الفنون النظرية وأئمة الأساليب الجدلية...

المذهب الثاني من مذاهب النُّقاد في نقد كلام الخصوم: أن يحكوا مذاهبهم بالمعنى، وفي هذا المذهب شوب من الظلم؛ لأن الخصم قد اختار له لفظًا، وحرَّر لدليله عبارة ارتضاها لبيان مقصده، وانتقاها لكيفية استدلاله، وتراكيب الكلام متفاوتة، ومراتب الصيغ متباينة، والألفاظ معاني المعاني، والتراكيب مراكيب المتناظرين، وما يرضى المبارز للطِّراد بغير جواده، ولا يرضى الرافع للبناء بغير أساسه، مع أن قطع الأعذار من أعظم مقاصد النُّظَّار». اهـ

(١) وفي بداية الأمر كان اسم الكتاب: «المسائل التي خالف فيها الحويني أصول منهج السلف الصالح ووافق فيها القطبية السرورية»، ثم أشار عليَّ شيخنا الوالد حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله- أن أختارَ عنوانًا أعمَّ حتى لا يظن الجاهل أن الأمر يتعلَّق بشخص الحويني فحسب.

وبالفعل لمَّا استطردت في البحث وجدت مصداق نصيحة الشيخ حسن -نفع الله به-، حيث وجدت أن المخالفات الرئيسة التي ناقشت فيها الحويني تمثل حدودًا فاصلة بين المنهج السلفي والمنهج القطبي السروري، ومن خلال هذه المناقشات أوردت نماذج أخرى من القطبيين السروريين على شاكلة الحويني، ومن ثمَّ صارت مخالفات الحويني نموذجًا رئيسًا للمنهج القطبي السروري المفارق للمنهج السلفي، من خلاله تتجلى الحدود الفاصلة بين المنهجين.

وعليه قمت بتعديل اسم الكتاب إلى ما يلي: «الحدود الفاصلة بين أصول منهج السلف الصالح وأصول القطبية السرورية... ويتضمن المسائل التي خالف فيها الحويني أصول منهج السلف الصالح ووافق فيها القطبية السرورية».

«اعلموا -رحمكم الله- أن السنة في لسان العرب هي: الطريقة فقولنا: سنة رسول الله ﷺ يعني: طريقته وما دعا إلى التمسك به ولا خلاف بين العقلاء في أن سنة الرسول -عليه السلام- لا تعلم بالعقل وإنما تعلم بالنقل.

فأهل السنة: هم الثابتون على اعتقاد ما نقله إليهم السلف الصالح -رحمهم الله- عن الرسول ﷺ أو عن أصحابه -رضي الله عنهم-، فيما لم يثبت فيه نصٌ في الكتاب، ولا عن الرسول ﷺ لأنهم -رضي الله عنهم- أئمة وقد أمرنا باقتداء آثارهم واتباع سنتهم، وهذا أظهر من أن يحتاج فيه إلى إقامة برهان والأخذ بالسنة واعتقادها مِمَّا لا مرية في وجوبه...

إلى أن قال: «وإذا كان الأمر كذلك فكل مدعٍ للسنة يجب أن يطالب بالنقل الصحيح بما يقوله، فإن أتى بذلك عُلِم صدقه وقُبِل قوله، وإنْ لَمْ يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف عُلِم أنه مُحدِث زائغ، وأنه لا يستحل أن يُصغى إليه أو يُناظر في قوله».

وقال بعد ذلك بعد أن بيَّن شيئًا من بدع الكلاَّبية والأشاعرة (ص١٧٧-١٨١):

«والمعتزلة -مع سوء مذهبهم- أقل ضررًا على عوام أهل السنة من هؤلاء -أي: من الكلاَّبية والأشاعرة-، لأن المعتزلة قد أظهرت مذهبها، ولم تستقف[1]، ولم تموِّه.....».

إلى أن قال: «وكذلك كثير من مذهبه يقول -أي الأشعري- في الظاهر بقول أهل السنة مجملاً ثم عند التفسير والتفصيل يرجع إلى قول المعتزلة، فالجاهل يقبله بما يظهره والعالم يجهره لِمَا منه يخبره.. والضرر بهم -أي بالأشاعرة الذين يدّعون السنة- أكثر منه بالمعتزلة لإظهار أولئك ومجاوبتهم أهل السنة، وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق، نسأل الله السلامة من كُلٍّ برحمته».

وقال كما في (ص٢٢٢) بعد أن ذكر طائفة من رءوس أهل البدع: «ثم بُلِيَ أهل السنة ببعض هؤلاء يدّعون أنهم من أهل الاتباع، وضررهم أكثر من ضرر المعتزلة وغيرهم، وهم: أبو محمد بن كلاب، وأبو العباس القلانسي، وأبو الحسن الأشعري». اهـ

---

(١) قال محمد باكريم -مُحقِّق رسالة السجزي-: «الاستقفاء: الإتيان من الخلف، يقال: تقفيته بالعصا، واستقفيته ضربت قفاه بها... انظر لسان العرب (١٥/ ١٩٣)، والمقصود هنا: أن المعتزلة صرَّحوا بمعتقدهم في صفات الله، وجاهروا به، ولم يحاولوا إخفاءه، ومخادعة خصومهم والتمويه عليهم».

قلت: وعليه فإن الحويني مطالبٌ أن يأتينا بنقولات واضحة عن أئمة السلف الصالح يثبت به سلفية مقالاته المأخوذة عليه، نحو مقالته في حكم المصر على المعصية، وفي الحاكمية، وفي ولاية الحكّام الظالمين، وفي الجهاد، وفي ثنائه على طائفة من رموز أهل الأهواء ...إلخ، فإن أتى بذلك عُلِم صدقه وقبل قوله، وإن لم يتمكن من نقل ما يقوله عن السلف عُلم أنه مُحدِث زائغ.

والحويني في الظاهر يقول بقول أهل السنة مجملاً في بعض المسائل، ثم عند التبيين والتفصيل يرجع كلامه إلى أصول القطبية السرورية، فالجاهل يقبله بما يظهره والعالم يجهره لِمَا منه يخبره.. والضرر بهم -أي بالقطبية السرورية الذين يدّعون السنة- أكثر منه بأهل البدع الظاهرين لإظهار أولئك ومجاوبتهم أهل السنة، وإخفاء هؤلاء ومخالطتهم أهل الحق.

واعلموا -أرشدكم الله وهداكم إلى الحق- إلى أن الانتماء للقطبية السرورية إما أن يكون انتماء حركيًا حزبيًا، أو انتماء عقديًا منهجيًا.

ومناقشتنا مع الحويني هي في انتمائه العقدي المنهجي إلى أصول القطبية السرورية، وأما انتمائه الحركي الحزبي إلى هذا الحزب فلا دليل عندنا عليه.

واعلموا -رحمكم الله- أني كنت أتحاشى التصريح باسم الحويني في ردودي المنهجية السابقة، نحو: «التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات من منهج الخوارج والبغاة وليست من منهج السلف الصالح»، و«الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية»، فأشرت إلى بعض مخالفاته في كلا الكتابين إشارة عابرة دون ذكر اسمه، وكانت تأتيني الاتصالات من بعض الشباب السلفي الواعي الذي فهم مَن المعنِي بكلامي، فكانوا يسألونني: لماذا لم تصرِّح باسمه، وكنت أجيب: إن الحويني قد نال شُهرة وصيتًا عاليًا بسبب انتسابه للألباني واشتغاله بعلم الآلة -أي مصطلح الحديث مع التحقيق والتخريج- مِمَّا يبهر الشباب الغير واعي، ويجعل له ثقلاً عندهم، هذا بجانب الهالة الإعلامية التي صنعها الحزبيون حوله، فكان التصريح باسمه يحتاج إلى إفراد ردٍّ خاص عليه تناقش فيه مخالفاته لأصول المنهج السلفي مناقشة مستفيضة؛ حتى لا يظن أحد من هؤلاء الشباب أن العلماء تجنُّوا على الرجل أو جرحوه وأهدروا مكانته بغير حق.

وقد قام أحد إخواننا -ممَّن كانوا يتعاطفون قديمًا مع الحويني ويحسنون الظنَّ فيه- بأخذ كلا الكتابين -المشار إليهما آنفًا- بعد أن أعلَمَ على المواضع التي عرَّضت فيها بالحويني؛ كي يطلب منه أن يدافع عن نفسه، وبالفعل سافر أخونا إلى كفر الشيخ -مقام الحويني-، ولكن قُدِّر أنَّ الحويني لَمْ يكن موجودًا، فسلَّم إلى أحد تلامذة الحويني -أو إلى أحد أبنائه- الشك مني-: الكتابين مع رسالة منه تحمل نصيحة رقيقة، وطلب من المسلَّم إليه إيصال هذه الأشياء إلى الحويني للأهمية.

○ وهذا نص هذه الرسالة:

إلى شيخنا العلامة المحدِّث أبي إسحاق الحويني.... جزاك الله عنا خير الجزاء نحن تعلَّمنا منك أن ندور مع الحقِّ حيث دار وأن نأخذه من أي [شخص] كائنًا من كان، كما يقول ربنا -عز وجل- في قوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

هذه رسالة محب لله ورسوله مع هذه الكتب الثلاثة أود أن تنظر إليها ولو .. في بعض الصفحات التالية:

الكتاب الأول: التفجيرات والأعمال الإرهابية هي من منهج الخوارج، وليست من منهج السلف الصالح (ص٦٠-٦١).

الكتاب الثاني: تنبيه الغافلين بحقيقة فكر الإخوان المسلمين (ص٨١-٨٢).

الكتاب الثالث: الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية (ص٧٧، ٧٨، ٢٦٦، ٢٦٧).

وما تحرك قلبي بهذه الرسالة إليك إلا التمسك بالكتاب والسنة على فهم سلف الأمة، وعملاً بقول رسول الله ﷺ كما جاء في الحديث الشريف: عن أبي رقية تميم بن أوس الداري -رضي الله عنه-، أن النبي ﷺ قال: «**الدين النصيحة**» قلنا: لمن يا رسول؟ قال: «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المُسْلمين وعامتهم**».

وكما ثبت في حق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية عند الإمام مسلم من حديث ثوبان -رضي الله عنه- قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحقِّ لا**

يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»؛ فجزاك الله عنا خيرًا، نريد منك جوابًا شافيًا للشباب في شريط أو كتيب [تنصحهم فيه] بالحرص على التمسك بالمنهج السلفي، والردّ على مَنْ يتّهم الأنبياء بالعصبية، ومَن يُعطِّل الأسماء والصفات لله -عز وجل-، ومَن يتّهم الصحابة بالغش والخداع، والمكر، ومن يُكفِّر ولاة الأمر[١]، ومن تأثر من هؤلاء [بهذا الرجل] ومن على شاكلتهم؛ حتى يكون لنا ولك علم نافع ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾، ورحم الله أبا عمرو الأوزاعي حيث قال: «عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوها بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق المستقيم». اهـ

قلت: وبعد شهر عاد أخونا إلى كفر الشيخ، والتقى بالحويني فسأله عن ردّه على هذه المواضع المشار إليها في الكتب المذكورة، فإذ بالحويني يجيبه قائلاً:

«**الردُّ هو عدم الردّ**»[٢].

فكانت صدمة على أخينا هذا؛ حيث لم يتوقع أبدًا أن يكون هذا ردّ رجل كان يظن فيه -يومًا من الأيام- أنه من علماء السُّنة، ولكن هذه الصدمة جعلت هذا الشاب يفيق وينفض يده من الحويني، ويزداد تمسكًا بالمنهج السلفي الصحيح وبعلمائه الأكابر.

وأتي عليَّ بُرهة من الدهر وأنا كاره الاشتغال بتصنيف هذا الردّ، وكنت أحسِب أن ما يجري بيني وبين المناظرين من أهل الأهواء المتعصِّبين للحويني وأقرانه، في جنس الكلام في مجالسنا، ويظهر لأصحابي الذين يحضرون المجالس والمناظرة من إظهار حقِّنا على

---

(١) يشير إلى سيد قطب.

(٢) والحويني هنا قد وقع فيما أنكره على الغزالي، من الاستخفاف بمن ردَّ عليه، حيث قال الحويني في «طليعة سمطُ اللآلئ» (ص٨): «آلمني أن بعض الثقات قال لي: سمعتُ رجلاً أثقُ به، وسمّاه لي، قال للأستاذ -أي الغزالي-: إن كثيرين يردون عليك في كتابك الأخير، فما جوابك؟!
فأجاب بقول الشاعر:

لو كُلّ كلبٍ عوى ألقمته حجرًا ... لعزَّ الصخرُ مثقال بدينار

أفهذه نظرة الأستاذ لخصومه ومخالفيه؟! فالله المستعان». اهـ

باطل مخالفينا في المناظرة: كافٍ عن تصنيف الكتب على صحة منهجنا وبطلان مناهج القوم، وغُنية عن الإكثار في ذلك، غير أني لمست من أحداث طلاب العلم والحديث -وبعضهم مِمَّن يظن فيهم الذكاء والحرص على التزام أصول المنهج السلفي- مِمَّن كان يحضر بعض مجالس القوم: التأثر بأبي إسحاق الحويني والانخداع به، مِمَّا حدَا بهم إلى نبذ فتاوى الأكابر، أو عدم الاعتداد بها، بل بعضهم أساء الظن بهؤلاء الأكابر، وفي قرارة نفسه يتَّهمهم بالغلو بسبب تحذيرهم من الحويني وأمثاله، فأحببت أن أثبت لهؤلاء ولغيرهم من الباحثين عن الحق دون التعصُّب للرجال، أن الرجل وقع في مخالفات -ليست هينة- لأصول المنهج السلفي، مِمَّا حدَا ببعض العلماء إلى تبديعه، خاصّةً أنه وقع في هذه المخالفات عن علم وعن بصيرة بالحق، إلا أنه أبى واستكبر عن قبول هذا الحق، وأصر على اتباع الهوى، كما سوف يأتي إثباته.

وكيف تضل القصد والحقُّ واضحٌ ... وللحقِّ بين الصالحين سبيلُ[1]

والبعض اعتبر تجريح الحويني مسألة مختلَفًا فيها بين أهل العلم، وقالوا: نحن نأخذ بقول المعدِّلين للحويني.

ونحن نسأل هؤلاء: مَن هم الذين أثنوا على الحويني من المعتبرين من أهل العلم الذين أنتم تضعون كلامهم مقابل كلام المجرِّحين له؟

والجواب السديد: لا يوجد، فلا نعلم أحدًا من أهل العلم المعتبرين عدَّل الحويني في باب المعتقد والمنهج[2].

---

(١) العقد الثمين في دواوين الشعراء الثلاثة الجاهليين (ص١٧)، وهو من شعر طُرفة البكري، وقد قاله لعبد عمرو بن بشر بن مرثد.

(٢) وإنما أثنى عليه العلامة الألباني في باب الصناعة الحديثية فقط، وأما في باب المعتقد والمنهج -واللَّذَين بهما تكون عدالة الرجل- فلا يعلم للألباني ولا لغيره من الأكابر ثناء على الحويني فيهما.

وإنما نَفَق أمر الحويني عند السلفيين بسبب انتسابه للألباني، كحال الأشاعرة في انتسابها إلى الحنابلة، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية كما في مجموع الفتاوى (٤/ ١٧): «ولهذا كان الشيخ أبو إسحاق يقول: «إنما نَفقت الأشعرية عند الناس بانتسابهم إلى الحنابلة».

وثانيًا: المجرِّحون له معهم زيادة علم، وقد فسَّروا سبب جرحه، مِمَّا يوجب تقديم كلامهم على كلام المعدلين -إن وُجد-، كما هو مُقرر في أصول علم الجرح والتعديل.

وثَمَّ طائفة ثالثة قالوا: نحن نعترف بوجود هذه الأخطاء عند الحويني إلا أنها مجرد أخطاء مبنية على اجتهاد منه لا ترتقي إلى تبديعه أو التحذير منه بالكليَّة، وإنما لا بأس أن يستفاد منه في علم الحديث الذي يجيده.

وآخرون زادوا: بل لا بأس بسماع العامة لخطبه الوعظية دون الدروس العلمية.

والطوائف الثلاث على خطأ، والصواب: الاستغناء بأكابر أهل العلم السلفيين حقًّا -وهم وفرة- عن الحويني وعن غيره مِمَّن ثبتت عليهم المخالفات الظاهرة لأصول أهل السنة، وأصروا على هذه المخالفات رغم نصح الناصحين، وبيان العلماء الربانيين.

وقد يقول آخر: لو سلَّمنا لك بوجود هذه المخالفات عند الحويني، فكان من المصلحة التغاضي عنها نظرًا؛ لأن الحويني صار يمثل أهل السنة، بل صار عَلَمًا على علم الحديث، وقد عمد إلى تشويه صورته فرق الضلال من الرافضة والصوفية، ومن هذا أن الصوفية أنشأت منتدى لسبِّه وشتمه، والسخرية منه، ونسبوه في هذا المنتدى إلى الوهَّابية.

والردُّ على هذا أن يقال: مَن الذي صيَّر الحويني عَلَمًا على السُّنة؟ آلعلماء شهدوا له بهذا؟! أم الغوغاء أتباع كل ناعق مستعينين بقوّة الإعلام الذي يجيده الحزبيون.

وأقول أيضًا: ما زال المخالفون يرد بعضهم على بعض من قديم، وهذا لم يمنع أهل الحق من الرد عليهم جميعًا، وإن كان الردّ على الصوفية واجبًا، وإظهار ضلالهم فرضًا، فإن الرد على المنتسبين إلى السنة -مع مخالفتهم لبعض أصولها- أوجب؛ لأن أدعياء السنة -الداعين إلى خلاف السنة باسم السنة- خطرهم أشد؛ نظرًا لخفائهم، وعدم وضوح أمرهم، مِمَّا يجعل البعض يغتر بهم ويقع بسهولة في حبائل قواعدهم الباطلة التي أصَّلوها على خلاف السنة باسم السنة[1].

واعلموا -رحمكم الله- أني أنطلق في ردي هذا من منطلَقَيْن مُهمَّين، وهما: التصفية

---

(١) وقد بيَّنا هذا فيما سبق.

والتربية، هذان المنطلقان اللَّذان كان إمام الحديث وشامته في هذا الزمان: العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- يكثر من الدندنة حولهما في أغلب مجالسه ودروسه ومؤلَّفاته، واللّذان قد بيّنهما -رحمه الله- بقوله: «ويجب على أهل العلم أن يتوَلَّوا تربية النشء المسلم الجديد على ضوء ما ثبت في الكتاب والسنة، فلا يجوز أن ندع الناس على ما توارثوه من مفاهيم وأخطاء؛ بعضها باطل قطعًا باتفاق الأئمة، وبعضها مختلَفٌ فيه، وله وجه من النظر والاجتهاد والرأي، وبعض هذا الاجتهاد والرأي مخالف للسنة.

فبعد تصفية هذه الأمور، وإيضاح ما يجب الانطلاق والسير فيه، لا بد من تربية النشء الجديد على هذا العلم الصحيح.

وهذه التربية هي التي ستثمر لنا المجتمع الإسلامي الصافي، وبالتالي تقيم لنا دولة الإسلام.

وبدون هاتين المقدِّمتين: (العلم الصحيح)، و(التربية الصحيحة على هذا العلم الصحيح) يستحيل -في اعتقادي- أن تقوم قائمة الإسلام أو حكم الإسلام أو دولة الإسلام».اهـ

قلتُ: فيا ليت الحويني -وهو يدَّعي تلمذته للألباني- التزم هذا المنهج الرباني الذي كان عليه الألباني، وترك تلك النزعات القطبية السرورية التي احتوشته؛ فحادت به عن منهج الألباني القائم على الوسطية والإصلاح دون تهييج وثورية كاذبة ومجازفات في الأحكام؛ فافتُتن به من افتُتن، ولكنها سُنة ربانية ماضية: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان: ٢٠].

وكذلك انطلق في ردِّي هذا من نصيحة الإمام ابن باز -رحمه الله- لطلبة العلم في محاضرته «مسئولية طالب العلم» (ص١٣-١٥)، والتي قال فيها: «ثم طالب العلم بعد ذلك حريص جدًّا ألاَّ يكتم شيئًا مِمَّا علم، حريص على بيان الحق والرد على الخصوم لدين الإسلام، لا يتساهل ولا ينزوي، فهو بارز في الميدان دائمًا حسب طاقته، فإن ظهر خصوم الإسلام يشبِّهون ويطعنون؛ برز للرد عليهم كتابة ومشافهة وغير ذلك لا يتساهل ولا يقول: هذه لها غيري، بل يقول: أنا لها.. أنا لها.. ولو كان هناك أئمة آخرون يخشى أن تفوت المسألة، فهو بارز دائمًا لا ينزوي، بل يبرز في الوقت المناسب لنصر الحق والرد على

خصوم الإسلام بالكتابة وغيرها.. من طريق الإذاعة، أو طريق الصحافة، أو من طريق التلفاز، أو من أي طريق يمكنه، وهو أيضاً لا يكتم ما عنده من العلم، **بل يكتب ويخطب ويتكلم ويرد على أهل البدع وعلى غيرهم من خصوم الإسلام بما أعطاه الله من قوة، حسب علمه وما يسَّر الله له من أنواع الاستطاعة.**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

فينبغي أن نقف عند هاتين الآيتين وقفة عظيمة: فربنا حذّر من كتمان العلم وتوعد على ذلك، ولعن من فعل ذلك، ثم بيَّن الله أن لا سلامة من هذا الوعيد وهذا اللعن إلا بالتوبة والإصلاح والبيان، التوبة مما مضى من التقصير والذنوب، وإصلاح للأوضاع التي يستطيع إصلاحها من نفسه بنفسه، وبيان لما لديه من العلم الذي قد يقال إنه كتمه، أو فعلاً قد كتمه لحظ عاجل، أو تأويل باطل، ثم منَّ الله عليه بالهدى، فلا توبة إلا بهذا البيان، ولا نجاة إلا بهذه التوبة، وهي تشتمل على الندم على ما مضى من التقصير واقتراف الذنب وإقلاع وترك هذا الذنب خائفًا من ربه -عز وجل-، حذرًا من عقابه». اهـ

قلتُ: ولقد قرأت مواضع من هذا البحث على شيخنا العلامة ربيع بن هادي في زيارتي له في بيته العامر بالعوالي في جمادى الآخر (١٤٣٠هـ)، فلمَّا أطلعته عليه واستأذنته أن يراجعه، قال لي: انشره دون أن أقرأه، فإن كتاباتك طيبة -جزاك الله خيرًا-، ثم عقَّب قائلاً: ألم تنشره من قبل على سحاب؟ قلت للشيخ -حفظه الله-: لقد نشرت جزءًا مختصرًا منه، لم أنشره كلَّه، قال الشيخ -حفظه الله-: «لقد اطلعت على هذا الجزء الذي نشرته فوجدته جيدًا»، وبعد ذلك كان الشيخ يأتي بالبحث ويطلب مني أن أقرأ عليه مواضع منه، وكان يعلِّق عليها بتعليقات مختصرة مفيدة، نقلتها في موضعها من البحث[1].

---

(١) وفي هذا ردٌّ على صاحب «التعصُّب والمين والكيل بمكيالين»، حيث قال في الحلقة الثالثة من حلقاته التالفة طاعنًا فِيَّ: «وهو ما عرفه الشّباب واغترّوا بتأصيلاته إلا حين دخل عليهم من جهة

(الدّفاع عن الشّيخ ربيع بن هادي)، ومن جهة كون الشّيخ زكّاه تزكيـة مجملة وتركه يكتب في تلك الشّبكة، فصار ذلك فتنة للشّباب الجاهلين؛ لأنهم يظنّون التّزكية المجملة دليلاً علىٰ الموافقة المفصّلة، وهيهات [أن] يصحّ ذلك».

قلت: وهل الدفاع عن العلماء بحقٍّ والذبُّ عن أعراضهم يُعدُّ مذمَّة لصاحبه؟!

وهذا نصُّ تزكية الشيخ ربيع بن هادي، والتي يشير هذا المتعصِّب الجائر إلىٰ أنها مجملة، قال الشيخ -حفظه الله-: «**بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام علىٰ رسول الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن اتبع هداه ... أما بعد؛ فإني لا أعرف عن خالد محمد عثمان أبو عبد الأعلىٰ إلا أنه من طُلاَّب العلم الجادين والسائرين علىٰ منهج السلف الصالح، ولا أعرف عنه إن شاء الله إلا خيراً، وإني لأرجو له أن ينفع الله به، أرجو له الثبات علىٰ هذا المنهج، وأن ينفع الله به الشباب في مصر، لنشر المنهج السلفي في أوساطهم، ودفع الشبهات التي يقذفها أهل الفتن والأهواء علىٰ هؤلاء الشباب، وأسأل الله أن يُكثِّر من أمثاله، وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد وآله وصحبه وسلم**».

قلت: ولعلَّ هذا الرد علىٰ الحويني ما هو إلا ثمرة من ثمرات دعاء الشيخ -حفظه الله-.

فهذه تزكية مفصَّلة، ولكن هذا الجاهل لا يدري كنه تزكيات أهل العلم، ورغم هذا فما نقلته أعلاه فيه الخذلان لهذا الراجم بالغيب، والذي أدخل نفسه فيما هو ليس أهلاً له.

وقال أيضًا: «وأقوىٰ دليل لهم علىٰ ذلك قولهم (زكّاني فلان أو أنا تلميذ فلان) فكأنّ تزكية فلان هذه قد أسقطت عليه المتابعة بالاستفسار والمطالبة بالاستدلال، وهذا مسلك خرافيّ صوفيّ سيأتيك نبأه بعد حين، والله المعين».

قلت: أيها المفتري كذبًا، ألا تدري أن شهادة الزور من أكبر الكبائر؟! **وأقول:** هل أنا بنيت ردِّي علىٰ الحويني أو علىٰ غيره من المخالفين علىٰ تزكية العلماء لي، أي: هل كانت حجتي في إثبات مخالفة فلان: تزكيات العلماء لي، أم كانت حجتي أدلة الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة؟ ثم لَمَّا اطلع العلماء الكبار علىٰ بعض حججي التي سقتها في ردودي أقروني عليها، فأين المسلك الصوفي الخرافي في هذا أيها المفتري كذبًا؟!

ثم قال هذا المتعصِّب الجائر: «فإنّ أهل العلم لو اطّلعوا علىٰ طريقتك لذمّوك وذمّوها تعيينًا، مع الإشارة إلىٰ أنهم -حفظهم الله- يذمّونها ذمًّا شديدًا، ويذمّون كلّ من تلبّس بها في أغلب نصائحهم وكلماتهم ولكنّ أكثر النّاس لا يفقهون».

قلت: وقد اطلعت علىٰ ثناء أهل العلم علىٰ هذا الرد علىٰ الحويني، الذي خالف هواك، فماذا أنت قائل؟ وأين ذمّهم لي ولطريقتي أيها المفتري؟

إنما ذمَّ أهل العلم طريقتك التي هي من طرائق القطبية السرورية، وذمُّوا أيضًا طرائق الحدادية الغلاة، وقد بيَّنت طرائق كلا الفريقين، وحذَّرت منها، ونقلت كلام أهل العلم في ذمِّهم، في عدد من كتبي ودروسي، نحو: «الكواشف الجلية»، و«دفع بغي الجائر الصائل»، و«التعصُّب للشيوخ»،

وإنـي كـذلك أشـكر العلمـاء الأفاضـل الـذين راجعـوا البحـث، وأبـدوا كلمـتهم فيـه، وأسأل الله سبحانه أن يجزيهم عني، وعن المسلمين خير الجزاء.

وأشكر أيضًا كلَّ من أسدى لي نصيحة، أو أفادني بنقل.

وأنا على يقين من أنه ستخرج فئة من المتعصِّبين للحويني -الذين لم يستضيئوا بنور الحـق ولـم يهتـدوا بـه-، يتَّبعـون سـنن مـن كـان قبلـهم مـن المقلِّـدة، والـذي حكـى حـالهم الشاطبي في «الاعتصام» (٥٠٦/٢)، حيث قال عنهم: «يزعمون أن إمامهم هو الشريعة، بحيث يأنفون أن يُنسَب إلى أحد من العلماء فضيلة دون إمامهم، حتى إذا جاءهم أحدٌ مِمَّن بلغ درجة الاجتهاد، وتكلَّم في المسائل باجتهاده ولم يرتبط إلى إمامهم؛ رموه بالنكير، وفوَّقوا إليه سهام النقد، وعدُّوه من الخارجين عن الجادة، والمفارقين للجماعة من غير استدلال منهم بدليل، بل بمجرد الاعتياد العامي.

ولقد لقي الإمام بَقيٌّ بن مَخْلد حين دخل الأندلس آتيًا من المشرق من هذا الصنف الأَمَرَّيْن؛ حتى أصاروه مهجور الفناء، مهتضَم الجانب؛ لأنه جاءهم من العلم بما لا يدي لهم به، إذ لقي بالمشرق الإمام أحمد بن حنبل، وأخذ عنه مصنَّفه وتفقه عليه، ولقي أيضًا غيره، حتى صنَّف «المسند المصنَّف» الذي لم يصنَّف في الإسلام مثله، وكان هؤلاء المقلدة قد صمَّموا على مذهب مالك، بحيث أنكروا ما عداه، **وهذا هو تحكيم الرجال على الحقِّ، والغلو في محبة المذهب**»[1]، إلخ ما قال». اهـ

=

و«سلسلة دروس: التوضيح في الرد على محمد بن حسَّان»، «وسلسلة دروس: الردَّ على الحدادية»، ومقال: «حدادية أم خارجية جديدة» ...إلخ، فأين جهودك يا صاحب التعصُّب والمين في ذمِّ طرائق هؤلاء ..؟ والمتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور!!

و[إن من المصائب الكبرى في العصر الحاضر أن يضطر المسلم الطالب للعلم إلى إضاعة كثير من وقته في الدفاع عن نفسه، ورد التهم والأباطيل عن شخصه التي ألصقها به بعض الناس مِمَّن لا يخشون الله ولا يستحون من عباد الله؛ مصداقًا لقوله ﷺ: «**إن مِمَّا أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت**»]. [ما بين المعقوفين مقتبس من مقدمة الإمام الألباني -رحمه الله- على «كشف النقاب عمَّا في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات»].

(١) قال الشيخ الوالد حسن -حفظه الله-: «رحم الله الأئمة الأربعة وإخوانهم من أهل الأثر، وجزاهم
=

قلت: فكأنهم يقولون بلسان حالهم:

يــــا ربِّ مـــــن عـــــادى أبي فعـــــادِه   وارم بِـــــسهمين عـــــلى فـــــؤاده[1]

والذي خبر حال المتعصِّبين يدرك أن هؤلاء المقلِّدة المتعصِّبة للحويني، إذا هو تراجع عن المخالفات المنسوبة إليه، فإنهم سوف يتراجعون معه، وإذا ثبت وصبر عليها، ثبتوا معه، إلا من رحم الله؛ وأخطر ما في الأمر أنهم يظنون أنهم يتقربون إلى الله سبحانه بهذا التعصُّب المقيت لشيخهم؛ فصدق العلامة المقبلي -رحمه الله- حينما قال في «إيثار الحق الشامخ على الآباء والمشايخ» (٣٨٨):

«وأما إنك تشرَّب قلبك حب قوم وكراهة آخرين، ثم تأخذ بقية عمرك في تثبيت ذلك البناء، وهو على شفا جرف هار، وتغر نفسك أنك أردت الله بذلك، وأنت تعلم خلاف ذلك إن أنصفت، فهذه إنما هي حمية الجاهلية الأولى إلا أنها غلبت على الناس[2]». اهـ

وقال الإمام ابن باز -رحمه الله- في وصف تلك العاطفة الجامحة التي غلبت على المتعصِّبين، كما في تعليقه على «اقتضاء الصراط المستقيم» (الفوائد العلمية من الدروس البازية ٢١/٧): «كل هذا من المحبة الزائدة التي ليس لها قيود بسبب الجهل، **فإن كانت المحبة ليس لها قيود، ولم تكن على بصيرة؛ أوقعت أهلها في الغلو في المشايخ**، وفي الأنبياء، وفي العُبَّاد، حتى يشبهوا النصارى، أو يقعوا فيما هو شرٌّ من النصارى». اهـ

ومن المنتظر أيضًا من رؤوس المتعصِّبة -على حسب عهدنا بهم[3]- أن يسلكوا معي

=

الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وإنّما دعوا إلى اتباع الدليل الصحيح، ونعوا على المقلِّدين بغير دليل صحيح صريح».

(١) ديوان الحماسة لأبي تمَّام حبيب بن أوس الطائي (م ٢٣١هـ) (ص٢١٢- ط مكتبة الآداب).

(٢) والحويني نفسه أنكر هذا التعصُّب المقيت للشيخ، قال في مقدِّمته على كتاب «الدُّر النضيد في أدب المفيد والمستفيد» للغزي العامري (ص٦): «وقد رأيتُ بعض من تصدر في هذا الباب -أي: باب التربية- يربي، ولكنه خلط التربية السلفية بالتربية الصوفية، فالشيخ عنده كأنه معصومٌ لا يُخطئ، والطالب كأنه ميت لا اختيار له». اهـ

(٣) ممَّا لا نتمناه، ولا نرجوه.

-ومع من نصر الحقِّ المذكور في هذا البحث- ما أصَّله حزب الإخوان -المفلسين من العلم النافع- في التعامل مع مَن يخالفهم وينتقدهم، مِمَّا بيَّنه الشيخ صالح آل الشيخ خلال تعداده لمظاهر حزب الإخوان وأصوله بقوله:

«ومن مظاهر الجماعة -أي جماعة الإخوان- وأصولها أنهم يُغْلِقون عقول أتباعهم عن سماع القول الذي يُخالف منهجهم ولهم في هذا الإغلاق طُرق شتَّى متنوعة، منها إشغال وقت الشاب جميعًا من صبحه إلى ليله حتى لا يسمع قولاً آخر، ومنها أنهم يُحذّرون مِمَّن ينقدهم فإذا رأوا واحدًا من الناس يعرف منهجهم وطريقتهم وبدأ في نقدهم وتحذير الشباب من الانخراط في الحزبية البغيضة أخذوا يُحذّرون منه بطرق شتّى، تارة باتهامه وتارة بالكذب عليه، وتارةً بقذفه في أمور هو منها براء، ويعلم أن ذلك كذب، وتارةً يقفون منه على غلط فيشنّعون به عليه، ويُضخمون ذلك حتى يصدوا الناس عن اتّباع الحق والهدى، وهم في ذلك شبيهون بالمشركين -يعني في خصلة من خصالهم- حيث ينادون على رسول الله ﷺ في المجامع بأن هذا صابئ، وأن هذا فيه كذا وكذا حتى يصدوا الناس عن اتّباعه».

قلت: وقال الجوزجاني في «أحوال الرجال» (ص٣٢): «حدثني عبد السلام بن يُحْمَد، ونُعَيم بن حمّاد قالا: حَدَّثنا بقيَّة، حَدَّثني بَحير بن سعد، عن خالد بن مَعْدان قال: مَنْ اجترأ على المَلاوِم في موافقة الحقِّ؛ ردَّ الله له تلك المَلاوم حَمْدًا، ومَن التمسَ المحامد في مُخالفة الحقِّ؛ ردَّ الله له تلك المحامد عليه ذمًّا».

وصدق مَن قال:

ولقد أمُرُّ على اللَّئيم يسُبُّني ... فمضيت، ثُمَّتَ قلت: لا يعنيني[1]

فحال هؤلاء هو حال من وصفهم ابن قيم الجوزية في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» حيث قال في (٦٠٣/١): «**ومن صفاتهم**: كتمان الحق والتلبيس على أهله ورميهم

---

(١) دلائل الإعجاز لعبدالقاهر الجرجاني (ص٢٠٦)، وقال مُحققه: العلامة محمود شاكر -رحمه الله-: «هو من شعر شِمر بن عمرو الحنفي، وقيل: لرجل من بني سلول، والشعر في الأصمعيات رقم (٣٨)، ورواه سيبويه في الكتاب (١/ ١٧٣)، وتفسير الطبري (٢/ ٣٥١)، وبعده:

غضبان، ممتلئًا علَيَّ إهابُهُ ... إني وربِّك سُخطُهُ يُرضيني

له بأدوائهم؛ فيرمونهم إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ودعوا إلى الله ورسوله بأنهم أهل فتن مفسدون في الأرض، وقد علم الله ورسوله والمؤمنون بأنهم أهل الفتن المفسدون في الأرض، وإذا دعاهم ورثة الرسول إلى كتاب الله وسنة رسوله خالصة غير مشوبة؛ رموهم بالبدع والضلال، وإذا رأوهم زاهدين في الدنيا راغبين في الآخرة متمسكين بطاعة الله ورسوله رموهم بالزوكرة والتلبيس والمحال، وإذا رأوا معهم حقًا ألبسوه لباس الباطل، وأخرجوه لضعفاء العقول في قالب شنيع؛ لينفروهم عنه، وإذا كان معهم باطل ألبسوه لباس الحق وأخرجوه في قالبه ليقبل منهم، وجملة أمرهم أنهم في المسلمين؛ كالزغل في النقود يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ويعرف حاله الناقد البصير من الناس، وقليل ما هم وليس على الأديان أضر من هذا الضرب من الناس، **وإنما تفسد الأديان من قِبَلهم**»[1].اهـ

---

(١) وهذا عين ما صنعه صاحب «التعصُّب والمين» الجزائري في دفاعه عن الحويني، حيث قال في بداية مقالاته التالفة (الحلقة الأولى): «وإن كان سوء الفهم في الموقف والموقفين يعذر به كلّ أحد إذ لا ينجوا منه إلاَّ من عصمه الله تعالى، فكيف بسوء القصد، الذي بدا ظاهرًا في أمور:

الأوّل: نسبة أقوال إلى أهل العلم ما قالوها أصلاً باستغلال جهل المتلقّين بدلالات الألفاظ وطريقة فهم كلام العلماء من جهة، وتسليمهم له على طريقة (اعتقد ولا تنتقد) من جهة أخرى والله المستعان.

الثّاني: نسبة عقائد باطلة إلى مخالفيه بمجرّد الظنّ والتّوهّم و فلتات اللّسان التي لو جعلناها مقياسَ عدل لآلت بنا إلى تبديع جماهير الدّعاة إلى الله كما هو لازم فهمه و زعمه الذي ستراه».

قلت: رمتني بدائها وانسلت، فإن الناظر في حلقاتك يدرك بلا أدنى ريب كذب هاتين الدعوتين، وأنك أنت الواقع فيهما، ولكن كما قيل: حبك للشيء يعمي ويصم.

ثم قال: «**الثّالث**: الحيدة على الكلمات الصّريحة النّافية لتلك العقائد الباطلة، والتي عُرف بها من يطعن فيهم على مدى مشوارهم الطويل في الدّعوة إلى الله تعالى، حتّى والكلماتُ المصرّحة بعقيدة أهل السنّة في الموضع نفسه وفي السّياق نفسه الذي أخذ منه الأستاذ معتمده في نسبة الباطل إلى (ضحاياه) و لا حول و لا قوّة إلا بالله.

الرّابع: بترُه لكلام الشّيخ بحيث ينقلب المعنى تمامًا، بما ينتبه إليه كلّ ذي عينين في رأسه ويأنفه كلّ من خالط قلبُه نسيم الصّدق والأمانة العلميّة».

قلت: دعك من هذا الإجمال، وحدِّد هذه المواضع التي أنا صنعت فيها هذا، حتى يظهر للقارئ صدقك من كذبك، ووالله لو كان عنده مثالاً واحدًا صادقًا يثبت ادعاءه لساقه، ولكنه فقير الحجة يحتاج إلى مَن يتصدق عليه أو يأويه من هذا الظلام الذي يتخبط فيه.

=

وقال أوس بن حجر[1]:

وَإِنِّـــي وَجـــدتُ النّـــاس إلاّ أقلهـــم خِفــاف عهـــودٍ يُكثـــرونَ التَّنَـــقُّلا

وَلَـيْسَ أخـوكَ الـدّائمُ العهـد بالَّـذِي يَــذُمُّك إنْ وَلَّـــى ويُرضـــيك مُقْـــبِلا

وَلكنّـــهُ النّـــائي إِذا كُنـــتَ آمنًـــا وصـاحِبُك الأدْنَـى إذا الأمـرُ أعْـضَلا

وإني أنصح الذين يدخلون في مناظرات دفاعًا عن الحويني وغيره أن يتأدبوا بآداب المناظرة، وقد ذكرت شيئًا منها في كتاب «التعصُّب للشيوخ»، وللفائدة أذكر كلامًا نفيسًا للسُيوطي في «مقاماته» يتعلّق بأحوال المتناظرين، حيث قال في (٣٨٦):

«إنّما طريقة المناظرة ما أنبّئك به فاستفِده منّي وارْوِه عنّي: كان أئِمّة الدّينِ إذا أرَادُوا المُجاهرة وعَقدُوا مَجلسًا لِلمُناظرة، هُما فريقان: مُحدّثٌ وفَقِيهٌ، فالمحدّثُ يُلقي أحاديثَ ويسألُ عنها صِحّةً وضُعفًا، وعمّا فيها مِن علّةٍ قادحةٍ تَخفَى، فهنالك يَتبيّن النّاقدُ، ويظهرُ اليَقَظَانُ من الرّاقد، والفقِيهُ يُلقِي مسألةً خِلافيةً، ويَنتصِر لأحد القولين، ويُقيمُ الدّليلَ عليه من النّقلِ والقياس بجدٍّ واجتهادٍ من غير هينٍ أو لينٍ، فإذا فرغ من تقرير ما عِندَهُ، انتَدبَ خَصمَهُ مُنتصِرًا لِلقولِ الثّاني وأفسد ما قرّره الأوّل وردّه، فيعود الأول إلى إصلاح ما أفسد

=

ثم قال: «وكفرع تابع لهذا الأصل الذي اتّكأ عليه الأستاذ [أبو] عبد الأعلىٰ المصري، أنه أيضًا استشهد بكلام مبتور نقله كذّابون لبعض الشّيوخ الذين أمضىٰ الأستاذُ تبديعَهم المبنيّ علىٰ ذلك البتر ناسيًا أنّ ما بني علىٰ باطل فهو باطل».

قلت: هذه كسابقتها تفتقر إلىٰ حجة لإثباتها، أما إطلاق الكلام علىٰ عواهنه فهذا يحسنه كل أحد، خاصة أهل البدع الذين من أبرز سماتهم: الإطلاق والإجمال تهربًا من الحق وإخفاء للباطل، وذلك أنه لو ساق كلام الحويني الذي بنىٰ عليه هؤلاء العلماء حكمهم علىٰ الحويني، لسقط تهويشه وبان تدليسه، ولكنه يسعىٰ بكل ما أوتي من أسباب إلىٰ التغطية علىٰ الباطل الظاهر في كلام الحويني حتىٰ لا ينكشف أمره، لكنه نسي أن الباطل عمره قصير، وأن مآله إلىٰ الزوال كما اقتضت سنة الكبير المتعال. وسوف يظهر للقارئ المنصف -إن شاء الله- صدق نقدنا المبني علىٰ التجرد للحق دون تعصُّب لأحد.

(١) ديوانه (٩١)، والمصون في الأدب (ص١٤٩).

الثاني؛ فيعود الثاني إلى هدم ما أعاده الأول من المباني، ولا يزالان في إبداء كسرٍ ومناقضةٍ، وهدمٍ ومعارضةٍ، إلى أن ينقطع أحدهما، أو ينفد ما عندهما، وذلك بأدبٍ وحفظ لسان، وحسنِ تصرّفٍ في الكلام وإحسانٍ، وسكونِ أطرافٍ، وإذعانٍ للحقّ واعترافٍ، وتقديمِ تصحيحِ للنيّةِ، وإخلاصٍ للطّويةِ، ولا يقصدون بذلك إلا وجه الله الكريم، وإحياء العلم على الطّريق المستقيم، هذا مصطلح السلف، ومن اقتفى آثارهم من الخلف». اهـ

وفي الجانب الآخر، من المنتظر -الذي لا نرجوه- أن تجد بعض أدعياء العلم -من أقران الحويني وأصفيائه وموافقيه من الخطباء والقصّاص- حالهم مع العالم الذي يقوم بأمر الله -عز وجل- ويصدع بالحقّ، كحال من وصف العلامة المعلّمي اليماني -رحمه الله- بقوله[1]: «وكلّما قام عالم فقال: هذا سنة، أو هذا بدعة، عارضه عشرات أو مئات من الرؤساء في الدين الذين يزعم العامة أنهم علماء[2]، فردوا يده فيه، وبالغوا في تضليله والطعن فيه، وأفتوا بوجوب قتله أو حبسه أو هجرانه، وشمّروا للإضرار به وبأهله وإخوانه[3]، وساعدهم ثلاثة من العلماء: عالم غال، وعالم مفتون بالدنيا، وعالم قاصر في معرفة السنة، وإن كان متبحرًا في غيرها»[4].

وصدق أبو محمد عبد الله بن محمد بن فرحُون المالكي -رحمه الله- حينما قال في استهلاله لكتابه «نصيحة المشاور وتسلية المجاور» (ص٧- ط مكتبة الثقافة الدينية):

«فإن الله تعالى رفع أهل العلم بما علّمهم، وشرّفهم بما وهبهم من معرفة كتابه وسنة نبيه ﷺ، ثم عظّم لهم الأجر بما سلّط عليهم من جَهَلَة الناس -نعوذ بالله من الوسواس الخنّاس- تجدهم يحرصون على هضم جانب العلماء، ولو تمكّنوا لأبادوهم عن آخرهم

(١) صدع الدجنة في فصل البدعة عن السنة (ص٦٣).

(٢) وهذا كالقُصّاص والوعّاظ في زماننا هذا والذين صاروا في أعين العامة علماء، خاصة بعد انتشار بعضهم عبر القنوات الفضائية، فإذا جرحت واحدًا منهم بحقٍّ، ثار عليك الغوغاء والجهال قائلين: كيف تتكلّم في العلماء!! وهذا من غربة الحق وأهله.

(٣) نسأل الله سبحانه أن يُسلّمنا من شرّهم، وأن يجعل كيدهم في نحورهم.

(٤) والثلاثة قد امتلأت بهم القنوات الفضائية.

بسعيهم عليهم وتَوَقُّع هلكهِم، كُلُّ ذلك لأجل قيامهم عليهم بالحق عند خلافهم الشرع، وما هذه إلا بليّة، وفتنة جاهلية، قدرها الله تعالى على العلماء الذين هم وَرثة الأنبياء ...لكن جهل أهل زماننا مركَّب من جهلين: يجهلون، ويجهلون أنهم يجهلون، ولبعضهم:

إِذَا كُنْـتَ لاَ تـدري وَلـم تـكُ بالـذي تـسائل ذا علـم فيـا ضـيعةَ العُمـر!

ومـن أعظـمِ الأشـياء أنَّـك جَاهِـل وَإِنَّـك لا تـدري بأنَّـك لا تـدري

تراهم لباس الفضلاء يلبسون، وبالحدس والتخمين يفتون، ويقولون ما لا يفعلون ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]». اهـ

وتدَبَّر معي أخي القارئ هذه الآيات من سورة النساء، قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ [النساء: ٤٤].

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تفسيره (٤٢٨/٨): «يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ﴾، اليهود الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب، يختارون الضلالة، وذلك: الأخذ على غير طريق الحقّ، وركوبُ غير سبيل الرشد والصواب، مع العلم منهم بقصد السبيل ومنهج الحق».

قلت: كما هو معلوم عند علماء التفسير أن الله -جل ذكره- يذمُّ أهل الكتاب في بعض آياته تحذيرًا لهذه الأمة أن يظهر فيهم مَن يسلك مسلكهم ويقتفي أثرهم، وعليه فإن أهل البدع والأهواء من أهل القبلة لهم نصيبٌ من الذمِّ المذكور في هذه الآيات إذا هم سلكوا المسلك نفسه.

وهناك طوائف من أهل الأهواء -مِمَّن أوتوا نصيبًا من العلم- يختارون الضلالة ويركبون غير سبيل الرشد والصواب، بعدما تبيَّن لهم الحق وظهرت لهم المحجة؛ فهؤلاء -وإن كانوا من أهل القبلة- إلا إنهم شابهوا المغضوب عليهم من اليهود في بعض طرائقهم؛ فليحذر كلٌّ منا من هذا السبيل[1].

---

(١) قال شيخ الإسلام -رحمه الله- في «الاستغاثة في الردّ على البكري» (ص٣٩١): «وأهل السُّنة إذا تقابلوا هم وأهل البدعة، فلهم نصيبٌ من تقابل المؤمنين والكفَّار».

وقال البقاعي في «نظم الدُّرَر في تناسب الآيات والسور» (٢/٣٢٤) في بيان مناسبة هذه الآية في هذا الموضع: «... التخويف من أن يكون حالهم كحال المنافقين في إضلال أهل الكتاب لهم بإلقاء الشبهة وأخذهم من الموضع الذي تهواه نفوسهم ومضت عليه أوائلهم، وأشربته قلوبهم، والترهيب من أن يكونوا مثلهم في الإيمان ببعض والكفر ببعض، فيؤديهم ذلك إلى إكمال الكفر، لأن الدين لا يتجزأ، بل من كفر بشيء منه كفر به جميعه، ومن هنا ظهرت مناسبة آخر هذه السورة لأولها، لأن أولها مشير إلى أن الناس كلهم كشيء واحد، وذلك يقتضي عدم الفرق بينهم إلا فيما شرعه الله...».

ثم قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَآئِكُمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٤٥].

جاء في تفسير حقّي (٢/٤٧٩): «فلا تقبلوا نصيحتهم فيما يقطعون عليكم طريق الحق ويردونكم عنه ويصدونكم عن الله بالتحريض على طلب غير الله، ورعاية حق غير الله[1]، وأطيعوا أمر الله تعالى فيما أمركم به».

﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٤٦].

يقول الشيخ السعدي -رحمه الله- في تفسيره «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان» (١/١٨٠): «فهذا حالهم في العلم أشر حال، قلبوا فيه الحقائق، ونزّلوا الحق على الباطل، وجحدوا لذلك الحق، وأما حالهم في العمل والانقياد فإنهم ﴿وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أي: سمعنا قولك وعصينا أمرك[2]، وهذا غاية الكفر والعناد والشرود عن الانقياد، وكذلك يخاطبون الرسول ﷺ بأقبح خطاب وأبعده عن الأدب فيقولون: ﴿وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾ قصدهم: اسمع منا غير مسمع ما تحب، بل مسمع ما تكره، ﴿وَرَٰعِنَا﴾ قصدهم بذلك الرعونة، بالعيب القبيح، ويظنون أن اللفظ -لما كان محتملاً لغير ما أرادوا من

---

(١) من المشايخ المعظَّمين والدعاة المشهورين على حساب حقِّ الله سبحانه.

(٢) وهذا حال المتعصِّبين يسمعون الحق المتضمن ذكر الأدلة التي فيها بيان الحكم على مشايخهم الذين يتعصَّبون لهم، ثم يقولون للنَّاصح لهم: سمعنا قولك، وعصينا هذا الحقَّ.

الأمور- أنه يروج على الله وعلى رسوله[1]، فتوصلوا بذلك اللفظِ الذي يلوون به ألسنتهم إلى الطعن في الدين والعيب للرسول، ويصرحون بذلك فيما بينهم، فلهذا قال: ﴿لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ﴾».

وقال حقّي في تفسيره (٤٧٨/٢): «**والتحريف نوعان: أحدهما**: صرف الكلام الى غير المراد بضرب من التأويل الباطل كما يفعل أهل البدعة فى زماننا هذا بالآيات المخالفة لمذاهبهم. **والثاني**: تبديل الكلمة بأخرى، وكانوا يفعلون ذلك نحو تحريفهم في نعت النبي ﷺ أسمر ربعة عن موضعه فى التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه، ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله.

﴿وَيَقُولُونَ﴾ في كل أمر مخالف لأهوائهم الفاسدة سواء كان بمحضر النبى عليه السلام أم لا بلسان المقال والحال ﴿سَمِعْنَا﴾ قولك ﴿وَعَصَيْنَا﴾ أمرك عنادًا وتحقيقًا للمخالفة...».

وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧].

قال ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره (٣٢٣/٢): «وهــذا مثـل ضربه الله لهم في صرفهم عــن الحق وردهم إلى الباطل ورجوعهم عن المحجة البيضـاء إلى سبل الضلالــة يهرعون ويمشون القهقرى عــلى أدبارهم، وهــذا كمــا قال بعضهم في قـوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس ٨، ٩]، إن هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم عن الهدى».

قلت: وكذلك هو مثل مضروب لأهل الأهواء من هذه الأمة الذين شابهوا أهل الكتاب في ردّ الحق بالهوى.

---

(١) كما ظنَّ الحويني أنه لَمَّا أطلق بعض العبارات الموهمة نحو: «المصر مستحل»، «أخص خصائص توحيد الإلهية توحيد الحاكمية ...إلخ»؛ أنها سوف تروج على أولياء الله من العلماء الذين هم ورثة الأنبياء.

وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء: ٤٩].

قلت: وهذا حال أهل الأهواء يزكُّون أنفسهم بما لم يزكهم به أهل العلم، ويزكِّيهم أتباعهم المتعصِّبون بما لا يستحقون؛ فهم بهذا شابهوا أهل الكتاب في تزكيتهم أنفسهم بأنهم أبناء الله وأحباؤه، وكذلك أهل البدع -خاصة الخوارج وأذيالهم في الزمن المعاصر- يعتقدون في أنفسهم أنهم هم الصالحون الملتزمون المقربون إلى الله السائرون على هدي رسول الله ﷺ.

قال الشوكاني في فتح القدير (١٥٩/٢): «واللفظ يتناول كل من زكَّى نفسه بحق أو بباطل من اليهود وغيرهم، ويدخل في هذا التلقب بالألقاب المتضمنة للتزكية، كمحيي الدين، وعز الدين، ونحوهما، قوله: ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [هود: ٤٩]. أي: ذلك إليه سبحانه، فهو العالم بمن يستحق التزكية من عباده، ومن لا يستحقها، فليدع العباد تزكية أنفسهم، ويفوِّضوا أمر ذلك إلى الله سبحانه، فإن تزكيتهم لأنفسهم مجرد دعاوى فاسدة تحمل عليها محبة النفس، وطلب العلوّ والترفع والتفاخر، ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢]». اهـ

وبعد ذلك بعدة آيات قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾ [النساء: ٦٠-٦٢].

قلت: هذه الآيات يحملها الخوارج الجدد -السروريون القطبيون- على الحكّام فقط، وينزهون أنفسهم وغيرهم من أهل البدع -وإن كبُرت بدعهم- عن الوقوع في التحاكم إلى الطاغوت.

وهم في أمرهم هذا يركِّزون على التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله في المسائل المتعلِّقة بإقامة الحدود ووضع ضوابط الأعراف والتقاليد والأزياء ... كما تعلَّموا من سيد قطب! أما إذا جئنا إلى المخالف في مسائل المعتقد التي بها يبدَّع، والتي تعتبر من

أعظم ما يتحاكم فيه إلى الطاغوت؛ فإنهم يلوون رءوسهم مستكبرين صادِّين عنك، لا يقبلون منك حكمًا منصفًا مؤيِّدًا بالحجج النيرات من الكتاب والسنة، مدعمًا بأقوال أئمة السلف.

ولو كان دعاة القطبية السرورية صادقين في دعواهم في إنكارهم على كل مَن يتحاكم إلى الطاغوت، فأين موقفهم المعلن الصريح من رءوس الأحزاب المعاصرة الذين صدرت عنهم أقوال شنيعة في حق الله -عز وجل-، وفي حق دين الإسلام؟!

أين موقفهم الواضح المعلَن من مواقف وأقوال حسن البنا وسيد قطب والمودودي والترابي والقرضاوي ومحمد الغزالي ومحمد سرور وأسامة بن لادن وأيمن الظواهري والمسعري وأبي قتادة الفلسطيني وأبي محمد المقدسي ... إلخ، والتي كانت مبنية على الهوى المحض لا على اجتهاد في تحري الحقّ، كما بيَّن هذا أمناء هذه الأمة من علماء السنة؟!

فالذين يعظِّمون مشايخهم، ولا يقبلون فيهم كلمة نقد بحقٍّ، ويتأوَّلون مخالفاتهم للكتاب والسنة بتأويلات متكلِّفة، يتمحلون فيها، نحو هذا الشاب الجزائري -صاحب مقالات كشف التعصُّب والمين-، فهؤلاء أحوج أن يخاطبوا بهذه الآية، وأن يُنذَروا بهذا الوعيد من حكّام الدول ورؤساء الدنيا، فإن الرئاسة في الدين أخطر من الرئاسة في الدنيا؛ حيث إن رؤساء الدنيا يقتصر خطرهم على أنفسهم، وإن تعدى خطرهم إلى من وَلُوا فإن هذا الخطر -في الغالب الأعم- يمس دنيا هؤلاء دون أديانهم، وإن مسَّ أديانهم يمسها في جانب الشهوات فقط، وأما أصحاب الرئاسة في الدين فإن خطرهم يتعدى إلى أديان الناس ومعتقداتِهم التي بها تكون نجاتُهم في الآخرة من عذاب الله والآخرة هي دار القرار، فإن فساد دين العبد يكون بسبب فساد الرؤساء في الدين، لا بسبب فساد رؤساء الدنيا.

[فلا يكبرن عليك إنكارنا على الحويني وغيره وهم في نظرك من الأكابر، فإن الشرع هو المنكر لا نحن، وقد قيل لأحمد: إن ابن المبارك يقول كذا وكذا، فقال: إن ابن المبارك لم ينزل من السماء، وقيل له: إبراهيم بن أدهم، فقال: جئتموني ببنيات الطريق، عليكم بالأصل...

فلا ينبغي أن يُترَك الشرع لقول معظَّم في النفس، فإن الشرع أعظم][1].

---

(١) مقتبس بتصرف يسير من «تلبيس إبليس» لابن الجوزي (ص١٥٧).

وإن رجوع أبي إسحاق الحويني إلى الحق في المسائل المنتقدة عليه، أحبّ إلينا من تماديه فيها وإصراره عليها.

وإني أذكّره بتراجعات الأئمة السابقين والتي بها ضربوا أروع الأمثلة في التجرد للحقّ والإنصاف، كما قال ابن الجوزي في «تعظيم الفتيا» (ص٩١): «وقد كان السلف -قدّس الله أرواحهم- من إذا عرف أنه قد أخطأ لم يستقر له ظهر حتى يظهر خطأه ويُعلم من أفتاه بذلك».

وختم الخطيب كتابه «الفقيه والمتفقه» (٢/٤٢١) بباب: «رجوع المفتي عن فتواه إذا تبين له أن الحق في غيرها».

وعن سعيد بن أبي بردة وأخرج كتابًا فقال: «هذا كتاب عمر -ثم قرئ على سفيان من هاهنا إلى أبي موسى الأشعري- أما بعد؛ فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة...»، إلى أن قال: «لا يمنعك قضاء قضيته بالأمس راجعت فيه نفسك وهديت فيه لرشدك أن تراجع الحق، **فإن الحق قديم، وإن الحق لا يبطله شيء، ومراجعة الحق خير من التمادي في الباطل**»[1].

---

(١) أخرجه الدارقطني في سننه (٤/ ٢٠٧)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٩)، وابن عبد البر في الاستذكار (٧/ ١٠٣)، وابن حزم في المحلى (٩/ ٣٩٣)، وفي الإحكام (٧/ ٤٤٣)، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٣٢/ ٧٢) من طريق سفيان به، وقال: «ورواه أحمد بن حنبل وغيره عن سفيان».

وأخرجه يعقوب بن سفيان في المعرفة والتاريخ (٢/ ٥٨٠) حدثنا أبو بكر -هو الحميدي-، حدثنا سفيان، حدثنا إدريس بن يزيد الأودي قال: أخرج إلينا سعيد بن أبي بردة رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري فقال: هذه رسالة عمر إلى أبي موسى الأشعري.

ثم قال يعقوب: وكان سعيد بن أبي بردة وصيَّ أبيه.

قلت: وهذا إسناد صحيح إلى سعيد -وهو حفيد أبي موسى الأشعري-، وروايته عنه هنا وجادة، حيث إنه ورث هذا الكتاب عن أبيه أبي بردة الذي ورثه بدوره عن أبي موسى؛ والرواية بالوجادة حجة على الراجح.

وقال البيهقي في الكبرى (١٠/ ١٥٠)، وفي معرفة السنن والآثار: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ، ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب، ثنا محمد بن إسحاق الصغاني، ثنا محمد بن [illegible] الله بن كناسة، ثنا جعفر بن برقان، عن معمر البصري، عن أبي العوام البصري قال: كتب عمر فذكره.

وأخرجه ابن شبة في تاريخ المدينة (١٣٢٥)، وابن حزم في الإحكام (٧/ ٤٤٢) من طريق عبد الملك بن
=

وبوَّب ابن أبي حاتم في «تقدمة الجرح والتعديل» (ص٢٠٣) في ترجمة الأوزاعي -رحمه الله-: «باب: ما ذُكر من سرعة رجوع الأوزاعي إلى الحق، إذا سمعه»، ثم قال: «ذكره أبي نا العباس بن الوليد بن مزيد قال: سمعت أبي وعقبة بن علقمة يذكران قالا: ما رأينا أحدًا أسرع رجوعًا إلى الحق إذا سمعه من الأوزاعي».

وأخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦٥/٥١)، والحافظ ابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٤٥) من طريق البويطي قال سمعت الشافعي يقول: قد ألَّفت هذه الكتب ولم آل منها، ولا بد أن يوجد فيها الخطأ، لأن الله تعالى يقول: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢]، فما وجدتم في كتبي هذه مِمَّا يُخالف الكتاب أو السنة فقد رجعت عنه.

وقال ابن حزم في المحلى (٧٤/٦): «ثم استدركنا فرأينا أن حديث جرير بن حازم مسند صحيح لا يجوز خلافه، وأن الاعتلال فيه بأن عاصم بن ضمرة أو أبا إسحاق أو جريرًا خلط إسناد الحارث بإرسال عاصم هو: **الظن الباطل الذي لا يجوز**».

وعلَّق العلامة أحمد شاكر -رحمه الله- في الحاشية على هذا الكلام قائلاً: «لله در أبي محمد بن حزم رأى خطأه فسارع إلى تداركه، وحكم بأنه الظن الباطل الذي لا يجوز، وهذا شأن المنصفين من أتباع السنة الكريمة وأنصار الحق وهم الهداة القادة، وقليل ما هم؛ رحمهم الله جميعًا». اهـ

=

الوليد بن معدان قال: حدثنا أبي، قال: كتب عمر إلى أبي موسى الأشعري -رضي الله عنهما-...
قال ابن حزم: «عبد الملك بن الوليد بن معدان، وهو كوفي متروك الحديث ساقط بلا خلاف، وأبوه مجهول».

وأخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (٢٤٢٣) قال حدثنا إبراهيم بن مسلم الخوارزمي عن وكيع عن سفيان عن رجل عن الشعبي قال: كتب عمر..

وأخرجه ابن عبد البر في الاستذكار (٧/ ١٠٣) من طريق أحمد بن عمر بن عبد الخالق البزار قال: سمعت أبي يقول: حدثني فضيل بن عبد الوهاب قال: حدثني أبو معشر، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه -أبي بردة بن أبي موسى الأشعري قال: كتب عمر..

قلت: هذه طرق مختلفة المخرج، وإن كان فيها ضعف، لكنها إذا جمعت مع وجادة سعيد بن أبي بردة، ثبت أن للرسالة أصلاً، وهذا ما جنح إليه الحافظ في التلخيص (٤/ ١٩٦)، وانظر البدر المنير (٩/ ٦٠٥).

وقد تراجع أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- عن مذهب المعتزلة، وإن كان بقي في منهجه شيء يسير من بقايا الاعتزال، فلم يتمكن من الانفكاك عن الأصول الكلامية بالكليَّة.

وهذه تراجعات الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في فتح الباري معروفة مشهورة، ونحوها تراجعات الإمام الألباني -رحمه الله-، وقد قال -رحمه الله- في مقدمة المجلد الثاني من الصحيحة (ص٥): «فأنا بفضل الله أرجع إلى الحق إذا بدا لي من غيري مهما كان شأنه، وكتبي وتراجعي عما تبين لي من خطئي أكبر شاهد على ما أقول؛ **حتى اتخذ ذلك بعض الصبيان الناشئين الجاهلين غرضًا لينسبني إلى ما لا يليق وبأمثاله من الزائغين الضالين**». اهـ

وسئل الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى- كما في محاضرة له بعنوان: «شرف العلم وآداب أهله» (ط - دار الضياء):

إذا سئل شخص عن مسألة فأفتى فيها، وبعد مدة تبين له أن ما أفتى به غير صحيح، فماذا عليه أن يفعل؟

الجواب: عليه أن يرجع إلى الصواب ويفتي بالحق، ويقول: أخطأت، كما قال عمر: «الحق قديم».

فعليه أن يرجع إلى الصواب، ويفتي بالحق ويقول: «أخطأت في المسألة الأولى، أفتيت بكذا وكذا، ثم اتضح لي أنها خطأ، والصواب كذا وكذا»، ولا بأس عليه في ذلك، بل هذا هو الواجب عليه، فالنبي ﷺ -وهو رأس المفتين- لما سأله الناس عن التلقيح -وهو تأبير النخل-، قال: «ما أظنه يضر لو ترك»، ثم أخبره أنه يضره، فقال: «إنما أخبرتكم عن رأيي والرأي يخطئ ويصيب، أما ما أحدثكم به عن الله فإني لن أكذب على الله»، وأمرهم أن يرجعوا إلى التلقيح.

كذلك عمر -رضي الله عنه- أفتى بإسقاط الإخوة في المسألة المشتركة، ثم أفتى بالتشريك بناء على ما ترجح لديه في ذلك.

فالرجوع إلى ما يعتقد العالم أنه الصواب والحق أمر معروف، وهو ما عليه أهل العلم والإيمان، ولا حرج في ذلك ولا نقص، بل ذلك يدل على فضله وقوة إيمانه حيث رجع إلى الصواب وترك الخطأ.

ولو قـال بعض الناس أو بعض الجهلة: «إن هذا عيب»، فهذا ليس بشيء، والصواب أنه فضل وأنه منقبة وليس بنقص».اهـ

وقـال العلامـة الألبـاني -رحمـه الله- كمـا في «السلـسلة الـضعيفة» (مقدمـة المجلـد الخامس، ص١١): «طالما ما أقول مذكرًا إخواني: إن العلم لا يقبل الجمود، أكرِّر ذلك في مجالسي ومحاضراتي، وفي تضاعيف بعض مؤلَّفاتي، وذلك مِمَّا يوجب على المسلم أن يتراجع عن خطئه عند ظهوره، وأن لا يجمد عليه، أسوة بالأئمة الذين كان للواحد منهم في بعض الرواة أكثر من قـول واحـد توثيقًا وتجريْحًا، وفي المسـألة الفقهية الواحـدة أقـوال عـديـدة، وكلُّ ذلك معـروف عند العلماء، من أجل ذلك فإنه لا يصعب عليَّ أن أتراجـع عـن الخطـأ إذا تبـيَّن لـي، و﴿ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٨]». اهـ

وقال شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- في مقال له بعنوان: «قبول النصح والانقياد للحق من الواجبات العظيمة على المسلمين جميعًا»:

«قبـول النـصح واتبـاع الـحق مـن أوجـب الواجبـات علـى المسلمين جـميعًا مـن أي مصدر كان، **ولا يجوز للمسلم أن يستصغر الناصح أو يحتقره مهما كان شأنه.**

وأعوذ بالله أن أرد نصيحة أو أدافع عن خطأ أو باطل صدر مني فإن هذا الأسلوب المنكر إنما هو من طرق أهل الفساد والكبر والعناد، ومن شأن الذين إذا ذكِّروا لا يذكرون، وأعوذ بالله من هذه الصفات القبيحة.

وأسـأل الله أن يجعلني مِمَّـن قـال فـيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا﴾ [الفرقان: ٧٣]، وأنصح نفسي وجميع المسلمين باتباع هذا المنهج والثبات عليه، وقبول نصح الناصحين والسير في طريق السلف الصالح في التناصح والتواصي بالحق وقبـول النـصح أخـذًا بقـول الله تعـالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ١-٣].

وأخـذًا بقولـه تعـالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]، ومن علامات الرشد والاستقامة والسداد والسعادة في الدنيا والآخرة

الثبات على الكتاب والسنة والسير على هذا المنهج عقيدة وعملاً وأخلاقًا وأمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر وسدًّا للخلل بالحكمة وبالطرق الشريفة».اهـ

قلت: بل أذكِّر الحويني نفسه بأنه ناشد مَن وقفَ له على خطأ أن يصلحه وأن ينصحه، حيث قال كما في مقدِّمة تحقيقه على «خصائص علي -رضي الله عنه-» للإمام النسائي -رحمه الله- (ص١٣): «وأنا حقيق أن لا أزكي ما وصلت إليه من توفيق -برحمة الله-، وأن لا أؤكد الثقة به، وكل من عثر على حرف منه، أو معنى يجب تغييره، فإني أناشده الله في إصلاحه، وأداء حق النصيحة فيه.

وما أبرأ من العثرة والذلة، **وما أستنكف من الرجوع إلى الصواب عن الغلط**، فإن هذا الفن لطيف، وابن آدم إلى العجز، والضعف، والعجلة ما هو!!».

قلتُ: فإن كان هذا في علم الحديث كعلم آلة، فمن باب أولى أن يكون فيما يمس المعتقد والمنهج.

واعلم -رحمك الله- أني سعيت أن أجعل هذا الردَّ مرجعًا لطلاب الحقّ في المسائل المنهجية الشائكة والتي صارت هي المحك الفاصل بين السلفيين والخوارج العصريين؛ فليس هدفي السعي إلى إسقاط الحويني حقدًا وحسدًا كما يظن المتعصِّبون، وإنما الخطب أعظم من هذا، ولو كان الحويني يتكلم باسم نفسه لكان الخطب أهون، ولكن الخطورة تكمن في أن الحويني صار إمامًا في السلفية عند أتباعه -وهم كُثُر-، وعند هؤلاء الملايين الذين يخاطبهم عبر القنوات الفضائية باسم السلفية، ومن ثَمَّ وجب تبرئة المنهج السلفي من أصول القطبية السرورية -والتي ألصق الحويني بعضها -زورًا- بالمنهج السلفي- حفاظًا على أصول هذا المنهج من التبديل والتغيير، وإيصاله صافيًا من شوائب الأحزاب إلى كل الطبقات، ولذا فإني أناشد القرَّاء أن لا يقفوا عند عتبات شخص بعينه، فيتحول الأمر إلى صراع شخصي قائم على الأهواء، إنما عليهم أن يُوَسِّعوا مداركهم لتلافي أخطار أعظم تتعلَّق بالعقيدة، وكذلك أناشدهم أن يدعوا الغلو بكل صوره سواء كان في التكفير أو في التبديع والتضليل، فلا يعني الرد على الحويني أننا نساويه بالرافضة أو غلاة الصوفية أو غلاة الخوارج،

وإنما لكلٍ منزلة، والبدع دركات بعضها أشد من بعض، ولكلٍ مقام مقال، فنحن نبرأ إلى الله -عز وجل- من مسالك الحدادية الذين جعلوا أهل البدع كلهم بمنزلة واحدة...

واعلم كذلك -أرشدك الله إلى طاعته- أن [دعوة الحق تضاد دعوة الباطل فلا يجوز مراعاة مشاعر الناس ... فالصدع بالحق لا يعني مراعاة مشاعر الناس ما دام بالأسلوب الحق][1].

وأنا ما تكلّفت كتابة هذا الرد إلا تحقيقًا لشعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، آملاً أن أندرج تحت الذين قال فيهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ٢٣٧): «الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر أطباء الأديان، الذين تشفى بهم القلوب المريضة، وتهتدي بهم القلوب الضالة، وترشد بهم القلوب الغاوية، وتستقيم بهم القلوب الزائغة». اهـ

وأقول أخيرًا منذرًا ومذكرًا الجميع: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

أسأل الله سبحانه أن يرينا الحقَّ حقًّا وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً، وأن يرزقنا اجتنابه. **وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم.**

وكــتب

أبو عبد الأعلى

خــالد بن محمد بن عثمان

ليلة الخميس ١٧ جمادى الثاني ١٤٣٠ هـ

ثم نقحتها في جمادى الأولى ١٤٣١هـ

وتمت المراجعة الأخيرة: عصر الخميس

٣ شعبان ١٤٣١هـ

* * * *

---

(١) من كلمات العلامة الألباني -رحمه الله-، كما في شريط (٧١٣/ وجه ب) من سلسلة الهدى والنور.

الـمخالفة الأولـى

تكفير الحويني للـمصرّ على المعصية

سئل الحويني كما في (الجزء الثاني من درس شروط العمل الصالح) هذا السؤال:

○ **بعض أهل العلم يقولون بكفر فاعل المعصية المصر عليها، وأن التوبة شرط؛ لكي يعود مسلمًا من جديد؟**

※ فأجاب: «**أمَّا الرجل المُصر على المعصية، وهو يعلم أنها معصية، فهذا مستحل! وهذا كفره ظاهر!!** كأن يقول: الربا أنا أعلم أنه حرام لكنني سآكله، والزنا حرام لكنني سأفعله... هذا واضح الاستحلال فيه!! فلا شك في كفر مثل هذا الرجل.

أما مسألة المعصية غير المصر عليها فلا يكفر بها بطبيعة الحال، وهو مسلم حتى وإن عصى، فكلمة يرجع للإسلام من جديد إذا كان قيد الكلام بالاستحلال فهذا لا شك فيه، رجل استحل المعصية، وهو يعلم أنها معصية وفعلها واستحلها هذا يكفر ويخرج من الملة، حتى يرجع إلى الإسلام ولا بد أن يتوب ويغتسل وينطق بالشهادتين، ويرجع إلى الإسلام من جديد..[1]. والله أعلم». اهـ

قلت: هكذا سوّى الحويني بين المصر على المعصية -المستحل لها عمليًا-، والمستحل لها استحلالاً اعتقاديًا، وهذا لم يقل به أحد من السلف قاطبة، فإن أهل ال... يفرقون بين الاستحلال العملي -والذي قد يقترن بالإصرار-، والاستحلال الاعتقادي القلبي.

فمجرد العلم بالمعصية مع الإصرار على فعلها: ليس هو الاستحلال الذي به يكفر العبد، بل الاستحلال الذي به يكفر العبد هو أن يعتقد حلَّ هذه المعصية، وإن لم يفعلها.

---

(١) لَمَّا قرأت هذا الكلام على الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله- علَّق قائلاً: «لف ودوران ..لف ودوران.. لعَّاب».

قال الإمام الألباني -رحمه الله- في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص ٦٠) عند تعليقه على قول الطحاوي -رحمه الله-: «**ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب مَا لم يستحله**»: «يعني استحلالاً قلبيًا اعتقاديًا وإلا فكل مذنب مستحل لذنبه عمليًا، أي: مرتكب له، ولذلك فلا بد من التفريق بين المستحل اعتقادًا فهو كافر إجماعًا وبين المستحل عملاً لا اعتقادًا فهو مذنب يستحق العذاب اللائق به إلا أن يغفر الله له ثم ينجيه إيمانه، خلافًا للخوارج والمعتزلة الذين يحكمون عليه بالخلود في النار، وإن اختلفوا في تسميته كافرًا أو منافقًا.

وقد نبتت نابتة جديدة اتبعوا هؤلاء في تكفيرهم جماهير المسلمين رؤوسًا ومرؤوسين اجتمعت بطوائف منهم في سوريا ومكة وغيرها، ولهم شبهات كشبهات الخوارج مثل النصوص التي فيها مَن فعل كذا فقد كفر...». اهـ

قلت: فالحويني خالف أصول منهج السلف الصالح -أهل الحديث والأثر- في كلامه السابق في ثلاثة مواضع:

الأول: **تفسيره الإصرار على المعصية بالاستحلال الاعتقادي**.

الثاني: **جعله شرط الاستحلال: العلم بحرمة المعصية، ثم تعمُّد فعلها**.

الثالث: **حكمه على المصر على المعصية بالكفر**.

وهذه الثلاثة ليست في كتاب الله، ولا في حديث رسول الله ﷺ، ولا نطق بها أحد من سلف الأمة، وأئمتها.. وأول من ابتدع الذمَّ بها الخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين.

وما من مسلم -إلا من رحم الله وقليلٌ ما هم- إلا وهو يصر على معصية صغيرة كانت أم كبيرة، فعدم ضبط الألفاظ والمعاني في هذا الباب يفتح بابًا عظيمًا من أبواب التكفير بالجملة لأهل القبلة.

○ وإليك البيان:

أولاً: **معنى الإصرار على المعصية عند أهل السنة**:

قال ابن الأثير في النهاية (مادة: صرر): «[ما أَصَرَّ من اسْتَغْفَرَ] أصر على الشيء يُصِرُّ إصْرَارًا إذا لَزِمَه ودَاوَمَه وثَبتَ عليه، وأكثر ما يُسْتَعْمَلُ في الشَرِّ والذُنوب يعني من أتْبع الذنب الاستغفارَ فليس بِمُصِرٍّ عليه، وإن تكرَّر منه».

○ **وقد اختلف أهل العلم في معنى «الإصرار على المعصية» على أقوال، هي:**

أولاً: هو الثبات على المعصية والإقامة عليها دون استغفار وتوبة، ومن قال بهذا:

١) **قتادة:** أخرج ابن جرير في تفسيره (٧/٢٢٣) بسند صحيح عن قتادة قوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]: فإياكم والإصرار، فإنما هلك المصرُّون، الماضون قُدُمًا، لا تنهاهم مخافة الله عن حرام حرَّمه الله عليهم، ولا يتوبون من ذنب أصابوه، حتى أتاهم الموتُ وهم على ذلك»، وفي لفظ قال: «قُدُمًا قُدُمًا في معاصي الله!! لا تنهاهم مخافة الله، حتى جاءهم أمر الله».

ثانيًا: إذا همَّ بالمعصية، وقع فيها ولم يتوقف، وقال بهذا:

١) **الحسن:** قال عبد الرزاق في تفسيره (١/٤٦٣): أخبرنا معمر، عن الحسن في قوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾، قال: «إتيان العبد ذنبًا إصرارٌ، حتى يتوب»، وهذا سند صحيح، وأخرجه ابن جرير (٧/٢٢٤).

٢) **مجاهد:** أخرج عنه ابن جرير (٧/٢٢٤) بسند صحيح في قول الله -عز وجل-: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾، قال: «لم يواقعوا».

ثالثًا: السكوت على المعصية وترك الاستغفار.

قال ابن جرير (٧/٢٢٤): حدثنا محمد بن الحسين قال: «حدثنا أحمد بن المفضل قال: حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، أما «**يصروا**» فيسكتوا ولا يستغفروا».

قال ابن جرير في تفسيره (٧/٢٢٥) بعد سرد هذه الأقوال الثلاثة: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب عندنا، قول من قال: «الإصرار»، الإقامة على الذنب عامدًا، وترك التوبة منه، ولا معنى لقول من قال: «الإصرار على الذنب هو مواقعته»، لأن الله -عز وجل- مدح بترك الإصرار على الذنب مُواقع الذنب، فقال: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥]، ولو كان المواقع الذنب مصرًا بمواقعته إياه، لم يكن للاستغفار وجه مفهوم، لأن الاستغفار من الذنب إنما هو التوبة منه والندم، ولا يعرف للاستغفار من ذنب لم يواقعه صاحبه، وجهٌ». اهـ

قلت: وانتصر أيضًا لهذا القول جمهور العلماء، ومنهم:

١) ابن عطية حيث قال في المحرر الوجيز (٧/٢): «**الإصرار معناه**: اعتزام الدوام على الأمر وترك الإقلاع عنه، ومنه صر الدنانير: أي الربط عليها ... فالإصرار اعتزام البقاء على الذنب».

٢) ابن أبي زمنين في تفسيره (٩٧/١): «أي: لم يقيموا على ما فعلوا من المعصية. يحيى عن أبان العطار قال: كان يقال لا قليل مع إصرار ولا كثير مع استغفار».

٣) ابن كثير في تفسيره (١٢٥/٢): «وقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾، أي: تابوا من ذنوبهم، ورجعوا على الله عن قريب، ولم يستمروا على المعصية، ويصروا عليها غير مقلعين عنها، ولو تكرّر منهم الذنب تابوا عنه».

٤) البغوي في تفسيره (١٠٧/٢): «أي: لم يُقيموا ولم يثبتوا عليه، ولكن تابوا وأنابوا واستغفروا، وأصل الإصرار: الثبات على الشيء».

٥) القرطبي في تفسيره (١٥٧/٣ - ط الشعب ١٣٧٢هـ) حيث قال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا﴾ [البقرة: ٢٣١]: «ويدخل في هذه الآية الاستغفار من الذنب قولاً مع الإصرار عليه فعلاً».

٦) شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى الكبرى» (٣٣/٢): «وأيضًا فإن الإصرار هو العزم على العود، ومن أتى صغيرة وتاب منها، ثم عاد إليها لم يكن قد أتى كبيرة».

٧) البيضاوي في تفسيره (٣٩٠/١): «ولم يقيموا على ذنوبهم غير مستغفرين».

٨) الشوكاني في «فتح القدير» (٢٥/٢): «وقوله: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ عطف على فاستغفروا، أي: لم يقيموا على قبيح فعلهم، وقد تقدّم تفسير الإصرار، والمراد به هنا: العزم على معاودة الذنب، وعدم الإقلاع عنه بالتوبة منه».

٩) قال شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس القرافي -رحمه الله- في «الفروق» (١٢٤/٤، ١٢٥): «ما حقيقة الإصرار الذي يُصيِّر الصغيرة كبيرة؟... قال بعضهم: هو أن يتكرّر الذنب منه، كان يعزم على العَوْد أم لا، وقال بعضهم: إن تكرّر من غير عزم لم يكن إصرارًا، بأن يفعل الذنب أول مرة، وهو لا يخطر له معاودته لداعية متجدّدة، فيفعله كذلك مرارًا، فهذا ليس إصرارًا، وتارة يفعل الذنب، وهو عازمٌ على معاودته، فيعاوده بناءً على ذلك العزم السابق،

فهذا هو الإصرار الناقل للصغيرة لدرجة الكبيرة، ولذلك قال الله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ﴾. ويُقال: فلانٌ مُصِرٌّ على العداوة، أي: مُصمِّمٌ بقلبه عليها، وعلى مصاحبتها ومداومتها، ولا يُفهم في عُرف الاستعمال من الإصرار إلا العزم والتصميم على الشيء، والأصل عدم النقل والتغيير، فوجبَ أن يكون ذلك معناه لُغةً وشرعًا، وهذا هو الذي ترجح عندي».

لكن ابن الشّاط استدرك عليه قائلاً: «الإصرارُ لغةً: المقام على الشيء والمعاودة له، سواء كان ذلك فعلاً أو غيره، لا ما قاله المؤلِّف من أنه العزم والتصميم على الشيء، وعلى ذلك فالإصرار المُصيِّر للصغيرة كبيرة مانعة من قبول الشهادة إنما هو المعاودة لها معاودة تشعر بالجرأة على المخالفة، لا المعاودة المقترنة بالعزم عليها؛ لأن العزم مِمّا لا يُتوصل إليه لأنه أمرٌ باطن فإن قيل: الجرأة أمرٌ باطن، قلتُ: لَمْ أشترط الجرأة نفسها، وإنما اشترطت الإشعار بها، وهو مِمّا يُدركه مَن يتأمل أحوال المواقع للمخالفة، والله أعلم». اهـ

قلت: الإشعار بالجرأة على اقتراف الصغيرة يُنبئ أيضًا عمّا في القلبِ من العزم على المعاودة لهذا الذنب بدليل أنه لم يستغفر منه، ولم يعترف به.

وسواء هذا أو ذاك، فإن هذه النقولات تثبت لنا بجلاء أن الحويني قد خالفَ جُمهور أهل العلم في تفسير الإصرار؛ حيث فسَّر الإصرار بالاستحلال، وفسَّروه هم بالإقامة على الذنبِ عمدًا، مع الثبات عليه دون توبة واستغفار، مع العزم -وهو التصميم القلبي- على معاودته، كما قال شيخ الإسلام، وابن عطية، والقرافي.

وتأمل تقييد الحويني الاستحلال بالعلم بالمعصية، فمن علم تحريم معصية ما، ثم أصر بعد ذلك على ارتكاب هذه المعصية، فهو مستحل عند الحويني استحلالاً اعتقاديًّا يكفر به[1]!.

ومن هنا نعجب من هذا الشاب الجزائري المتعصِّب للحويني -وهو المكني بأبي حذيفة- حينما قال في مقالاته في الدفاع عن الحويني: «ولم نسمع الشيخ يومًا يكفِّر أهل المعاصي!!».

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (١١/٦٨٤- رسالة في

(١) قال شيخنا حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «وهل كل من لم يستغفر ثم أقام على المعصية، وصرَّح بهذا بلسانه، يصير مستحلاً؟!».

التوبة): «وقد قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقال: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٧]، وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٩].

هذا، وإن كان قال الصحابة والتابعون: إن كل عاص فهو جاهل، كما قد بسط في موضع آخر، فهو متناول لمن يكون علم التحريم أيضًا.

فدلَّ على أنه يكون عاملاً سوءًا وإن كان لم يسمع الخطاب المبين المنهي عنه، وأنه يتوب من ذلك فيغفر الله له ويرحمه، وإن كان لا يستحق العقاب إلا بعد بلوغ الخطاب وقيام الحجة.

وإذا كانت التوبة والاستغفار تكون من ترك الواجبات وتكون مِمَّا لم يكن علم أنه ذنب تبين كثرة ما يدخل في التوبة والاستغفار فإن كثيرًا من الناس إذا ذكرت التوبة والاستغفار يستشعر قبائح قد فعلها، فعلم بالعلم العام أنها قبيحة كالفاحشة والظلم الظاهر، فأما ما قد يتخذ دينًا فلا يعلم أنه ذنب إلا من علم أنه باطل كدين المشركين وأهل الكتاب المبدل، فإنه مما تجب التوبة والاستغفار منه وأهله يحسبون أنهم على هدى، وكذلك البدع كلها». اهـ

وقال -رحمه الله- في رسالة «الحسنة والسيئة» (ص٥٩ - ط المدني) (مجموع الفتاوى ١٤/٢٨٦): «فأمَّا عدم الحسنات و السيئات فجزاؤه عدم الثواب و العقاب وإذا فرض رجل آمن بالرسول مجملاً، وبقي مدة لا يفعل كثيرًا من المحرمات، ولا سمع أنها محرمة فلم يعتقد تحريمها، مثل من آمن ولم يعلم أن الله حرم الميتة والدم ولحم الخنزير، ولا علم أنه حرم نكاح الأقارب سوى أربعة أصناف ولا حرم بالمصاهرة أربعة أصناف حرم على كل من الزوجين أصول الآخر وفروعه، فإذا آمن ولم يفعل هذه المحرمات ولا اعتقد تحريمها؛ لأنه لم يسمع ذلك؛ فهذا لا يثاب ولا يعاقب.

ولكن إذا علم التحريم فاعتقده أثيب على اعتقاده، وإذا ترك ذلك مع دعاء النفس إليه أثيب ثوابًا آخر، كالذي تدعوه نفسه إلى الشهوات فينهاها كالصائم الذي تشتهي نفسه

الأكل والجماع فيها، والذي تشتهي نفسه شرب الخمر والفواحش فيها فهذا يثاب ثوابًا آخر بحسب نهيه لنفسه وصبره على المحرمات واشتغاله بالطاعات التي هي ضدها فإذا فعل تلك الطاعات كانت مانعة له عن المحرمات». اهـ

وقال في منهاج السنة (٥٦٠/١): «ولهذا لا تقام الحدود إلا على من علم التحريم».

وقال في (٨٩/٦): «ولهذا قال الفقهاء: الشبهة التي يسقط بها الحد شبهة اعتقاد أو شبهة ملك، فمن تزوج نكاحًا اعتقد أنه جائز ووطئ فيه، لم يحد وإن كان حرامًا في الباطن، وأمّا إذا علم التحريم، ولم يعلم العقوبة، فإنه يُحَد كما حَدَّ النبي ﷺ ماعز بن مالك إذ كان قد علم تحريم الزنا، ولكنه لم يكن يعلم أن الزاني المحصن يرجم فرجمه النبي ﷺ لعلمه بتحريم الفعل، وإن لم يعلم أنه يعاقب بالرجم». اهـ

قلت: فمن علم التحريم، وأصر على فعل المعصية، فإن كانت لها حدٌّ مقدَّر في الشرع يقام عليه الحد، لكن لا يقال: إنه استحل، والمستحل كافر، كما قال الحويني.

وجاء في الموسوعة الفقهية (**٥٥/٥**) مادة (إصرار):

«الإصرار إما أن يكون عن جهل، أو عن علم، **فإذا كان الإصرار عن جهل فقد يعذر من لا يعلم حرمة الفعل الذي أصر عليه، أما إذا كان عن علم بالحكم فإن الفاعل يكون آثمًا إذا كان على معصية، ويتضاعف إثمه بمقدار ما هو عليه من جرم**[1]؛ لأن الإصرار على الصغيرة كبيرة، والإصرار على الكبائر يؤدي إلى عظم ذنبها وزيادة وزرها...، أما الإصرار على المعصية دون تحققها ففيه رأيان:

الأول: يؤاخذ به الإنسان لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]، وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما، فالقاتل والمقتول في النار**». قالوا : يا رسول الله هذا القاتل، فما بال المقتول؟!، قال: «**إنه كان حريصًا على قتل صاحبه**».

الثاني: لا يؤاخذ به الإنسان، لقوله ﷺ: «**مَنْ هَمَّ بسيئةٍ فَلم يَعْملها لَم تُكْتب عليه، فإنْ**

(١) هذا هو حكم فقهاء الأمة في حكم المصر على ذنب مع علمه بتحريمه، وهو أنه يتضاعف الإثم عليه، لا أن يُحكم عليه بالاستحلال المكفِّر، كما قال الحويني.

عملها كُتبت عليه سيئة واحدة»، وقد ضعّف القرطبي هذا الرأي، وحمل الحديث على أن معنى «فلم يعملها»، فلم يعزم على عملها». اهـ

ثانيًا: حكم المُصِر عَلى المعصية عند أهل السنة:

اعلم -رحمك الله- أن أهل السنة أجمعوا على عدم تكفير المصر على المعصية.

وقد نقل القاضي عياض الإجماع على أن الإصرار على معصية ذنبٍ، ليس استحلالاً، وليس كفرًا، فيما نقله عنه ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/١٠٠-١٠١): «ومذهب القاضي أبي بكر بن الطيب أن من عزم على المعصية بقلبه ووطّن نفسه عليها أثم في اعتقاده وعزمه، ويفرق بين الهم، والعزم، قال المازري: وخالفه كثير من الفقهاء والمحدثين وأخذوا بظاهر الأحاديث، قال القاضي عياض: **مذهب عامة السلف وأهل العلم من الفقهاء والمحدثين** على ما ذهب إليه القاضي أبو بكر للأحاديث الدالة على المؤاخذة بأعمال القلوب **لكنهم قالوا: إن هذا العزم يكتب سيئة**، وليست السيئة التي هم بها لكونه لم يعملها، وقطعه عنها قاطع غير خوف الله -عز وجل- والإنابة **لكن نفس الإصرار والعزم معصية فكتبت معصية، فإذا عملها كتبت معصية ثانية**، فإن تركها خشية الله -عز وجل- كتبت حسنة كما في الحديث: «إنما تركها من جرائي» فصار تركه لها لخوف الله -عز وجل- ومجاهدته نفسه الأمارة بالسوء في ذلك وعصيانه هواه حسنة، فأما الهم الذي لا يكتب فهي الخواطر التي لا توطن النفس عليها ولا يصحبها عقد ولا نية ولا عزم». اهـ (ونقله أيضًا السفاريني في غذاء الألباب شرح منظومة الآداب (٢/٥٧٤).

○ وإليك طائفة من أقوال أئمة أهل السنة في حكم المصر على المعصية، والتي كان ينبغي على الحويني أن يرجع إليها قبل أن يخوض في مثل هذه المسألة الشائكة -هذا إن كان سلفيًا!!-:

١) قول الإمام أحمد بن حنبل:

قال -رحمه الله- كما في أصول السنة (٣٢): «**ومن لقيه مصرًّا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة، فأمره إلى الله إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له**».

قلت: كذا بيّن الإمام أحمد أن المصر الذي لم يتب من الذنوب -أي: يُصر على المعصية، وهو يعلم أنها معصية-: في مشيئة الله، ولم يقل ما قاله الحويني: إنه مستحل، وإن كفره ظاهر.

قال الإمام محمد بن نصر المروزي -رحمه الله تعالى- في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٨٠): «حكى الشالنجي إسماعيل بن سعيد أنه سأل أحمد بن حنبل عن المُصِرّ على الكبائر يطلبها بجَهده إلا أنه لم يترك الصلاة والزكاة والصوم، هل يكون مُصراً من كانت هذه حاله؟

قال: «هو مُصرّ مثل قوله: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن**» يخرج من الإيمان ويقع في الإسلام، ومن نحو قوله: «**ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**»، ومن نحو قول ابن عباس في قوله: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. فقلت له: ما هذا الكفر؟ قال: «كفر لا ينقل عن الملة، مثل الإيمان بعضه دون بعض، فكذلك الكفر حتى يجيء من ذلك أمر لا يختلف فيه». اهـ

ونقله أيضًا: ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢٨٧/١) (ترجمة محمد بن عوف بن سفيان)، وشيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١١٨/٢) (٢٥٣/٧) (٣٢٩/٧).

٢) قول الإمام ابن أبي زمنين:

قال -رحمه الله- في أصول السنة (ص٢٥٧): «**ومن مات من المؤمنين مُصرًّا على ذنبه فهو في مشيئته وخياره**، وليس لأحد أن يتسوّر على الله في علم غيبه وبجحود قضائه، فيقول: أبى ربك أن يغفر للمُصرّين كما أبى أن يُعذّب التائبين! ﴿مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]». اهـ

٣) قول الإمام اللالكائي:

بوّب -رحمه الله- في كتابه «شرح أصول الاعتقاد» (٨٩٨/٢) (ط - المكتبة الإسلامية- القاهرة): «سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن المسلمين لا تضرهم الذنوب التي هي الكبائر إذا ماتوا عن توبة من غير إصرار ولا يوجب التكفير، وإن ماتوا عن غير توبة[1]، فأمرهم إلى الله إن شاء عذّبهم، وإن شاء غفر لهم».

---

(١) أي: وهم مصِرُّون.

٤) قول الحافظ ابن عبد البر:

قال -رحمه الله- في كتابه «التمهيد» (٣٩٤/١٧): «وقد فتن الصالحون وابتلوا بالذنوب، قال الله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] الآية، وقد يكون من هذا الباب من الفتنة ما هو أشد مما وصفنا وهو الإصرار على الذنب والإقامة عليه منه وأنه لم يأته منيته على تلك الحال ويحب أن تسمح نفسه بترك ما هو عليه من قبيح أفعاله، وهو مع ذلك لا يقلع عنها فهذا، وإن كان مصراً لم تأت منه توبة فهو مقر بالذنوب والتقصير يحب أن يختم الله له بخير فيغفر له هذا برجائه ولا يقطع عليه، **وليست فتنته بذلك تخرجه عن الإسلام**».

٥) قول ابن حزم:

قال -رحمه الله- في المحلى (١٤٠/١١): «**وإذا كان الإصرار على الذنب حرامًا بإجماع الأمة كلها المتيقن**؛ فالتوبة والإقلاع فرض بإجماع الأمة كلها لا خلاف في ذلك».

قلت: وهذا نقلٌ للإجماع أن الإصرار على المعصية ذنبٌ ليس كفر استحلال.

ثم قال: «**مسألة:** مَن قال: لا أتوب، قال أبو محمد -رحمه الله-: فإن قال لا أتوب، فقد أتى منكرًا فواجب أن يعزَّر على ما نذكره في كتاب التعزير إن شاء الله تعالى ... فيجب أن يضرب أبدًا حتى يتوب هذا إن صرح بأن لا يتوب». اهـ

قلت: وهذا واضح أن ابن حزم كان لا يرى كفر مَن أصر على الذنب، فقال: لا أتوب من هذا الذنب -والذي هو أقبح، وأعظم جرأة على دين الله، وأقل حياءً من الله ومن الخلق من قول القائل: أنا أعلم أن هذا الذنب حرام، ولكني سأفعله-، حيث إن المستمر المصر على المعصية قد تراوده نفسه إلى التوبة والإنابة، لكن شهوة النفس وحب الدنيا وطلب العاجلة موانع تحجزه عن هذه التوبة والإنابة، بخلاف مَن قال: «لا أتوبُ منها»؛ فإنه أشد عنادًا وكبرًا، ويُخشى عليه أن يدخل تحت الوعيد المذكور في قوله ﷺ: «**إنَّ العبد ليتكلَّمُ الكلمة من سَخطِ الله لا يلقي لها بالاً؛ يُلقى بها في نار جهنم سبعين خريفًا**».

وبعضُ العصاة الجُهّال قد يقول هذه العبارة قاصدًا بها الاعتراف بغلبة الشهوة عليه التي تجعله عاجزًا عن التوبة، لا مُعاندًا، وهذا نحو قول القائل: «والله لئن قدر الله عليَّ ليُعذبني عذابًا شديدًا»، أي أن يقول: «لا أتوب -عجزًا-».

وبلا شك هذا العجز مبني على ضعف شديد في الإيمان، ويأس من روح الله، وهذا اليأس -وحده- كبيرة من الكبائر.

ومهما كان، فإن هذه العبارة رغم أنها في ظاهرها أقبح من العبارة التي حكم الحويني على صاحبها بالاستحلال المكفِّر، إلاَّ أن ابن حزم لم يحكم عليه بالكفر، كما صنع الحويني، وإنما حكم عليه بالتعزير ضربًا، ولو كان كافرًا لحكم عليه بالاستتابة، ثم القتل مرتدًا إن لم يتب.

٦) قول ابن العربي المَالكي:

نقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٣٩٤/٩) أن ابن العربي قال: «من اعتقد الكفر بقلبه كفر، **ومن أصر على المعصية أثِم**».

قلت: ولم يقل استحل، والمستحل كافر، كما قال الحويني.

٧) قول القرطبي:

قال -رحمه الله- فيما نقله عنه الرملي في فتاويه (٢٠٩/٤): «والقدوة فيها على علمائنا الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الإصرار ويثبت معناها في الجنان لا التلفظ باللسان فأما من قال بلسانه أستغفر الله وقلبه مصر على معصيته فاستغفاره ذلك يحتاج إلى استغفار وصغيرته لاحقة بالكبائر، وروي عن الحسن البصري أنه قال: استغفارنا يحتاج إلَى استغفار.

قلت: هذا يقوله في زمانه فكيف في زماننا هذا الذي يرى فيه الإنسان مكبًا على الظلم حريصًا عليه، والسبحة في يده زاعمًا أنه يستغفر من ذنبه، وذلك استهزاء منه واستخفاف وفي التنزيل: ﴿وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ﴾». اهـ

٨) قول أبي بكر الجصَّاص:

قال في تفسيره (٤٢٢/١): «وقد روى مسعود عن منصور عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه**»، وهذا موافق لدلالة الآية،

وذلك لأن الله تعالى لما نهى عن المعاصي، والفسوق في الحج فقد تضمن ذلك الأمر بالتوبة منها؛ **لأن الإصرار على ذلك هو من الفسوق، والمعاصي**، فأراد الله تعالى أن يحدث الحاج توبة من الفسوق، والمعاصي حتى يرجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه على ما روي عن النبي ﷺ».

٩) قول شيخ الإسلام ابن تيمية:

قال -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (٢٨/٤٧٠-٤٧١): «ولهذا اتفق أئمة الإسلام على أن هذه البدع المغلَّظة شرٌ من الذنوب التي يعتقد أصحابها أنها ذنوب، وبذلك مضت سنة رسول الله ﷺ حيث أمر بقتال الخوارج عن السنة، وأمر بالصبر على جور الأئمة وظلمهم والصلاة خلفهم مع ذنوبهم[١]، **وشهد لبعض المصِّرين من أصحابه على بعض الذنوب أنه يحب الله ورسوله ونهى عن لعنته**، وأخبر عن ذي الخويصرة وأصحابه مع عبادتهم وورعهم، أنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية». اهـ

وقال أيضًا في كتابه «أولياء الرحمن وأولياء الشيطان» (ص١١١): «وقول من قال: إذا أحب الله عبدًا لم تضره الذنوب معناه أنه إذا أحب عبدًا ألهمه التوبة والاستغفار فلم يصر على الذنوب، **ومن ظن أن الذنوب لا تضر من أصر عليها فهو ضال مخالف للكتاب والسنة وإجماع السلف والأئمة**[٢]، بل من يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرًا يره».

وفي الفتاوى الكبرى (٣/٤٢٧): «**مسألة**: في المداومة على شرب الخمر وترك الصلاة، وما حكمه في الإصرار على ذلك؟

الجواب: الحمد لله أما شارب الخمر فيجب باتفاق الأئمة أن يجلد الحد إذا ثبت ذلك عليه، وحدُّه أربعون جلدة أو ثمانين جاز باتفاق الأئمة، وإن اقتصر على الأربعين ففي الإجزاء نزاع مشهور، فمذهب أبي حنيفة ومالك وأحمد في إحدى الروايتين أنه يجب الثمانون، ومذهب الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى عنه أن الأربعين الثانية تعزير يرجع

---

(١) والتي منها ما يُصِّرون عليه.

(٢) هذا فيه ردٌ على المرجئة الذين يقولون: لا يضر مع الإيمان ذنبٌ لمن عمله، وفيه ردٌ أيضًا على الخوارج -ومنهم السرورية- الذين يُكفِّرون المصر على الذنوب؛ لأن شيخ الإسلام بيَّن أن الإصرار على الذنوب يضر، لكن لم يقل إنه كفر.

فيها إلى اجتهاد الإمام فإن احتاج إلى ذلك لكثرة الشرب أو إصرار الشارب ونحو ذلك فعل، وقد كان عمر بن الخطاب يعزِّر بأكثر من ذلك كما روي عنه أنه كان ينفي الشارب عن بلده، ويمثل به بحلق رأسه.

وقد روي من وجوه عن النبي ﷺ قال: «**من شرب الخمر فاجلدوه، ثم إن شربها فاجلدوه، ثم إن شربها فاجلدوه، ثم إن شربها في الثالثة أو الرابعة: فاقتلوه**».

فأمر بقتل الشارب في الثالثة أو الرابعة وأكثر العلماء لا يوجبون القتل بل يجعلون هذا الحديث منسوخًا وهو المشهور من مذاهب الأئمة، وطائفة يقولون: إذا لم ينتهوا عن الشرب إلا بالقتل جاز ذلك، كما في حديث آخر في السنن أنه نهاهم عن أنواع من الأشربة قال: فإن لم يدعوا ذلك فاقتلوهم، والحقّ ما تقدم، وقد ثبت في الصحيح أن رجلاً كان يدعى حمارًا وهو كان يشرب الخمر، فكان كلما شرب جلده النبي ﷺ فلعنه رجل فقال: لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به إلى النبي ﷺ؟!

فقال: «**لا تلعنه فإنه يُحب الله ورسوله**»، وهذا يقتضي أنه جلد مع كثرة شربه». اهـ

قلت: فكما ترى أن شيخ الإسلام -رحمه الله- لم يكفِّر المصر على شرب الخمر، رغم أنه شرب الخمر وهو يعلم أنها حرام.

وفي الفتاوى الكبرى (**٢٧٤/٥**): «وقول من قال من العلماء: الاستغفار مع الإصرار توبة الكذّابين فهذا إذا كان المستغفر يقوله على وجه التوبة أو يدعي أن استغفاره توبة وأنه تائب بهذا الاستغفار، فلا ريب أنه مع الإصرار لا يكون تائبًا فإن التوبة والإصرار ضدان: الإصرار يضاد التوبة لكن لا يضاد الاستغفار بدون التوبة.

وقول القائل: هل الاعتراف بالذنب المعين يوجب دفع ما حصل بذنوب متعددة أم لا بد من استحضار جميع الذنوب؟ فجواب هذا مبني على أصول:

أحدهما: أن التوبة تصح من ذنب مع الإصرار على ذنب آخر، إذا كان المقتضي للتوبة من أحدهما أقوى من المقتضي للتوبة من الآخر أو كان المانع من أحدهما أشد وهذا هو القول المعروف عند السلف والخلف.

وذهب طائفة من أهل الكلام كأبي هاشم إلى أن التوبة لا تصح من قبيح مع الإصرار

على الآخر[1]، قالوا: لأن الباعث على التوبة إن لم يكن من خشية الله لم يكن توبة صحيحة والخشية مانعة من جميع الذنوب لا من بعضها، وحكى القاضي أبو يعلى وابن عقيل هذا رواية عن أحمد؛ لأن المرُوذي نقل عنه أنه سئل عمَّن تاب من الفاحشة وقال: لو مرضت لم أعد لكن لا يدع النظر فقال أحمد: أي توبة هذه؟! قال جرير بن عبد الله: سألت رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: «**اصرف بصرك**».

والمعروف عن أحمد وسائر الأئمة هو القول بصحة التوبة، وأحمد في هذه المسألة إنما أراد أن هذه ليست توبة عامة يحصل بسببها من التائبين توبة مطلقًا لم يرد أن ذنب هذا كذنب المصر على الكبائر، فإن نصوصه المتواترة عنه وأقواله الثابتة تنافي ذلك وحمل كلام الإمام على ما يصدق بعضه بعضًا أولى من حمله على التناقض، لا سيما إذا كان القول الآخر مبتدعًا لم يعرف عن أحد من السلف وأحمد يقول: **إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام**[2]...».

وسئل كما في مجموع الفتاوى (٢٩/٤٧٤): **عمَّن يبخس المكيال والميزان؟**

فأجاب: أما بخس المكيال و الميزان فهو من الأعمال التي أهلك الله بها قوم شعيب و قص علينا قصتهم في غير موضع من القرآن لنعتبر بذلك، **والإصرار على ذلك من أعظم الكبائر وصاحبه مستوجب تغليظ العقوبة**، وينبغي أن يؤخذ منه ما بخسه من أموال المسلمين على طول الزمان و يصرف في مصالح المسلمين اذا لم يمكن إعادته الى أصحابه ...». اهـ

قلت: وهذه نقولات واضحة تبين لك الفارق بين منهج شيخ الإسلام ومنهج الحويني في الحكم على المصر على المعصية -الذي تعمَّد الوقوع فيها مع علمه بتحريمها-، يدرك هذا من يعقد أدنى مقارنة بين كلام الحويني السابق في تكفيره المصر على المعصية وبين هذه النقولات.

١٠) قول ابن قيم الجوزية:

ذكر ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في مراتب المكلَّفين في الدار الآخرة كما في كتابه «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (٢/٨٢٧- ط - دار عالم الفوائد): «الطبقة الحادية عشرة:

---

(١) وهذا القول يتوافق مع منهج المعتزلة، فليس غريبًا عليهم.

(٢) فكيف إذا سمع الإمام أحمد -رحمه الله- مقولة الحويني، كيف يكون حكمه عليه؟!

طبقة أقوام خلطوا عملاً صالِحًا وآخر سيئًا، فعملوا حسنات وكبائر، **ولقوا الله مصرِّين عليها غير تائبين منها،** لكن حسناتهم أغلب من سيئاتهم، فإذا وُزنت بها رجحت كفة الحسنات، فهؤلاء أيضًا ناجون فائزون، قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩]». اهـ

وقال في زاد المعاد (٥/٢٠٤): «**وأمّا أن المصرَّ على المعصية فاسق مؤاخذ، فهذا إنما هو فيمن عمل المعصية ثم أصر عليها، فههنا عمل اتصل به العزم على معاودته، فهذا هو المصر**». اهـ

قلت: وهذا صريح بأن المصر ليس مستحلاً كافرًا، كما قال الحويني.

وقال -رحمه الله- في «الداء والدواء» (ص٤٣، ط- دار عالم الفوائد): «فرمضان إلى رمضان والجمعة إلى الجمعة لا يقوى على تكفير الصغائر إلا مع انضمام ترك الكبائر إليها، فيقوى مجموع الأمرين على تكفير الصغائر، فكيف يكفِّر صوم يوم تطوع كلَّ كبيرة عملها العبد، وهو مصرٌ عليها غير تائب منها؟ هذا محال».

قلت: فلو كان الإصرار على المعصية استحلالاً اعتقاديًا -كما قال الحويني-، لبيَّن ابن القيم هذا، وإنما غاية ما يترتب على الإصرار على الكبائر المنع من تكفير الصغائر بالمكفِّرات المنصوص عليها في الشرع.

وقال -رحمه الله- في «اجتماع الجيوش الإسلامية على الجهمية والمعطِّلة»: «ونرى أن لا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب يرتكبه، كالزنا والسرقة وشرب الخمر، كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون، ونقول: إن من عمل كبيرة من الكبائر وما أشبهها مستحلاً لها كان كافرًا، إذا كان غير معتقد لتحريمها».

قلت: أرأيت كيف علَّق ابن القيم الاستحلال بالاعتقاد، لا بمجرد الإصرار؟!.

١١) قول ابن رجب الحنبلي:

قال -رحمه الله- كما في جامع العلوم والحكم (في شرح الحديث السابع والثلاثين): «لو عزم على فعل معصية بقصد الاستخفاف بحرمة الخالق -عز وجل- فيكفر بذلك، وإنما ينتفي الكفر عنه إذا كان همُّه بالمعصية لمجرد نيل شهوته، وغرض نفسه ...».

وقال أيضًا: «ثم وصفهم بأنهم: ﴿إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ ولم يُصرُّوا عليها، فدلّ على أنّ المتقين قد يَقَعُ منهم أحيانًا كبائر وهي الفواحش، وصغائر وهي ظُلمُ النفس، لكنهم لا يُصرُّون عليها، بل يذكرون الله عَقِبَ وقوعها، ويستغفرونه ويتوبون إليه منها، **والتوبة: هي تركُ الإصرار على الذنبِ**».

١٢) قول ابن بطّال:

قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في الفتح (٨٩/٢١): «قال ابن بطال: في هذا الحديث أن **المُصرّ على المعصية في مشيئة الله تعالى**، إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، مغلبًا الحسنة التي جاء بها وهي اعتقاده أن له ربًّا خالقًا يعذبه ويغفر له، واستغفاره إياه على ذلك يدل عليه قوله: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ولا حسنة أعظم من التوحيد...». اهـ

١٣) قول الحافظ ابن حجر:

قال -رحمه الله- في الفتح (٣٢٧/١١): «ومن فعل المعصية ولم يتب منها، ثم همّ أن يعود إليها، فإنه يعاقب على الإصرار، كما جزم به ابن المبارك وغيره في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾، ويؤيده أن الإصرار على المعصية معصية اتفاقًا، فمن عزم على المعصية وصمّم عليها كتبت عليه سيئة، فإذا عملها كتبت عليه معصية ثانية، قال النووي: وهذا ظاهر حسن لا مزيد عليه». اهـ

١٤) قول السرخسي الحنفي:

قال -رحمه الله- في المبسوط (١٢١/١٦): «قيل: كل من ارتكب كبيرة يستوجب بها عقوبة مقدرة فهو لا يكون عدلاً في شهادته ففي غير الكبائر إذا أصر على ارتكاب شيء مما هو حرام في دينه يخرج من أن يكون عدلاً، وإن ابتلي بشيء من غير الكبائر، ولم يظهر منه الإصرار على ذلك فهو عدل في الشهادة؛ لأنه إذا أصر على ذلك فقد أظهر رجحان الهوى والشهوة على ما هو المانع وهو عقله ودينه، وإذا ابتلي بذلك من غير إصرار عليه، فإنما ظهر رجحان دينه وعقله على الهوى والشهوة».

١٥) قول العلامة حافظ بن أحمد حَكَمي:

سئل -رحمه الله-: **ما حكم من مات من الموحدين مُصرًّا على كبيرة؟**

ج: ... **الطبقة الثالثة**: قوم لقوا الله تعالى مُصرِّين على كبائر الإثم والفواحش ومعهم أصل التوحيد والإيمان، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه ومنهم ...». اهـ

١٦) **قول العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي:**

سئل -رحمه الله- كما في «سؤال وجواب في أهم المهمات» (ص٩): **ما حكم الفاسق المِلِّي؟**

ج: من كان مؤمنًا موحدًا وهو مُصِرٌّ على المعاصي، فهو مؤمن بما معهُ من الإيمان، فاسق بما تركه من واجبات الإيمان، ناقص الإيمان، مستحق للوعد بإيمانه، وللوعيد بمعاصيه، ومع ذلك لا يخلد في النَّار، فالإيمان المطلقُ التامُ يمنعُ من دخول النار، والإيمان الناقص يمنع من الخلود فيها». اهـ

١٧) **قول الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله-:**

سئل -رحمه الله-: **ما حكم حج المصر على المعصية أو المستمر على ارتكاب صغيرة من الذنوب؟**

الجواب: حجٌ صحيح إذا كان مسلمًا لكنه ناقص، ويلزمه التوبة إلى الله من جميع الذنوب لا سيما في وقت الحج. (مجلة الدعوة عدد ١٥٤٠ - ١٤١٦/١٢/٢٢هـ).

وقال -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (٢٦/٧٠): «**والخلاصة**: أن هذه الفضائل وهذا الوعد الذي وعد الله به من أحصى أسماءه الحسنى بدخول الجنة، ووعد من صام يوم عاشوراء أن يكفر السنة التي قبلها، وهكذا في صوم عرفة، وهكذا غير ذلك كله مقيد بعدم الإصرار على المعاصي، وهكذا ما جاء في أحاديث التوحيد، وأن «من شهد أن لا إله إلا الله صادقا من قلبه دخل الجنة» كل ذلك مقيَّد بعدم إقامته على المعاصي، فأما إذا أقام على المعاصي فهو تحت مشيئة الله قد يغفر له، وقد يدخل النار بذنوبه التي أصر عليها ولم يتب، حتى إذا طهر ونقي منها أخرج من النار إلى الجنة». اهـ

***

○ وهذه بعض فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة السعودية، والتي كان الإمام ابن باز -رحمه الله- رئيسًا لها:

فتوى رقم (٦٢٠٧): س: علمت من بعض الذين يعرفون والدي أنه قتل عدة أشخاص في زمان السلب والنهب، وأن والدي توفاه الله وأنا طفل صغير، وبعد علمي بذلك أصبحت محتارًا كيف الطريقة التي أقدر أن أعملها عن والدي حيث إنه توفي أيضا ولم يسقط فريضة الحج وقد أديتها عنه، علمًا بأنه لم يخلف من الأولاد سواي فهل أطعم عن كل واحد مسكينًا، ماذا أعمل؟ أما إعتاق الرقبة والله لا أستطيع، أمَّا الصيام مشكلة عليه دهرًا كاملاً، فأرشدوني الطريقة جزاكم الله خيرًا.

ج: من مات على الإسلام وقد قتل نفسًا أو نفوسًا عمدًا فهو مِمَّن ارتكب كبائر غير الشرك، وهو في مشيئة الله إن شاء الله عفا عنه وإن شاء عذبه؟ لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء: ٤٨]. ثم تكون المقاصة بينه وبين قتيله في الحسنات والسيئات، والذي عليك لبر والدك الدعاء له بالرحمة والمغفرة والصدقة عنه عسى أن يرحمه الله ويعفو عنه. وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

السؤال الثالث من الفتوى رقم (٥٤٠١):

- كيف نحكم على من مات وهو مدمن الخمر وقد حذرناه، وهو على قيد الحياة فلم يتب فلقي حتفه وهو مدمن الخمر، وهل يجب علينا أن ندفنه في مقابر المسلمين، وما حكم من قتل نفسه متعمدًا؟

ج٣: إذا مات المسلم وهو مصر على كبيرة من الكبائر، كشرب الخمر والربا والزنى والسرقة ونحو ذلك، وكذلك من قتل نفسه متعمدًا فإن مذهب أهل السنة والجماعة أنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، وأمره إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر ذنوبه، ونغسِّله ونكفنه

ونصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين ما لم يستحل هذه الكبائر[1]؛ لقول الله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، ولِمَ تواترت به الأحاديث عن الرسول ﷺ من إخراج العصاة من النار يوم القيامة، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	نائب رئيس اللجنة	الرئيس
عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

السؤال الثالث من الفتوى رقم (٢٢٣٥):

س٣: قال تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً﴾ [النور:٤]. وقال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨].

- فهؤلاء الذين يرتكبون مثل هذه الكبائر ولا يوجد من يطبق عليهم الأحكام وماتوا وهم غير تائبين، فما حكم الله فيهم يوم القيامة؟

ج ٣: عقيدة أهل السنة والجماعة أن من مات من المسلمين مُصرًا على كبيرة من كبائر الذنوب كالزنا والقذف والسرقة يكون تحت مشيئة الله سبحانه إن شاء الله غفر له وإن شاء الله عذَّبه على الكبيرة التي مات مصرًّا عليها، ومآله إلى الجنة؛ لقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾، وللأحاديث الصحيحة المتواترة الدالة على إخراج عصاة الموحدين من النار، ولحديث عبادة بن الصامت -رضي الله عنه-: كنا عند النبي ﷺ فقال: «**أتبايعوني على ألاَّ تُشركوا بالله شيئًا، ولا تزنوا ولا تسرقوا؟**» وقرأ آية النساء -يعني: الآية المذكورة، وأكثر لفظ سفيان قرأ الآية، «فمن وفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب في ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب منها شيئًا من ذلك فستره الله

(١) انتبه إلى تفريق أعضاء اللجنة الدائمة بين المُصر والمستحل اللذين قد سوَّى الحويني بينهما.



فهو إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له» وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو	عضو	نائب رئيس اللجنة
عبد الله بن قعود	عبد الله بن غديان	عبد الرزاق عفيفي

الرئيس

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

السؤال الخامس من الفتوى رقم (٦٣٩٦):

س ٥: ما حكم الشخص الذي لا يؤدي أي فريضة من الفرائض المكتوبة كالصلاة مع أنه سالم معافى ويعمل الخير للناس ويبتعد عن الشر ويقول: «إن الله غفور رحيم»؛ لأنني لا أعمل الشر ولكن أحب عمل الخير، وأيضًا بعض الناس يصلون ويعملون الخيرات ولكن هناك أشياء يعملونها مثل: الزنا، والربا، أو شرب الخمر مع أنه مُحافظ على الصلوات كلها، فما الحكم على مثل هذا الشخص؟

ج ٥: أولاً: ترك الصلاة كفر أكبر، وإن لم يجحد وجوبها في أصح قولي العلماء؛ لقول النبي ﷺ: «**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر**»، وما جاء في معناه من الأحاديث.

ثانيًا: فعل الزنا كبيرة من كبائر الذنوب، وكذلك التعامل بالربا وشرب الخمر وجميع هذه المعاصي من الكبائر لا يخرج فاعلها بفعلها من الإسلام إذا لم يستحلها، لكنه على خطر كبير، وإن مات مصرًا عليها فهو تحت مشيئة الله سبحانه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقدر كبيرته[1]، ومآله إلى الجنة؛ لقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ الآية.

وبالله التوفيق. وصلى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

---

(١) انتبه مرة أخرى إلى التفريق بين الاستحلال الاعتقادي والإصرار.

١٨) **قول العلامة الشيخ محمد بن صالح عثيمين:**

سئل -رحمه الله-: **ما هو ضابط الاستحلال الذي يكفر به العبد؟**

الجواب: «**الاستحلال**: هو أن يعتقد حِلَّ ما حرمه الله، وأما الاستحلال الفعلي فينظر: إن كان هذا الاستحلال مما يكفِّر فهو كافر مرتد، فمثلاً لو أن الإنسان تعامل بالربا، ولا يعتقد أنه حلال لكنه يصر عليه، فإنه لا يكفر؛ لأنه لا يستحله، ولكن لو قال: إن الربا حلال، ويعني بذلك الربا الذي حرمه الله فإنه يكفر؛ لأنه مكذب لله ورسوله. الاستحلال إذن: استحلال فعلي واستحلال عقدي بقلبه، فالاستحلال الفعلي: ينظر فيه للفعل نفسه، هل يكفر أم لا؟ ومعلوم أن أكل الربا لا يكفر به الإنسان، لكنه من كبائر الذنوب، أما لو سجد لصنم فهذا يكفر.. لماذا؟ لأن الفعل يكفر، هذا هو الضابط ولكن لا بد من شرط آخر وهو: ألاَّ يكون هذا المستحل معذوراً بجهله، فإن كان معذوراً بجهله فإنه لا يكفر، مثل أن يكون إنسان حديث عهد بالإسلام لا يدري أن الخمر حرام، فإن هذا وإن استحله فإنه لا يكفر، حتى يعلم أنه حرام؛ فإذا أصر بعد تعليمه صار كافراً». (لقاء الباب المفتوح «٥٠»).

قلت: هكذا بيَّن العلامة ابن عثيمين أنه يمكن أن يصر المرابي على الربا -مع علمه أنه حرام- دون أن يعتقد أنه حلال، فلا يكفر بهذا.

وقال -رحمه الله- في شرحه على رياض الصالحين [باب: النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر]: «المؤمن وإن عصى، وإن أصر على معصيته يجب أن تحبه على ما معه من الإيمان، وأن تكرهه على ما معه من الفسق والعصيان».

قلت: وهذا صريح في عدم تكفيره للمصر على المعصية.

١٩) **قول الإمام محمد ناصر الدين الألباني:**

قال -رحمه الله- في رسالة (فتنة التكفير) وهذه الرسالة قرأها وعلّق عليها وأيّد ما فيها الشيخ ابن باز -رحمه الله-:

«فكل المعاصي -وبخاصة ما فشا في هذا الزمان من استحلال عملي للربا والزنا وشرب الخمر وغيرها- هي من الكفر العملي فلا يجوز أن نكفر العصاة المتلبسين بشيء من المعاصي لمجرد ارتكابهم لها واستحلالهم إياها عمليًا إلاّ إذا ظهر -يقينًا لنا منهم- ما

يكشف لنا عما في قرارة نفوسهم أنهم لا يحرمون ما حرم الله ورسوله اعتقادًا[1]، فإذا عرفنا أنهم وقعوا في هذه المخالفة القلبية حكمنا حينئذ بأنهم كفروا كفر ردة.... إذ الكفر الاعتقادي ليس له علاقة أساسية بمجرد العمل إنما علاقته الكبرى بالقلب ونحن لا نستطيع أن نعلم ما في قلب الفاسق والفاجر والسارق والزاني والمرابي... ومن شابههم إلاَّ إذا عبَّر عمَّا في قلبه بلسانه، أمَّا عمله فينبئ أنه خالف الشرع مخالفة عملية».

٢٠) قول الشيخ العلامة صالح الفوزان:

سئل -حفظه الله-: **هل يكفر المستخِفّ بهذه المعاصي** (أي: الغناء، والزنا، والربا) **بحيث لم يصرح باستحلالها، إنما استخف بها، و يقع فيها مع علمه بحرمتها؟**

الجواب: **إذا كان يعتقد حرمتها فإنه لا يكفر**، وأما استخفافه بها فهذا دليل على ضعف إيمانه، ولا يدل على كفره ما دام أنه يعتقد أنها حرام.

وسئل أيضًا: **هل الإصرار على الكبيرة وعدم التوبة منها يجعلها كفرًا مُخرجًا من الملة أم أن صاحبها يشمله الوعيد؟ أو يدخل تحت الوعيد، إن شاء الله عذبه وإن شاء غفر له؟**

الجواب: **الإصرار على الكبيرة، التي هي دون الشرك، لا يُصَيِّرُ المصر عليها كافرًا؛ لأنها ما دامت دون الشرك والكفر، فإنه يعتبر فاسقًا، ولا يخرج من الملة ولو أصر عليها**»[2].

٢١) قول الشيخ العلامة المحدِّث عبد المُحسن العبَّاد:

في شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العبَّاد حين شرحه لكتاب القضاء [باب: كيف القضاء]، سئل -حفظه الله-: **إن هؤلاء الحكَّام الذين يَحكمون بغير ما أنزل الله قد أقيمت عليهم الْحُجة؛ لأن الأشرطة منتشرة والكتب موجودة وهم يصرون على الحكم بالديمقراطية، فهل هذا يقتضي كفرهم؟**

---

(١) تدبر هذا الكلام، وقارنه بكلام الحويني.

(٢) كتاب «محاضرات في العقيدة والدعوة» للشيخ صالح الفوزان (طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء-الإدارة العامة لمراجعة المطبوعات الدينية-الرياض- طبعة سنة ١٤٢٤هـ).
وقد وجهت هذه الأسئلة إلى الشيخ الفوزان بعد محاضرة له بعنوان: «ظاهرة التبديع والتفسيق والتكفير وضوابطها»، والتي حضرها وعلَّق عليها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز؛ فكانت إجاباته -حفظه الله- بمحضر من الإمام ابن باز -رحمه الله-.

فأجاب -حفظه الله-: «كونهم عرفوا الحق، وحادوا عنه مع اعتقادهم أنهم مخطئون لا يدل على الكفر، **فهم مثل العصاة الذين يقدمون على الأمر المحرم وهم يعلمون أنه محرم**، فالزاني عنده علم بأن الزنا حرام، **ولكنه لم يستحله بل يعترف أنه مخطئ، فهذا ليس بكفر**[1]». اهـ

وقال -حفظه الله- في «قطف الجنَى الداني شرح مقدِّمة رسالة ابن أبي زيد القيرواني» (ص١٢٢): «إذا مات المسلم مرتكبًا كبيرة ولم يتب منها، فإن أمره إلى الله -عز وجل- إن شاء عذَّبه، قال الله -عز وجل-: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفۡتَرَىٰٓ إِثۡمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال ﷺ في حديث عبادة بن الصامت الذي تقدَّم قريبًا: «... **ومَن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله فهو إلى الله، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**».

وقال: «**من ارتكب كبيرة وتاب منها تاب الله عليه، ومَن ارتكب كبيرة ومات من غير توبة فأمره إلى الله، إن شاء عفا عنه، وإن شاء عذَّبه**». اهـ

٢٢) قول شيخنا العلامة المُحدِّث ربيع بن هادي المَدخلي:

في حوار دار بيني وبين الشيخ -حفظه الله- بيَّن أن القول بتكفير المصر على المعصية، هو قول الخوارج، وإليك نص الحوار كما نقلته في كتابي «دفع بغي الجائر الصائل» (ص٤٣٨-٤٣٩- الطبعة الثانية):

«وهأنا أضرب مثالاً واحدًا من منهج العلامة ربيع -حفظه الله- مع طلبته، من عشرات الأمثلة التي تحبط هذا الافتراء وتدحضه، فالمتابع لحال بعض المكفرين -الخوارج الجدد- يجد أنهم كلما أغلق عليهم السلفيون بابًا للتكفير، بحثوا عن باب آخر ليقرروا بدعتهم، ومن هذه الأبواب الجديدة والنعرات المفتعلة: مسألة الإصرار على المعصية أو الكبيرة، وأن هذا الإصرار كفر أكبر، وقد كتبت بحثًا لدحض هذه الشنشنة القديمة التي نعرفها من أخزم سميته: «حكم الإصرار على المعاصي والكبائر بين السلفيين والخوارج العصريين»[2]، وقد

---

(١) وهذا عكس ما قرره الحويني تمامًا.

(٢) وهو البحث الذي ضمنته هنا.

عرضت هذا البحث على الشيخ -حفظه الله- وراجعه معي، وقال لي: إن التكفير بالمعصية هو سبيل الخوارج، قلت له: شيخنا، إنهم لا يقولون نحن نكفر بالمعصية، بل هم يلفون ويدورون، ويقولون نحن نكفر الْمُصر على المعصية.

ثُمَّ قلت: والمؤدى في النهاية واحد، وهو أنّهم يكفرون بالمعصية ولا فرق، فأجابني موافقًا، واستأذنت الشيخ في نشر هذا البحث نصحًا لبعض المسلمين الذين اغتروا بأحد طلبة علم الحديث ممن له صيت وشهرة[1]، عندما فتح هذا الباب وأشاع هذه الفتنة بقوله: المصر على المعصية كافر، فأذن لي ونصحني ببعض النصائح فيما يخص البحث، فجزاه الله خيرًا». اهـ

وقال أيضًا -حفظه الله- في «شرح عقيدة السلف أصحاب الحديث» (ص١٨٧) تعليقًا على قول الإمام أبي عثمان الصابوني: «وإن خرج من الدنيا غير تائب منها -أي: من الذنوب-، ومات على التوحيد، والإخلاص...»: «يعني: مات مُصِرًّا عليها، وهذا أمرٌ مذموم لا شكَّ؛ لأن المطلوب من المؤمن أن يستقيم على دين الله -تبارك وتعالى-....».

ثم قال مُعلِّقًا على قوله: «ومات على التوحيد والإخلاص»: «بهذا الشرط، فقد يموت على سوء الخاتمة، والعياذ بالله.... وهذا المصرُّ على المعاصي قد يكون عنده شيء من العناد، فيعاقبه الله بسوء الخاتمة، فلا ينبغي للمسلم أن يُصرَّ على ذنبٍ حتى يموت، ليس له إطلاقًا إذا ارتكبَ ذنبًا إلاَّ أن يُبادرَ بالتوبة...». اهـ

٢٣) قول شيخنا محمد بن عبدالوهّاب البنا -رحمه الله تعالى-:

سئل الشيخ -رحمه الله-: **عن مقولة الحويني في تكفير المصر على المعصية، وأنه مستحل؟**

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: هذا .. هذا [قول] الخوارج!... ثم قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ.....﴾ الشرك لا يغفر، أما كل ذنب إذا لم يعقد قلبه على أن هذا ضلال [...] لكن عمل بخلاف [...] خايف على ولده هذا كبيرة [.....][2].

---

(١) والمعني هو الحويني.

(٢) كلام غير واضح في التسجيل.

وقال معقبًا على قول الحويني: «أما الرجل المُصِرّ على المعصية. وهو يعلم أنها معصية، فهذا مستحل»: «لا ما هو مستحل!! لا ما هو مستحل!! الاستحلال غير الإصرار، الاستحلال غير الإصرار.

السائل: **ليس هذا كلام أهل السنة والجماعة؟**

فقال الشيخ: أبدًا! هذا باطل، الكلام هذا باطل.

السائل: نسمع لهذا؟

الشيخ: لا ...». اهـ

٢٤) قول الشيخ صالح آل الشيخ:

قال -حفظه الله- عند شرحه لقول الطحاوي: «لا نكفِّرُ أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله»:

«والاستحلال هو اعتقاد كون هذا الفعل حلالاً، قال ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه «الصارم المسلول على شاتم الرسول»: والاستحلال أن يعتقد أن الله جعله حلالاً أو أن الله لم يحرمه، فإن اعتقد أن هذا الشيء حلالاً، أو أن الله لم يحرم هذا سواء كان حلالاً على الأمة جميعًا أو حلالاً عليه هو، وسواء كان عدم التحريم على الجميع أو عليه هو -لأنها صورتان- فإن هذا هو الاستحلال، فإذن ضابط الاستحلال المكفِّر هو الاعتقاد وذلك أن [يعتقد أن] الخمر حلال فإنه جحد تحريمها، ويأتي الصلة ما بين الجحد والتكذيب والاستحلال في المسألة التي تليها إن شاء الله تعالَى.

- **فإذن ضابط الاستحلال المكفّر أن يعتقد كون هذا المحرم حلالاً، وله صورتان:**

الصورة الأولى: أن يعتقد كونه حلالاً له دون غيره، وهذه تسمى الامتناع.

والصورة الثانية: أن يعتقد كونه حلالاً مطلقًا له ولغيره، وهذه تسمى التكذيب أو الجحد المطلق.

فالاستحلال المكفِّر هو الاستحلال بالاعتقاد.

قال بعض أهل العلم: وأما ما جاء في حديث أبي عامر أو أبي مالك الأشعري الذي في البخاري معلّقًا بل موصولاً، وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**ليكونن من أمتي أقوام**

يستحلون الحر -يعني الزنا- والحرير والخمر والمعازف»، هل هذا الاستحلال من الاستحلال العملي أو الاستحلال المكفّر؟ قال طائفة -كما ذكرتُ لك وهو ظاهر-: أن هذا الاستحلال عملي وليس باعتقاد كون هذه الأشياء حلالاً، فلم يُخرجهم من الإيمان إلى الكفر ولم يخرجهم من كونهم من هذه الأمة لقوله: «ليكونن من أمتي» فجعلهم بعض هذه الأمة، وهذا يُلْمِعُ إليه كلام ابن تيمية وكذلك للحافظ ابن حجر ولجماعة، وهو ظاهر في أن المدمن للذنوب يكون فعله فعل المستحل؛ لكن ليس اعتقاده اعتقاد المستحل، فقال «يستحلُّون» يعني يستحلون عملاً لا اعتقادًا؛ لأجل ملازمتهم لها وإدمانهم لهذه الذنوب.

فضابط الكفر في الاستحلال الذي ذكره هنا (مَا لَمْ يَسْتَحِلَّهُ)، يعني: ما لم يعتقد أن الله لم يحرم هذا، أو أن الله أباح هذا، أو أن هذا الأمر حلال، أو ليس بحرام إلى آخره، وهذا القدر له ضابط أصلي عام، وهو أنّ الذي ينفع فيه ضابط الاستحلال هي الذنوب المجمع على تحريمها، المعلومة من الدين بالضرورة، أما إذا كان الذنب مختلَفًا فيه إما في أصله أو في صورة من صوره فإنه لا يكفُر من اعتقد حِلّ هذا الأصل المختلف فيه يعني في أصله أو الصورة المختلف فيها». اهـ

قلت: فهذه نقولات واضحة بيِّنة عن أئمة وعلماء كبار في بيان معنى الإصرار، وحكم المصر على المعصية، وفي التفرقة بين الإصرار على المعصية والاستحلال الاعتقادي المخرج عن الملة، فهل يتعظ الحويني بها، ويرجع عن قوله؟!

وأما تكفير المصر على المعصية، والحكم عليه بالخلود في النار فإنه مذهب الخوارج والإباضية:

قال ابن حزم في الفصل (**٥/٥٣**) عند بيانه معتقد النجدات من الخوارج أن نجدة بن عامر الحروري قال: «من كذب أو عمل ذنبًا صغيرًا، فأصر عليه فهو كافر مشرك».

وقال الشيخ حافظ الحكمي -رحمه الله- في **«معارج القبول»** (١٠٢٠/٣): «فقالت الخوارج: المصر على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية، لا يصلَّى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين ولو أقر لله بالتوحيد وللرسول بالبلاغ

وصلى وصام وزكى وحج وجاهد، وهو مخلد في النار أبدًا مع إبليس وجنوده، ومع فرعون وهامان وقارون». اهـ

وقال أبو الحسن الأشعري في «مقالات الإسلاميين» (١/١٨٧) في تعداده لمقالات الإباضية: «وقالوا: الإصرار على أي ذنب كان كفر».

وقال أيضًا في (١/١٩٧): «ومن قول الصُّفرية وأكثر الخوارج أن كل ذنب مغلَّظ كفر، وكل كفر شرك، وكل شرك عبادة للشيطان».

قلت: وحكمت المعتزلة على المصر على المعصية بالخلود في النار، لكنهم قالوا: هو في منزلة بين منزلتين بين الكافر والمؤمن[1]:

قال الزمخشري المعتزلي في تفسيره «الكشاف» (١/٣٢٤) في تفسيره قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾: «وفي هذه الآيات بيان قاطع أنّ الذين آمنوا على ثلاث طبقات: متقون وتائبون ومصرون، وأن الجنة للمتقين والتائبين منهم، دون المصرّين، ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه».

وتعقَّبه ابن حيَّان في تفسيره «البحر المحيط» (٣/٣٩٢) فقال بعد أن نقل كلامه: «وآخره على طريقته الاعتزالية من: أن من مات مصرًا دخل النار ولا يخرج منها أبدًا».

وردَّ أيضًا على احتجاج المعتزلة بهذه الآية على تخليد المصرين على المعصية في النار: الآلوسي في تفسيره «روح المعاني» (٣/٢٢٧) حيث قال: ثم إن في هذه الآيات على ما ذهب إليه المعظم دلالة على أن المؤمنين ثلاث طبقات: متقين وتائبين ومصِّرين، وعلى أن غير المصِّرين تغفر ذنوبهم ويدخلون الجنة، وأما أنها تدل على أن المصرين لا تغفر ذنوبهم ولا يدخلون الجنة كما زعمه البعض فلا؟ لأن السكوت عن الحكم ليس بيانًا لحكمهم

(١) قال الشيخ فلاح بن إسماعيل -حفظه الله-: «المعتزلة يحكمون على المصر على المعصية في الدنيا بأنه في منزلة بين المنزلتين، فلا يُقال: كافر ولا مؤمن، وذلك لكونه حيًا ولعله يتوب، ويرجع ويقلع قبل موته، وأما إن مات مُصرًا وانقطع بذلك الرجاء في توبته، فإنهم -قبَّحهم الله- يحكمون عليه بالخلود في النار، وأنه لا يخرج منها أبدًا، ولكنه في نار دون نار الكافرين، كما زعموا.
فليتنبه إلى هذا القيد في تفريقهم في الحكم والوصف على المصر بين الدنيا والآخرة، فإنه مهم!».

عند بعض ودالّ على المخالفة عند آخرين وكفى في تحققها أنهم مترددون بين الخوف والرجاء، وأنهم لا يخلون عن تعنيف أقله تعييرهم بما أذنبوه مفصلاً ويا له من فضيحة، وهذا ما لا بد منه على ما دلّت عليه نصوص الكتاب والسنة، وحينئذ لم يتم لهم المغفرة الكاملة كما للتائبين على أن مقتضى ما في الآيات أن الجنة لا تكون جزاء للمصر، وكذلك المغفرة أما نفي التفضل بهما فلا. وهذا على أصل المعتزلة واضح للفرق بين الجزاء والتفضل وجوبًا وعدم وجوب، وأما على أصل أهل السنة فكذلك؛ لأن التفضل قسمان: قسم مترتب على العمل ترتب الشبع على الأكل يسمى أجرًا وجزاءً، وقسم لا يترتب على العمل فمنه ما هو تتميم للأجر كمًّا أو كيفًا كما وعده من الأضعاف وغير ذلك، ومنه ما هو محض التفضل حقيقة واسمًا كالعفو عن أصحاب الكبائر ورؤية الله تعالى في دار القرار وغير ذلك مِمَّا لا يعلمه إلاَّ الله تعالى، قاله بعض المحقِّقين، وذكر العلامة الطيبي أن قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]. وردت خطابًا لآكلي الربا من المؤمنين ردعًا لهم عن الإصرار على ما يؤديهم إلى دركات الهالكين من الكافرين وتحريضًا على التوبة والمسارعة إلى نيل الدرجات مع الفائزين من المتقين والتائبين، فإدراج المصرِّين في هذا المقام بعيد المرمى؛ لأنه إغراء وتشجيع على الذنب لا زجر ولا ترهيب فبين بالآيات معنى المتقين للترغيب والترهيب ومزيد تصوير مقامات الأولياء ومراتبهم ليكون حثًّا لهم على الانخراط في سلكهم ولا بدّ من ذكر التائبين واستغفارهم وعدم الإصرار ليكون لطفًا لهؤلاء وجميع الفوائد التي ذكرت في قوله -سبحانه وتعالى-: ﴿وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٣٥]. تدخل في المعنى، فعلم من هذا أن دلالة: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا﴾ [آل عمران: ١٣٥]. مهجورة لأن مقام التحريض والحثّ أخرج المصرين، والحاصل أن شرط دلالة المفهوم هنا منتف فلا يصح الاحتجاج بذلك للمعتزلة أصلاً». اهـ

وقال الجويني في «الإرشاد» (ص٣٢٩): «فصل: فيمن مات مصراً على المعصية:

من مات من المؤمنين على إصراره على المعاصي فلا يقطع عليه بعقاب، بل أمره مفوّض إلى الله تعالى، فإن عاقبه فذلك بعدله، وإن تجاوز عنه، فذلك بفضله ورحمته، فلا يستنكر ذلك عقلاً وشرعًا، وهذا مذهب البصريين وبعض البغداديين.

وذهب كثير من معتزلة بغداد إلى أن العفو غير جائز، وحتم على الله أن يعاقب كل مصرٍ على الأبد، وهذا الذي قالوه مراغمة للعقل، فلا يخفى حسن الغفران، والتجاوز عن المسيء، وقد نطق الشرع بذلك وحثَّ عليه.

فإذا حسُن من الواحد منا الصفح، مع تلذذه بالانتقام، والتشفي، وتعرضه للمضار لو كظم غيظه، فلأن يحسن العفو من الرب تعالى، المتنزه عن الحاجة المنعوت بالغنى حقًّا، أولى وأحرى، وما ذكروه إبطال لفضل الله ورحمته، فإنهم أوجبوا عليه ما فعله في الدنيا، وحتَّموا ما يُجري من أحكام العقبى، ولا تبقى مسكة من الدين مع مَن ينتحل هذا المذهب». اهـ

وقال ابن حزم في «الإحكام» (٤٧/٥): «**ولا يظن ظان أننا نقول بالوعيد كقول المعتزلة من إبطال سيئة واحدة للحسنات، ومن الخلود على المصر على الكبائر**[1]، ومعاذ الله من ذلك، ولكنّا نقول بما جاء به النصُّ من الموازنة وذهاب السيئات والحسنات، بمعنى أن الحسنات تذهب السيئات، وبأن من استوت حسناته وسيئاته أو رجحت حسناته لم ير ناراً أصلاً، ولكن من رجحت سيئاته وكبائره مِمَّن مات مصراً فهؤلاء الذين يخرجون من النار بالشفاعة، ولا خلود على مسلم في النار، ولا يدخل الجنة كافر أبدًا». اهـ

قلت: ولقد سار السروريون على نهج الخوارج والإباضية والمعتزلة في حكمهم على المصرِّ على المعصية، حيث قال محمد سرور زين العابدين في كتابه «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» (الجزء الأول- ص١٥٨): «فليس من المستغرب أن تكون مشكلة إتيان الذكران من العالمين أهم قضية في دعوة لوط -عليه السلام-؛ لأن قومه لو استجابوا له في دعوته إلى الإيمان بالله وعدم الإشراك به، لَمَا كان لاستجابتهم أي معنى إذا لم يقلعوا عن عاداتهم الخبيثة التي اجتمعوا عليها، ولم يتستروا في فعلها». اهـ

قلت: يقصد محمد سرور أن قوم لوط لو ظلوا مصِّرين على معصية اللواط، فلن ينفعهم الإيمان بالله وعدم الإشراك به؛ لأن إصرارهم على معصية اللواط كفر.

وسئل العلامة الفوزان كما في «الأجوبة السديدة عن أسئلة المناهج الجديدة»:

---

(١) أي: الخلود في النار.

س ٢٩: يقول محمد سرور زين العابدين في كتابه: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله»[١]: «لو أن قوم لوط قالوا: «لا إله إلا الله» لا تنفعهم ما داموا مصرّين على معصيتهم»، ما رد فضيلتكم في هذا الكلام؟

ج: قوله أن قوم لوط لو وحدوا الله لم تنفعهم ما داموا على اللواط ...[٢]هذا كلام باطل؛ لأن اللواط لا شك أنه جريمة، وأنه كبيرة من كبائر الذنوب، ولكن لا يصل إلى حد الكفر فمن تاب إلى الله -عز وجل- من الشرك، ولم يقع منه شرك، ولكن وقع منه جريمة اللواط هذا يعتبر قد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب، لكنه لا يكفر، فلو أن قوم لوط وحدوا الله -عز وجل-، وعبدوا الله وحده لا شريك له، ولكن بقوا على جريمة اللواط؛ لكانوا فسقة مرتكبين كبيرة من كبائر الذنوب، يعاقبهم الله عليها إما في الدنيا وإما في الآخرة، أو يعفو عنهم سبحانه وتعالى، لكن لا يكفرون، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

وفي الحديث الصحيح: «**إن الله -سبحانه وتعالى- يأمر يوم القيامة أن يخرج من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان**».

ويراد بهم أهل التوحيد، الذين عندهم معاصي ودخلوا بها النار، يعذبون ثم

---

(١) قال الشيخ جمال فريحان الحارثي، الصحيفة رقم (١٧٠).

(٢) قال الشيخ جمال فريحان الحارثي: «لعل كثيرًا من الشباب لا يفهم معنى هذا الكلام، معناه: أن الإنسان الذي مقيم وملازم لكبيرته فلم يتب، لا ينفعه الإيمان لو آمن، لو كان كافرًا ومرتكبًا لكبيرة، كفاحشة الزنا واللواط، ومع ذلك استجاب للداعية فآمن، ما نفعه إيمانه هذا طالما هو مرتكب لتلك الكبيرة، أي: إن الكبيرة تتنافى والإيمان. أي: أن مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن.
هذه عقيدة من؟ عقيدة الخوارج.
وهذا الداعية الذي في لندن، يقول إنه داعية هو وأصحابه، إلى أي شيء يدعون؟ إلى عقيدة الخوارج، يعني: يريدون أن يقيموا دولة على عقيدة الخوارج.
والاعتقاد بأن صاحب الكبيرة لو مات على كبيرته قبل أن يتوب هو كافر، لا ينفعه إيمانه: عقيدة الخوارج الذين خرجوا على علي بن أبي طالب وكفّروه، كفّروا علي بن أبي طالب». اهـ
من شريط في الرد على محمد سرور زين العابدين للشيخ محمد أمان الجامي -رحمه الله-.

يُخرَجون من النار بتوحيدهم وعقيدتهم، فالموحد وإن دخل النار لا يُخَلَّد فيها، وقد يعفو الله عنه ولا يدخل النار أصلاً ﴿وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾.

فهذه الكلمة؛ كلمة جاهل، وهي أحسن ما نحمله عليها، أحسن ما نحمله عليه الجهل.

والجهل داء وبيل والعياذ بالله، وهذه آفة كثير من الدعاة اليوم، الذين يدعون إلى الله على جهل، يقعون في هذا، ويكفِّرون الناس بدون سبب، ويتساهلون في أمور التوحيد[1].

انظروا إلى هذا الجاهل، هذا الجاهل يتساهل في أمر العقيدة ويعظِّم أمر اللواط، أيهما أشد؟

هل الشرك أشد أم اللواط أشد؟ نسأل الله العافية». اهـ

قلت: وبهذا يتبين لنا أن الحويني خالف اتفاق أهل السنة ووافق قول المعتزلة، وقول الخوراج القدامى -وهم النجدات والإباضية-، والخوارج العصريين -وهم السروريون-، في الحكم على المصرِّ على المعصية.

وتأمل -رحمك الله- أن إجابة الحويني تناقض صريح آية آل عمران، حيث قال الله

---

(١) قال الشيخ الحارثي: «قال أحدهم، وهو يهون من أمر تعلم التوحيد، الذي دعت إليه الأنبياء والرسل عقودًا من الزمن في أقوامهم، يقول في كتابه: «هكذا علم الأنبياء»: (٤٣-٤٤): «إن قضية التوحيد وإفراد الله -تعالى- بالعبادة هي القضية الكبرى والأساس، والتي دعا إليها جميع الأنبياء... وهي قضية سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد والإشكال، يفهمها كل واحد..، فجزء من اليسر اليسرُ في العقيدة، بحيث تستطيع أن تشرح لأي إنسان عقيدة التوحيد في عشر دقائق أو نحوها، فينطلق وقد فهمها ووعاها بكل سهولة».

أقول: إذا كان الأمر كذلك فلماذا -سيد قطب، وحسن البنا وأشياعهم ممن زلَّ في العقائد- لم يفهموا عقيدة التوحيد في عشر سنوات ولا نقول عشر دقائق؟! لماذا يستغيث أحدكم في بداية محاضرته؛ بدمه وقلبه؟ ويطلب الإسعاف والوقوف والإنقاذ منها.

إذا كان الأمر كذلك: فلماذا أرسل الله الرُسل، الرسول تلو الرسول؟ لماذا مكث نوح -عليه السلام- في قومه ألف سنة إلاَّ خمسين عامًا؟ يدعوهم إلى التوحيد ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: ٤٠]. لماذا مكث محمد ﷺ في مكة ثلاثة عشر عامًا يدعو إلى التوحيد؟... إلخ». اهـ

سبحانه: ﴿وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، وهذا يفهم منها بالإشارة أن المصر على المعصية وهو يعلم أنها معصية، ليس بكافر.

والبعض يظن أن الحويني قد تراجع عن هذا القول، وهذا لم يحدث، حيث إنه في الموضع الذي ادُّعي له فيه أنه تراجع، إنما قام بالدفاع عن قوله السابق، وزاد الأمر تلبيسًا على السُّذَّج، بادعائه أنه قد اتُّهم ظلمًا بالتكفير بالكبيرة، وذلك بقوله في خطبة جمعة بعنوان: «نظرات في سورة الأنفال -الجزء ٦- تسجيلات المنار»، ما يلي:

«بعض من لم يُحسن الفهم مع ما أراه من القرائن الظاهرة من سوء القصد أشاعوا عني مقالة ما اعتقدتها بقلبي يوما من الأيام و لا تلفظ بها لساني ولا في الخلوات، فضلاً عن هذه المشاهد، هذه المقالة الفاجرة الآثمة تقول: إنني أكفر المسلمين بالكبيرة.

فأنا أنشد طلاب العلم الذين يسمعونني منذ قرابة خمسة وعشرون سنة وأنا أخطب على المنابر، هل سمعوا مني في يوم من الأيام أنني قلت أن فاعل الكبيرة كافر!!».

قلت: هكذا يصرف الحويني أذهان المستمعين إلى وجهة أخرى، لا علاقة لها بما اتُّهم به، فإن البدعة التي وقع فيها هي تكفير المصر على المعصية، لا تكفير فاعل الكبيرة، وإن كان هذا يؤدي إلى هذا لا محالة، ولكنه أراد استجاشة عواطف المغرَّر بهم بهذا الكلام، أو أنه لا يحسن التفرقة بين المسألتين، وهذا أعظم.

إنْ كُنتَ لا تَدري فتلك مُصيبة وإنْ كُنتَ تَدري فالمُصيبة أعظمُ

ثم قال: «فوالله ما اعتقدتها يومًا من الأيام حتي وأنا حدث في الطلب، إنما غرَّهم عبارة سمعوها -مع ما أراه من القرائن الظاهرة من سوء القصد-، سمعوا مقالة لي هي أنني قلت: «إن المصرّ مستحلٌّ»، ثم ضربت مثلاً فقلت: «لو قال رجلٌ: إن الله -عز وجل- حرَّم الربا، ولكني آكله فهذا كافرٌ لا إشكال في كفره»، هذه العبارة التي قلتها، قالوا: المصر مستحل!! هذا لم يقل به أحد، قلت: أنا ما تكلمت عن من هو المصر، و ما ورد في كلامي أصلاً تعريف المصر...».

إلى أن قال: «فكل الأمثال من باب المبين، فأنا إذا قلت: «إن المصر مستحل» هذا

كلام مجمل، ثم قلت مثال -حتي أبين معني الكلام السابق- إذا قال رجل: إن الله حَرَّم الربا أو حرم الزنا أو حرم العقوق أو حرم أي شيء لكنى أفعله، فهذا واضح أنه كفر إباء..». اهـ

قلت: هكذا يستمر الحويني في التلبيس، وخلط الحقائق مع الأباطيل، فبعد أن سوّى في الفتوى الأولى بين الإصرار على المعصية والاستحلال الاعتقادي، إذ به الآن يضيف إليهما: كفر الإباء، فجعل الثلاثة شيئًا واحدًا، أي: جعل الثلاثة من المترادفات، والفرق بينها ظاهر عند أهل السنة، فليس كل مصر مستكبرًا بقلبه عن قبول حكم الله، وليس كل مصر مستحلاً للمعصية استحلالاً اعتقاديًا[1].

والعجيب أن الحويني صرّح بأنه يعلم أن المصر ليس هو الذي يكرر المعصية، ما دام يتوب من الذنب في كل مرة، حيث قال الحويني: «المصر: ليس هو الذي يفعل الذنب و يكرّره ولو مرارًا، إن تكرار الذنب لا يدل على الإصرار»، وقال: «العبد إذا كرَّر الذنب مرارًا و تكرارًا لا يدل على الإصرار، والفعل بمجرده أيضًا لا يدل على الإصرار، يعني واحد

(١) وقد شابه صنيع الحويني هذا في الجمع في الحكم بين المتفرقات صنيع فخر الدين الرازي في التفريق في الحكم بين الأشياء المتفقة، فيما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «نقض تأسيس الجهمية» (١/ ٦٥): «الوجه الثالث والثلاثون: أنه إذا لم يكن فرق في نفس إدراك كنهه بين الوهم والخيال وبين الحس وبين العلم والعقل لم يحصل شيء من مطلوبك، فإن المطلوب أنه لا بد من الاعتراف بثبوت أمر على خلاف حكم الحس والخيال والذي ذكر لا فرق فيه بين الحس والخيال وبين العقل فإن هذه الأمور لا تكيف ذاته ولا يلزم من نفي اكتناه ذاته نفي معرفته بها كما لم يلزم نفي معرفته بالعلم والعقل، فإن قوله لابد لهم من الاعتراف بأن خصوص ذاته الذي امتازت به عن سائر الذوات مما لا يصل الوهم والخيال إلى كنهها وذلك اعتراف بثبوت أمر على خلاف ما يحكم به الوهم ويقضي به الخيال مع أنه لم يذكر حجة عليه لا فرق فيه بين الوهم والخيال وبين الحس والعقل والعلم فإن شيئًا من ذلك لا يصل إلى كنهه، وإذا كان مقصوده الفرق بين الوهم والخيال وبين العقل والعلم بهذا مع أنه لا فرق بينها من هذا الوجه ومع أن ذلك لا ينفي معرفته بذلك وإن لم يوصل ذلك إلى كنهه ظهر أن ما قاله ليس فيه تحصيل لغرضه مع ما فيه من التفريق بين الأشياء فيما اتفقت فيه.

فتدبر هذا كله فإنه كلام حقٌّ!! يعرف كيف أضل هؤلاء لعباد الله بمتشابه الكلام، كما قال الإمام أحمد في وصفهم يتكلمون بالمتشابه من الكلام ويلبسون على جهال الناس بما يتكلمون به من المتشابه».اهـ

واضع أمواله في البنوك، فيقال له هذا ربا، فيقول: الله يتوب عليه أعمل إيه، لا أجد من يشغل لي أموالي، الأمانة راحت، وضعنا أموالنا في الشركة الفلانية سرقوها، وضعناها في الشركة العلاَّنية سرقوها، أنا ماذا أفعل؟ ربنا يتوب عليه.

هذا لا يكفر وإن كان مرتكبًا لهذه الكبيرة الموبقة، وهو وضع الأموال في البنوك، أنسوى بين هذا الذي قال هذا الكلام وبين من يقول: إن الله حرَّم الربا ولكني آكله، من الذي يسوى بين هذا في العالمين؟!!».

قلت: المصر يكرر المعصية مصراً عليها بقلبه ولسانه وجوارحه، وقد يصر عليها بقلبه، لكن لا يفعلها بجوارحه، إما لضعف وعجز عن الفعل، وإما لعدم توفر أسباب المعصية، ولا يلزم من هذا أو ذاك الإباء والاستكبار عن قبول حكم الله.

فالمثال السابق الذي ضربه الحويني يحتمل الأمرين، لكن لا يجزم بأن هذا المصر على أكل الربا مستكبر لمجرد قوله: إن الله حرم الربا، ولكني آكله، لأن العبارة موهمة، ومحتملة.

وقد سئل العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (س٧٩- ط دار علم السلف- بتحقيقي) عن رجل قيل له: فعلك هذا محرم، فقال: أنا أعرف أنه حرام، ولكن سأفعله؟

فأجاب -رحمه الله-: «إذا كان مضطرًا إلى فعله فهو معذور، وإلا فهو مستهتر، وهي معصية كبرى قد تصل إلى درجة الكفر[1] والعياذ بالله».

قلت: أرأيتم كلام العالم الرباني لا المتهور المتسرِّع في التكفير؟!!

فلم يجزم العلامة عبد الرزاق بتكفير قائل هذه العبارة -قولاً واحدًا-، ولم يجازف كما جازف الحويني، ويقول: «لا أعتقد في الدنيا إنسان يستمع مثل هذا الكلام، ويتوقف في تكفير هذا البني آدم، هذا مستحل هذا مستحل»، إنما فصَّل، واعتبر أن العبارة محتملة، فهي تحتمل كون قائلها قالها عن اضطرار لا عن إصرار ولا استكبار، أو أنه قالها مستهترًا،

(١) قال الشيخ حسن بن عبد الوهاب: «أي: إذا استحلّ هذه المعصية، أو وقع في كفر الإباء والعناد».

واعتبر هذا الاستهتار معصية كبرى، قد تكون كفرًا، وهكذا لم يجزم بالتكفير، إنما جعله آخر الاحتمالات.

قال الخطيب البغدادي -رحمه الله- في «الفقيه والمتفقِّه» (٤٠٣/٢) في (باب: ما يفعله المفتي في فتواه): «وإذا سئل -أي المفتي- عمَّن قال: أنا أصدق من محمَّد من عبد الله، أو عمَّن قال: الصلاة لعب وعبثٌ، أو قال لقصيدة بعض الشعراء: أحسن من القرآن[١]، فيجب أن لا يبادر المفتي بأن يقول: هذا حلال الدم، أو مباح النفس، أو عليه القتل، بل يقول: إذا صحَّ ذلك إما بالبينة أو بالإقرار استتابه السلطان، فإن تاب قبِل توبته، وإن لم يتب أنزل به كذا وكذا، وبالغ في ذلك وأشبعه.

فإذا سئل عمَّن قال: كذا وكذا، مِمَّا يحتمل أمورًا لا يكون ببعضها كافرًا، فينبغي للمفتي أن يقول: يسأل هذا القائل عمَّا أراد بما قال، فإن أراد كذا، فالجواب كذا، وإن أراد كذا، فالجواب كذا[٢]». اهـ

قلت: وهذا عين ما صنعه العلامة عبد الرزاق -رحمه الله- العالم الرباني المتأدب بالآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المفتي؛ حيث فصَّل في المسألة، وبيَّن أن هذه العبارة محتملة، فإن كان قائلها مضطرًا فهو معذور، وإن كان متهاونًا فهي معصية كبرى -بلا شك-، وقد تحتمل الكفر.

أما الحويني فقد جازف لَمَّا قال: «من الذي يسوي بين هذا في العالمين؟! لا يشك أحد في كفر هذا الجنس على الإطلاق».

فنقول: فهل أحمد، واللالكائي، وابن أبي زمنين، وابن تيمية، وابن القيم، وابن رجب، وابن حجر، والحكمي، وابن باز، وعبد الرزاق عفيفي، وابن عثيمين -رحم الله الجميع- ليسوا من العالمين؛ لأنهم لم يوافقوا الحويني على تكفير المصر على المعصية، ولم يعتبروه مستحلاًّ؟!

ولاحظ المجازفة في نقله إجماع العالمين على قوله الباطل هذا!

---

(١) زاد الغزي: «أي: مِمَّا يقتضي إراقة دمه».

(٢) نقله بنحوه: الغزي العامري في «الدُّر النضيد» (ص٣٤٨)، وعزاه إلى الصَّيمريّ والخطيب.

اللهم إنّا نبرأ إليك من هذه المجازفة!!

واعلم -رحمك الله- أن المجازفة والتهويل والتضليل سمات بارزة من سمات أهل الأهواء، فكن على بينة منها.

فكيف يؤتمن الحويني على شباب المسلمين، بل يُصَدَّرُ لردّ شبهات التكفيريين، وهو لا يحسن التفرقة بين المصر على المعصية، والمستحل، والكافر كفر الإباء؟!!

وكيف يُقدّم للشباب على أنه سلفي يرد شبهات الخوارج، وهو المصر على قول نجدة بن عامر الحروري الخارجي، وقول الزمخشري المعتزلي في تكفير المصر على المعصية؟!!

والبعض يقول إن هذا الكلام قديم منذ ما يقرب من سبع سنوات، وقد تراجع عنه الحويني في برنامج قريب له على إحدى القنوات الفضائية[1]، فنقول: اسمعوا كلامه الذي تدّعون أنه تراجع فيه فسوف تجدون أنه كرّر كلامه السابق المذكور في خطبة «نظرات في سورة الأنفال»، حذو القذة بالقذة، حيث قال أيضًا مُلبسًا: «أنا ما خطر ببالي أن أكفر فاعل الكبيرة».

قلت: البحث معك في المصر على الكبيرة لا في فاعلها دون إصرار، فلِمَ الإصرار على التلبيس رغم مضي سبع سنوات على التراجع الأول المدّعى؟!

ثم ضرب أيضًا المثال السابق نفسه المتعلق بآكل الربا، وأعاد ما قرره من تسويته بين المصر والمستحل والمستكبر، بل ادعى الإجماع على هذا!!!

فقال: «لكن الذي بان لي وظهر من خطاب هذا الذي أرسل إليّ أن الرجل مستحل للربا[2] مش مجرد واحد يقال له: الربا حرام، يقول: والله أنا عارف إن الربا حرام لكن أعمل

---

(١) موقع طريق الإسلام على الإنترنت -الصفحة الخاصة بأبي إسحاق الحويني- الرد على من يقول: أبو إسحاق يكفّر بالكبيرة.

(٢) وإذا رجعنا إلى السؤال المشار إليه، والذي نقلناه آنفًا، نجد نصّه كما يلي: «بعض أهل العلم يقولون بكفر فاعل المعصية المصر عليها، وأن التوبة شرط لكي يعود مسلمًا من جديد؟».

قلت: فليس في السؤال أن السائل هو الذي سأل عن الرجل المصر على أكل الربا، إنما ضرب الحويني المثل بآكل الربا خلال إجابته.

وهذا التلون وعدم الوضوح من الحويني يجعلنا في ريبة أكثر ويشعر أن الأمر كأنه مبيّت بليل.

إيه؟ الحياة غلا...أنا مضطر أحط فلوسي في البنك... وهو يعلم أنه حرام -يعني الربا حرام- ويأكل الحرام لكن يتكئ على أي عذر غير مقبول، لكن يظهر من كلامه أن الرجل غير مستحل، بخلاف واحد يقول: أنا عارف أن ربنا حرَّم الربا، والقرآن والرسول لعنا آكل الربا، لكن أنا سآكل الربا يا أخي مزاجي آكل الربا، أنت مالك...!!

أنا لا أعتقد في الدنيا إنسان يسمع مثل هذا الكلام، ويتوقف في تكفير هذا البني آدم، هذا مستحل هذا مستحل، والمستحل كافر بالإجماع... هذا ليس مجرد واحد مصر على أكل الحرام، إنما هو مستحل». اهـ

قلت: هكذا الحويني يصر على أن الإصرار هو الاستحلال، وفي الوقت نفسه: اعتبر الإصرار هو كفر الإباء، ومن أجل هذا سوف نسرد لكم كلام شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في بيان الفارق الجلي بين الاستحلال الاعتقادي وكفر الإباء والاستكبار، حيث قال -رحمه الله- كما في «الصارم المسلول على شاتم الرسول» (٥٩٣/١) في معرض ردِّه على شبهة المرجئة في تكفير الساب للرسول، حيث قالوا: إنما كفر؛ لأن سبه دليل على أنه لم يعتقد أنه حرام واعتقاد حلِّه تكذيب للرسول فكفر بهذا التكذيب لا بتلك الإهانة، وإنما الإهانة دليل على التكذيب، فقال في الوجه الثالث في الرد عليهم، وهو موضع الشاهد:

«**الوجه الثالث:** أن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه واعتقاد انقياد لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم و أبى أن يذعن لله وينقاد فهو إما جاحد أو معاند، ولهذا قالوا: مَن عصى الله مستكبرًا كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى مشتهيًا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكفِّره الخوارج؛ فإن العاصي المستكبر وإن كان مصدقًا بأن الله ربه فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق.

وبيان هذا: أن من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافر بالاتفاق فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها من غير فعل، والاستحلال: اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها؛ هذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدًا محضًا غير مبني على مقدمة.

وتارة يعلم أن الرسول إنما حرَّم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم، ويعاند المحرم فهذا أشد كفرًا ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذّبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته، فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمردًا أو اتباعًا لغرض النفس، وحقيقة كفر هذا لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه[1]، ويقول: أنا لا أقر بذلك ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، فهذا نوع من غير النوع الأول، وتكفير هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، والقرآن مملوء من تكفير مثل هذا النوع بل عقوبته أشد و في مثله قيل: [أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه] -وهو إبليس و من سلك سبيله-.

وبهذا يظهر الفرق بين العاصي فإنه يعتقد وجوب ذلك الفعل عليه ويحب أنه يفعله، لكن الشهوة والنفرة منعته من الموافقة فقد أتى من الإيمان بالتصديق والخضوع والانقياد، وذلك قول، ولكن لم يكمل العمل». اهـ

وقال الإمام الألباني -رحمه الله- في كلام متين كأنه يرد على شُبهة الحويني: «فكل المعاصي -وبخاصة ما فشا في هذا الزمان من استحلال عملي للرّبا، والزنا، وشُرب الخمر، وغيرها- هي من الكفر العملي؛ فلا يجوز أن نُكفِّر العُصاة المتلبسين بشيء من المعاصي بمجرد ارتكابهم لها، واستحلالهم إيَّاها عمليًا، إلاَّ إذا ظهر -يقينًا- لنا منهم ما يكشف لنا

(١) وقائل العبارة التي ضرب بها الحويني المثل: «أنا أعلم أن الله حرم الربا، ولكني سآكله»، تحتمل هذا النوع من الكفر، لكنها -كما بيَّنا- ليست صريحة في كفر الإباء، بل محتملة، أما العبارة الصريحة في هذا الكفر، هو ما ذكره شيخ الإسلام بعد ذلك في قول من يقول: «أنا لا أقر بتحريم الربا، ولا ألتزم ذلك، وأبغض هذا الحق، وأنفر عنه..».

وانتبه أيضًا -فهمك الله- إلى أن مشكلة الحويني كامنة في جزمه بكفر صاحب العبارة كفر إباء دون تفصيل، حيث قد يكون قائل هذه العبارة مصرًّا على هذه المعصية إصرارًا نابعًا من شهوة لا نابعًا من استكبار عن قبول حكم الله، فالحويني يصر على التسوية بين العاصي المصر، والمستحل، والمستكبر، بل يجزم أن قائل هذه العبارة يصدق عليه الثلاث صور، حيث جعلها مترادفة لا فرق بينها.

عمَّا في قرارة نفوسهم أنهم لا يُحرِّمون ما حرَّم الله ورسوله اعتقادًا، فإذا عرفنا أنَّهم وقعوا في هذه المخالفة القلبية حكمنا حينئذٍ أنهم كفروا كفر ردة»[1]. اهـ

وقال الشيخ الفوزان في «رسالة ظاهرة التفسيق والتبديع»:

«**الضوابط التي تدل على استحلال المعصية**: أن يصرح الشخص بأنها حلال إما بلسانه وإما بقلمه: بأن يكتب بأنها حلال، أو يقول: إنها حلال، أو يشهد عليه شاهدان عدلان فأكثر بأنه يقول بحل الزنا، أو بحل الخمر، أو حل الربا، أو ما أشبه ذلك.

حينئذ يُحكم عليه بالاستحلال : إما بإقراره كلاميًا، أو كتابيًا، وإمَّا بالشهادة عليه».

قلت: وثمَّ شبهات تتعلَّق تعلُّقًا رئيسًا بمسألة تكفير المصر، سنوردها ونفنِّدها، كي لا نترك ثغرة لصاحب هوى ينفذ منها لتغطية الحق الذي بيَّناه فيما مضى.

****

---

(١) فتنة التكفير (ص٣٢)، وانظر: الشيخ الألباني ومنهجه في تقرير مسائل الاعتقاد، رسالة علمية، (ص٤٥٣، ٤٥٤).

الشبهـة الأولـى

لقد اطلعت على مقال نُشر على منتديات «كل السلفيين» بعنوان: «دفاعًا عن الشيخ (أبي إسحاق الحويني) وردّ فرية اتهامه بموافقة (التكفيري الخارجي)»، قال فيه كاتبه: «كثيرة هي التهم الباطلة التي نسبت إلى أفاضل أهل العلم من مشايخ الدعوة السلفية، ومنها اتهام الشيخ الفاضل أبي إسحاق الحويني بأنه يقول بمقالة الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة، أو المصر على المعصية، فأحببت -نصرة لمشايخ أهل السنة- أن أبين زيف هذه التهمة، وتهافتها...»، ثم قال: «لا يعرف مذهب رجل بمجرد قول وقولين له بل لا بد أن تجمع أقواله ويحمل مجملها على مفصلها، ومطلقها على مقيدها، وعامها على خاصها، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٢/٢٨٨):

«يجب أن يُفسَّر كلام المتكلم بعضه ببعض ويؤخذ كلامه هاهنا وهاهنا، وتعرف ما عادته بعينه وما يريده بذلك اللفظ إذا تكلم به، ونعرف المعاني التي عرف انه أرادها في موضع آخر.

فإذا عرف عرفه وعادته في معانيه وألفاظه كان هذا مما يستعان على معرفة مراده وأما إذا استعمل لفظه في معنى لم تجر عادته باستعماله فيه وترك استعماله في المعنى الذي جرت عادته باستعماله فيه وحمل كلامه على خلاف المعنى الذي قد عرف أنه يريده بذلك اللفظ يجعل كلامه متناقضًا ويترك كلامه على ما يناسب سائر كلامه كان ذلك تحريفًا لكلامه عن موضعه وتبديلاً لمقاصده وكذبًا عليه»، وكأني به -رحمه الله- يريد أمثال هؤلاء المتربصين المتصيدين لزلات أهل العلم بقوله -أيضًا- في مجموع الفتاوى (٢/٣٧٢):

«وهؤلاء قد يجدون من كلام المشايخ كلمات مشتبهة مجملة فيحملونها على المعاني الفاسدة، كما فعلت النصارى فيما نقل لهم عن الأنبياء، فيدعون المحكم ويتبعون

المتشابه، والواجب أن يطلب تبيين المجمل من قول العالم من سائر أقواله، فتجمع أقواله في المسألة الواحدة حتى يزول الإشكال ويتحرر المراد من قول العالم».

قلت: قبل أن أبين بطلان قاعدة «حمل المجمل على المفصَّل في كلام غير المعصوم»، سأتنزَّل مع المخالف، وأقول:

أين المحكم من كلام الحويني في عدم تكفير المصر على المعصية؟!

هات لنا نصًّا صريحًا عنه في هذا الباب حتى يسلم لك اعتراضك، لكن لا تأتنا بكلامه في عدم تكفير صاحب الكبيرة؛ لأن هذا من الحيدة عن موضع النزاع، فالنزاع معه في تكفير المصر على المعصية لا في تكفير صاحب الكبيرة الذي فعلها بدون إصرار كما بيَّنا من قبل.

وأمَّا كلامه في تكفير المصر على المعصية واعتباره إياه مستحلاً فإنه صريح في بابه، وليس من باب الكلمات المجملة المشتبهة التي حملها النّاقدون له على معانٍ فاسدة كما فعلت النصارى فيما نقل لهم عن الأنبياء.

ثم إن الأمر عجب في هذه المنتديات -منتديات كل السلفيين ومنتديات المآربة-، وذلك أنها تعجُّ بالمقالات وبمداخلات العشرات من المفتونين بالحويني الذين يدافعون عنه بكل ما أوتوا من فهم أو من حسن بيان، ويلتمسون له المعاذير بشتى أنواعها، وكأن الرجل مات أو أصابه العجز فلا يستطيع أن يدافع عن نفسه.

أقول: ألا يرحم الحويني هؤلاء الذين سوف يهلكون فيه، ويخرج علينا بمقال أو كتاب يصحِّح فيه كل ما أُخِذ عليه، ويجهر فيه بكل وضوح بمعتقد السلف الذي عليه الأئمة المعاصرون، ويتبرأ صراحة من كل مقالات أهل البدع الصريحة والموهمة حسبة لله -عز وجل-؟!

فالسؤال الذي يفرض نفسه على الذين ضيَّعوا الساعات من عمرهم في تدبيج المقالات دفاعًا عن الحويني، مع اعترافهم بتخطئته في مقالاته المأخوذة عليه، كما سيأتي -إلا أنهم يخالفون في التحذير منه أو في تبديعه-:

لماذا لم يطالبه أحدكم بحسم هذه المهاترات، وبالصدع بالحق الواضح البيِّن دون تورية أو إجمال في القول أو إيهام، مِمَّا لا يدع مجالاً لمنتقد أو مستدرك أو طاعن عليه بحقٍّ ؟!

والذي يظهر أن قاعدة «حمل المجمل على المفصَّل في غير كلام المعصوم» أضلتكم، وميَّعت عندكم الحق الذي يجب أن تنتصروا له، وإليكم دحض هذه القاعدة من كلام أهل العلم:

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- كما في «درء تعارض العقل والنقل» (١/١٤٥): «فطريقة السلف والأئمة أنهم يراعون المعاني الصحيحة المعلومة بالشرع والعقل.

ويُراعون أيضًا الألفاظ الشرعية، فيعبرون بها ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً، ومن تكلَّم بما فيه معنى باطل يخالف الكتاب والسنة ردوا عليه.

ومن تكلَّم بلفظ مبتدع يحتمل حقًّا وباطلاً نسبوه إلى البدعة أيضًا، وقالو: إنما قابل بدعة ببدعة وردَّ باطلاً بباطل».

وقال -رحمه الله- بعد حكاية هذه الطريقة عن السلف والأئمة: «ونظير هذا القصص المعروفة التي ذكرها الخلال في كتاب «السنة» هو وغيره في مسألة اللفظ والجبر».

قال العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- في كتابه «تعريف أبي الحسن للمجمل والمفصل وبيان ما فيه من الخطل»: «يشير -رحمه الله تعالى- إلى تبديع أئمة السنة من يقول: «لفظي بالقرآن مخلوق»؛ لأنه يحتمل حقًّا وباطلاً، وكذلك لفظ «الجبر» يحتمل حقًّا وباطلاً، وذكر شيخ الإسلام أن الأئمة كالأوزاعي وأحمد بن حنبل ونحوهما قد أنكروه على الطائفتين التي تنفيه والتي تثبته.

وقال -رحمه الله-: «ويروى إنكار إطلاق «الجبر» عن الزبيدي، وسفيان الثوري، وعبد الرحمن بن مهدي وغيرهم.

وقال الأوزاعي وأحمد وغيرهما: «من قال جبر فقد اخطأ، ومن قال لم يجبر فقد أخطأ، بل يقال: إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ونحو ذلك.

وقالوا: ليس للجبر أصل في الكتاب والسنة، وإنَّما الذي في السنة لفظ -الجبل- لا

لفظ الجبر؛ فإنه قد صح عن النبي ﷺ أنه قال لأشجّ عبد القيس: «إن فيك لخلقين يحبهما الله: الحلم والأناة»، فقال: أخلقين تخلقت بهما أم خلقين جبلت عليهما؟، فقال : «بل جبلت عليهما»، فقال: «الحمد لله الذي جبلني على خلقين يحبهما الله».

وقالوا: إن لفظ «الجبر» لفظ مجمل.

ثم بيّن أنه قد يكون باعتبار حقاً وباعتبار باطلاً، وضرب لكل منهما مثالاً.

ثم قال: «فالأئمة منعت من إطلاق القول بإثبات لفظ الجبر أو نفيه؛ لأنه بدعة يتناول حقًا وباطلاً».

أقول: ولم يقل أحد من أئمة السنة -ومنهم من ذكرت أسماؤهم- إن كان إطلاقه من سني حمل على المعنى الحسن، وإن أطلقه مبتدع حمل على المعنى القبيح، كما يقول ذلك أبو الحسن المصري المأربي.

وكم لأئمة الإسلام من الأقوال المختلفة في مسائل لا تحصى وفيها المجملات فيأتي أتباعهم فيرجحون ما يؤيده الدليل ويحكمون على ما يقابله بأنه خطأ.

ولا يقولون بحمل مجملات هذه الأقوال على مفصلاتها وكتب الفقه مليئة بذلك، وقد ألف أبو يعلى الحنبلي كتاب «الروايتين والوجهين» ضمّنه مسائل عقدية ومسائل علمية ويبدي وجهة نظره في كل مسألة، ولا يقول فيها بحمل المجمل على المفصل.

٢- وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «مجموع الفتاوى»:

«فإن من خاطب بلفظ العام يتناول حقًا وباطلاً، ولم يبين مراده توجه الاعتراض عليه».

أقول: هذه قاعدة مهمة ينبغي مراعاتها والاستفادة منها وهي تبطل ما يقوله أهل الأهواء «بحمل المجمل على المفصّل، والمفصّل هو حال الشخص الذي يتكلم بالمجمل».

والسلف الصالح على أن العام والمطلق من المجملات، وبيانها يكون بتخصيص العام وتقييد المطلق، وعليه شيخ الإسلام ابن تيمية.

فمن نطق بالعام ولم يخصصه بكلام، أو بلفظ مطلق ولم يقيده بكلام يرفع الإشكال

توجه عليه الاعتراض، وقد يُخَطَّأُ إذا كان من أهل الاجتهاد في مواضع الاجتهاد، وقد يبدع إذا كان في الأصول والعقائد لا سيما إذا أصر وعاند.

قال الذهبي -رحمه الله- (١٤): «قال أحمد بن كامل القاضي: كان يعقوب بن شيبة من كبار أصحاب أحمد بن المعذل، والحارث بن مسكين، فقيهًا سَرِيًّا[1]، وكان يقف في القرآن.

قال الذهبي قلت: أخذ الوقف عن شيخه أحمد المذكور، وقد وقف علي بن الجعد، ومصعب الزبيري، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وجماعة، وخالفهم نحو من ألف إمام، بل سائر أئمة السلف والخلف على نفي الخليقة على القرآن، وتكفير الجهمية، نسأل الله السلامة في الدين.

قال أبو بكر المروذي: أظهر يعقوب بن شيبة الوقف في ذلك الجانب من بغداد، فحذَّر أبو عبد الله منه، وقد كان المتوكل أمر عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان أن يسأل أحمد بن حنبل عمَّن يُقلَّد القضاء، قال عبد الرحمن: فسألته عن يعقوب بن شيبة، فقال: مبتدع صاحب هوى.

قال الخطيب: وصفه بذلك لأجل الوقف».

أقول: انظر هذا التأييد القوي من الذهبي -على تساهله- يقول عن يعقوب بن شيبة ومن معه من الواقفة: إنه قد خالفهم ألف إمام بل أئمة السلف والخلف على نفي الخليقة عن القرآن، وتكفير الجهمية، نسأل الله السلامة في الدين؛ لأن الجهمية يقولون: إن القرآن مخلوق فكفَّرهم السلف، واضطروا أن يقولوا إنَّ القرآن كلام الله غير مخلوق، فصار بعض الجهمية يقول مكرًا: القرآن كلام الله ويقف، ويريد أن الله خلقه، فصار لفظًا مجملاً يحتمل حقًّا وباطلاً.

فمن أراد نصرة منهج السلف على الجهمية والتميز عن الجهمية يقول القرآن كلام الله غير مخلوق.

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (٦/ ٢٤٩) دار إحياء التراث (مادة: سرا): «السُّرْوُ: المروءة والشرف... أبو العباس: السَّرِيُّ الرفيع في كلام العرب... مأخوذ من سَراة كلِّ شيءٍ: ما ارتفعَ منه وعلا، وجمع السَّراة: سَرَوَاتٍ... وفي الحديث -حديث أم زرع-: فنكحت بعده سَرِيًّا؛ أي: نفيسًا شريفًا، وقيل: سَخِيًّا ذا مروءة».

ونشأت طائفة من المنتسبين إلى السنة تقول كما يقول المحتالون من الجهمية «القرآن كلام الله»، ويقف قائلهم، «فلا يقول مخلوق ولا غير مخلوق»، فصار بذلك مشابهًا للجهمية المحتالين، وصار موضع تهمة عند السلف، فبدَّعهم الأئمة لسيرهم على طريقة الجهمية وعدم تميزهم عن أهل الضلال.

ومن هؤلاء من ذكرهم الإمام الذهبي كيعقوب بن شيبة ومن ذكر معه، والشاهد أن هؤلاء الأئمة الكبار من السلف والخلف يصرِّحون بنفي الخليقة عن القرآن، ويكفِّرون الجهمية الذين يقولون القرآن مخلوق، ويبدِّعون ويضلِّلون من يقول القرآن كلام الله، ويقف فلا يقول مخلوق، لأن هذا الكلام صار لفظًا مجملاً يحتمل ان يكون قصد قائله أنه غير مخلوق، ويحتمل أن يكون قصده بذلك أنه مخلوق، فلأجل ذلك بدَّعوا من يطلقه ويقف لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء.

والشاهد مرة أخرى أنهم لا يقولون في الكلام الباطل أو الخطأ بحمل المجمل على المفصَّل، ولا يقولون إن كان من أهل السنة نحمله على القصد الحسن، وإن كان من أهل البدعة نحمله على القصد السيئ.

ولو كان الأمر كذلك، وكان هذا أصلاً عند أهل السنة لَمَا وجدت كُتب الجرح والتعديل، ولَمَا وجدت نقدًا لآراء وأقوال أئمة الفقهاء، ولَمَا وجدت ترجيحات لبعض أقوالهم على بعض.

ولو كان هذا أصلاً لوجب الحكم على من ذكر من هؤلاء الأئمة وعلى أئمة الجرح والتعديل وعلى أئمة النقد بالظلم والضلال وكفى بهذا ضلالاً وظلمًا.

فعلى من يقول بهذا الأصل الفاسد الذي هذه ثماره ونتائجه أن يتقي الله وأن يتوب إليه وأن يعلن هذه التوبة على رءوس الأشهاد وفي الصحف والمجلات وشبكات الإنترنت، وإلاَّ فعلى كل سلفي يحسن الظن بهذا الصنف أن يضع حدًّا لهذه الفتنة التي مزَّقت السلفيين وحيَّرت بعضهم، مما أفرح أعداء السنة وفتح أمامهم باب التطاول على المنهج السلفي والطعن فيه وفي أهله الذابين والمنافحين عنه». اهـ

قلت: وبهذا البيان المتجرد عن الحمية للباطل تسقط هذه القاعدة التي استمسك بها المتعصّبون كالغريق الذي يتعلّق بقشة.

وصدق شيخ الإسلام -رحمه الله- فيما قاله في «درء تعارض العقل مع النقل» (١٨٤/٣): «ولكن من عدل عن الطرق الصحيحة الجلية القطعية القريبة البينة إلى طرق طويلة بعيدة، لم يؤمن عليه مثل هذا الانقطاع، كما قد نبّه العلماء على ذلك غير مرة، وذكروا أن الطرق المبتدعة: **إما أن تكون مخطرة لطولها ودقتها، وإما أن تكون فاسدة**، ولكن من سلك الطريق المخوفة، وكانت طريقًا صحيحة، فإنه يُرجى له الوصول إلى المطلوب». اهـ

أقول: وقد نقل كاتب هذا المقال -في منتديات كل السلفيين- موضعين عن الشيخ العثيمين -رحمه الله- رأى أنهما يخدماه على ما أراده من تلبيس الحق بالباطل، مع كتم الحق المبين، والتي هي طريقة أهل الكتاب، والتي أنكرها الله سبحانه عليهم في كتابه حيث قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]، وإليك نص هذين النقلين:

النقل الأول: قال -رحمه الله- في «شرح رياض الصالحين- الجزء الأول باب التوبة»:

«هناك قسم ثالث فاسق مارد ماجن يتحدث بالزنا افتخارًا والعياذ بالله يقول إنه سافر إلى البلد الفلاني وإلى البلد الفلاني وفجر وفعل وزنا بعدة نساء وما أشبه ذلك يفتخر بهذا، هذا يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل، لأن الذي يفتخر بالزنا مقتضى حاله أنه استحل الزنا والعياذ بالله ومن استحل الزنا فهو كافر، ويوجد بعض الناس الفسقة يفعل ذلك.

الذين أصيب المسلمون بالمصائب من أجلهم ومن أجل أفعالهم، يوجد من يتبجح بهذا الأمر إذا سافر إلى بلد معروف بالفسق والمجون مثل بانكوك وغيرها من البلاد الخبيثة التي كلها زنا ولواط وخمر وغير ذلك رجع إلى أصحابه يتبجح بما فعل.... هذا كما قلت يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل لأن من استحل الزنا أو غيره من المحرمات الظاهرة المجمع عليها فإنه يكفر».

النقل الثاني: قال -رحمه الله- في شرحه على كتاب السياسة الشرعية لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٣١٥): «مع الأسف يا إخواني أنه سمعنا -والله أعلم- أنه يوجد في بعض البلاد

الإسلامية أن الخمر يشرب علنًا... هؤلاء الذين يفعلون ذلك هل يقال: إنهم مستحلون له أو غير مستحلين؟ **الجواب**: مستحلين له لا شك، كيف يرخص له هذا الترخيص العام وفي الأسواق ويعطي رخصة إلا وأنه يرى أنه حلال؟ لو رأى أنه حرام لم يفعل».

قال هذا الكاتب: «فهل يقال في الشيخ ابن عثيمين أنه يرى المجاهر بكبيرة الزنا كافر لأنه مستحل؟! أم يقال أنه يتبنى كفر من يرخص لمحلات بيع الخمور؟! أم يقال: لا بد من حمل مجمل كلام الشيخ -رحمه الله- على مفصّله ومطلقه على مقيده، وتفسير كلامه بكلامه نفسه، وإنزال اطلاقاته على أصوله، وأن منهج الشيخ واعتقاده واضح وصريح في عدم تكفير المصر على المعصية ومنها معصية المجاهرة بالزنا، وما يقال في الشيخ ابن عثيمين يقال في غيره من علماء أهل السنة ومنهم الشيخ الحويني، والعكس كذلك».

قلت: إزالة الإشكال في هذا الكلام يتم -إن شاء الله- عن طريق تحقيق أمرين:

الأمر الأول: أن نقول: لو سلَّمنا بصحة حمل المجمل على المفصَّل في غير كلام الله وكلام رسوله ﷺ لكانت الحجة أيضًا قائمة على الحويني، حيث إن مجمله ومفصّله يدلان على تكفيره المصر على المعصية.

بل إن النقولات التي تقدَّم نقلها في إدانة الحويني مفصَّلة تفصيلاً واضحًا ليس فيه إجمال، بل إن الحويني نفسه صرَّح بإزالة أي إجمال بقوله: «المصر هو المستحل»، ثم ضرب هذا المثال المتردد بين المصر الفاسق والكافر المستكبر.

بل إن الحويني من الناحية التطبيقية في بعض دروسه، وقع فيما ادعى أنه لا يقول به من تكفير صاحب الكبيرة، وإليك هذا المثال:

قال في درس له بعنوان نداء الغرباء: «صار كثير من المفتين يستحسن البدع، لِمَ يرى في مُقابلها من الكفر الصريح!! يعني رجل يذكر الله مثلاً أو يعبده بطريقة مبتدعة، يقول لك: سيبه! مش غيره سهران في شارع الهرم ليشرب خمرة! صاروا يقارنون أهل البدع بأهل الكفر[1]!! فرأوا أن أهل البدع على خير عظيم».

---

(١) ولسفر الحوالي عبارة قريبة من هذه العبارة، قالها في إحدى دروسه في شرح العقيدة الطحاوية، حيث قال: «..الصور اللي تثبت أنهم -والعياذ بالله- رقص مختلط وتعرِّي مع شرب للخمر، نعوذ =

قلت: فهل يصلح شارب الخمر الذي سهر ليله في شرب الخمر، كمثال لمن وقع في الكفر الصريح؟!

فهذا واضح في أنه يكفِّر شارب الخمر الذي يرتع في المعاصي.

وفي الدرس نفسه يؤكد الحويني ما قرره من تكفير المصر على المعصية، حيث كفَّر تاركة الحجاب المصرة على تركه، حيث قال عنها: «خلعت نفسها من دينها وهي لا تدري!!».

فأين هذا التراجع يا أولي الألباب؟!!

وقد يقول قائل: لكن الحويني نفى صراحة تكفيره لأصحاب الكبائر؟!

والجواب: هذا تناقض منه أو مكر، وهو لا يخلو من حالين:

الحال الأولى: أنه يقرر نظريًا عدم تكفير أصحاب الكبائر، وفي الجانب العملي التطبيقي يخالف هذا التنظير، فيكفِّر أصحاب الكبائر المصِرِّين وغير المصِرِّين.

الحال الثانية: أنه يقرر نظريًا عدم تكفير أصحاب الكبائر، لكنه يكفِّر المصِرِّين منهم.

فهل يقارن مَن هذا حاله بإمام سُنِّيٍّ عظيم كابن عثيمين والذي قد قرَّر معتقد السلف الصالح في عدم تكفير أصحاب الكبائر -سواء كانوا مُصرِّين عليها أم لا- في عشرات المواضع من شروحاته على كتب ومتون العقيدة السلفية، وله العديد من الفتاوى الواضحة الصريحة التي تؤكد هذا، وقد نقلنا بعضها آنفًا؟!

فلو حملنا مجمل ابن عثيمين في الكلام السابق على مفصَّله في المواطن الأخرى -على مذهب القوم-، لكان بريئًا من تهمة تكفير المصر على المعصية براءة الذئب من دم يوسف -عليه السلام-.

وأما قول هذا الكاتب في موضع آخر رادًّا على أحد إخواننا الذين انتقدوه وبيَّنوا عوار مقالته التالفة:

«قولك: «والشيخ معروف بمخالفته لهذا القول الباطل -الظاهر البطلان- لمن تجرَّد للحق والبينات وأخلص لملك السماوات».

= بالله من هذا الكفر؛ لأنَّ استحلال ما حرَّم الله -تبارك وتعالى- هو بلا ريب كفر صريح!!!».

قلت: من أين لك أخي الكريم -هذه المعرفة-؛ وما هي حقيقتها، وأدلتها؟ فأنت مطالب بأن تدلِّل من صريح كلام الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- على: أن الإصرار على المجاهرة بالكبيرة لا يعد قرينة للاستدلال على الاستحلال -عند الشيخ ابن عثيمين-...إلخ».

فأقول: إليك صريح كلام ابن عثيمين -رحمه الله- على: أن الإصرار على المجاهرة بالكبيرة لا يعد قرينة للاستدلال على الاستحلال:

سئل -رحمه الله- كما في شرحه على صحيح مسلم»- كتاب الجهاد والسِّير والإمارة - الشريط التاسع - الوجه (ب)- دقيقة (٤٠ : ٠٧ : ٠٠)- بفهرسة أهل الحديث والأثر:

«بالنسبة للاستحلال؛ إذا أقدم شخصٌ على أي معصية من المعاصي؛ سواء من الكبائر أو غيرها، وأصرَّ عليها.

١) هل بمجرد عمله وإصراره يُحْكَمُ عليه بأنه استحل هذا الشيء؟!

٢) أم أن الاستحلال عمل قلبي لا يظهر إلا أن يتفوه به الشخص؟!

الجواب: أي نعم؛ «الثاني هو الحق»؛ لأن كثيرًا مِن الناس يصرون على المعاصي، ويعتقدون أنها حرام؛ لكن يقولون: (عجزنا أن نَفَتَّكَّ منها)، وتجده إذا فعل المعصية يستغفر الله منها؛ بل إن بعض الناس ينذر نذرًا مُغَلَّظًا ألاَّ يفعل هذه المعصية ولكنه يعجز، فلابد من هذا، يعني: أن يتفوَّه بالاستحلال»[1]. اهـ

وقال -رحمه الله- في شرح صحيح البخاري، كتاب الأطعمة الشريط رقم (١٣) الوجه الأول:

«لكن الحديث الذي أشار إليه ، يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، أربعة أشياء كلها حرام بلا إشكال، لكنهم يستحلّونها، الحر يعني الفرج وهو أعّم من الزنا فيشمل الزنا واللواط والعياذ بالله، ومعنى استحلالهم له إمّا أن يقولوا بحلّه، وإمّا أن يفعلوه فعل المستحل، يعني يفعله الإنسان غير مكفهر منه ولا نافر منه ولا كأنه إلا شئ معتاد حتى إنه يتحدّث به، وكأنه يتحدّث في إتيان أهله الذين أباحهم الله له، لا يبالي وهذا موجود، فيه من

---

(١) وهذا ردٌّ صريحٌ على شُبهة الحويني.

استحل الزنا، وقال: هو حلال، كالذين استحلوا الربا وقالوا إنه حلال.... أعرفتم إذا استحلّوه ولا لا؟ استحلوه أي اعتقدوه حلالاً لكن بطريقة، وقد يرون أن الزنا حرام لكن يفعلونه فعل المستحل كأنه ليس بحرام لا تنفر منه طباعهم ولا يختانون من التحدث به كما هو الواقع، الآن فيه ناس شباب يغري بعضهم بعضا بالزنا والعياذ بالله ويقول اذهب إلى البلد الفلاني اجعل إجازتك متعة في البلد الفلاني الأمر ميّسر لا في منع ولا شيء... هذا الذي يقول هكذا أيكون مستحلاً له أم مستحرمًا له؟؟ هه؟ مستحله سواء اعتقد أن الزنا حلال أو إنه اعتقده حرامًا لكن يفعله فعل المستحل... المعازف قال العلماء هي آلات اللهو، واستحلالها أيضًا على الوجهين كما سبق في الزنا، إما أن يعتقدوا أنها حلال أو يفعلوها فعل المستحل لا يبالون بها وهذا وقع، وقع الآن ففاضت المعازف وانتشرت بين الأمّة ...».

وسئل -رحمه الله-: **ما هو ضابط الاستحلال الذي يكفر به العبد؟**

الجواب: «**الاستحلال**: هو أن يعتقد حِلَّ ما حرَّمه الله، وأما الاستحلال الفعلي فينظر: إن كان هذا الاستحلال مما يكفِّر فهو كافر مرتد، فمثلاً لو أن الإنسان تعامل بالربا، ولا يعتقد أنه حلال لكنه يصر عليه، فإنه لا يكفر؛ لأنه لا يستحله، ولكن لو قال: إن الربا حلال، ويعني بذلك الربا الذي حرمه الله فإنه يكفر؛ لأنه مكذِّب لله ورسوله، الاستحلال إذن: استحلال فعلي واستحلال عقدي بقلبه، فالاستحلال الفعلي: ينظر فيه للفعل نفسه، هل يكفر أم لا؟ ومعلوم أن أكل الربا لا يكفر به الإنسان، لكنه من كبائر الذنوب، أما لو سجد لصنم فهذا يكفر.. لماذا؟ لأن الفعل يكفر؛ هذا هو الضابط ولكن لا بد من شرط آخر وهو: ألا يكون هذا المستحل معذورًا بجهله، فإن كان معذورًا بجهله فإنه لا يكفر، مثل أن يكون إنسان حديث عهد بالإسلام لا يدري أن الخمر حرام، فإن هذا وإن استحله فإنه لا يكفر، حتى يعلم أنه حرام، فإذا أصر بعد تعليمه صار كافرًا». (لقاء الباب المفتوح [٥٠]).

قلت: فهذا كلام محكم ومفصَّل، فما قولكم أيها المتصيدون لزلاَّت العلماء، ويا من تحملون المجمل على المفصَّل في كلام العلماء؟!

وقال أيضًا -رحمه الله- كما في المجلد الثاني من شرحه على رياض الصالحين (باب: المبادرة إلى الخيرات): «قال تعالى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ يعني: لم

يستمروا على معاصيهم وظلمهم؛ وهم يعلمون أنها معاصي وظلم، وفي هذا دليل على أن الإصرار مع العلم أمره عظيم، حتى في صغائر الذنوب؛ ولهذا ذهب كثير من العلماء إلى أن الإنسان إذا أصر على الصغيرة صارت كبيرة، ومن ذلك ما يفعله جهلة الناس اليوم من حلق اللحية، تجدهم يحلقون اللحية ويصرون على ذلك، ولا يرونها إلا زينة وجمالاً، والحقيقة أنها شين، وأنها قبح؛ لأن كل شيء ينتج عن المعصية فلا خير فيه، بل هو قبح، وهؤلاء الذين يصرون على هذه المعصية -وإن كانت صغيرة- أخطئوا؛ لأنها بالإصرار تنقلب كبيرة والعياذ بالله؛ لأن الإنسان لا يبالي بما يفعل، تجده كل يوم، كلما أراد أن يخرج إلى السوق، أو إلى عمله، يذهب وينظر في المرآة، فإذا وجد شعرة واحدة قد برزت، تجده يسارع إلى حلقها وإزالتها، نسأل الله العافية، وهذا لا شك أنه معصية للرسول عليه الصلاة والسلام، وإن الإنسان ليخشى عليه من هذا الذنب أن يتدرج به الشيطان إلى ذنوب أكبر وأعظم». اهـ

قلت: وهذا أيضًا كلام محكم واضح في عدم ذهاب الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- إلى أن الإعلان بالمعصية والإصرار عليها يُعد قرينة على الاستحلال القلبي الذي به يكفر العبد.

وأما لو حملنا مجمل الحويني في التقولات السابقة -متنزلين مع المتعصِّبين أنها مجملة- على مفصَّله في المواطن الأخرى، لكان مدانًا بلا ريب بتكفير المصر على المعصية بل بتكفير أصحاب الكبائر بدون إصرار؛ حيث إن دروس الحويني -شأنها شأن دروس الوعاظ أصحاب النزعة الخارجية- ممتلئة بتفخيم أمر المعاصي والمبالغة في إنكارها، بما لا يصنعونه في شأن الشرك الأكبر في العبادة؛ فهذا التفخيم وهذه المبالغة نتج عنهما وقوع هؤلاء في عبارات موهمة تشبه عبارات الخوارج في التكفير.

أضف إلى هذا اشتراك هؤلاء في رفع شعار «الحاكمية» على طريقة سيد قطب، واعتبارهم إياها أخص خصائص توحيد العبادة -كما سوف يأتي-، مِمَّا يؤكد أن العاصي المصر على عدم التحاكم إلى شرع الله سبحانه فيما هو واقع فيه من كبائر هو -عندهم- تارك لهذه الحاكمية، وبالتالي فإنه مستحل كافر.

فأمَّا العلامة ابن عثيمين فما أبعده عن هذه المهاترات!

الأمر الثاني في إزالة الإشكال أن نقول: إن الموضع الأول المنقول عن الشيخ ابن عثيمين من شرحه على رياض الصالحين، قد انتبه الشيخ إلى خطئه فيه -أو قل إلى سبق لسانه-؛ فحذفه من الطبعات المعتمدة من الكتاب، وجرت على هذا مؤسسة ابن عثيمين بعد موته، فأصدرت الطبعة الرسمية لها خالية من هذا النقل.

وعلى كل حال الرجال يُستدل لأقوالهم ولا يُستدل بها، فمن قلة فقه الرجل الاحتجاج بأقوال الرجال في الدفاع عن الباطل، حيث تعوزه الحجة من الكتاب والسنة فلا يجد أمامه إلا زلات العلماء يستدل بها انتصارًا لمتبوعه.

وأما الرد على قول هذا الكاتب -هداه الله-: «لو سلمنا جدلاً أن الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- قد تراجع عن قوله هذا؛ فهل كان قبل تراجعه على معتقد وطريقة التكفيريين والخوارج، لأنه كان يقول بجنس مقال الحويني الذي اتهم بسببه أنه يقول بقول الخوارج»، أن نقول: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما كان أبدًا الإمام ابن عثيمين على طريقة الخوارج، وحال الذي يريد أن يسوي بين الحويني وابن عثيمين، كحال من يريد أن يسوي بين سيد قطب، والإمام أحمد... ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٩].

فإن الإمام ابن عثيمين عالم مجتهد له جهود لا تنكر في نصر العقيدة السلفية من خلال عدة شروحات على كتب ومتون المعتقد، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١) شرحه على العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام.

٢) شرحه «القول المفيد» على كتاب التوحيد.

٣) شرحه على الأصول الثلاثة.

٤) شرحه على العقيدة السفارينية.

وقد قرّر في هذه الشروحات وغيرها من شروحاته النافعة على كتب السنة عقيدة السلف الصالح بلا تورية في مسائل الإيمان والتكفير والتفسيق، ووضّحها أيّما توضيح، ولذا فإذا جاء في موضع ما وتكلّم بكلام موهم يخالف ما قرّره في عشرات المواضع الأخرى، فما هو السبيل السلفي في التعامل مع هذا الأمر؟

السبيل السلفي لا يكون بحمل مجمله على مفصّله، إنما يكون بالحكم على كلامه في هذا الموضع بأنه مشكل أو موهم، أو خطأ، مع التماس العذر له، ونصحه في شأن هذا

الخطأ -إن عُلِم في حياته-، والظن به بلا شك أنه إذا ذُكِّر أنه يتذكر، ويسارع بإصلاح هذا الخطأ[1]، أمـــا الحـــويني فـــإنه لـــيس كابن عـــثيمين في هـــذا ولا في ذاك.

فليذكـر لنا المدافعون عنه بالباطل كتابًا واحدًا في العقيدة السلفية شرحه الحويني، على غرار شروحات ابن عثيمين، وقرَّر فيه ما قرَّره ابن عثيمين من أصول العقيدة السلفية في شتى الأبواب -خاصة في أبواب الإمامة والتكفير والجهاد- وانتصر لها وأيّدها!.

هاتوا لنا كلامه في هذ الأبواب، كي نحمل مجمله على مفصَّله -على مذهبكم-، هذا لو كان كلامه المنتقد مجملاً.

---

(١) ومن مواقفه الحميدة -رحمه الله-: الرجوع إلى الحق في مسألة من أدق مسائل الاعتقاد، وهي مسألة إثبات معية الله لخلقه مع إثبات علوه سبحانه على العرش، فيقول الشيخ حمود التويجري -رحمه الله- في مقدِّمة كتابه «إثبات علو الله ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله للخلق ذاتية»:

«فقد رأيت مقالاً لبعض المعاصرين -يشير إلى العلامة ابن عثيمين- زعم في أوله أن معية الله لخلقه معية ذاتية تليق بجلاله وعظمته وأنها لا تقتضي اختلاطًا بالخلق ولا حلولاً في أماكنهم ...».

وفي نهاية الكتاب أردف الشيخ حمود التويجري تراجع العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-، فقال كما في (ص١٥٦): «فقد طلب الشيخ محمد الصالح العثيمين من الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز أن يبعث إليه بكتابي في الرد على من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية، فبعث إليه وبعد قراءته له كتب الكلمة التي سيأتي ذكرها، وطلب أن تنشر مع كتابي، وحيث إن فيها ردًّا على من زعم أن معية الله لخلقه معية ذاتية فقد أجبت الشيخ محمد إلى طلبه، والله المسئول أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى».

وهاك نص رسالة الشيخ ابن عثيمين كما في (ص١٥٧):

«وبعد، فقد قرأت الكتاب الذي ألَّفه أخونا الفاضل الشيخ حمود بن عبد الله التويجري في إثبات علو الله تعالى ومباينته لخلقه والرد على من زعم أن معية الله تعالى لخلقه معية ذاتية، فوجدته كتابًا قيِّمًا قرَّر فيه مؤلِّفه الحقائق التالية...»، ثم ذكر مجمل الحقائق التي قررها الشيخ التويجري في طـول كـتابه، والتي نقـلنا بعضها أعـلاه، إلى أن قال: «وبطلان القول بالحلول معلوم بدلالة الكتاب والسنة والعقل والفطرة والإجماع، وذلك أن القول به مناقض تمام المناقضة للقول بعلو الله تعالى بذاته وصفاته، فإذا كان علـو الله تعالى بذاته وصفاته ثابتًا بهذه الأدلة كان نقيضه باطلاً.

وإنكار معيـ الله الذاتية واجب حيث تستلزم القول بالحلول؛ لأن القول بالحلول باطل، فكان ما استلزمـ باطل يجب إنكاره وردُّه على قائله كائنًا مَن كان...

قاله كاتبه محمد الصالح العثيمين في ١٥/ ٤/ ١٤٠٤». اهـ

ومن الفروق الجلية بين ابن عثيمين والحويني: أن ابن عثيمين -رحمه الله- لَمَّا روجع في مسألة المعية الذاتية -فيما بيَّناه- لم يماطل في الرجوع إلى الحق أو يغمط الناصحين -أو المنتقدين- له حقَّهم، ولم يسخر منهم، ولم يغمزهم بأنهم خوارج، وأنهم غلاة تجريح، كما صنع الحويني مع الناصحين والمنتقدين له في مسألة المصرّ وفي مسألة الحاكمية وفي غيرهما من المسائل المأخوذة عليه.

وقد يقول قائل: لقد التمستم العذر لابن عثيمين لأنه سعودي، بخلاف الحويني، فلو كان ابن عثيمين مصريًّا مثل الحويني ما التمستم له الأعذار ولكلتم له بالمكيال نفسه!

قلنا: هذا الكلام هو من جنس كلام الروافض الذين يبغضون هذه الدولة السلفية، لأنها رفعت راية التوحيد والسنة، وقمعت الشرك والبدع، ولذلك كان دأبهم الطعن والتنقص من علماء هذه الدولة المباركة.

ونقول: هل العلامة المحدِّث مقبل بن هادي اليماني -رحمه الله- لَمَّا بدَّع الحويني كان سعوديًّا أو كان يمالئ الدولة السعودية بتبديعه له، أم أنه كان في ذاك الوقت متخذًا موقفًا معيَّنًا ضد الدولة السعودية بسبب ما حدث له في فتنة جهيمان في الحرم المكي، إلا أنه تراجع عن هذا الموقف في آخر حياته، وأيَّد الدولة السعودية السلفية، وأثنى عليها؟!

وتكلَّم في الحويني أيضًا الشيخان: محمد بن عبدالوهاب البنا وشقيقه الشيخ حسن المصريان، والشيخ عبد المالك الرمضاني الجزائري، والشيخ فلاح بن إسماعيل الكويتي.

هذا أولاً، وثانيًا: ولو سلَّمنا جدلاً أنه لم يبين حال الحويني إلا علماء من الدولة السعودية، هل العبرة في تقييم كلام العالم جنسيته أم الأدلة من الكتاب والسنة التي استدل بها ؟! فـ ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [النجم: ٢٢]!!.

وثالثًا: لَمَّا وقع سفر الحوالي، وسلمان العودة، وعائض القرني، وناصر العمر في جنس الأخطاء التي وقع فيها الحويني، وكلهم استقى من منهج آل قطب وسرور زين العابدين، هل سكت عنهم العلماء، لأنهم ينتسبون إلى الدولة السعودية، أم بيَّنوا أخطاءهم وحذَّروا منهم، وكان على رأس الْمُحذِّرين منهم الإمامان: ابن باز، وابن عثيمين السعوديين؟!

بل لقد حذّر منهم الإمام الألباني -الذي يتمسح به الحويني-، حيث قال عن طريقتهم: «خارجية عصرية»، ومنه يلزم أن يقال عن طريقة الحويني: «إنها خارجية عصرية»!.

ثم قال هذا الكاتب: «الوجه الثاني: إن الكلمة الواحدة يقولها اثنان:

أحدهما: يخرجها على أصل سني معتبر.

والثاني: يخرجها على أصل خلفي مبتدع.

فمثلاً مسألة المنع من ذكر الأئمة والدعاء لهم على المنابر؛ يشترك بالقول بها السلفي والخارجي؛ فأما السلفي فيخرجها على أصل إتباع السنة بعدم ذكرهم في خطبة الجمعة ، وكما درج عليه صنيع السلف، وأفتى بمقتضاه أهل العلم، لا على أصل الخوارج بتكفير الحكام وتجويز الخروج عليهم، فاشتراك النتيجة لا يستلزم مطلقًا اشتراك الدافع والمسبب، ورحم الله ابن القيم حيث قال في «مدارج السالكين» (٣/ ٥٢٠- ٥٢١):

«والكلمة الواحدة يقولها اثنان، يريد بها أحدهما أعظم الباطل، ويريد بها الآخر محض الحق، والاعتبار بطريقة القائل، وسيرته، ومذهبه، وما يدعو إليه، ويناظر عليه».

فالتسوية بين الأصلين محض الظلم أو الجهل.

وكذلك الحال -هنا- فالشيخان (ابن عثيمين والحويني)؛ قد خرجا حكمهما على المجاهر المصر على أصل أن المصر مستحل؛ ومن استحل الذنب كفر، كما قال الإمام الطحاوي: «**ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله**».

بينما الخوارج يخرجون المسألة على أصل أن الإيمان كل لا يتجزأ؛ فإذا ذهب بعضه بارتكاب الكبيرة ذهب كله؛ لا أن المستحل يكفر أو لا يكفر.

بل لو تأملنا في مقالة الشيخ ابن عثيمين والحويني لوجدناها دلَّت على التالي:

أولاً: أن المواقع للربا والزنا والخمور؛ لا يكفر بذات مواقعته؛ على خلاف قول الخوارج ، فلم يكفرا عباد الله بما لا يوجب.

ثانيًا: إن علة الكفر التي صرح بها الشيخان (العثيمين والحويني) هي استحلال المعصية؛ وهي العلة المعتبرة عند أهل السنة والجماعة لتكفير من واقع المعاصي والذنوب

غير الشرك والكفر؛ فهم وافقا أهل السنة والجماعة في أصل معتقدهم في باب التكفير بما لا يوجب[1].

ثالثًا: أن القول بأن الشيخ الحويني يرى أن الإصرار على المعصية كفر بذاته -كما تقوله الخوارج- ثم جعله علة الكفر هي الاستحلال؛ فهو بهذا يكون قد شابه قول المرجئة -أيضًا الذين لا يكفِّرون بما يوجب التكفير إلا بالاستحلال؛ فنسبته إلى الخوارج؛ ليست بأولى من نسبته إلى المرجئة؛ والصحيح أن الرجل وسط بين فرقتين؛ لأنه على معتقد أهل السنة والجماعة.

رابعًا: أن الخلاف هو: هل الإصرار على المعصية هو علامة على الاستحلال الموجب للتكفير أو لا؟ وهذا الخلاف اجتهادي محض متعلق بتحقيق المناط، ولا تعلق له بأصول الخوارج لا من قريب ولا من بعيد». اهـ

قلت: هذا الكلام فيه خلط وتضييع للحقِّ من وجوه:

الوجه الأول: القول بأن العلاَّمة ابن عثيمين خرَّج حكمه في تكفير المجاهر المصر على أصل أن المصر مستحل هذا كذب عليه -رحمه الله-، وقد تقدَّم نقل كلامه الصريح المناقض لهذا الفهم الخارجي، وأما التعلُّق بكلامه القديم في شرحه على رياض الصالحين، فهذا مذهب رديء أن أتعلَّق بقشة واهية لإثبات الباطل، وقد أزال هذه القشة الشيخ نفسه، حتى لا يتعلَّق بها متعلِّق، ورغم هذا أخذوا يفتشون عنها بمنظار معتِّم لا يرى إلا الشبهات؛ كي يشوِّشوا بها على أهل الحق.

والأمر كما قال الكاتب نفسه: «والراجح أن الإصرار لا يعتبر قرينة على الاستحلال؛ بدليل قوله ﷺ: «**من مات من أمتي وهو يشرب الخمر حرَّم الله عليه شربها في الجنَّة، ومن مات من أمتي وهو يتحلى بالذهب حرَّم الله عليه لباسه في الجنة**»؛ فهذا مات وهو مصرٌّ على شرب الخمر؛ ومع ذلك قد يدخل الجنة، ودخوله الجنة علامة على عدم كفره».

قلت: والإمام ابن عثيمين -رحمه الله- أعرف بهذا التقعيد والتأصيل من هذا الكاتب، وقد بيَّنه في عدة مواضع من دروسه، فيما نقلناه آنفًا.

---

(١) كذا، والصواب: بما يوجب.

ثم قال: «لكن -تنبه-: ليس الخلاف في أن الإصرار على المعصية هو بذاته موجب للتكفير، فهذا ما لم يقل به (العثيمين والحويني)؛ ونسبته إليهما كذب عليهما».

قلت: أما نسبة هذا إلى ابن عثيمين -رحمه الله- فهو -كما قلت- كَذِبٌ عليه، لأن أصل المسألة -ألا وهو أنه يرى أن الإصرار قرينة على الاستحلال- كذب عليه كما بيَّنت.

وأما الحويني فكلامه واضح ليس فيه لبس، وهو أنه يرى أن الإصرار استحلال، أي أنه لا يفرق بينهما، ومن ثَمَّ يكون الإصرار على المعصية -عنده- موجبًا بذاته للتكفير... فتأمل!!

أما ما ذكره في النقطة الرابعة فإنه -أيضًا- كذبٌ على أهل السنة، ويكفيني في ردِّ هذا الكذب أن يرجع القارئ الباحث عن الحق إلى النقولات التي نقلتها عن أئمة السنة عبر القرون السابقة في نقد المخالفة الأولى في بيان حكم الإصرار وحكم المصر على المعصية.

ثم قال: «**وأخيرًا**: فهذا الشيخ ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- يرفض أن ينسب مقالة سلمان العودة في تكفيره المجاهر بالزنا إلى مقالات أهل التكفير!!، كما قال -حفظه الله- في إزهاق أباطيل عبد اللطيف باشميل (ص٣٥): «قال في كتابه القول الجلي (ص١٠):

(٣- شهد عليه: علي الشريف، وأحمد الجهني، وعبد اللطيف، وخالد بن حمزة، وغيرهم؛ بأنه لمَّا سمع كلام سلمان في (جلسة على الرصيف) في تكفير المجاهر بالمعصية، فأقرّ الشيخ ربيع كلام سلْمان).

أقول: كذب، فإنّي -والحمد لله- لا أقرّ سلمان ولا غيره على التكفير، بل أنا من أشدّ المقاومين للتّكفير سواء كان من سلمان أو غيره، ولكنّني قلت للحدّاديّة: أنا لا يظهر لي أنّ في كلام سلمان هذا تكفيرًا، وهذا احتياطٌ مِنّي من ظلم سلمان». اهـ

قلت: مع أن سلمان العودة قد صرَّح بالقول... إلخ، ويبدو أن الشيخ ربيعًا قد وقف في كلام سلمان على ما لم يظهر لنا من قرائن تدفع إرادة سلمان لتكفير المصر على المعصية -والله أعلم-». اهـ

قلت: هذا أيضًا من التأويل الفاسد لكلام الشيخ ربيع -حفظه الله-؛ حيث إن الشيخ -حفظه الله- لم يقل إن مقالة «المجاهر بالمعصية كافر» ليست من مقالات الخوارج، إنما قال: «إنه لم يظهر له أن مقالة سلمان فيها تكفير»، والفرق بينهما واضح.

فالشيخ -حفظه الله- كما هو معلوم عنه ينكر على مَن يكفِّر المجاهر بالمعصية أو المصر عليها، ويعتبر قوله هذا من أقوال الخوارج، كما نقلت نحو هذا عن الشيخ آنفًا في الحوار الذي دار بيني وبينه.

وإنما الشيخ -حفظه الله- لورعه وحلمه وصبره على المخالف -المعهود عنه بخلاف ما يروِّج عليه السفهاء- ما أحب أن يتعجَّل في الحكم على كلام سلمان، لأحد علَّتين كما يظهر لي:

العلة الأولى: إرغامًا لمن كان يحاورهم من الحدادية على ترك العجلة في إسقاط الحكم بالتبديع على الأعيان، خاصة على مَن يُظهر السلفية.

العلة الثانية: أنه أحسن الظنَّ في سلمان، وأحب أن يراجعه في قوله هذا قبل أن يصدر الحكم عليه، كما هي عادته -حفظه الله- مع كلِّ مَن يُظهر شيئًا من المخالفة لأصول المنهج السلفي من الذين يدَّعون السلفية.

والأمر بلا شك يختلف في شأن الحويني، حيث إنه روجع مرات ومرات كما اعترف هو بنفسه، وفي كل مرة يصر على قوله القديم ويزيده تلبيسًا[1].

وقد درس الشيخ عبد المالك الرمضاني -حفظه الله- حال سلمان في هذه المسألة، في كتابه الماتع «مدارك النظر»، فقال في (ص١٤٢) كما في (الطبعة المصححة- دار الفرقان- القاهرة): «ومثله أو أفظع منه في التكفير بالكبيرة قولُ سلمان العودة كما في شريط «جلسة على الرصيف» في مُغَنٍّ يجاهر بفسقه: «هذا لا يَغفر الله له! إلا أن يتوب؛ لأن النبيَّ ﷺ حكم بأنه لا يُعافَى: «**كلّ أمتي معافى**»؛ لأنهم مرتَدُّون بفعلهم هذا!!... هذه رِدَّة عن الإسلام!! هذا مخَلَّد -والعياذ بالله- في نار جهنم إلاَّ أن يتوب!! لماذا؟ لأنه لا يؤمن بقول الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]؛ بالله عليكم! الذي يَعرف أنَّ الزنا حرام وفاحشة ويُسخط الله هل يفتخر أمام الناس؟! أمام الملايين أو فئات الألوف من الناس؟!... لا يَفعل هذا مؤمن أبدًا! ...».

---

(١) واحتجَّ بقوله ... [illegible] ... الرد هو عدم الردِّ».

قلتُ: في قوله: «لا يغفر الله له!» جرأة عظيمة على الله! أولم يقرأ ما رواه جندب أنَّ النبيَّ ﷺ حدَّث: «**أنَّ رجلاً قال: والله! لا يغفر الله لفلان! وإنّ الله تعالى قال: مَن ذا الذي يتَألَّى عليَّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرتُ لفلان وأحبطتُ عملك**»، أو كما قال، رواه مسلم.

كنتُ أتمنى أن يكون هذا الكلام سبق لسان قد تاب منه صاحبه، ولزم بيته واشتغل بنفسه فعلّمها ما ينفعها، إلا أني وجدتُه مدوَّنًا في كتاب له بعنوان الشريط نفسه! بل وأصرَّ عليه في شريط آخر بعد هذا عنوانه: «الشباب: أسئلة ومشكلات» بتاريخ (١٤١١/٥/٢١هـ)، فالله المستعان، وفي الوقت الذي كنّا نظنّ أنه سيُخفِّف على نفسه، زاد الطين بلة؛ ويقول:

«...فمثل هؤلاء، لا شكَّ أن عملهم هذا رِدَّة عن الإسلام! أقول هذا وأنا مرتاح، مطمئنُ القلب إلى ذلك!!»، وقد كنتُ أودُّ أن يتنبّه الأخ سلمان لهذا الخطأ الواضح، ولا يسترسل في الإصرار عليه؛ فإنَّ الرجوعَ إلى الحقّ فضيلةٌ، فإذا به يُعيد التكفير لهذا الشخص في شريط سَمَّاه تسميةً سياسيةً: (المراجعات)! وما زاد فيه إلا أن وصفه ببعض الأوصاف الأخرى، وجاء فيه بأخطر مِمّا كان، ألا وهو التقعيد للتكفير بتعليل الاستخفاف؛ فجعل فيه المجاهِرَ بالمعصية مستخِفًّا، والمستخِفُّ عنده كافر؛ لأنه عنده لا يؤمن بحرمة الزنا، وجعل دليله على ذلك: **الإصرار!** وأوّل من كفَّر المصرّ على الذنب هم نجدات الخوارج... فكان كما قيل: كحَّلها فأعماها! لأنَّ الرجل إذا أخطأ من غير تقعيد، أمكن أن يُعتذر له، ولكنه إذا قعَّد -لا سيما إذا قعَّد على مذهب بعض أهل البدع- فقد سَدَّ عليك طريق الاعتذار له؛ فلا يقال: ألقى الكلام على عواهنه! ولكنّه ألقاه على قواعده!! مع أنه قد أتى في قصة هذا الفنّان بالاعتبارات الكاملة؛ وذلك أن قوله: (يفتخر أمام الناس...)، أي: بمعصيته، ويجاهر بها، ويدعو إليها.. فهذا وصف.. وقوله: «هذه رِدّة عن الإسلام! هذا مخلَّد في نار جهنم..!»، فهذا حُكم.. وقوله: «هذا لا يغفر الله له إلا أن يتوب؛ لأن النبي حكم بأنه لا يُعافَى»، ثم نزع بحديث: «**كل أمتي معافى إلا المجاهِرين!!**» فهذا تعليل للحكم السابق واستدلال، فمَنْ كان خطؤه كذلك، لا يكفي في تراجعه أن يدّعي أن العبارة غير مسبوكة أو غير محبوكة؛ لأنَّ الخطأ ليس في التعبير، كما بيَّنتُ هنا من: الوصف والحكم والتعليل؛ لأنَّ الذي يحكم بكفر

المجاهرين بالمعصية، بدليل الحديث السابق، لايُقال فيه: أخطأ في التعبير، ولذلك لما جاء لـ(يحبْك العبارة ويَسبِكها) جاء بتلك القاعدة الغريبة!!...». اهـ

قلت: فما أشبه حال سلمان بحال الحويني، وكلاهما نهل ونبع من المنهج القطبي السروري، فالخط الذي سار عليه سلمان هو الخط نفسه الذي سار عليه الحويني «تشابهت قلوبهما».

وما أحسن عبارة الشيخ عبد المالك: «... لأنَّ الرجل إذا أخطأ من غير تقعيد، أمكن أن يُعتذر له، ولكنه إذا قعَّد -لا سيما إذا قعَّد على مذهب بعض أهل البدع- فقد سَدَّ عليك طريق الاعتذار له؛ فلا يقال: ألقى الكلام على عواهنه! ولكنَّه ألقاه على قواعده».

وهذا ينطبق تمام الانطباق على الحويني، حيث إنه لَمَّا حكم على المصر على أكل الربا بالكفر، لم يلقِ الكلام على عواهنه إنما ألقاه على قواعده، حيث قعَّد هذه القاعدة المحدثة المؤصَّلة على أصول الخوارج: المصر مستحل، والمستحل كافر، ومن ثَمَّ سدَّ طريق الاعتذار له.

وقد جرى كلاهما على السَّنن نفسه في ادعاء كل واحد منهما التنصل من مقالته البدعية، وذلك لَمَّا سُلِّط عليه سيف أهل الحق، فما وجد بدًّا من التباكي على نفسه وأنه مظلوم مقهور مفترًى عليه، وهو في حقيقة الأمر يروغ روغان الثعالب، فكما قصصنا عليكم روغان الحويني نقص عليكم روغان سلمان واتخاذه السبيل نفسه الذي اتخذه الحويني، ولا أدري علة هذا التوافق العجيب بينهما: هل هو أمر قدري حدث اتفاقًا لا قصدًا؟ أم أن السبب في اتفاقهما أنهما انطلقا من منهج واحد وهو المنهج القطبي السروري الخارجي؟!.

ففي مقال منشور على الموقع الرسمي لسلمان العودة بعنوان: «بيني وبين الشيخ ابن جبرين»، قال سلمان:

«.... فإن رسالة وصلتني من سماحة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين -حفظه الله- .... وكانت رسالة الشيخ عبارة عن سؤال وصله من **أحد الإخوة الغيورين**....

يقول السائل: ما حكم الشرع فيمن قال عن مغنٍ **يجاهر بفسقه ما نصُّه: «هذا لا يغفر** الله له! إلا أن يتوب؛ لأن النبي ﷺ ذكر بأنه لا يعافى «كل أمتي معافى» .. لأنهم مرتدون

بفعلهم هذا ردة عن الإسلام!! هذا مخلد -والعياذ بالله- في نار جهنم إلا أن يتوب!! لماذا؟ لأنه لا يؤمن بقول الله -عز وجل-: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَـٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾ [الإسراء: ٣٢]. بالله عليكم الذي يعرف أن الزنا حرام وفاحشة ويسخط الله هل يفتخر أمام الناس؟ أمام الملايين أو مئات الألوف من الناس؟ ! لا يفعل هذا أبدًا..؟ فبالله عليك يا شيخ عبد الله الجبرين ما حكم الشرع فيمن قال ذلك؟ وهل يعد من الخوارج؟ وهل نحذّر منه نصيحة لله ولرسوله وللمسلمين؟ وهل نُصرِّح باسمه؟ علماً أنه قد نوصح ولم يرجع؟

التوقيع: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين (٢٢/١٢/١٤٢٢هـ).

فكتب سلمان هذه الإجابة: «... قد أشار الأخ الكريم إلى أن المتكلّم نوصح فلم يرجع، وكأنه فهم من هذه الكلمات أنني أكفِّر أصحاب المعاصي، وهذا الكلام وإن كان يوهم ظاهره ما أشار إليه الأخ السائل لو كان منبتّا عن سياقه، وعن حال قائله، ولكن من المعلوم أنه كلام كنت ألقيته ارتجالاً في محاضرة عامة، والكلام الشفوي لا يستحضر المتكلم فيه إيراد المحترزات واللوازم بقدر ما يحرص على إيضاح الفكرة العامة التي يتكلم فيها، ومن المعلوم لدى أهل العلم أنه لا يؤخذ أحد بمفهوم كلامه إذا كان له منطوق كلام صريح بخلافه، كما قرّر ذلك الإمام ابن الوزير في (العواصم والقواصم)، وحكاه اتفاقًا بين أهل النظر.

والأصل أن حال المتكلّم ومشهور قوله كافية في إيضاح مراده، ومع ذلك فإني أوضح الأمر لمن يكفيه الإيضاح فأقول: إن أهل الإسلام كافة لا يكفِّرون أصحاب الذنوب ما لم يستحلوها، لا يخرج عن هذا إلا فرقة الخوارج ومن سلك سبيلهم، مِمَّن استحلوا دماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم بغير حق، وهذا المذهب الفاسد معروف من ينتحله ويذهب إليه، وليس ثمة حاجة إلى اقتناص شوارد يدان بها هذا أو ذاك، فإن الأصل في المسلم السلامة، وإذا ادعى مسلم أنه لا يقول بهذه المقالة فالجدير أن تقبل دعواه، ويوكل أمره إلى الله، ولا يكلف بالتزام القول ثم الرجوع عنه[1].

---

(١) نعم قد ثبت في الحديث أنه ﷺ قال: «إن الله قد تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها إلا أن تعمل أو تتكلم»، وما ذكره سلمان في تكفير المجاهر بالمعصية المستخف بها، قد تكلّم به في درس عام، ثم

لقد جاء المنافقون إلى النبي ﷺ في أعقاب غزاة تبوك يعتذرون إليه، فقبل منهم، واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله...[١]، ونحن اليوم ننادي بتحقيق هذا القدر من التعامل الحسن بين المؤمنين الذين جمعتهم لحمة الدين والإخاء الشرعي، أن يقبل بعضهم من بعض، ويستغفر بعضهم لبعض ويحسنوا الظن فيما بينهم[٢]، ويكلوا السرائر إلى الله[٣].

وهذا القول المذكور لا يُقصد به المعنى الذي ظنّه السائل، خاصة وأن في نصّ الكتاب المطبوع ذكر الزاني، وتغريره بالفتيات، وذمه من لا يفعل مثل فعله، وأنه يعد الزنا من الفتوة والرجولة والكمال، ويستخف بمعصيته مع أن الله تعالى يقول: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾، فهل يفتخر الذي يؤمن أن الزنا فاحشة تسخط الله؟!

وهذا يعني أن المقصود ليس الغناء أصلاً، وإنما التمدح بالفجور والزنا والثناء عليه وعلى أهله وانتقاص من لا يفعله بأنه ليس لديه الفتوة، والرجولة والقوة، وبين هذا وذاك فرق كبير[٤]». اهـ

=

نوصح بترك هذا الكلام، فلم ينتصح وأعرض عن ناصحيه معتبرًا المسألة اجتهادية، كما صنع الحويني تمامًا، فلذلك نقول لسلمان: نعم الأصل في المسلم السلامة إلا أن يعمل أو يتكلم، فهنا يحاسب على عمله وكلامه.

(١) نعم قبل من المنافقين الذين أبطنوا ولم يظهروا النفاق، أما من كان يعلن بنفاقه وزندقته واتباعه لهواه، هل كان يسكت عنه النبي ﷺ؟!
هذه هي الشنشنة الدائمة للسروريين -والحزبيين بصفة عامة- أنهم يدعون إلى الإخوة والاجتماع، وهم المفرِّقون في الحقيقة للدعوة وللدعاة !!

(٢) وهل كان عفو النبي ﷺ عن المنافقين؛ لأنه كان يحسن الظن فيهم؟!! أم أنه صنع ذلك لأمر الله -عز وجل- له أن يأخذ بظاهر قولهم دون أن يفتش عمَّا في قلوبهم؟
ولكن هل ظاهر قولك يا سلمان لا يدينك حتى تطالب غيرك أن يعاملك معاملة المنافقين الذين لم يظهروا ما يدانون به، ولَمَّا أظهروا التخلُّف عن غزوة تبوك، جاءوا واعتذروا، فهل اعتذرت؟ ثم هل سكت النبي ﷺ على مقالة باطلة من مقالات المنافقين أو أهل الأهواء؛ حتى تحتج بهذا؟!!

(٣) والله هذا أمر عجيب! هل يتهم سلمان نفسه بأنه من المنافقين ويطالب أن يعامل معاملتهم؟!

(٤) هل انتبهت أخي القارئ إلى أن سلمان أعاد كلامه الأول، وذكر التعليل نفسه، مصرًّا على الحكم نفسه، دون أدنى تراجع، بل زاد الأمر تلبيسًا، وهذا عين ما صنعه الحويني في تراجعاته المدّعاة؟!

قلت: ألم تلحظ -أيها القارئ الكريم- مدى التوافق بين سلمان والحويني في أسلوب المراوغة والتهرب من الحق؟

وإن كان سلمان أكثر موضوعية في عرض دفاعه من الحويني؛ نظرًا لمخالطته النسبية للعلماء السلفيين أكثر من الحويني الذي صارت أغلب مخالطته للقصَّاص والوعَّاظ.

وفي موطن آخر أصر سلمان على قوله -كما صنع الحويني حذو القذة بالقذة-: فقال في شريط: «الشباب أسئلة ومشكلات»: «أنا مطمئن أن صاحب هذا العمل أقل ما يقال عنه أنه مستخف بالمعصية!!، ولا شك أن الاستخفاف بالذنب -خاصة إذا كان ذنبًا كبيرًا ومتفق على تحريمه- أنه كفر بالله، فمثل هؤلاء لا شك أن عملهم هذا ردة عن الإسلام أقول هذا وأنا مرتاح مطمئن القلب إلى ذلك».

ولسفر الحوالي عبارة قريبة من عبارة سلمان بيَّن فيها العلة نفسها، قالها في إحدى دروسه في شرح العقيدة الطحاوية، حيث قال: «... الصور اللي تثبت أنهم -والعياذ بالله- رقص مختلط وتعرّي مع شرب للخمر، نعوذ بالله من هذا الكفر؛ لأنَّ استحلال ما حرَّم الله تبارك وتعالى هو بلا ريب كفر صريح!!».

قلت: فالقوم شبهتم واحدة، وهي أنهم يعتبرون الإعلان بالمعاصي والتمدح بها والاستخفاف بها والافتخار بمواقعتها والإصرار على ذلك: استحلالاً اعتقاديًا، وهذا خلاف ما عليه علماء السنة.

قال الشيخ عبد المالك في «المدارك» (ص١٥٠): «هذا، وقد كنت -من زمن بعيد- ألاحظ على أتباع هؤلاء الاشتراك في التكفير بكبيرة الربا لشبهات توهموها قرائن دالة على استحلالها! فعرفتُ أنه ليس ثَمَّ دخانٌ بلا نار! ثم رأيت ناصر العمر يُلمِّح له في كتابه «التوحيد أولاً» (ص٦٦- ٦٧) تحت عنوان: «معاص أم كفر؟»، وصرَّح به سفر الحوالي، فقال: «... واستبحنا الربا»[1]....».

---

(١) وعد كيسنجر (ص١٣٨).

قلتُ: وهذا عين ما وقع فيه الحويني، فقد كفَّر المصر على أكل الربا، لشُبهة داحضة اعتبرها قرينة على الاستحلال.

وأقول: الحديث الذي اعتمد عليه سلمان في تكفير المجاهر بالمعصية، هو حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه**» أخرجه البخاري في صحيحه (٥٧٢١)، ومسلم (٢٩٩٠).

قال القاضي عياض في مشارق الأنوار (مادة جهر) (٣١٣/١): «وقوله كل أمتي معافى إلا المجاهرين، أي: المعلنون بالمعاصي المستهزءون بإظهارها وأصله من الظهور والجهر ضد السر».

قلت: وليس في نصِّ الحديث أن النبي ﷺ حكم على هذا المعلن بالمعصية المستهزئ بإظهارها بالكفر.

وأخرج البخاري في صحيحه (٤٠٩٤)، ومسلم (١٤٤) من حديث أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال كما في حديث بيان صفات الخوارج: «**إني لم أومر بأن أنقب عن قلوب الناس! ولا أن أشق بطونهم!**» متفق عليه.

وفي الحديث الآخر قال: «**هلاَّ شققت عن قلبه؟ حتى تعلم أقالها أم لا؟**».

قال الإمام النووي -رحمه الله- في شرحه على هذا الحديث في صحيح مسلم:

«وَقَوْله: «أَفَلا شَقَقْت عَنْ قَلْبه حَتَّى تَعْلَم أَقَالَهَا أَمْ لا؟» الْفَاعِل فِي قَوْله أَقَالَهَا هُوَ الْقَلْب، وَمَعناه أنك إِنَّمَا كُلِّفْت بِالْعَمَلِ بِالظَّاهِرِ وَمَا يَنْطِق به اللِّسَان، وَأَمَّا القلب فَلَيْسَ لك طَرِيقٌ إِلَى مَعْرِفَة مَا فِيهِ، فَأَنْكَرَ عَلَيْه امتناعه مِنْ الْعَمَل بِمَا ظَهَر بِاللِّسَان. وَقَال: «أَفَلا شَقَقْت عَنْ قَلْبه لِتَنْظُر هَل قَالَهَا الْقَلْب وَاعْتَقَدَهَا وكانت فيه أَم لَمْ تَكُن فيه بَل جَرت عَلَى اللِّسَان فَحَسْب يَعْنِي وَأَنْتَ لَسْت بِقَادِرٍ عَلَى هذا فَاقْتَصِرْ عَلَى اللِّسَان فَحَسْب، يَعْنِي وَلا تَطْلُب غَيْره. وَقَوْله ﷺ: «**أَفَلا شَقَقْت عَنْ قَلْبه**» فيه دَلِيل لِلقَاعدة الْمَعْرُوفَة فِي الْفِقْه وَالأُصُول أَن الأَحْكَام يُعْمَل فِيهَا بِالظَّوَاهِرِ، وَاَللَّه يَتَوَلَّى السَّرَائِر». اهـ

قلت: وقد سأل عبد الوهاب الطريري الإمام ابن باز في شريط «مناقشة التكفير» هذا السؤال: **ذكر بعضُ الأشاعرة في كتبهم أن مرتكب الكبيرة مُستخِفًّا بها يكفر، فهل وافقهم على ذلك أحدٌ من أهل السُّنة؟**

فأجابَ الإمامُ ابن باز -رحمه الله- بقوله: «لا أعلمُ ذلك، إذا كان ما فيه استهزاء، هو ما ركبها إلاَّ مستخفًّا، لولا تهاونه ما ركبها، لولا تهاونه بالزنا والعقوق ما فعله، فالذي عليه أهلُ السُّنة والجماعة أنه عاصي ناقص الإيمان، ولو تساهل، المستهترون يتساهلون.

وسئل أيضًا -رحمه الله-: رسالة وصلت من الكويت باعثها يشكو من أخ له ويقول إنه يقترف بعض المعاصي وقد نصحه كثيرا إلاَّ أن الأمر آل به إلى المجاهرة ويرجو التوجيه في هذا الموضوع؟

ج: الواجب على المسلمين فيما بينهم التناصح والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر عليه.....

فإذا رأى المسلم من أخيه تكاسلاً عما أوجب الله عليه أو ارتكابًا لما حَرَّم الله عليه وجب نصحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر حتى يصلح المجتمع ويظهر الخير ويختفي الشر كما قال الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [التوبة: ٧١]. وقال النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-: «**من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان**». خرجه الإمام مسلم في صحيحه.

فأنت أيها السائل مادمت نصحته ووجهته إلى الخير، ولكنه ما زاده ذلك إلا إظهارًا للمعصية فينبغي لك هجره وعدم اتخاذه صاحبًا، وينبغي لك أن تشجع غيرك من الذين قد يؤثرون عليه وقد يحترمهم أكثر على نصيحته ودعوته إلى الله لعل الله ينفع بذلك، وإن رأيت أن الهجر يزيده شرًّا وأن اتصالك به أنفع له في دينه وأقل لشره فلا تهجره؛ لأن الهجر يقصد منه العلاج فهو دواء، فإذا كان لا ينفع بل يزيد الداء داءً فأنت تعمل ما هو الأصلح من الاتصال به وتكرار النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من غير اتخاذه صاحبًا ولا خليلاً لعل الله ينفع بذلك، وهذا هو أحسن ما قيل في هذا من كلام أهل العلم رحمهم الله». اهـ

وسئل الشيخ العلامة أحمد النجمي -رحمه الله- كما في «الفتاوى الجلية» (ص٢٤):

○ **هل الردُّ على المستتر والمجاهر بالمعصية وصاحب البدعة سواء أم لكلٍّ واحد منهما ما يناسبه وعلى حسب ما هو عليه أفتونا جزاكم الله خيرًا؟**

ج: المستتر والمجاهر هذا يقال في العاصي لكن صاحب البدعة يرى أنه على حقٍ وأنه في عمل خير فهو دائمًا يجاهر إلا أن يكون هناك من يؤيد هذا المبتدع بطريقة غير مشهورة فهذا يتوقف عنه حتى يتبين أمره إلا أن مبتدعة زماننا يتسترون على عقيدة الخوارج ويظهرون للناس أنهم لا يعتقدون ذلك وهم كاذبون».

وسئل أيضًا كما في «الفتاوى الجلية» (ص٩٨-٩٩): «**لكن ما هو الاستحلال الذي يعتبر به العبد مستحلاً لذلك المحرم؟**

والجواب: الاستحلال هو من فعل القلب، وهو أن يعتقد العبد بقلبه حل المحرم المجمع عليه ولو لم ينطق بذلك، فمن اعتقد حل الزنا كفر، ولو لم يفعله، ومن فعله وهو يعتقد أنه حرام، فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حِل الربا كفر ولو لم يفعله، ومن فعله وهو يعتقد أنه حرام، فهو مسلم فاسق، ومن اعتقد حل الخمر كفر، ولو لم يشربه، ومن شربه وهو يعتقد أنه حرام، فهو مسلم فاسق، وعلى هذا فبأي شيء نعرف الاستحلال؟

الجواب: نعرفه بالنطق، بأن يقول مثلاً بأن الخمر حلال، أو الربا حلال، أو الزنا حلال، أو أن يكتب ذلك في كتاب نقطع بصحة نسبته إليه، أما بدون ذلك، فلا، لأن الاستحلال من عمل القلوب، والقلوب لا يطلع على ما فيها إلا الله وحده، وقد بطلت بهذا التحقيق حجة من يُكفِّر بفعل الكبيرة، ولو تكرر». اهـ

وسئل العلامة الفوزان -حفظه الله- كما في «المنتقى من فتاوى الفوزان» (المجلد الأول- س١٣٩):

س: مجاهرة البعض بالمعاصي وارتكاب الآثام؛ ما حكمُها؟

ج: لا يجوز ارتكاب المعاصي لا سرًا ولا جهرًا، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ﴾ [الأعراف: ٣٣]، والمجاهرة بالمعاصي فيها زيادة إثم على المعاصي الخفيَّة، لقوله ﷺ: «**كلُّ أمَّتي معافىً إلاَّ المجاهرينَ**». رواه الإمام البخاري في صحيحه (٨٩/٧) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-؛ لأن المجاهرة تدلُّ على عدم المبالاة، وتسبِّب الاقتداء بالمعاصي.

قلت: فلم يقل إن المجاهرة كفرًا، رغم أنه احتَج -حفظه الله- بالحديث.

وسُئِلَ العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله-[1]: هل يحكم بكفر مَن جاهرَ بالمعصية لقول الرسول ﷺ: «**كل أمتي معافى إلاَّ الْمُجاهرون**»؟

الجواب: لا، لا يحكم بكفره، المجاهر بالمعصية فاسق، نُحاربه، نُحذِّر منه، ندعوه إلى التوبة إذا ما تابَ ننفر الناس منه، لكن لا نحكم بكفره، الذي يشرب الخمر أو يزني أو يسرق هذا عاص إلاَّ إذا استحلَّ فهو كافر، إذا قال: الخمرُ حلال، نقول: أنتَ كافر، انتهى، وإذا قال: الزنا حلال، نقول: كفرت، الحكم بغير ما أنزل الله حلال، كفرت، وهكذا بارك الله فيكم.

أمَّا إذا كان يقول: أنا مسلم، نراه يُصلي وهو عاص، هذا لا نُكفِّره، نقول: عاص ونُحذِّر منه». اهـ

وسئل الشيخ: صالح آل الشيخ -حفظه الله- في محاضرة «إعجاز القرآن» السؤال التالي:

س٩: هذا يقول: إذا خلوت بنفسي تراودني نفسي على فعل المعصية وأحاول المجاهدة لكنها تغلبني، مع أن ظاهري الصلاح، فهل يعدّ هذا من الخلوة بمحارم الله علمًا بأني أستر على نفسي؟

ج: الجواب: ... إذا ابتلى الله -جل وعلا- العبد بذنب فإنه إذا عمله في خلوة أيسر مِمَّا إذا عمله في علن أو جهر به؛ لأن الله -جل وعلا- يستر على عبده، قد ثبت في صحيح البخاري أنّ النبي ﷺ قال: «**كل أمتي معافى** -يعني يغفر له بالأسباب- **إلا المجاهرون**»، قالوا: ومن المجاهرون يا رسول الله؟ قال: «**مَنْ يُصبح وقد ستر الله عليه ذنبه، فيصبح يتحدث للناس بما فعل في ليلته**»، فالعبد إذا ابتُلي بمعصية فإن المعصية إذا كانت سرًا لم تضر إلاَّ صاحبها، ويمنّ الله -جل وعلا- على عبده المنيب بالمغفرة، وأما إذا تحدث بها، فإنها المجاهرة بمعصية الله يتحدث فعلت وفعلت من باب الاستعلاء وعدم رعاية حق الله في المعصية والاستهانة بالمعصية والتهاون بها.

---

(١) مجموع كتب ورسائل وفتاوى الشيخ ربيع بن هادي (١٥/ ١٣٤).

لهذا قال بعض أهل العلم: إن العبد قد يعمل كبيرة من الكبائر فتظل نفسُه تلومه وتلومه وتلومه حتى يغفر الله -جل وعلا- له تلك المعصية الكبيرة باستغفاره وبإنابته، وإن العبد ليفعل المعصية من الصغائر فيظل يتهاون بها يتهاون بها ولا يراها شيئًا حتى تؤول به إلى كبيرة.

وقد ثبت في الصحيح أن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: إن الرجل الكافر -أو قال المنافق- إذا همّ بالمعصية فكأنما مرّ على أنفه ذباب فقال به هكذا -يعني ليست بشيء، بعد فترة قليلة كأنه ما عمل شيئًا- وإن العبد المؤمن أو قال الصالح إذا فعل معصية فكأنما على رأسه جبل يخشى أن يقع عليه. فالعبد المؤمن إذا كان تسرّه حسنته.... -حدث قطع في الشريط-، وفعلت وقابل ونظر وغشيت وكذا وكذا وإلى آخر ذلك مفاخرًا بذلك متهاونًا به».

قلت: هكذا ذكر الشيخ صالح آل الشيخ الصورة نفسها التي اعتبرها سلمان مكفِّرة لصاحبها، وهي أن العاصي جاهر بالمعصية ومدحها واصفًا إياها بقوله: فعلت كذا وقابلت فلانة ونظرت إليها وغشيتها ..إلخ..مفاخرًا بذلك متهاونًا به، ولم يحكم عليه الشيخ بالكفر، إنما حكم عليه بأنه بهذا التهاون قد اقترف كبيرة من الكبائر.

وقال -حفظه الله- في شرح باب من أطاع العلماء والأمراء من «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»: «... لكن مَنْ جاء للحكم مثلاً، وعنده قوانين ....، إذا رضي بذلك فهو له حكم الكفرة.

على أنه ما ينظر في مسائل الواقع، ليش في الحكم ما تنظرون للواقع؟ لا ينظر إليها من هذه الجهة فقط، فيه جهة أعظم من هذا وهي تأييد الشرك بالله -جل وعلا- في العبادة، تأييد وجود الطواغيت ووجود المشاهد وإقامتها وبذل الأموال لها، وحمايتها، هذه أعظم من مسألة الحكم[1]؛ لأن هذا أصل معنى لا إله إلا الله، ومسألة الحكم بعد ذلك. ليس نظرنا من جهة الواقع نظرنا من جهة التأصيل؛ لأن هذه المسألة ضلَّ فيها كثيرون من

(١) أي: مسألة الحكم بالقوانين الوضعية في الدماء والفروج والمعاملات، ونحوها. أي: أن الحكّام الذين يؤيّدون هذه المشاهد الشركية، ويحمونها أولى بان يُكفَّروا بهذا من أن يكفَّروا بالحكم بالقوانين الوضعية، وهذا من باب التنزل والفرض الجدلي.

جهة عدم التفريق بين نظائرها حتى زعم بعضهم أن الجحد يكون بالفعل، وأن السماح ببنك ربوي أنه يدل على كفر الدول، هكذا بهذا الإطلاق، وفتح أوكار الخمر -يعني مؤدى الكلام- أنه كفر بالله -جل وعلا-.

وهذا ما قاله المشايخ ولا قاله أحد من أهل العلم أن الفعل يدل على الاستحلال، ما فيه أحد يقول أن الفعل يدل على الاستحلال.

الاستحلال: أولاً: لابد أن يكون المستَحلُّ مجمعًا على تحريمه، ما يكون صورة مختلفًا فيها.

ثانيًا: أن يكون الاستحلال بالقلب.

أما السماح بفتح دور خمر، السماع بفتح دور ربا، السماح بشارع -نسأل الله العافية- فيه بغايا، هذا كله يُخشى أن يصل إلى الاستحلال.

لهذا الشيخ محمد بن إبراهيم لما سئل عن بعض البلاد التي فيها إباحة البغاء، يعني الدولة مسامحة بالبغاء، شارع معروف بالبغاء، مثل ما هو موجود في وقته في بعض البلاد: هل هو كفر؟ قال: يُخشى أن يكون كفرًا.

ليش؟ لأن هذا فعل لا يدل بمفرده على الاستحلال، واستحلال الزنا أمر قلبي، فالفعل بظاهره لا يدل على الاستحلال الباطن، فلا يكفر إلا بالاستحلال، كذلك السماح بأمكنة تبيع الخمر هذه وحدها لا تدل على هذا الكفر.

لهذا في الدول الإسلامية -الدول المتأخرة وفي أواخر الدولة العباسية- كان موجودًا أوكار معروفة للبغايا، وكان موجودًا أماكن لتصنيع الخمر ووجود الخمر في البلاد، وإذا نظرت إلى فتاوى شيخ الإسلام وإنكاره على كثير من المحرمات المجمع على تحريمها كما هو موجود في زمنه، وكذلك ما ذكره المؤرخون في أمثال ذلك، تجد أن مثل هذه الأمور كانت موجودة، وما منعها الوالي -يعني بعض الولاة- ولم يحكم فيها أهل العلم بأنها كفر وأن الوالي كفر بذلك، لا؛ بل يجب عليه أن يلغي ذلك، يجب عليه أن ينكر المنكر، فإذا لم يفعل فترجع إلى مسألة الاستحلال، هل يستحل ذلك أم لا؟ فإذا استحل مجمعًا عليه صار كفرًا، وإذا لم يستحل مجمعًا عليه فننظر؛ إذا كان له شبهة -شبهة من جهة الدليل- أو اتبع

فتوى عالم ولو كان هذا العالم مخطئًا مائة خطأ في هذه الفتوى؛ لكن هو اتبع فتوى عالم، يكون له حكم أمثاله من اتبعوا من أخطؤوا، ولو كان على هوى وشهوة ولم يستحل فله حكم أمثاله من العصاة». اهـ

وقال أيضًا في محاضرة «السنة والبدعة»: «كذلك مسائل [التسميات] المعروف في مباحث العقائد من جهة تسمية مرتكب الكبيرة مؤمنًا أو مسلمًا أو فاسقًا أو في منزلة بين منزلتين، هذه مباحث خالف فيها أهل الفرق أهل السنة، أهل السنة يقولون: إن مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته، ولا يكفر بارتكاب الكبيرة حتى يستحلها، ومعنى الاستحلال يعني حتى يقول أو يعتقد أنها حلال أحلّه الله -جل وعلا-، أو أنها حلال في نفسها، أو لم يلتزم حكم الله بها؛ يعني قال الحكم في هذه المسألة لستُ المخاطب به؛ لأن ثمة فرقًا مهمًا بين الالتزام بالشيء والقبول له، وبين عدم الالتزام الذي هو الامتناع وما بين عدم القبول والجحد، فهاهنا أشياء هناك: قبول يقابله جحد، وهناك التزام يقابله امتناع، ولكل تعريفه كما هو معلوم. **فَمَنْ خاض في هذه المسائل وخالف اعتقاد السلف الصالح فقد أحدث بدعة اعتقادية**».

وقال -سلمه الله- في شرح لمعة الاعتقاد: «مِمَّا تميز به أهل السنة أنهم لا يكفِّرون أحدا بذنب ما لم يستحله، والاستحلال اعتقاد، **وليس فعل المعصية أو الإقرار عليها استحلالاً**؛ فمن فعل المعصية أو أقرّ من يفعل المعصية من الكبائر أو ما دونها، فإن هذا كبيرة من كبائر الذنوب، ومحرم من المحرمات بحسب حال تلك المعصية، ولا يُعَدُّ استحلالاً، فلا يُكفّر أهل السنة والجماعة بذنب ما لم يستحله صاحبه، واستحلاله أن يعتقد أنه حلال، أن يعتقد أن هذا الأمر الذي حرّمه الله -جل وعلا- في صورته التي حرمها الله -جل وعلا- أنه حلال؛ لأنه يكون مِمّن ردّ حكم الله -جل وعلا- فأحلَّ الحرام، فلا يُكفّر أهل السنة أحدًا بذنب إلاَّ إذا استحله، يعني اعتقد بقلبه أنه حلال». اهـ

وقال في محاضرة «نواقض الإيمان عند أهل السنة والجماعة»: «هذا من استحل مجمعًا عليه؛ يعني معلومًا من الدين بالضرورة صار كافرًا، استحله بأي شيء بالعمل أو استحله بالقلب؟ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: والاستحلال إنما يكون بالقلب، الاستحلال

محرم إنما يكون بالقلب، أما من عمل عملاً ظاهره الاستحلال فلا يكفَّر به إذا كان مجمعًا عليه، يعني مثل من يشرب الخمر ولا يعبأ بها، هذا بالإجماع أنه ليس بكافر، لا يعبأ أبدًا بمن ينصحه في شرب الخمر أو من ينصحه في الزنا، هذا العمل لا نستدل به على أنه استحلال لا نستدل بهذا العمل على أنه كافر، لأنه لابد في استحلاله للمحرم أن يعتقد حلّه، استحلال يعني اعتقد حله وهذا راجع إلى معارضة كلام الله -جل وعلا- وتكذيبه لحكم الله بأن هذا محرّم.

أيضًا في ضوابط الاستحلال .... أن يكون هذا الفعل مِمَّا قامت عليه الأدلة من الكتاب والسنة وشاعت -ليست خفية ما يعلمها إلا بعض الناس-، فلا تكفير باستحلال عمل إنما يعلم حكمه طائفة من أهل العلم، وهذا راجع إلى كون الاستحلال مقيّد بما أجمع عليه مما هو معلوم من الدين بالضرورة...»، ثم قال: «فمن هنا يظهر لنا أن لفظ الاستحلال خاض فيه أقوام كثير في هذا الزمن[1]، ومنهم من تكلّم في الاستحلال الظاهر وأن المعاصي الظاهرة قد تكون استحلالاً، يعني يستدل بظهور الذنوب والكبائر على أن الحال استحلال لها ... عندهم واستدلوا عليه بأشياء.

وهذا عند أهل العلم غير مسلّم، أن هناك ألفاظ تتصل بهذا البحث، ومن أهمها لفظا الالتزام والامتناع، لأن الالتزام والامتناع راجع إلى الاعتقاد.

والالتزام معناه قبول الحكم، والامتناع معناه رد الحكم، وليس الامتناع هنا الطائفة الممتنعة، امتنع من أداء كذا، بمعنى منع، فالامتناع يقابل في نصوص أهل العلم بالالتزام، والالتزام معناه القبول وهو غير الجحد، يعني القبول هو أن يكون ملتزمًا بهذا، يعني أن يكون مخاطبا بهذا.

فمثلاً نقول فلان من الناس ملتزم بأحكام الشريعة، فلان من الناس ملتزم بتحريم الزنا، لكن يزني، ما الفرق بينهما؟ الفرق بينهما أنه إذا التزم حرمة الزنا فمعناه يقول نعم أنا مخاطب بأن الزنا محرم وأنا داخل في هذا الخطاب، صحيح، لكن فعله يكون له حكم أهل الكبائر[2]». اهـ

(١) نحو: سلمان، وسفر، والحويني -هداهم الله-.

(٢) وهذا فارقٌ هام جدًّا، يؤدي عدم الانتباه إليه إلى سوء فهم كلام أهل العلم الذين يستخدمون هذه المصطلحات.

قلت: وهذا التفصيل الذي ذكره الشيخ صالح هو التفصيل نفسه الذي أشار إليه شيخ الإسلام ابن تيمية كما في «الصارم المسلول» (ص٥٢٢): «وبيان هذا أن من فعل المحارم مستحلاً لها فهو كافر بالاتفاق، فإنه ما آمن بالقرآن من استحل محارمه، وكذلك لو استحلها من غير فعل، والاستحلال اعتقاد أن الله لم يحرمها، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرمها، وهذا يكون لخلل في الإيمان بالربوبية ولخلل في الإيمان بالرسالة، ويكون جحدًا محضًا غير مبني على مقدمة.

وتارة يعلم أن الله حرمها، ويعلم أن الرسول إنما حرم ما حرمه الله، ثم يمتنع عن التزام هذا التحريم، ويعاند المحرم، فهذا أشد كفرًا ممن قبله، وقد يكون هذا مع علمه أن من لم يلتزم هذا التحريم عاقبه الله وعذَّبه، ثم إن هذا الامتناع والإباء إما لخلل في اعتقاد حكمة الآمر وقدرته فيعود هذا إلى عدم التصديق بصفة من صفاته، وقد يكون مع العلم بجميع ما يصدق به تمردًا أو اتباعًا لغرض النفس، وحقيقته كفر؛ هذا لأنه يعترف لله ورسوله بكل ما أخبر به ويصدق بكل ما يصدق به المؤمنون، لكنه يكره ذلك ويبغضه ويسخطه لعدم موافقته لمراده ومشتهاه، ويقول: أنا لا أقر بذلك، ولا ألتزمه، وأبغض هذا الحق وأنفر عنه، فهذا نوع غير النوع الأول...». اهـ

قلت: نقل أحد المتداخلين في منتديات كل السلفيين في مقال: «دفاعًا عن الشيخ أبي إسحاق وردًّا فرية اتهامه بموافقة التكفيري الخارجي» هذا الموضع من كلام شيخ الإسلام ثم عقّب عليه قائلاً: «فهناك معنيان إذن للاستحلال عند شيخ الإسلام -رحمه الله-:

الأول -وهو المشهور عند الفقهاء وغيرهم-: وهو اعتقاد حل الحرام.

الثاني: وهو مصطلح يخصه -وقد يقول به غيره- وهو الامتناع عن التزام التحريم.

وكلاهما كفر عند شيخ الإسلام -رحمه الله-».

قلت: **وهذا الكلام خطأ من وجهين**:

الوجه الأول: نسبته القول الأول في تعريف الاستحلال إلى الفقهاء فحسب، وهذا نقص، بل إن القائلين بهذا هم كافة أئمة السنة، ليسوا المشتغلين بالفقه فقط، بل قاله علماء الاعتقاد والفقهاء والمحدِّثون واللُّغويون.

الوجه الثاني: لم يرد في كلام شيخ الإسلام أنه فسَّر الاستحلال بالامتناع عن قبول التحريم، إنما جعل الامتناع عن قبول التحريم نوعًا آخر من أنواع الكفر وهو كفر الجحود أو كفر الامتناع والاستكبار، ولو كان نقل كلام شيخ الإسلام من أوله لتبين له خطؤه، حيث قال شيخ الإسلام: «**الوجه الثالث**: أن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرمه عليه واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يُذعن لله و ينقاد فهو إما جاحد أو معاند ولهذا قالوا: من عصى الله مستكبرًا كإبليس كفر بالاتفاق، ومن عصى مشتهيًا لم يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكفِّره الخوارج[1]، فإن العاصي المستكبر وإن كان مصدقًا بأن الله ربُّه فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق».

قلت: فالعبارة الأولى ظاهرة ظهور الشمس أن من فعل الذنب معتقدًا تحريمه أنه ليس بكافر كفر الاستحلال الاعتقادي، لكن هذا لا يعني أنه إذا جحد أو عاند لا يكون كافرًا لاعتقاده التحريم، بل يكون كافرًا أيضًا لكن ليس لاستحلاله إنما لعناده أو جحوده، فهذان نوعان آخران من أنواع الكفر بخلاف كفر الاستحلال.

بل لقد بتر الكلام في آخره رغم أهميته؛ والظاهر أنه حذفه لأنه يسقط دعواه على شيخ الإسلام أن له مصطلحًا خاصًا في الاستحلال، وهذا نصٌ ما بتره:

«وفي مثله قيل: [أشد الناس عذابًا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه] -و هو إبليس ومن سلك سبيله-، وبهذا يظهر الفرق بين العاصي فإنه يعتقد وجوب ذلك الفعل عليه ويحب أنه يفعله لكن الشهوة و النفرة منعته من الموافقة فقد أتى من الإيمان بالتصديق والخضوع و الانقياد وذلك قول ولكن لم يكمل العمل».

ويؤكد هذا التفصيل ما قرّره شيخ الإسلام في الكتاب نفسه عند ردّه على مَن ادعى أن العلة في تكفير ساب الرسول ﷺ هي استحلال السبّ، وأن من لم يستحل لا يكفر؛ حيث قال:

---

(١) وهذا عين ما وقع فيه الحويني، وسلمان، وسفر... إلخ السروريين، أنهم كفَّروا مَن عصى مشتهيًا، فسووا في حكمهم بين مَن عصى مستكبرًا، ومَن عصى مشتهيًا.

«أحدها: أن الحكاية المذكورة عن الفقهاء أنه إن كان مُستحلاً كفر وإلا فلا ليس لها أصل، وإنما نقلها القاضي من كتاب بعض المتكلمين الذين نقلوها عن الفقهاء هؤلاء نقلوا قول الفقهاء بما ظنوه جاريًا على أصولهم أو بما قد سمعوه من بعض المنتسبين إلى الفقه ممن لا يعد قوله قولاً، وقد حكينا نصوص أئمة الفقهاء وحكاية إجماعهم عمَّن هو من أعلم الناس بمذاهبهم فلا يظن ظان أن في المسألة خلافًا يجعل المسألة من مسائل الخلاف و الاجتهاد و إنما ذلك غلط لا يستطيع أحد أن يحكي عن واحد من الفقهاء أئمة الفتوى هذا التفصيل البتة.

الوجه الثاني: أن الكفر إذا كان هو الاستحلال فإنما معناه اعتقاد أن السبَّ حلال، فإنه لمَّا اعتقد أن ما حرَّمه الله تعالى حلال كفر، ولا ريب أن من اعتقد في المحرمات المعلوم تحريمها أنها حلال كفر، لكن لا فرق في ذلك بين سبِّ النبي وبين قذف المؤمنين والكذب عليهم والغيبة لهم إلى غير ذلك من الأقوال التي علم أن الله حرمها فإنه من فعل شيئًا من ذلك مستحلاً كفر مع أنه لا يجوز أن يقال: من قذف مسلمًا أو اغتابه كفر، ويعني بذلك إذا استحله.

الوجه الثالث: أن اعتقاد حلّ السبّ كفرٌ سواء اقترن به وجود السب أو لم يقترن فإذن لا أثر للسب في التكفير وجودًا و عدمًا، وإنما المؤثر هو الاعتقاد وهو خلاف ما أجمع عليه العلماء.

الوجه الرابع: أنه إذا كان المكفِّر هو اعتقاد الحلّ، فليس في السبِّ ما يدل على أن الساب مستحلٌّ، فيجب أن لا يكفر، لا سيما إذا قال: [أنا أعتقد أن هذا حرام وإنَّما أقول غيظًا وسفهًا أو عبثًا أو لعبًا]، كما قال المنافقون: ﴿إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ [التوبة: ٦٥]». اهـ

قلت: أراد شيخ الإسلام من هذه الأوجه أن يبين **أن سبَّ الرسول ﷺ كفرٌ مستقل لا علاقة له بالاستحلال، فمن سبَّ معتقدًا تحريم السبِّ يكفر أيضًا**، والشاهد من كلامه أنه بيَّن -بلا خفاء- أن معنى الاستحلال المكفِّر هو اعتقاد حلِّ المعصية، لا معنى ثانٍ له عنده، وليس له مصطلح خاص في هذه المسألة.

واعلم -فهمك الله- أن الالتزام -المقابل للامتناع- في كلام شيخ الإسلام وغيره من أهل العلم لا يقصد به الالتزام العملي، إنما المقصود به الالتزام الذي هو الإيجاب على

النفس، وإن لم يعمل، كما جاء في معجم لغة الفقهاء (٨٦): «الالتزام: الارتباط، والتعلق بشيء في غير انفكاك عنه.

* الإيجاب على النفس، وقولهم التزم أحكام الله أي: أوجب على نفسه الأخذ بأحكام الإسلام، الإيجاب على النفس القيام بعمل أو الامتناع عن عمل».

وجاء في شرح حدود ابن عرفة (٤٢٢/٢): «التَّحَمُّلُ فِي اللُّغَةِ يُطْلَقُ عَلَى الالْتِزَامِ لأَنَّهُ الْتَزَمَ أَدَاءَ مَا عَلِمَهُ».

وفي التعاريف: «والتقبل في عرف الفقهاء الالتزام بعقد، يقال: تقبلت العمل من صاحبه إذا التزمته بعقد».

وفي مختار الصّحاح، ولسان العرب لابن منظور (مادة لزم): «والالْتِزَامُ أيضًا الاعتناق».

وجاء في «الفروق اللُّغوية» لأبي هلال العسكري (٢٥٠): «إنما الاعتراف هو الإقرار الذي صحبته المعرفة بما أقر به مع الالتزام له».

قلت: فكما هو ظاهر ظهور الشمس أن الالتزام لا يلزم منه وقوع العمل بالجوارح، فقد يلتزم الحكم الشرعي، أي: يعتنقه، ويتحمَّل أداءه، ويوجب على نفسه الأخذ به، ويتقبله، ثم يضعُف أو يعجز أو يكسل ... إلخ. عن العمل بالجوارح.

فلا تعلُّق لأرباب الغلو في التكفير والمتعصِّبين للحويني بكلام شيخ الإسلام في الالتزام؛ لأنهم يعنون بالالتزام أي الالتزام العملي، فيحملون مقولة شيخ الإسلام: امتنع عن التزام التحريم، أي امتنع عن العمل وأصرَّ على فعل المحرم، فيجعلون الإصرار العملي على المعصية -وإن كان صاحبها قد التزم الحكم الشرعي على المعنى الذي بيَّناه- دليلاً على الامتناع وعدم الالتزام، أي دليلاً على عدم القبول للحكم الشرعي.

وقال الشيخ بندر العتيبي -حفظه الله- في كتابه «وجادلهم بالتي هي أحسن» مناقشة علمية هادئة لـ(١٩) مسألة متعلقة بحكام المسلمين... مدعم بالنقل عن الإمامين عبد العزيز بن باز، ومحمد بن عثيمين -رحمهما الله- (الطبعة الرابعة ١٤٢٦/٤/٦هـ - صفحة ١٠٨):

«واعلم -وفقك الله للعلم- أن هناك من يكفِّر بهذه البنوك -وإن كانت معصيةً- تحت

ستار الاستحلال! ويدّعي أن حماية هذه البنوك قرينة دالّة على الاستحلال؛ ومن ثَمَّ فإن الحاكم يكفر بذلك!

وجوابًا على هذه الدعوى أقول: لا يمكن أن يُستفاد الاستحلال إلا من التصريح، فليس الإصرار على الذنب، ولا حمايته، ولا الدعوة إلى مقارفته؛ دالاً على الاستحلال، بل لا يقول هذا إلا من تشرَّب حبّ التكفير وتجرّأ عليه مِمَّن لم يعرف العلم الشرعي! وإلا لكفّرنا المصرّ على شرب الخمر -مثلاً-، ولكفَّرنا الأبَ الذي يحمي أجهزة الإفساد من اعتداء أحد أبنائه عليها، ولكفَّرنا كلّ صديقِ سوءٍ يدعو إلى المعصية ويُزيّنها... وبيان أمثلة هذا يطول، فليُكفِّر أولئك المُتعجِّلون آباءهم وإخوانهم وذويهم إن كانوا يلتزمون تطبيق ما يقولون، وإلا فليَعُوا خطورة الأمر ولْيَنْتهوا عما هم عليه». اهـ

وقال الشيخ الفوزان -حفظه الله- جوابًا على سؤال: **هل وجود البنوك الربوية ووضعها في البلاد دليل على استحلال الربا واستباحته؟** (الفتاوى الشرعية في القضايا العصرية، ص٦٨، ط- الأولى):

«أكل الربا لا يدل على استباحة الربا، أكل الربا كبيرة من كبائر الذنوب، والتعامل بالربا كبيرة وموبقة من الموبقات؛ لكن لا يدل هذا على كفر المرابي، إلا إذا استحله ولو لم يأخذه، إذا قال: (الربا حلال)؛ فهو كافر ولو لم يأخذ الربا. فإذا جمع بين الجريمتين، وقال: (الربا حلال)، وأخذه؛ فهذه جريمتان والعياذ بالله؛ أكله كبيرة وفسق واستحلاله كفر». اهـ

بل إن الشيخ ابن جبرين -رحمه الله- الذي يحتجّ به سلمان العودة، له فتوى على موقعه تفيد أنه لا يكفِّر هذا المجاهر بالمعصية المصر عليها، وهي الفتوى رقم (٣٦٨٣) وهذا نصُّها:

س: ما حكم المجاهرة بالمعصية؟ وهل إذا كان الإنسان يسمع أغاني وسأله آخر هل تسمع أغاني فهل يجيب بالنفي من باب عدم المجاهرة بالمعصية أم بالإيجاب من باب تحريم الكذب؟

ج: جاء في الحديث قول النبي ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المُجاهرون**»، ومعنى ذلك أن الذي يفعل المعصية ويُعلنها يتهاون برؤية الله تعالى له ويدعو إلى المعصية بفعله، ولا يهمه رؤية من يراه من الأمة وهو مُتلبس بهذه المعصية، وذلك كحلق اللِّحى وإسبال الثياب

وسماع الأغاني وترك الصلاة أو التخلف عن الجماعة وشُرب الدخان وتعاطي المُسكرات أو المُخدرات وهتك أعراض الناس والسُخرية بالصالحين ونهب الأموال وأخذ الرُشا والغش في المُعاملات، فمن جاهر بمثل هذه المعاصي **سقطت هيبته وجاز التشهير به ورفع أمره إلى الولاة**، وجاز ذكره بفعله في المجالس والمحافل ولم يكن لعرضه حُرمة، وذلك لأنه هتك ستر نفسه[1]، وأما إذا كان يتستر بالمعاصي فإننا نُعامله بما يظهر منه وليس لنا البحث والتنقيب عن أسراره، وإذا سأله أحدٌ عن فعل معصية فعليه أن يعترف بفعلها ويطلب من ربّه التوبة ويطلب من أخيه الدعاء له والاستغفار لعله أن يتوب، ولا يجوز له أن يكذب ويُخفي ما يقوله أو يفعله، فلعلَّ من اعترف بذنبه وطلب المغفرة أن يغفر الله له».اهـ

وسئل أيضًا كما في الفتوى رقم (١٢٥٤٨):

س: ما رأيكم في هذا الكلام: من الاستهزاء بالدين أن يقول رجل لآخر: ما رأيك أن تفعل الذنب كذا أو نفعل سويًا الذنب كذا، فيقول الآخر: هذا حرام، فيرد عليه: يا رجال نعمل كذا، ولما نخلص نتوب، وهل تقبل التوبة في مثل هذه الحالة؟

ج: «لا يجوز ذلك، فإن الله تعالى حرم المحرمات مطلقًا ومنع منها ورتب على فعلها من العقوبات الدنيوية والوعيد الأخروي ما يكون زاجرًا عن الإقدام عليها، فلا يجوز تعمد المحرم من الذنوب ولو نوى التوبة بعده، فهذا القائل إن قصد الاستهزاء والاستخفاف بالذنب فقد قال إثمًا وزورًا سواء فعل الحرام أو لم يفعله، وإن قصد التهاون بالذنب فذلك لا يجوز حيث إن الذنوب تقسي القلوب وتصد عن الخير وأن الإنسان لا يأمن أن يفاجئه الأجل وهو مصرٌ على الذنب، وكثيرًا ما يحاول التوبة فيعجز عنها؛ لأن قلبه قد أُشرب بالذنب وصار مألوفًا له فيصعب عليه التخلي عنه، حتى قد يحال بينه وبين النطق بالشهادة عند الموت، وننصح هذا القائل بقراءة كتاب الداء والدواء لابن القيم المسمى بالجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. والله أعلم».

قلت: وقد تفشت في الآونة الأخيرة ظاهرة المجاهرة بالمعصية في المجتمع

---

(١) انتبه!! أنه لم يحكم بكفره.

السعودي، والتي هي قرينة الإصرار، مِمَّا لم يكن معهودًا من قبل، وذلك بعد تفشي هذه القنوات الفضائية الإباحية في وسط المجتمع هناك، مِمَّا استدعى انتباه الغيورين على الأديان والأعراض من أصحاب النخوة الإسلامية الفطرية دون غلو وتطرف الخوارج، فأبلغوا ولاة الأمر عن حالة من حالات المجاهرة؛ كي يوقعوا على أصحابها العقوبة الشرعية؛ فجاء في جريدة عكاظ الأسبوعية بتاريخ (الجمعة ١٤٣٠/٠٨/٠٢هـ) (٢٤ يوليو ٢٠٠٩- العدد ٢٩٥٩):

«عيد الحارثي، إبراهيم جرادة -جدة: أكّد لـ «عكاظ»، رئيس المحكمة الجزئية في جدة: الشيخ عبد الله العثيم، أن المحكمة تلقت مئات الشكاوى تضمنت الدعوى في قضية الشاب المجاهر بالمعصية على قناة فضائية، ورددنا مثلها؛ لأنها تتضمن نفس النهج والمطالبة، ويجري حاليًا دراستها وتدقيقها من كل الجوانب، ومن ثَمَّ النظر في رفعها إلى الجهات المعنية ذات الاختصاص، ورأى العثيم أن المجاهر بالمعصية ينطبق عليه الحكم المختص في قضايا بثّ إشاعة الفاحشة بين المؤمنين عامة، وقال: إن من يبث الفتنة والفساد بشكل واضح وصريح عبر قناة فضائية على مرأى من المشاهدين بمختلف جنسياتهم ودياناتهم، وعلى مسمع كل الفئات السنية في المجتمع يطبق عليه الحكم القضائي، حيث أصبحت القضية إلكترونية وهي من اختصاص المحكمة العامة، ويطبق فيها الحكم الذي قد يصل في هذه الحالة الحاصلة مع الشاب المجاهر بالمعصية الى حد الحكم التعزيري...

من جانب آخر قال القاضي في المحكمة الجزئية في مكة المكرمة د: محمد بن حجر الظاهري: «ينبغي على هيئة التحقيق والإدعاء العام أن تبادر في الانتهاء من التحقيق معه، وتقديمه للمحاكمة حتى يكون ما يحصل عليه من جزاء رادعًا له وزاجرًا لمن تسول له نفسه أن يسلك نفس المسلك، وجبرًا لخاطر المجتمع الذي انتسب إليه هذا المجاهر بمعصيته لمحاربة القيم والعادات والمثل، فلا بد من أن ينال جزاءه حسب الأنظمة والتعليمات المتعلقة بحقوق التقاضي، وأنا أرى أن الحكم عليه ما هو إلاَّ مسألة وقت ليس إلاَّ».

وجاء في جريدة الرياض العدد (١٥٠٨١) الخميس ١٩ شوال ١٤٣٠هـ الخبر التالي:

«شهدت المحكمة الجزئية بجدة صباح أمس الأربعاء توافد العديد من الصحفيين الذين يمثلون وسائل إعلام محلية وعربية لتغطية خبر الحكم على المجاهر بالرذيلة (مازن عبد الجواد)، وخمسة من رفاقه الذين شاركوا معه في برنامج (أحمر بالخط العريض) الذي بثته قناة (LBC) حيث صدر الحكم الشرعي على المجاهر بالرذيلة بالسجن لمدة خمس سنوات تبدأ من تاريخ إيقافه، والجلد (١٠٠٠) جلدة ومنعه من السفر للخارج لمدة خمس سنوات ابتداء من نهاية محكوميته وأخذ التعهد عليه ومصادرة سيارته وجهاز جواله وعرضه على لجنة المناصحة، وكذلك عرضه على طبيب نفسي وأخصائي اجتماعي.

كما صدر الحكم بحق ثلاثة من المشاركين معه في الجرم بالسجن لمدة سنتين تبدأ من تاريخ توقيفهم وجلد كل منهم (٣٠٠) جلدة، ومنعهم من السفر للخارج لمدة سنتين تبدأ بعد انقضاء محكوميتهم وأخذ التعهد عليهم وعرضهم على لجنة المناصحة، وكذلك الحكم على المتهم الخامس في القضية بسجن شهرين من تاريخ توقيفه وأخذ التعهد عليه.

أما المتهم السادس في القضية فقد كان الحكم عليه بالسجن ثلاثة أشهر من تاريخ توقيفه وجلده (٧٠) جلدة، فيما زالت الفتاتان متغيبتين عن الحضور للمحكمة، ومازالت القضية تنتظر إحضارهما بالقوة الجبرية ليشهدا جلسة النطق بالحكم عليهما». اهـ

وجاء في موقع «صفحة نايف الإسلامية» -والذي يشرف عليها الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود -حفظه الله-: «أكّد لـ«عكاظ» رئيس المحكمة الجزئية في الرياض الدكتور صالح آل الشيخ أن عقوبة المجاهر بالمعصية لا ترقى إلى حدّ القتل، وجاء تأكيد آل الشيخ ردًا على المطالبات بتنفيذ حدّ القتل في الشاب (م.ع) المجاهر بالمعصية، والذي جاهر على قناة تلفزيونية فضائية أخيرًا بارتكاب معاص يُحرّمها الدين ويرفضها المجتمع ولا تقرها الأخلاق، واستدرك رئيس المحكمة الجزئية «إذا اعترف الشاب أمام القضاء وأقرّ بفعل الزنا وكان بكامل أهليته، فإن العقوبة المقررة هي تنفيذ الحدّ الشرعي؛ لأنه محصن».

وأضاف الشيخ أن عقوبة الشاب المجاهر بالمعصية قد تصل إلى تنفيذ الحد الشرعي، وهو الحكم عليه بالقصاص بسبب إقدامه على جريمة الزنا خصوصا أنه محصن، وأب لأربعة أطفال شريطة اعترافه أمام القاضي بنفس الكلام الذي ذكره على شاشة التلفاز

وانطبقت عليه الشروط، فإذا ثبت ما قام به فإنه معرَّضٌ لتطبيق الحكم الشرعي لمرتكب جريمة الزنا عليه، وأضاف آل الشيخ: أما قضية المجاهرة بالمعصية فإن حكمها يختلف عن حكم الزنا، وحكمها تقديري؛ لأنها تدخل في باب التعزير وفق مايراه القاضي، ولكن لايصل الحكم في قضية المجاهرة إلى حدِّ القتل، وإنما يعزَّر تعزيرًا، فإذا ثبت عليه ارتكابه لجريمة الزنا وكان مدركًا لِمَا يقول، ولم يقصد من كلامه الذي ذكره على شاشة التلفاز الإثارة أو لفت النظر أو طلب الشهرة، وكان مقرًّا بوقوعه في جريمة الزنا واكتملت الشروط فإن الحكم الشرعي المطبق عليه هو النافذ وفق مايراه القاضي من أدلة واثباتات تدين الشاب...». اهـ

قلت: وهذه الأخبار تؤكد أن القضاة والفقهاء الذين عنوا بقضية المجاهر بالمعصية التي شغلت الرأي العام للمجتمع السعودي السُّني في الآونة الأخيرة، لم يتعرضوا لا من قريب ولا من بعيد إلى تكفير هذا المجاهر والحكم عليه بالردة، بل أكَّد الشيخ صالح آل الشيخ أن حدَّ المُجاهر لا يصل إلى حدِّ القتل، وإنَّما أقصى ما تعرضوا له هو إقامة حدِّ الرجم على الزاني المحصن الذي جاهر بفعل الزنا أمام الملأ في التلفاز، أو مدحه ووصفه مقرًّا بفعله إيَّاه.

والعجيب أنك تجد هؤلاء -العودة والحوالي والحويني ومَن على شاكلتهم- يغالون في تكفير المصر على المعصية المجاهر بها، وفي الجانب الآخر يلينون ويرفقون بالمعلن بالبدعة المصر عليها ويعتبرونه مجتهدًا مأجورًا أجرًا واحدًا لاجتهاده كما زعموا، فسبحان الذي أضلهم على علم.

وإلا فخبِّروني -بربِّكم-: مَن أشر وأضل سبيلاً، ومَن أولى بأن يُكفَّر: الذي يتمدح بالزنا وشرب الخمر، مع الرقص والتعري ..إلخ، أم الذي يسبُّ أصحاب النبي ﷺ بأقذع السِّباب، ويصر على هذا ويعلن به ويأبى التراجع عنه، بل يسبُّ ناصحه ويطعن في نيته[1]؟!

والجواب واضح عند أهل العلم والإنصاف، أمَّا أهل الجهل والإجحاف، فلا يهتدون سبيلاً.

---

(١) كما صنعَ سيد قطب مع العلامة الأديب محمود شاكر -رحمه الله-، وهذا من باب المقارنة الجدلية، فلا يأخذنّ منه صاحب هوىً أني أكفِّر سيد قطب!.

الشبهة الثانية

هي تسويتهم بين إجابة الحويني عمَّن سأله عن حكم المصر على المعصية، وبين كلام بعض السلف في نحو هذه المسألة، نحو ما أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة (٨٣١) قال ثني أبي، نا خالد بن حيان أبو يزيد الرقي، نا معقل بن عبيد الله العبسي قال:

قدم علينا سالِم الأفطس بالإرجاء فعرضه فنفر منه أصحابنا نفارًا شديدًا، وكان أشدهم ميمون بن مهران وعبد الكريم بن مالك، فأمّا عبد الكريم فإنه عاهد الله ألا يأويه، وإياه سقف بيت إلا المسجد، ثم قال معقل: ثم قدمت المدينة فجلست إلى نافع فقلتُ له: .. إنّهم يقولون: نحنُ نقر بأن الصلاة فريضة ولا نصلي، وأن الخمر حرام، ونحنُ نشربُها وأن نكاح الأمهات حرامٌ ونحنُ نفعل، قال: فنثر يده من يدي، ثم قال: «من فعل هذا فهو كافر»[1].

قلت: الفروق بين هذا المثال وبين المثال الذي ضربه الحويني واضحة بيِّنة لكل ذي عينين، وهذه الفروق هي:

أولاً: أن الأمثال كما قال الحويني هي من باب المبيِّن، فإذا ضرب مثالاً ثم بيَّن في سياق كلامه المقصود بهذا المثال تنزل المثال على تعيينه، والحويني قد سئل عن حكم المصر على المعصية، فلمَّا أجاب، وقبل أن يضرب المثال بيَّن -بلا إشكال عنده- ما الذي يعنيه بهذا المثال، حيث قال -فيما تقدم نقله-: «أمَّا الرجل المصر على المعصية، وهو يعلم أنها معصية فهذا مستحل! وهذا كفره ظاهر!!»، ثم ضرب المثال -الذي هو موضع الإشكال-

(١) وكذا أخرجه الخلال في السنة (١١٠٥)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (١٧٣٢)، وابن بطة في الإبانة (٣/ ١٣٠) (١١٠٣) من طريق أحمد به؛ قلت: خالد بن حيان الرقي، وثقه ابن معين وابن عمار، وقال أحمد: لم يكن به بأس، وإنما غمزه أحمد لكونه كان يروي عن جعفر غرائب، وقال النسائي: ليس به بأس، وقال الدارقطني وابن خراش: لا بأس به، وضعفه عمرو بن علي؛ لذا الظاهر أن هذا أقل أحواله أنه صدوق حسن الحديث وليس كما قال الحافظ في التقريب: صدوق يخطئ.
وأما معقل فالظاهر من ترجمته أيضًا أنه صدوق، وليس كما قال الحافظ: إنه صدوق يخطئ.

فقال: «كأن يقول: الربا أنا أعلم أنه حرام لكنني سآكله، والزنا حرام لكنني سأفعله... هذا واضح الاستحلال فيه!!، فلا شك في كفر مثل هذا الرجل».

قلت: فبيّن الحويني بصريح عبارته -بلا خفاء- أن كلامه متنزل على الرجل المصرّ على المعصية، وهو يعلم أنها معصية، وهذا حكمه واضح عند أهل السنة -وهو أنه فاسق عاص ليس بكافر حتى يعتقد حلّ هذه المعصية بقلبه-، وهذا بخلاف من وقع في المعصية استكبارًا على حكم الله وإباءً منه لقبول هذا الحكم، فلِمَ ضرب الحويني هذا المثال المشتبه بين المصر على المعصية، وبين الذي كَفَر كُفْرَ الإباء والاستكبار، ثم صدَّر كلامه بذكر حكم المصر؟!!

وأمّا نافع فقد سُئل عن أناس صريح قولهم يدل على الإباء والاستكبار، ولم يُسأل عن حكم المُصِرّ أصلاً.

ثانيًا: هؤلاء الذين سئل عنهم نافع، كانوا يتركون الصلاة استخفافًا بها، كما هو ظاهر من إجابتهم، فهم تركوا الصلاة استخفافًا أو إباءً واستكبارًا لا كسلاً، وهذا كفر أكبر، وحتى لو سلمنا أنهم تركوها كسلاً فقط، فمن المعلوم أن عددًا من أئمة السلف كانوا يكفّرون تارك الصلاة كسلاً، خاصة الذي يتركها بالكلية، وهذا بخلاف من أكل الربا أو وقع في الزنا.

ثالثًا: أن الذين سئل عنهم نافع واضح فيهم الاستكبار والإباء، وأنهم رفضوا الالتزام بكل ما فرضه الله، والامتناع عن كل ما حرّمه الله -جملةً وتفصيلاً-، فليس تركهم من باب الإصرار النابع من الشهوة، بدليل أن نكاح الأمهات -الذي تستنكف منه النفوس- لم يتركوه.

وقال الخلال في السنة (١٠٢٧): أخبرني عبيد الله بن حنبل قال: حدثني أبي حنبل بن إسحاق بن حنبل، قال: قال الحميدي: «أخبرت أن قومًا يقولون: إن من أقر بالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، ولَم يفعل من ذلك شيئًا حتى يموت أو يصلي مُسْنِدًا ظهره مستدبر القبلة حتى يموت فهو مؤمن ما لَمْ يكن جاحدًا إذا علم أن تركه ذلك لا يؤثر في إيمانه إذا كان يُقر بالفروض واستقبال القبلة، فقلت: هذا الكفر بالله الصراح وخلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل المسلمين».

قال حنبل: قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل: «من قال هذا فقد كفر بالله، وردَّ على الله أمره وعلى الرسول ما جاء به»[1].

قلت: إن هذه الحالة هي تمثيل لكفر العناد والإباء والاستكبار، بلا خفاء، ولَم يكن تكفير الحميدي وأحمد -إن صحَّ عنهما- لِمثل هذا لكونه ترك الالتزام العملي بهذه الأركان والواجبات، بل لِمَ اقترن بهذا الترك من العناد والردّ لأمر الله وهذا بيّن في إخبار الحميدي بأن تارك هذه الأركان الأربعة ظل على هذا الترك حتى مات، مع إصراره على استدبار القبلة حال الصلاة حتى يموت، مِمَّا يعد قرينة ظاهرة على عناد هذا التارك وعلى استخفافه بحكم الشرع في وجوب استقبال القبلة في الصلاة؛ وكذلك قوله: «إذا علم أن تركه ذلك لا يؤثر في إيمانه»؛ وكذلك هو واضح في كلام الإمام أحمد حين أخبر عن حقيقة حال هذا التارك بأنه قد ردَّ على الله أمره، ولَم يكفِّره الإمام أحمد لكونه ترك هذه الأركان عمليًّا، أو أصرَّ على تركها عمليًّا فقط.

وقال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٢١٨/٧)، بعد نقله لكلام الحميدي: «وإنّما قال الأئمة بكفر هذا؛ لأن هذا فرض ما لا يقع، فيمتنع أن يكون الرجل لا يفعل شيئًا مِمَّا أُمِرَ به من الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويفعل ما يقدر عليه من المحرمات، مثل الصلاة بلا وضوء وإلى غير القبلة، ونكاح الأمهات، وهو مع ذلك مؤمن في الباطن، بل لا يفعل ذلك إلا لعدم الإيمان الذي في قلبه».اهـ

أضف إلى هذا، أن الحميدي يذهب إلى تكفير تارك أحد المباني الأربع ولو بغير

(١) إسناده ضعيف؛ عبيد الله بن حنبل: مجهول؛ ذكره الخطيب في تاريخه (١٠/ ٣٤٧)؛ إلا أنه قال: «وقيل إن ابن حنبل هذا اسمه عبد الله»؛ وفي ترجمة عبد الله بن حنبل بن إسحاق في تاريخ بغداد (٩/ ٤٥٠): «رأيت في موضع آخر رواية للخلال عن ابن حنبل هذا إلا أنه سماه عبيد الله فالله اعلم»؛ ولم يذكر في كليهما جرحًا ولا تعديلاً.
وقد تابعه عثمان بن أحمد كما في أصول الاعتقاد (١٥٩٤) قال اللالكائي أخبرنا محمد بن أحمد البصير قال أنا عثمان بن أحمد قال نا حنبل بن إسحاق به.
ولم أقف على ترجمة لمحمد بن أحمد هذا، أما عثمان فقد وثقه الدارقطني، وقال الخطيب: كان ثقة ثبتًا، كما في السير (١٥/ ٤٤٤).

جحود أو استحلال، وإن لم يقترن بتركها عناد أو استكبار أو إعراض، وهو رواية عن الإمام أحمد، ويدخل هذا في ضمن خلاف أهل السنة في حكم تارك هذه المباني الأربع الذي بيَّناه سابقًا، قال الحميدي في كتابه أصول السنة (ص٥٧) (ط- مكتبة الرشد):

«ولا نكفِّر بشيء من الذنوب، إنّما الكفر في ترك الخمس».

قلت: ولكن فليحذر طالب الحق من هذه البدعة العصرية التي روَّج لها القطبيون، مثلما روَّجوا لتكفير المُصر على المعصية؛ إشاعة منهم لمرضهم المتمثل في الغلو في التكفير، واستمع إلى تحليل هذا العالم الرباني لمكر هؤلاء حرصًا منه على سلامة شباب هذه الأمة من الانزلاق في الفخ الذي نصبه هؤلاء لهم؛ استنذافًا لجهودهم بلا فائدة فيما لا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، بل يعود عليهم بالوبال والخسارة:

قال العلامة ربيع بن هادي في نصيحة له بعنوان: «كلمة حق حول جنس العمل»:

«فممَّا نكب به الإسلام والمسلمون في هذا العصر وخاصة أهل المنهج السلفي فكر سيد قطب وعقائده الفاسدة وما أكثرها وأخطرها، ومنها قضية تكفير المجتمعات الإسلامية التي جدَّد وطوَّر بها مذهب الخوارج في التكفير والخروج على الحكام والعلماء، وقد تلقف هذه الفتنة عنه أناس تلبسوا بالسلفية فزادوها قوة وانتشارًا، إذ كان سيد قطب يكفر الحكام والمجتمعات الإسلامية بالحاكمية فقط.

أمَّا هؤلاء فقد مكروا وتحايلوا لترويجها وإلباسها لباس المنهج السلفي، فوجدوا فكرة تكفير تارك جنس العمل وتكفير تارك الصلاة أعظم وسيلة لترويج فكرتهم، وأعظم مصيدة للشباب السلفي، ومن أعظم الوسائل لتفريقهم وضَرْب بعضهم ببعض، ووجدوا منهما جسرًا لرمي أهل السنة بالإرجاء، فالذي لا يركض من أهل السنة معهم في ميدان الخوارج فيكفر الحُكَّام بالطريقة الخارجية الجاهلة فهو مرجيء وعميل وخائن ...إلخ، والذي لا يكفِّر تارك الصلاة منهم مرجيء.

وأدركت دندنة هؤلاء حول إنكار أحاديث الشفاعة ولا سيما حديث أبي سعيد الخدري فكنت أكره الحديث عنه -أي جنس العمل- والخوض فيه لا سيما وكثير ممن يردده لا يفهم معناه، وكثير مِمَّن يعرض عليهم من أذكياء حملة العلم يشتبه عليهم حتى قال لي بعض المدرسين الجامعيين الأذكياء قبل أيام: أنا لا أدري ما المراد بجنس العمل إلى الآن.

وفي نادر من الأحيان يسألني عنه بعض الناس فأنهاه عن الخوض فيه فإذا ألَحّ ولَجّ اعترضت ببعض أحاديث الشفاعة كحديث أنس -رضي الله عنه- يخرج من النار: «من عنده أدنى أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان» ، فلا يحير جوابًا...».

إلى أن قال: «وأنصح السلفيين أن يلتزموا بقول السلف الشائع المتواتر من أول عهد السلف إلى يومنا هذا ألا وهو قولهم: إن الإيمان قول وعمل، قول بالقلب واللسان وعمل بالقلب والجوارح، أو إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان.... ومن أصول أهل السنة وجوب سد الذرائع، ووجوب درء المفاسد، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح، فإطلاق جنس العمل فيه مفاسد لِما فيه من الإجمال الموقع في اللبس، ولما يثيره من الاختلاف والفرقة فيجب اجتنابه.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- زاجرًا عن إطلاق الألفاظ المجملة:

فعليك بالتفصيل والتبيين فالـــ ... إطــلاق والإجمــال دون بيــان

قد أفسدا هذا الوجود وخبطا الـ ... أذهــان والآراء كــل زمــان

○ **وسئل الشيخ الفوزان في درس مؤخر له:**

هل يصح قولنا: «جنس العمل هو لفظ مبتدع لم يرد عن السلف وهو لفظ موهم محتمل»؟ أم الأفضل تركه؟ بارك الله فيكم ونفع بكم؟

أجاب الشيخ: «ما عرفنا هذا في كلام علمائنا وعلماء السلف! ما عرفنا التفريق بين جنس العمل وبين العمل، تقول العمل! ما تقول جنس العمل!! تقول العمل: العمل من الإيمان .. العملُ من الإيمان، الإيمان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعملٌ بالجوارح، ولم يقولوا جنس العمل للجوارح، هذه لفظة ما لها صلة، هذه لفظة لا أصل لها، ولعلها جاءت من المرجئة!!، لعلها جاءت من قِبل المرجئة!!». اهـ

* * * *

الشبهة الثالثة

السؤال الذي وُجِّه إلى ياسر برهامي[1]:

س: هل هناك ما يُسمَّى بالاستحلال العملي؟ هل الاستحلال بالقلب فقط؟

فأجاب: «لا أعرف هذا المصطلح، ولا دليلاً عليه إلاَّ في مسألة واحدة، وهي: الحديث الذي ورد أن الرسول ﷺ أرسل أبا بردة لرجل بنى بأمرأة أبيه، فأمره أن يقتله، وأن يخمّس ماله[2].

فهذا دليلٌ عَلى ردة هذا الرجل، والصحيح أن هذا ظاهر جدًّا في مسألة العقد على المرأة والبناء بالمرأة، ولم يقل زنى بها؛ فالظاهر أنه استحل بعمله ذلك؛ لأن تسمية المعاشرة بين الرجل وامرأة أبيه زواجًا دليل على استحلاله، وهذا لا يكون إلا بعقد أو بتسمية هذا زواجًا، كما لو أن رجلاً ليس زنى بمحارمه، وإنما قال أتزوج أختي، فهذا لا يكون مسلمًا».

ثم قال بعد ذلك: «فمن تزوّج فقد استحل الفرج، فمن سمَّى فعله مع امرأة زواجًا كان هذا استحلالاً، بكلامه الذي قال، وبعقده الذي فعل، أو بالبناء، كرجل بنى بامرأة أبيه، عمل فرحًا، ولا يصلح، ولا يصلح أن يزني أحد بفرح، مثل هذا في زماننا «زواج المثلين»، فلا يسميه لواطًا وشذوذًا، فلو كانت جريمة كجريمة الشذوذ، فلا تكون كفرًا، وتستوجب القتل حدًّا، كرجل فعل الفاحشة برجل أو طفل، ولكن لمَّا تقام حفلة، ويسمى زواج فلان من فلان، وهذه الأسرة مكونة من رجلين، فهذا يسمى استحلالاً؛ لأنهم قالوا زواجًا؛ لأنهم يستحلون هذا الفرج، يريدون ترسيخ أن هذا مثل هذا بالضبط، فهذا خروج من الملة بلا

---

(١) سيأتي -إن شاء الله- في موضع لاحق بيان حاله.

(٢) صحّحه الإمام الألباني -رحمه الله- لشواهده في إرواء الغليل (٨/ ١٢١) (٢٣٥١).

شك، كمثل أميرة من الأميرات تزوجت ولدًا من العسكرية البحرية الأمريكية في البحرين، تزوَّجته في الكنيسة، ولم تقل إنها زنت معه وصاحبته، ولكن قالت إنها تزوَّجته، فهذه إن لم تكن جاهلة بعدم جواز زواج المسلمة من الكافر، فهذا يكون استحلالاً، فهي تقول: تزوَّجت، ولم تقل زنت...». اهـ

قلت: كنا نود من البرهامي أن يدلنا على مَن سبقه إلى هذا الفهم من أئمة السلف الصالح، أم أنه مستقلٌ بالفتوى في مثل هذه المسائل الشائكة كحال الحويني، وبقيّة أقرانهما من السرورية القطبية؟!

فإنه مِمَّا لا يُعرَفُ فيه خلافٌ بين أهل السُّنة أن الاستحلال على نوعَيْن: استحلالٌ عملي، واستحلالٌ اعتقادي.

والاستحلال العملي، معناه: مُمارسة المعصية، ومباشرتها بالجوارح.

وأمَّا الاستحلال الاعتقادي، فمعناه: اعتقاد حلِّ هذه المعصية.

والأول هو قرين كلّ المعاصي، فكل عاصٍ يصدق عليه أنه مستحلٌّ للمعصية استحلالاً عمليًا.

والثاني ليس قرينًا لكلِّ معصية، بل لا يُشترط مقارنة العمل له، فقد يعتقد بقلبه حلَّ الزنا، دون أن يستحله عمليًّا، أي: دون أن يزني.

وكما بيَّنا -فيما سبق- أن الاستحلال لا يُعرَف إلاَّ بالتصريح باللِّسان، أو الكتابة، أو الشهادة.

وظاهر السؤال المُوجَّه للبرهامي مع مضمون الإجابة، فيه تمويه، حيث يوهم القارئ بأن ثَمَّ استحلال عملي مكفِّر، أو أن مباشرة المعصية، وتسميتها بغير اسمها، نحو أن يُسمَّى الزّنا زواجًا، والربا ربحًا أو فائدة... إلخ. يُعد قرينة على الاستحلال الاعتقادي.

وهذا التأصيل والتفصيل -بلا ريب- يحتاج إلى مستند من الكتاب والسُّنة وأقوال سلف الأمة.

فالبرهامي بنى حكمه على ناكح امرأة أبيه بأنه استحلَّ هذا النكاح -أي: اعتقد حلّه- على أمرين:

الأمرُ الأول: بقوله، وهو تسميته نكاح امرأة أبيه، زواجًا.

الثاني: بفعله، وهو أنه بنى بها.

وهذا الفهم من البرهامي لم يُسبَق إليه، بل هو باطلٌ، كما سيظهر لنا -إن شاء الله- من التحليلات والنقولات التالية عن أهل العلم.

فأقولُ -مستعينًا بالله مولاي-: إنَّ تسمية المعصية بمسمًى آخر أحلّه الله سبحانه، يُعدُّ من باب التأويل الفاسد لا الاستحلال القلبي.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في كتابه «**بيان الدليل على بطلان التحليل**» (ص٧٩) مُبيِّـنًا معنى الاستحلال المذكور في حديث المعازف: «**ليكوننَّ أقوام من أمتي يستحلون الحِر، والحرير، والخمر، والمعازف**»:

«لعلَّ الاستحلال المذكور في الحديث إنَّما هو بالتأويلات الفاسدة، فإنهم لو استحلوها مع اعتقادهم أن الرسول ﷺ حرَّمها كانوا كُفَّارًا، ولم يكونوا من أمته، ولو كانوا معترفين بأنها حرام لأوشك أن لا يعاقبوا بالمسخ، كسائر الذين لم يزالوا يفعلونَ هذه المعاصي، ولمَا قيل فيهم: «يستحلون»، فإن المستحلَّ للشيء هو الذي يأخذه معتقدًا حلّه، فيشبه أن يكون استحلالهم الخمر يعني: أنّهم يُسمُّونها بغير اسمها، كما في الحديث، فيشربون الأشربة المحرمة، ولا يُسَمُّونها خمرًا...». اهـ

قلتُ: هكذا فرَّق شيخُ الإسلام بين الاستحلال القلبي، وتسمية المحرمات بغير اسمها، فجعل الثاني من باب التأويل الفاسد عند أرباب المعاصي، لا من باب اعتقاد حلّ المعصية.

وقد ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**ليستحلنَّ طائفةٌ من أمتي الخمر يُسمُّونها بغير اسمها**». صحَّحه الإمام الألباني في الصحيحة (٩٠).

وفي الحديث الآخر: «**إن أناسًا من أمتي يشربونَ الخمرَ يُسمُّونها بغير اسمها**». الصحيحة (٤١٤).

قلتُ: وهذا واضحٌ بيِّن أنه ﷺ جعلهم من أمته رغم أنهم سمُّوا الخمر بغير اسمها.

ونسأل البرهامي: ما هو حكمك على مَن يُسمِّي المعازف المحرمه بـ«الموسيقى الإسلامية»؟!

ففي «تحريم آلات الطرب» للإمام الألباني (ص١٥)، قال -رحمه الله-: «.... ومن ذلك مقال آخر نشرته مجلة «الإخوان المسلمون» أيضًا في العدد (٥) تحت عنوان «الموسيقى الإسلامية»! جاء فيه:

«و(السيمفونية) هي أرقى ما وصل إليه عباقرةُ الموسيقى أمثال «بيتهوفن»، و«شورب»، و«موزار»، و«تشايكوفسكي»، وهي تعبير عن عواطف وإحساسات تنعكسُ من الطبيعة، أو الإنسان، ويجمع لها أكبر عدد من العازفين المهرة بأحدث الآلات على اختلافها، حتى يكون التعبير أقربُ إلى الحقيقة بقدر الإمكان، وقد تألفت فرق (السيمفونية) المصريّة تضم أكثر من ثلاثين عازفًا ساعدتهم جمعية الشبان المسيحية (!) وعزفت في (الجامعة الأمريكية) (!) فما أجدرنا بهذا، **وما أحوجنا إلى داعية (!) من نوع جديد، سوف يكون فتحًا في عالم الموسيقى**، وتقدُّمًا عالميًّا لها، وحينئذٍ يبرز لون فريد يسيطر على أفئدة العالم، هو «الموسيقى الإسلامية» (!) بدلاً من (الموسيقى الشرقية)...!!».

قلتُ: فهذا أكبر الأدلة على أن استباحة الآلات الموسيقية قد فشت بين المسلمين حتى الذين ينادون منهم بإعادة مجد المسلمين، وإقامة دولة الإسلام، كالإخوان المسلمين مثلاً، ولولا ذاك لَمَا استجازت مجلتهم أن تنشر هذا المقال الصريح في استحلال ما حرّم الله من الموسيقى، بل والدعوة إليها، وليس هذا فقط، بل وسمَّاها «الموسيقى الإسلامية» على وزن «الاشتراكية الإسلامية»، و«الديمقراطية الإسلامية»، وغيرها مِمَّا يصدق عليها قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ...﴾ [النجم: ٢٣]». اهـ كلام الإمام الألباني -رحمه الله-.

قلت: وهذا دأبُ حزب «الإخوان المسلمين»، أنهم يأتون إلى المحرَّمات التي تفشت في وسط المسلمين، حيث صارت جزءًا من حياتهم اليومية، ثم يُغيِّرون اسمها -الذي لحقه الذمُّ في الشرع- إلى مُسمّى شرعي لإباحة هذا المحرّم، كلُّ هذا إرضاءً للجماهير، ومسايرة للغرب الكافر.

والشاهد، أن كلا الشرطين اللذين وضعهما البرهامي للتكفير بالاستحلال العملي قد توفرا هنا في حزب «الإخوان» حيث سمّوا «المعازف» المحرَّمة بـ«الموسيقى الإسلامية»، وبالفعل يمارس بعض أعضاء الحزب هذا سماعًا وصناعةً.

ومن هذا: تسميتهم «الاشتراكية» -هذا المذهب الشيوعي الكافر- بـ«العدالة الاجتماعية»، وعلى هذا بنى سيد قطب كتابه المشهور في هذا الباب، والذي استمدَّ منه جمال عبد الناصر قوانينه الاشتراكية.

وتسميتهم «الديمقراطية» -هذا المذهب النصراني الأمريكي- بـ«الشورى الإسلامية»، تلبيسًا وتدليسًا.

فهل يلتزم البرهامي بمذهبه، وينزله على حزب الإخوان؟!! أم أنه سيكيل بمكيالين، ويلتمس العُذر لإخوانه في حزب «الإخوان»، ويقول: «إنهم متأوِّلون تأويلاً فاسدًا، ليسوا قاصدين الاستحلال»؟!

فإن قال هذا؛ فقد نقض قاعدته من أساسها، ويلزمه أن يعود إلى فهم أئمة السلف للاستحلال المكفِّر.

وأمَّا استدلاله بحديث البراء؛ فإنه لا يستقيم له، وترد عليه الإلزامات السابقة، ومن ثمَّ وجب علينا أن نرجع إلى فهم أئمة السلف للحديث.

○ **ومن الممكن أن نُلخص أقوال الأئمة في فهم الحديث فيما يلي:**

القول الأول: أن عليه حدَّ الزاني -وهو الرجم- إذا وطئ امرأة أبيه، وهو قول الحسن، وجابر بن زيد، ومالك، والشافعي، وأبو يوسف، ومحمد، وإسحاق، وأبو أيوب، وابن أبي خيثمة.

القول الثاني: ليس عليه حدٌّ، ولو وطئها؛ لأنه نكاح شبهة، ولكن عليه التعزير دون الأربعين، فإن وطئها بغير عقد نكاح فهو زنا، عليه ما على الزاني من الحد؛ وهو قول سفيان الثوري، وأبي حنيفة.

القول الثالث: أن من وطئ ذات محرم منه نحو امرأة أبيه، فإنه يقتل على كل حال؛ وهو قول جابر بن زيد أبو الشعثاء، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه، واختاره ابن القيم -رحمه الله-.

القول الرابع: التفرقة بين ناكح امرأة أبيه وغيرها من المحارم، فمن وطئ امرأة أبيه -بعقد أو بغير عقد-، أو عقد عليها باسم نكاح وإن لم يدخل بها، فإنه يُقتل على كل حال -محصنًا كان أو غير محصن- ويخمَّس ماله.

وأما من وقع على غير امرأة أبيه من سائر ذوات محارمه -بعقد أو بغير عقد-: هو زانٍ، وعليه الحدُّ فقط، وإن أُحْصِن عليه الجلد والرجم كسائر الأجنبيات لأنه زنا، وأما الجاهل في كل ذلك فلا شيء عليه؛ وهو قول ابن حزم[1].

فأما قول الثوري، وأبي حنيفة، فقد أحسن في الردِّ عليه ابن حزم، وابن قيم الجوزية.

فقال ابن حزم في المحلَّى (١٢/٢٠٤): «... ولكن أخبرونا: في أي الأصول وجدتم أن من تزوج أمَّه -وهو يدري أنها أمَّه -أو ابنته- وهو يدري أنها ابنته أو أخته -أو إحدى ذوات محارمه- وهو يدري عالم بالتحريم في كل ذلك: فوطئهن فلا حدَّ عليه، والمهر واجب لهن عليه، والولد لاحق به، فما ندري هذا إلا في غير الإسلام». اهـ

وقال ابن القيم كما في «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٢/٢٤٩): «...فيا عجبًا لهذه الأصول التي منعت إقامة الحدِّ على من أقامه عليه رسول الله ﷺ وأسقطته عمَّن لم يسقطه عنه؛ فإنه ثبت عنه: أنه أرسل البراء بن عازب إلى رجل تزوج امرأة أبيه أن يضرب عنقه ويأخذ ماله؛ فوالله ما رضي له بحد الزاني حتى حكم عليه بضرب العنق وأخذ المال، وهذا هو الحقُّ المحض؛ فإن جريمته أعظم من جريمة من زنى بامرأة أبيه من غير عقد، فإن هذا ارتكب محظورًا واحدًا، والعاقد عليها ضمَّ إلى جريمة الوطء جريمة العقد الذي حرمه الله؛ فانتهك حرمة شرعه بالعقد، وحرمة أُمِّه بالوطء، ثم يقال: الأصول تقتضي سقوط الحدِّ عنه». اهـ

قلت: ما ذهب إليه الجمهور -الشافعي ومالك وأبو يوسف ومحمد بن الحسن- من وجوب حدِّ الزاني على من وطئ امرأة أبيه بعقد أم بغير عقد مخالف لظاهر حديث البراء، فإنه ليس فيه ذكر للرجم.

---

(١) انظر هذه الأقوال في المغني (٩/ ٥٤، ٥٥)، والمحلى (١٢/ ٢٠٠، ٢٠١)، و«شرح معاني الآثار» (٣/ ١٤٩- ١٥٢)، وزاد المعاد (٥/ ١٣)، ومصنَّف ابن أبي شيبة (٦/ ٥٦٦).

وكذلك ما ذهب إليه الثوري وأبو حنيفة باطل، كما بيَّن ابن القيم، وابن حزم.

فلم يبق إلا قول من قال أنه يقتل على كل حال، وأن يخمَّس ماله، وهو ظاهر حديث البراء.

والذي يظهر -والله تعالى أعلم-، أن هذا الرجل -في حديث البراء- إنما تزوج امرأة أبيه متَّبعًا في ذلك سَنن أهل الجاهلية، حيث كانت هذه سنتهم، كما قال أبو بكر الجصَّاص في «أحكام القرآن» (٢/١٧٥): «وقد كان نكاح امرأة الأب مستفيضًا شائعًا في الجاهلية».

وأخرج ابن جرير في تفسيره عن ابن عيينة وعمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: كان أهل الجاهلية يحرِّمون ما يَحْرُم إلا امرأة الأب، والجمع بين الأختين، قال: فأنزل الله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ﴾ [النساء: ٢٣].

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار قال: حدثنا عبد الأعلى قال: حدثنا سعيد، عن قتادة في قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ الآية، قال: كان أهل الجاهلية يحرِّمون ما حرَّم الله، إلا أنّ الرجل كان يخلُف على حَليلة أبيه، ويجمعون بين الأختين، فمن ثَمَّ قال الله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾.

وقال الشافعي في «الأم»[1] في قول الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]، وفي قوله: ﴿وَأَن تَجْمَعُوا۟ بَيْنَ ٱلْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]: «كان أكبر ولد الرجل يَخلُف على امرأة أبيه وكان الرجل يجمع بين الأختين فنهى الله -عز وجل- عن أن يكون منهم أحد يجمع في عمره بين أختين أو ينكح ما نكح أبوه إلا ما قد سلف في الجاهلية قبل علمهم بتحريمه ليس أنه أقر في أيديهم ما كانوا قد جمعوا بينه قبل الإسلام كما أقرهم النبي ﷺ على نكاح الجاهلية -الذي لا يحل في الإسلام بحال-».

وقال الهيثمي في «الزواجر عن اقتراف الكبائر» (٢/٢١٢): «وكانوا يقولون لولد الرجل

---

(١) (٥/٢٧) ط- دار المعرفة، (٦/٦٩) ط- دار الوفاء.

من امرأة أبيه مقيت، وكان في العرب قبائل اعتادت أن يخلف الرجل على امرأة أبيه، وكانت هذه السيرة في الأنصار لازمة وفي قريش مباحة مع التراضي».

قلت: فقد علم الرسول ﷺ من هذا الرجل أنه صنع ذلك متبعًا لسنن أهل الكفر في الجاهلية معتقدًا حلّه، أو ممتنعًا عن قبول الحكم الشرعي فصار مرتدًا بالاستحلال الاعتقادي أو بامتناعه عن قبول الحكم الإسلامي ابتداءً لبقائه على حكم الجاهلية، ومن ثَمَّ حكم عليه الرسول ﷺ بالقتل مع تخميس ماله، وهذا الحكم لا يجري إلا على الكافر المحارب.

○ وهذا الذي فهمه جمع من أهل العلم، وهم:

أولاً: أحمد بن حنبل -رحمه الله-: ففي مسائل عبدالله بن أحمد لأبيه (١٠٨٥/٣): سألت أبي عن حديث النبي ﷺ ... قال أبي: فترى -والله أعلم- أن ذلك منه على الاستحلال، فأمر بقتله بمنزلة المرتد وأخذ ماله، قال أبي: وكذلك المرتد لا يرثه أهله؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لا يرث المسلم الكافر، ولا الكافر المسلم**».

وفي مسائل صالح لأبيه (١٠٨/٢) (٦٦٦) وقال: في رجل يتزوج ذات محرم منه، وهو لا يعلم ثم يعلم، قال: إن كان عمدًا يقتل ويؤخذ ماله، وإن كان لا يعلم يفرق بينهما، واستحب أن يكون لها ما أخذت منه، ولا يرجع عليه بشيء.

وفي (٨٨/٣): وقال أبي: «**إذا وطئ الرجل ذات محرم قتل وأُخذ ماله**».

ثانيًا: ابن جرير الطبري -رحمه الله-: حيث قال في «تهذيب الآثار» (٥٧٣/١- مسند عبد الله بن عباس): «وكان الذي عرَّس بزوجة أبيه، متخطيًا بفعله حُرمتَين، وجامعًا بين كبيرتين من معاصي الله: **إحداهما**: عقد نكاح على من حرم الله، والثانية: إتيانه فرجًا محرمًا عليه إتيانه، وأعظم من ذلك، تقدمه بمشهد من رسول الله، وإعلانه عقد النكاح على من حرَّم الله عليه عقده عليه بنص كتابه الذي لا شبهة في تحريمها عليه، وهو حاضره؛ فكان فعله ذلك من أدل الدليل على تكذيبه رسول الله ﷺ فيما أتاه به عن الله تعالى ذكره، وجُحوده آية محكمة في تنزيله؛ فكان بذلك من فعله كذلك، عن الإسلام -إن كان قد كان للإسلام مُظهرًا- مُرتدًا ... وذلك أن فاعل ذلك على علم منه بتحريم الله ذلك على خلقه إن كان من أهل الإسلام، إن لم يكن مسلوكًا به في العقوبة سبيل أهل الردة بإعلانه استحلال ما لا لبس فيه على ناشئ نشأ في أرض الإسلام أنه حرام ...». اهـ

قلت: كما هو ظاهر من كلام ابن جرير أنه علَّق الحكم بالردة على ناكح امرأة أبيه على أمرين:

الأول: تقدمه بهذا الفعل -وهو إعلان عقد النكاح على امرأة أبيه- بمشهد من رسول الله ﷺ، مِمَّا دلَّ على عدم تعظيمه شأن النبي ﷺ.

الثاني: إعلانه استحلال هذا المحرم الذي لا لبس فيه على ناشئ نشأ في أرض الإسلام أنه حرام.

فلا يقال: إن ابن جرير حكم عليه بالردة؛ لأنه وقع في محرَّم -معلوم من الدين بالضرورة تحريمه- متعمِّدًا مع علمه بالتحريم؛ مِمَّا دلَّ على استحلاله.

وأخذ أصحاب الأهواء من هذا الفهم هذه القاعدة الخارجية، والتي أصَّلها الحويني في إجابته على السؤال الموَّجه إليه عن حكم المصر على المعصية: «أنه من وقع في محرم متعمِّدًا، وأصر على فعل هذا المحرم، مع علمه بالتحريم؛ فهو مستحل».

فنقول لهم: لا يوجد هذا الفهم في كلام ابن جرير، فإنما جعل ابن جرير علامة استحلال هذا الرجل كونه صنع ذلك في حضور النبي ﷺ في زمن الوحي والرسالة؛ مع قربهم من زمن الجاهلية الذي كانوا يستحلون فيه ذلك الفعل، مِمَّا دلَّ على جحوده هذا الحكم الشرعي وامتناعه من قبوله، وأنه ما زال يعتقد ما كان عليه أهل الجاهلية من حلِّ نكاح امرأة الأب.

ثالثًا: الطحاوي: حيث قال في «شرح المعاني» (١٥٠/٣): «وقد أجمعوا جميعًا أن فاعل ذلك لا يجب عليه قتل إنما يجب عليه -في قول من يوجب عليه الحد- عليه الرجم إن كان محصنًا، فلمَّا لم يأمر النبي ﷺ الرسول بالرجم، وإنما أمره بالقتل ثبت بذلك أن ذلك القتل ليس بحدٍّ للزنا، ولكنه لمعنًى خلاف ذلك، **وهو أن ذلك المتزوج، فعل ما فعل من ذلك على الاستحلال، كما كانوا يفعلون في الجاهلية فصار بذلك مرتدًا**، فأمر رسول الله ﷺ أن يُفعل به ما يُفْعَل بالمرتد، وهكذا كان أبو حنيفة وسفيان -رحمهما الله-، يقولان في هذا المتزوج إذا كان أتى في ذلك على الاستحلال أنه يقتل...». اهـ

رابعًا: شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: حيث قال في «مجموع الفتاوى» (٩١/٢٠،

٩٢) قال: «فإن تخميس المال دلَّ على أنه كان كافرًا لا فاسقًا، **وكفره بأنه لم يحرم ما حرَّم الله ورسوله**».

قلت: أي امتنع عن قبول الحكم بتحريم نكاح امرأة الأب.

خامسًا: ابن كثير -رحمه الله-: حيث قال في تفسيره (٢٤٦/٢): «فمن تعاطاه بعد هذا فقد ارتد عن دينه، فيقتل، ويصير ماله فيئًا لبيت المال».

سادسًا: السندي: حيث قال أبو الطيب شمس الحق العظيم آبادي في عون المعبود (٩٦/١٢): «**قال السندي: أي نكحها على قواعد الجاهلية**، فإنهم كانوا يتزوجون بأزواج آبائهم يعدون ذلك من باب الإرث، ولذلك ذكر الله النهي عن ذلك بخصوصه بقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم﴾، مبالغة في الزجر عن ذلك، **فالرجل سلك مسلكهم في عدِّ ذلك حلالاً فصار مرتدًا؛ فقتل لذلك**». اهـ

سابعًا: الشوكاني: حيث قال في «نيل الأوطار» (١٣٨/٧): «الحديث فيه دليل على أنه يجوز للإمام أن يأمر بقتل من خالف قطعيًا من قطعيات الشريعة كهذه المسألة، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾، ولكنه لا بد من حمل الحديث على أن ذلك الرجل الذي أمر ﷺ بقتله عالم بالتحريم وفعله مستحلاً وذلك من موجبات الكفر[1]، والمرتد يقتل للأدلة الآتية، وفيه أيضا متمسك لقول مالك إنه يجوز التعزير بالقتل، وفيه دليل أيضًا على أنه يجوز أخذ مال من ارتكب معصية مستحلاً لها بعد إراقة دمه».

ثامنًا: شهاب الدين أحمد البرلسي المصري الشافعي المشهور بـ«عميرة»[2]: «ويكفر إذا حلَّل محرمًا بالإجماع لحديث معاوية بن قرة عن أبيه أنه ﷺ بعث أباه إلى رجل عرس بامرأة أبيه فضرب عنقه، واصطفى ماله، وحمل هذا على أنه استحل ذلك»[8].

---

(١) حُكْم الرسول ﷺ بالاستحلال كان بوحي من الله -عز وجل-، أو بقرينة القرب من عهد الجاهلية، وإقدامه على هذا النكاح المحرَّم بمحضر الرسول ﷺ مِمَّا دلّ على استحلاله، كما قال ابن جرير، وبنحوه الطحاوي، أما بعد الرسول ﷺ فلا يحلُّ لأحدٍ أن يحكم على آخر بالاستحلال بمجرد الفعل، إلا أن يُصرِّح بلسانه أو يكتب بيده، كما تقدّم بيانه.

(٢) فقيه، أصولي، توفي عام (٩٥٧ هـ). انظر ترجمته: شذرات الذهب (٨/ ٣١٦)، ومعجم المؤلفين (٨/ ١٣).

(٨) حاشيتا قليوبي وعميرة (٤/ ١٧٦).

تاسعًا: الشيخ صالح آل الشيخ، إلا أنه فرّق بين مسألة الاستحلال والالتزام؛ حيث قال في محاضرة «نواقض الإيمان»: «فمثلاً نقول فلان من الناس ملتزم بأحكام الشريعة، فلان من الناس ملتزم بتحريم الزنا؛ لكن يزني، ما الفرق بينهما؟ الفرق بينهما أنه إذا التزم حرمة الزنا فمعناه يقول نعم أنا مخاطب بأن الزنا محرم وأنا داخل في هذا الخطاب، صحيح، لكن فعله يكون له حكم أهل الكبائر.

أما إذا قال أنا غير مخاطب أصلاً كحال الذي نكح امرأة أبيه في زمن النبي ﷺ حديث أبي بردة المعروف، فالنبي ﷺ أرسل إليه رجلاً ليضرب عنقه ويخمس ماله هل؛ لأنه استحل بالفعل؟ لا، قال العلماء: لأنه لم يلتزم الحكم، وكان ذلك الحكم في الجاهلية، فلمَّا نزل قول الله -جل وعلا-: ﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ [النساء: ٢٢]. وخوطب بذلك لم يلتزم وسار على ما كان عليه في الجاهلية، فدلَّ فعله على أنه لم يلتزم، ولا يقال دلَّ فعله على استباحته، دلَّ الفعل على عدم التزامه بحكم الشريعة الجديد الذي يلغي حكم الجاهلية.

ولهذا يتكلَّم العلماء على الطائفة الممتنعة ويقابلون بين الامتناع وعدم الالتزام».اهـ

وقال في شرح العقيدة الطحاوية (الشريط السادس والعشرون): «فإذن يُفرَّق هنا ما بين الرد وما بين التأويل، والاعتراف هو الإقرار، كذلك يُفَرّقُ هنا ما بين الإقرار الذي يقابله الجحد، وما بين الإلتزام الذي يقابله الامتناع.

فالاعتراف الذي هو الإقرار يقابله الجحد، يقال: أقر واعترف أو جحد، أقر بأن النبي ﷺ أمر بكذا أو جحد أن الصلاة واجبة، جحد أن الزكاة واجبة، جحد أن أكل نوع من المأكولات المباحة أنه حلال، جحد أن الخمر محرم، هذا جحد يناقض الاعتراف، يعني أصلاً ما يقر بالتحريم أصلاً.

الثاني: هو الفرق ما بين الالتزام والامتناع فإنه قد يُقرّ ولكنه لا يلتزم، وقد لا يجحد ولكنه يمتنع، والالتزام واجب والامتناع مكفِّر.

ما معنى الامتناع؟ الامتناع أن يقول: أنا لا أدخل في هذا الخطاب، هذا معنى قول العلماء: الطائفة الممتنعة، وقول إذا امتنع أحد عن كذا يعني لم يلتزم، فجعل فعله غير

داخل في هذا الخطاب، مثل حديث أبي بردة بن نيار المعروف أن النبي ﷺ بعثه إلى رجل نكح امرأة أبيه فأمره أن يقتله وأن يخمّس ماله، هذا رجل نكح امرأة أبيه، الفعل معصية كبيرة، كبيرة بشعة أن ينكح امرأة أبيه، لكن النبي ﷺ أمره أن يقتله وأن يخمّس ماله، يعني جعله مرتدًا لم؟ لا لكونه جحد، ولكن لكونه امتنع.

فإذن هنا في الاعتراف (مَا دَامُوا... مُعْتَرِفِينَ) فيه الإقرار يقابله الجحد، وفيه الالتزام وأن يعتقد أنه مخاطب، والامتناع أنه غير مخاطب بذلك مثل فعل مانعي الزكاة، الزكاة واجبة وأدوها لكن نحن بذاتنا لا نحن لسنا داخلين في هذا الخطاب، فالرجل ظن أنه لا يدخل في هذا الخطاب في قوله -جل وعلا-: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢]، فهو مقرّ بهذه الآية بدخوله في الإسلام، مقر بهذه الآية بدخوله؛ لكنه امتنع من الدخول امتنع من الالتزام بها لأجل أن هذه كانت فعلة أهل الجاهلية، فكان من إكرام الرّجل لأبيه أن ينكح امرأة أبيه؛ لأن هذا يدل على بره يدل على صلته، ويدل على شرفه، ويدل على أشياء عندهم، فلما أنه امتنع يعني أنه أخذه هذا المأخذ الحكم الجاهلي.

إذن في هذه الصورة لم يلتزم -هو مقر معترف- لكنه لم يلتزم بمعنى امتنع، **وليست المسألة مسألة تكفير بالعمل أو أن فعله دل على استحلاله، ليست من هذا الباب، إنما هي من باب الامتناع**[1]». اهـ

قلت: وهناك بعض القائلين بأنه ﷺ إنما أمر بقتل الرجل حدًّا لا ردة -نحو البيهقي والخطابي-، قد اعترض على دعوى الاستحلال والردة.

قال البيهقي في الخلافيات (٧/٤٢٩): «وجاء من يدعي تسوية الأخبار على مذهبه، وحمل ذلك على أنه ﷺ إنما أمر بقتله؛ لأنه كان قد استحله، فصار به مرتدًا ...»، ثم ذكر حديث البراء وحديث معاوية بن قرة عن أبيه، ثم قال: «فدلّ على أنه كان مرتدًا محاربًا؛ لأن المرتد الذي لم يحارب لا يخمس ماله، وهذا الذي ذكره ليس بشيء منه في الحديث، لا

---

(١) وهذا توجيه جيد للحديث من الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-.

الاستحلال ولا المحاربة، ولو جاز دعوى الاستحلال في هذا لجاز مثله في زنا من رجمه؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يستحلون الزنا». اهـ

وقال الخطابي في «معالم السنن» (٣/٢٨٣): «...فكان هذا جزاؤه لردته، قلت: وهذا تأويل فاسد ولو جاز أن يتأول ذلك في قتله لجاز أن يتأول مثله في رجم من رجمه ﷺ من الزناة، فيقال: إنما قتله بالرجم لاستحلاله الزنا، وقد كان أهل الجاهلية يستحلون الزنا، فلا يجب على من زنا الرجم حتى يعتقد هذا الرأي، وهذا ما لا خفاء بفساده، وإنما أمر ﷺ بقتله لزناه، ولتخطيه الحرمة في أمه».

قلت: هذا القول من البيهقي والخطابي يعضد فهم القائلين بأن مجرد نكاح امرأة الأب ليس كفرًا في ذاته، ما لم يستحله صاحبه؛ فنكاح امرأة الأب كبيرة مثل بقية الكبائر نحو الزنا وشرب الخمر وأكل الربا وشهادة الزور...إلخ، لا يكفر صاحبها إلا بالاستحلال.

وكل هذه الكبائر العملية كان أهل الجاهلية يستحلونها -أي يعتبرونها حلالاً-.

ولكن نخالف البيهقي والخطابي في قولهما: «ولو جاز دعوى الاستحلال في هذا لجاز مثله في زنا من رجمه؛ لأن أهل الجاهلية كانوا يستحلون الزنا»، بأن نقول: تصح هذه الدعوى إذا كان ثبت في الحديث أنه رجمه كما يرجم الزاني المحصن، لكن لَمَّا ثبت أنه أمر بقتله دون تخصيص صفة القتل بالرجم، مع أمره بتخميس ماله، كانت قرينة على أنه ما قصد إقامة حد الزاني عليه، إنما أمر بقتله مع تخميس ماله؛ لردته، والقرينة: القتل مع تخميس المال؛ مِمَّا لا يُصنع إلا مع المرتد المحارب.

وقال الشيخ عبد المحسن بن ناصر العبيكان في مقدِّمته على بحث «البراء من الانحراف في حديث البراء ... مناقشة مع د: عبد العزيز بن محمد عبد اللطيف في حديث: «من تزوج امرأة أبيه، وعلاقته بالتكفير» تأليف سعود الودعاني:

«أما بعد؛ فقد اطلعت على الرسالة المسماة «البراء ...»، والتي قام بتأليفها فضيلة الشيخ ...، ولقد أجاد في توضيح حديث البراء وأصاب في تخطئة من جعل الكفر بمجرد العمل محتجًا بذلك الحديث؛ فالحديث لم يكن صريحًا في تكفير من تزوَّج امرأة أبيه بدون استحلال لذلك العمل، ومجرد قتل الفاعل أو إقامة الحدِّ عليه، لا يقتضي كفره

وخروجه من الملة ما لم يرتد عن دينه أو يستحل ما حرَّم الله أو نحو ذلك من موجبات الكفر، ومن المعلوم شرعًا أن من ارتد عن دينه، فإنه يستتاب ثلاثة أيام فإن تاب وإلا قُتل، وهذا لم يرد في حديث البراء، وما نُقل من كلام المفسِّرين والعلماء مِمَّا يشعر بكفر من عمل ذلك، فلا بد أن يكون مع الاستحلال، كما دلت عليه النصوص الأخرى والقواعد العامة لهذه الشريعة المطهرة...». اهـ

وأما قول ياسر برهامي: «فهذا دليل على ردة هذا الرجل، والصحيح أن هذا ظاهر جدًّا في مسألة العقد على المرأة والبناء بالمرأة، ولم يقل زنا بها؛ فالظاهر أنه استحل بعمله ذلك؛ لأن تسمية المعاشرة بين الرجل وامرأة أبيه زواجًا دليل على استحلاله، وهذا لا يكون إلا بعقد أو بتسمية هذا زواجًا، كما لو أن رجلاً ليس زنا بمحارمه، وإنما قال أتزوج أختي، فهذا لا يكون مسلمًا .... فمن تزوج فقد استحل الفرج، فمن سمَّى فعله مع امرأة زواجًا كان هذا استحلالاً، بكلامه الذي قال، وبعقده الذي فعل، أو بالبناء، كرجل بنى بامرأة أبيه، عمل فرحًا، ولا يصلح، ولا يصلح أن يزني أحد بفرح».

فنقول: إنه مِمَّا يؤكد أن مجرد نكاح امرأة الأب بالعقد مع البناء -أو دون بناء- لا يكون كفرًا إلا بالاستحلال شأنه شأن بقية المعاصي، أن هناك عددًا من الزيجات المحرمة مَن وقع فيها، لا يكفر إجماعًا بمجرد العقد أو الوطء، نحو:

١- مَنْ تزوَّج امرأة في عدتها.

أخرج مالك في موطئه (١٢٢٦) (٣/٢٠٦): «عَن ابن شِهَاب، عن سَعِيدِ بْنِ المُسَيّب، وعَن سُلَيْمَان بن يَسَار، أَن طُلَيْحَةَ الأسدية كَانَت تحت رُشَيْد الثَّقَفِيِّ فَطَلَّقَهَا، فَنَكَحَت في عِدَّتها، فَضَرَبها عُمَرُ بن الْخَطَّاب، وَضَرَبَ زَوْجَهَا بالمخْفَقَة ضَرَبَاتٍ وَفَرَّقَ بَيْنَهُمَا، ثُمَّ قَالَ عُمَرُ بن الْخَطَّاب: «أيمَا امْرَأَةٍ نَكَحَت في عِدَّتِهَا فَإِن كَان زَوْجها الذي تَزَوَّجَهَا لَم يَدْخل بِهَا فُرِّق بَيْنَهُما، ثُمَّ اعْتَدَّت بَقِيَّة عِدَّتِهَا من زَوْجِها الأول، ثُمَّ كَانَ الآخر خَاطِبًا مِنْ الْخُطَّاب، وَإِن كَانَ دَخَلَ بِهَا فُرِّق بَيْنَهُمَا، ثُمَّ اعْتَدَّتْ بَقِيَّة عِدَّتِهَا مِنْ الأول، ثُمَّ اعْتَدَّتْ مِنْ الآخر، ثُمَّ لا يَجْتَمِعَان أَبَدًا»[1].

---

(١) وأخرجه الشافعي في الأم (٥/ ٢٣٣)، وكما في مسنده (٣/ ٣٠٠) (الترتيب: ٢/ ١٠٥/ ١٨٥)، ومن طريقه البيهقي في الكبرى (٧/ ٤٤١)، وفي معرفة السنن والآثار (١٢/ ٤٦٢)، والطحاوي في شرح

قلت: فهذا عمر -رضي الله عنه- يعاقب المتزوجة في عدتها مع زوجها بالتعزير، فما الفرق بين هذه الصورة -التي هي من صور الزواج المحرم- وبين زواج الرجل من امرأة أبيه، وكلاهما وقعا في نكاح فاسد معلوم بطلانه بالضرورة من دين الله، وإن كان بلا شك الزواج من المحارم أشد غلظة في التحريم من نكاح امرأة في عدتها.

وقد يقول قائل: إنما عزَّرهما عمر فحسب لجهلهما بالحكم الشرعي، وقد ردَّ على هذا الطحاوي حيث قال: «أفلا ترى أن عمر -رضي الله عنه- قد ضرب المرأة والزوج المتزوج في العدة بالمخفقة فاستحال أن يضربهما وهما جاهلان بتحريم ما فعلاً، لأنه كان أعرف بالله -عز وجل- من أن يعاقب من لم تقم عليه الحجة، فلمَّا ضربهما دلَّ ذلك أن الحجة قد كانت قامت عليهما بالتحريم قبل أن يفعلاً ثم هو -رضي الله عنه- لم يقم عليهما الحدَّ، وقد حضره أصحاب رسول الله ﷺ فتابعوه على ذلك ولم يخالفوه فيه». اهـ

٢- الذي طلَّق زوجته ثلاثًا، ثم عقد لها على محلِّل، كي يحلِّلها له على اعتقاده، وهو يعلم أن هذا المحلِّل لن يتزوجها زواجًا حقيقيًّا، أي لن يبني بها، إنما يعقد عليها فقط، وهذا العقد لا يحلُّها لزوجها الأول، ورغم هذا يستحل هذا الزوج الأول عمليًّا أن يعقد مرة أخرى على زوجته هذه التي طلَّقها ثلاثًا، وأن يعاشرها معاشرة الأزواج.

٣- من تزوج أخت زوجته في حياة زوجته، أي جمع ما بين الأختين.

أخرج عبد الرزاق في مصنَّفه (١٦٥/٧): عن معمر عن عوف -هو ابن أبي جميلة- حدثني عمرو بن أبي هند، قال: إن رجلاً أسلم وتحته أختان، فقال له علي بن أبي طالب: لتفارقن إحداهما، أو لأضربن عنقك.

=

معاني الآثار (٣/ ١٥١) من طرق عن مالك به؛ وهذا سند صحيح.

وأخرجه عبد الرزاق في مصنَّفه (٦/ ٢١٠) عن ابن جريج قال حدثني ابن شهاب عن عبد الله بن عتبة وأبي سلمة بن عبد الرحمن أن عمر بن الخطاب فرق بين امرأة نكحت في عدتها وبين زوجها ...وذكره بنحوه مختصراً.

وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٦٩٨) قال: حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن سليمان بن يسار: أن عمر قال للتي نكحت في عدتها: فرق بينهما، وقال: لا يتناكحان أبدًا، وجعل لها المهر بما استحل من فرجها، وأمرها أن تعتد من هذا، وتعتد من هذا.

قلت: فخيَّره عليٌّ -رضي الله عنه-، ولم يحكم عليه بالردة لمجرد إبقائه هذه الأخت تحت عصمته، فدلَّ هذا على أن مجرد الجمع بين الأختين ليس كفرًا في ذاته، وإنما إذا أصر الرجل على الجمع بين الأختين رغم تهديده بالقتل، فهذه قرينة واضحة على استحلاله هذا الزواج.

فهذه الزيجات المحرمة بالنصوص المحكمة، لا نعلم أحدًا من أهل العلم، حكم على صاحبها بالكفر بمجرد العقد أو البناء، فلا نعلم أحدًا قال: إن مجرد عمل العرس -أي الفرح- في مثل هذه الزيجات مع كتابة العقد، وتسميته زواجًا، يعد قرينة تكفي وحدها في الحكم على صاحبها بأنه وقع في الاستحلال القلبي لهذه المعصية.

وقد سئل العلامة صالح الفوزان -حفظه الله- كما في «محاضرات في العقيدة والدعوة» (٤١٣/٣): ما هي الضوابط التي ينبغي لطالب العلم أن يعرفها لكي يحكم على فلان من الناس بأنه مستحلّ للمعصية المجْمع على تحريمها، بحيث يكفر المستحل لهذه المعصية؟

فأجاب قائلاً: الضوابط التي تدل على استحلال المعصية:

«أن يصرح الشخص بأنها حلال إما بلسانه وإما بقلمه، بأن يكتب بأنها حلال، أو يقول: إنها حلال. أو يشهد عليه شاهدان عدلان فأكثر بأنه يقول بحلِّ الزنا، أو بحلِّ الخمر، أو حلِّ الربا، أو ما أشبه ذلك، حينئذ يُحكم عليه بالاستحلال، إما بإقراره كلاميًّا، أو كتابيًّا، وإما بالشهادة عليه».

* * * *

الشبهة الرابعة

عدم تكفير المصر على المعصية

يعني التهوين من شأن الإصرار

* من المعلوم أن العاصي لا يخرج حاله عن هذه الحالات:

الحالة الأولى: أن يتوب من المعصية، ولا يعود إليها، فهذا موعود بالمغفرة إذا أتى بشروط التوبة.

الحالة الثانية: أن يُصِرَّ على اقتراف المعصية، ويتعمَّد الوقوع فيها عن علم بحكم التحريم، ولا يتوب منها حتى الموت.

الحالة الثالثة: أن يُصِرَّ على المعصية ثم يتوب من هذا الإصرار، ثم يعود إلى المعصية مرة أخرى، ثم يتوب، ثم يعود، أي: يُكرِّر المعصية.

وصاحبا الحالتين الأخيرتين هما من أصحاب الوعيد، وهما في مشيئة الله -عز وجل-.

ومن المتفق عليه بين أهل السنة، أن العاصي غير التائب يُعَاقَب على هذه المعاصي في الدنيا، إما بتسليط البلايا والمصائب، وإما بإقامة الحد عليه[1]، وإن مات عليها دون أن تعجل له العقوبة -أو الكفَّارة بالحدِّ-، فإنه يكون في مشيئة الله، إن شاء عذَّبه بها، وإن شاء تجاوز عنه، وأدخله الجنَّة بما معه من التوحيد.

وقد تواترت النصوص من الكتاب والسنة على إثبات كون المصر على المعصية مجازى بهذا الإصرار مستحقًّا للعقوبة عاجلاً أم آجلاً[2]، وإليك بعض هذه النصوص:

---

(١) إن كان ذنبه عليه حدٌّ مُقدَّرٌ في الشرع.

(٢) وبهذا يُرد على من ادَّعى على السلفيين أنهم يهوِّنون من شأن الإصرار على المعصية، أو أنهم =

○ أولاً: من كتاب الله -عز وجل-:

قال الله سبحانه: ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣].

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تأويل هذه الآية كما في تفسيره (٢٤٦/٩): «وأولى التأويلات التي ذكرناها بتأويل الآية، التأويلُ الذي ذكرناه عن أبي بن كعب وعائشة: وهو أن كل من عمل سوءًا صغيرًا أو كبيرًا من مؤمن أو كافر، جوزي به.

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الآية: لعموم الآية كلَّ عامل سوء، من غير أن يُخَصَّ أو يستثنى منهم أحد، فهي على عمومها، إذ لم يكن في الآية دلالة على خصوصها، ولا قامت حجة بذلك من خبر عن الرسول ﷺ.

فإن قال قائل: وأين ذلك من قول الله: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء: ٣١]؟ وكيف يجوز أن يجازي على ما قد وعد تكفيره؟

قيل: إنه لم يعد بقوله: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾، تركَ المجازاة عليها، وإنما وعدَ التكفير بترك الفضيحة منه لأهلها في معادهم، كما فضح أهلَ الشرك والنفاق، فأما إذا جازاهم في الدنيا عليها بالمصائب ليكفِّرها عنهم بها، ليوافوه ولا ذنب لهم يستحقون المجازاة عليه، فإنما وفى لهم بما وعدهم بقوله: ﴿نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾، وأنجز لهم ما ضمن لهم بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾، [النساء: ١٢٢]». اهـ

وقال ابن كثير في تفسيره (٤٢٠/٢): «هكذا رُوي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير: أنهما فسرا السوء هاهنا بالشرك أيضًا.

وقوله: ﴿وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٣]. قال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: إلا أن يتوب فيتوب الله عليه، رواه ابن أبي حاتم.

=

مرجئة، أي يقولون بالوعد دون الوعيد، وهذا افتراء عليهم!!.

والصحيح أن ذلك عامٌّ في جميع الأعمال ....، وهذا اختيار ابن جرير، والله أعلم.

وقولـــه: ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء: ١٢٤]. لمَّا ذكر الجزاء على السيئات، وأنه لا بد أن يأخذ مستحقها من العبد إما في الدنيا -وهو الأجود له -وإما في الآخرة- والعياذ بالله من ذلك، ونسأله العافية في الدنيا والآخرة، والصفح والعفو والمسامحة -شرع في بيان إحسانه وكرمه ورحمته في قبول الأعمال الصالحة من عباده ذُكْرَانهم وإناثهم، بشرط الإيمان، وأنه سيدخلهم الجنة ولا يظلمهم من حسناتهم ولا مقدار النقير...». اهـ

وقال القرطبي في تفسيره (٣٩٦/٥): «وقال الجمهور: لفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجازى بعمله السوء، فأما مجازاة الكافر فالنار، لأن كفره أوبقه، وأمَّا المؤمن فبنكبات الدنيا».

وقال السعدي في تفسيره: «﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، وهذا شامل لجميع العاملين، لأن السوء شامل لأي ذنب كان من صغائر الذنوب وكبائرها، وشامل أيضًا لكل جزاء قليل أو كثير، دنيوي أو أخروي.

والناس في هذا المقام درجات لا يعلمها إلا الله، فمستقل ومستكثر، فمن كان عمله كله سوءًا، وذلك لا يكون إلا كافرًا، فإذا مات من دون توبة جوزي بالخلود في العذاب الأليم.

ومن كان عمله صالحًا، وهو مستقيم في غالب أحواله، وإنما يصدر منه بعض الأحيان بعض الذنوب الصغار فما يصيبه من الهم والغم والأذى و بعض الآلام في بدنه أو قلبه أو حبيبه أو ماله ونحو ذلك -فإنها مكفِّرات للذنوب، وهي مِمَّا يجزى به على عمله، قيَّضها الله لطفًا بعباده، وبين هذين الحالين مراتب كثيرة.

وهذا الجزاء على عمل السوء العام مخصوص في غير التائبين، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، كما دلَّت على ذلك النصوص». اهـ

وقال سبحانه: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ [الإسراء: ١٣].

قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (١٤٦/٣): «في قوله -جلَّ وعلا- في هذه الآية الكريمة: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ ﴾ وجهان معروفان من التفسير:

الأول: أن المراد بالطائر: العمل ثم قولهم: طار له سهم إذا خرج له، أي: ألزمناه ما طار له من عمله.

الثاني: أن المراد بالطائر ماسبق له في علم الله من شقاوة أوسعادة، والقولان متلازمان، لأن ما يطير له من العمل هو سبب ما يؤول إليه من الشقاوة أو السعادة.

فإذا عرفت الوجهين المذكورين فاعلم -أنا قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك: أن الآية قد يكون فيها للعلماء قولان أو أقوال، وكلُّها حقٌّ، ويشهد له قرآن- فنذكر جميع الأقوال وأدلتها من القرآن، لأنها كلُّها حقٌّ، والوجهان المذكوران في تفسير هذه الآية الكريمة كلاهما يشهد له قرآن.

أما على القول الأول بأن المراد بطائره عمله - فالآيات الدالة على أن عمل الإنسان لازم له كثيرة جدًّا. كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣] الآية، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]. وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

وقوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦]، وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. والآيات بمثل هذا كثيرة جدًّا ...». اهـ

وقال الله سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]». اهـ

قال ابن جرير في تفسيره (**٢٤/٥٥٣**): «فهذه الأخبار عن رسول الله ﷺ تُنبئ عن أن المؤمن إنما يرى عقوبة سيئاته في الدنيا، وثواب حسناته في الآخرة، وأن الكافر يرى ثواب حسناته في الدنيا، وعقوبة سيئاته في الآخرة، وأن الكافر لا ينفعه في الآخرة ما سلف له من إحسان في الدنيا مع كُفره». اهـ

○ ثانيًا: السنة:

بوَّب البخاري -رحمه الله- في أول كتاب «المرضى» من الصحيح، قال: باب: كفَّارة المرض، وقول الله تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، وذكر تحته خمسة أحاديث تدل على ما بوَّب به:

الأول: حديث عائشة -رضي الله عنها- زوج النبي ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مصيبة تصيب المسلم إلاَّ كَفَّر الله بها عَنْهُ حتى الشوْكَةِ يُشاكُها**»، وأخرجه مسلم (٢٥٧٢).

الثاني: حديث أبي سعيد الخدري، وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**ما يصيب المسلم من نَصَب ولا وَصَب، ولا هَمٍّ ولا حُزْنٍ، ولا أذى ولا غَمٍّ حَتَّى الشوكة يُشَاكُها؛ إلاَّ كفَّر الله بها من خطاياه**»، وأخرجه مسلم (٢٥٧٣).

الثالث: عن عبد الله بن كعب، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «**مَثَلُ المؤمن كالخامة من الزرع تُفَيِّئُها الريح**(١) **مرة وتعدلها مرة**(٢)**، ومَثَلُ المنافق كالأرْزَة**(٣) **لا تزالُ حَتَّى يكون انْجِعَافُها مرة واحدة**»، وأخرجه مسلم (٢٨١٠).

الرَّابع: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ المؤمن كمثل الخامة من الزرع من حيث أتتها الريح كَفَأَتْها، فإذا اعتدلت تكفَّأ بالبلاء، والفاجر كالأَرْزَة صمَّاء معتدلة حتى يَقْصِمَها الله إذا شاء**»، وأخرجه مسلم (٢٨٠٩).

الخامس: سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرًا يصب منه**».

وأخرج أحمد في مسنده (٦/٦٦) عن عبيد الله بن عمير، عن عائشة -رضي الله عنها-: «أن رجلاً تلا هذه الآية: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾، قال: إنا لنجزى بكل عملنا؟ هلكنا إذن، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فقال: «**نعم، يُجزى به المؤمنون في الدنيا في مصيبة في جسده فيما يؤذيه**»، وصحّحه العلامة الألباني في الصحيحة (٣٤٤/٥)، وقال: «وإسناده صحيح على شرط مسلم».

---

(١) في رواية مسلم زاد: «تصرعُها»، أي: تخفضها.

(٢) في رواية مسلم زاد: «حتى تهيجَ»، أي: تيبس.

(٣) قال النووي في شرحه على مسلم (١٧/ ١٥٢): «الأَرْزَة -بفتح الهمزة وراء ساكنة ثم زاي-، هذا هو المشهور في ضبطها، وهو المعروف في الروايات وكتب الغريب... قال أهلُ اللغة والغريب: شجر معروف، يُقال له: الأرزن يُشبه شجر الصنوبر -بفتح الصاد- يكون بالشام وبلاد الأرمن، وقيل: هو الصنوبر». اهـ

وثبت أيضًا أن الحدود تكون كفارة لأصحابها، وإن كانوا مصّرين على المعصية، كما أخرج البخاري في كتاب الإيمان من صحيحه (١٨) قال: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري قال: أخبرني أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله أن عبادة بن الصامت -رضي الله عنه- -وكان شهد بدرًا، وهو أحد النقباء ليلة العقبة-، أن رسول الله ﷺ قال -وحوله عصابة من أصحابه-: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئًا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوا في معروف، فمَن وَفَّى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئًا، فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئًا، ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه**»، فبايعناه على ذلك.

قلت: فليس المصر على المعصية في أمان من العقوبة، كما قد يتوهمه بعض من يقرأ المبحث السابق، ويرى دفاعنا عن عدم تكفير المصر؛ فيظن أن هذا الدفاع يقتضي سلامة المصِرّ على المعصية من العذاب بالكليَّة أو من العقوبة في الدنيا، والأمر ليس كما توهم هؤلاء، بل إن المصرَّ على المعصية من أصحاب الوعيد.

فليس الفقه أن تغلو في إنكار المعصية حتى تُقنط الناس من رحمة الله، أو أن ترخص لهم في معصية الله بالتهوين منها، ولكن الأمر كما قال عليٌّ -رضي الله عنه-: «ألا أنبئكم بالفقيه حقّ الفقيه؟ مَنْ لَم يقنِّط الناس من رحمة الله، ولم يُرخص لهم في معاصي الله، ولم يُؤمنهم مكر الله، ولم يترك القرآن إلى غيره»[1].

* * * *

(١) أخرجه أبو داود في «الزهد» (١١١)، وحسَّن إسناده: مُحقق كتاب «الزهد» الشيخ ضياء الحسن محمد السلفي.

تنبيـــه مهم
وكلمـــة للعقـــلاء والمنصفين

لينتبه اللبيب إلى أن الحويني لمَّا تعرض لهذه المسألة الشائكة -مسألة تكفير المصرِّ على المعصية-:

- لم يستشهد ولو بنقل واحد من كتب العقيدة السلفية.
- ولم يعتن بنقل فتاوى الأئمة السلفيين المعاصرين في هذا الباب.

مِمَّا يؤكد أنه يرى نفسه مجتهدًا مستقلاً بالفتوى -ولو كان في أدق مسائل المعتقد-، وهذا سوف يتضح أكثر فيما يلي من البحث -إن شاء الله-.

وصدق شيخ الإسلام -رحمه الله- حين قال -كما في مجموع الفتاوى (١١/٤٩٠):

«**وليس لأحد أن يضع للناس عقيدة ولا عبادة من عنده، بل عليه أن يتبع ولا يبتدع ويقتدي ولا يبتدي**، فإن الله سبحانه بعث محمدًا بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كلِّه وكفى بالله شهيدًا ... فيأخذ المسلمون جميع دينهم من الاعتقادات والعبادات وغير ذلك من كتاب الله وسنة رسوله وما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها». اهـ

وقال -رحمه الله- في أول كتابه «بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول» (ص١٣، ط- الأميرية المطبوعة على هامش منهاج السنة النبوية)[1]: «وذلك أن أصول الدين إمَّا أن تكون مسائل يجب اعتقادها، ويجب أن تذكر قولاً أو تعمل عملاً، كمسائل التوحيد والصفات والقدر والنبوة والمعاد، أو دلائل هذه المسائل، أمَّا القسم الأول فكل ما يحتاج الناس إلى معرفته واعتقاده والتصديق به من هذه المسائل، فقد بيَّنه الله ورسوله بيانًا شافيًا قاطعًا للعذر، إذ هذا من أعظم ما أقام الله به الحجة على عباده فيه بالرسل الذين بيَّنوه

(١) (١/٢٧)، ط جامعة الإمام محمد بن سعود، تحقيق، د: محمد رشاد سالم.

وبلُغوه، وكتاب الله الذي نقل الصحابة ثم التابعون عن الرسول لفظه ومعانيه، والحكمة التي هـي سـنة رسـول الله ﷺ مـشتملة علـى ذلـك علـى غايـة المـراد، وتمـام الواجـب والمستحب.....».اهـ

إلى أن قال[1]: «وإنَّما **الغرض**: التنبيه على أن في القرآن والحكمة النبوية عامة أصول الدين من المسائل والدلائل التي تستحق أن تكون أصول الدين، وأمَّا ما يدخله بعض الناس في هذا المُسمَّى من الباطل فليس ذلك من أصول الدين، وإن أدخله فيه، مثل المسائل والدلائل الفاسدة، مثل: نفي الصفات والقدر ونحو ذلك». اهـ

قلت: وبلا ريب الحكم على المصرّ بأنه مستحلٌ يعتبر من الباطل الذي حاول الحويني أن إدخاله في أصول الدين، وأيضًا سعيه لإحياء قاعدة سيد قطب البدعية: أخصّ خصائص توحيد الإلهية: توحيد الحاكمية... إلخ. ما سوف نقوم بمناقشته في بقية البحث -إن شاء الله-، فإنه من الباطل الذي أدخل في هذا المسمَّى.

فهل ينتظر مِمَّن هذا حاله أن يربط الشباب بأصول الدعوة السلفية وأئمتها؟!!

كيف وهو يطعن في بعضهم ويستهزأ بفتاويهم كما سوف يأتي -إن شاء الله-!!

***

○ ونقول أخيرًا للعقلاء والمنصفين:

إن الحويني اتهم أكابر أهل العلم، ومن تابعهم بأنهم يترصدونه، ولا يقبلون له تراجعًا، وهذا ظلم منه وجَور، بل إن العلماء وطلبة العلم يرجون للحويني ولغيره من المخالفين الرجوع إلى الحقّ والأوبة إلى منهج السلف، لكن على أن يكون تراجعًا حقيقيًّا لا تلاعبًا.

وقد ظهر لنا بجلاء فيما سبق، وجه التلاعب الذي اصطنعه الحويني في مراجعاته، وأن العاقل المميز يُدرك بلا أدنى صعوبة في الفهم، أن الحويني في كل مرة يؤكد كلامه الأول الذي بسببه اتُّهم بتكفير المصر على المعصية، ثم يأتي بشبهة جديدة تزيد الأمر

---

(١) (ص٢٠، الأميرية)، (١/ ٣٨) ط محمد بن سعود.

تعقيدًا، وتجعل الشبهة شبهات بعضها فوق بعض، فهو يحاول تبرير كلامه الأول، لا التراجع عنه ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾، ألا فلا يهنأ المتعصّبون[١]!!

○ وإنما التراجع الواضح الذي لا يرده منصف، ويقبله العلماء هو أن يُعلن الحويني صراحة بدون تورية ما يلي:

أن المسلم المُصرَّ على المعصية -وإن تعمَّد فعل المعصية وهو يعلم أنها معصية- ليس بكافر، وليس مستحلاً -استحلالاً اعتقاديًا- لهذه المعصية بهذا التعمُّد، وإنما الاستحلال الاعتقادي هو كما قال شيخ الإسلام: «اعتقاد أن الله لم يحرم هذه المعصية، وتارة بعدم اعتقاد أن الله حرَّمها»، وبالتالي فليس المصرُّ هو المستحل، وكذلك ليس كلُّ مصرٍّ على معصية يعتبر كافرًا كفر الإباء والاستكبار، والمثال المضروب لآكل الربا، عبارة محتملة لا يجزم بكفر قائلها.

ثم يعقِّب هذا بنقل كلام أهل العلم -والذي نقلنا بعضه في هذا البحث- في تعريف الإصرار على المعصية، وحكم المصرِّ على المعصية، ويعلن براءته الصريحة من قول النجدات والإباضية والسروريين من الخوارج في تكفير المصر على المعصية، ومن قول المعتزلة القائلين بتخليد المصر في النار.

وبهذا تبرأ عهدته -إن شاء الله-[٢].

وأذكِّر الحويني بما نصح به هو نفسه د: محمد بن سليمان الأشقر الذي طعن في الصحابي الجليل أبي بكرة -رضي الله عنه-[٣]، حيث قال الحويني -كما في لقاء مجلة

---

(١) يقول أبو عبد الله طالب العرادة في «نظرات في الفرقة السرورية» (ص٤٦): «أما محمد سرور فهو شخص عنيد مكابر لا يرجع للحقِّ مهما تبين له خطؤه وجهله بالدين...فأكثر العلماء المعاصرين نصحوا محمد سرور وبيَّنوا أخطاءه في العقيدة والمنهج، ومع كل ذلك لم يثبت أنه رجع عن أي من أخطائه الجسام، فعلى ماذا يدل هذا؟ يدل على ردِّ الحقِّ وغمط الناس».

قلت: فهل الحويني يسير على خطا محمد سرور؟!!

(٢) أقول هذا من باب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، والله المستعان.

(٣) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «وقد كان محمد بن سليمان الأشقر مدرسًا في الجامعة =

الفرقان الكويتية معه-: «والدكتور الأشقر رجل أصولي يعلم أنه لا يجوز لأحد أن يخرق الإجماع، وما طعن على الصحابة إلاَّ الخارجون على السنة، من الشيعة والمبتدعة بصفة عامة، والخوارج بصفة خاصة، أمّا أهل السنة فهم الذين يَذُبون عن أعراض الصحابة، فكيف يتورط الدكتور الأشقر في آخر عمره، وأراد أن يختم حياته بمثل هذا الذي أنكره عليه أهل العلم جميعًا؟!

وأرجو أن يعلم أن هؤلاء العلمانيين لن ينفعوه، وأنهم إذا وصفوه بالاجتهاد والرأي الجرئ، فلهم ألفاظ معينة يستثيرون بها الشيخ وقولهم فيه له مفعول السحر!! وأنا أقول له، لا تصغ إلى أقوال هؤلاء، فإنهم يورطون، وهؤلاء لا حميَّة عندهم...». اهـ

قلت: وأقول أنا كذلك:

«والحويني رجل حديث يعلم أنه لا يجوز لأحد أن يخرق إجماع أهل الحديث، وما تكفير المصر على المعصية، ورفع شعار: «أخص خصائص توحيد الإلهية هو توحيد الحاكمية، وتمجيد رموز القصّاص والحزبيين إلا من طرق المبتدعة بصفة عامة، والخارجية القطبية السرورية بصفة خاصة.

أما أهل السنة هم الذين يلتزمون معتقد أهل الحديث والأثر، فلا يكفِّرون أحدًا من أهل القبلة بذنب -أصر عليه أم لم يصر- ما لم يستحله بقلبه استحلالاً اعتقاديًا.

وأرجو أن يعلم أن هؤلاء القطبيين السروريين لن ينفعوه، وأنهم إذ وصفوه بالاجتهاد، وبالإمامة في السُّنة والحديث، فلهم ألفاظ معينة يفتنونه بها ويغرُّونه بها في

=

الإسلامية، وقد ردَّ عليه وناصحه بالهاتف أولاً شيخنا وزميله الشيخ الفاضل عبد المحسن العبّاد، كما ردَّ عليه شيخنا ربيع بن هادي مبكرًا جدًّا -أي في أول ظهور طعنه في الصحابي الجليل أبي بكرة -رضي الله عنه-.

وأمّا الحويني وغيره من طلبة العلم، إنما استفادوا في ردودهم من ردِّ الشيخين الكريمين، ولكنه وغيره مِمَّن يُعرَف في بلدنا كتبوا وأعلنوا ردودًا دون الإشارة أو الإحالة إلى الشيخين الكريمين، وهذا شأنهم ودأبهم». اهـ

نفسه، وقولهم فيه له مفعول السحر!! وأنا أقول له: لا تُصغ إلى هؤلاء، فإنهم يورطونك، وهؤلاء لا حَمِيَّة عندهم صادقة لأصول المنهج السلفي».

وأذكِّر الحويني أيضًا أن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل، وأن الله سبحانه أثنى على الأوَّابين في غير ما موضع من كتابه، نحو قوله سبحانه: ﴿نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

فطوبى للعبد المنيب الرجّاع إلى الحق، المتواضع لنصح الصغير قبل الكبير، الذي يخفض جناحه للمؤمنين، ولا يستكبر عليهم ولا يستعلي بشهرة أو مال أو جاه أو سطوة أو هوى متبع، حيث يعتقد أن هذه الأعراض أعراضٌ زائلة، يوشك أن تذهب عنه، وتتركه وحيدًا فريدًا في قبره يتأهب لسؤال الملكين، وعندها لا ينفعه إلا الحق.

أسأل الله أن يشرح صدر أبي إسحاق الحويني لهذه النصيحة الخالصة التي ما كنا نود أن ننشرها على الملأ لولا أن المقالات الباطلة التي نسبت له قد روِّج لها، وطار بها الأفَّاكون كل مطار، وهو يأبى أن يتراجع عنها، رغم نصح الناصحين -باعترافه-، فوجب النصح والتحذير على الملأ.

* * * *

فصل

تعليق الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار -حفظه الله- على المخالفة الأولى: تكفير الحويني للمُصر على المعصية

○ **قال -حفظه الله، ونفع بعلمه-:**

«وليسمح لي الشيخ الكريم أن أتناول مسألة واحدة من جُملة مسائل ومخالفات أبي إسحاق، فأعرضها وأعلّق عليها شيئا يسيرًا، وتكون بعد المقدمة الإجمالية، مُقدِّمة ثانية أو تابعة لكنها تفصيلية نوعًا ما.

انظر وتدبر يا عبد الله، بعد التجرُّد ومخالفة الهوى إلى قول أبي إسحاق في عرضه للمسألة الأولى التي خالف فيها .....، فترى أنه أصَّل وفرَّع ثم مثَّل عليه، **وهو في كلِّ ذلك موافق لتأصيلات المعتزلة، فهم شيوخه وسلفه، شاء أم أبى**، ثم أمعن النظر في تمثيله للمسألة، وكم أبان بالمثال عن جهل عظيم، أو هوى قديم، أدرك ذلك أم خفي عليه، يقول في مثاله: «كأن يقول: الربا، أنا أعلم أنه حرام، لكني سآكله -وفي الزنا كذلك- لكنني سأفعله»، ثم علّق على المثال يريد توضيح المقال فقال: «هذا واضح الاستحلال فيه»؟!!

أقول: سبحان الله!! أين الاستحلال؟ وأين الوضوح؟!

لقد فهم أبو إسحاق الاستحلال من قول المصر «**سآكله**»، «**سأفعله**» فماذا سيكون فهمه وتعليقه لو قال القائل العاصي: الربا تجارة وكسب وفائدة، وليس بحرام، والزنا متعة وحرية ليس بحرام؟!

إن مصيبة أبي إسحاق -والذي أراه أنه قد أُتي منها- عدم تفريقه بين الإصرار على الفعل مع الإقرار بالعلم بحرمته، وبين الاستحلال. أي: لم يفرِّق بين الاستمرار على الفعل،

وبين اعتقاد حلّه وعدم تحريمه، ومعلوم أن الاستحلال استفعال من الوصف بالحلّ والإباحة الذي هو ضد الحرمة.

هذا جانبٌ، والجانب الآخر الذي أتي منه هو عدم التفريق بين الفعل، ولازم الفعل الوصف والحكم، فحكم على من يرى أنه يلزم من استمراره الاستحلال وعدم الاكتراث بحكم الله، بأنه استحلال اعتقادي أو تشريع ومشاركة لله في حكمه وتحليله وتحريمه؟!!

ومعلومٌ أيضًا أن وصف الفاعل بالمعصية متقرر، ووصف المصر المستمر بذلك متقرر، وأمّا الحكم على الفاعل بلازم فعله بكونه يعتقد كذا، فهذا مردودٌ، وقد قيل قديمًا: لازم الفعل ليس بلازم، وهذا محل اتفاق بين الفضلاء والعقلاء.

وقد أجاد الشيخ خالد -حفظه الله ونفع به- بيان معنى الإصرار عند جمهور أهل العلم، موضحًا وكاشفًا لكلِّ ذي لُبٍّ متجرد: البون والفرق بين تفسيراتهم وبين تقريرات الحويني، ومسكين ذاك الجزائري الذي جاء يركض من وراء البحار والقفار صارخًا مُعلنًا جهله بمدلولات ألفاظ شيخه فيقول: «ولم نسمع الشيخ يومًا يُكفِّر أهل المعاصي»؟!!

أقول: ولعل المسكين لا يدري أن الاستحلال كفر!

وقد أجاد كذلك -حفظه الله ونفع به- في بيان حكم المصر على المعصية، فذكر أقوال العلماء وتقريراتهم مبينًا أن عدم تكفير المصر على المعصية إجماع عند أهل السُّنة والجماعة، وأنه في مشيئة الله تعالى إن شاء عذّبه، وإن شاء غفر له، بدءً بالإمام المبجل أحمد بن حنبل، ثم الأئمة الأعلام بعده، مفصلاً أقوالهم ومذاهبهم بتقريرات شيخ الإسلام وتلاميذه ابن القيم وابن رجب، ثم مؤكدًا بقاء المذهب بأقوال المعاصرين من المتّبعين لأئمة السلف والسُّنة، فبدأ بالعلامة حافظ حكمي والعلامة ابن سعدي، ثم بالإمام ابن باز وفتاوى اللجنة الدائمة، والإمام ابن عثيمين -رحم الله الجميع- ثم بالعلماء الأجلاء صالح الفوزان، وعبد المحسن العباد، وربيع بن هادي -حفظ الله الجميع-، فالشاهد أنه أبان وكشف عن شدة مخالفة قول الحويني، وصراحة مضادة تقريراته لِمَا ذكره من أقوال العلماء وتفصيلات تقريرات شيخ الإسلام بما لا مزيد عليه رجاء رجوعه إلى رشده وصوابه.

ثم ذكر -حفظه الله ونفع به- تفصيل ابن القيم في معنى المصر حيث نص -رحمه الله-: «.... فهاهنا عمل اتصل به العزم على معاودته، فهذا هو المصر»، مُظهِرًا عظيم الفرق بين تقريرات الإمام الجليل وتقرير الحويني الذي يزعم أن الفاعل المصر مع العلم بأنها معصية مستحل!!!.. سبحانك هذا بُهتانٌ عظيم، فكأني بالحويني يقول: «فهاهنا فعل وعلم، وتصريحٌ بالاستمرار، فهذا هو الاستحلال»!!

وما أجملَ ما نقله الشيخ في بيان أقوال علمائنا سلفًا وخلفًا، فهذا نصُّ شيخنا الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- وإخوانه في اللجنة الدائمة جوابًا على السائل، قالوا: إذا مات المسلم وهو مصرٌّ على كبيرة من الكبائر كشرب الخمر والربا والزنا.... فإنه مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته وأمره إلى الله... ونُغسِّله ونكفِّنه، ونُصلي عليه ويُدفن في مقابر المسلمين ما لم يستحل هذه الكبائر....».

فالتفريق بين الإصرار وبين الاستحلال، بل ذكر الاستحلال قيدًا لبقاء المصر على الكبائر على الإسلام هو قول العلماء، وتقريراتهم سلفًا وخلفًا تؤكده، فأين هذا من قول الحويني؟!

وما أجمل ما نقله من جواب شيخنا الإمام ابن عثيمين -رحمه الله- لمَّا سُئل: ما هو ضابط الاستحلال الذي يكفر به العبد؟ وأظنُّ وأحسب أن هذا يكفي الحويني للمراجعة إن كان له قلب ويلقي السمع وهو شهيد، حيث بيَّن -رحمه الله- أن الاستحلال اعتقاد حلّ ما حرَّم الله، وفرَّق -رحمه الله- بين الفعل ولازم الفعل.

وحسب الحويني أيضًا ما نقله له -حفظه الله- من أقوال ومذاهب الخوارج والمعتزلة لتبين له أنه على سبيلهم، وقد وافقهم، وأنهم سلفه فيما قرر، وشيوخه؟!!

وأقول: لقد نصحك، فانظر أين كنت، وما أنتَ عليه الآن، وأذكِّرك ناصحًا بقول القائل:

قد هيئوكَ لأمرٍ لو فَطِنْتَ له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وقد آلمني ما رأيتُ من طريقة الحويني وتلبسه حين ناشد طلابه سائلاً إن كانوا يومًا

سمعوا منه القول بأن فاعل الكبيرة كافر؟!! ويعلم أصغر طالب علم، أن السؤال لم يرد في محل النزاع، وأن هذا هروبٌ وتلبيس وحَيْدَة.

كان الواجب أن تسألهم، إن كانوا سمعوا منك أن المصر على الكبيرة مُستحل؟! والمستحل كافر معلوم كفره عند عامة طلبة العلم.

والمصيبة أنه لم يقبل قول الناصح، ولم يراجع نفسه، ولم يقارن قوله بأقوال العلماء المبسوطة في النصيحة، بل راح بعد ذلك يلمز الناصح ويصفه بعدم الفهم، ثم زاد بادِّعائه الاطلاع على سوء قصده بما زعمه من القرائن الظاهرة ولستُ أدري ما هي هذه القرائن، والتي كشفت له البواطن والنوايا والمقاصد؟!.

أسأل الله الهداية والتوفيق للجميع، وأن يرزقنا حُسن القول والعمل والتواضع للناصحين ومعرفة حقّ العلماء وطُلاَّب العلم.

* * * *

المخالفة الثانيـــة

تسرع الحويني في التكفير

دون الانضباط بضوابط أهل السنـــة

فإنه مِمَّا لا ريبَ فيه، أن مِنَ الحدود الفاصلة بين السلفيين، والسروريين: التسرع في التكفير والغلوّ فيه.

وقد تقدَّم في المخالفة الأولى تكفير الحويني للمصر على المعصية، وهذه المخالفة العظيمة لأصل من أصول أهل السنة إنما نتجت -كما يظهر- بسبب تسرعٍ منه، وهذا التسرع إنما دفعه إليه حمية عاطفية لا قواعد سلفية.

فالمخالفة الأولى أخصُّ من هذه المخالفة الثانية، أو قل: هي مبنية عليها.

○ وإليك أمثلة أخرى على هذه المخالفة:

سُئِلَ الحويني كما في (فتاوى العقيدة على موقع الحويني على النت):

- ما حكم رجل يَسُبُّ الدين، وهو تَارِكٌ للصلاة بالكلية، و يتعامل بالربا، ويُخَالِطُ النِّساء، ويصافحهم، ويمنع أولاده من الصلاة، و يطردهم؟

ج: أولاً: إن كانت هذه الصفات موجودة فعلاً في هذا الرجل وجب على زوجته أن تطلب الطلاق وإلاَّ أثمت.

ثانيًا: سَبُّ الدين فقط كفر مخرج من الملة، وتارك الصلاة يكفر على رأي شطر من أهل العلم، كذلك يصد عن سبيل الله ويمنع أولاده من الصلاة، ويأكل الربا الذي حرمه الله!!

مثل هذا الرجل أقل ما يقال فيه أنه: كافر، والله تعالى أعلم».

قلت: كما هو ظاهر من الفتوى، لقد بنى الحويني تكفيره للرجل على مجموع هذه الكبائر الخمس:

الأولى: سبُّه للدين.

الثانية: تركه للصلاة -مع إشارته للخلاف في حكم تارك الصلاة-.

الثالثة: الصدُّ عن سبيل الله. **الرابعة**: منع أولاده من الصلاة.

الخامسة: أكله للربا.

فالحويني كفَّر الرجل بمجموع هذه الكبائر[1]، وكأنها عملية حسابية، أو كأنه يومئ إلى مسألة تكفير تارك جنس العمل على طريقة القطبيين، هذه المسألة التي اتَّخذوها وليجة لتفريق أهل السُّنة.

وكما هو معلوم من أصول أهل السنة، أن كل واحدة من هذه الخمس بمفرده كبيرة من كبائر الذنوب ليست كفرًا، إلا الأولى والثانية، ففيها تفصيل.

ففي كفر تارك الصلاة كسلاً بغير جحود خلاف مشهور بين أئمة أهل السنة، ولو أن الحويني بنى تكفيره للرجل على تركه الصلاة كسلاً فحسب ما أنكرنا عليه هذا من الناحية التنظيرية.

وأما عن قوله: «سبُّ الدِّين فقط كُفْرٌ مُخْرِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ»، هذا حقٌّ فيمن يسبُّ دين الإسلام، فمن سبَّ دين الإسلام كفر، ولا يقال: يشترط الاستحلال، بل إن سبَّ دين الإسلام كفرٌ مستقلٌّ بذاته، فهو كفر قولي أكبر مخرج من الملة.

لكن إذا نظرنا إلى واقع العامة وجدنا أن أغلب الذين يتلفظون بهذا اللفظ منهم لا يقصدون دين الإسلام حال السبِّ، بل لا يخطر هذا في بال أحدهم أصالةً، وإنما في الغالب الأعم يقصد السابُّ تدين الذي سبَّه وخُلُقَه الذي لا يرتضيه.

---

(١) ولينتبه شباب أهل السُّنة إلى أن هذا الأسلوب هو أحد الأساليب التي استحدثها خوارج العصر في تثبيت منهجهم في تكفير أصحاب الكبائر، بتعداد الكبائر العملية التي يقع فيها الفرد الواحد -أو الفاشية في المجتمع-، وتفخيمها في ذهن المتلقي، ليلجوا منها إلى تكفير هذا الفرد، أو تكفير الْحُكّام الذين أذنوا بفشو هذه الكبائر، أو تكفير المجتمع بأكمله والحكم عليه بالجاهلية، كما صنع سيد قطب، ومن ثَمَّ استحدثوا أيضًا مسألة جنس العمل، وتارك العمل بالكليّة، لتحقيق الغرض نفسه.

وبعض الذين يقعون في هذا السبّ -خاصة العامة عندنا في مصر- ينطقون لفظ (يلعن) هكذا: (ينعن) بالنونين، أو (يَنعل) بتقديم العين على اللام، وهذا إيحاء قوي يدل على أنهم لا يفهمون ما ينطقون به، إنَّما هي حروف غضبية اعتاد اللسان النطق بها عند الغضب، فتخرج هكذا بدون تمييز للحروف أو إدراك للمعنى المقصود من هذه الحروف، وذلك مثل الذي أخطأ من شدة الفرح، فنطق لسانه ما لا يقصد معناهُ، وهو قوله: (اللهم أنت عبدي، وأنا ربك)، وعليه فقد كان أكابر العلماء فيما مضى يفتون بتعزير من يقع في هذا السبّ، ولا يحكمون عليه بالردة بمجرد السبّ، وهذا فارقٌ جليٌّ بين العلماء الربانيين الذين يتثبتون في أحكامهم، ولا يتسرعون في تكفير جهلة المسلمين وعصاتِهم، وبين أصحاب العجلة والجرأة في إسقاط أحكام التكفير دون التأني والانضباط بضوابط أهل السنة.

○ وإليك فتاوى كبار أهل العلم، التي تثبت هذا الفهم:

○ أولاً: فتوى الشيخ العلاَّمة ابن عثيمين -رحمه الله-[1]:

وفي جزء صغير بعنوان: (الكلمات النافعة حول بعض البدع والمنكرات الواقعة.. أسئلة أجاب عليها الشيخ العلامة ابن عثيمين -رحمه الله-) جمع وترتيب: أسامة بن علي عمر الصقيل، ورد هذا السؤال:

س(٨): ما حكم سب الدين والملة كأن يقول: (يلعن دينك، يلعن ملتك)، فهل هذا كفر بالله، وهل يُعذر الجاهل بجهله؟

الجواب: العلماء قالوا إن سبَّ الدين كفر، لكن قد يقول الرجل للشخص: يلعن دينك، **لأن** هذا الرجل لَمْ يقم بدين الله على ما ينبغي، ربما يكون يكذب عليه أو يغشه أو غير ذلك، فيقول: إن كان هذا الدين هو دينك فيلعن دينك، **وهو لا يريد أن يلعن دين الإسلام**، كما يكون ذلك كثيرًا في المغاضبات، أما لو سبَّ دين الإسلام نفسه فهذا هو الذي تكلم عليه العلماء، وقالوا: إنه كفر وردة، فأما ما ذكرت فإنه أضاف الدين للشخص؛

---

(١) قدّمت فتوى الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- على فتاوى الأئمة: محمد بن إبراهيم، وعبد الرزاق، والألباني -رحمهم الله-؛ لأنها أوضح وأصرح في بيان المقصود، وبأقصر عبارة.

لأن الشخص قد يفعل أشياء تُخالف دين الإسلام، ففرق بين شخص يَنصب سبُّه على نفس الدين أو على دين شخص معين يُخالف عمله دين الإسلام فيسبه؛ لأنه لَم يطبق الدين الإسلامي. اهـ

* * *

o ثانيًا: فتاوى الشيخ العلاّمة محمد بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله- مفتي الديار السعودية سابقًا:

الفتوى الأولى: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- (١٢/ ١٨٦):

«من محمد بن إبراهيم» إلى فضيلة الأخ المكرم الشيخ عبد الملك بن إبراهيم -رئيس عام هيئات الأمر بالمعروف- في الحجاز:

«السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **وبعد:** فقد اطلعنا على المعاملة الواردة منكم برقم (٤٧) وتاريخ (١٣٨١/١/٥) كذا وكذا الخاصة باعتراف: سعد بن... بسبِّ الدين، والمُثبت اعترافه لدى فضيلة رئيس المحكمة الكبرى بمكة المكرمة، وأنه لَم يثبت لدى فضيلته ما يوجب إقامة حد الردة بقتل (سعد) المذكور، ويرى إحالته إلى قاضي المستعجلة الأولى للنظر في موضوع تعزير سعد... إلخ ما ذكره.

ونفيدكم أننا باطلاعنا على الورق المعاملة، وعلى كتابة فضيلة رئيس المحكمة، لم يظهر لنا ما يوجب على سعد إقامة حد الردة، إذ أنه لَم يصرح بسبِّ الإسلام، وإنّما سبَّ دين ذلك الرجل، وهذا **يحتمل أنه أراد أن تدين الرجل رديء، والحدود تدرأ بالشبهات.**

وبهذا تكون إحالة المذكور إلى قاضي المستعجلة لتقرير التعزير اللازم عليه وجيهًا، أمّا سجنه فإنه يُكتفى بما مضى له في السجن، والله يَحفظكم. اهـ

الفتوى الثانية: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- (١٢/ ١٨٧):

«من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة مساعد قاضي محكمة صامطة -سلمه الله-:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **وبعد:**

فقد جرى اطلاعنا على خطابكم رقم (٧١٦)، وتأريخ (١٣٨٨/٥/١٦) بخصوص مسألة

معوض بن.... وما صدر منه من لعنه دين محمد بن المهدي، وما قررتموه في حقه من جلده عشرة أسواط تعزيرًا، واستتابته، ثم توبته واستغفاره، وطلبكم منا الإحاطة بذلك.

ونفيدكم أن سبَّه دين محمد بن المهدي والحال أن محمد بن المهدي مسلم هو سبٌّ للدين الإسلامي، وسبُّ الدين -كما لا يخفى عليكم- ارتداد، والعياذ بالله.

وعليه فيلزمكم -علاوة على ما أجريتم- إحضار المذكور، وأمره بالاغتسال، ثم النطق بالشهادتين، وتجديده للتوبة، بعد إخباره بشروطها الثلاثة: من الإقلاع عن موجب الإثم، والندم على صدوره منه، والعزم على عدم العودة إليه.

ونظرًا لِمَا ذكرته عنه من أنه جاهل بِمدلول ما صدر منه: فيُكتفى بِما قررتموه عليه تعزيرًا، وفقكم الله، والسلام عليكم.

الفتوى الثالثة: مجموع فتاوى الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- (١٢/ ١٩٤):

من محمد بن إبراهيم إلى فضيلة قاضي هرجاب -سلمه الله-:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، **وبعد:**

فقد وصل إلينا كتابك رقم (١٨٢)، وتاريخ (١٣٨٩/٣/٨) الذي ذكرت فيه حالة بعض الشباب من تلاميذ المدارس وأنهم يسمون «علم التوحيد»: علم التوحيش، و«علم الفقه»: علم حزاوي العجائز[١]، وتسأل عن حكم هؤلاء؟

والجواب: لا شك أن مثل هؤلاء متجنون على الشريعة الإسلامية وعلومها، وهذا يدل على استخفاف بالدين، وجرأة على رب العالمين، ومن أطلق هذه المقالة على علم

---

(١) تأمل حال هؤلاء الطلبة مع علمي التوحيد والفقه، وقارنه بحال أفراخ حزب الإخوان من دُعاة الصحوة الذين يعتبر أحدهم كتب العقيدة السلفية كتبًا جافة لا تتواكب مع احتياجات العصر، وآخر يقول: إن التوحيد لا يحتاج أكثر من ربع ساعة كي نعلّمه للناس.... إلخ؛ لتدرك مدى غربة الحق، ولعلَّ هؤلاء الطلبة تلقوا هذه الأقوال المنحرفة من مدرسين إخوان؛ حيث إنهم في ذاك الوقت قد فُتحت لهم أبواب المدارس والمعاهد والجامعات، بعد أن شردوا من ديارهم، فبدلاً من تقديم الشكران والعرفان لأهل البلد الطيب، قدَّموا الكفران والنُّكران، ببثِّ هذه الآراء الخبيثة في وسط الطلائع المولودة على الفطرة؛ ليفسدوا فطرهم، والله حسيبهم.

التوحيد الذي بعث به الرسل وأنزل به الكتب وهو يعلم معناها، فلا شك أنه مرتد، **لكن ينبغي معرفة الفرق بين الحكم على شخص معين وبين القول: إن من فعل كذا وكذا أو قال: كذا وكذا، فهو كافر**؛ لأن الشخص المعين لا بد من إثبات صدورها منه باختياره، وإنها صدرت منه حال كونه مكلفًا بالغًا عاقلاً.

ومن أطلق هذه المقالة على علم الفقه فهو مخطئ ومتجنن على علوم الشريعة، لكن لا يبلغ به إلى الحكم عليه بالردة.

وعلى كلٍّ فيتعين تعزير كل من يصدر منه هذه الألفاظ، فإن كان من السفهاء والأطفال فهذا أخطر، وإن كانوا كبارًا فهذا أغلظ والعياذ بالله، والحقيقة أن هذا يستغرب وقوعه من طلاب المدارس الذين يدرسون هذه العلوم في مدارسهم، وهي من أهم مقرراتهم، ولا شك أن هذا لا يرضي معالي وزير المعارف ولا المسئولين في الوزارة، بل ولا يرضي كل مسلم.

ولذلك بعثنا صورة من خطابنا هذا لمعالي وزير المعارف لاطلاع معاليه، والقيام حوله بما يلزم.

وفق الله الجميع لِمَا فيه الخير والصلاح ... والسلام عليكم. اهـ

* * *

○ **ثالثًا: فتوى الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله-:**

سُئِلَ -رحمه الله تعالى-[1]: شخصٌ يُمازح آخر ويسُبُّ ملته، ويُنبَّه إلى أن ملته هي الإسلام، فيقول: أعرفُ هذا، لكن لا أقصد بها ذلك؟

ج: المزاح، ليس عُذرًا، فالمَازحُ والجاد سواء إذا أتى أحدهما بالكفر، فقد كفر، ولو قال: لا أقصد، وإذا كان يعرفُ أن الملّة هي الدين؛ فهذا فيه ردّة، وعليه التوبة إلى الله والرجوع، أمّا إذا كان يعتقدُ أن ملته ما هو عليه من **العادات التي يعتادها**، وهي باطلة وما إلى

---

(١) «الفوائد العلمية من الدروس البازية»، الجزء الخامس: فوائد من شرح صحيح البخاري، (ص١١١).

ذلك، فهذا شيءٌ آخر[١]، لكن معروف عند الناس أن الملّة هي الدين، وهو ما يدينُ به المسلم، فهو الإسلام في حقِّ المسلم، فإذا قال: لعن الله ملتك، فهذا قد لعنَ ديننا وسبَّه[٢].

فالجماعة الذين قالوا: ما نرى قرّاءنا إلاَّ أرغبُ بطونًا وأجبن عند اللّقاء، أنزل الله فيهم: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ۞ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ .... ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]. فكفرهـم الله وهـم ادّعـوا أنهم قالـوا هـذا للخـوض واللعب، فسمّاه الله استهزاءً». اهـ

* * *

○ رابعًا: فتوى الشيخ العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-:

وفي جامع فتاوى العلامة عبد الرزاق العفيفي -رحمه الله-[٣]: سُئل الشيخ: ما حُكم المستهزئ بالدين، أو سابِّ الدين، أو الرسول ﷺ أو القرآن العظيم، هل يكفر -ولو كان جاهلاً-؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله- قائلاً: «يُعلَّم ويُؤدب، فإن عُلِّم وعاند بعد التعليم والبيان كَفَر، وإذا قيل: لا يُعذر بالجهل، فمعناه: يُعلم ويؤدب وليس معناهُ أنه يكفر». اهـ

* * *

○ خامسًا: فتوى الشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-:

في إحدى دروس سلسلة الهدى والنور، وهو بعنوان: **(ثلاث مسائل مهمة)**[٤]. **كانت**

---

(١) هذا هو التفصيل السلفي القويم من هذا الإمام النحرير، والذي اتّفق عليه أئمة العصر.

(٢) انتبه إلى أن هذا الاستدراك يتعلّق بمن يسبُّ -أو يلعن- الملة -أو الدين- بلفظ واضح صريح لا لبس فيه، فهذا بلا ريب على خطر عظيم، ويجب أن يبيَّن له حكم سبِّ ملة الإسلام، فإن أصرَّ على السبِّ، فيرفع أمره إلى القضاء؛ كي يُستتاب، فإن تاب، وإلا قُتِلَ مُرتدًا.
والشاهدُ أن الإمام ابن باز لم يجزم بكفر كل من تلفظ بهذا السبِّ مطلقًا، إنما فصَّل، وفرَّق بين من يقصد الإسلام، ومن يقصد العادات ونحوها.

(٣) (ص٢٧٥) (س٦٣)، بتحقيقي، ط - دار علم السلف.

(٤) وهو الدرس رقم (٨٨٠/ ١) على حسب ترتيب محمد بن أحمد أبي ليلى الأثري، وكان بتاريخ: (٢٤) ربيع الثاني (١٤١٧هـ)، الموافق (٧/ ٩/ ١٩٩٦)، وكان السائل: الشيخ عبد الله بن صالح العبيلان.

المسألة الثالثة كالتالي: «صاحب الفضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -سلمه الله-: في لقاء سابق معكم قبل ثلاث سنوات سئلتم عن بعض السفهاء الذين يستهزءون بالدين وربَّما سبوا الدين فكان جواب سماحتكم أن مثل هؤلاء يُؤدبون ويُضربون أسواطًا ثم بعد ذلك يُنتهى عن[1].... يُتركون ولا يُحكم عليهم بشيء، فهذه المسألة فُهمت حقيقة من بعض الناس فهمًا لا يريده الشيخ ناصر -سلمه الله- بحيث أنَّهم فهموا أن الشيخ ناصر يطلق أن الاستهزاء مثلاً بالدين أو سب الدين أو سب النبي ليس كفرًا، فأريد من الشيخ سلمه الله توضيح هذا، وإن أذن لي الشيخ قبل الجواب أن أقرأ شيئًا من فتاوى العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم مفتي الديار السعودية -رحمه الله-، سُئل الشيخ حول هذه المسألة فأجاب....؟.

قال الشيخ: تفضل.

قال:... وذكر الفتوى الثانية والثالثة للشيخ محمد بن إبراهيم -اللَّتين تقدَّم ذكرهما-:

* **وكان جواب الشيخ -رحمه الله- كالتالي**:

«الذي أراه وأدين الله به، وأقول -بعد حمد الله والصلاة والسلام على رسوله- أن الأمر لا يتعدى في عقيدتي ما أسمعتني إياه من كلام الشيخ -رحمه الله- في فتواه، لكني أريد أن أوضح شيئًا تضمنه جواب الشيخ لكنه يَحتاج إلى شيء من البيان، من المعلوم عند كافة العلماء أن الأقوال بمقاصد قائليها فإذا تكلم المتكلم بكلمة تحتمل أمرًا مخالفًا للشرع والمخالفة **قد تزدوج فقد تكون كفرًا وردة، وقد تكون معصية**؛ وأوضح مثال في ذلك هو الحلف بغير الله -تبارك وتعالى-، فنعلم جميعًا قوله ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**». -وفي اللفظ الآخر: (فقد كفر)-، فلا نستطيع أن نقول لكل من حلف بغير الله أنه كَفَر كُفْرَ ردة، ولكن قد يكون هذا الحالف بغير الله قد كَفَرَ كُفْرَ ردَّة، قد يكون! وقد لا يكون، ولذلك فلتأكيد أحد الاحتمالين ورفع الاحتمال الآخر لا بد بطريقة أو بأخرى معرفة ما قصده الحالف، فإن كان قصد فعلاً تعظيم المحلوف وهو غير ربِّ العالمين -عز وجل- تعظيمًا له كتعظيمه لله -عز وجل- وهذا ما لا يفعله فيما أعتقده أي مسلم فيكون والحالة هذه كفر

---

(١) قطع السائل الكلام ثم استرسل.

ردَّة، ولكن كما قلت آنفًا هذا ما أعتقده أن فردًا من أفراد المسلمين -وما أكثر هؤلاء الذين يحلفون بغير الله في بلاد الإسلام- ما يعتقد أحدهم تعظيم المحلوف بغير الله -عز وجل- كحلفه بالله -عز وجل- أو يجعله أعظم منه، لذلك نرى أن كثيرًا من المسلمين الذين غلبت عليهم هذه العادة عادة الحلف بالآباء والأنبياء والرسل، بل وبرأس الرجل وبلحيته وشاربه وغير ذلك من الأيمان القبيحة، فإذا ما ذُكِّر قيل له: رسول الله قال: كذا وكذا، رجع عن هذا القول، وقال: جزاك الله خيرًا، ويستغفر الله.

هذا مثال أريد أن أصِل -منه- إلى موضوع من يَسُبُّ الله -عز وجل- أو يَسُبُّ رسوله أو يسُبُّ الدِّين، الأمر يعود إلى القصد؛ لأن الإنسان قد يتكلم وقد يفعل فعلاً في حالة غضب شديد يعميه عن الكلام المستقيم الذي ينبغي أن يتكلم به، فإذا ما سمعنا شخصًا من هؤلاء كما قال الشيخ في بعضهم: السفهاء يسُبُّ الشرع أو الدين أو رب العزة أو نبيه -عليه السلام- إلى آخره، فإذا ما ذُكِّر -وهذا يقع كثيرًا منهم ومن الناصحين لهم والمذكِّرين- يقول: لعنة الله على الشيطان، ساعة شيطانية غضبية.. استغفر الله.

فهذا يدلنا على شيء مهم جدًّا يضطرنا نحن ألاَّ نتسارع إلى إصدار حكم التكفير في حقِّه؛ لأنه لَم يتقصد الكفر، كيف وهو يستغفر الله ويعترف بخطئه فيما بَدَر منه، لكن هذا لا يعفينا نحن ولا نبارك له قوله بل ننكر عليه أشد النكير، ولو كان هناك حكم أو حاكم يحكم بالشرع لاقترحنا بأن يُعذَّر بأن يجلد عشرة أسواط، كما جاء في حديث الرسول المعروف؛ لكن مع الأسف الشديد مثل هذا الحكم لا يوجد في أكثر بلاد الإسلام اليوم آسفين، ولعل هذا يسوغ لي أن أقول لفقدان مثل هذه الأحكام الشرعية التي نص الشارع الحكيم على فائدتها في مثل قوله تعالى في القرآن الحكيم: ﴿ وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٧٩]. عدم قيام الحكام بتنفيذ الأحكام الشرعية هو من أسباب انطلاق ألسنة السفهاء بما لا ينبغي ولا يجوز شرعًا أن يتفوهوا به.

فخلاصة الكلام أن التكفير أمرٌ صعبٌ جدًّا كما هو معروف عند أهل العلم، والأحاديث الصحيحة في البخاري ومسلم معروفة في هذا المعنى، لكني أريد بهذه المناسبة فرعًا فقهيًا

جاء في بعض كتب المذاهب، وهذا في الواقع متجاوب تمامًا مع رهبة تلك الأحاديث التي تحذر المسلم أن يُبادر إلى تكفير أخيه المسلم خشية أن لا يكون كافرًا فيعود الكفر على المكفِّر، لقد ذكروا أنه لو صدر من مجموع من العلماء بلغ عددهم تسعة وتسعين شخصًا بتكفير مسلم لكن عالم واحد قال: لا، ليس بكافر، فلا ينبغي أن يصدر حكم التكفير بالنسبة لِهذا الإنسان مادام أن هناك عالِمًا يقول هذا ليس بكفر، أفهم من هذا أن هؤلاء الذين فرَّعوا هذا الفرع راعوا خطورة إصدار الكفر في حقِّ الرجل المسلم لاسيما إذا كان معلومًا بِمحافظته على الأركان الإسلامية ليس فقط على الشهادة بل على الصلاة والصيام... وإلخ.

وكثيرًا ما نسمع خلافًا ينشب بين الزوجين فتأتي المرأة وتسأل: إن زوجي سبَّ كذا، نسأل: يصلي، تقول: يصلي، أيصوم؟ يصوم... إلخ. إذن فكيف هذا؟ تقول: أنا تخاصمت معه وثار وثار... إلخ، إذن فهذه السُّبة إذا صدرت من إنسان في حالة غضب يُستتاب ويعذر ويُجْلَد.. إلخ، لكن إذا أردنا أن نُصدر في حقِّه التكفير الذي يلازمه الردة، لابد أن نسحب اعترافه بِما فعل، فإن اعترف فهو ردة، ويقتل كما هو معروف في الإسلام من قوله -عليه السلام-: «**من ارتد عن دينه فاقتلوه**»، أما إذا أتبع كلامه الاستغفار والتوبة إلى الله -عز وجل- فهذا دليل أنَّها حالة غضبية لا نستطيع أن نرتب عليها ما نرتب على الكلام الصادر بقصد وإرادة، وإذا الرسول -عليه السلام- يقول: «**إنَّما الأعمال بالنيات**». وهذا لَم تكن نيته أن يقصد ما سبَّه مما ذُكر آنفًا، فلا يجوز أن ندينه بكلمته مادام أن قلبه يُخالف كلمته، هذا رأيي في هذا الموضوع». اهـ

***

قلت: تأمل ما ذكره العلامة الألباني في حال هذا الزوج الذي وقع في سبِّ الدين، تجد أنه عين ما سئل عنه الحويني وقارن بين الإجابتين لتدرك مخالفة الحويني للألباني منهجًا وفتوى[1]، تأصيلاً وتفصيلاً، وليس هذا من الخلاف السائغ.

---

(١) وهذه ليست المخالفة الوحيدة، وانظر في مبحث «بين الألباني والحويني»، وفيه أجملت لك المخالفات العقدية والمنهجية من الحويني للألباني السلفي الأثري.

=

فكان الواجب على الحويني قبل التسرع بتكفير هذا الرجل بسبِّ الدين دون أن يتبين الأمر، وأن يشير إلى هذا التفصيل الذي اعتبره العلماء؛ لأن فتح باب التكفير لكل من يتلفظ بهذا اللفظ المنكر: «ينعن -أو يلعن- دينك» يجعل أرضًا خصبة لغلاة التكفير يرتعون فيها، كما رتعوا في أرض تكفير المصر على المعصية، والزارع لهذه الأرض واحد وهو الحويني، والحاصدون هم المغرَّر بهم.

وإن العجلة في إسقاط أحكام التكفير على المعيَّن صارت سمة بارزة عند الحويني، وهذا خلاف ما عليه أئمة السنة، وقد يقول قائل: إن الحويني لا يصنع هذا إلا في الكفر الصريح البواح، فنقول: إن مشكلة الحويني أنه لا يرجع في إثبات كون هذا الكفر بواحًا أم لا إلى فهم العلماء إنما إلى فهمه هو، وأحيانًا يكفِّر بالمقالة المحتملة، كما صنعَ في المثال الذي ضربه لآكل الرّبا، ومن ثَمَّ ينطبق عليه ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (١٢/٤٦٧): «ولعلَّ أكثر هؤلاء المكفِّرين يكفِّر بالمقالة التي لا تفهم حقيقتها، ولا تُعرف حجتها»، وكذلك لا يراعي شروط تكفير المعين، كما في إجابته السؤال السابق، فلم يستفصل عن حال المسئول عنه قبل إصداره الحكم بتكفيره، والناظر في فتاوى العلماء الربانيين في مسائل التكفير -والتي سبق ذكر بعضها- يدرك بلا أدنى ريبة أن

=

وقد يقول متعصِّب: لكن الألباني أمر بالسؤال عن حال هذا الساب: أيُصلي، أيصوم... إلخ؟ والرجل الذي سُئل عنه الحويني: لا يُصلي، ولذا كفَّره الحويني بمجموع الأمرين مع الأمور الأخرى المذكورة في السؤال!

فنقول: الإمام الألباني إنما أمر بهذا لِما ذكره من أن المحافظ على الأركان الإسلامية من الصلاة والصيام... إلخ. أولى بأن يحتاط في تكفيره من المفرِّط في هذه الأركان، ولا يعني هذا أنه يسارع في تكفير هذا السابِّ إذا علم أنه لا يُصلي أو يمنع أولاده من الصلاة.... إلخ. بدليل أنه جعل العلة في التوقف في تكفيره هي كونه نطقَ بالسبِّ حال الغضب، مِمَّا يغلِّب على الظن أنه لا يقصد دين الإسلام، إنما قصد سبَّ زوجته التي خالفت أمره، فسبَّ دينها، أي سبَّ خُلقها السيئ معه، ثم حثَّ الشيخ -رحمه الله- على عدم التسرع بإسقاط حكم الرِّدة على هذا الساب، -وهذا خلاف ما صَنَعه الحويني الذي تسارع إلى تكفيره دون أن يدري عينه-، وعلَّق الشيخ -رحمه الله- أمر تكفيره على سحب اعتراف منه بأنه كان يقصد دين الإسلام حال السبِّ.

الحويني لا يسير على سبيلهم في هذه المسائل الشائكة، إنما هو يسير حذو القذة بالقذة على سبيل خوارج العصر من القطبيين السروريين.

ومن أمثلة تسرع الحويني في التلويح بتكفير الأعيان، أو قل: الإيحاء إلى مستمعيه بهذا، ما قاله في حق شيخ الأزهر في عدة مواضع، ومن هذه المواضع ما يلي:

قال الحويني: «فانظر إلى هذه الجرأة.

وطبعًا الجهلة الذين دخلوا في العلوم ما دخلوا فيها إلا بعدما نام حماتُها.

العلماء متخصصون في كل فن لما ناموا عن فنهم أو صاروا قلة قليلة ودفنوا وهم أحياء تجرأ هؤلاء الجهلة.

عندنا رؤوس في المؤسسات الدينية الرسمية يفتاتون على علماء الحديث.

شيخ الأزهر رجل لا يعرف اليمين من الشمال في علم الحديث لا يفرق بين الكوع والكرسوع لو وضع الاثنين أمامه ما يعرفش يفرق بينهم.

لما جاءت مسألة ختان البنات، وطلب منه أن يفتي بحرمة ختان البنات، وأقول بملأ فِيَّ: طُلِب منه -إما على وجه التلويح أو على وجه الصراحة- وهو رجل لمَّاح في هذا الباب.

إذا نظر إليهم فوجدهم يريدون تحريم شيء هناك اختلاف في حرمته -ولا أقول الحرمة وردت صراحة- لا فيه اختلاف في حرمته، ورآهم يريدون تحريمه يقول حرام، يريدون تحليله يقول حلال.

وإحنا عارفينه كويس لما رأوه بعدما استضافوا مؤتمر السكان المشئوم على أرضنا وطلع تجريم ختان البنات قال -من ضمن الحجج التي أوردها يستدل بها على التحريم-: وأما حديث أن النبي ﷺ قال لأم عطية وكانت خافضة أو خاتنة بالمدينة: «**فشمي ولا تنهكي**»، قال: فهذا حديث ضعيف.

وإحنا لو تناقشنا بقى في مسألة تضعيف الحديث، وليه أنا أعلم أنه لا يخطو خطوة بقدمه فيأتي عند أكبر عمامة حارسة للدين في الأصل يفعل هذا ويتعدى على أكبر عالم في هذا العصر في علم الحديث ألا وهو الشيخ الألباني -رحمه الله- الذي قوى هذا الحديث في

السلسلة الصحيحة، فلماذا لا يتجرأ الجهلة ويتكلمون في الحديث تصحيحًا وتضعيفًا ...مولد وصاحبه غايب[1]... كل واحد يتكلم كما يريد.

وفي الفقه يُحرِّموا ويُحلِّلوا كما يريدون، وفي اللُّغة وفي التفسير وفي كل شيء». اهـ

قلت: هذا فيه تلميح من الحويني بأن شيخ الأزهر يحلِّل الحرام، ويُحرِّم الحلال، والشباب المندفع الذي يسمع هذا الكلام يظن هذا تكفيرًا لشيخ الأزهر.

وهذا كله من جرأة الحويني وتسرعه في إطلاق الألفاظ الموهمة للتكفير بدون ضابط ولا رابط، وكان الواجب عليه أن يُبيِّن للسامعين أن شيخ الأزهر وأمثاله -في ظاهر أمرهم- إنما يصدرون هذه الفتاوى الخاطئة اتباعًا للهوى، ولشبهات طرأت عليهم، وحرصًا على مناصبهم، لا اعتقادًا منهم تحليل ما حرَّم الله أو تحريم ما أحلَّ الله، فالحويني -كعادته- أطلقَ ولم يُفصِّل أو يبيّن تاركًا كلّ سامع يفهم ما يهواه، وفي الغالب لا يفهم المتحمسون المتعصِّبون إلاَّ تكفير المتكلِّم فيه بمثل هذا الإطلاق.

أضف إلى هذا قيامه بالغمز واللمز في الحكَّام بأنهم طلبوا من شيخ الأزهر تحريم الختان، وهذا فيه تلميح أيضًا بتكفير الحكَّام، وهذا مِمَّا يهيج الغوغاء، ومن هنا مبدأ الخروج بالسلاح، والذي يعقبه سفك الدماء وانتهاك الحرمات.

ومسألة تجريم ختان البنات بلا شك خطأ عظيم، نسأل الله سبحانه أن يوفِّق ولاة الأمر في مصر إلى تداركه، وأن يرزقهم البطانة الصالحة التي تدلهم على الخير.

وإليك هذا المثال لفتوى استفتي فيها إمام من أئمة السنة في زماننا عن مقولة محتملة للكفر، لو عرضت هذه المقولة على الحويني لاعتبرها من الكفر الصريح الذي لا يجوز لأحد من العالمين أن يُخالف في تكفير قائلها، كما قال في هذه المقولة التي اتخذها كمثال لتكفير المصر على المعصية:

قال العلامة ابن عثيمين -رحمه الله- كما في «إزالة الستار عن الجواب المختار لهداية المحتار.. مسائل في العقيدة تمس الواقع» (ص٣٥): «ما ذكرتم من الاستفسار عن الكلمة

(١) هذه العبارة فيها نظرٌ كبير.

التي ألقاها بعض الخطباء في غزوة بدر حيث قال: «**التقى إله وشيطان**»، وإنه ثار حولها صراع حاد ... إلى آخر ذكرتم.

فأقول: لا شك أن هذه العبارة لا تنبغي، وإن كان قائلها أراد التجوز، فإن التجوز إنما يسوغ إذا لم يوهم معنى فاسدًا لا يليق، والمعنى الذي لا يليق هنا أن يجعل الشيطان قبيلاً لله تعالى، ونداً له، وقرنا يواجهه كما يواجه المرء قرنه، وهذا حرام ولا يجوز، ولو أراد الناطق به تنقص الله تعالى وتنزيله إلى هذا الحدّ، لكان كافرًا، ولكنه حيث لم يرد ذلك[1]، نقول له: هذا التعبير حرام، ثم إن تعبيره ظانًّا أنه جائز بالتأويل الذي قصده، فإنه لا يأثم بذلك لجهله[2]، ولكن عليه ألاَّ يعود لمثل ذلك.

وأمَّا قول بعض العلماء الذي نقلت: إن هذه العبارة كفر صريح، فليس بجيد على إطلاقه، وقد علمت التفصيل فيه». اهـ

قلت: وقد جاء عن الحسن البصري أنه قال: حدثنا جندب -وهو ابن عبد الله البجلي- في هذا المسجد -يعني مسجد البصرة- عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن ما أتخوف عليكم رجل قرأ القرآن، حتى إذا رئيت بهجته عليه، وكان ردءًا للإسلام، غيَّره إلى ما شاء الله، وانسلخ منه، ونبذه وراء ظهره، وسعى على جاره بالسيف، ورماه بالشرك**»، قال: قلت: يا نبي الله! أيهما أولى بالشرك، المرمي أم الرامي؟ قال: «**بل الرامي**»[3].

---

(١) تأمل هذا التفصيل، ثم هذا التعليق والاستدراك؛ ليتبين لك تأني الإمام ابن عثيمين -رحمه الله- في مسائل التكفير تأنيًا شديدًا، بخلاف ما يروِّج عليه المتمسحون من القطبيين السروريين.

(٢) أرأيت -فهَّمكَ الله-: لم يؤثمه فضلاً عن أن يُكفِّره!!.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥٨٠١)، وابن حبان في صحيحه (٨١)، وأبو نعيم في معرفة الصحابة (١٨٧١)، والطحاوي في مشكل الآثار (٨٦٥)، وأبو يعلى كما في المطالب العالية (٤٣٥٦)، إتحاف المهرة (٨٠٠٧)، والهروي في ذم الكلام (٨٩)، وأبو بكر الأنباري في حديثه (مخطوط/ ٣٣) من طريق أبي الحسن محمد بن بكر البُرسانيُّ نا الصلت بن مهران نا الحسن نا جندب بن عبدالله في هذا المسجد عن حذيفة مرفوعًا به، وهذا سند جيد.

وقد حسَّنه العلامة الألباني -رحمه الله- في الصحيحة (٣٢٠١)، وصحيح موارد الظمآن (٧٨) (١/ ١٢٥).

○ وإليك نصوص مضيئة عن العلماء في التحذير من خُطورة التسرع في التكفير، تُجلي لك الحقيقة:

أولاً: قال الحافظ ابن عبد البر -رحمه الله- في التمهيد (١٧/٢١-٢٢): «فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره ببيان لا إشكال فيه ومن جهة النظر الصحيح الذي لا مدفع له، أن كل من ثبت له عقد الإسلام في وقت بإجماع من المسلمين، ثم أذنب ذنبًا أو تأوَّل تأويلاً فاختلفوا بعد في خروجه من الإسلام لم يكن لاختلافهم بعد إجماعهم معنى يوجب حجة ولا يخرج من الإسلام المتفق عليه إلا باتفاق آخر أو سنة ثابتة لا معارض لها.

وقد اتفق أهل السنة والجماعة -وهم أهل الفقه والأثر- على أن أحدًا لا يخرجه ذنبه -وإن عظُم- من الإسلام، وخالفهم أهل البدع، فالواجب في النظر أن لا يكفر إلا من اتفق الجميع على تكفيره أو قام على تكفيره دليل لا مدفع له من كتاب أو سنة». اهـ

ثانيًا: قال ابن أبي العز في شرحه على العقيدة الطحاوية (ص٣١٦، ٣١٧- ط المكتب الإسلامي):

«واعلم -رحمك الله وإيَّانا- أن باب التكفير وعدم التكفير، باب عظُمت الفتنة والمحنة فيه، وكثُر فيه الافتراق، وتشتتت فيه الأهواء والآراء، وتعارضت فيه دلائلهم، فالناس فيه، في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة، المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر والمخالفة لذلك في اعتقادهم، على طرفين ووسط، من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية:

فطائفة تقول: لا نكفِّر من أهل القبلة أحدًا، فتنفي التكفير نفيًا عامًا، مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين، الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع، وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم، وهم يتظاهرون بالشهادتين.

وأيضًا: فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة، والمحرمات الظاهرة المتواترة، ونحو ذلك فإنه يستتاب، فإن تاب، وإلا قُتل كافرًا مرتدًا.

والنفاق والردة مظنتهما البدع والفجور، كما ذكره الخلال في كتاب السنة، بسنده إلى

محمد بن سيرين، أنه قال: إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء. وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨].

ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا تكفّر أحدًا بذنب، بل يقال: لا نكفّرهم بكل ذنب، **كما تفعله الخوارج، وفرق بين النفي العام ونفي العموم، والواجب إنما هو نفي العموم، مناقضة لقول الخوارج الذين يكفّرون بكل ذنب**». اهـ

ثالثًا: قال القرطبي في المفهم (١١١/٣): «وباب التكفير باب خطير، أقدم عليه كثير من الناس فسقطوا، وتوقف فيه الفحول فسلموا، ولا تعدل بالسلامة شيئًا». اهـ

رابعًا: قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في مجموع الفتاوى (٢٢٩/٣):

«هَذَا مَعَ أَنِّي دَائِمًا -وَمَنْ جَالَسَنِي يَعْلَمُ ذَلِكَ مِنِّي-: أَنِّي مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ نَهْيًا عَنْ أَنْ يُنْسَبَ مُعَيَّنٌ إلَى تَكْفِيرٍ وَتَفْسِيقٍ وَمَعْصِيَةٍ، إلا إذا عُلم أنهُ قَد قَامَت عَلَيه الْحُجَّةُ الرسالية الَّتِي مَنْ خَالَفَهَا كَانَ كَافِرًا تَارَةً وَفَاسِقًا أُخْرَى وَعَاصِيًا أُخْرَى، وَإِنِّي أُقَرِّرُ أن الله قَد غَفَرَ لِهَذه الأمَةِ خَطأَهَا: وَذَلِكَ يَعُمُّ الْخَطَأَ فِي الْمَسَائِلِ الْخَبَرِيَّةِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْمَسَائِلِ الْعَمَلِيَّةِ».

وقال كما في (٦٨٥/٧): «وَأَجْمَعَ الصَّحَابَةُ وَسَائِرِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَن قَالَ قَولاً أَخْطَأَ فِيه أَنَّهُ يَكْفُرُ بِذَلِكَ، وَإِن كَانَ قَوْلُهُ مُخَالِفًا لِلسُّنَّةِ، فَتَكْفِيرُ كُل مُخْطِئٍ خِلَافُ الإجمَاعِ، لَكِنْ لِلنَّاسِ نِزَاعٌ فِي مَسَائِلِ التَّكْفِيرِ قَد بُسِطَتْ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضُوعِ.

والْمَقْصُودُ هُنا أنهُ لَيْس لِكُلٍ من الطَّوَائِف الْمُنْتَسِبِين إلَى شَيْخٍ مِنْ الشُّيُوخِ وَلَا إمَامٍ مِنْ الأئمَةِ أَنْ يُكَفِّرُوا مَنْ عَدَاهُمْ».

وقال في (٤٦٦/١٢): «وَلَيْسَ لأحَدٍ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَأَ وَغَلِط حَتَّى تُقَامَ عَلَيْه الْحُجَّةُ وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ، وَمَنْ ثَبَتَ إسْلَامُهُ بِيَقِينٍ لَم يَزُلْ ذلك عنهُ بِالشَّكِّ، بَلْ لا يَزُولُ إلاَّ بَعْدَ إقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ». اهـ

خامسًا: قال الشوكاني في السيل الجرار (٥٧٨/٤): «اعلم أن الحكم على الرجل المسلم بخروجه من دين الإسلام ودخوله في الكفر لا ينبغي لمسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقدم عليه إلا ببرهان أوضح من شمس النهار؛ فإنه قد ثبت في الأحاديث الصحيحة المروية من طريق جماعة من الصحابة أن من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما، هكذا

في الصحيح، وفي لفظ آخر في الصحيحين وغيرهما: من دعا رجلاً بالكفر أو قال عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه أي رجع، وفي لفظ في الصحيح: فقد كفر أحدهما، **ففي هذه الأحاديث وما ورد موردها أعظم زاجر وأكبر واعظ عن التسرع في التكفير**». اهـ

سادسًا: قال ابن الوزير اليماني -رحمه الله- في إيثار الحق على الخلق (ص٣٨٠) بعد أن ذكر الأحاديث الزاجرة عن تكفير المسلم بغير حقٍّ: «وأما شواهد هذه الأحاديث الخمسة بغير لفظها فكثيرة متواترة منها: أحاديث مروق الخوارج من الإسلام، **وكان دينهم الذي اختصوا به من بين الداخلين في الفتن هو تكفير بعض المسلمين بما حسبوه كفرًا**، فوردت الأحاديث بمروقهم بذلك وتواترت وهي في دواوين الاسلام الستَّة..».

ثم قال في (ص٣٨٧): «ثم من العبر الكبار في ذلك أن الجمهور لم يكفِّروا من كفَّر المسلم متأولاً في تكفيره غير متعمِّد مع أن هذه الأحاديث الكثيرة تقتضي ذلك، والنصوص أصح طرق التكفير، فإذا تورَّع الجمهور من تكفير من اقتضت النصوص كفره فكيف لا يكون الورع أشد من تكفير من لم يرد في كفره نص واحد، فاعتبر تورع الجمهور هنا وتعلَّم الورع منهم في ذلك...»، إلى أن قال كما في (ص٣٩٩): «... الوجه الخامس -أي: من أوجه مرجحات ترك التكفير-: أن أخوة يوسف لما قالوا: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف:٨]، وقالوا: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف:٩٥]، لم يكفروا بذلك لما كانوا باقين على شهادة أن لا إله إلا الله وأن يعقوب رسول الله معتقدين مع ذلك صحة نبوته ودينه، وإنما جوَّزوا عليه مع ذلك الضلال في حب يوسف؛ لأنه عندهم من الضلال في الرأي ومصالح الدنيا، وقد قاربوا الاستهانة وعدم التوقير لولا جلالة بقائهم على الشهادتين وإيمانهم بالله تعالى ورسله فثبت أن للبقاء على ذلك أثرًا عظيمًا، فإن الأمارات لا تقاومه وإن الشرع ورد بتعظيم ذلك وطرح المعارض له، ولذلك عظَّم رسول الله ﷺ على أسامة بن زيد قتل الكافر الذي ضربه فلمَّا قدر عليه أسلم، وعظَّم على أصحابه الكلام في بعض من كانوا يعدُّونه من المنافقين، وقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله وإني رسول الله ويصلي؟ قالوا: بلى، ولا شهادة له ولا صلاة، قال: إني لم أومر أن أفتش على قلوب الناس، وأمثال ذلك كثيرة صحيحة.

الوجه السادس: أن الخارجي الذي قال لرسول الله ﷺ: اعدل يا محمد، والله إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، تكلم بكلام من أقبح الكلام، وظن ظنًا من أسوأ الظنون، ولم يحكم النبي ﷺ بكفره مع ذلك مع أنه لو كفر لوجب قتله بالردة إلا أن يتوب ولم تنقل له توبة، بل جاء في الحديث ما معناه أنها تخرج من ضئضئه الخوارج وإنما لم يكفر والله أعلم لأنه بقي على شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ ...وهذا يدل على تعظيم حرمة الشهادتين مع عظم الخطأ...».

ثم قال في الوجه التاسع (ص٤٠٣): «أن الوقف عن التكفير عند التعارض والاشتباه أولى وأحوط من طريق أخرى، وذلك أن الخطأ في الوقف على تقديره تقصير في حق من حقوق الغني الحميد العفو الواسع أسمح الغرماء وأرحم الرحماء وأحكم الحكماء -سبحانه وتعالى-، **والخطأ في التكفير على تقديره أعظم الجنايات على عباده المسلمين المؤمنين**، وذلك مضاد لما أوجب الله من حبهم ونصرهم والذب عنهم ...

فالتارك للتكفير إن قدرنا خطأه فإنما أخلَّ بحق من حقوق الله تعالى وهو إجراء الأحكام عليهم وهو هاهنا لم يتركه إلاَّ لعدم شرط جوازه وهو تحقُّق الموجب له، وأما المكفِّر إن قدرنا خطأه فقد أخل بحق المخلوق المسلم بل تعدى عليه وظلمه أكبر الظلم وأفحشه فأخرجه من الإسلام وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن جميع رسله وكتبه وما جاء فيها عن الله -عز وجل- حقٌّ لا شك فيه ولا ريب في شيء منه على الجملة، وإنَّما أخطأ في بعض التفاصيل وقد صرح بالتأويل فيما أخطأ فيه..

وقد عوقبت الخوارج أشد العقوبة وذمت أقبح الذم على تكفيرهم لعصاة المسلمين مع تعظيمهم في ذلك لمعاصي الله تعالى وتعظيمهم لله تعالى بتكفير عاصيه، **فلا يأمل المكفِّر أن يقع في مثل ذنبهم وهذا خطر في الدين جليل فينبغي شدة الاحتراز فيه من كل حليم نبيل...»**.

وقال في الوجه الثاني عشر (ص٤٠٥): «أن في الحكم بتكفير المختلف في كفرهم مفسدة بينة تخالف الاحتياط، وذلك إسقاط العبادات عنهم إذا تابوا وإسقاط جميع حقوق المخلوقين من الأموال والدماء وغيرهما وإباحة فروج نسائهم إذا لم يتوبوا وسفك دمائهم.

الوجه الثالث عشر: أن الخطأ في العفو خير من الخطأ في العقوبة، نعوذ بالله من الخطأ في الجميع ونسأله الإصابة والسلامة والتوفيق والهداية، لكنَّا وجدنا الله تعالى لم يذم من أخطأ في نحو ذلك ألا تراه أثنى على خليله -عليه السلام- حين جادله في قوم لوط فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾ [هود:٧٥]، وقال -عز وجل- فيه بعد حكايته استغفاره لأبيه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤]، وإنما كان جداله واستغفاره فيما يحتمل الجواز في شريعته لا فيما لا يجوز بالنص فإنه منزه عن ذلك، ولا فيما يجوز بالنص فإنه لا يعاقب في ذلك، ولا يحتاج إلى الاعتذار له فيه ونحو هذا من وجه آخر قوله -عليه السلام-: ﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وقول عيسى -عليه السلام-: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٨]، وصلاة رسول الله ﷺ على عبد الله بن أبي بعد نزول قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة:٨٠]، وقوله في تفسيرها: إن الله خيرني ولم ينهني، ولو أعلم أنه يغفر لهم إذا زدت على السبعين لزدت عليها، وثبت أنه -عليه الصلاة والسلام- ما خُيِّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا، وتواتر ذلك من أخلاقه الكريمة...». اهـ

سابعًا: بيان هيئة كبار العلماء حول خطورة التسرع في التكفير والقيام بالتفجير، وما ينشأ عنهما من سفك للدماء وتخريب للمنشآت:

«فقد درس مجلس هيئة كبار العلماء في دورته التاسعة والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ (١٤١٩/٤/٢هـ) ما يجري في كثير من البلاد الإسلامية وغيرها من التكفير والتفجير، وما ينشأ عنه من سفك الدماء، وتخريب المنشآت، ونظرا إلى خطورة هذا الأمر، وما يترتب عليه من إزهاق أرواح بريئة، وإتلاف أموال معصومة، وإخافة للناس، وزعزعة لأمنهم واستقرارهم، فقد رأى المجلس إصدار بيان يوضح فيه حكم ذلك نصحًا لله ولعباده، وإبراء للذمة وإزالة للبس في المفاهيم لدى من اشتبه عليهم الأمر في ذلك، فنقول، وبالله التوفيق:

أولاً: التكفير حكمٌ شرعي، مرده إلى الله ورسوله، فكما أن التحليل والتحريم والإيجاب إلى الله ورسوله، فكذلك التكفير، وليس كل ما وصف بالكفر من قول أو فعل، يكون كفرًا أكبر مخرجًا عن الملة.

ولمَّا كان مرد حكم التكفير إلى الله ورسوله؛ لم يجز أن نكفر إلا من دلَّ الكتاب والسنة على كفره دلالة واضحة، فلا يكفي في ذلك مجرد الشبهة والظن، لِما يترتب على ذلك من الأحكام الخطيرة، وإذا كانت الحدود تدرأ بالشبهات، مع أن ما يترتب عليها أقل مما يترتب على التكفير، فالتكفير أولى أن يدرأ بالشبهات؛ ولذلك حذَّر النبي ﷺ من الحكم بالتكفير على شخص ليس بكافر، فقال: «**أيما امرئ قال لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما، إن كان كما قال وإلاَّ رجعت عليه**»، وقد يرد في الكتاب والسنة ما يفهم منه أن هذا القول أو العمل أو الاعتقاد كفر، ولا يكفر من اتصف به، لوجود مانع يمنع من كفره.

وهذا الحكم كغيره من الأحكام التي لا تتم إلا بوجود أسبابها وشروطها، وانتفاء موانعها كما في الإرث، سببه القرابة -مثلاً- وقد لا يرث بها لوجود مانع كاختلاف الدين، وهكذا الكفر يكره ليه المؤمن فلا يكفر به.

وقد ينطق المسلم بكلمة بالكفر لغلبة فرح أو غضب أو نحوهما فلا يكفر بها لعدم القصد، كما في قصة الذي قال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»، من شدة الفرح.

والتسرع في التكفير يترتب عليه أمور خطيرة من استحلال الدم والمال، ومنع التوارث، وفسخ النكاح، وغيرها مما يترتب على الردة، فكيف يسوغ للمؤمن أن يقدم عليه لأدنى شبهة.

إذا كان هذا في ولاة الأمور كان أشد؛ لما يترتب عليه من التمرد عليهم وحمل السلاح عليهم، وإشاعة الفوضى، وسفك الدماء، وفساد العباد والبلاد، ولهذا منع النبي -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم- من منابذتهم، فقال: «**إلاَّ أن تروا كفرًا بواحًا عندكم فيه من الله برهان**»، فأفاد قوله: «**إلا أن تروا**»، أنه لا يكفي مجرد الظن والإشاعة، وأفاد قوله: «**كفر**» أنه لا يكفي الفسوق ولو كبُرَ، كالظلم، وشرب الخمر، ولعب القمار، والاستئثار المحرم، وأفاد قوله: «**بواحًا**»، أنه لا يكفي الكفر الذي ليس ببواح أي صريح ظاهر، وأفاد قوله: «**عندكم فيه من الله برهان**»، أنه لا بد من دليل صريح، بحيث يكون صحيح الثبوت، صريح الدلالة، فلا يكفي الدليل ضعيف السند، ولا غامض الدلالة، وأفاد قوله: «من الله»، **أنه لا عبرة بقول أحد من العلماء مهما بلغت منزلته في العلم والأمانة**، إذا لم

يكن لقوله دليل صريح صحيح من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ، **وهذه القيود تدل على خطورة الأمر**.

وجُملة القول: **أن التسرع في التكفير له خطره العظيم**؛ لقول الله -عز وجل-: ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٣].

ثانيًا: ما نجم عن هذا الاعتقاد الخاطئ من استباحة الدماء وانتهاك الأعراض، وسلب الأموال الخاصة والعامة، وتفجير المساكن والمركبات، وتخريب المنشآت، فهذه الأعمال وأمثالها محرمة شرعًا بإجماع المسلمين؛ لما في ذلك من هتك لحرمة الأنفس المعصومة، وهتك لحرمة الأموال، وهتك لحرمات الأمن والاستقرار، وحياة الناس الآمنين المطمئنين في مساكنهم ومعايشهم، وغدوهم ورواحهم، وهتك للمصالح العامة التي لا غنى للناس في حياتهم عنها...». انتهى موضع الشاهد.

ثامنًا: قال العلامة الألباني -رحمه الله- كما في «الأسئلة الشامية» (ص٥٦) مبيِّنًا كيف يكون تكفير المعين، ومنكرًا على المتسرعين في التكفير: «ومتى يكفر الإنسان»؟!

الجواب: **أولاً**: لا يجوز لعالم متفقِّه في الكتاب والسنة أن يطلق الكفر على شخص ما، أو جماعة معينة؛ إلا بعد إقامة الحجة عليهم.

وهذا يتطلَّب من العالم أن يفهم رأي ذلك الذي يريد أن يكفِّره فهمًا صحيحًا، ثم يعرضه على أدلة الكتاب والسنة، فإذا كانت الأدلة تشهد على أنه يستحق التكفير؛ فلا يجوز إطلاق الحكم عليه حالاً -إلا بعد إقامة الحجة عليه-.

ولا شك أن طلاَّب العلم ليس هذا من تخصُّصهم، فحسبهم أن يستحضروا قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [المائدة: ١٠٥]، فطالب العلم يجب أن ينأى -وينجوَ- بنفسه من أن يقع فيما وقع فيه من يريد تكفيره!

وقوله -عليه الصلاة والسلام-: «**إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر؛ فقد باء به أحدهما**»: فيه وعيد شديد للمسلم الذي يتسرع في إطلاق كلمة الكفر على مَن يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله.. وإذا كان عند طالب العلم وجهة نظر؛ فعليه أن يعرضها على من يريد تكفيره، ويناقشه فيها؛ فلعلَّه يكون هو المخطئ، بدل هذا الشخص!.

خلاصة القول: أن أمر التكفير خطير جدًّا، ولذلك قال العلماء: إذا كان هناك تسعة وتسعون قولاً في تكفير شخص معيَّن، وقول واحد في عدم تكفيره؛ فالحيطة والحذر في أن نتبنَّى هذا القول الوحيد، بدل تلك الأقوال، لأن الأمر فيه خطورة.

وإذا كان الشخص -الذي يراد تكفيره- قد وقع في الكفر -فعلاً-، فماذا يضيرنا إن احتفظنا واحتطنا لأنفسنا ولم نطلق عليه لفظة الكفر؟!

وأظن أن هذا التسرع من هؤلاء سببه الغرور والعجب، والافتتان بهذا العلم الضحل الذي اكتسبه بعضهم؛ فهم يكفِّرون عباد الله ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف:١٠٤]. بعملهم ذلك!». اهـ

تاسعًا: سأل بعض طلبة العلم في الجزائر الشيخ ابن عثيمين عن فئات من الناس يكفِّرون الحكام من غير ضوابط وشروط؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: «**هؤلاء الذين يكفِّرون؛ هؤلاء ورثة الخوارج الذين** خرجوا على علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، والكافر من كفّره الله ورسوله، وللتكفير شروط؛ منها: العلم، ومنها: الإرادة؛ أن نعلم بأن هذا الحاكم خالف الحق و هو يعلمه، وأراد المخالفة، ولم يكن متأوِّلاً؛ مثل: أن يسجد لصنم، وهو يدري أن السجود للصنم شرك، وسجد غير متأول.

المهم هذا له شروط، **ولا يجوز التسرع في التكفير**، كما لا يجوز التسرع في قولك: هذا حلال وهذا حرام».

وإليكم هذه الدرة من درر الشيخ ابن عثيمين في «فتاوى الحرم المكي ١٤١٨هـ»، والتي تعتبر من آخر نصائحه في الحرم المكي قبل وفاته -رحمه الله-، حيث قال كما في (الشريط ٢٨/أ): «أنني أكرِّر وفي هذا المكان وفي هذا اليوم، **وهو أول العشر الأواخر أُكرِّر النهي عن التسرع في التكفير**، وأقول: مَن كفَّر من ليس كافرًا فهو كافر، هكذا قال أصدق البشر: «من دعا رجلاً بالكفر، أو قال: يا عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه»، أي رجع عليه، وعرفتم وجه ذلك، ووجه ذلك أمران:

الوجه الأول: أن هذا المكفِّر يعتقد أنه على ملة، والثاني على ملة، فإن كان الثاني كافرًا، فالمكفِّر مسلم، وإن لم يكن كافرًا، فالمكفِّر كافر بمقتضى كلامه.

الوجه الثاني: أنه إذا كفَّر مَن ليس بكافر، فلا بد أن يكفر، وإن طال الزمن، إلا أن يشاء الله حتى وإن حسُنت صلاته وصيامه وصدقاته، فإنه إذا كفَّر مسلمًا عاد تكفيره إليه، أعاذنا الله وإياكم من ذلك». اهـ

عاشرًا: قال الشيخ مقبل بن هادي -رحمه الله-[1]: «وعلى كلٍّ فمسألة التكفير يجب على المسلم أن يبتعد عنها، وأن يدعوا إلى الله -سبحانه وتعالى- برفقٍ ولين، وهي مكيدة من قبَل أعداء الإسلام». اهـ

وقال[2]: «.... ثم بعد ذلك تنصب نفسك لتكفير المسلمين، فمهلاً أيها الجويهل، كيف تنصب نفسك لتكفير المسلمين».

الْحَادي عشر: قال الشيخ صالح آل الشيخ في شرحه لقول الطحاوي في معتقده: «ولا نكفِّر أحدًا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ولا نقول: لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله»: (ص٣٥٢- المكتبة الشاملة) (الوافي اختصار شرح عقيدة الطحاوي- ص١٣٥):

«هذه الجملة اشتملت على مُعْتَقَدٍ فيه النهي عن التكفير، وتكفير أهل القبلة بأيِّ ذَنْبٍ حرام، **والخوض في مسائل التكفير بلا علمٍ أيضًا حرام، وقد يكون من كبائر الذنوب**؛ بل هو من كبائر الذنوب لأَوْجُهٍ:

الأول: أنَّ الإسلام والإيمان ثَبتَ في حق الشخص -في حقِّ المعين- بدليل شرعي، فَدَخَلَ في الإسلام بدليل، فإخراجه منه بغير حجة من الله -عز وجل- أو من رسوله ﷺ، هذا من القول على الله بلا علم ومن التعدي -من تعدي حدود الله-، ومن التقدم بين يدي الله -عز وجل- وبين يدي رسوله ﷺ....

لهذا يقول العلماء: من ثَبتَ إيمانه بدليل أو بيقين لم يزل عنه اسم الإيمان بمجرد شُبْهَةٍ عَرَضَتْ أو تَأْوِيلٍ تَأَوَّلَه؛ بل لا بد من حُجَّةٍ بَيِّنَةٌ لإخراجه من الإيمان، كما يقول ابن تيمية ولا بد من إقامة حجة تقطع عنه المعذرة.

الثاني: من الأوجه في خطر التكفير وما تَضَمَّنَتْهُ هذه الكلمة من مُعْتَقَدِ أهل السنة

---

(١) كما في «الأسئلة اليمنية في مسائل الإيمان والتكفير -المنهجية-» (٥٢).

(٢) كما في «فضائح ونصائح» (حوار مع جماعة التكفير) (ص١٨١).

والجماعة: أنَّ التكفير خاض فيه الخوارج وهم أول الفئات التي خاضت في هذا الأمر، والصحابة -رضوان الله عليهم- أنكروا عليهم أبلغ الإنكار بل عَدُّوهُمْ رأس أهل الأهواء.

وأولُ مسألةٍ خاض فيها الخوارج وسَبَّبَتْ التَّوَسُّع في التكفير هي مسألة الحكم بغير ما أنزل الله؛ حيث احتجوا على عليٍّ -رضي الله عنه- -وكانوا من جيش علي- بأنَّهُ حَكَّمَ الرجال على كتاب الله، لمَّا حَصَلَتْ واقعة التحكيم بين أبي موسى الأشعري وبين عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

فقالوا: حَكَّمَ الرجال على كتاب الله فهو كافر، فَكَفَّرُوا عليًّا رضي الله عنه، استدلالاً بقوله -عز وجل-: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤].

فذهب إليهم ابن عباس يناظرهم حتى احْتَجَّ عليهم بقول الله -عز وجل-: ﴿فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥] الآية، فرجع ثلث الجيش وبقي طائفة منهم على ضلالهم وظهرت فِرَقٌ كثيرة من الخوارج.

فيَدُلُّكَ على قُبْحِ الخوض في هذه المسألة بلا علم أنَّها شعار أهل الأهواء؛ أعني الخوارج وهم أول فرقة خرجت في هذه الأمة وخالفت الجماعة، ولا شك أنَّ التزام نهج أتقى أهل الأرض بعد رسول الله ﷺ هو المُتَعَيِّنْ.

الثالث: من أوجه بيان خطر التكفير والخوض فيه: أنَّ النبي ﷺ قال: «**من قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما**»، يعني إن كان كافرًا فهو كما ادُّعِيَ عليه وإلا عادت إلى الآخر، وهذا وعيد شديد.

- وقد يكون التكفير مبعثه الهوى.
- وقد يكون مبعثه الجهل.
- وقد يكون مبعثه الغَيْرَةْ.

فهذه ثلاثة أسباب لمنشأ التكفير: قد يكون الهوى -يعني التكفير بلا علم-، وقد يكون منشؤه الجهل، وقد يكون منشؤه الغيرة.

أما الأول والثاني فواضح -يعني الهوى والجهل-وأمثلة أهل الأهواء فيه كثيرة.

وأما الثالث وهو أنَّ التكفير قد يَحْمِلُ المَرْءَ عليه الغَيْرَةُ على الدين قصة عمر -رضي الله عنه- مع حاطب بن أبي بلتعة حيث لمَّا حصل من حاطب ما حصل، قال عمر لنبينا ﷺ: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق.

والحكم عليه بالنفاق حكم عليه بإبطانه للكفر، والنبي ﷺ لم يؤاخذ عمر -رضي الله عنه- بذلك لأنَّهُ من أهل بدر، ولأنه قالها على جهة الغيرة وخطؤه مغفورٌ له؛ لأنه من أهل الجنة؛ يعني لِسَبْقِ كونه من أهل بدر.

فدلَّ هذا على أنَّ الغيرة ليست حجة شرعية في التوسُّع أو في ابتداء القول في هذه المسائل بلا علم أو في التكلُّم فيها.

الغيرة ليست عُذْرًا، لهذا النبي ﷺ ما عَذَرَ عمر بالغيرة، وإنما عُذِرَ عمر -رضي الله عنه-:

١- لاشتباه المقام أولاً في حقِّ حاطب.

٢- ثُمَّ لأنَّ النبي ﷺ ما بيّنَ عذره -يعني ما بَيَّنَ الرجل للنبي ﷺ عذره-.

فقال النبي ﷺ لمَّا أخَذَ عمر بتلابيب حاطب، قال: «أرسله يا عمر» -أو دعه يا عمر- يا حاطب: «**ما حملك على هذا؟**» فلمَّا استفصل منه رَجَعَ الأمر إلى الوضوح فيه...».

وسئل -حفظه الله- كما في الشرح (ص٣٦٣):

«**س٤: هل من كَفَّرَ بغير علم يصبح مُرْتَدًّا فَيُقْتَلْ، أو أنَّ عَمَلَهُ هذا يُقْتَلُ به؟**

ج: من كَفَّرَ بغير علم:

- يلحقه الوعيد «من قال لأخيه: يا كافر فقد باء بها أحدهما» هذا واحد.

- ويلحقه الوعيد في مشابهة الخوارج؛ لأنَّ الخوارج كَفَّرُوا بغير علم.

- ويلحقه الوعيد أيضًا من جهة ثالثة وهو أنه تَعَدَّى على الدليل من القرآن والسنة؛ لأنَّهُ كما ذكرتُ لك في الأسباب أنَّ إثبات الإيمان جاء بدليل، فَنَفْيُ الإيمان عن المعين لابد فيه من دليل، فمن حَكَمَ بِكُفْرِ أحدٍ لهوى أو لغلو أو لقصور عنده في العلم فإنه تَعَدَّى ما أُذِنَ له به إلى أمر إنما هـو لأهـل العلم، فهو يؤاخذ بذلك، كما ذكرتُ لك في قصة عمر -رضي الله عنه- وهي قصة تحتاج منك إلى اعتبار في أنه قد يُطْلِقُ المرء التكفير من جهة

الغَيْرَةَ، وقد يُؤَاخَذُ وقد لا يُؤَاخَذُ، والواجب على العبد أن يحترز من فَلَتَاتِ لسانه، ويخاف أشد الخوف، فرُبَّ كلمة قالها العبد لا يلقي لها بالاً يهوي بها في النار سبعين خريفًا.

ومن منهج السلف الصالح رضوان الله عليهم الذي قَرَّرَهُ أئمة أهل السنة أنَّ أهل العلم من أهل السنة يُخَطِّئُونَ أو يُضَلِّلُونَ، ولا يُكَفِّرُون.

يقولون: هذا القول بدعة، هذا ضلال، هذا فسق، هذا خطأ، ونحو ذلك، وقد يحكمون على المعين إذا كان الحاكم من الأئمة و العلماء، **ولكن لا يُكَفِّرُونَ إلا ببينة ووضوح**.

وهذه المسائل مع الأسف شاعت عند الشباب في هذا العصر، وصاروا يتداولونها حتى في المجالس وهو يعلم من نفسه أنَّ مسائل الطهارة ما يعرفها، وكثير من مسائل الصلاة ما يعرفها، ومسائل يمكن معاشرة الزوجية يجيء فيها بحكم الطبيعة أو بحكم حياته ما آلفه وإلى آخره، ما يعرف حدود ما أنزل الله على رسوله في هذه المسائل، ومع ذلك تجد أنه يقتحم هذه المسألة العظيمة وهي مسألة التكفير، وإنما هي لأهل العلم.

ذكرتُ لك أنَّ لها قسمين:

القسم الأول: اعتقاد المسائل، اعتقاد مسائل التكفير مثل ما ذكرتُ لك.

والثاني التطبيق: التطبيق ليس إليك إنما هو لأهل العلم والقضاء والفتيا ونحو ذلك.

أمَّا الاعتقاد فهذا واجب أن تعتقد ما أمر الله -عز وجل- به، أو ما أخبر به -عز وجل- من إيمان المؤمن وكفر الكافر وكذا ما أخبر به ﷺ». اهـ

قلت: وكفى بهذه النصائح والزواجر واعظًا لكلِّ من تجرأ وأقدم على تكفير مسلم -مهما عظمت ذنوبه- دون علم ولا حلم.

* * * *

المخالفـة الثالثـة

الحويني يرفع شعار سيد قطب في كتابه «معالم فـي الطريق»

«إن أخص خصائص توحيد الإلهية: توحيد الحاكمية»

اعلم -رحمك الله وأرشدك لطاعته- أن القاعدة التي ابتدعها وأرساها سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق» صارت أخصَّ شعار للسرورية القطبية، وأمست علامة بارزة في منهجهم، وحدًّا فاصلاً بينه وبين منهج السلف الصالح.

وسأسردُ لك النقولات عن الحويني التي تثبت لك أنه جدَّد الدعوة إلى هذه القاعدة القطبيّة، وذبَّ عنها بكل وسيلة:

قال الحويني في خطبة «توحيد الإلهية»: «فهموا من معنى {لا إله إلا الله} الحكم؛ لأنهم معترفين أن الله خالق رازق محيي مميت، فما قاتلوا على هذا المعنى؛ لأنهم وافقوا عليه ويقرون به ويؤمنون به، إذن فلماذا قامت الحروب، لأجل توحيد العبادة، **ومن أخص خصائص توحيد العبادة: إن الحكم إلا لله**، هو الذي يأمر وإذا أمر فلا يحل لمسلم يريد أن يلقاه يوم يلقاه أن يخالفه، فضلاً عن أن يضع تشريعًا يضاد حكمه، لذلك هم أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة: **الذين يضادون الله في حكمه**. . .

فنفهم من هذا: أن من حرَّم ما أحل الله معتقدًا إياه ورغب عن حكم الله أنه دخل في الكفر بخلاف من حرّم على نفسه ما أحلَّ الله -تبارك وتعالى- ورعًا أو تأليفًا للقلب أو نحو ذلك». اهـ

قلت: قارن كلام الحويني هذا بكلام سيد قطب التالي؛ لتدرك وجه التشابه بينهما:

قال سيد قطب في كتابه «معالم في الطريق»: «وأخيرًا؛ يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة! وهذه المجتمعات لا تدخل في

هذا الإطار؛ لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله، ولأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله أيضًا[1]، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها؛ فهي -وإن لم تعتقد بألوهية أحد إلا الله- **تعطي أخص خصائص الألوهية لغير الله، فتدين بحاكمية غير الله**، فتتلقى من هذه الحاكمية نظامها، وشرائعها، وقيمها، وموازينها، وعاداتها، وتقاليدها... وكل مقومات حياتها تقريبًا!». اهـ

وقال سيد في ظلاله (١٠٥٧/٢): «لقد استدار الزمان كهيئة يوم جاء هذا الدين إلى البشرية، وعـــادت البشرية إلى مثل الموقف الذي كانت فيه يوم تنزل هذا القرآن على رسول الله ﷺ ويوم جاءها الإسلام مبنيًا على قاعدته الكبرى: (شهادة أن لا إله إلا الله)... شهادة أن لا إله إلا الله بمعناها الذي عبّر عنه ربعي بن عامر رسول قائد المسلمين إلى رستم قائد الفرس وهو يسأله: ما الذي جاء بكم؟ فيقول: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام... وهو يعلم أن رستم وقومه لا يعبدون كسرى بوصفه إلهاً خالقًا للكون[2]،

(١) قال العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- في مقاله: «سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية» -تعليقًا على هذا الموضع- (ص٥) «المجموع الممجد في الرد على سيد قطب وأخيه محمد» (٢/ ٥٨٣): «بل كثير وكثير من هذه المجتمعات يُضفون على أناس صفات الإله؛ كاعتقادهم أنهم يعلمون الغيب، ويتصرفون في الكون، ويفرجون الكروب، ويتقدمون لهم بالشعائر التعبدية من الاستغاثة في الشدائد والدعاء والخوف والرجاء والتوكل والطواف بقبورهم، وتعظيم هذه القبور وإقامة الأعياد والاحتفالات والموالد لهذه الأضرحة وشدّ الرحال إليها وتقديم الذبائح والنذور بالأموال الطائلة لها، كل هذه الأمور وغيرها من أنواع الشرك لا يعدها سيد من أنواع الشرك الناقضة للتوحيد المنافية لمعنى لا إله إلا الله، ونحن والحمد لله مع أننا نرى هذا من أنواع الشرك الأكبر، لا نكفر إلا من قامت عليه الحجة، وسيد لا يرى هذا من الشرك، ولا يستنكره؛ كحال كثير من الصوفية والروافض، لا يرون الشرك إلا في عبادة الأوثان، فإذا كفّر سيد الناس؛ فإنما يكفّرهم؛ لأنهم يدينون بالحاكمية لغير الله، ولا يشترط إقامة الحجة، ولا يدرك أن أكثر من يكفّرهم بالحاكمية لا يدينون بالحاكمية لأحد على الوجه الذي ذكره، ولا يدرك أن الروافض والقبوريين يفرحون بموقفه هذا من القبورية، ويأنسون إليه».

(٢) قال العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- في مقاله: «سيد قطب هو مصدر تكفير المجتمعات =

ولا يقدمون له شعائر العبادة المعروفة، ولكنهم إنما يتلقون منه الشرائع، فيعبدونه بهذا المعنى الذي يناقض الإسلام وينفيه، فأخبره أن الله ابتعثهم ليخرجوا الناس من الأنظمة والأوضاع التي يعبد العباد فيها العباد، **ويقرون لهم بخصائص الألوهية -وهي: الحاكمية، والتشريع والخضوع لهذه الحاكمية**[1]، والطاعة لهذا التشريع، وهي الأديان -... إلى عبادة الله وحده وإلى عدل الإسلام.

=

الإسلامية» -تعليقًا على هذا الموضع- (ص١٩) «المجموع الممجد في الرد على سيد قطب وأخيه محمد» (٢/ ٦٠٣): «إن الفرس الذين اندفع المسلمون لجهادهم كانوا مجوسًا يعبدون النار، وعقائدهم وشرائعهم تقوم على الوثنية، والمسلمون يريدون إخراجهم من هذا الشرك بالدرجة الأولى؛ فكيف يغفل سيد قطب هذا ويحاسبهم على الجانب السياسي فقط.

ليس في قول ربعي ما يفيد إلا إخراج الناس من عبادة العباد كالملائكة والأنبياء الصالحين، ولا تعرض فيه للأنظمة وإنما هو تفسير سياسي فيه تحريف لهذا النص كعادة سيد قطب في تحريف معنى العبادة، ومعنى الألوهية إلى الحاكمية والسلطة والأنظمة إلى آخر التحريفات الرهيبة لدعوات الرسل -عليهم الصلاة والسلام-.

وينبغي أن أسوق هنا ما أخرجه البخاري في صحيحه في الجزية حديث (٣١٥٩) عن جبير بن حيَّة قال: «... فندبنا عمر واستعمل علينا النعمان بن مقرن حتى إذا كنا بأرض العدو خرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً، فقام ترجمان فقال ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة: سل عما شئت، قال: ما أنتم؟ قال: نحن أناس من العرب كنا في شقاء شديد، وبلاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع، ونلبس الوبر والشعر، ونعبد البحر والحجر، فبينا نحن كذلك إذ بعث ربُّ السماوات وربُّ الأرضين -تعالى ذكره وجلت عظمته- إلينا نبينا من أنفسنا نعرف أباه وأمه فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدوا الجزية، وأخبرنا نبينا عن رسالة ربنا: أنه من قتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلها قط، ومن بقي منا ملك رقابكم».

فهذا النص يفيد أن الجهاد إنما هو ليعبد الناس الله وحده، وهذا تحقيق لمعنى لا إله إلا الله والعبادة وأنواعها معروفة ومن أبى ذلك أدى الجزية، فهل أداء الجزية عبادة لله يتحقق بها معنى لا إله إلا الله لا سيما بعد إسقاط أنظمة الكفر والشرك؟! نعوذ بالله من هذا التحريف الخطير الذي لا يعرف له نظير.

(١) هذا يشبه تمامًا قول الحويني: «فهموا من معنى «لا إله إلا الله» الحكم؛ لأنهم معترفين أن الله خالق رازق محيي مميت، فما قاتلوا على هذا المعنى لأنهم وافقوا عليه ويقرون به ويؤمنون به، إذن فلماذا قامت الحروب، لأجل توحيد العبادة، ومن أخص خصائص توحيد العبادة: إن الحكم إلا لله، هو الذي يأمر وإذا أمر فلا يحل لمسلم يريد أن يلقاه يوم يلقاه أن يخالفه، فضلاً عن أن يضع تشريعًا يضاد حكمه».

لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين إلى البشرية بـ(لا إله إلا الله)؛ فقد ارتدت البشرية إلى عبادة العباد، وإلى جور الأديان، ونكصت عن لا إله إلا الله، **وإن ظل فريق منها يردد على المآذن: لا إله إلا الله**؛ دون أن يدرك مدلولها، ودون أن يعني هذا المدلول وهو يرددها، **ودون أن يرفض شرعية الحاكمية التي يدعيها العباد لأنفسهم**، وهي **مرادف الألوهية**، سواء ادعوها كأفراد، أو كتشكيلات تشريعية، أو كشعوب فالأفراد كالتشكيلات كالشعوب ليست آلهة، فليس لها إذن حق الحاكمية... **إلا أن البشرية عادت إلى الجاهلية، وارتدت عن لا إله إلا الله، فأعطت لهؤلاء العباد خصائص الألوهية، ولم تعد توحد الله**، وتخلص له الولاء...

البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله؛ بلا مدلول ولا واقع... وهؤلاء أثقل إثمًا وأشدُّ عذابًا يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد -من بعد ما تبين لهم الهدى- ومن بعد أن كانوا في دين الله![1]». اهـ

وقال في (٢/٨٠): «إن هذا الدين يقرر أن التحليل والتحريم هو من شأن الله وحده؛ لأنهما أخص خصائص الألوهية، فلا تحريم ولا تحليل بغير سلطان من الله، فالله -وحده- هو الذي يحل للناس ما يحل ويحرم على الناس ما يحرم، وليس لأحد غيره أن يشرع في هذا وذاك، وليس لأحد أن يدعي هذا الحق؛ **لأن هذا مرادف تمامًا لدعوى الألوهية!**».

وقال في (٢/١٦٠): «ولا ننسَ ما سبق بيانه عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾، من أن اليهود وصموا بالشرك بالله ؛ لأنهم كانوا يتخذون أحبارهم أرباباً من دون الله -لا لأنهم عبدوهم- ولكن لأنهم قبلوا منهم التحليل والتحريم؛ **ومنحوهم حق الحاكمية والتشريع -ابتداء من عند أنفسهم- فجعلوا بذلك مشركين**.. الشرك الذي يغفر الله كل ما عداه ، حتى الكبائر.. «وإن زنى وإن سرق، وإن شرب الخمر».. فرد الأمر كله

(١) انتبه إلى أن قول سيد: «وهؤلاء أثقل إثمًا وأشدُّ عذابًا يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلى عبادة العباد -من بعد ما تبين لهم الهدى- ومن بعد أن كانوا في دين الله!»، يشبه تمامًا قول الحويني: «لذلك هم أشد الناس عذابًا عند الله يوم القيامة: الذين يضادون الله في حكمه».

إلى إفراد الله -سبحانه- بالألوهية، ومن ثَمَّ إفراده **بالحاكمية، فهي أخص خصائص الألوهية**، وداخل هذا النطاق يبقى المسلم مسلمًا ويبقى المؤمن مؤمنًا، ويطمع أن يغفر له ذنوبه ومنها كبائره.. أما خارج هذا النطاق فهو الشرك الذي لا يغفره الله أبدًا.. إذ هو شرط الإيمان وحد الإسلام، ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾».

وقال في (٢/٣٦٧): «إن أخص خصائص الألوهية -كما أسلفنا- هي الحاكمية.. والذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها».

وقال في (٤/١٩٠): «وما كان لدين أن يقوم في الأرض، وأن يقيم نظامًا للبشر، قبل أن يقرر هذه القواعد.

فتوحيد الدينونة لله وحده هو مفرق الطريق بين الفوضى والنظام في عالم العقيدة، وبين تحرير البشرية من عقال الوهم والخرافة والسلطان الزائف، أو استعبادها للأرباب المتفرقة ونزواتهم، وللوسطاء عند الله من خلقه! **وللملوك والرؤساء والحُكَّام الذين يغتصبون أخص خصائص الألوهية وهي الربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية**، فيعبّدون الناس لربوبيتهم الزائفة المغتصبة»[1].

وقال في (٤/٣١١): «إن الطاغوت لا يقوم في الأرض إلا مدعيًا **أخص خصائص الألوهية، وهو الربوبية، أي حق تعبيد الناس لأمره وشرعه، ودينونتهم لفكره وقانونه**[2]، وهو إذ يزاول هذا في عالم الواقع يدعيه -ولو لم يقله بلسانه-، فالعمل دليل أقوى من القول».

قلت: وكذلك أبو الأعلى المودودي سار على النهج نفسه، وإليك بعض عباراته في كتابه «الخلافة والملك» التي تبين أن القوم اجتمعوا على هذه البدعة المأخوذة عن الخوارج

---

(١) قال فضيلة الشيخ حسن -حفظه الله-: «هذا كلامٌ متناقض!».

(٢) أرأيت هذا الخلط والتخبط في فهم التوحيد؟! فإن الرجل لا يُحسن التفريق بين الربوبية والإلهية، وتارة يجعل أخص خصائص الإلهية -على زعمه-: الحاكمية، وتارة يجعلها الربوبية، وتارة يقرن بينهما على أنهما منفصلان في المعنى، ثم يأتي فيفسّر الربوبية بمعنى الإلهية، وهكذا ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]. ومن ضلال هذا الرجل واستغراقه في المصطلحات الغربية، وبُعده عن فهم السلف، يُطلق على تشريع الله -عز وجل- وحكمه: فكرًا، وقانونًا.

الأوائل، ولكن القوم طوّروها وزادوا عليها تأصيلات جديدة: قال المودوي في «الخلافة والملك» (ص٩) تحت عنوان «تعاليم القرآن السياسية»:

١) أن الله تعالى هو خالق هذا الكون كله وخالق الإنسان نفسه وخالق سائر الأشياء التي يستفيد منها الإنسان في هذا العالم.

٢) أن الله هو مالك هذا الخلق **وحاكمه** ومدبر أمره.

٣) أن جملة صفات الحاكمية وسلطاتِها مجتمعة في يديه سبحانه، وليس في هذا الكون أحد قط يحمل هذه الصفات أو ينال هذه السلطات؛ فهو -سبحانه وتعالى- قاهر كل شيء، مسيطر على كل شيء، متنزه عن عيب الخطأ، قدوس مهيمن مؤمن يهب جميع خلقه الأمن والأمان ...».

إلى أن قال (ص١٣) تحت عنوان: «الحاكمية الإلهية»: «وبناء على هذا التصور يقول القرآن إن الحاكم الحقيقي للإنسان هو نفسه حاكم الكون، وحق الحاكمية في الأمور البشرية له وحده وليس لأية قوة سواه -بشرية أم غير بشرية- أن تحكم بذاتها أو تقضي بنفسها... إلخ». اهـ

قلت: أين إثبات العبودية لله وحده، في كلام سيد قطب ثم المودودي، والذي عليه مدار دعوات الرسل؟!

لقد قصَّ الله سبحانه علينا قصص صراع الرسل والأنبياء مع أقوامهم، وبيَّن لنا سبحانه أن كل رسول دعا قومه إلى توحيد العبادة، ولم يذكر توحيد الحاكمية، كما في هذه الآيات:

- ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].

- ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥].

- ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٧٣].

- ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم

بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْۖ فَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَاۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ٨٥].

- فلماذا لم يبين هؤلاء الرسل -بداية من نوح -عليه السلام- إلى رسولنا ﷺ-، أخصَّ خصائص التوحيد[١]؟!!

- هل غفلوا عنه؟ أم قصَّروا في تبيين أخص خصائص هذا الدين؟

إن غلو سيد قطب والمودودي وأتباعهما في تضخيم مسألة الحاكمية بهذه الصورة، وجعلها أخص خصائص هذا الدين، يشبه تمامًا غلو الرافضة في تضخيم مسألة الإمامة، وجعلها أعظم ركن من أركان هذا الدين[٢].

ولقد استنكر عليَّ الفتى المفتون صاحب مقالات «كشف التعصُّب والمين والكيل بمكيالين» اتهامي للحويني بأنه يرفع هذا الشعار، حيث قال في الحلقة الرابعة: «وقد عبّرت بقولك (يرفع) بدل (رفع) ممّا يدلّ على استمرار وتجدّد العمل الذي أخبرت عنه بالفعل المضارع من هذا الشّيخ الذي تعيث في عرضه ظلمًا عظيمًا ستسأل عنه يوم القيامة، ولا شكّ أنّ ثمّة فرقًا كبيرًا بين وقوع العبد في الفعل (أو المقال) مرّة أو مرّات معدودة، وبين تلبّسه به واتّخاذه مسارًا وطريقة يضاهي بها منهج أهل الحقّ في الدّعوة إلى الله.

فإنّ الأوّل: الذي هو حصول الأمر مرّات معدودة غالبًا ما يكون من جنس الخطأ أو الزّلل النّاشئ عن الغفلة أو التّعصّب أو الجهل بالجزئيّة التي أخطأ فيها المخطئ أو غير ذلك ممّا قلّ من عصمه الله تعالى منه.

وأمّا الثّاني: والذي هو اتّخاذ العمل مسارًا و ديدنًا و«شعارًا» فهذا لا يكون إلا طريقة ومنهجًا ينسب إليه صاحبه وينسب إلى صاحبه ومتبنّيه، وهذا هو الذي يترتّب عن كونه محدثًا مصادمًا للسّنن أن يكون بدعة ويترتّب على عقد الولاء و البراء عليه أن يكون صاحبه مبتدعًا- على تفصيل».

---

(١) والذي هو توحيد الحاكمية، كما ادَّعى سيد وأتباعه.

(٢) قال فضيلة الشيخ حسن -حفظه الله-: «وهذا فيه فتح باب لكل من يريد أن يزيد شيئًا في الدين لم يقل به سلف الأمة، فتزداد الفتنة، وتحدث بلبلة في عقيدة ومنهج أهل السُّنة والجماعة».

قلت: لقد قرَّر الحويني هذه القاعدة القطبية وأكَّدها ودافع عنها في أكثر من درس، حتى صارت شعارًا له يُعرَف به، فلم يكن تقريره لهذه القاعدة من جنس الخطأ أو الزلل الناشئ عن الغفلة أو الجهل، بدليل أنه لما نُصح في هذا الشأن، وطولب بترك هذه القاعدة أصرَّ عليها، بل أخذ يتهكم بالعلماء الذين حذَّروا من سيد قطب ونسبوا أتباعه إليه، فسمَّوهم: «قطبيين»، ومن العلماء الذين حذَّروا من محمد سرور ونسبوا أتباعه إليه، فسمَّوهم: «سروريين»، فقال في درس: «فقه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» (شريط ١ وجه ب) (تسجيلات المنار كفر الشيخ):

«فمثلاً هناك بعض الناس سمع قولاً وأنا أقول: إن توحيد الحاكمية أخص خصائص توحيد الإلهية، فقال: هو يقول بقول سيد قطب ويقول بقول الجماعة القطبيين وهو قطبي احذروه والخبيث... ومبتدع سروري إلخ اللَّستَّة الجاهزة التي بتلصق بأي أحد».

قلت: هكذا يظهر العلماء الذين حذَّروا من فكر سيد قطب وسرور بمظهر سيئ، وأنهم يتَّهمون الآخرين بغير حقٍّ.

والبعض لا يدرك خطورة هذه القاعدة وأنها هي المرتكز في فكر سيد قطب في تكفير المجتمعات الإسلامية، ومن ثَمَّ صارت شعارًا له[1]، ولكن الحويني أراد تغليفها في

---

(١) قال صاحب التعصُّب والمين في الحلقة الرابعة: «ومتىٰ يكون الكلام (شعارًا) و متىٰ يفارق به قائله جماعة المسلمين؟ وقد تناول أهل اللّغة وأرباب التّعاريف (الشّعار) بتفسيرات كثيرة مختلفة لفظًا متقاربة معنىٰ، ومدارها علىٰ أنّ الشّعار ما يجعله الجاعل (جماعة كان أو فردًا) علامة عليه يعرف بها ويتميّز بها عن غيره»، ثم عقَّب قائلاً: «فتعيّن أنّ قول الأستاذ عن قول الشّيخ (أخصّ خصائص توحيد الألوهيّة توحيد الحكم) أنه شعار فيه نظر كبير سواء في نسبته إلىٰ سيّد قطب نفسه، أو في نسبته للشّيخ حفظه الله تعالىٰ».

قلت: إن الموافق والمخالف يقرون جميعًا بأن سيد قطب قد اشتهر بكثرة دندنته حول مسألة «الحاكمية» في كتاباته حتىٰ صارت علامة بارزة يُعرَف بها ويتميز بها عن غيره، وهذا ما اعترف به أحد كبار منظِّري القطبية صلاح الصاوي حيث قال بعد أن بيَّن أن القطبيين، قد قام منهجهم ابتداء علىٰ بلورة قضية التشريع -أي الحاكمية- وبيان صلتها بأصل الدين، وبيان أن الخلل الذي يغشىٰ أنظمة الحكم في مجتمعاتنا المعاصرة ناقض لعقد الإسلام وهادم لأصل التوحيد: «ومعلوم أن الكتب التي تمثل هذا الاتجاه وتعبر عن منهجه هي: كتب الأستاذ سيد قطب -رحمه الله- في

=

مجال الدعوة والمخاطبة العامة».

وقاعدة: «أخص خصائص توحيد الإلهية توحيد الحاكمية»، لا نعلم أحدًا ذكرها وأشهرها في كتبه، إلا سيد قطب، ثم أخذها عنه أتباعه، نحو الحويني، ودعا إليها، وأصر عليها؛ حتىٰ عُرِف بها؛ فصارت شعارًا له -كما بيَّنا-.

ثم قال الفتىٰ المفتون: «والشّعار المزعوم لو ثبت لكان كلمات خاضعة لميزان أهل العلم لا أهل الظّلم، فليتنبّه المؤمن المتّقي إلىٰ ما يلقيه في أذهان إخوانه فإنّه إن لم يتزوّد بالتّقوىٰ والعلم قبل أن يتكلّم كان معرّضا لأن يكون من الذين قال فيهم سيّد الخلق: «دعاة علىٰ أبواب جهنّم من أجابهم إليها قذفوه فيها»، والعياذ بالله تعالىٰ».

قلت: هلاَّ التزمت أنت أولاً بما تدعوني إليه! فلو وضعنا هذا الشعار في ميزان أهل العلم لا أهل الظلم، كيف يكون الحكم؟ لماذا لم تذكر حكم أهل العلم والعدل، وتركت الأمر معلَّقًا؟ والجواب واضح، وهو أن حكمهم -وهو الذي سنذكره فيما يلي إن شاء الله- يفضح تدليسك بأن أهل العلم نصوا علىٰ بطلان هذه القاعدة التي وضعها سيد قطب، ورفعها شعارًا: مَن جاء بعده من أتباعه علىٰ منهجه في الحاكمية، وإن خالفوه في بعض أقواله الأخرىٰ من سبِّه لبعض الصحابة وقوله بوحدة الوجود ..إلخ.

وقال المفتون أيضًا: «وهل يغفر الأستاذُ لمن أساء به الظنّ بعد معاينة طريقته فاتّهمه بالجهل وعدم الإخلاص، فإنّ غاية هذا الكلام الذي قاله الحويني أن يكون خطأً، ولا يمكن بحال أن يتعدّىٰ إلىٰ نسبته لفرقة القطبيّة التي بينّتُ سابقًا اضطراب القوم فيها، وعدم اتّفاقهم علىٰ حدّها.

ولكنّ الظّاهر أنّ الأستاذ لا يتكلّم لأجل تصحيح الأخطاء ونصح المسلمين، ولكنّه يتكلّم لأجل إسقاط العلماء وتجريح الدّعاة العاملين، فساق العبارة؛ لكي يبرهن بها علىٰ قطبيّة الحويني وابتداعه، ولا يهمّه بعد ذلك أوصل لمبتغاه بطريقة أهل العلم أو بطريقة أهل الجهل التي هي ظاهرة المعالم في تقريره الذي ورّط به نفسه وأحرج به من اعتمد علىٰ تقليده وسيحرج به من أحسن به الظّنّ فزكّاه (وعلىٰ نفسها جنت براقش)، والله المستعان».

قلت: صدقت: (وعلىٰ نفسها جنت براقش)، فإن العالم المنصف إذا نظر في تقريرك هذا؛ علِم مَن الجاني؟

مَن الأولىٰ أن يتهم بالجهل وعدم الإخلاص: أهذا الذي يدافع عن معنىٰ التوحيد، والذي حرَّفه سيد قطب، أم الذي يهوِّن من شأن هذا التحريف ويعتبره مجرد خطأ فرعي، لا يلام صاحبه ولا ينكر عليه؟ ومَن أنكر عليه بالحجج والبراهين صار من أهل الجهل الذين ليس لهم همٌّ إلا تبديع الأبرياء بغير حقٍّ!!

والمتبادر إلىٰ الأذهان أن يقال: كيف حرَّف سيد قطب التوحيد؟

والجواب ذكرناه فيما سبق، ولا بأس بتكرار ذكره؛ لأن التكرار في مثل هذه المواطن يُثَبِّتُ الحق، =

فأقول: إن التوحيد الذي من أجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل هو توحيد العبادة باتفاق أهل السنة، فلمَّا يأتي سيد قطب في آخر الزمان فيقرر معنىً آخر له، وهو ما سمَّاه بتوحيد الحاكمية، فإن الأمر جلل، ولا يقال عن هذا: إنه خلاف اصطلاحي، أو خلاف فرعي لا يؤثر، لا يقول هذا إلا جاهل أو مغرض؛ حيث إن الأمر لم يقتصر علىٰ مجرد الاصطلاح فقط، وإنما تعداه إلىٰ ما هو أخطر، وهو تقديم هذه «الحاكمية» بمعناها القاصر علىٰ «العبادة» بمعناها الشامل، ثم ازداد الأمر غلوًّا بجعل هذه الحاكمية هي أخص خصائص التوحيد، حيث قال سيد قطب -فيما تقدَّم نقله عنه-: «...وللملوك والرؤساء والحكام الذين يغتصبون أخص خصائص الألوهية وهي الربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية؛ فيعبِّدون الناس لربوبيتهم الزائفة المغتصبة»، وقال: «إن أخص خصائص الألوهية -كما أسلفنا- هي الحاكمية.. والذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية ويستخدم خصائصها».

قلت: ومن هذا الكلام ونحوه نشأ الغلو في تكفير حكَّام المسلمين في هذا الزمان؛ حيث إن تصوير هؤلاء الحكَّام بأنهم مغتصبون لأخص خصائص توحيد الألوهية، يجعلهم بلا تفصيل في أحط دركات الكفر، ومن ثَمَّ كانوا -علىٰ فهمهم- طواغيت، وترتب علىٰ ذلك الخروج عليهم بالسلاح، وهلم جرًّا من سفك الدماء وانتهاك الحرمات وضياع أعمار الشباب سدًىٰ خلف القضبان.

والأمر لم يتوقف عند سيد قطب علىٰ الحكام فقط، بل تعداه إلىٰ كافة البشرية، حيث قال: «البشرية بجملتها، بما فيها أولئك الذين يرددون علىٰ المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله؛ بلا مدلول ولا واقع... وهؤلاء أثقل إثمًا وأشدُّ عذابًا يوم القيامة؛ لأنهم ارتدوا إلىٰ عبادة العباد -من بعد ما تبين لهم الهدىٰ- ومن بعد أن كانوا في دين الله!».

قلت: وهذا من الغلو الفاحش الذي فاق به سيد قطب كلَّ من سبقه من الخوارج، حيث أطلق الكفر علىٰ عموم البشر، بما فيهم عموم المسلمين، وأكَّد هذا التعميم بقوله: بما فيها أولئك الذين يرددون علىٰ المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله ...!!.

وعليه فإن عبارة: «إن أخص خصائص الألوهية: الحاكمية»، تعتبر تحريفًا للتوحيد، وتعتبر إسقاطًا لأهم معاني التوحيد، وهو إفراد الله بالدعاء؛ فحلَّت الحاكمية المزعومة مكان الدعاء، وصار مَن يدعو غير الله، هو من إخواننا الذين يجب أن نتآلف معهم ونسكت عن فعلهم هذا ونعذرهم فيه تأليفًا للقلوب، وأما من اشتغل بالحكم والقضاء، فحكم بهذه القوانين الوضعية غير مستحل لها، فهذا طاغوت أو من أعوان الطاغوت، وهذا يجب أن يجاهد أو أن يغتال، ومن ثَمَّ تحوَّلت دفة الصراع، فصار الشرك في العبادة شركًا قديمًا لا يؤبه به، ولا تعطىٰ له المساحة الكبرىٰ في حياة الداعية؛ لأنه قد حلَّ مكانه هذا الاصطلاح المحدث: توحيد الحاكمية.

وعليه فإن إصرار الحويني علىٰ الدعوة إلىٰ هذه القاعدة، وعدم تراجعه عنها إلىٰ وقتنا هذا تراجعًا صريحًا، مع تآلفه مع الدعاة إليها مِمَّا يبرهن بلا ريب علىٰ موافقته للقطبية في أخص شعار لها،

وإن كان الحويني لم يصرح بالتكفير الصريح للحكّام، أو لعموم البشرية كما صرَّح سيد، إلا أنه يحوم حول شيء من هذا بإصراره علىٰ هذه القاعدة المحدثة، وتقريره إياها في أكثر من درس مِمَّا صيَّرها شعارًا مرفوعًا.

وبعد هذا التقرير ألا يوافقني القارئ المنصف علىٰ بطلان اتهام هذا الفتىٰ العجول لي بالكذب المسقط للعدالة، وبالتجني علىٰ الحويني بسبب عنونتي هذا الفصل بـ: «الحويني يرفع شعار توحيد الحاكمية» حيث قال: «وهذا يجعل المعنون بعنوان غير مطابق للواقع معيبًا مذمومًا معرّضًا للتّهمة بالكذب في الكلام عن أعراض النّاس، وإن كان قد يتسامح مع من خالف عنوانه الواقع في غير هذا الباب الخطير، أمّا من تكلّم في أعراض النّاس فعنون بما يفيد قذفهم بالتّهم الثقيلة العيار، ثمّ نظر العاقلُ في مقاله، فرآه يتكلّف في إثبات زعمه وصحّة عنوانه تكلّف الكهّان، فهذا لا يكون إلا معيبًا مذمومًا متلبّسًا بالكذب المسقط للعدالة الأهليّة، فإنّ العدالة التي يقبل بها الخبر والشّهادة قوامها التّقوىٰ إذ هي: «ملكة تحمل صاحبها علىٰ ملازمة التّقوىٰ والورع مع البعد عن مواطن الفسق و خوارم المروءة»، والتّقوىٰ «خصلة من الطاعة يحترز بها من العقوبة»، فتحصّل أنّ هذا الطّريق المُتقعقعَ الذي يسلكه الأستاذ، مفارق للتقوىٰ من وجوه كثيرة كما بيّنته لك منذ بداية هذه السّلسلَة من المقالات، وما بقي أعظم والله المستعان».اهـ

قلت: «هذا المُعترض وأمثاله لا عرفوا ما قاله أئمة السنة في شأن القضية المطروحة، ولا عرفوا سنّة رسول الله ﷺ وسنّة خلفائه الراشدين، ولا ما كان يقوله الصحابة والتابعون لهم بإحسان.

ونقل هذا المعارض -الفتىٰ العجول- عن نقدي ما ليس فيه، بل المعروف المتواتر عن الناقد -العبد الفقير- في كتبه وكلامه بخلافه، وليس في النقد ما يدل عليه، بل علىٰ نقيض ما قاله.

وهذا الصنيع من الفتىٰ العجول إما يكون عن تعمُّد للكذب، أو عن سوء فهم مقرون بسوء الظن وما تهوىٰ النفس، وهذا أشبه الأمرين به، فإن من الناس من يكون عنده نوع من الدين؛ لكن مع جهل عظيم، فهؤلاء يتكلم أحدهم بلا علم فيخطئ، ويخبر عن الأمور بخلاف ما هي عليه خبرًا غير مطابق، ومن تكلم في الدين بغير الاجتهاد المسوّغ له الكلام وأخطأ فإنه كاذب آثم، كما قال النبي- صلىٰ الله عليه وسلم- في الحديث الذي في السنن عن بريدة عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم أنه قال: «القضاة ثلاثة: قاضيان في النار وقاض في الجنة، رجل قضىٰ للناس علىٰ جهل فهو في النار، ورجل علم الحق وقضىٰ بخلافه فهو في النار، ورجل علم الحق فقضىٰ به فهو في الجنة»، فهذا الذي يجهل ويتعمد خلاف الحق فهو في النار، بخلاف المجتهد الذي قال فيه النبي ﷺ: «**إذا اجتهد الحاكم فأصاب فله أجران، وإذا اجتهد الحاكم فأخطأ فله أجر**»، فهذا جعل له أجرًا مع خطئه؛ لأنه اجتهد فاتقىٰ الله ما استطاع، بخلاف من قضىٰ بما ليس له به علم، وتكلم بدون الاجتهاد المسوغ له الكلام».

«والمقصود أن من تكلّم بلا علم يسوغ وقال غير الحق يسمىٰ كاذبًا، فكيف بمن نقل عن كلام =

قالب سلفي حتى تقبل عند السلفيين، والأخطر أنه من خلال هذه القاعدة الخارجية، وَلَجَ إلى تحريف معنى كلمة التوحيد على الوجه الذي صنعه سيد قطب ومحمد قطب، فقال الحويني:

«فهل مثلاً توحيد الحاكمية لا يدخل في توحيد الإلهية، الدنيا كلها بتقول يدخل، لأن المشركين رضوا بالله ربًا، وأنفوا أن يكون حاكمًا عليهم..إلخ».

وقال (كما في شريط مذهب الشيطان): «توحيد العبادة في مثل قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]. يقص الحق يعني: يقضيه، وفي الرواية الأخرى المتواترة -وهي قراءة حمزة، وأبي عمرو بن العلاء، والكسائي، وخَلَف-:

﴿يَقْضِي الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ للهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠]، ﴿وَهُوَ اللهُ لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ﴾ [القصص: ٨٨]، ﴿وَاللهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨].

=

موجود خلاف ما هو فيه مما يعرف كل من تدبر الكلام أن هذا نقل باطل؟ فإن مثل هذا كذب ظاهر، والأولى على صاحبه إثم الكذب».

«وكلام هذا الفتى المتعصِّب وأمثاله من المتعصِّبين يدل على أنهم بعيدون عن معرفة الصواب في هذا الباب؟ كأنهم غرباء عن هذا الدين في مثل هذه المسائل، ولا كلام أئمة المسلمين، وفي مثل هذا، وهؤلاء قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ»، فشريعة الإسلام في هذا الباب غريبة عند هؤلاء لا يعرفونها، فإن هذا وأمثاله لو كان عندهم علم بنوع الأدلة الشرعية في هذا الباب لوزعهم ذلك عما وقعوا فيه من الضلال والابتداع ومخالفة دين المسلمين والخروج عما عليه جميع أئمة الدين، مع ما فيه من الافتراء على الله ورسوله ﷺ، وعلماء المسلمين، وعلى الناقد». [انتهى بتصرف يسير من «الرد على الإخنائي» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص١٠٤-١١١)].

وعليه فإن هذا الفتى المتعصِّب هو الذي سلك طريقًا متقعقعًا مفارقًا للتقوى من وجوه كثيرة، ممَّا يجعله معيبًا مذمومًا متلبسًا بالكذب المسقط للعدالة الأهلية؛ حيث اتهم الناقد الأمين المستدل بأدلة الكتاب والسُّنة وفهم علماء الأمة بالكذب والكهانة؛ فليتأهب للشهادة بين يدي العليم الخبير يوم يقوم الأشهاد.

فهذا هو توحيد العبادة: إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لله، توحيد الحاكمية، أخص خـ نص توحيد الألوهية». اهـ

وقال أيضًا (كما في شريط مداخل الشيطان): «**إن العرب قاتلوا حتى لا يكون الحكم لله!!!، يريدون أن يحكموا ويشرعوا بأهوائهم**؛ لا يحل الحكم في خردلة فما دونها إلا بحكم الله -عز وجل-. إن العرب صبروا على القتال، وفقدوا الأنفس الغالية فقدوا الرؤساء، وفقدوا السادة والصناديد الكبار- وسُبِيَت نساؤهم؛ وهذا عارٌ عند العرب أن تذهب امرأةُ أحدهم إلى رجل كان يستقلُّه قبل ذلك ويحتقره، ويُقْتَل الصغار، وأبوا أن **يوحدوا توحيد العبادة الذي هو التسليم لحكم الله -عز وجل-!!!** فهذا هو التوحيد الذي قاتل النبي ﷺ العرب لأجله؛ توحيد العبادة». اهـ

قلت: لقد أجمع أهل السنة على أن سبب شرك المشركين أنهم أبوا أن يكون الله سبحانه هو المعبود بحقٍّ وحده، فاتخذوا معه آلهة أخرى يتوجهون إليها بالعبادة المتمثلة في الدعاء والذبح والاستغاثة والخوف والرجاء والمحبة والتوكل والخشية والرهبة والحكم ...إلخ.

فلمَ استبدل الحويني لفظ: «المعبود» بلفظ: «الحاكم»؟

وهل فسّر أحد من أئمة السنة على مرِّ القرون السابقة توحيد العبادة بأنه «التسليم لحكم الله -عز وجل-» فحسب، أم أن التسليم لحكم الله -عز وجل- هو من مفردات العبادة، أي أنه داخل في ضمن توحيد العبادة لا أن يفسَّر به؟

أجيبوا أيها العقلاء...!!

وهل معنى الإله: الحاكم أم المعبود؟

والجواب: الإله لُغة هو المعبود، لا يخالف في هذا أحد من أهل السنة والجماعة -أصحاب الحديث- البتّة طوال هذه القرون، إلا الفرق الضالة حيث فسّرت كل فرقة الإله بما يوافق معتقدها:

ففسّرته الصوفية بـ«القادر على الاختراع».

وفسّرته الأشاعرة بـ«المستغني عمّا سواه»، كما في «أم البراهين في العقائد الأشعرية» للسنوسي.

وفسّرته جماعة التبليغ والدعوة -وهي صوفية عصرية- بـ«الفاعل».

وفسّره القطبيون -وهم خوارج العصر- بـ«الحاكم».

فليس معنى لا إله إلا الله، أي: لا حاكم إلا الله، كما قال سيد قطب ومحمد قطب والمودودي، ومن سار على طريقهم، لكن معناها الصحيح الموافق للكتاب والسنة وإجماع أئمة السنة واللُّغة: «لا معبود بحق إلا الله».

○ **فهذه الألفاظ الثلاثة:**

١- «الحاكمية» بدلاً عن الإلهية.

٢- «الحاكم» بدلاً عن الإله.

٣- «أخص خصائص الإلهية: الحاكمية».

هي ألفاظ مُحدثة، [ليست في كتاب الله، ولا في حديث رسول الله ﷺ، ولا نطق بها أحد من سلف الأمة وأئمتها لا نفيًا ولا إثباتًا، وأول من ابتدع الذمَّ بها: «القطبية» الذين فارقوا جماعة المسلمين، فاتباع سبيل القطبية دون سبيل سلف الأمة ترك للقول السديد الواجب في الدين، واتباع لسبيل المبتدعة الضالين، وليس فيها ما يوجد عن السلف ذمُّه إلا لفظ «الحكم»][1]، في قولهم: «من ترك الحكم بغير ما أنزل الله جحودًا أو استحلالاً فقد كفر الكفر الأكبر، ومن تركه شهوة وطلبًا للدنيا دون جحود أو استحلال فقد وقع في الكفر الأصغر».

وقال الحويني في موضع آخر: «... وهكذا سنة وهو يفعل كل شيء ثم إذا أصابته جارحة جاء يسأل عن حكم الله... كثير من التجار يعقدون الصفقات ولا يسألون عن حكم الله فيها، صحيح أن الأصل في البيوع الحل ولكن نظرًا لاختلاط المسلمين بالكافرين وأن الكافرين يستحدثون من صنوف المبايعات ما يحفظ لهم أموالهم ولا يلتزمون بحكم الله والمسلمون يعاملونهم وللكافرين اليد العليا في البضائع والصناعات فيذهب المسلم فيعقد صفقة مع الكافر على مذهب الكافر؛ لأنه هو السيد وهو المالك فيشترط عليه الكافر شروطًا في ديننا محرمة، فحينئذ يجب أن يسأل أهل العلم عن كل مبايعة جديدة، وإن كان

(١) مقتبس من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (٤/ ١٤٦) -بتصرف يسير-.

الأصل في المبايعات الحلّ، لكنه لا يعلم الشرع فلابد أن يسأل أهل العلم، فكم يا ترى من التجار لهم مستشارون قانونيون ومحاسبون ويعطونهم رواتب عالية وثابتة ويعطونهم نسبًا أيضًا، وأهل العلم استشارتهم مجانية بلا مال، فهل يا ترى كل تاجر كبير له مستشار يقول له هذا حلال وهذا حرام.

هذا من أدلّ الأدله على أننا لا نوحد الله توحيد الحاكمية الذى هو أخص خصائص توحيد الألوهية».

قلت: بلا شك ما ذكره من شأن التجار هذا أمر منكر نابع من جهل هؤلاء بأحكام دينهم -وهذا هو الغالب- أو ناتج عن ضعف في الإيمان وركون إلى الدنيا، وبلا شك بعض هؤلاء التجار يعلم حُرمة بعض المعاملات نحو التعاملات البنكية المتعلّقة بالقروض وما شاكل ذلك، أو نحو الرشاوي والمكوس ... إلخ، إلا أنهم لا يتركونها نظرًا لاتباع الهوى أو لانخداعهم بالفتاوى الباطلة المتعلّقة ببعض هذه المعاملات والتي تكون أحيانًا صادرة من جهات رسمية معتبرة عند هؤلاء.

وهذا كلُّه من التفريط الشديد من هؤلاء في دينهم، ولكن كيف نعالج هذا التفريط -وإن عظُم-؟

هل يكون علاج هذا التفريط بالإفراط والغلو؟

هل يكون العلاج أن نبتدع معنى محدثًا في التوحيد؛ كي ننبه هؤلاء إلى تفريطهم، وأن نحكم عليهم بهذا الحكم الخطير؟!

إن الحويني قد جزم بأن هؤلاء -بل أطلق القول على عموم المسلمين، حيث إن أكثرهم على اختلاف مستوياتهم في نظره لا يعتنون بالسؤال عن أحكام الله في شأن المعاملات- لم يوحدوا الله -عز وجل- توحيد الحاكمية الذي هو -عند القطبيين السروريين- أخص خصائص التوحيد، ولَمَّا ينتف عنهم أخص خصائص التوحيد، كيف يكون حالهم؟

الجواب: يصيرون -بلا امتراء- كفّارًا، وهذا هو عين كلام سيد قطب في حكمه بالجملة على المجتمعات الإسلامية بالجاهلية والخروج من الإسلام بالكليَّة؛ حيث إنهم لا يحكِّمون الله -عز وجل- في كل شئونهم.

وهذا بلا شك غلو وتطرف من جهتين:

الجهة الأولى: التعميم في الحكم بأن التجار -بل عامة المسلمين كما يفهم من إطلاقه في العبارة الأخيرة- لا يسألون عن حكم الله سبحانه في جلِّ تعاملاتهم، وهذا ليس بصحيح، فهناك فئة ليست قليلة من العامة -من التجار وغيرهم- يسألون عن أحكام دينهم في المعاملات والعبادات، لكن القليل منهم الذي قد يلتزم بما سمع، نظرًا لِمَا غلبَ عليهم من اتباع الهوى والركون إلى الدنيا، وأحيانًا يكون السبب كما بيَّنا راجعًا إلى كثرة الفتاوى المضلِّلة في هذه الأبواب مِمَّا يجعل هؤلاء العامة في حيرة من أمرهم.

الجهة الثانية: الحكم على هؤلاء التجار وغيرهم بأنهم تركوا أخص خصائص التوحيد، والذي بتركه لا يُشَكُّ في كفرهم؛ لأنهم تركوا السؤال عن حكم الله سبحانه في تعاملاتهم التجارية.

وصدق الأوزاعي -رحمه الله- حينما قال: «ما ابتدعَ رجلٌ بدعة إلاَّ سُلِبَ وَرَعه»[1].

فالقومُ لمَّا ابتدعوا هذه القاعدة المحدَثة، ونادوا بها، سُلِبوا ورعهم في إصدار الحكم على عُصاة المسلمين، وأرادوا إطفاء النار بالنار.

وإنما تطفأ هذه النار عن طريق نشر العلم النافع في وسط المسلمين وبثّ العقيدة السوية، فتنصلح أحوال هؤلاء العصاة تدريجيًا -إن شاء الله-، وهذا لا يتم إلا بتعليمهم المعنى الصحيح للتوحيد وتربيتهم عليه، مِمَّا يزكي نفوسهم، ويهذب أخلاقهم.

وعلى هذا نشأ جيل الصحابة والسلف الأوائل، فكما هو معلوم أن الناس في الجاهلية قبل أن يدخلوا في الإسلام كانوا يأكلون الربا، ويتعاملون بالغش والرشوة، وأكل أموال الناس بالباطل ...إلخ، بل كانوا يعتقدون حلَّ هذه الأمور المحرمة، ثم لَمَّا هداهم الله -سبحانه- إلى التوحيد نبذوا هذه الأمور وتركوها لله -عز وجل- بعد أن تفقهوا وتعلَّموا، فهل كان هذا؛ لأن الرسول ﷺ علَّمهم أن أخص خصائص توحيد العبادة هو توحيد الحاكمية، وقال لهم: لقد

(١) أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٩٣٣)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» كما في الشرح والإبانة (ص٩٩).

كنتم في جاهليتكم تاركين لتوحيد الحاكمية -الذي هو أخص خصائص التوحيد- بسبب ترككم التحاكم إلى شرع الله سبحانه في شأن تجارتكم ومعاملاتكم؟!

والسؤال الذي يفرض نفسه في هذا المقام: هل إذا ترك هؤلاء الربا والغش وأكل أموال الناس بالباطل وتحاكموا إلى شرع الله سبحانه في هذه المعاملات، مع بقائهم على التوجه إلى الأصنام بالدعاء والذبح والنذر ..إلخ، هل يكونون بهذا محققين لأخص خصائص التوحيد أم ماذا؟!

فسيرد الحويني قائلاً: لا ... إلا أن يحكّموا الله سبحانه، كذلك في شأن عبادة الأصنام، وحكم الله سبحانه في هذا أن دعاء الأصنام والذبح لها والنذر لها من الشرك الأكبر.

فأقول: هل يعني هذا أن ترك الالتزام بحكم الله في شأن المعاملات التجارية يستوي مع ترك الالتزام بحكم الله في شأن عبادة الأصنام؟

فإن قلت: لا فقد نقضت قاعدتك، ولزمك العودة إلى فهم السلف في معنى كلمة التوحيد، وترك هذا الفهم القطبي والذي أوقعك في هذا المأزق.

وإن قلت: نعم، فقد ولجت إلى منهج الخوارج من أوسع أبوابه؛ حيث إنهم هم الذين سووا بين الكبائر العملية وبين الشرك الأكبر في العبادة، ولم يفرقوا بينهما في الحكم، وهذا هو عين الغلو، والله المستعان.

ولقد أعجبتني كلمة قالها أحد الكتّاب في منتديات كل السلفيين، وجّهها إلى الذين يدافعون عن الحويني بالباطل ويتمحلون في التماس الأعذار له في هذه المسألة الخطيرة، حيث قال: «سبحان الله ! فقد أصبحنا نجادل في البديهيّات والواضحات!!

إخواني الله يهديكم قولوا هذا خطأ على الأقل! والله تصرّف عجيب و مؤسف جداً أين هو الذبُّ عن العقيدة السلفية؟ قبل الأشخاص!

يا إخواننا الخطأ خطأ، والكلام هنا ليس في تبديع زيد أو بكر، ولكن في تصحيح خطأ واضح يجب تركه والرجوع عنه.

أعلم أن الذي جرّكم إلى هذا هو الخوف من التبديع كنتيجة! و هذا التصور خطأ..فلا تخافوا!

اتبعوا الحق وخطئوا المخطئ، ولا تتابعوه في خطئه، ثم إن جاءت مسألة التبديع -والإلزام بغير حق- كلوها إلى العلماء، وتعاملوا معها بقواعد العلم، وإذا اختلف العلماء في الحكم كذلك، فارجعوا إلى القواعد العلمية ومن عجز عن هذا فليترك الأمر من أوّله ولا يضع نفسه في مواطن الحيرة و القلق!

إخواني ألسنا ندّعي بأننا سلفيون؟ ألسنا نتعبّد لله بالأحكام التي نصل إليها بعد البحث؟ ألسنا طلاّب نجاة..؟ إذن ما هذا التّصرّف؟ هداني الله وإيّاكم إلى مراشد الأمور».

قلت: والطامة أن الحويني اعتبر أن هذا الفهم المأخوذ عن سيد قطب مسار اجّتهاد، وكأن المسألة خلافية بين أهل السنة، وكما صنع في مسألة المصر على المعصية، لم يأت أيضًا بنقل واحد من كلام أئمة السنة السابقين أو المعاصرين يعضد فهمه؛ لأنه كما بيّنا يرى نفسه مستقلاً بالفتوى في مثل هذه المسائل الاعتقادية الخطيرة.

وهو يعلم أنه لن يجد في كلام العلماء السلفيين ما يعضد فهمه، فلن يجد هذا إلا في كلام سيد قطب ومحمد قطب والمودودي وأتباعهم.

حيث قال: «حتى لو أنا قلت: إن توحيد الإلهية نمرة واحد فيه توحيد الحاكمية، فهذا اجتهاد مني، وإلا فتوحيد الحاكمية قطعًا داخل في توحيد الإلهية، ما فيش كلام إذا اختلفنا في مسألة الترتيب.

هو قال المحبة الأول أو العبادة الأول والحاكمية رقم ثلاثة[1]، أنا أقول: الحاكمية خلتها رقم واحد، والمحبة رقم اثنين[2]، ما اختلفناش ما خرجناش في النهاية، المسألة كلها مسألة ترتيب[3]، فالمسألة خاضعة للنظر، وخاضعة للمعنى -لِمَا استقر في ذهن المتكلم- لما أراد أن يتكلم-.

---

(١) انتبه! إلى أنه جعل الحاكمية قسيم العبادة!.

(٢) وفي موضع آخر، قال: «التوحيد عشرة أقسام، هل تعرف أحدًا قسّم التوحيد إلى ثلاثة أقسام»، كما في «مسائل منهجية» للشيخ خالد بن عبد الرحمن.

(٣) من قال بهذا من السلف، هات لنا نصًا واحدًا من كتب العقيدة السلفية نُصَّ فيه على هذا الكلام.

فمثل هـذه المسائل لا ينبغـي أن يكـون فيهـا هجـر، فـضلاً عـن التـشغيب والتـشنيع والافتراء، وهذه الأشياء..ليه؟! لأنها محتملة[(١)]، حتىٰ لو افترضنا جدلاً أن هذه المسألة فيها نظر، فكان ينبغي المكاتبة[(٢)]، ويقال: إنك قلت كذا وكذا، وهذا القول فاسد لـ: واحد.. اثنين.. ثلاثة.. إلخ، فأنا أرد أقول: والله، (واحد) أنا مش موافق عليه، (اثنان) موافق عليه..!! وهكذا يحصل شيء من النقاش في المسألة، وخلاص تبقىٰ المسألة داخلة في باب الخلاف المعتبر[(٣)]».اهـ

(١) إذا كانت هذه المسألة المتعلقة بأخص خصائص التوحيد من المسائل المحتملة والتي لا يستحق المخالف فيها التشغيب عليه، فإذن لا توجد مسألة في الدين يقينية، ولا توجد مخالفة في الدين يستحق المخالف فيها التشغيب عليه ولا الهجر له !!

(٢) لقد تمت المكاتبة والمناصحة باعتراف الحويني نفسه فيما بيَّنته في المقدِّمة، ولكن لم تقابل هذه المناصحة إلا ببطر الحق وغمط الناصح مع الإصرار علىٰ الباطل.

(٣) هل الاختلاف في تفسير التوحيد وفي بيان أقسامه، يدخل في باب الخلاف المعتبر، هل يقول هذا عالم عرف حقيقة التوحيد، أو تعلَّم التوحيد علىٰ طريقة السلف الصالح؟
وهذا التشويش من الحويني علىٰ تقسيم التوحيد هو عين التشويش الذي شوَّش به صلاح الصاوي -القطبي خليفة سعيد حوىٰ في الضلال-، حيث قال في كتابه «الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر» (ص١٥٤): «فإن هذا التقسيم اصطلاحي، الهدف منه تقريب القضية وتنظيم دراستها، كما اصطلحَ أهل العلم علىٰ أسماء اصطلاحية للعلوم... وعلىٰ هذا فلا مشاحة في الاصطلاح... بل إن هذا التقسيم ابتداءًا علىٰ هذا النحو لم يرد به فيما نعلم آية محكمة أو سُنَّة متبعة، والعبرة كما يقولون بالمقاصد والمعاني، وليس بالألفاظ والمباني... إلخ».
قلتُ: وقد كشف عوار هذا التلبيس الشيخ عبد الرزاق بن عبد المحسن العبَّاد -حفظه الله- من خلال كتابه القيم «القول السديد في الردِّ علىٰ من أنكر تقسيم التوحيد» (ص٢٨)، حيث قال: «فجعل -أصلحه الله- هذا التقسيم تقسيمًا اصطلاحيًّا، وليس حقيقة شرعية مأخوذة بالتتبع والاستقراء لنصوص الكتاب والسُّنة، بل تمادىٰ في الباطل عندما قال: «وليست هناك حدود فاصلة بين ما يدخل في توحيد الربوبية، وبين ما يدخل في توحيد الألوهية، وبين ما يدخل في توحيد الأسماء والصفات».
إني لأعجب غاية العجب كيف يقول هذا من يتصدىٰ لتوجيه مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، مع أنه في نفسه كما يصرح هنا لا يعرف حدودًا فاصلة بين أنواع التوحيد الثلاثة، وأي جناية علىٰ مسيرة العمل الإسلامي أشد من أن ينشر بين أهل الإسلام أن أقسام التوحيد ليست من الثوابت، =

قلت: لقد صبر العلماء على هذه المخالفة العظيمة منك وبيّنوا لك أيّما بيان، لكنك لم تقبل الحق، وظللت مصرًا على هذه القاعدة القطبية عددًا من السنوات تجاوز العشر،

=

وليست من الأمور التي يعقد عليها الولاء والبراء، وأنها لم يرد بها آية محكمة أو سُنَّة متبعة... وأنها أمور اصطلح عليها بعضُ أهل العلم ولا مشاحة في الاصطلاح!! أليس في هذا خلخلة للصف وتوهين للاعتقاد وتقليل من شأن التوحيد، فالله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل». اهـ

قلتُ: وإني لأعجبُ أيضًا غاية العجب كيف يقول هذا مَن ينسب نفسه لإمام السُّنة الألباني -رحمه الله-.

وهذا التشويش على تقسيم التوحيد باعتباره اصطلاحيًا مبنيًا على الاجتهاد والنظر -ومن ثمَّ الخلاف فيه معتبر- لا استقرائيًا، يخدم بلا ريب أعداء السُّنة من غلاة التصوف والتجهم الذين أنكروا هذا التقسيم، وشنّعوا بالباطل على أهل السُّنة أنهم أصحاب تثليث، نحو هذا المهزوم: حسن بن علي السقاف، والذي سوَّد أوراقًا سمَّاها بـ«التنديد بمن عدَّد التوحيد... إبطال محاولة التثليث في التوحيد والعقيدة الإسلامية». وقد تصدَّى لفضح باطله الشيخ عبد الرزاق في كتابه المشار إليه آنفًا، وقدَّم لهذا الكتاب العلامة صالح الفوزان بمقدِّمة نفيسة تظهر لك سير الفوزان على سبيل السلف في الشِّدة على أهل البدع، حيث قال عن كتاب السقاف: «وهكذا سجع كسجع الكهَّان، ولم يأتِ في أوراقه هذه إلاَّ بما هو عارٌ عليه، فلو سكتَ لكان خيرًا له وأستر لجهله، ولكن يأبى الله إلاَّ أن يفضح أهل الباطل، وينصر أهل الحق....».

قلت: واعلم -أرشدك الله للصواب- أن هذا التهوين من شأن هذا التقسيم، واعتباره خاضعًا للنظر، يفتح الباب لكل دعيٍّ أن يدَّعي ما شاء من الدعاوى، وإذا أنكر عليه قال: المسألة اجتهادية اصطلاحية وداخلة في الخلاف المعتبر.

واعلم أيضًا أن أول من طعنَ في هذا التقسيم، واعتبر أنواعه متداخلة لا حدود فاصلة بينها، ولا دليل عليها من الكتاب والسُّنة، فلا يعقد عليها ولاء ولا براء: هم القبورية. وانظر في هذا فصلاً هامًا في كتاب «جهود علماء الحنفية في إبطال عقائد القبورية» (١/ ١٧٥ - ٢٨٦) للشيخ شمس الدين السَّلفي الأفغاني -رحمه الله-، حيث قال: «لقد أصيبت القبورية بطامة كبرى... وهي جهلهم بحقيقة توحيد العبادة، وجعلهم إيَّاه مترادفًا لتوحيد الربوبية وعينه، وأنهما شيء واحد بلا تمييز، ولا فرق، كما أصيب بهذا الداء العضال: خلطاؤهم المتكلمون من الماتريدية والأشعرية... إلخ».

قلتُ: ما أشبه الليلة بالبارحة! فكما جعل المتكلِّمون والقبورية توحيد الربوبية هو عين توحيد الألوهية، جعل خوارج العصر -القطبيون- توحيد الحاكمية هو عين توحيد الألوهية، بأن جعلوه أخصّ خصائصه، بل صرَّح مؤسس بدعتهم: سيد قطب أن الألوهية تعني الحاكمية والسلطة، فقال فيما تقدَّم نقله: «دون أن يرفض شرعية الحاكمية... وهي مرادف الألوهية»، وقال: «إن أخص خصائص الألوهية.. الحاكمية... والذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية...».

كما صرَّحت في موضع آخر بقولك: «كيف تحقق هذا النوع من التوحيد؟ أن تجعل الله -عز وجل- هو الحكم في كل دقيق وجليل، وقديمًا من حوالي (١٢) سنة وأنا أشرح في سورة يوسف عند قوله -تبارك وتعالى-: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ قلت كلمة شغَّب عليها بعض الناس إذ لم يفهمها، قلت: (إن توحيد الحاكمية هو من أخص خصائص توحيد الألوهية)، ثم قلت: ولا أقصد بتوحيد الحاكمية الوصول إلى الخلافة العظمى، بل أن تجعل الله -عز وجل- حكمًا عليك في كل دقيق وجليل، وذكرت كلام سفيان الثوري آنذاك: «إن استطعت ألا تحك رأسك إلا بأثر فافعل»، فالله -عز وجل- يحكم لا مُعَقِّب لحُكمه، ولا ينبغي أن ترد له حكمًا قط لا بقوله ولا بما أوحاه على لسان رسوله ﷺ، وقلت: إنَّ المشركين آمنوا بالله ربا وكفروا به إلهًا، طب إيه معنى هذا الكلام؟ معنى هذا الكلام أنهم أبوا أن ينفذوا أوامره -تبارك وتعالى-[1]، وقالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]. ورفضوا وردوا أحكامه -تبارك وتعالى- ... فقولي توحيد الحاكمية أي ينبغي أن تفرد الله -عز وجل- بالحكم في كل شأن من شئون حياتك[2]، وهذا القول لا زلت أعتقده ولا زلت أقوله خلافًا للذين يقولون إن هذا بدعة[3]، وإن من الذي قال إن توحيد الحاكمية هو أخص خصائص أو من أخص خصائص توحيد الألوهية هذا ما فهمته من النصوص وفيه حاجة اسمها توحيد المحبة والرغبة والرهبة لكن التوحيد كله يرجع إلى الأقسام الثلاثة المعروفة التي

---

(١) هذا هو تفسير الخوارج للتوحيد، ومنه ولجوا إلى قاعدتهم البدعية: أنه من ترك طاعة، أو وقع في معصية فقد حكم بغير ما أنزل الله، وردَّ حكمه، ومَن ردَّ حكم الله فقد كفر.
أمَّا أهل السُّنة -السلفيون- فقد فسَّروا توحيد العبادة بأنه صرفُ العبادة لله وحده والفرق بينهما واضح؛ لأنه من الجائز أن يصرف العبد العبادة كلها لله وحده، مع تركه بعض الطاعات ووقوعه في بعض المعاصي، وهذا لا ينقض توحيده، بل ينتقص من إيمانه فحسب.

(٢) لماذا الإصرار على استبدال «العبادة» بـ«الحكم»، والفرق بينهما واضح؟! أيكون هذا إرضاءً لجماهير القطبيين السروريين من الشباب المندفع المغرَّر به المفتونين بكلام آل قطب في الحاكمية؟!

(٣) أرأيت اعترافه باطلاعه على كلام أهل العلم في حكمهم على هذه القاعدة بالبدعة، ثم إصراره على القول بها خلافًا لهم، وموافقة لآل قطب؟!

اصطلح عليها أهل العلم -ولا مشاحة في الاصطلاح- توحيد الألوهية، توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، كل أنواع التوحيد ترجع إلى هذه الثلاثة الكبيرة، لكنني أردت أن أجلي هذا النوع وهو إفراد الله -عز وجل- بالحكم ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ أي ما الحكم إلا له -تبارك وتعالى-». اهـ

قلت: قال أحد المدافعين عن الحويني بعد أن نقل كلامه السابق: «وتبين من كلامه هذا أمور:

١) أنه عنى بتوحيد الحاكمية إفراد الله بالحكم عمومًا، ولم يعني الخلافة وتكفير الحكام كما تربصوا لكلامه.

٢) أنه يدخله في أنواع التوحيد الثلاثة وخصه بتوحيد الألوهية.

٣) أنه لم يجعله نوعًا رابعًا مستقلاً، كما ادعى عليه شانئيه -كذا، والصواب: شانئوه-».

قلت: هذا المدافع وشبهه لم يحرِّروا موضع الإنكار على الحويني، وهو الذي ذكرناه فيما قبل ونلخصه هنا في نقاط ثلاث:

النقطة الأولى: قوله: «إن توحيد الحاكمية هو أخص خصائص أو من أخص خصائص توحيد الألوهية»، وهو ما أكَّده في كلامه السابق بعد مرور ثنتي عشر سنة على تصريحه الأول بهذا الشعار، وهي مقولة محدثة ما عرفها السلف.

النقطة الثانية: ادعاؤه أن الرسول ﷺ قاتل المشركين؛ لأنهم أبوا أن يكون الله حاكمًا عليهم، وهذا تحريفٌ لمعنى التوحيد، ولحقيقة الصراع مع المشركين.

النقطة الثالثة: قوله: «إن توحيد الإلهية نمرة واحد فيه توحيد الحاكمية، فهذا اجتهاد مني، وإلا فتوحيد الحاكمية قطعًا داخل في توحيد الإلهية، مافيش كلام إذا اختلفنا في مسألة الترتيب، هو قال المحبة الأول أو العبادة الأول والحاكمية رقم ثلاثة، أنا أقول: الحاكمية خلتها رقم واحد، والمحبة رقم اثنين، ما اختلفناش ما خرجناش في النهاية، المسألة كلها مسألة ترتيب»، وهذا فيه تهوين من التقسيم الاستقرائي الذي اتفق عليه أئمة السُّنة.

فليس موضع الإنكار على الحويني أنه قصد بهذا المعنى الوصول إلى الخلافة العظمى أو تكفير الحكَّام، أو أنه جعل الحاكمية توحيدًا رابعًا!.

إنَّما مسألة تكفير الحُكَّام والخروج تنتج عن هذه القاعدة البدعية، فهي تبع لها، سواء قصدها الحويني أم لا.

وسبحان الله! لقد كرّر الحويني هنا ما صنعه في مسألة المصر على المعصية، حيث شغَّب هناك حول موضع الإنكار عليه، بأن صرف أذهان المستمعين إلى أمر آخر لم ينكر عليه، وهو ادعاؤه أنه لا يكفر بالكبيرة، وموضع الإنكار عليه هو تكفيره المصر على الكبيرة، لا تكفير فاعل الكبيرة دون إصرار، وكذلك هنا يصرف أذهان المستمعين إلى شيء آخر لم ينكر عليه، وهو أنه رفع شعار الحاكمية من أجل الوصول إلى الخلافة العظمى أو أنه جعله توحيدًا رابعًا، وإنما المستنكر عليه أمور أخرى وهي التي ذكرناها في النقاط الثلاث.

وأقول: إن ادعاءه أن قوله بهذه القاعدة: «إن الحاكمية أخص خصائص الإلهية»، جاء من فهمه الخاص للنصوص، فيه تمويه، يحاول به أن يبعد عن نفسه تهمة تأثره بسيد قطب وأخيه محمد قطب في هذا الباب، وإلا فإن الظاهر أنه ما أخذ هذه القاعدة المحدثة إلاَّ من كتبهما، ومِن كُتب مَن تأثَّر بهما.

فالإنكار على الحويني ليس في مجرد استخدامه لمصطلح «الحاكمية»، بل لاعتماده هذه القاعدة، والتي هي الأصل الذي اعتمد عليه خوارج العصر الذين أتوا بعد سيد في تكفير حكَّام المسلمين دون اعتماد تفصيل السلف الصالح؛ حيث إنه إذا كان «توحيد الحاكمية» هو أخص خصائص توحيد الإلهية، فبلا شك من ترك الحكم بغير ما أنزل الله -ولو في مسألة واحدة- فقد ترك أخص خصائص التوحيد، ومن ترك أخص خصائص التوحيد، كيف يكون مسلمًا؟!

وكذلك الإنكار عليه، في تحريفه لمعنى الإله بالحاكم، وتحريفه دعوة النبي ﷺ، حيث جعل محور الصراع بينه وبين المشركين: هذه الحاكمية، وهذا ما قال به أحدٌ قط من أسلافنا الصالحين على حدّ علمنا، والواجب على طالب العلم أن يقف عند كلام الأئمة السابقين في هذه القضايا الخطيرة التي تمس أصول الدين، خاصة إذا علم أن كلامه هذا مشابه لكلام رأس من رءوس البدعة، ألا وهو سيد قطب، مِمَّا اضطر الناقدين له إلى إلحاقه به.

وأما مسألة تقسيم التوحيد فإن كلامه فيها مضطرب، ففحوى بعض كلامه تشعر أنه يرى أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام أمر اصطلاحي غير ملزم، وعليه يحق لأي أحد أن يزيد أو ينقص فيه حسب اجتهاده، ومن ثَمَّ نُقلت عنه هذه العبارة التي ذكر فيها أن التوحيد عشرة أقسام، وفي كلامه السابق صرَّح بأن مرد أنواع التوحيد كلها إلى الأقسام الثلاثة.

ونحن نسأل الحويني والقطبيين: لماذا هذا الإصرار على مسألة توحيد الحاكمية، وأنه أخص خصائص توحيد الإلهية، وتضخيم الأمر بهذه الصورة؟

وقد يكون جوابه -كما هو معهود عنهم- ما يلي: «إنما قلنا بهذا؛ لتقاعس سائر المسلمين والحكومات والحكّام عن الحكم بما أنزل الله، فوضعنا هذه القاعدة تنبيهًا لأهمية توحيد الحاكمية، وتنبيهًا على ضرورة تحكيم شرع الله -عز وجل-».

والجواب عن هذه الشبهة، أن نقول:

أوكلُّما أهمل الناس شيئًا من دين الله أفردنا له توحيدًا؟! فكثير من المسلمين يتقاعسون عن الصلاة، فهل نقول: توحيد الصلاة؟!

والذين يتقاعسون أكثر ما يتقاعسون من جملة الصلاة عن صلاة الفجر، فهل نقول: توحيد صلاة الفجر؟!

وكثير من المسلمين يتركون الزكاة، فهل نقول: توحيد الزكاة؟!

وكثير من المسلمين يتركون شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهل نقول: توحيد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟!... إلخ.

فإذا سرنا على هذا المنوال، فلن ننتهي أبدًا[(١)]، لكن التقسيم الثنائي[(٢)]، أو الثلاثي[(٣)] الذي اصطلح عليه العلماء شامل لأصول الدين وشعائره، المهمل وغير المهمل، المتمسَّك

---

(١) وبهذا نفهم لماذا قال الحويني: إن التوحيد أكثر من ثلاثة أقسام.

(٢) أي تقسيم التوحيد إلى: ١] توحيد المعرفة والإثبات. ٢] توحيد القصد والطلب.

(٣) أي تقسيم التوحيد إلى: ١] توحيد الربوبية. ٢] توحيد الإلهية أو العبادة. ٣] توحيد الأسماء والصفات. ومرد التقسيم الثلاثي إلى الثنائي، فلا اختلاف بينهما، وكلاهما من قول أهل السُّنة.

به وغير المتمسّك به، ولا نقول المهم وغير المهم؛ لأن الدين كلّه مهم، فليس في الدين قشور، فلا داع إذن أن نقول توحيد الحاكمية؛ لأن الناس تقاعسوا عن الحكم بغير ما أنزل الله في كثير من شئونهم؟! أوكلّما تقاعس الناس عن شيء جعلنا له توحيدًا مستقلاً.

والذي يظهر أن أغلب الذين جعلوا: «توحيد الحاكمية»، قسمًا رابعًا -أو منفصلاً عن الأقسام الأخرى-، أو جعلوه أخص خصائص توحيد الإلهية، إنما أرادوا بهذا الوصول إلى تكفير الحكام أولاً، والغلاة منهم أرادوا كذلك تكفير المتحاكمين من عامة المسلمين[1]، فأرادوا صياغة مرادهم في قاعدة علمية مقبولة لأجل إقناع أتباعهم بصحة ما هم عليه، حيث إنهم إذا جعلوا الحاكمية توحيدًا مستقلاً، أو قالوا هي أخص خصائص التوحيد، فبالتالي، كل من لم يحكم بما أنزل الله سواء كان مستحلاً أو غير مستحل فهو تارك للتوحيد، ومن ترك التوحيد فقد كفر.

وحتى نزداد يقينًا أن الحويني لا يسير على سبيل أكابر أئمة السنة في هذا الزمان في مسألة «الحاكمية»، فسوف ننقل لكم شيئًا من فتاواهم في هذه المسألة، لندرك البون الشاسع بين الحويني وبين علماء السنة حقًّا، وعلى رأسهم العلامة الألباني -رحمه الله-، والذي خالفه الحويني في عدة مسائل من أصول المنهج والاعتقاد، ورغم هذا ما زال حتى الآن يتشدق المتعصّبون -خداعًا للسُّذَّج- بأنه خليفة الألباني، وامتداده:

○ أولاً: فتاوى الإمام المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-:

سئل الشيخ -رحمه الله-: ذكر علماء السلف -رحمة الله عليهم- أنَّ التوحيد أنواع ثلاثة: ربوبية، وألوهية، وأسماء وصفات، فهل يصح أن نقول بأن هناك توحيدًا رابعًا هو توحيد الحاكمية أو توحيد الحكم؟

فأجاب -رحمه الله-: لا يصح، أَبْشِر، لا يصح، ولكن الرد ما بيكون بهذا الجواب، الحاكمية فرع من فروع توحيد الألوهية[2]، والذين يُدندنون بهذه الكلمة المُحْدَثَة في العصر

(١) كما هو حال سيد قطب.

(٢) وفرق بين أن تكون الحاكمية -على المعنى الصحيح- فرعًا، وبين أن تكون أخص خصائص التوحيد؛ فانتبه!.

الحاضر يتخذونها سلاحًا، ليس لتعليم المسلمين التوحيد الذي جاء به الأنبياء والرسل كلهم، **وإنَّما سلاحًا سياسيًّا...**

أنا قلت في مثل هذه المناسبة تأييدًا لِما قلته آنفًا أن استعمال كلمة الحاكمية هو من تمام الدعوة السياسية التي يختص بها بعض الأحزاب القائمة اليوم، وأذكّر بهذه المناسبة بقصة وقعت بيني وبين أحد الخطباء في مسجد من مساجد دمشق، يوم الجمعة خطب خطبته كلها حول الحاكمية لله -عز وجل-، أخطأ هذا الإنسان في مسألة فقهية، لمَّا انتهى من صلاة الجمعة تقدمت إليه وسلَّمت عليه وقلت له: «يا أخي أنت فعلت كذا وكذا، وهذا خلاف السنة»، قال لي: «أنا حنفي! والمذهب الحنفي يقول بما فعلته»، قلت: «سبحان الله! أنت خطبتَ أن الحاكمية جميعًا لوجه الله، **أنتم تستعملون هذه الكلمة فقط لمحاربة من تظنون من الحكام أنهم كُفَّار**، لأنهم لا يحكمون بالشريعة الإسلامية، ونسيتم أنفسكم أن هذه الحاكمية تشمل كل شيء، فلماذا أنت الآن أنا أذكر لك أن الرسول فعل كذا وأنت تقول أنا مذهبي كذا؟! أنت خالفت ما تدعوا الناس إليه!»، فنحن لولا أنهم اتخذوا هذه الكلمة وسيلة للدعاية السياسية عندهم، نحن نقول: هذه بضاعتنا ردت إلينا! نحن الدعوة التي ندعوا الناس إليها فيها الحاكمية وفيها غير الحاكمية، توحيد الألوهية وتوحيد العبادة يدخل فيها ما تدندنون أنتم حوله، ونحن الذين نشرنا ما تذكرونه حينما تدندنون حول الحاكمية، حديث حذيفة بن اليمان أن النبي -عليه الصلاة والسلام- لما قرأ على الصحابة الكرام هذه الآية: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١]. قال عدي ابن حاتم قال: والله يا رسول الله ما اتخذناهم أربابًا من دون الله! قال: «**ألستم كنتم إذا حرَّموا لكم حلالاً** حرمتموه، **وإذا حلَّلوا لكم حرامًا حللتموه**؟» قال: أما هذا فقد كان! قال: «**فذاك اتخاذكم إياهم أربابًا من دون الله**»، نحن الذين نشرنا هذا الحديث، ووصل هذا إلى الآخرين، **ثم طوروا جزءًا من توحيد الألوهية أو العبادة بهذا العنوان الحديث المبتدَع لغرض سياسي.**

أنا لا أرى شيئًا في الاصطلاح هذا لولا أنهم وقفوا عنده دعاية ولم يعملوا بمقتضاه، وهو كما ذكرت آنفًا جزء من توحيد العبادة، بعضهم يعبدون الله كيفما اتفق لأحدهم وإذا

قيل كما ذكرنا آنفًا في قصتنا مع الخطيب: هذا العمل خلاف السنة، هذا خلاف قول الرسول عليه السلام، قال: «أنا مذهبي كذا!» الحاكمية ليست فقط ضد الكفّار والمشركين، بل وضد المتعبدين أيضًا الذين يتعبدون الله بخلاف ما جاء به الله في كتابه أو نبيه -عليه الصلاة والسلام- في سنته». اهـ

وسئل أيضًا: عندنا كثير من الإخوة عندهم تركيز شديد على الحاكمية، والتهوين من شأن الشرك الأكبر شرك القبور والأضرحة، ويسمونه شركًا ساذجًا بدائيًّا، وأخذوا هذا عن دعاتِهم، فيقولوا: «لو كان الأنبياء أو المصلحون إلى يوم القيامة يحاربون من ألوان الشرك المناقض لكلمة لا إله إلا الله ما يتعلق بالأوضاع الشعبية فقط لَمَا تعرض لهم أحد، ولَمَا وقف في وجوههم إلا القليل»، ما تعليقكم[1]؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: ما شاء الله! تعليقي هو: تعرض الناس للداعية ليس هدفًا، وليس قصدًا، وإنما القصد هو تبليغ الدعوة إلى الناس، فإن استجابوا فيها ونعمت، وإن لم يستجيبوا فتلك سنن الذين من قبلهم، فكلمتهم هذه تشعر السامع لها أن الدين يأمر بأن يتكلف الإنسان أن يكون مصادمًا من الآخرين ومعارضًا، أنت اليوم مثلاً إذا دعيت للتوحيد ما أحد يخالفك، أما إذا اشتغلت بالسياسة فيخالفوك، ويعادوك، ويسجنوك، وو... إلى آخره، **هذا أكبر دليل أن الجماعات ككثير من أفراد الإخوان المسلمين يهرفون بما لا يعرفون، ويتلفظون بما لا يعلمون[2].**

لقد سُئِلت أكثر من مرة أن رئيس الإخوان المسلمين في الجزائر يقول: «لو كان الرسول -عليه السلام- اليوم في هذا العصر لَلَبِس الجاكيت والبنطلون وعقد الكرافيت..»!! فالإنسان إذا تكلَّم بجهل فلا يقف أمام جهله شيء، وهذا الكلام من هذا القبيل.

الخلاصة: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن، هذا هو المقصود، ولقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة، ورسول الله خوطب بقوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فالأنبياء كلهم بدءوا بدعوة التوحيد.

---

(١) سلسلة الهدى والنور (٧٨٤).

(٢) احفظ هذا القول للإمام الألباني، وأضفه إلى أقواله في التحذير من منهج حزب الإخوان.

وأنا أقول: نوح -عليه السلام- الذي لبث في قومه بنص القرآن ألف سنة إلا خمسين عامًا، شو سوّى بهذه السنين؟ بس! فأصحاب الكلام هذا لو كانوا يعرفون ما يتكلمون به لكفروا وخرجوا عن الملة، لأنهم يُخَطِّئون الأنبياء بعامة، ونوح -عليه السلام- بخاصة، لأنه تميز عن سائر الأنبياء بأن بارك الله -عز وجل- في عمره، فلبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا.

نحن نعلم أن الشرائع التي تقدمت شريعة الإسلام لم يكن فيها هذا الفقه الواسع الذي يشمل شئون الحياة كلها، كان فقهًا يعني مبسطًا، ولذلك فنوح -عليه السلام- حينما أقام هذا الأمد الطويل المجيد المبارك إنما كان همُّه أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت، فهذا الكلام ينافي هذا الكلام، ولذلك فهم جهلة بالمرة، **وهم يسلكون الآن سَنن الإخوان المسلمين الذين سيمضي عليهم قرن من الزمان وهم لم يقدموا للإسلام شيئًا سوى الهتافات والصياحات، وهم على النظام العسكري: «مكانك رايح»، لا يتقدمون إطلاقًا**[1]، لذلك لا يبالى بكلام هؤلاء». اهـ

وقال -رحمه الله- في رسالة «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام»:

«ومن عجائب بعض الدعاة أنهم يهتمون بما لا يستطيعون القيام به من الأمور، ويَدّعون ما هو واجب عليهم وميسور! وذلك بمجاهدة أنفسهم كما قال ذلك الداعية المسلم، الذي أوصى أتباعه بقوله: «أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم لكم في أرضكم»، ومع ذلك فنحن نجد كثيرًا من أتباعه يخالفون ذلك، جاعلين جُلَّ دعوتهم إلى إفراد الله -عز وجل- بالحكم، ويعبرون عن ذلك بالعبارة المعروفة: «الحاكمية لله»، ولا شك بأن الحكم لله وحده، ولا شريك له في ذلك ولا في غيره، ولكنهم، منهم من يقلد مذهبًا من المذاهب الأربعة، ثم يقول -عندما تأتيه السنة الصريحة الصحيحة-: هذا خلاف مذهبي! فأين الحكم بما أنزل الله في اتباع السنة؟! ومنهم من تجده يعبد الله على الطرق الصوفية! فأين الحكم بما أنزل الله بالتوحيد؟! فهم يطالبون غيرهم بما لا يطالبون به أنفسهم، إن من السهل جدًّا

---

(١) هذا هو حكم الإمام الألباني على حزب الإخوان، فاعتبروا يا أولي الأبصار.

أن تطبق الحكم بما أنزل الله في عقيدتك، في عبادتك، في سلوكك، في دارك، في تربية أبنائك، في بيعك، في شرائك، بينما من الصعب جدًا، أن تجبر أو تزيل ذلك الحاكم الذي يحكم في كثير من أحكامه بغير ما أنزل الله؛ فلماذا تترك الميسر إلى المعسر؟! هذا يدل على أحد شيئين: إما أن يكون هناك سوء تربية، وسوء توجيه، وإما أن يكون هناك سوء عقيدة تدفعهم وتصرفهم إلى الاهتمام بما لا يستطيعون تحقيقه عن الاهتمام بما هو داخل في استطاعتهم، فأما اليوم فلا أرى إلا الاشتغال كل الاشتغال بالتصفية والتربية ودعوة الناس إلى صحيح العقيدة والعبادة، كل في حدود استطاعته، ولا يكلف الله نفسًا إلا وسعها، والحمد لله رب العالمين». اهـ

وسئل أيضًا -رحمه الله-: وهذه القضايا المنهجية -الحقيقة- خرج علينا بعض إخوان بها كأنها أصول أو قواعد جديدة، كما سمعنا من بعض إخواننا مِمَّن اتصلوا بنا أو كتبوا لنا، قالوا بعض من يقول أو اصطلح اصطلاحًا جديدًا بما يُسَمَّى «توحيد الحاكمية» مثلاً، فهذا النوع من التوحيد ما عرف لا في الأولين ولا في السابقين ولا في اللاحقين من بعدهم، حتى خرج علينا بعض هؤلاء الإخوان كما خرجوا علينا ببعض الآراء التي سبق أن أجبتم على كثير منها، فنريد أن تشيروا -جزاكم الله خيرًا- إلى هذه المحدثة الجديدة أو البدعة الجديدة التي يدَّعي بعض إخواننا بأنهم إنما يقربون ويسددون بتقريب مثل هذه المصطلحات الجديدة قياسًا على ما فعل بعض الأسلاف من قبل، وجزاكم الله خيرًا[1]؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: أنا أقول بعد الحمد لله والصلاة على رسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: في اعتقادي يا أستاذي الكريم أن ما كنت في صدده من الإشارة إلى أنواع العلماء وتقسيمهم إلى تلك الأقسام، تنويرًا لسبيل عامة المسلمين أن لا يقعوا في الحيرة، فبالأولي والأحرى أن يكون ذلك البيان تنويرًا لسبيل طلاب العلم حول ما جاء في سؤالك المفروق آنفًا.

---

(١) من شريط «لقاء مع شباب صباح السالم من الكويت» بتاريخ ١٤ صفر ١٤١٨هـ، الموافق (١٩٩٧/٦/١٩).

أنا أقول على ضوء ما سبق من البيان يمكن ربط الجواب عن السؤال الأخير، وهو: يكفي أن يعلم إخواننا وانطلاقًا من التفصيل السابق في أنواع العلماء وأقسامهم، يكفي أن يعلموا أن هذه المصطلحات هي مصطلحات حادثة، ولا يعرفها الخلف فضلاً عن السلف.

وأقول: هذه المصطلحات كـ«الحاكمية» يكفي لهؤلاء الشباب أن ينتبهوا لتلك الفروق بين العلماء في السن في العلم، في الصلاح والعمل، وبالطبع يدخل في هذا أن لا يكون العالم يقصد الظهور يقصد الشهرة إلى آخره، هذا ينافي أن يكونوا من العلماء الصالحين، فإذا لحظنا هذه الأقسام المذكورة وتذكرنا أن مثل هذا المصطلح ومثله كثير مثل فقه الواقع مثلاً الذي كنا كتبنا رسالة صغيرة -كما تعلمون- حول فقه الواقع، **كل هذه المصطلحات هي في اعتقادي بدع سياسية، ليست بدع سياسية شرعية، وإنما هي بدع عصرية لتجميع الناس وتكتيلهم.**

هذا التجميع والتكتيل الذي هو من طبيعة بعض الجماعات المعروفة، ولا نفشي سرًا إذا قلنا هم الإخوان المسلمون، مثلاً هؤلاء من منهجهم قولاً: «جَمِّع ثم ثقِّف»، فعلاً: جَمِّع ثم دع كُلاً على ضلاله كُلاً على مذهبه، لأنكم تعلمون أنهم لا يتحاشون إطلاقًا أن يجمعوا بين الخلفي والسلفي، بين الصوفي والمحارب للتصوف، بين السني وبين الشيعي، هذا على أساس جَمِّع ثم ثقف، لا شيء من الثقافة، ودليل على هذا أنه كاد يمضي على دعوتهم التي يسمونها أيضًا تسميه سياسية بالدعوة الحركية، أما نحن دعوتنا فهي جامدة، وأنا أتشرف بأنني رجعي رقم واحد، واقتداءً بعبدالله بن مسعود: «عليكم بالأمر العتيق»، فنحن نرجع إلى الأمر العتيق.

الشاهد: هذه المصطلحات هي بدع سياسية، ليس المقصود بها كواقع أما النوايا فنحن ندعوهم إلى الله -عز وجل-، أما كواقع لم نر قرابة هذا القرن تقريبًا كما قلنا من هذه الجماعة عالمًا، بل لم نَرَ فيهم عالِمًا فردًا، وكان من المفروض أنهم لو كانوا صادقين في قولهم: «جَمِّع ثم ثقف» أن يوجدوا لنا -إذا صح التعبير هذا والمجاز واسع- أن يوجدوا لنا علماء في الحديث، في الأصول، في الفقه، هذا الزمن كله كان أكمل مساعد، لكنهم

يدندنون ويتحركون على النظام العسكري «مكانك رايح»، يعني فيه حركة لكن ما فيه تقدم «مكانك رايح»..

لكني أريد أن أقول شيئا إنصافًا للحق: كلمة «الحاكمية لله» من حيث المقصود هي تدخل في قسم من الأقسام الثلاثة المصطلحة بين العلماء، لكن مِمَّا يدل على أنهم استعملوا هذا الاسم المبتدع لغرض سياسي مادي وليس بديني أنهم لا يهتمون بجماهير الأمة التي أكثرها كما قال رب المسلمين في القرآن الكريم: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦]. نحن نجد المسلمون اليوم -مع الأسف- لا أعني غير المسلمين من اليهود والنصارى والوثنيين، وإنما نجد المسلمين الذين يشهدون معنا ويقولون معنا: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»، يصدق مع الأسف الشديد على الكثير منهم تلك الآية السابقة: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾، **ماذا فعل هؤلاء الذين أحدثوا بدعة الحاكمية؟!** تركوا هؤلاء الجماهير في ضلالهم يعمهون، واهتموا بحاكم واحد، خمسة، عشرة، عشرين، يكون مائة يكون مائة تركتم الملايين المملينة في ضلالهم يعمهون، ما عدتم تهتمون بهم، وهم الذين يذكرون الحديث الضعيف رواية والصحيح معنىً: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، هم يذكرون هذا الحديث، أين الاهتمام بأمر المسلمين؟ يهتمون بأفراد قليلين، نحن نقول أنهم من المسلمين، أما حسابهم عند رب العالمين.

فهذه الكلمة إذن خطرة جدًّا؛ لأنها صرفت ليس هؤلاء الدعاة فقط الذين كانوا من قبل على الصراط المستقيم كما ذكرنا آنفًا، بل وجرفوا معهم جماهير من الشباب المسلم الذين كانوا سالكين الطريق المستقيم أو كانوا على الأقل على وشك السلوك في هذا الطريق المستقيم، وإذا بهم يدعون هؤلاء الذين كانوا على وشك أن يسيروا معهم في الصراط المستقيم، لكنهم زادوا ضلالاً وانحرافًا أنهم جروا أيضًا أولئك الذين كانوا سالكين معهم، ليس الذين كانوا على وشك السلوك؛ بل أولئك الذين كانوا سالكين معهم؛ فأصبحوا لا يهتمون بمعرفة الأحكام الشرعية بأدلتها الشرعية أيضًا فضلاً أن يهتموا بأن يدعوا من حواليهم ممن لا يسمعون الدعوة من النساء والعجائز ونحو ذلك، وأصبحوا في واد، والصراط المستقيم في واد واحد.

قال السائل: في واد آخر. اهـ

***

○ **ثانيًا: فتاوى الإمام العلاّمة عبدالعزيز بن باز -رحمه الله-:**

سئل الشيخ -رحمه الله-: هناك من الناس من يقول: «أنتم تُضَيّعون أوقاتكم في بيان الشرك القديم، وهو: التوسل بالقبور، والاستغاثة بهم، وتَنسَون الشرك الحديث: شرك الحاكمية، أو شرك الحكّام»، والأَوْلى عنده الاشتغال بتكفير الحكام، والعمل على الخروج عليهم، أَوْلَى من العمل على الدعوة في هذه الأيام، فما قولكم؟

فأجاب -رحمه الله-: هذا غلط؛ الأَوْلى تصحيح عقائد الناس، وتبصيرهم، تُبيِّن لهم حقيقة الشرك، وحقيقة الكفر من جهة الوثنية، ومن جهة الشيوعية، ومن جهة الإباحية، أما الخروج على السلاطين فهذا من شأن الخوارج، ومن شأن المعتزلة، هذا شأنهم... ما لهم هَمّ إلا الخروج على السلاطين، لا الواجب تصحيح أحوال الناس من الحكام وغير الحكام، تصحيح أحوالهم، دعوتهم إلى الله، ونصيحتهم، نصيحة العامة، وبيان حقيقة الإسلام لهم، والخروج إيش ينفع؟ غير القتل والفساد، يخرجونهم ضعفاء، يَقتلون ويُقتلون...

السائل: طيب، ما هي نصيحتك لهؤلاء الشباب؟

الشيخ: نصيحتي لهم أن يتفقهوا في الدين، ويُفَقِّهوا الناس، ولا شأن لهم بالخروج على السلاطين؛ لأن هذا معناه أن تموت الدعوة، ويقضي عليهم هُم السلاطين وهم قليل يقضون عليهم، فإذا قتلوهم، وأبادوهم: قضوا على الدعوة، الواجب عليهم أن يشتغلوا بالدعوة والتوجيه والإرشاد، وأن يتفقهوا هم الأول! هم أيضًا يتفقهون حتى يكونوا على بَيِّنة، على بصيرة، ما يكون هَمُّهم سَبُّ السلطان، وسَبّ الحكام، والاشتغال بتكفيرهم، هذا يُفْضِي إلى شر كبير وخطر عظيم؛ القضاء على الدعوة وعلى الشباب الحامل لها، الواجب أن يُعْنَوا بالتفقه في الدين، والدعوة إلى الله، والإرشاد إليه، وتفقيه العامة، ونصح ولاة الأمور بالمكاتبات، لعل الله يهديهم ويهدي بهم، هذا هو الطريق السوي»[1]. اهـ

---

(١) قال الشيخ فلاح بن إسماعيل -حفظه الله-: «وأذكرُ جلسةً لي وبعضُ الإخوة مع شيخنا الإمام ابن باز -رحمه الله- في مقر الجمعية في الحج، فتذاكر معه الإخوان مسألة توحيد الحاكمية، وهجر الناس لهذا =

○ **ثالثًا: فتاوى الإمام العلاّمة محمد صالح العثيمين -رحمه الله-:**

سئل -رحمه الله- كما في (شريط رقم [١٥٠ أ] من لقاء الباب المفتوح): أحسن الله إليكم، ما تقول -عفا الله عنك- فيمن أضاف للتوحيد قسمًا رابعًا سماه توحيد الحاكمية؟

فأجاب -رحمه الله-: «نقول إنه ضال، وهو جاهل؛ لأن توحيد الحاكمية هو توحيد الله -عز وجل-؛ فالحاكم هو الله -عز وجل-[1]، فإذا قلت: التوحيد ثلاثة أنواع -كما قال العلماء-: توحيد الربوبية: فإنَّ توحيد الحاكمية داخل في الربوبية؛ لأن توحيد الربوبية هو توحيد الحكم، والخلق، والتدبير، لله -عز وجل-.

=

الأصل، فكان من جوابه -رحمه الله-: «لا يلزم من ترك الناس أمرًا من الدين أن يجعل قسيمًا للأقسام الاستقرائية للتوحيد»، وقال: «فمثلاً، إن الناس يكثر منهم ترك الصلاة والجماعة، فلا يُقال: توحيد الصلاة؛ فإن مثل هذا سيفتح الباب أمام من يقول توحيد الزكاة، والصيام وغيره.

والأصل وجوب احترام الاستقراء، وعدم الاجتهاد في هذا الباب، والحاكمية داخلة في الربوبية باعتبار أن حق الحكم والتحليل والتحريم والتشريع لله تعالى وحده، ولا حق لأحد سواه في هذا، وذكر حديث عدي بن حاتم في قول الله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ...﴾ [التوبة: ٣١].

ويدخل في الألوهية باعتبار وجوب التحاكم والامتثال لما حكم الله به، فعلى الخلق والعباد أن يمتثلوا ويطيعوا ويخضعوا للأمر والنهي والحكم والتحليل والتحريم والتشريع». انتهى كلامه بتصرف يسير جدًا.

ثم تحدثنا معه عن أقوال عبد الرحمن عبد الخالق -في هذه وغيرها- فقال -رحمه الله-: «نعم لقد كتب إليَّ، وأرسلَ إليَّ ما كتبه وقد نصحته، وطلبتُ منه أن يرجع وأن يُعلن رجوعه في الجرائد الكويتية (ومنها مسألة الحاكمية والتقسيم الرباعي للتوحيد)، فسألنا -رحمه الله- هل فعل؟ هل نشر؟ وطبعًا الجواب كان سلبًا، فقال: هداه الله، اصبروا عليه، ونصبر عليه.

وعبد الرحمن انتظر حتى مات الشيخ فطبع رسائله دون ملحوظات وتصويبات الشيخ، وهذه عادتهم، مع أنه كان يزعم أنه لا يذكر أنه خالف أو يخالف الشيخ ابن باز ولا في مسألة واحدة طيلة حياته؟!

(١) هذا من باب الإخبار عن الله، بأنه سبحانه له الحكم وحده، وليس من باب تسمية الله بـ(الحاكم)، وباب الإخبار أوسع من باب التسمية، كما قرَّره الشيخ -رحمه الله- في «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى». ومن يراجع الأسماء التسعة والتسعين التي عدَّها الشيخ ابن عثيمين كما في كتابه «القواعد المثلى» يجد أنه لم يذكر من ضمنها «الحاكم».

وهذا قولٌ مُحْدَث، مُنْكَر، وكيف توحيد الحاكمية؟! ما يمكن أن تُوَحِّدها! هل معناه أن يكون حاكم الدنيا كلها واحدًا؟! أم ماذا؟! **فهذا قولٌ مُحْدَث مُبْتَدَع مُنْكَر، يُنْكَر على صاحبه،** ويُقال له: إن أردت الحكم، فالحكم لله وحده، والله -سبحانه وتعالى-، **وهو داخل في توحيد الربوبية**، لأن الرب هو الخالق، المالك، المُدَبِّر للأمور كلها، فهذه بدعةٌ وضلالة». اهـ

وقال -رحمه الله- كما في (شريط رقم [٩ أ] من فتاوى الحرم المكي ١٤١٨هـ):

«وآخر جاء قال: التوحيد أربعة أقسام... قال: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، و«توحيد الحاكمية»، وهذه الزيادة تعتبر قصورًا، فانظر كيف زاد، ولكنه نقص، كيف زاد ونقص؟ نقول: الحاكمية، هي باعتبار الحكم من الخالق من قسم أيش؟ من قسم توحيد الربوبية، وهي باعتبار التزامها من المخلوق من توحيد الألوهية، إذن ما خَرَجَت عن الأقسام الثلاثة، فلماذا هؤلاء نصُّوا عليها؟ قد يكون الذي وضعها له هدف، ما تتكلم في النيات، النيات علمها عند الله، قد يكون له هدف آخر وهو منازعة الحكام في حكمهم؛ لأن الحكم يجب أن يكون لله الواحد القهار، وهذا .. نعم! نقول: يجب أن يكون الحكم لمن؟ لله الواحد القهار، لكن هذا داخل باعتباره من الخالق داخل في أيش؟ في توحيد الربوبية، باعتباره من المخلوق الذي يجب عليه أن يخضع في توحيد الألوهية، إذن لا حاجة للنص عليه.

قال آخر: هناك قسم رابع، ما هو؟ قال: «توحيد المتابعة»، بأن لا تتبع إلا محمد ﷺ، نقول: نعم! والله هذا على العين والرأس، هذا توحيد المتابعة لا بد منه، لكن هل هذا باعتبار الخالق أو باعتبار الرسول؟ باعتبار الرسول، هذا قسم مستقل، ولا شك أنه يجب علينا أن نجرد اتباعنا لمن؟ للرسول -عليه الصلاة والسلام-، وأن لا نعدل بهديه هدي أي أحد، وأن لا نعدل بقوله قول أي أحد، وأنه إذا جاءنا النص عن رسول الله ﷺ نعتبره كما لو جاء من نص في القرآن[1]». اهـ

---

(١) قال فضيلة الشيخ حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «لأن الرسول ﷺ قال: «أوتيتُ القرآن ومثله معه»، ومن الآيات التي توجه المسلمين إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ =

وقـال -رحمه الله- أيضًا كما في (شريط رقـم [١ أ] من شرح القواعد المثلى): «زاد بعضهم «توحيد الحاكمية» وهذه الزيادة غلط، زيادة زائدة في الواقع، توحيد الحاكمية هي من وجه داخلة في توحيد الربوبية، ومن وجه آخر داخلة في توحيد الألوهية، فمن جهة أن الله هو الحاكم وحده تدخل في أيش؟ توحيد الربوبية، ومن جهة أنه يجب على العباد أن ينفذوا أحكام الله... في توحيد الألوهية، ولا حاجة لذلك، لكن أصلها -والله أعلم- **أن قومًا ابتدعوها من أجل مناقشة الحكام والولاة، فيقول مثلاً: أنتم إذا حكمتم بالقوانين فإنكم أخللتم بالتوحيد، توحيد أيش؟** الحاكمية على المعنى، ونحن نقول: لا حاجة لذلك، هم أَخَلُّوا بتوحيد الربوبية، أو بتوحيد الألوهية، فبالنظر إلى أن الله تعالى هو الذي له الحكم أَخَلُّوا بتوحيد الربوبية، وبالنظر إلى وجوب تنفيذ أحكامه أَخَلُّوا بتوحيد الألوهية.

زاد بعضهم شيء آخر قال: «توحيد المتابعة»، هذا غلط أشد من الأول! توحيد المتابعة لا يتعلق بتوحيد الله؛ لأنه يتعلق بالنبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- ألا نتابع أحدًا سواه، وعليه فلا حاجة لذكره؛ لأن اتباعنا لرسول الله -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- من توحيد الألوهية بالنسبة لله، أما بالنسبة للرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فنعم، يجب علينا أن نوحده بالمتابعة، وألا نسلك طريقًا سوى طريقه، لأن كل بدعة ضلالة.

فلنستقر، ولنطمئن أنفسنا، على أن أقسام التوحيد ثلاثة، دلَّ عليها القرآن، وكاد يجمع عليها أهل العلم: توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وتوحيد الأسماء والصفات». اهـ

○ **رابعًا: فتاوى الشيخ العلامة صالح الفوزان -حفظه الله-:**

سئل -حفظه الله-: **يا شيخ هناك بعض الناس من جعل للتوحيد قسمًا رابعًا أسماه توحيد الحاكمية؟**

فأجاب -رحمه الله-: هو ضال، هذا ضلال، هذا ضلال، وزيادة عمَّا قرره أهل العلم أن التوحيد نوعان أو ثلاثة أنواع، هذا ضلال، وبعض الناس يقول التوحيد نوع واحد فقط... كله ضلال..

=

[النساء: ٨٠]. وقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [آل عمران: ٣١]. لكن لا داعي لزيادة هذا القسم؛ لأنه داخلٌ في أنواع التوحيد الثلاثة».



السائل: يا شيخ يَحتجّ بأن أصل التوحيد..؟

الشيخ: إيش يبغي من جَعْل الحاكمية قسمًا مستقلاً؟! [هي] تدخل في توحيد الألوهية، داخلة في توحيد الألوهية، هو نوع من العبادة، نوع من التعبد لله -عز وجل-.

السائل: زعموا أن تقسيم الأقسام الثلاثة للتوحيد: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات، فيقول هذا أمر فيه يعني عن طريق الاجتهاد، اجتهاد العلماء، عن طريق الاستقراء...؟

الشيخ: يكفيه اجتهادهم، ما نزيد على ما أجمعوا عليه، أجمعوا على .. يأتي واحد جاهل في القرن العشرين، ويقول أنا مجتهد، ويزود على ما أجمع عليه أهل العلم، هذا ضلال! هذا خطأ واضح، لأن الحاكمية هي داخلة في توحيد الألوهية، ما الذي يفصلها ويخليها قسمًا مستقلاً؟! فليجعل الصلاة نوعًا..قسمًا خامسًا وسادسًا، ويجعل الجهاد قسمًا سابعًا، خصص كل أنواع العبادة كله أقسام للتوحيد[1]! ما يصلح هذا!

السائل: يعني قول مبتدَع هذا القول؟

الشيخ: إيه ما فيه شك! مخالف للإجماع، ما قال به أحد من أهل العلم، هو مخالف للإجماع. اهـ

السائل: يقول: فضيلة الشيخ ما رأيكم فيمن يقول: إن معنى «لا إله إلا الله» هي: «لا حاكمية إلا لله»[2]؟

فأجاب -حفظه الله-: ما شاء الله! هذا أخذ جزءً ... جزءً قليلاً من معنى «لا إله إلا الله»، وترك الأصل الذي هو التوحيد والعبادة، «لا إله إلا الله» معناها: «لا معبود بحق إلا الله»، فهي تنفي الشرك، وتثبت التوحيد.

والحاكمية جزء من معنى «لا إله إلا الله»، ولكن الأصل هو التوحيد، الأصل في «لا إله إلا الله» هو التوحيد ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا﴾ [التوبة: ٣١]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، لكن هذه فتنة، هؤلاء الذين يقولون هذه المقالة، إما أنهم جهال، يفسرون كلام الله وكلام رسوله،

(١) وهذا الذي أومأ إليه الحويني في صريح كلامه فيما تقدم نقله عنه.

(٢) أو كما قال الحويني: أن تفرد الله بالحكم.

وهـم ليس عندهم علم، إنما هـم أصحاب ثقافة عامة، ويسموهم «مفكرين»، لكن ليس عندهم فقه في دين الله؛ وعدم الفقه في دين الله آفة؛ ولا يجوز لأحد أن يدخل في تفسير كلام الله وكلام رسوله وهو ليس عنده فقه وعلم؛ ما يكفي أنه مثقف، وأنه يقرأ في الجرائد والصحف ويعرف أحوال العالم وما عليه الناس؛ هذا ما هو بعالم، هذا مثقف؛ فلا يجوز أن يدخل في تفسير كلام الله وكلام رسوله إلا العلماء، أهل العلم، وأهل الفقه؛ أو أن هذا الرجل مغرض، عالم لكنه مغرض، يريد أن يصرف الناس عن التوحيد، ويشغلهم بقضايا دون التوحيد؛ **فهو إما جاهل، وإمَّا مغرض**، هذا الذي يفسِّر هذا التفسير.

على كل حال، هو تفسير ناقص جدًّا، ولا ينفع حتى لو حُكِّم .. لو قامت المحاكم على تحكيم الشريعة في المخاصمات بين الناس والأموال والأعراض والحدود، وتُرِك أمر الشرك والأضرحة قائمًا؛ فهذا لا ينفع ولا يفيد شيئًا، ولا يعتبرون مسلمين بذلك، حتى يزيلوا الشرك، ويهدموا الأوثان؛ النبي ﷺ بدأ بهدم الأوثان، قبل أن يأمر الناس بالصلاة والصيام والزكاة والحج؛ تعلمون أنه أقام في مكة ثلاث عشرة سنة، يأمر بالتوحيد وينهى عن الشرك، حتى إذا تمهدت العقيدة وقامت العقيدة ووُجد من المسلمين من يؤازر الرسول ﷺ على أمر الجهاد، نزلت عليه شرائع الإسلام: الصلاة والصيام والحج، وبقية شرائع الإسلام؛ البناء لا يقوم إلا على الأساس؛ لا بد من الأساس أولاً ثم البناء؛ ولذلك شهادة أن «لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» هي أول أركان الإسلام؛ النبي ﷺ يقول: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله**»، نعم.

حتى بعضهم كتب كتابًا يقول فيه: «إن الله خلق الخلق ليحقِّقوا الحاكمية في الأرض»! هذا مخالف لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ يعني ما راح للآية هذه، بل خلقهم من أجل يحقِّقوا الحاكمية؛ يا سبحان الله! الله تعالى يقول: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ وأنت تقول: «ليحققوا الحاكمية»[1]؟! نعم؛ من أين جاء بهذا التفسير؟!».اهـ

---

(١) وهذا عين ما قاله الحويني، حيث قال: «لأن المشركين رضوا بالله ربًّا وأنفوا أن يكون حاكمًا عليهم».
قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «ولا يفوتنا ما جاء ذكره في القرآن العظيم من أن المشركين كانوا يعترفون أن الأمر كله لله، ورغم هذا أشركوا معه سبحانه في العبادة غيره».

السائل: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة، وهذا سائل يسأل: هل هناك نوع من أنواع التوحيد يسمى بتوحيد الحاكمية، أم أنه داخل في أنواع التوحيد الثلاثة؟

الشيخ: هذا أحدثه الحزبيون الآن، بل إنهم يقولون هو معنى «لا اله إلا الله»، يعني كأن «لا إله إلا الله» ليس لها معنى إلا هذا! ولا يذكرون العبادة، الحاكمية داخلة في الألوهية، الحاكمية داخلة في توحيد الألوهية، ولا تكفي الحاكمية، لا بد من إثبات توحيد الألوهية بجميع أنواعه، أما أننا نأخذ الحاكمية ونترك الباقي فهذا ليس هو التوحيد! التوحيد توحيد الألوهية بجميع أنواع العبادة، جميع أنواع الطاعات، ومنها الحكم بين الناس، والحكم على الناس، والحكم على الأقوال، هذا لله -عز وجل-: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف: ٤٠]. الحاكمية نوع من أنواع توحيد الألوهية». اهـ

السائل: ما رأي فضيلتكم فيمن يصفون توحيد الألوهية بأنه الحاكمية لله، ويصرون على هذا التعريف؟

الشيخ: هذا تعريف جديد وقاصر، تعريف جديد لم يُسبق إليه، العلماء[1] من أولهم إلى آخرهم يُعرِّفون توحيد الألوهية بأنه «إفراد الله بالعبادة»، وتدخل فيه الحاكمية، الحاكمية داخلة في العبادة، فتعريفه بالحاكمية فقط هذا قاصر... تعريف قاصر، المراد التعريف الأشمل من هذا وهو: «إفراد الله بالعبادة» ويدخل فيها الحاكمية.

* **فهذا التفسير منهم هذا مردود لأمرين:**

أولاً: أنه ليس من كلام أهل العلم، وأهل العلم أدرى بتفسير كلام الله وكلام رسوله.

وثانيًا: أنه تفسير قاصر، لأنه اقتصر على جزئية من معنى «لا إله إلا الله».

طيب، لو فرضنا أن الحاكمية قامت، حكموا بالشريعة بين الناس، في الخصومات، لكن لم يمنعوا عبادة القبور والأضرحة، ولم يخلصوا العبادة لله وصاروا يقولوا: «يا حسين .. يا علي .. يا فلان»، وهم يحكمون في المحاكم بالشريعة، لكن في العبادة يعبدون الموتى[2]، هل ينفع هذا؟! هذا ما ينفع يا عباد الله، ولا يزيد شيئًا.

---

(١) أي: علماء السُّنَّة.

(٢) وهذا هو الواقع في الدولة الإخوانية في السودان، وفي الدولة الرافضية الشيعية في إيران!.

فليتق الله المسلم الذي يتكلم بمثل هذه الأشياء، ويفسر «لا إله إلا الله» بهذا التفسير القاصر، الذي يغرِّر بالناس ويخدعهم، الحاكمية وحدها لا تكفي، الحاكمية جزء من العبادة، وإذا انفردت الحاكمية فقط وتُركت عبادة القبور والأضرحة ما نفعت الحاكمية». اهـ

وقال -حفظه الله- في كتاب «شرح كشف الشبهات»: «وفي وقتنا هذا وجد من يفسّر لا إله إلا الله بأن معناها هو إفراد الله بالحاكمية وهذا غلط؛ لأن الحاكمية جزء من معنى لا إله إلا الله وليست هي الأصل لمعنى هذه الكلمة العظيمة، بل معناها لا معبود بحق إلا الله بجميع أنواع العبادات ويدخل فيها الحاكمية ولو اقتصر الناس على الحاكمية فقاموا بها دون بقية أنواع العبادة لم يكونوا مسلمين، ولهذا تجد أصحاب هذه الفكرة لا ينهون عن الشرك ولا يهتمون به ويسمونه الشرك الساذج، وإنما الشرك عندهم الشرك في الحاكمية فقط وهو ما يسمونه الشرك السياسي، فلذلك يركزون عليه دون غيره، ويفسرون الشرك بأنه طاعة الحكام الظلمة». اهـ

وقال -حفظه الله- كما في شرحه «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (١٦٦/١):

«ومن هنا يظهر خطأ هؤلاء الذين يقولون: لا داعي أن نتعلم العقائد الباطلة ونعرف المذاهب الباطلة، ونرد على المعتزلة والجهمية؛ لأنهم بادوا وذهبوا، علّموا الناس التّوحيد ويكفي، أو بعضهم يقول لا تعلّموهم التّوحيد؛ لأنهم أولاد فطرة، ونشأوا في بلاد المسلمين، علّموهم أمور الدنيا: الصناعات والاختراعات والأمور الحديثة، أما التّوحيد فيحصلونه بفطرتهم وبيئتهم، نعم وجُد مَنْ يقول هذا، وبعض الناس يقول: الناس تجاوزوا مرحلة الخرافات؛ لأنهم تثقفوا وعرفوا، فلا يمكن أن يشركوا بعد ذلك؛ لأن الشرك كان في الجاهلية، يوم كان الناس سُذّج ويسمون الشرك في العبادة شركًا ساذجًا، والشرك عندهم ما يسمونه بالشرك السياسي أو شرك السلاطين أو شرك الحاكمية، ولذلك لا يهتمون بإنكار هذا الشرك الذي بعثت الرسل لإنكاره، وإنما ينصبّ إنكارهم على الشرك في الحاكمية فقط». اهـ

وقال -حفظه الله- أيضًا في الشرح نفسه (١٧٠/١): «قوله: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي﴾، أي: أبعدني واجعلني في جانب بعيد ﴿أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم:٣٥]، خاف من عبادتها، مع هذه المنزلة

العظيمة التي نالها إبراهيم -عليه السلام- من ربه، ومع أنه قاوم الشرك وكسر الأصنام بيده، وتعرض لأشد الأذى في سبيل ذلك حتى ألقي في النار، مع ذلك خاف على نفسه من الوقوع في الشرك؛ لأن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولهذا قال بعض السلف: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟»، فإبراهيم خاف على نفسه الوقوع في الشرك لما رأى كثرة وقوعه في الناس، وقال عن الأصنام: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم:٣٦]، وفي هذا أبلغ الرد على هؤلاء الذين يقولون: لا خوف على المسلمين من الوقوع في الشرك بعدما تعلموا وتثقفوا؛ لأن الشرك بعبادة الأصنام شرك ساذج يترفع عنه المثقف والفاهم، وإنما الخوف على الناس من الشرك في الحاكمية، ويركزون على هذا النوع خاصة، وأما الشرك في الألوهية والعبادة فلا يهتمون بإنكاره، وعلى هذا يكون الخليل -عليه السلام- وغيره من الرسل إنما ينكرون شركًا ساذجًا!!، ويتركون الشرك الخطير وهو شرك الحاكمية كما يقول هؤلاء». اهـ

وقال -حفظه الله- في (١٥٥/٣) من الشرح نفسه: ﴿مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ من الله -سبحانه وتعالى- بواسطة جبريل -عليه السلام- كغيري من الرسل، فكل ما جاء به من الشرع وحي من الله ﴿أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [الكهف: ١١٠]. يعني: معبودكم بحق. فالإله معناه: المعبود.

والمعبود بحق هو الله وحده، وما سواه فهو معبود بالباطل كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج:٦٢].

فهذا فيه: أن زبدة رسالة الرسول وأصل دين الرسول والذي جاء به وبدأ به هو: التّوحيد والإنذار عن الشرك، وكلُّ الرسل كذلك أول ما يبدءون بالدعوة إلى التّوحيد وإنكار الشرك.

وهذا فيه ردٌّ على الذين يقولون في هذا الزمان: إن الرسل جاءوا لتحقيق الحاكمية في الأرض[1].

وهذا كلام محدَث باطل، فالرسل جاءوا لتحقيق العبودية بجميع أنواعها لله -عزّ وجلّ-.

---

(١) والحويني منهم.

كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، هذا هو الذي جاءتْ به الرسل، ويدخل فيه بقية أوامر الدين ومنها الحاكمية، أما أن تُجعل هي الأصل فهذا باطل، وهذا معناه: إهمال التّوحيد وعدم الاهتمام بأمر الشرك وعدم الالتفات إليه، وأن الرسل جاءوا لطلب الحكم والرئاسة». اهـ

وقال -حفظه الله- كما في (٣/٢٣٥- ٢٣٧): «ثانيًا: وُجوب تحكيم الكتاب والسنّة في كلّ المنازَعات، لا في بعضها دون بعض، فيجب تحكيمها في أمر العقيدة، وهذا أهمّ شيء، وفي المنازعات الحقوقيّة بين الناس، وفي المنازعات المنهجيّة والمذاهب والمقالات[1]، وفي المنازعات الفقهية ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]؛ أما الذي يريد أن يأخُذ جانبًا فقط، ويترك ما هو أهمّ منه، فهذا ليس تحاكُمًا إلى كتاب الله، **فما يقوله دعاة الحاكميّة اليوم ويريدون تحكيم الشريعة في أُمور المنازعات الحقوقيّة، ولا يحكّمونها في أمر العقائد**، ويقولون: النّاس أحرار في عقائدهم، يكفي أنّه يقول: أنا مسلم، سواءً كان رافضيًّا أو كان جهميًا أو معتزليًا، أو.. أو.. إلى آخره، «**نجتمع على ما اتفقنا عليه، ويعذُر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه**» هذه القاعدة التي وضعوها، ويسمونها: القاعدة الذهبية، وهي في الحقيقة: تحكيم للكتاب في بعض، وترك له فيما هو أهمّ منه؛ لأنّ تحكيم الشريعة في أمر العقيدة أعظم من تحكيمها في شأن المنازعات الحُقوقية، فتحكيمُها في أمر العقيدة وهدم الأضرحة ومشاهد الشرك، ومقاتلة المشركين حتى يؤمنوا بالله ورسوله، هذا أهمّ، فالذي إنما يأخذ جانب الحاكميّة فقط ويُهمِل أمر العقائد، ويُهمِل أمر المذاهب والمناهج التي فرّقت الناس الآن ويُهمل أمر النّزاع في المسائل الفقهيّة، ويقول: أقوال الفقهاء كلها سواء، نأخذ بأيّ واحدٍ منها دون نظر إلى مستنده، فهذا قول باطل؛ لأن الواجب أن نأخذ بما قام عليه الدليل، فيحكّم كتاب الله في كلّ المنازَعات العَقَديّة، وهذا هو الأهم، والمنازَعات

---

(١) والحويني يكيل بمكيالين في باب المنازعات المنهجية.

الحقوقيّة، والمنازَعات المنهجيّة، والمنازَعات الفقهيّة، ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ هذا عامّ، ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ١٠]، هذا عام أيضًا.

وهؤلاء الذين جعلوا الحاكميّة بدل التوحيد غالطون، حيث أخذوا جانبًا وتركوا ما هو أعظم منه، وهو العقيدة، وتركوا ما هو مثله -أو هو أعظم منه- وهو المناهج التي فرّقت بين الناس، كلّ جماعة لها منهج، كل جماعة لها مذهب، لِمَ لا نرجع إلى الكتاب والسنّة ونأخذ المنهج والمذهب الذي يوافق الكتاب والسنّة ونسير عليه.

والحاصل؛ أنّ تحكيم الكتاب والسنّة يجب أن يكون في كلّ الأمور، لا في بعضها دون بعض، فمن لم يحكّم الشريعة في كلّ الأمور كان مؤمنًا ببعض الكتاب وكافراً ببعض شاء أم أبى، ﴿أَفَتُؤۡمِنُونَ بِبَعۡضِ ٱلۡكِتَٰبِ وَتَكۡفُرُونَ بِبَعۡضٖۚ﴾ [البقرة: ٨٥]». اهـ

وقال -حفظه الله- كما في «دروس من القرآن الكريم» (ص١٧): «الخطأ في تقسيم التوحيد: **ومن المعاصرين من يقسم التوحيد إلى أربعة أقسام، فيقول:**

التوحيد أربعة أنواع: توحيد الربوبية، توحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الحاكمية، ويستند في هذا إلى أن التقسيم اصطلاحي، وليس توقيفيًّا، فلا مانع من الزيادة على الثلاثة.

ويقال لهذا: ليس التقسيم اصطلاحيًا، وإنما يرجع في التقسيم إلى الكتاب والسنة والسلف حينما قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام استقرءوها من الكتاب والسنة.

أما الحاكمية فهي حقٌّ، يجب أن يكون التحاكم إلى شرع الله -عز وجل-، ولكن هذا داخل في توحيد العبادة؛ لأنه طاعة الله -عز وجل-، والسلف ما أهملوا توحيد الحاكمية حتى يأتي واحد متأخر فيضيفه! بل هو عندهم داخل في توحيد العبادة -توحيد الألوهية-؛ لأن من عبادة الله -جل وعلا- طاعته بتحكيم شرعه، فلا يجعل قسمًا مستقلاً، وإلا لزم من ذلك أن تجعل الصلاة قسمًا من أقسام التوحيد، وتجعل الزكاة قسمًا، والصيام قسمًا، والحج قسمًا، وكل أنواع العبادة أقسامًا للتوحيد، ويجعل التوحيد أقسامًا لا نهاية لها! وهذا غلط، بل أنواع العبادة كلها تندرج تحت قسم واحد وهو توحيد الألوهية، فإنه جامع لها، مانع من دخول غيرها معها». اهـ

○ خامسًا: فتاوى شيخنا العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

قال -حفظه الله- في محاضرة ورسالة «التوحيد أولاً»:

«كيف ما يعقل أبناء التوحيد هذه المكايد وهذه البلايا التي دهمتهم وفرّقتهم ومزقتهم لأجل دعوات جوفاء ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، لا إله إلا الله، هذه (لا إله إلا الله): لا حاكم إلا الله -عندهم-، أخص خصائص الألوهية: (لا حاكم إلا الله)، هذا التفسير يجعلك ترى الشرك أمامك كأنك لم ترَ شيئًا! الشرك الذي يحاربه الأنبياء لا تراه شيئًا، **هذا التفسير تحريف لمعنى (لا إله إلا الله)**، ثم جعلوه نوعًا رابعًا من أقسام التوحيد، حيلة، ثم بعد أيام يُسَرِّبون المعاني الأساسية لـ«لا إله إلا الله» وتبقى الحاكمية، افهموا المكايد السياسية». اهـ

وقال -حفظه الله- في رسالة «من هم الخوارج المارقون والمرجئة المميعون؟»:

«تعلّق هؤلاء القوم السياسيون بجانب من الإسلام، هو ما سمّوه بالحاكمية تعلقًا سياسيًا، فحرّفوا من أجل ذلك أصل الإسلام كلمة التوحيد (لا إله إلا الله)، وفسّروها بمعنى لا يعرفه الأنبياء ولا العلماء من الصحابة فمَن بعدهم، فقالوا: إنّ معنى: (لا إله إلا الله): لا حاكم إلا الله، والحاكمية أخص خصائص الألوهية، وشهد كبراؤهم أن الذي فسّر لا إله إلا الله قد بيّن معنى لا إله إلا الله بيانًا لا نظير له في هذا العصر، وصَدَقوا! فلم يسبق الرجل إلى هذا المعنى أحد، لا الأنبياء، ولا المصلحون، ذلك المعنى الذي ضيَّع المعنى الحقيقي لـ(لا إله إلا الله)، وجاء فريق منهم لمّا لم يسلم العلماء حقًّا بهذا التفسير فقالوا: إن التوحيد أربعة أقسام، رابعها توحيد الحاكمية، وهي لعبة سياسية من جملة ألاعيبهم وحيلهم على الأمة، يريدون تخدير من استطاعوا من الشباب السلفي، حتى إذا سلّموا بهذا التقسيم واطمأنوا إليه، جعلوا الحاكمية هي المعنى الأول والأخير للا إله إلا الله.

○ **والأدلة على هذا كثيرة من واقعهم:**

١) فهم لا يوالون ولا يعادون من بدء أمرهم إلى الآن إلا على هذا المعنى (الحاكمية).

٢) وينشرون الكتب التي عنيت به نشرًا عجيبًا.

٣) ويُقدّسون من اخترع لهم هذا المعنى على ما فيه من ضلالات.

٤) ويحاربون من وضع هذا المعنى في موضعه، بل يكفرونهم، ويعتبرونهم عملاء، وجواسيس، إلى آخر الاتهامات.

وليتهم إذ تبنوا هذا المعنى (الحاكمية) التزموه بصدق، وطبقوه على أنفسهم، وعلى شيوخهم، وعلى خصومهم، بل تجدهم من أشد الناس مخالفة لحاكمية الله، وأشد الناس ظلمًا في أبواب حاكمية الله، والأمثلة لا تحصى من أقوالهم وأفعالهم ومواقفهم». اهـ

○ سادسًا: الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-:

سئل -حفظه الله- كما في (المجلس الأول من شرح العقيدة الطحاوية):

س٣: بعض أهل العلم يقسّم التوحيد إلى أربعة أقسام: توحيد الإلهية، توحيد الربوبية، توحيد الأسماء والصفات، وتوحيد الحاكمية، فهل هذا التقسيم صحيح أم لا؟

ج: توحيد الحاكمية داخل إما في توحيد الربوبية أو في توحيد الإلهية أو فيهما معا؛ لأن الله -جل وعلا- جعل الحكم إليه سبحانه بقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، وقال -جل وعلا-: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ١٠]، ونحو ذلك من الآيات، وكقوله: ﴿فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢].

فالحاكمية من جهة تحاكم الناس هذا فعْل العبد، وفعْل العبد داخل في توحيد الإلهية، لهذا أدخل إمام الدعوة مباحث هذا النوع من التوحيد في «كتاب التوحيد» فعقد عدة أبواب في بيان هذه المسألة العظيمة المهمة.

ولهذا نقول: إن إفراده بالذكر لا يصلح؛ لدخوله في توحيد الإلهية، فهو من ضمن مسائله الكثيرة.

لكن قد يُقسم التوحيد عند طائفة من أهل العلم إلى أربعة أقسام ويجعلون الرابع توحيد المتابعة؛ يعني متابعة النبي عليه الصلاة والسلام، وهم يقصدون بهذا التقسيم ما دلت عليه الشهادتان فإذا قالوا: توحيد الله. قالوا: ينقسم إلى ثلاثة أقسام. وإذا قالوا: التوحيد. بدون الإضافة إلى الله -جل وعلا-، جعلوه أربعة أقسام؛ ثلاثة مختصة بالله -جل وعلا-، والرابع هو توحيد المتابعة للنبي -عليه الصلاة والسلام-؛ لأنْ لا [illegible] في التشريع غير المصطفى -عليه الصلاة والسلام-».اهـ

قلت: وهناك من المتصيدين لأي كلمة من كلام علماء السنة؛ كي يدنمون بها عمَّن يتعصَّبون له، قد تصيَّد فتوى للشيخ محمد بن عبد الوهَّاب الوصابي -حفظه الله- ظنَّ أنها تحقِّق له مراده، وهذا نصُّها:

سئل الشيخ: **هل توحيد الحاكمية يعتبر قسمًا رابعًا من أقسام التوحيد؟**

فأجاب: توحيد الحاكمية من أهل العلم من أهل السنة من أنكره ومنهم من أقر به ومنهم من قال بأنه داخل في توحيد الربوبية، ومنهم من قال بأنه داخل في توحيد الألوهية، ولا مشاحة في الاصطلاح، فمن ذكره من أقسام التوحيد لا حرج ومن ذكره من توحيد الربوبية لا حرج أو من ضمن توحيد الألوهية أيضا لا حرج، الأمر واسع إن شاء الله، والذي يُنكر على الحزبيين الدندنة به دون الكلام عن بقية التوحيد، أما إذا كان إنسان من أهل العلم ومن أهل السنة والجماعة، وهو لا يدعو إلى الخروج على الحكام المسلمين، وذكر توحيد الحاكمية في حدود الكتاب والسنة، وذكر أيضًا بقية التوحيد وأعطى كل قسم حقَّه فمثل هذا، هذا هو الصواب فيما يظهر لي والله الموفق».

فأقول: غفر الله للشيخ الوصابي، لعلَّه ما اطلع على كلام الأئمة الكبار في زماننا في الحكم على اعتبار «توحيد الحاكمية» قسمًا منفصلاً من أقسام التوحيد بدعة وإحداثًا، وقد تقدَّم نقل كلامهم في هذا الشأن.

فلا ينبغي على منصف أن يحتجَّ بهذه الفتوى للشيخ الوصابي -حفظه الله- على أنه يقر الغلو الذي عليه القطبيون في مسألة الحاكمية، حيث إن الشيخ معروفٌ باعتداله في هذا الباب ومتابعته للأئمة الكبار فيه، وأدلّ دليل على عدم التفاته لغلو هؤلاء أنه لم يتعرض للإشارة لا من قريب ولا من بعيد لتوحيد الحاكمية من خلال كتابه المفيد: «القول المفيد في أدلة التوحيد»، ولو كان يأخذ عنده المساحة التي عند هؤلاء الغلاة لَمَا أهمل ذكره في أقسام التوحيد، ولو كقسم داخل توحيد الربوبية أو توحيد الإلهية؛ وهو في كلامه السابق إنما يحكي قولاً عن بعض العلماء، لا أنه يهوِّن من شأن غلو القطبيين، هذا بالإضافة إلى أنه أنكرَ في السياق نفسه الآثار السيئة المترتبة على الغلو في هذا الباب، نحو تفخيم هذا المصطلح والإكثار من الدندنة به على حساب أقسام التوحيد الأساسية، والولوج من هذا إلى تكفير الحُكَّام والدعوة إلى الخروج عليهم.



ونقول **أيضًا لهؤلاء المتصيدين**: ارجعوا إلى كتاب الشيخ -حفظه الله-: «عشرون مآخذًا على السرورية»؛ لتدركوا موقفه من منهج القوم، فكيف تسوونه بالحويني، وتعتبرون حكايته عن غيره، كحال من يقرر هذه البدعة ويدافع عنها ويؤصل لها! ألا تستحوا من الله -عز وجل-؟!

واعلموا -أرشدكم الله لطاعته- أن علماء السنة المعاصرين الذين اعتبروا مصطلح «توحيد الحاكمية» داخلاً في توحيد الإلهية، أو في توحيد الربوبية، يفارق كلامهم كلام قطب وأتباعه من ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: عدم الغلو فيه كما غلا فيه سيد قطب وأتباعه، والذين تابعوا في هذا الغلو الخوارج الأوائل، حيث إنهم أول من رفع شعار الحاكمية، واتخذوه ذريعة لتكفير الحكَّام، ثم الخروج عليهم بالقوة، واحتجوا بقوله تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾، فردَّ عليهم علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- قائلاً: «كلمة حق أريد بها باطل».

الوجه الثاني: أنهم ما قالوا: إن هناك ما يسمى بـ«أخص خصائص توحيد العبادة»؛ فهذه بدعة لا نعرف أحدًا قال بها قبل سيد.

ولو سلمنا جدلاً أن هناك ما يسمى بـ«أخص خصائص توحيد العبادة»، فالأحق بهذا: «الدعاء»، لا «الحاكمية»، لقول الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**الدعاء هو العبادة**»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

ونقول: هات هذا الفلاح القروي البسيط الذي لم يتدنس بالشرك وثبت على فطرته، واسأله عن معنى التوحيد، فإنه سوف يجيبك بفطرته التي ما تدنست بصور الشرك: معناه أن تعبد الله وحده -بكل يسر-، ما قال لك: توحيد الحاكمية، وأخص الخصائص، وهذه الاصطلاحات المأخوذة من طرق أهل الكلام الذين حذَّر منهم السلف قاطبة. وإن اشتغلوا في ظاهر أمرهم بالحديث، فليس الاشتغال بعلم الحديث شفيعًا لصاحبه أن يخالف اعتقاد أهل الحديث، والله المستعان.

فأبلد العامة -الذين فهموا التوحيد- هم أقرب للنجاة عند الله وأحسن من الذين تلوّثوا بهذه اللُّوثة الكلامية المبنية على الرأي المناقض للآثار.

الوجه الثالث: أنهم اعتنوا بأقسام التوحيد الأساسية، خاصة بتوحيد العبادة -بمعناه الصحيح-، والذي كان عليه مدار الصراع بين الرسل وأقوامهم.

وأمَّا مَن يتتبع دروس الحويني وخطبه يلحظ أنه قلَّما يدندن حول التوحيد في العبادة على معناه الصحيح، أي: التوجه بالدعاء والذبح والنذر... إلخ لله وحده، وقلَّما يحذِّر من نقيضه وهو الشرك في هذه العبادات، وإنما جُلُّ كلامه على التوحيد يتعلَّق بالحاكمية، وفي مثل هذا يقول الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- كما في (شرح كشف الشبهات- شريط ١):

«كذلك ما يتعلق بإفراد النبي -عليه الصلاة والسلام- وإفراد شريعته بالحكم والتحاكم بين العالَمين هذا نوع من أنواع توحيد الله -جل وعلا- أو فرد من أفراد التوحيد، فالدعوة إليه مع غيره هي طريقة أئمتنا وعلمائنا، وبعض الناس يطرق من التوحيد هذه المسألة دون غيرها وهو ما يسمونه بتوحيد الحاكمية، أو الدعوة إلى تحكيم شريعة الإسلام وإبطال تحكيم القوانين، وما جاء في ذلك من النصوص وبيان كلام أهل العلم في ذلك، هذا لا شك أنه من التوحيد، ولكن ليس هو التوحيد فقط، بل توحيد الله -جل وعلا - -كما هو واضح مما سبق من الكلام- هو إفراد الله بالعبادة، إفراد الله بالعبادة، هذا هو التوحيد، وهذه من التوحيد؛ لأنها تحقيق شهادة أن محمدًا رسول الله، فأهل التوحيد يدعون إلى هذه جميعًا، وأما غيرهم أو من كانت في قلبه شبهة، أو من كان عنده طريقة أخرى، فإنهم يدعون إلى التوحيد مجملاً، وإذا أتى التفصيل فإنما يفصّلون في مسألة الحاكمية، وهذا خلاف طريقة أهل التوحيد وأئمة هذه الدعوة، لهذا تجد في كتاب التوحيد كانت مسائل الحكم والتحاكم متأخرة في الكتاب، وكان قبلها ما يتعلق بالدعوة إلى التوحيد مجملاً وفضل التوحيد، ثم بيان ضد ذلك ومسائله إلى آخره، فهي جزء من الكلام على التوحيد، فشمولية الدعوة إلى التوحيد تؤخذ من كتاب التوحيد؛ لأن فيه بيانًا للتوحيد مجملاً ومفصلاً؛ ولأن فيه بيانًا لضده مجملاً ومفصلاً». اهـ

قلت: بل اعلم -فهمك الله- أن هذا الغلو الذي عليه الحويني في مسألة الحاكمية أوقعه في التهوين من الشرك الأكبر في العبادة، حيث قال كما في خطبة «مذهب الشيطان»:

«لمَّا درَّسوا الدِّين في المدارس، افتتحوه بعبارة شهيرة ماكرة، قالوا: جاء رسول الله ﷺ إلى العرب -وذكروا بعض مظاهر الجاهلية- وهم: يسجدون للأصنام، ويشربون الخمر، ويَئِدُون البنات، وانتهى الأمر على كده، وصارت عبارةً دارجةً شهيرةً في الكتب، هل هذه العبارة صحيحة؟ جاء الرسول ﷺ والعرب يعبدون الأصنام، ويشربون الخمر، ويئدون البنات، فإذا تكررت هذه العبارة .. والقاعدة الإعلامية اليهودية الماكرة تقول: (ما تكرر، تقرر) فمع تكرار العبارة، يصير وقعها في نفوس الجماهير مستقرًا -حتى لو كانت غلطًا- فإذا استقرت هذه العبارة في نفوس الجماهير فنظروا، الآن، هل هناك أحد يعبد الأصنام؟ الجواب: لا، هل هناك من يشرب الخمر؟ سَوَادُ المسلمين لا يشربون، ويعلمون أنه حرام حتى الذين يشربون، هل هناك من يدفن البنات، الآن؟ الجواب: لا، إذن الإسلام موجود كله، الإسلام الذي قاتل لأجله النبي ﷺ موجود، هل هذه العبارة صحيحة بهذا الإطلاق؟ الجواب: لا». اهـ

قلت: جاء في لسان العرب: «الصَّنَمُ معروفٌ واحدُ الأصْنام يقال إنه معرَّب شَمَنْ وهو الوَثَن، قال ابن سيده وهو يُنْحَتُ من خَشَبٍ ويُصَاغ من فضة ونُحاسٍ والجمع أصنام وقد تكرر في الحديث ذكرُ الصَّنَمِ والأصنام وهو ما اتُّخِذَ إلهًا من دون الله». اهـ

وعليه فإن عبادة الأصنام لا تقتصر فقط على مشركي قريش الذين كانوا يعبدون هذه التماثيل المنصوبة حول الكعبة، بل هي أعم من ذلك فهي تشمل كل ما يعبد من دون الله.

والحويني يعلم أن الروافض وغلاة المتصوفة وطائفة من جهلة المسلمين يعبدون الأموات في الأضرحة المنصوبة داخل مساجدهم وحسينياتهم، على نحو لا يختلف عمَّا كان عليه أهل الجاهلية، فكان الواجب عليه وهو يستنكر على واضعي المناهج الدراسية إظهار الشرك في صورة قاصرة مع ادعاء زوال هذه الصورة، أن يبين على الجانب الآخر أن عبادة الأصنام ما زالت موجودة حتى اليوم، وهي المتمثلة في عبادة الأضرحة والقبور والمقامات، ثم يبدأ في ذكر الأدلة على بطلان هذا الشرك، أو على الأقل يشير -ولو مجرد

إشارة- إلى أن هذا النوع من الشرك هو أخطر أنواع الشرك، وأنه كان هو محور الخلاف الرئيسي بين الرسل وأقوامهم من لدن نوح -عليه السلام- إلى رسولنا -صلى الله عليه وآله وسلم-.

لكن الحويني -للأسف- أهمل هذا الشرك، وقلَّما يدندن حوله أو يشير إلى خطورته، بل لقد عقد درسًا سماه بـ«عبادة الأصنام»، لم يتعرض فيه لذكر الشرك في العبادة، إنما كان جل كلامه حول الذين يجحدون بعض أحكام الشريعة مثل توريث الذكر ضعف الأنثى، وما شاكل ذلك.

وهذا التهوين من شأن الشرك في العبادة، والتفخيم من شأن الحاكمية هو منهج سيد قطب ومنهج حزب الإخوان المسلمين.

وهم تارة يصرحون وتارة يلمحون بأن الذين يهتمون بتوحيد العبادة -بمعناه الشامل-، ويحاربون الشرك في العبادة المتمثل في دعاء غير الله من الأصنام والأوثان نحو التماثيل والصور والقبور والأضرحة والأشجار...إلخ، إنما يعيشون في أساطير الأولين، ويحيدون بالأمة عن الشرك العصري: شرك القصور، الذي يعني: تكفير الحكام، ثم الخروج عليهم بالسلاح لإزالتهم؛ لأنهم يعتقدون أن الحُكَّام هم العائق الرئيسي أمام تطبيق الشريعة، وأمام تحرير المسجد الأقصى من قبضة اليهود، وأمام إعادة الخلافة، زعموا!!.

* * * *

المخالفة الرابعة

عدم اعتبار الحويني شرعية ولاية الحكّام المسلمين الذين تولوا بالغلبة والقهر

قال أبو إسحاق الحويني في خطبة «نداء الغرباء» (وجه أ): «لا يوجد سلطان يحمي حدود الله في الأرض، من سبّ الله سجن ستة أشهر، ولم يُنفَّذ هذا القانون ساعة، ومن سبّ الذات الملكية يُسجن في الحال، لا يوجد سلطان شرعي، غربة أهل الدين في الأزمنة المتأخرة..».

قلت: لا يشك الناقد البصير أن النّفس القطبي ظاهر في هذا الكلام، ولا يمتري أنه مبنيٌّ على تأصيل سيد قطب الذي أصّله في تفسيره الظلال، وفي «معالم في الطريق»، وفي غيرهما من كتبه، من عدم اعتبار شرعية الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية في وقته، والحكم عليها كلها بالجاهلية، ومن ثَمّ فليس هناك سلطان شرعي.

o وإليك بعض نصوص سيد قطب التي أصّل فيها لهذا الكلام:

قال سيد قطب في «معالم في الطريق» (ص٦): «ووجود الأمة المسلمة يعتبر قد انقطع من قرون كثيرة، ولا بد من إعادة وجود هذه الأمة؛ لكي يؤدي الإسلام دوره المرتقب في قيادة البشرية مرة أخرى .. لا بد من بعث لتلك الأمة التي واراها ركام الأجيال وركام التصورات، وركام الأوضاع، وركام الأنظمة التي لا صلة لها بالإسلام... إلخ».

وقال في (ص٩): «إن العالَم يعيش اليوم كله في جاهلية .. هذه الجاهلية تقوم على أساس الاعتداء على سلطان الله في الأرض، وعلى أخص خصائص الألوهية وهي الحاكمية، إنها تسند الحاكمية إلى البشر».

وقال في (ص١١): «ونحن اليوم في جاهلية كالجاهلية التي عاصرها الإسلام، أو أظلم، كل ما حولنا جاهلية».

وفي (ص٢٣): «إن مهمتنا الأولى هي تغيير واقع هذا المجتمع... مهمتنا هي تغيير هذا الوضع الجاهلي من أساسه».

وفي (ص٣١): «وليس الطريق أن نخلِّص الأرض من يد طاغوت روماني أو طاغوت فارسي إلى يد طاغوت عربي، فالطاغوت كله طاغوت، إن الأرض لله .. وليس الطريق أن يتحرر الناس في هذه الأرض من طاغوت إلى طاغوت .. إن الناس عبيد الله وحده .. لا حاكمية إلا لله لا شريعة إلا من الله .. ولا سلطان لأحد على أحد .. وهذا هو الطريق».

وفي (ص٩٨): «إن المجتمع الجاهلي هو كل مُجتمع غير المجتمع المسلم... بهذا التعريف الموضوعي تدخل في إطار المجتمع الجاهلي جميع المجتمعات القائمة اليوم في الأرض فعلا تدخل فيه المجتمعات الشيوعية... وتدخل فيه المجتمعات الوثنية...، وتدخل فيه المجتمعات اليهودية والنصرانية...، وأخيرًا يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة».

وقال محمد قطب في كتابه «الصحوة الإسلامية» (ص١٤٨) معتبرًا بلاد المسلمين مجتمعات جاهلية: «إن هذه المجتمعات التي نعيش فيها اليوم مجتمعات جاهلية، كما أسلفنا القول من قبل؛ لأنها لا تحكم ولا تحكم بشريعة الله، إنما تحكم وتحكم بمناهج جاهلية وشرائع جاهلية...».

وقد سار القطبيون على هذا السنن الخارجي، وإليك بعض عباراتهم، لتدرك -أيها القارئ الكريم- أنهم ذرية بعضها من بعض:

قال منَّاع القطَّان -مرشد حزب الإخوان في المملكة السعودية سابقًا- في مقابلته في مجلة «مرآة الجامعة» (عدد ١٧٥) (٩ شوال ١٤١٤هـ)[1]: «شبابنا إلى متى سيبقى حالهم هكذا؟ إلى أن يأذن الله بقيادة إسلامية رشيدة تضمه بين جناحيها... أمنية تتمنَّوها؟ **أن تقوم دولة الإسلام العالمية** وتستعيد ماضيها وتقود البشرية مؤدية رسالتها حتى يكون الدين كلُّه لله».

وقال سلمان العودة في شريط «الأمة الغائبة»[2]: «فقد ظلَّت دولة الخلافة قائمة قرونا

(١) بواسطة «القطبية هي الفتنة فاعرفوها» (ص٢٨).

(٢) بواسطة «القطبية هي الفتنة فاعرفوها» (ص٢٨).

تزيد على ثلاثة عشر قرنًا من الزمان، تحميها القلوب قبل الأيدي، وتحميها الدعوات قبل المعارك والضربات.

أما في واقعنا اليوم، فالمؤسف أن الأمثلة التي تتجه إليها الأنظار غالبًا هي أمثلة غير إسلامية[1]». اهـ

وقال في شريط «يا لجراحات المسلمين»[2]: «الرايات المرفوعة اليوم في طول العالم وعرضه إنما هي رايات علمانية..».

وقال سفر الحوالي في شرحه على العقيدة الطحاوية (رقم ٢/٢٦٦)[3]: «فشوقنا كبير أن تكون أفغانستان النواة واللَّبنة الأولى للدولة الإسلامية[4]، وما ذلك على الله بعزيز».

وقال ياسر برهامي في كتاب (فقه الخلاف) (ص٥٦، ٥٧): «فإن واجب المسلمين حال غياب الإمام أن يكون العلماء هم ولاة الأمور».

ثم قال: «تحذير الناس من الدعاة على أبواب جهنم ومعرفة ضررهم وانعدام ولايتهم شرعًا، وإن استقرت واقعًا»، وقال في (ص٧٦): «وكذا وصفُ أعداء الله المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله بكل الطرق على أنهم ولاة أمور شرعيين تلزم طاعتهم، ومن وصفهم بأنهم ولاة شرعيين فإنما أوتي من قلة علمه وسوء فهمه».

وقال في «العمل الجماعي بين الإفراط والتفريط» (ص٣): «إن مسألة العمل الجماعي قد أخذت حيزًا لا يستهان به من اهتمام كثير من المسلمين، وخاصة الدعاة منهم، وازداد الاهتمام في الآونة الأخيرة بعد الإصدارات التي تجاوز مؤلِّفوها حدًّا بعيدًا عن الإنصاف والواقعية، فضلاً عن أنه بعيد عن الفهم الصحيح للأدلة وأقوال الأئمة، فمنهم من ذهب إلى أن العمل الجماعي بدعة، ومنهم من قال: إن الجماعات الإسلامية قائمة على الحزبية والعصبية، ولا يجوز الانتماء إليها، إلى غير ذلك من الأقوال التي دفعتنا إلى بيان موقفنا من هذه المسألة؛ لحسم مادة

---

(١) وهذا تعريض واضح منه بالدولة السعودية المباركة، وأنها ليست إسلامية.

(٢) بواسطة «القطبية هي الفتنة فاعرفوها» (ص٢٩).

(٣) بواسطة «القطبية هي الفتنة فاعرفوها» (ص٢٩).

(٤) وهذا تعريضٌ أيضًا بالدولة السعودية، أنها ليست إسلامية.

الخلاف بين العاملين في الساحة الإسلامية، ولتقليل ظاهرة تشرذم الدعاة، ولبتر فكرة العمل الفردي التي باتت تراود الدعاة الذين لهم اشتغال محمود بالعلم الشرعي.

إن هذه الكتب لها آثار سلبية مدمرة على الكيانات القائمة العاملة في الدعوة إلى الله، ودورنا هو علاج السلبيات الموجودة في كيان قائم، وليس بترها جميعًا، ولا ينبغي أن يعيب الرجل وينهى عن نور فيه ظلمة، إلا إذا حصل نور لا ظلمة فيه».

وقال في (ص١٠): «المقصود بشغور الزمان عن الإمام هو عدم وجود الحكومة المسلمة التي تحمل المكانة على مقتضى الحكم الشرعي، وهذا الشغور يكون في صورتين:

الأولى: انعدامه حسيًا كما لو مات الإمام أو عُزل.

الثانية: الانعدام الشرعي: كما لو ارتد عن الإسلام أو بدّل الشرائع، وغيّر الأحكام فسقطت بذلك بيعته، وانحلت عقدة إمامته، وإن بقي في موقعه قابضًا على أزمة الأمور»[1].

وقال عبد العزيز الجليل في رسالته «إن ربك حكيم عليم» (ص٤٣)، وكتابه «وقفات تربوية» (ص١١٦)، ومجلة «البيان» العدد (٣٧) رمضان (١٤١١هـ): «أي أننا نريد منهجاً دعويًا يقوم على سلفية المنهج وعصرية المواجهة ... حيث لا نقصد بالسلفية الوقوف فحسب عند القضايا العقدية، التي واجه بها سلفنا الصالح انحرافات عصرهم، وكانت فريضة الوقت يومئذ، ثم نتخلى عن المعارك الطاحنة التي تديرها الجاهلية في المجتمعات المعاصرة، حيث ضاعت إسلامية الراية وإسلامية النظم».

قلت: كذا تواطأت عباراتهم على نفي وجود دولة إسلامية، وعدم وجود سلطان شرعي يجب إعطاء البيعة له، أي: طاعته في المعروف، فهم يشيرون إلى خلو الزمان من

---

(١) وهناك أوراق بعنوان: «فصل المقال في قضية الهلال»، جمعها: السيد بن سعد الدين الغباشي -وهو مِمَّن كان ينتسب إلى هذه المدرسة-، وعلى الطرة خاتم (مسجد الإمام أحمد-الأسكندرية باكوس)، وجاء فيها في (ص٢٣): «أما القول بالإلزام برأي المفتي وأنه ولي الأمر الذي يجب طاعته ظاهر البطلان، إذ منصب المفتي استشاري وليس إلزامي حتى مَن عيَّنوه، ثم إنه معيَّن مِمَّن ليس له ولاية شرعية على المسلمين، وإنما ولاية تسلط؛ حيث يحكم بغير شريعة الله ..إلخ».
قلت: وهذا صريح في إسقاط ولاية أي حاكم مسلم قد تلوث بالحكم بهذه القوانين الوضعية، وإن لم يكن يستحلّها.

الإمام العادل، ويعترفون بوجود حكّام تولوا بالغلبة والقهر، ولكنهم لا يثبتون الولاية الشرعية لهؤلاء الذين تولوا بالغلبة والقهر[1]، والتي أثبتها لهم الشرع، وتناسوا أمرين:

الأول: أن الأدلة الشرعية تضافرت على الحضّ على طاعة ولاة الأمر -وإن جاروا وظلموا، وإن تولّوا بالغلبة- في المعروف.

الثاني: أن المصلحة الشرعية تقتضي إثبات الولاية لهم، وأن مصالح المسلمين، وشئونهم لن تنتظم إلا بهذا.

فبالنسبة للأمر الأول نقول: إن النصوص التي جاءت في السنة في الحضّ على طاعة ولاة الأمر كانت في أغلبها تتعلّق بالحكّام الذين يستأثرون بالدنيا، ويخالفون أحكام الله في القليل والكثير، ويرتكبون المنكرات، ويظلمون الرعية، بل إن بعضهم يضرب بغير حق ويأخذ المال بغير حق، بل يصل الأمر ببعضهم أن يترك الحكم بغير ما أنزل الله في أغلب شئونه إلا أنه يقيم الصلاة، ورغم هذا أمر الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- بطاعة هؤلاء الولاة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك، وإليك طائفة من هذه النصوص النبوية المشرقة والتي تدحض الفرية المعتزلية الخارجية، واللّوثة الشيعية الرافضية القائلة: بأن الطاعة، إنما تكون للإمام العادل الذي لا يظلم ولا يجور، والذي يحكّم الشرع في أغلب أحواله:

الحديث الأول: أخرج البخاري (٣٦٠٣)، ومسلم (١٨٤٦) -واللفظ له- عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَأْمُرُ مَنْ أَدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الْحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**».

الحديث الثاني: أخرج البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٧٠٩) عن ابن عمر -رضي الله عنهما-، عَنْ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلاَّ أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلا سَمْعَ وَلا طَاعَةَ**».

---

(١) وهذه نزعة اعتزالية ظاهرة.

الحديث الثالث: أخرج البخاري (٧٠٥٦)، ومسلم (١٨٤٣) عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ، قَالَ: «دَخَلْنَا عَلَى عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ وَهُوَ مَرِيضٌ، قُلْنَا: أَصْلَحَكَ اللهُ، حَدِّثْ بِحَدِيثٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِ سَمِعْتَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: دَعَانَا النَّبِيُّ ﷺ، فَبَايَعْنَاهُ، فَقَالَ فِيمَا أَخَذَ عَلَيْنَا: **«أَنْ بَايَعَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةً عَلَيْنَا، وَأَنْ لا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ فِيهِ بُرْهَانٌ»**.

الحديث الرابع: أخرج مسلم (١٨٣٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»**.

الحديث الخامس: أخرج مسلم (١٨٤٦)، عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ -أي: وائل بن حجر -رضي الله عنه- قَالَ: «سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا فَمَا تَأْمُرُنَا، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ؟ ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: **«اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»**.

الحديث السادس: أخرج مسلم (١٨٤٧) عن حذيفة -رضي الله عنه-، يَقُولُ: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْخَيْرِ وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ فَجَاءَنَا اللهُ بِهَذَا الْخَيْرِ فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ، قَالَ: **«نَعَمْ»**، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ، قَالَ: **«نَعَمْ وَفِيهِ دَخَنٌ»**، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟، قَالَ: **«قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»**، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ، قَالَ: **«نَعَمْ؛ دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»**، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: **«هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»**، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟، قَالَ: **«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلا إِمَامٌ، قَالَ: **«فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الْفِرَقَ كُلَّهَا وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّى يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»**.

وفي رواية لمسلم: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»**، قَالَ: قُلْتُ:

كَيْفَ أَصْنَعُ يَا رَسُولَ اللهِ إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟، قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ؛ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ».

الحديث السابع: أخرج مسلم (١٨٥٦)، عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بن يَزِيدَ بْنِ جَابِرٍ، أَخْبَرَنِي مَوْلَى بَنِي فَزَارَةَ وَهُوَ رُزَيْقُ بْنُ حَيَّانَ، أَنَّهُ سَمِعَ مُسْلِمَ بْنَ قَرَظَةَ ابْنَ عَمِّ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الأَشْجَعِيِّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ الأَشْجَعِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**خِيَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ وَيُحِبُّونَكُمْ، وَتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ وَيُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وَشِرَارُ أَئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ وَيُبْغِضُونَكُمْ، وَتَلْعَنُونَهُمْ وَيَلْعَنُونَكُمْ**»، قَالُوا: قُلْنَا يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلا نُنَابِذُهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ؟، قَالَ: «**لا، مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ، لا مَا أَقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ أَلا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»، قَالَ ابْنُ جَابِرٍ: فَقُلْتُ -يَعْنِي لِرُزَيْقٍ حِينَ حَدَّثَنِي بِهَذَا الْحَدِيثِ-: آللَّهِ يَا أَبَا الْمِقْدَامِ لَحَدَّثَكَ بِهَذَا أَوْ سَمِعْتَ هَذَا مِنْ مُسْلِمِ بْنِ قَرَظَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَوْفًا، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَقَالَ: إِي وَاللهِ الَّذِي لا إِلَهَ إِلا هُوَ لَسَمِعْتُهُ مِنْ مُسْلِمِ بْنِ قَرَظَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ عَوْفَ بْنَ مَالِكٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

الحديث الثامن: أخرج البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٥١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**».

الحديث التاسع: أخرج البخاري (٦٩٣) عَنْ أَنَسٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ حَبَشِيٌّ كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**».

الحديث العاشر: أخرج مسلم (١٨٥٤) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعْرِفُونَ وَتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَلا نُقَاتِلُهُمْ؟، قَالَ: «**لا مَا صَلَّوْا**»، أَيْ مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَأَنْكَرَ بِقَلْبِهِ.

الحديث الحادي عشر: أخرج ابن أبي عاصم في السنة (١٠٦٩) عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ

قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لا نَسْأَلُكَ عَنْ طَاعَةِ مَنِ اتَّقَى، وَلَكِنْ مَنْ فَعَلَ وَفَعَلَ، فَذَكَرَ الشَّرَّ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللهَ، وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا»، وصحّحه العلامة الألباني.

الحديث الثاني عشر: أخرج البخاري (٣٤٥٥)، ومسلم (١٨٤٥) عن أبي حَازِمٍ، قَالَ: قَاعَدْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ خَمْسَ سِنِينَ فَسَمِعْتُهُ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي وَسَيَكُونُ خُلَفَاءُ فَيَكْثُرُونَ**»، قَالُوا: فَمَا تَأْمُرُنَا؟، قَالَ: «**فُوا بِبَيْعَةِ الْأَوَّلِ فَالْأَوَّلِ؛ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ**».

فانظر أخي -رعاك الله- كيف كان رسول الله ﷺ يحذّرنا من نزع اليد من الطاعة، فعليك -أخي في الله- الحذر من التشهير بولاة الأمر أو الاستخفاف بهم -وإن بلغ ظلمهم ما بلغ-؛ لأن الكلام في ولاة الأمر أو التقليل من هيبتهم سبب عظيم من أسباب الشر والفساد، وصدق سهل التستري -رحمه الله- حيث قال: «لا يزال الناس بخير ما عظّموا السلطان والعلماء، فإن عظّموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإن استخفوا بهذين أفسدوا دنياهم وأخراهم».

وأما الأمر الثاني، وهذا مِمّا أجمع عليه أهل السنة، ودوّنوه في مصنّفات الاعتقاد، وإليك نُبذ منها:

قال الإمام أحمد في أصول السنة (٢٣): «والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين -البر والفاجر-، ومَن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه، ورَضوا به، ومَن عَلِيَهُم[١] بالسيف حتى صار خليفة، وسُمّيَ أمير المؤمنين»[٢].

(١) وفي نسخة: «غلبهم».

(٢) وقال القاضي أبو يعلى في كتابه «الأحكام السلطانية» (ص٢٣): «وروي عنه -أي: عن أحمد- ما دلَّ على أنها -الإمامة- تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد، فقال في رواية عبدوس بن مالك العطّار: «ومَن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسُمّي أمير المؤمنين، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيت ولا يراه إمامًا، برًّا كان أو فاجرًا».

قال الشيخ فلاح بن إسماعيل -حفظه الله-: «هذه الرواية أشدُّ على أهل التكفير؛ لأنهم دائمًا يدندنون أنهم لم يبايعوا، ولم يرتضوا البيعة لهذا الحاكم الجائر، بل لم تطلب منهم البيعة أصلاً، ومن ثَمَّ يرون أن لا بيعة في أعناقهم!!.

=

وقال أيضًا (٢٧): «ومَن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو بالغلبة فقد شقَّ هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية».

وقال ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (ص ٢٧٥): «ومن قول أهل السنة: إن السلطان ظل الله في الأرض، وأنه من لَم ير على نفسه سلطانًا برًا كان أو فاجرًا فهو على خلاف السنة».

وَقَالَ أبو الحسن الأشعري فِي «رسالة إلى أهل الثغر» (ص٢٩٦): «وأجمعوا عَلَى السمع والطاعة لأئمة المسلمين، وعلى أن كل من ولي شيئًا من أمورهم عن رضىً أو غلبة وامتدت طاعته[1] من بَرٍّ وفاجر لا يلزم الخروج عليهم بالسيف جار أو عدل، وعلى أن يغزوا معهم العدو، ويُحج معهم البيت، وتدفع إليهم الصدقات إذا طلبوها ويصلى خلفهم الجمع والأعياد». اهـ

وقال حرب -رحمه الله- في عقيدته التي عزاها إلى السلف الصالح -كما في كتاب «حادي الأرواح» لابن قيم الجوزية (ص٤٠١)-: «وإن أمرك السلطان بأمر فيه لله معصية، فليس لك أن تطيعه البتَّة، وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقَّه».

وقال الطحاوي -رحمه الله- في عقيدة أهل السنة والجماعة: «ولا نرى الخروج على أئمتنا وولاة أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يدًا من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله -عز وجل- فريضة، ما لم يأمروا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافاة».

وقال: «والحج والجهاد فرضان ماضيان مع ولي الأمر من المسلمين: برِّهم وفاجرهم إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما».

=

وأذكر أنه لمَّا ذكر هذا أو نحوه أحد أئمتهم في جلسة مع شيخنا ابن عثيمين في القصيم، قال الشيخ -رحمه الله-: «البيعة في أعناقكم، وإن لم تبايعوا؛ لأنها تنعقدُ ببيعة أهل الحلِّ والعقد، ووجهاء البلاد، وقد تمت، وأمَّا آحاد الناس فلا تلزم دعوتهم للبيعة، خاصة العامة والدهماء، وأنّهم تبعٌ في ذلك».

(١) هكذا فِي نسخة مكتبة العلوم والحكم، وفي نسخة المكتبة الأزهرية (ص٩٤): (واشتدت وطاقة).

وقال البربهاري في «شرح السنة» (١٣٧): «وإذا رأيت الرجل يدعو على السلطان، فاعلم أنه صاحب هوى».

وقال النووي في شرحه على مسلم (١٢/٢٣٤) تعليقًا على قول عبد الله بن عمرو الذي أخرجه مسلم (١٨٤٤) لعبد الرحمن بن عبد رب الكعبة لمَّا اشتكى إليه معاوية: «أطعه في طاعة الله، واعصه في معصية الله»:

«فيه دليل لوجوب طاعة المتولين للإمامة بالقهر من غير إجماع ولا عهد».

وقال الحافظ ابن حجر فِي الفتح (١٣/٧) حيث قال: «وقد أجمع الفقهاء عَلَى وجوب طاعة السلطان المتغلِّب والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج عليه لِما فِي ذَلِكَ من حقن الدماء وتسكين الدهماء».

وَقَالَ ابن قُدامة فِي المغني (٩/٥): «وجُملة الأمر أن من اتفق المسلمون عَلَى إمامته، وبيعته، ثبتت إمامته ووجبت معونته لِمَا ذكرنا من الحديث والإجماع، وفي معناه من ثبتت إمامته بعهد النَّبِي ﷺ أو بعهد إمام قبله إليه فإن أبا بكر ثبتت إمامته بإجماع الصحابة عَلَى بيعته، وعمر ثبتت إمامته بعهد أبي بكر إليه، وأجمعَ الصحابة عَلَى قبوله، ولو خرج رجلٌ عَلَى الإمام فقهره وغلب الناس بسيفه حتَّى أقروا له وأذعنوا بطاعته وتابعوه صار إمامًا يَحرم قتاله، والخروج عليه، فإن عبد الملك بن مروان خرج عَلَى ابن الزبير، فقتله واستولى عَلَى البلاد وأهلها حتَّى بايعوه طوعًا وكرهًا، فصار إمامًا يَحرم الخروج عليه، وذلك لِما فِي الخروج عليه من شق عصا المسلمين وإراقة دمائهم وذهاب أموالِهم... فمن خرج عَلَى من ثبتت إمامته بأحد هذه الوجوه باغيًا وجب قتاله...». اهـ

وقال العلامة عبد الرزاق عفيفي في بحث له بعنوان «الخلافة»: «وإن لم يكن في الأمة مَن يصلح لذلك -أي للولاية العامة- إلا واحد تعيَّن عليهم أن يقيموه واليًا عامًا عليهم»، ثم قال: «تثبت الخلافة أحيانًا بالنص من النبي ﷺ، أو من الخليفة السابق على من يلي الأمر من بعده -ولاية العهد-، وتثبت أحيانًا بالبيعة، أي: بيعة ذوي الشأن والرأي في الأمة، وتثبت أحيانًا بالغلبة والقهر».

وَقَالَ العلامة ابن عثيمين فِي «الشرح الممتع» (٨/١٢): «الإمام هُوَ ولي الأمر الأعلى فِي الدولة، ولا يُشترط أن يكون إمامًا عامًا للمسلمين؛ لأن الإمامة العامة انقرضت من أزمنة

متطاولة، وَالنَّبِيّ ﷺ قَالَ: «اسمعوا وأطيعوا ولو تأمَّرَ عليكم عبدٌ حبشي»، فإذا تأمَّر إنسان عَلَىٰ جهة ما صار بِمنْزلة الإمام العام، وصار قوله نافذًا، وأمره مُطاعًا، ومن عهد أمير المؤمنين عُثْمَان بن عَفَّان -رضي الله عنه-، والأمة الإسلامية بدأت تتفرق، فابن الزبير فِي الحجاز، وابن مروان فِي الشام، والمختار بن عبيد وغيره فِي العراق، فتفرقت الأمة، وما زال أئمة الإسلام يدينون بالولاء والطاعة لِمن تأمَّر عَلَىٰ ناحيتهم، وإن لَم تكن له الخلافة العامة، وبهذا **نعرف ضلال ناشئة نشأت تقول: إنه لا إمام للمسلمين اليوم، فلا بيعة لأحد**[1]، **نسأل الله العافية، ولا أدري أيريد هؤلاء أن تكون الأمور فوضى ليس للناس قائد يقودهم؟ أم يريدون أن يُقال كل إنسان أمير نفسه؟ هؤلاء إذا ماتوا من غير بيعة فإنهم يَموتون ميتة جاهلية**؛ لأن عمل المسلمين منذ أزمنة متطاولة عَلَىٰ أن من استولى عَلَىٰ ناحية من النواحي صار له الكلمة العليا فيها فهو إمام فيها، وقد نصَّ عَلَىٰ ذَلِكَ العلماء مثل صاحب سبل السلام، وَقَالَ: إن هذا لايُمكن الآن تَحقيقه، وهذا هُوَ الواقع الآن؛ فالبلاد الَّتِي فِي ناحية واحدة تَجدهم يَجعلونَ انتخابات، ويَحصل صراع عَلَىٰ السلطة، ورشاوي وبيع الذمم، إلى غير ذَلِكَ، فإذا كَانَ أهل البلد الواحد لا يستطيعون أن يولوا عليهم واحدًا إلا بِمثل هذه الانتخابات المزيفة فكيف بالمسلمين عمومًا؟ هذا لا يُمكن!!!». اهـ

وسئل العلامة الفوزان كما في «مفهوم البيعة» (س١٠): «نحن نعيش في جمهوريات مختلفة وغير عربية، ومعظم الناس هناك مسلمون، السؤال: هل يعتبر رئيس الجمهورية ولي أمر للمسلمين؟

ج: هذا ولي أمر على بلده، وأنتم تحت ولايته.

قلت: فلا يجوز الخروج على الحكّام -وإن ظلموا- عن طريق المظاهرات والاغتيالات والتفجيرات والانقلابات والاعتصامات، لِمَا في ذلك من فتنة كبيرة من سفك للدماء وترويع للأبرياء وهتك للحرمات، وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠].

---

(١) وهذا ينطبقُ علىٰ الحويني، والعودة، والحوالي، والبرهامي، فكلهم من هذه الناشئة التي ضلَّت في هذا الباب.

واعلم -رحمك الله- أن عدم الدينونة بالطاعة لولي أمر ينظم شئون الرعية هو من شرائع الجاهلية، وسنن الهمج الرِّعاع، وهو سبيل الخوارج والمعتزلة والرافضة، وكذلك هو سبيل الثوريين المتمردين من الكافرين الذين ليس لهم دين قويم يرجعون إليه، كما قال الإمام محمد بن نصر المروزي -رحمه الله- حيث قال في طليعة كتابه «السنة» (ص٥٣، ٥٤) (ط- دار الآثار- بتحقيقي) نقلاً عن الإمام الشافعي -رحمه الله-: «قال الشافعي: قال بعض أهل العلم: أولو الأمر: أمراء سرايا رسول الله ﷺ»[١]. قال وهو يشبه ما قال والله أعلم؛ لأن من كان حول مكة من العرب لَم تكن تعرف إمارة، وكانت تأنف أن يعطي بعضها بعضًا طاعة الأمارة، فلما دانت لرسول الله ﷺ بالطاعة لَم تكن ترى ذلك يصلح لغير الرسول ﷺ فأمروا أن يطيعوا أولي الأمر الذين أمَّرهُم رسول الله ﷺ، لا طاعة مطلقة بل طاعة [مستثناة فيما لهم وعليهم] فقال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ﴾ [النساء: ٥٩]. يعني إن اختلفتم في شيء[٢] يعني -والله أعلم- هم وأمراؤهم الذين أمروا بطاعتهم ﴿فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ يعني -والله أعلم-: إلى ما قال الله والرسول ﷺ[٣]، فإن لَم يكن ما تنازعوا فيه نصًّا فيهما ولا في واحد منهما رد قياسًا على أحدهما»[٤].

---

(١) ثبت هذا عن أبي هريرة، أخرجه الطبري في تفسيره (٤/ ٢٠٤) «دار الفكر» وابن أبي شيبة (٦/ ٤١٩)، والبيهقي في المدخل (٢٦٧) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة موقوفًا عليه. وقد رواه عن الأعمش ثلاثة: أبو معاوية، وهو مُحمَّد بن خازم الضرير، ثقة في الأعمش مضطرب في غيره، ووكيع، وحفص بن غياث. وقد فسر وكيع المقصود بقول أبي هريرة بقوله: «يعني أمراء السرايا الذين كان يبعثهم النَّبي -صلى الله عليه وآله وسلم-». والإسناد صحيح إلى أبي هريرة، وقد ذكر الطبري في تفسيره عدة أقوال في تفسير أولي الأمر، وانتصر للقول بأنهم هم الأمراء والولاة، وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٠٨): «والظاهر -والله أعلم- أنها عامة في كل أولي الأمر من الأمراء، والعلماء». اهـ

(٢) هنا في «الرسالة» للشافعي زيادة: [وهذا -إن شاء الله- كما قال في أولي الأمر، إلا أنه يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ﴾. يعني..]، ثُمَّ أتم العبارة كما هو مثبت في المتن أعلاه.

(٣) تمام هذه العبارة في الرسالة (فقرة ٢٦٤) هكذا: [..إن عرفتموه، فإن لَم تعرفوه سألتم الرسول عنه إذا وصلتم، أو من وصل منكم إليه].

(٤) ذكره في الأم (١/ ١٥٩)، والرسالة (ص٧٩-٨١)، وقد ورد ما يؤيد كلام الشافعي -رحمه الله-، =

وسمعت إسحاق يقول في قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾: قد يمكن أن يكون تفسير الآية على أولي العلم وعلى أمراء السرايا؛ لأن الآية الواحدة يفسِّرها العلماء على أوجه وليس ذلك باختلاف». اهـ

قلت: والعجيب أن هؤلاء الدعاة جميعًا قد تواطؤوا أيضًا على إهمال ذكر الدولة السعودية التي تحكم بالكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وتنصر التوحيد وتدحض الشرك، وترسل الدعاة والكتب إلى شتى أنحاء الأرض، وهم أنفسهم يتنعمون بخير هذه الدولة السلفية السُّنية.

فهم يقولون بعدم شرعية الحكومات المسلمة وإسقاط ولاية الحكام؛ لأنهم يحكمون بالقوانين الوضعية، فلماذا لم يستثنوا -على قاعدتهم- الدولة السعودية وحكامها؛ حيث إنهم يحكمون -ولو في الجملة- بالكتاب والسنة؟!!

ففي كلام الحويني من المجازفة والتهويل ما فيه، حيث جزم بالنفي المطلق لوجود سلطان يحمي حدود الله في الأرض، وتناسى -على أدنى الفروض- السلطان القائم في بلاد الحرمين الذي يحمي حرم بيت الله الحرام، وحرم مسجد رسول الله ﷺ ويذب عن الحرمين محاولات أهل البدع والأهواء من الرافضة والصوفية والمخرِّفين من تعدي حدود الله والإلحاد في الحرمين، بما عندهم من شركيات وخرافات.

وهذا السلطان هو الذي يحمي حجَّاج بيت الله وعمَّاره ويوفر لهم أسباب الأمن والأمان في الليل والنهار حتى يُؤدوا شعائر الله آمنين مطمئنين، مِمَّا قد لا يُعلَم له مثيل في الأزمنة السابقة إلا في زمان الخلفاء الراشدين.

وهذا السلطان هو الذي يطبِّق الحدَّ الشرعي على الزاني وشارب الخمر والمحارب..إلخ.

=

وذلك فيما أخرجه البخاري (٤٥٨٤)، ومسلم (١٨٣٤)، والترمذي (١٦٧٢)، وأبو داود (٢٦٢٤)، والنسائي في الكبرى (٦/ ٣٢٤)، وغيرهم من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: «نزلت في عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي السهمي إذ بعثه رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- في السرية».

وهذا السلطان هو الذي يطبع المصاحف وكتب السنة، ويرسلها إلى شتى أنحاء دول الإسلام، بل إلى دول الكفر.

وهذا السلطان هو الذي يُسخِّر الإمكانيات الهائلة للعلماء من أجل أن يعتنوا بالعلم والتعلُّم والتعليم.

وهذا السلطان هو الذي يوفر سبل إيصال دعوة التوحيد والسنة إلى كل مكان عن طريق المراكز الدعوية التي يبثها في كثير من الأماكن على مستوى العالم.

وهذا لا يعني أن هذا السلطان معصوم أو أنه في مقام الخلفاء الراشدين، بل بلا شك عنده من التقصير ما عنده؛ لكن هذا التقصير -كبُر أم صغُر- لا يُحِلُّ للحويني إطلاق نفي وجود السلطان الحامي لحدود الله في الأرض بهذه المجازفة.

ولكن المجازفة -كما بيَّنا من قبل- سمة بارزة عند أهل الأهواء، يتخذونها وليجة لنشر بدعهم وجعلها نافقة وسط الغوغاء والهمج.

والعجيب أن سلمان العودة في كلامه السابق يقرر شرعية الخلافة العثمانية، ويهدر شرعية الدولة السعودية، وهو يدرك الفارق بين الدولتين.

فالدولة العثمانية البائدة في آخر عهدها كانت حاميةً للمقامات الشركية، حاميةً للتصوف والخرافات والتقليد المذهبي الأعمى، وبسبب هذه الأمراض الفتَّاكة سقطت، فهل تقارن هذه الدولة بالدولة السعودية السُّنية السلفية التي تحمي التوحيد والسنة، ولا يوجد على أرضها قبرٌ يعبد صاحبه من دون الله، وتحكِّم الكتاب والسنة دون تعصُّب مذهبي[1]؟!

---

(١) لمعرفة المزيد حول فضل الدولة السعودية -حماها الله-، وفضل أمرائها الذين حكموا بالكتاب والسنة، وأقاموا منهج السلف الصالح، وقمعوا الشرك والبدع والوثنية، اقرأ هذه الكتب النفيسة: «حقيقة منهج المملكة العربية السعودية» للشيخ محمد عمر سالم بازمول -حفظه الله-، و«جباه شمخت بكلمة التوحيد فمُكِّن لها..دولة التوحيد والسنة»، و«مراقي السعود في ثناء العلماء على حكَّام آل سعود»، كلاهما للشيخ أحمد عمر سالم بازمول -حفظه الله-، و«أزهار من رياض ترجمة الملك عبد العزيز بن فيصل -رحمه الله-» للشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله-.
وإني أرجوا رجاء أكيدًا من الحويني أن يعلن موقفه الصريح -دون تورية- من هذه الكتب وأشباهها، وموقفه من المنهج الذي بُنيت عليه!

ولذلك لَمَّا تعرض آخر محدِّثي الديار المصرية العلامة أحمد شاكر -رحمه الله- لنقد بعض أوضاع الدول الإسلامية، لم يستثن من نقده إلا الدولة السعودية، فقال كما في «تقرير عن شئون التعليم والقضاء.. تقرير مقدَّم إلى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- ١٩٤٩» (ص٥٠): «... حتى إن الأمم التي فازت منها بالاستقلال السياسي في ظاهر أمرها لم تصل ولا أؤمل أن تصل في عهد قريب إلى الاستقلال العلمي والعقلي، في حين أنها لو عملت على الوصول إليه وحده لفازت بكل أنواع الاستقلال بالتبع والنتيجة المنطقية الطبيعية، لا أستثني من ذلك إلا ملك الملك السعيد (المملكة العربية السعودية) فإنها لا تزال أقرب إلى الفطرة الأصلية، وإلى التسامي والعلو والعزة ...». اهـ

قلت: وأما بقية الدول الإسلامية -خاصة التي التي ابتليت بالاحتلال الأجنبي-، فإن العدو المحتل لم يخرج منها إلا بعد أن خلَّف وراءه هذه القوانين الوضعية، ولكن رغم هذا فإن هذه الدول التي يحكمها -في الغالب الأعم- حكَّام يدينون بالإسلام، فإنه لا تخلو دولة منها من حماية شيء من حدود الله على تفاوت بينها.

ونأخذ على سبيل المثال: بلدنا مصر، فإن الدين الرسمي لها الإسلام، والمادة الأولى في دستور القوانين: أن الشريعة الإسلامية هي المصدر الرئيسي في التشريع[1].

أليست مصر من قبل بقيادة رئيسها محمد أنور السادات -رحمه الله- هي التي حمت حدود الله بتطهير أرض سيناء من دنس اليهود، ورفعت كلمة التوحيد على هذه الأرض مرة أخرى، وجعلت الكلمة العليا فيها للمسلمين؟!

أليس وجود هذا السلطان -على ما فيه- يعد سببًا رئيسًا في أن يأمن الناس على دمائهم وحرماتهم وأموالهم؟!

أليس وجود هذا السلطان -على ما فيه- كان سببًا في كبت مردة النصارى الذين كانوا يسعون لتقسيم مصر إلى دويلات طائفية، أو إلى محاولة الاستيلاء على دفة الحكم في مصر لإذلال المسلمين والسيطرة عليهم؟!

---

(١) وهذه العبارة باطلة، والصواب أن يُقال: «الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع».

وخذ -رحمك الله- هذا المثال البيِّن؛ لتدرك المجازفة -بل والكذب- في عبارة الحويني:

لمَّا سقط السلطان في بعض الأيام في بلاد الجزائر في فتنة جبهة الإنقاذ، هل قامت جبهة الإنقاذ -التي تدعي تطبيق الإسلام- بحماية حدود الله وتأمين الناس على أنفسهم وأهليهم، أم أنه حدث العكس؟!

فكان أهل الجزائر محميين في وجود هذا السلطان الجائر، فلمَّا سقط هذا السلطان سُفِكَت دماؤهم وانتهكت أعراض نسائهم وسرقت أموالهم، ودبت الفوضى من قبل جبهة الإنقاذ الإسلامي!!

أليس حفظ الدماء والأعراض والأموال من أعظم حدود الله التي تُحْمَى بالسلطان ولو كان جائرًا ظالمًا؟!

ومن ثَمَّ حرَّم الشرع الخروج عليه أو التهييج عليه حفظًا لهذا الأمن، ومراعاة للمصلحة العظمى.

ولذلك تأمل أيها الشاب السُّني -أرشدك الله لِمَا يحبه ويرضاه- هذا الحوار الذي دار مع العلامة الإمام ابن عثيمين -رحمه الله- حول فتنة الجزائر، وانظر كيف كان توجيهه السلفي حول المصالحة التي عرضتها الحكومة على الخوارج والشباب المخدوع الذين شُرِّدُوا في الجبال؟ وكيف كان حكمه على حاكم البلاد؟

وقد نقل هذا الحوار الشيخ عبد المالك الرمضاني في كتابه المهم: «فتاوى العلماء الأكابر في حكم الدماء التي أهدرت في الجزائر» (ص١٧٨)، وكان هذا الحوار في يوم (١٧) ذي الحجة عام (١٤٢٠هـ)، وهذا نصُّه:

السائل: فضيلة الشيخ -حفظك الله!- ما هي نصيحتُكم وتوجيهُكم لأولئك الذين غُرِّرَ بهم ثمَّ تابوا وألقَوا السِّلاحَ، ورجعوا إلى حظيرَة المسلمين، وهم الآن يُصلُّون في مساجدهم، ويعيشون مع النَّاسِ، وقد يَجدون بعضَ الحرَج أو الإحراجَ من طرَف الغير، فما هي نصيحتُكم للناسِ في معاملتِهم لهم، ونصيحتكم لهم؟ كيف يُعاملون الناسَ؟ وكيف يُستَقبَلون؟ وكيف يعيشون في هذا الجوِّ الجديد بالنِّسبة إليهم؟ جزاكم الله خيرًا.

الشيخ: الحمد لله ربِّ العالَمين، نصيحتي للإخوان الذين مَنَّ اللهُ عليهم بإلقاءِ السِّلاح، ورجعوا إلى مُدُنهم وديارِهم أن يَشكروا اللهَ -عزَّ وجلَّ- على هذه النِّعمَةِ قبل كلِّ شيءٍ، لأنَّ هذه نعمةٌ مَنَّ الله بها عليهم وعلى الجزائريِّين الآخرين.

ثانيًا: أن يَنسوا ما سبق، وألاَّ يعيشوا في أفكارهم السابقة، يمحضونها محضاً تامًّا من أفكارهم، ولا يتذاكروها، حتى إذا تذاكروها فليقولوا: أعوذ بالله من الشيطان الرَّجيم.

ثالثًا: أن يعيشوا مع النَّاسِ وكأنَّهم لَم يفعلوا شيئًا، لأنَّهم إذا عاشوا وهم يشعرون بأنَّهم فعلوا ما فعلوا بقُوا في نفْرَةٍ من الناس وبُعدٍ منهم، وهذا يَضُرُّ بالمصلحةِ العامة.

رابعًا: أن يُقبِلوا على علم الكتاب والسُّنَّة، وعلى معاملة السَّلَف لحُكَّامهم، فها هو أحمد بن حنبل -رحمه الله- إمام أهل السنة يقول للمأمون: (يا أمير المؤمنين)! وهو الذي آذاه في القول بخلق القرآن، وكذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مخاطبتِه لِمَن حبَسَه، تجد خطابًا ليِّنًا، قال الله لموسى وهارون: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

خامسًا: **بالنسبة للآخرين**: أن يتلقَّوا هؤلاءِ بوجهٍ طلْقٍ وصدرٍ مُنشرحٍ، وأن يفرحوا بهم، وأن يُكرموهم، وألاَّ يروهم جفاءً أو كراهيةً أو عبوسًا في وجوههم، لأنَّ الحالَ بعد وضع السِّلاح ليس كالحال قبل وضع السِّلاح، وأن يتناسَوا كلَّ ما جرى.

سادسًا: بالنسبة للدُّعاة أيضًا: يَحثُّون الناسَ على أن يتآلفوا ويتقاربوا، ويتعاونوا على البرِّ والتقوى، ويتناسَوا ما سبق، وتبدأ الحياة من جديد.

أمَّا ما سمعناه -والحمد لله- عن رجوع الكثير منهم إلى الصواب وإلقاء السِّلاح، وما سمعنا كذلك عن العفوِ العامِّ من قِبَل الدولة، فقد سرَّنا هذا كثيرًا، والحمد لله ربِّ العالَمين، نرجو اللهَ -عزَّ وجلَّ- أن يُتمِّمَ في الباقي، هذا رأيي في المسألة.

السائل: يا شيخ! البقيَّةُ الباقيةُ التي بقيت في الجبال، يعني الحكومة -كما قلتَ الآن يا شيخ- أعطت العفوَ، والكثير منهم بقوا في الجبال على أساس أنَّهم لا يُعطون الأمان للحكومة.

الشيخ: لا يأمنونها؟

السائل: إي! لا يأمنونها، لكن الحكومة وعدت أنَّها لن تُصيبَهم بأذى، وقد نفَّذت هذا في الذين نزلوا، يعني: لَم تُصبهم بأذى، وهي فقط تقول: سلِّموا السِّلاحَ، وعودوا إلى حياتكم الطبيعيَّة، فالكثيرُ منهم يتردَّد ويقول: نحتاجُ إلى فتوى من مشايخِنا؛ حتى إمَّا ننزل، وإمَّا نجلس.

وبعضُهم نزل -والحمد لله- خاصَّة بعدما أُذيعت فتوى الشيخ ابن باز -رحمه الله- في التلفاز، وفتوى الشيخ الألباني -رحمه الله- بعدَم جواز هذا الأمر، والبعضُ لا زال شاكًّا في هذا الأمر، فماذا تقولون في هذا؟

الشيخ: نرى أنَّه يجبُ عليهم وضعُ السِّلاح وإلقاءُ السَّلام، وإلاَّ فكلُّ ما يترتَّب على بقائهم من قتلٍ ونهب أموالٍ واغتصابِ نساءٍ فإنَّهم مسئولون عنه أمام الله -عزَّ وجلَّ-، والواجب عليهم الرجوع، وقد سمعنا-والحمد لله- أنَّ الكثيرَ منهم رجع، وهذا هو الواجب.

ونحن نشكرُ الدولةَ على العفوِ العام، ونشكرُ مَن ألقى السِّلاحَ على استجابتِه.

ولا يتشكَّكون في هذا أبدًا، وليرجِعوا إلى حياتهم الطبيعية.

السائل: فيما يَخُصُّ الذين تورَّطوا ورجعوا، وقد قضوا مدَّة طويلة في الأودية والجبال، فما هي أنفعُ السُّبُل لتعليمهم وإرشادِهم حتى يعودوا إلى حياتهم الطبيعيَّة؛ لأنَّه ليس من السَّهل أن يَقضيَ رجلٌ منهم مدَّةً مديدةً في الجبال ثمَّ يعود كأن لم يكن شيء؟! فما هي أنفع السبل لتعليمهم وإرشادهم وتوجيههم؟

الشيخ: هذا يرجع إلى الحكومة والمجتمع، فينشأ لهم مدارس لتعليمهم حسب حالهم.

السائل: من الفساد الذي حدث في هذه الفتنة: هو أنَّ بعضَ النساء أو الفتيات تعرَّضْنَ للاغتصاب من طرف هؤلاء الذين يصعدون الجبال[1]!.

---

(١) أي من الإخوة -أدعياء الجهاد- أصحاب اللِّحى، إلاأنهم كانوا على منهج الخوارج في استحلال الدماء والأعراض والأموال.

الشيخ: نسأل الله العافية!

السائل: فكثيرٌ منهنّ حوامل، وبعضُهم أصدر فتوى ... بجواز الإجهاض في مثل هذه الحالة ... أنّ هؤلاء الفتيات اغتُصبن، والآن وقعنَ في هذه المشكلة، فكثيرٌ منهنّ يسأل؟

الشيخ: إفتاؤهنّ هؤلاء المغتصَبات بإجهاضِ الحمل صحيحٌ، ما لَم يبلغ الحملُ أربعةَ أشهر، فإذا بلغ أربعةَ أشهرٍ نُفخت فيه الرُّوح ولا يُمكن إسقاطه، أمّا قبل ذلك فإسقاطُه أولى من إبقائه.

السائل: مِن الذين تابوا بقيَ في أيديهم أموالٌ قد اغتصبوها وسلبوها أيامَ الفتنة، حُكمُ هذه الأموال بعد ما تابوا وقد جُهل أصحابها؟

الشيخ: الأموال التي انتهبوها من المواطنين لا شكَّ أنّها حرامٌ عليهم، فالمواطنُ مسلمٌ، والمسلمُ حرامٌ دمُه ومالُه وعِرضُه، فعليهم أن يَردُّوها إلى أصحابها إن عَلِموهم، أو إلى وَرثَتهم إن كانوا قد ماتوا، فإن لم يمكن فإمّا أن تُجعلَ في بيت المال، وإمّا أن يُتصَدَّق بها عن أصحابها.

السائل: لعلّه هذا المتيسّر؛ لأنه لا يُمكن إرجاعُها إلى بيت المال.

الشيخ: يُتصَدّقُ بها عن أصحابها، والله يعلَم بهم -عزّ وجلّ-.

السائل: بالنسبة للحاكم الجزائري يا شيخ! الآن الشباب الذين طلعوا من السجون أكثرُهم لا زال فيهم بعض الدَّخَن، حتى وإن طلعوا من السجون وعُفي عنهم، لكن لا زالوا يتكلّمون في مسألة التكفير، ومسألة تكفير الحاكم بالعين، وأن هذا الحاكم الذي في الجزائر حاكمٌ كافرٌ، ولا بيعة له، ولا سمع ولا طاعة لا في معروفٍ ولا في منكرٍ؛ لأنهم يُكفِّرونهم، ويجعلون الجزائر يا شيخ! -أرض -يعني- أرض كفر.

الشيخ: دار كفر؟

السائل: إي، دار كفر، نعم يا شيخ! لأنهم يقولون: إنّ القوانينَ التي فيها قوانين غربية، ليست بقوانين إسلامية، فما نصيحتُكم أولاً لهؤلاء الشباب؟ وهل للحاكم الجزائري بَيْعَة، علمًا يا شيخ! بأنّه يأتي يعتمِر ويُظهرُ شعائرَ الإسلام؟

الشيخ: يُصلّي أو لا يُصلّي؟

السائل: يُصلِّي يا شيخ!

الشيخ: إذن هو مسلمٌ.

السائل: وأتى واعتمر هنا من حوالي عشرين يومًا أو شهر، كان هنا في المملكة.

الشيخ: ما دام يُصلِّي فهو مسلمٌ، ولا يجوز تكفيرُه، ولهذا لَمَّا سُئل النَّبِيُّ ﷺ عن الخروج على الحُكَّام قال: «لا ما صلَّوا»، فلا يجوز الخروجُ عليه، ولا يجوزُ تكفيرُه، من كفَّره فهذا ... بتكفيره يُريد أن تعودَ المسألة جَذَعًا، فله بيعة، وهو حاكمٌ شرعيٌّ[1].

أما موضوعُ القوانين، فالقوانينُ يجب قبول الحقِّ الذي فيها؛ لأنَّ قبول الحقِّ واجبٌ على كلِّ إنسان، حتى لو جاء بها أكفرُ الناس، فقد قال الله -عزَّ وجلَّ-: ﴿ وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ﴾ [الأعراف: ٢٨]. فقال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ ﴾ [الأعراف: ٢٨]. وسكت عن قولهم: ﴿وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا ﴾، لأنَّها حقٌّ، فإذا كان تعالى قَبِل كلمةَ الحقِّ من المشركين فهذا دليلٌ على أنَّ كلمةَ الحقِّ تُقبلُ من كلِّ واحد، وكذلك في قصة الشيطان لَمَّا قال لأبي هريرة: «إنَّك إذا قرأتَ آيةَ الكرسي لَم يزل عليك من الله حافظ، ولا يَقرَبْك الشيطان حتى تُصبح» قبِل ذلك النَّبِيُّ ﷺ، وكذلك اليهودي الذي قال: «إنَّا نجد في التوراة أنَّ الله جعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع -وذكر الحديث- فضحك النَّبِيُّ ﷺ حتى بَدَت أنيابُه أو نواجِذُه، تصديقًا لقوله، وقرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ ﴾ [الزمر: ٦٧].

فالحقُّ الذي في القوانين -وإن كان مِن وَضعِ البشرِ- مقبولٌ، لا لأنَّه قول فلان وفلان أو وضْعُ فلان و فلان، ولكن لأنَّه حقٌّ.

وأمَّا ما فيه من خطأ، فهذا يُمكنُ تعديلُه باجتماع أهل الحلِّ والعقدِ والعلماء والوُجهاء، ودراسة القوانين، فيُرفَضُ ما خالف الحقَّ، ويُقبلُ ما يُوافِقُ الحقَّ.

---

(١) ماذا يقول القطبيون السروريون الذين يتعلَّقون ببعض فتاوى الشيخ ابن عثيمين -المشتبهة عليهم- على تكفير الحُكَّام الذين يحكمون بهذه القوانين -وإن لم يستحلوا-؟!

وتدبر قوله -رحمه الله-: «هو حاكمٌ شرعي»؛ لتزداد يقينًا بأن الإمام ابن عثيمين -رحمه الله- يوافق إجماع السلف في شرعية ولاية مَن تولَّى بالغلبة والقهر.

أمَّا أن يُكفِّرَ الحاكم لأجل هذا؟!

مع أنَّ الجزائر كم بقيت مستعمَرة للفرنسيين؟

السائل: ١٣٠ سنة.

الشيخ: ١٣٠ سنة! طيِّب! هل يُمكن أن يُغيِّر هذا القانون الذي دوَّنه الفرنسيُّون بين عشيَّة وضحاها؟! لا يُمكن.

أهمُّ شيء: عليكم بإطفاء هذه الفتنة بما تستطيعون، بكلِّ ما تستطيعون، نسأل الله أن يقيَ المسلمين شرَّ الفتن.

السائل: فتكمِلة لمسألة الشباب الآن -يا شيخ!- مثلاً في مناطق كثيرة، ليست كل المناطق، لكن في مناطق كثيرة لا زالوا يخوضون في مسألة هي كبيرة عليهم، يعني مسائل -مثلاً يا شيخ!- التكفير، التشريع العام، والتكفير العيني، هذه المسائل -يا شيخ!- قد يأخذون الفتوى منكم، ثمَّ يُطبِّقونها على الحاكم، هكذا تطبيقًا يعني...

الشيخ: عملهم هذا غير صحيح.

السائل: نعم! ثمَّ لَمَّا نقول له: يا أخي ما قالها الشيخ ابن عثيمين، يقول لك: لكن الشيخ ابن عثيمين -مثلاً- في كتبه قال: التشريع العام: مَن حكم بغير ما أنزل الله فهو كافر بدون تفصيل، والآن عندنا هذا الحاكم لا يحكم بما أنزل الله، فهو كافر، فهمتَ المسألة يا شيخ؟

الشيخ: فهِمنا، أقول -بارك الله فيكم-: الحكم على المسألة بالحكم الذي ينطبق عليها غيرُ الحكم على شخصٍ معيَّن.

فالمهمُّ يجب على طلبة العلم أن يعرفوا الفرقَ بين الحكم على المسألة من حيث هي مسألة، وبين الحكم على الحاكم بها؛ لأنَّ الحاكمَ المعيَّن قد يكون عنده من علماء السوء مَن يُلبِّس عليه الأمورَ، وغالبُ حُكام المسلمين اليوم ليس عندهم علمٌ بالشرع، فيأتيهم فلانٌ يُموِّه عليهم، وفلانٌ يُموِّه عليهم، ألَم ترَ إلى أنَّ بعضَ علماء المسلمين المعتبرين قال: جميع مسائل الحياة ليس للشرع فيها تدخُّل! واشتبه عليهم الأمر بقوله ﷺ: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»، قال هذا رجالٌ نشهدُ لهم بالصلاح، ولكن تلبَّس عليهم، وهم لو تأمَّلوا الأمرَ لوجدوا أنَّ هذه بالنسبةِ للمصانع والصنعة وما أشبه ذلك؛ لأنَّ الرسولَ تكلَّم

عن تأبير النخل، وهم أعلم به؛ لأنَّه ﷺ أتى من مكَّة، ما فيها نخل ولا شيء، ولا يعرفه، فلمَّا رأى هؤلاء يصعدون إلى [النخل] ويأتون بلقاحه، ثمَّ يُؤبِّرون النخلةَ ويلقِّحونها، فيكون فيه تعب وعمل، قال: «ما أظنُّ ذلك يُغني شيئًا»، فتركوه سنة، ففسدت النخلة، فأتوا إليه، فقالوا: يا رسول الله! فسد التمر! قال: «**أنتم أعلم بأمور دنياكم**»، ليس بأحكام دنياكم، لكن بأمور دنياكم، ثم الناس يُلبِّسون الآن، ألَم تروا بعض العلماء في بلاد ما أباحوا الرِّبا الاستثماريَّ؟ وقالوا: المُحرَّم الربا الاستغلالي، وشبهتُه قوله تعالى: ﴿فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩].

الحاكم إذا كان جاهلاً بأحكام الشريعة، وجاءه مثلُ هذا العالِم، أليس يُضلُّه؟

السائل: يُضِلُّه.

الشيخ: فلذلك لا نحكم على الحُكَّام بالكفر إذا فعلوا ما يَكفُر به الإنسانُ حتى نُقيم عليه الحُجَّة.

السائل: مَن الذي يُقيم الحُجَّة يا شيخ؟

الشيخ: ما دُمنا ما أقمنا عليهم الحُجَّة لا نحكم بكفرهم.

السائل: سمعتُكَ -يا شيخ!- تقول في رمضان قلتَ: «إلاَّ أن ترَوا ..»، يعني: الرؤية العينية، قلتَ: -يا شيخ! فيما أذكر- قلتَ: مثل رؤية العين.

الشيخ: نعم! هذا هو، أي: أن نعلمَ علمَ اليقين -مثل ما نرى الشمس- كفرًا بواحًا، صريحًا ما فيه احتمال»[1]. اهـ

---

(١) وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط (الثلاثاء ٣٠ جمادى الثاني ١٤٢٥ هـ - ٢٠ يوليو ٢٠٠٤ العدد ٩٣٦٦) اعتراف الجبهة السلفية -زعمًا!!- للقتال بالتأثير الإيجابي لفتوى الشيخ ابن عثيمين هذه على الشباب، حيث جاء في الخبر:

«اعترفت الجماعة السلفية للدعوة والقتال الجزائرية بتخلي عدد لا بأس به من عناصرها عن العمل المسلح استجابة لفتوى أصدرها عالم دين سعودي- وقالت الجماعة في بيان نشرته في موقعها على الإنترنت، أن عناصرها تأثروا بفتوى أصدرها عالم الدين السعودي الشيخ ابن عثيمين في صفر ١٤٢٠ هجري (قبل ٥ سنوات) وتضمنت دعوة لتخلي المقاتلين عن العمل المسلح والاستجابة للمصالحة التي يتبناها الرئيس عبد العزيز بوتفليقة.

واعتبرت الجماعة أن تلك الفتوى نزلت كالصاعقة علينا، وقصمت ظهرنا، وما زال مفعولها جاريًا =

قلت: فأنا أطالب الشيخ أبا إسحاق الحويني أن يفيدني بموقفه الصريح من كلام الشيخ ابن عثيمين هذا، وأريد كذلك موقفه الصريح من هذه الكتب الثلاثة للشيخ عبد المالك الرمضاني:

١- مدارك النظر في السياسة، والذي راجعه وقدَّم له الإمام الألباني، وأبدى إعجابه الشديد بالكتاب، حيث قال في تقريظه مثنيًا على الكتاب: «ورغم ضيق وقتي، وضعف نشاطي الصحي، وكثرة أعمالي العلمية، فقد وجدت نفسي مشدودًا لقراءته، وكلَّما قرأت فيه بحثًا معلِلاً نفسي أن أكتفي به، كلَّما ازددت مضيًا في القراءة حتى أتيت عليه كلِّه، فوجدته بحقٍّ فريدًا في بابه؛ فيه حقائق عن بعض الدعاة ومناهجهم المخالفة لِمَا كان عليه السلف الصالح، واستفدت أنا شخصيًّا فوائد جمَّة حول ثورة الجزائر وبعض الرءوس المنتسبين إليها، والمؤيِّدين لها بعواطفهم الجامحة، والمبالغين في تقويمها مِمَّن لا يهتمون بقاعدة التصفية والتربية، ولقد سُررت جداً بإشادتك بها، ودندنتك حولها كثيرًا، في الوقت الذي لم ينتبه لدورها أكثر الدعاة في تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة حكم الله في الأرض، بل إنها الأساس في ذلك؛ فجزاك الله خيرًا». اهـ

فنحن نتساءل: هل نال هذا الكتاب إعجاب الحويني كما نال إعجاب الإمام الألباني، -والذي يدعي الحويني أنه شيخه وأنه زكَّاه بما لم يزكِّ به غيره-؟ فإن قيل: وهل الحويني ملزم أن يوافق الألباني في كل اجتهاداته؟

فالجواب: أنا ما قلت هذا، إنما طالبت الحويني موافقة الألباني في أصول المنهج السلفي، والتي جدَّد الدعوة إليها الإمام الألباني، وكتاب «مدارك النظر» قد انتصرَ لهذه الأصول، وبيَّن حال بعض المخالفين لها نحو: سفر الحوالي، وسلمان العودة، وعائض القرني، وبيَّن موافقتهم لأصول محمد سرور، ونقل فتاوى الأكابر في التحذير منهم، وقد

=

إلى يومنا في أوساط الشباب.

وتحدثت الجماعة عن ضعف جبهتنا الإعلامية، مؤكدة حاجتها إلى قناة تبث عبرها مواقفها وأخبارها، وطلبت من القائمين على مجلتها صوت الجهاد القيام بهذا الدور، ودعت الجماعة القائمين على صوت الجهاد أيضًا، إلى الرد على الفتوى وتبيان وجه الخطأ فيها».اهـ

أقرّ الإمام الألباني هذا بقوله في المقدِّمة: «فيه حقائق عن بعض الدعاة ومناهجهم المخالفة لِمَا كان عليه السلف الصالح».

فما هو موقف الحويني من هذا؟!

والجواب المعلوم عنه: أنه يعتبر التحذير من المذكورين وأمثالهم غلوًّا في الجرح، ومن ثَمَّ أثنى على «رسالة إلى غُلاة التجريح» لمحمد حسَّان[1].

ومن ثَمَّ يلزم لزومًا أكيدًا من موقفه هذا أن يكون الأئمة: الألباني، وابن باز، وابن عثيمين، وعبد المحسن العبّاد من غُلاة التجريح؛ لأنهم حذَّروا من المذكورين!!.

٢- فتاوى الأكابر في حكم الدماء التي أهدرت في الجزائر.

٣- تحذير العباد من وحشية أبي قتاد.

والذي يعد امتدادًا لمدارك النظر.

فهل ينصح الحويني الشباب بالاستفادة من هذه الكتب، وهل يقر ما فيها من حقائق تشيب لها الولدان؟

أم سيقول مقولته السابقة التي قالها في حق كتاب «الكواشف الجلية»، والذي شابه «مدارك النظر» في كشفه حقائق أدعياء السلفية، وفضح مخططات الأحزاب البدعية في حرب أهل السنة: **الردُّ هو عدم الردِّ !!!؟**

وأحب أن أشير إلى أن الحويني قد تغيرت لهجته قليلاً في بعض اللِّقاءات التي عقدها مؤخرًا في القنوات الفضائية، فكان أحيانًا يذكر كلامًا يشير إلى إقراره بوجود سلطان له كلمة، لا ينبغي إهماله، كما قال في لقاء: «غزة لن تنكسر» (الدقيقة: ٢٨-٢٩):

«والمخالفات هذه إما أن تأتي عن جهل وإما أن تأتي عن عمد.

فالمخالفات التي تأتي عن جهل يصحّحها أهل العلم، والمخالفات التي تأتي عن عمد يصححها سيف السلطان؛ «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن»، فيه ناس تخاف ما تختشيش إذا رأى بارقة السيف يحترم نفسه ويلم نفسه، وفي واحد إذا ذكّرته بالله ذكر....

---

(١) كما في لقائه الأخير الذي عقده في الأردن، وسوف يأتي نقد ما فيه في آخر الكتاب.

...إذن يبقى الوعظ والإيمان مع سيف السلطان الاثنين لما يمشوا مع بعض آه الدنيا تبان، ويظهر عمل العلماء لكن لو العلماء عملوا وحدهم لن يظهر عملهم للعامة، لو السلطان عمل وحده لن يظهر عمله سيكون كالقوة الغاشمة التي لا رحمة فيها؛ فلا بد إنه يحصل نوع من التكاتف يحصل نوع من المراجعة ميحصلش فيه نوع من التنافر؛ لأنه بكل أسف بيبقى فيه في بعض المواطن في تنافر ما بين القرار السياسي وما بين الكلام الإيماني، واحنا عندنا إن الكلام الإيماني هو الكلام الأخير الذي لا يجوز خلافه؛ لأن هذا هو كلام الله ورسوله».

قلت: وهذا الاضطراب في الأصول المنهجية عند القصَّاص نابع من عدم الانطلاق من أصول السنة الظاهرة، التي لا تتقلَّب مع السياسة أو مع تغير الأوضاع.

وهذا الكلام من الحويني لا يكفي وحده لإثبات استقامته في هذا الباب على الطريقة السلفية؛ لأمرين:

الأمر الأول: لم يعهد عليه في دروسه وخطبه ترسيخ هذا الأصل السلفي، ولم يشرح كتابًا سلفيًّا واحدًا في الاعتقاد يقرر فيه هذا الأصل.

الأمر الثاني: هناك عشرات المواضع الأخرى والتي سوف يأتي ذكر بعضها في «المخالفة التالية»، تثبت عدم ثباته على ما قرره في كلامه السابق، فهو دائمًا يهين هذا السلطان ويسخر منه، ولا يسعى إلى نصحه بالتي هي أحسن، بل دائمًا يكون حريصًا على إظهار الجانب السيئ للسلطان، متناسيًا أن السلطان ما هو إلا وجه المرآة الذي يرى الناس فيه أعمالهم، فإن حسُنت أعمالهم حسُنت صورتهم في المرآة.

فكنا نود من الحويني أن يسلك السبيل السلفية السوية في مناصحة السلطان بالطرق الشرعية عن طريق المراسلة والمكاتبة والمحادثة المباشرة إن تيسرت، مع محاولة تكثير المصالح وتقليل المفاسد، حتى ينتشر الخير ويقل الشر.

وهناك حوار أجرته جريدة الشروق الجزائرية مع الحويني وهو -كما قيل- على فراش المرض، وقد ادعي في هذا الخبر أن الحويني تعهد بأن يجري حديثًا للشروق ليقول رأيه عن التكفير والإرهاب في الجزائر، مشدِّدًا على أنه لا يوجد شخص في العالم كله يحق

له إهدار دم أي شخص دون دليل، مؤكِّدًا أن القصاص يحدده أولي الأمر، وإهدار الدم لا يكون إلا بالدليل القاطع، وأكَّد الحويني -كما قيل في الخبر- أنه سيكتب للشروق رأيه في هذا الموضوع حصريًّا، متمنيًا أن يزور الجزائر قريبًا؛ لأنه يتمنى هذا الأمر منذ أكثر من **٢٥** عامًا؛ لأنه بلد قريب من قلبه. اهـ

ولكن مجهولاً نشر على بعض مواقع الشبكة العنكبوتية تكذيب هذا الخبر، وعنونه بـ«تكذيب خبر أسعى لزيارة الجزائر منذ **٢٥** سنة لأقول للتكفيريين اتقوا الله»، ونص هذا التكذيب: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ...

أما بعد، فهذا المقول مكذوب عن الشيخ، فقد قمت بفضل الله بالتواصل مع الشيخ، وقد تم تكذيب هذا المقال، وعلى صاحبه أن يتقي الله ويتوب إليه، وعلى الأخوة مِمَّن ينقلونه أن لا ينقل شيئًا عن الشيخ إلا من موقعه الرسمي؛ وليتق الله كل مسلم والله حسبنا ونعم الوكيل». اهـ

قلت: والعهدة الآن على الحويني في تكذيب أو تصديق هذا الخبر صراحة، وإن كان عدم صحة هذا الخبر هو المتعين؛ لعدة أسباب:

أولاً: لأنه لو كان صحيحًا لنشر على موقع الحويني.

ثانيًا: هذا الكلام غير معهود عن الحويني، فلم يعهد عليه استخدام مصطلح التكفيريين في كلامه، بل المعروف عنه تمجيد رموز التكفيريين أمثال: فوزي السعيد، ومحمد عبد المقصود، وسيد عربي، ورموز حزب الإخوان.

ثالثًا: لم ينكر الحويني -على حدِّ علمي- في دروسه -وما أكثرها- أحداث الجزائر، ولم ينقل أنه حذَّر الشباب المخدوع من جبهة الإنقاذ التي دمَّرت شباب الجزائر بأفكارها الخارجية، أو أنه كان يدل الشباب على فتاوى العلماء الكبار في هذا الشأن.

وكما قيل: كلُّ إناء بما فيه ينضح.

* * * *

المخالفة الخامسة

سلوك الحويني سبيل التهييج السياسي والإثارة للعامة ضد الحكّام الذي هو سبيل الخوارج القَعَديَّة

قال الحويني في محاضرة «الرد على المفتي»: «لأن الدفاع عن الإسلام لا يكون بالصوت العالي، إنما يكون بالحجج النيرات الواضحات».

قلت: يا ليت الحويني التزم بهذا، ولكن مَن يتتبع دروسه وخطبه يجد أنه آثر الصوت العالي على إيضاح الحجج النيرات الواضحات، وصار التهييج السياسي ضد حكّام المسلمين ركنًا أساسيًّا في أغلب دروسه وخطبه.

وهذا التهييج السياسي هو منهج الخوارج القَعَدية الذين يزينون للناس الخروج على الحكّام بالقول -أي: الصوت العالي والخطب الحماسية الرّنانة- دون أن يباشروا الخروج الفعلي بالسلاح.

قَالَ الحافظ فِي مقدمة الفتح (ص٤٣٢): «القعدية قوم من الخوارج كانوا يقولون بقولهم، ولا يرون الخروج بل يزينونه».

وَقَالَ فِي الإصابة (٣٠٣/٥) عن عمران بن حطان: «تابعي مشهور[1]، وكان من رءوس

---

(١) علّق الشيخ فلاح -حفظه الله- على هذا قائلاً: «لا يخفى أن الوصف بكون فلان (تابعي - ومشهور) يكون على اعتبارين:

أ) اعتبار المرحلة الزمنية، أي بمن جاء بعد الصحابة، وهذه لا تفيد في ذاتها مدحًا ولا قدحًا.

ب) المعنى الاصطلاحي، أي مَن تابع وامتثل ما كان عليه الصحابة عقيدة ومنهجًا وعبارة وسلوكًا، وهذا هو الذي عليه مدار المدح والثناء، بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. ولذلك كان العلماء -رحمهم الله- يقولون في مثل هذا: «كان في عداد التابعين»، أو «كان في زمن التابعين، وليس منهم»، تفريقًا بين المعنى اللغوي المتعلق بالمرحلة الزمنية، =

الخوارج من القَعَدية -بفتحتين- وهم الذين يُحسّنون لغيرهم الخروج عَلَىٰ المسلمين، ولا يباشرون القتال، قَالَ المبرد: وقيل القعدية: لا يرون الحرب وإن كانوا يزينونه». اهـ

وَقَالَ فِي التهذيب (٣٩٨/٤) فِي ترجمة عمران: «والقعد الخوارج كانوا لا يرون الحرب، بل يُنكرون عَلَىٰ أمراء الجَوْر حسب الطاقة، ويدعون إلى رأيهم ويزينون مع ذَلِكَ الخروج ويُحسّنونه».

ثُمَّ قَالَ: «وكان -أي عمران- قبل ذَلِكَ مشهورًا بطلب العلم والحديث ثُمَّ ابتلي، وساق -أي الأصبهاني- بسند صحيح عن ابن سيرين قَالَ: تزوج عمران امرأة من الخوارج ليردها عن مذهبها فذهبت به». اهـ

قُلْتُ: فلا يعجبنَّ أحدٌ أن يُقال عن فلان أو علان مِمَّن عُرف بطلب العلم والحديث، ثُمَّ أظهر الخروج بالكلمة دون السيف، أنه من الخوارج القعدية.

وقد قَالَ الدَّارَقُطْنِيّ عن عمران: «متروك لسوء اعتقاده، وخبث مذهبه».

وفِي مسائل الإمام أَحْمَد «رواية أبي داود» (١٧٤٩) (ص٣٦٢- ط- مكتبة ابن تيمية): قال أبو داود: سمعت عبد الله بن مُحَمَّد أبو مُحَمَّد الضعيف قَالَ: «قَعَدُ الخوارج هُم أخبث الخوارج».

وَقَالَ السيوطي فِي تدريب الراوي (ص٣٢٩): «القَعَديَّة الذين يرون الخروج عَلَىٰ الأئمة ولا يُباشرون ذَلِكَ».

وَقَالَ ابن مالك الطائي فِي (إكمال الإعلام بتثليث الكلام)، (٥٢٤/٢): «القعد... جمع قعدي، وهو التارك للقتال من الخوارج».

وَقَالَ ابن منظور فِي لسان العرب (٣٥٨/٣): «قَالَ ابن الأعرابي: القعد الشراة الذين

=

والمعنىٰ الاصطلاحي المتعلّق بالمتابعة، وهذا هو منهج الإمام الذهبي -رحمه الله-.

وعليه، كان الأولىٰ بالحافظ -رحمه الله- أن يقول: عن عِمران بن حِطّان الخارجي: «كان في عداد -أو في زمن- التابعين» إخراجًا له عن حدّ المتابعة الذي يُفهم من إطلاقه عليه: «تابعي مشهور»، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

وقد يُعتذر للحافظ بأنه بيّن حاله بقوله: «وكان من رءوس الخوارج القَعدية».

يُحكِّمون، ولا يُحاربون، وهم جمع قاعد كما قالوا حارس، وحرس، والقعدي من الخوارج الَّذِي يرىٰ رأي القعد، الذين يرون التحكيم حقًّا غير أنهم قعدوا عن الخروج عَلَىٰ الناس، وَقَالَ بعضُ مُجَّان المُحدِّثين فيمن يأبىٰ أن يشرب الخمر وهو يستحسن شربها لغيره فشبهه بالذي يرىٰ التحكيم وقد قعد عنه»[1].

وفي ترتيب القاموس المحيط (٣/٦٥٥): «والقَعَدُ -مُحركة-: الخوارج، ومن يرىٰ رأيهم: قَعَدِيٌّ». اهـ

وَقَالَ العلامة مُحَمَّد العثيمين: «بل العجب أنه وُجه الطعن إلَىٰ الرسول ﷺ، قيل له: اعدل، وَقَالَ له: هذه قسمة ما أريد بِها وجه الله.

وهذا أكبر دليل عَلَىٰ أن الخروج عَلَىٰ الإمام يكون بالسيف ويكون بالقول والكلام، يعني: هذا ما أخذ السيف عَلَىٰ الرسول ﷺ لكنه أنكر عليه.

ونَحن نعلم علم اليقين بِمقتضى طبيعة الحال أنه لا يُمكن خروج بالسيف إلا وقد سبقه خروج باللسان والقول[2].

الناس لا يُمكن أن يأخذوا سيوفهم يُحاربون الإمام بدون شيء يثيرهم، لا بد أن يكون هناك شيء يثيرهم وهو الكلام؛ فيكون الخروج عَلَىٰ الأئمة بالكلام خروجًا حقيقة، دلت عليه السنة ودلَّ عليه الواقع[3]. اهـ

○ سئل الحويني في حواره مع مجلة الفرقان الكويتية:

*** ما الأسباب الدافعة لحالة الإحباط التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم؟**

فأجاب: «الإحباط بلا شك له أسباب كثيرة، لكن الغزو العسكري الخارجي لبلاد المسلمين مع ما يظهر من ضعف الأنظمة العربية وعجزها عن الذب عن نفسها إزاء الاتهامات المتلاحقة من الغرب واستخذاؤنا الدائم يُعد من أبرز العوامل لانتشار حالة الإحباط في مجتمعاتنا».

---

(١) وانظر: تهذيب الأسماء (٣/ ٢٧٧) للنووي.

(٢) وصدق الأول لما قال:

وإن النار بالعودين تذكى ... وإن الحرب مبدؤها كلام

(٣) فتاوىٰ العلماء الأكابر (ص٩٦).

قلت: بل إن أبرز أسباب الإحباط التي يعيشها العالم الإسلامي اليوم ما يلي:

١) فشو الشركيات والبدع والأهواء.

٢) تفرق الأمة إلى شيع وأحزاب.

٣) ارتباط طوائف كبيرة من الأمة -خاصة من الشباب- بمفكري وخطباء الأحزاب، ودعاة الفتنة، مع بُعدهم عن العلماء الربانيين.

ولكنه لما غلبت نزعة الخوارج القعدية على الحويني، كانت الركيزة الأساسية في إجابته: إيغار صدور المسلمين على الحكام المسلمين، وإبراز مساوئهم، وهذا خلاف ما كان عليه السلف الصالح من الكفِّ عن ذكر مساوئ الحكَّام درءًا للفتنة وجمعًا للكلمة، مع تقديم النصح لهؤلاء الحكام لإصلاح هذه المساوئ، والدعاء لهم، وعدم إعانة الشيطان عليهم بهذه الكلمات التي تثير الفتنة، ولا تصلح شيئًا من مساوئهم.

وقد ملأ الحويني خطبته «نداء الغرباء» بعبارات التهييج السياسي التي تؤكد بلا ريب سلوكه منهج الخوارج القعدية، وإليك بعض هذه العبارات:

قال: «عندما أفتى المفتي مثلاً بأن فوائد البنوك حلال، وتقوم جميع الجرائد الرسمية والمجلات بنشر هذا الرأي، وتمجيد المفتي، حتى أن مجلة أكتوبر جعلته الرجل الأول في استفتاء عام (٨٩) كلاعب الكرة والممثلين، ولا ننكر؛ لأن الجماهير كانت تنتظر فتوى تحليل الربا..

وفي نفس الوقت يفتي -وقد أصاب في ذلك- أنه لا يجوز أن تقام مسابقات ملكات الجمال؛ لأن هذا عهر رسمي.. امرأة تأتي يقيسون أردافها ووسطها ونهدها بالمقاس، ويعرضون العورات على ملأ من الناس ومشهد وفي الفنادق الكبرى، وعلى مرأى ومسمع بتصريح رسمي، فيقولون: لا يجوز هذا حرام، فلا يستمعون لهم ولا يقيمون لهم وزنًا، يهلِّلون للأولى ويتعامَون للثانية... اغضب لله مرة لماذا تظل؟».

قلت: هكذا يهيِّج الرِّعاع ويومئ إلى تكفير الحكام؛ لأنهم يصرِّحون بهذا الحرام، وفيه تعريض لاستحلالهم هذا، وهذه سبيل مسلوكة عند خطباء الخوارج القعدية المعاصرين لإثارة عواطف الشباب للخروج الجماعي.

فنقول:

أوردها سعدٌ وسعدٌ مُشتمل ... ما هكذا يا سعدُ تورد الإبل

فلن يكون إصلاح هذا الفساد عند الحكّام بتهييج الغوغاء.

وبهذه المجازفة أيضًا يتهم جماهير المسلمين بانتظار فتوى لتحليل الربا، وهذا فيه تعريضٌ واضح بتكفيرهم على طريقة سيد قطب في تكفير المجتمعات الإسلامية.

وقال أيضًا: «تصوَّر لو رجل[1] يصلي: هل يمكن أن يصدر إذنًا باعتقال المصلين في صلاة الفجر، هل يمكن أن يصدر إذنًا بإلقاء القنابل المسيلة للدموع في المساجد، لو أنه يعظِّم حرمات الله ويعظِّم شعائر الله، نعوذ بالله أن يتمكَّن هؤلاء، إنما نريد أن يتمكَّن المؤمنون». اهـ

قلت: وهذا الكلام فيه أيضًا من المجازفة والتهويل ما فيه، والحويني يسعى بهذا إلى استثارة عواطف الغوغاء أتباع كل ناعق.

ونحن نقول للحويني: مَن هؤلاء المصلُّون الذين أصدر الحاكم إذنًا باعتقالهم في صلاة الفجر؟!

ألا يدري الحويني أن جماعة التكفير والهجرة، والجماعة الإسلامية في مصر كانوا يقومون بتخزين الأسلحة في المساجد، ويتحصَّنون فيها من أجل تنفيذ عملياتِهم الخارجية ضد عصاة المسلمين الذين استحل هؤلاء الخوارج دماءهم وأموالهم، مِمَّا كان يضطر أحيانًا رجال الأمن من اقتحام المساجد، لإلقاء القبض عليهم، حتى لا تعمّ الفتنة ويقع السيف في الأمة؟!

وهل هؤلاء الخوارج لمَّا استحلوا دماء المسلمين بغير حقٍّ كانوا يعظِّمون حُرمَات الله وشعائر الله؟!

ونقتبس كلمة الحويني قائلين: نعوذ بالله أن يتمكَّن هؤلاء الخوارج منَّا، إنما نريد أن يتمكَّن أهل السنة -أهل الوسطية والاعتدال-، ولكن على أن يكون هذا التمكين بالوسائل الشرعية لا على طريقة الخوارج بهذه الانقلابات والمظاهرات.

---

(١) يشير إلى حاكم مصر.

ألا يدري الحويني العبء المحمَّل على أكتاف رجال الأمن؛ كي يحموا الدماء والأعراض، ويا لله العجب لمَّا تقع الفتنة تجد هؤلاء الخوارج القعدية يصنعون صنع إبليس، لمَّا زيَّن للمشركين الخروج لقتال المؤمنين، فيفرون من أتباعهم، كما فرَّ إبليس، كما قال سبحانه:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٤٨].

ولستُ أدري ما قول الحويني في جهيمان وأصحابه الذين اقتحموا المسجد الحرام[1] منذ حوالي ٣١ سنة أي في أول محرم عام ١٤٠٠هـ، وروَّعوا المصلين والطائفين، ملحدين في حَرَم الله الذي أمَّنه الله سبحانه، مِمَّا اضطر رجال الأمن السعودي إلى اقتحام الحرم بعد صبر دام تسعة أيام، كما قال عبد السلام بن عبد الله السليمان في «صلة الغلو في التكفير بالجريمة» (ص١٨٥): «واستمرت القوات السعودية في محاصرتهم، وبذلت جميع الطرق لتحرير الحرم المكي منهم، وفي فجر التاسع من محرم، تم تحرير الحرم من الفئة المعتدية، ونشرت وسائل الإعلام السعودي خبر تحرير المسجد الحرام في (١٤٠٠/١/٩هـ)».

فهؤلاء الخوارج لم يراعوا حرمة المسجد الحرام، ولا الشهر الحرام الذي حرَّم الله سبحانه القتال فيهما، ولم يرقبوا إلاًّ ولا ذِمَّة في دماء رجال الأمن السعودي.

وقد قال منصور بن يونس البهوتي في كتابه «إعلام الأعلام بقتال من انتهك حرمة البيت الحرام» (ص٤٣): «من قتل أو أتى ما يوجب حدًّا خارج الحرم، ثمّ لجأ إليه لم

---

(١) يقول عبد السلام السليمان في «صلة الغلو في التكفير بالجريمة» (ص١٨٠): «لقد خطَّط لهذه الفتنة جهيمان بن سيف العتيبي، وكان يعمل بالحرس الوطني... وكان معه محمد بن عبد الله القحطاني وجماعته الذين ادّعوا أنه المهدي المنتظر... ولقد ألَّف جهيمان عدة رسائل ظهر من خلالها غلوُّه في التكفير، وتكفير الدولة السعودية، ومن هذه الرسائل: «الإمارة والبيعة والطاعة، وكشف تلبيس الحكّام على طلبة العلم».... إلخ.

قلت: فما قول الحويني في الجهيمان والقحطاني، وأصحابهما؟! هل يقول: لقد أصدرت السلطات السعودية قرارًا باعتقالهم؛ لأنهم يصلون الفجر في المسجد الحرام؟!! أم لأنهم روّعوا الآمنين في الحرم في فجر غرة المحرم؟!.

يُسْتوف منه فيه، ولا يُبايع ولا يُشارى ولا يُطعم ولا يُؤوى، ويقال له: «اتق الله واخرج إلى الحلّ ليُستوف منك الحقّ الذي قِبلك» فإذا خرج استُوفِيَ منه.

هذا قول ابن عبّاس وعطاء وعُبيد بن عُمير والزّهْريّ ومجاهد وإسحاق والشّعْبيّ وأبي حنيفة وأصحابه وأحمد.

وقال مالكٌ والشافعيُ وابنُ المنذر: «يُستوفى منه لعموم نصوص الحدود والجنايات». اهـ

وأقول أيضًا: هل بالفعل الحكّام في مصر -وهم المعنيون بكلام الحويني السابق- يأمرون باعتقال مَن يصلي الفجر؛ لأنهم يصلون الفجر؟

والجواب: هذا كذب وافتراء، والله -عز وجل- حرّم الظلم على نفسه وعلى عباده، ألا فليتقِ الله الحويني! ويتذكر قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المائدة: ٨].

وأقول للحويني: هل حدث هذا لك؟ أجب بصراحة إن كنت صادقًا.

وما هو قول الحويني في المصلين -الذين يحقر أحدنا صلاته إلى صلاتهم-، من أعضاء جَماعة التكفير والهجرة الذين نشئوا على فكر سيد قطب الخارجي تحت قيادة شكري مصطفى، والذي تشرّب هذا المنهج القطبي الخارجي من أعضاء حزب الإخوان المسلمين، لمّا كان معتقلاً معهم في السجن الحربي عام (١٩٦٥)، وعلى أثره ألّف كتابه «الخلافة»، والذي قعّد فيه لفرقته الخارجية الجديدة، وأرسى لهم فيه مبدأين مهمين:

المبدأ الأول: الهجرة، أي: اعتزال المجتمع الجاهلي، واللجوء إلى الجبال والمغارات.

المبدأ الثاني: **التوقف والتبين**، أي: التوقف بالحكم بالإسلام للمسلم، ولو كان يلتزمُ بأركان الإسلام الخمسة، حتى يتبين إسلامه، ومن ثَمّ كفّروا المسلمين بالمعاصي على طريقة الخوارج الأوائل.

فقرَّر شكري مصطفى أن القول أو الفعل الذي يكفر به صاحبه، هو كل قول أو فعل يصادم النصَّ الشرعي.

وما أخال قاعدة الحويني في تكفير المصر على المعصية، وفي ترسيخ مبدأ الحاكمية على طريقة سيد قطب إلاَّ إحياء لمنهج فرقة التكفير والهجرة في صورة جديدة!.

وكانت ثمرة هذا المنهج القطبي الخارجي، اختطاف الشيخ الذهبي -وزير الأوقاف المصري الأسبق- من وسط أولاده، ثم قتله غيلة!.

ومن هذا الفكر القطبي أيضًا، نشأت جماعة الجهاد، ثم الجماعة الإسلامية، والتي روَّعت المسلمين الآمنين بعمليات الاغتيالات والتحريق والهدم بحجة إنكار المنكر وإقامة حكم الله ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

فأمثال هؤلاء من الذين كانوا يصلون الفجر هم الذين كانوا يُعتقلون كفًّا لشرِّهم عن المسلمين الآمنين.

فهلاَّ أظهر الحويني هذه الحقائق، وترك التدليس بهذه العبارات المجملة؟!.

ونقول أيضًا: حتى لو صدق ادعاء الحويني عن قيام الحكَّام باعتقال المصلين في صلاة الفجر -دون سبب ظاهر-، هل من منهج السلف نشر مساوئ الحكام على الملأ، أم أن هذا من منهج الخوارج؟!

ما الغرض من ذكر هذه الأمور إلا تزيين الخروج على الحُكَّام بالسلاح؟!

وبهذا يدرك المنصفون أن الحكم على الحويني بأنه سلك مسلك الخوارج القعدية ليس افتراءً عليه.

وقال الحويني في محاضرة «كيف تنصر نبيك»: «اثنى عشر سنة من عمر مجهود الدعاة إلى الله الذين أيقظوا الناس من سباتهم وصارت القضية قضية النبي -عليه الصلاة والسلام- ليست قضية فئة (٧٣) فرقه يدافعون عن النبي ﷺ مع أنهم يختلفون مع بعضهم اختلافًا جذريًا في عقائد كثيرة فضلاً عن الفروع، لكنهم لا يختلفون على توقير النبي ﷺ؛ لذلك كانت الغضبة التي ألهبت الجماهير».

قلت: وما فائدة إلهاب عاطفة الجماهير تجاه النبي ﷺ، إذا كانوا على عقائد متباينة،

فليسوا هم على عقيدة النبي ﷺ؟ هل تنفعهم هذه المحبة الحماسية، التي تشبه العشق الصوفي، ووجه الشبه بين كليهما، هو أن كلا المحبتين غير قائم على الاتباع؟!

إن محبة النبي ﷺ التي يرضاها الله سبحانه من عباده هي محبة اتباع لا محبة عشق صوفي أو محبة حماسة خارجية، وأعظم ما يتبع فيه الرسول الكريم: العقيدة والمنهج، فبهما يتمايز المحب الحقيقي للرسول عن الدعي صاحب الهوى والمنافق، كيف وقد جعل الله اتّباعه والسير على منهاجه أصلاً، وعلامة على صدق دعوى المحبّة لله ولرسوله، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

وهذه الشنشنة نعرفها من أخزم، فإن شنشنة نسيان الفروق العقدية بين الفرق الثلاثة والسبعين من أجل الاجتماع على هدف سياسي هو شنشنة حزب الإخوان، والحويني سار على النهج نفسه، فإن طريقة الإخوان المعهودة هي استغلال أي نازلة تنزل بالمسلمين نحو الزلازل أو عدوان الكافرين على دولة مسلمة أو سب النبي ﷺ من أجل إلهاب عاطفة الجماهير المسلمة وتهييجها تهييجًا سياسيًّا لا فائدة منه تعود على إصلاح عقائد هذه الجماهير، بل بمجرد زوال أثر هذه النازلة وانطفاء شعلة الحماسة إذ بكل فرد من هذه الجماهير يعود إلى ما كان عليه من قبل في معتقده وعاداته وأخلاقه المخالفة لهدي النبي ﷺ.

وقال أيضًا في المحاضرة نفسها: «جاءت مسألة النقاب طيب يا جماعة أنتم تريدون أن تتأكدوا أن هذه منتقبة والبلد يتمر تفجيرات وواحد ممكن يكون منتقبة يعمل حاجة، حسنًا لا توجد عندنا مشاكل أنك تتأكد من الذي يدخل هل هو رجل أم امرأة لكن اجعل امرأة هي التي تقوم بذلك يقول: لا، لابد رجل، طيب ما هي المصلحة المسأله فيها إذلال نوع من الإذلال القصة ليست قصة إني أفتش عن هوية شخص إنما نوع من الإذلال».

قلت: وما فائدة ذكر مثل هذا الأمر -لو صحّ- على العامة إلا تهييجهم وإثارتهم على ولاة الأمر، وإظهار ولاة الأمر في صورة المحاربين للدين.

ولو سلّمنا أن الحكام يحاربون الدين، فهل من منهج أهل السنة -أصحاب الحديث- بل هل من العقل الصحيح- أن تعلن الحرب على هؤلاء الحكام الجائرين وأن تنكر مخالفاتهم على المنابر؟! أم أن هذا هو منهج الخوارج القعدية والمعتزلة والإباضية؟!

وصدق الآجري -رحمه الله- لـمّا قال -كما في «الشريعة»-: «لم يختلف العلماء قديمًا وحديثًا أن الخوارج قوم سوء، عصاة لله -عز وجل- و لرسوله ﷺ، وإن صلُّوا و صاموا واجتهدوا في العبادة، فليس ذلك بنافع لهم، وإن أظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس ذلك بنافع لهم؛ لأنهم قوم يتأولون القرآن على ما يهوون..

والخوارج الشراة الأنجاس الأرجاس ومن كان على مذهبهم و سائر الخوارج يتوارثون هذا المذهب قديمًا و حديثًا، ويخرجون على الأئمة و الأمراء، ويستحلون قتل المسلمين».

وقال الإمام ابن عثيمين -رحمه الله- في تعليقه على «السياسة الشرعية» لشيخ الإسلام ابن تيمية (ص٤٥٢) في تعليقه على قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: «إن الله يرضى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم»:

«هذا حق الله وحق المجتمع وحق الولاة:

حق الله: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا.

وحق المجتمع: أن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، نتمسك بالدين وألا نتفرق وأن نجتمع ما أمكننا الاجتماع.

والثالث: حق الولاة «أن تناصحوا من ولاه الله أمركم».

والمناصحة في كل شيء بحسبه، إما بالقول مشافهة إذا أمكن، وإما بالكتابة، وإما بالوساطة: يوسطون من يتكلم مع السلطان إذا كانوا لا يستطيعون.

ومن المناصحة لهم تأليف القلوب على ولي الأمر، وأن يُبتعد عن كل ما يوجب النفرة عليه، والحقد والعداوة؛ لأنه ليس من النصيحة للإنسان أن تملأ قلوب الناس عليه حقدًا وعداوة، بل أن تملأ القلوب تأليفًا، وأن تعتذر عمّا يمكن الاعتذار عنه، وإذا كان شيء لا بد من إدانته؛ فالمناصحة.

أما ملء القلوب على ولاة الأمر بما هم عليه من الخطأ، فهذا لا يزيد الأمر إلاَّ شدة، ولهذا نجد بعض الناس -في غير بلادنا- الذين أرادوا أن يرغموا الدولة -بالقوة- على

الرجوع إلى الإسلام، فحصل العكس، حصل شيء عظيم، ولا حاجة أن تضرب الأمثال، لأنها واضحة معلومة بالأخبار، فالدين الإسلامي كله خير.

وإذا وجدت من ولاة الأمور شيئًا مخالفًا؛ فادع الله لهم؛ لأن بصلاحهم صلاح الأمة، لكن تسمع بعض السفهاء إذا قلنا: الله يصلح ولاة الأمور... الله يهديهم؛ قال: الله لا يصلحهم، سبحان الله العظيم! إذا لم يصلحهم الله فهو أردى لك! ادع الله لهم بالهداية والصلاح والله على كل شيء قدير، كم من إنسان من أبعد الناس عن الخير، فإذا أراد الله قلبًا قلبه على الخير». اهـ

ثم قال الحويني: «فلمّا حصل نوع من الصمود والثبات فماذا حدث؟ انتهت المسألة فهذا العدد الكبير الذي يقال عليه هؤلاء نصف في المائة، وأنا بأقول: نصف في المائة رحمة من الله؛ لأنهم لو رفعوا إلى عشرين في المائة أو ثلاثين في المائة ستكون مشكله فنصف في المائة مش مشكلة، يقول: أفضل راميه كده ...!» هل هؤلاء فعلاً نصف في المائه ولا واحد في المائه، كأنه يخاطب الصم البكم العمى طيب من أين جاءوا؟ ما هم جاءوا من الجبل! الدعاة ناس مثابرون ماضون يعلمون أنهم سوف ينتصرون في الآخر؛ لأن القصص القرآني كله في قصص الأنبياء ينطوي على حقيقة أكيدة ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]. ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]...».

قلت: كما هو واضح لكل مستبصر بمنهج السلف أن الحويني يسلك مسلك الخوارج القعدية في التهييج على الولاة، بإيغار الصدور عليهم مخالفًا ما بيّنه العلامة ابن عثيمين من منهج السلف فيما نقلناه آنفًا.

فما فائدة هذا الكلام إلا إظهار أصحاب اللُّحى -أو الملتزمين في تعبير البعض- في صورة حزب مصارع للحكّام!!

* ومن هم هؤلاء الدعاة المثابرون الماضون الذين يعلمون أنهم سوف ينتصرون في الآخر؟

والجواب: هم المذكورون في مواضع أخرى من كلامه، فيما سوف يأتي، وهم القُصّاص، ودُعاة الغلو في التكفير والخروج، ورءوس الحزبيين، نحو: محمد عبد المقصود، وسيد العربي، وفوزي السعيد ...إلخ، وهم عند الحويني نجوم الدعوة.

وقد أكَّد الحويني هذا التقسيم الخارجي للمجتمع اليوم في موضع آخر، لَمَّا وجهت له سائلة فلسطينية هذا السؤال خلال برنامج «غزة لن تنكسر» (الدقيقة ٤٤):

«إحنا انقسمنا الآن كمسلمين يا سيدي الفاضل إلى ثلاث أقسام: قوم تبع دولة حزب السياسيين، وقوم تبع العلماء إللِّي هما حزب الملتزمين، وقوم لا يعلمون شيئًا يعني فيه ناس الآن على أرض الواقع ما بتعرف غزة ماذا يحصل بها يعني لا تدري ماذا يحصل فعلاً هناك.

طيب أنا عايزة أسأل مثلاً هل ممكن إنه أهل العلم، الآن أهل العلم هذا وقتهم أنهم يقولون كلمتهم يعني طول عمرهم وهم مُهمَّشين بصراحة طول عمرهم وهم ماشيين تبع السياسة، إحنا عايزين الآن أهل العلم أهل الدين أهل الله في الأرض يقفون ويقولون كلمتهم؛ لأنه احنا مش عايزين نقف مش عايزين تصرفات عشوائية؛ لأنه هذا كله يؤثر علينا أولاً وأخيرًا عايزيين على الأقل أهل العلم يعني يلموا نفسهم مثلاً ويمشوا في مسيرة -مسيرة سلمية فقط إلى رفح-».

قلت: لقد سمع الحويني هذا الكلام السابق دون أدنى إنكار لهذا التقسيم.

وهذا التقسيم لطبقات الناس هو دأب الحويني في دروسه، وهي شنشنة حزب الإخوان قديمًا، حتى تحول لفظ «الإخوة» -بسبب حزب الإخوان- إلى مصطلح حزبي، مِمَّا جعل الأسماع تنفر منه، وجرَّأ الغوغاء على السخرية من «الأخُوَّة الإسلامية»، والتي تعتبر رابطة أقوى من رابطة النسب، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم**».

وهذا التأصيل من الحويني يغذي النزعة الخارجية عند الشباب، والتي وضع بذرتها في الزمان المعاصر: سيد قطب، وفي أرضه نبتت فرقة التكفير والهجرة، فدندنة الحويني حول هذه المصطلحات: «الملتزمين»، أو «الملتحين»، أو حتى «الإخوة» -بالمعنى الحزبي- يربي الشعور بالانعزال عن المجتمع المسلم، وهذا هو كلام الخوارج الذين يعتبرون أنفسهم خارجون عن سائر المجتمع المسلم الذي يعيشون فيه، وأنهم متميزون بسمت وعدد، وأنهم هم الصالحون المسلمون، وأما بقية المجتمع فهم عصاة خارجون عن الإسلام.

ولا عيب في التميُّز بالعقيدة السوية والمنهج الحق، مع عدم خرق الجماعة المسلمة.

ولكن العيب أن الحويني يتكلم ببوق حزب الإخوان الذي يدعي أنه الأكثر عددًا على مستوى العالم الإسلامي، لكن حين تمحص هذا العدد تجده غثاء كغثاء السيل.

وقول السائلة: «أهل العلم ...طول عمرهم وهم مهمشين بصراحة طول عمرهم وهما ماشيين تبع السياسة»، هذا اتهام فاجر لأهل العلم بالمداهنة والوهن والركون إلى الدنيا، لكن عذرها أنها ما عرفت أهل العلم حقًّا، فإنما هي قصدت بقولها: «أهل العلم أهل الدين أهل الله»، دعاة الحزبية والتهييج والإثارة الفارغة، أو دعاة التصوف والخرافة.

وفي خطبة «نصيحة هامة إلى عامة الأمة»، قال الحويني: «ونحن والحمد لله لم ندع قط أن كل من أعفى لحيته فهو فاضل بل هناك رجال أعفوا لحاهم وهم يحتاجون إلى التعزير المستمر وما المشكله في التعزير فنحن بشر!! ولكن القصد من ذلك معروف وهو التشويه الدائم المتعمد لهذا التيار كله، وإذا جمعنا كل هؤلاء الذين أعفوا لحاهم بما فيهم من بؤساء وضعفاء، أليس فيهم فضلاء أليس فيهم صالحون !! الجواب: نعم. فلماذا ذكرهم دائما بأنهم إرهابيون ومتزمتون وهم فجره لا يوجد فيهم فاضل واحد!!».

قلت: هذا الكلام فيه تأكيد لِمَا ذكرناه آنفًا من أن الحويني يعتبر طائفة أصحاب اللِّحى -طائفة خاصة- خارجة عن بقية المجتمع المسلم، وهذا بعينه هو منهج الخوارج.

ورغم اعترافه بأن هناك من أصحاب اللِّحى مَن يحتاج إلى تعزير، فإنه لم يبيِّن لنا لِمَا يُعزَّر؟، هل يعزَّر لطعنه في بعض أكابر أهل العلم؟! أم يعزَّر لتكفيره بعض عصاة المسلمين؟! أم يعزَّر لتعظيمه لبعض رموز أهل البدع نحو سيد قطب، وحسن البنا، والمودودي، ومحمد الغزالي ...إلخ؟!

لكنه نكص على عقبيه ونكس على رأسه، فعاد يدافع عن طائفة الملتحين الذين يدعي أنهم وسموا بالإرهاب والتزمت ظلمًا.

ونحن نسأل الحويني صراحة إن كان سلفيًّا -كما يدعي-:

ما قولك في أصحاب اللِّحى من أعضاء تنظيم التكفير والهجرة وجماعة الجهاد؟ وما قولك فيما صنعوه من قتل بعض المسلمين -نحو الرئيس المصري السادات- وتخريب المنشآت بغير حق؟ هل هذا من الإرهاب -أو بالمصطلح الشرعي: من الخروج- أم لا؟

وما قولك في أصحاب اللِّحى من الجماعة الإسلامية وزعيمها عمر بن عبد الرحمن؟ وما قولك فيما صنعوه من ضرب وقتل وتنكيل لطائفة من عصاة المسلمين، مع قتال رجال الشرطة واغتيال بعضهم، ومحاولة اغتيال بعض ولاة الأمر المسلمين؟ هل هذا عندك من الإرهاب أم لا؟

وما قولك في أصحاب اللِّحى من أعضاء جبهة الإنقاذ الجزائرية، وما صنعوه من استباحة دماء الشعب الجزائري المسلم، وما اقترفوه من جرائم يندى لها جبين كل مسلم؟ هل هذا عندك من الإرهاب أم لا؟

وما قولك في أصحاب اللحى الذين يتعصَّبون لك ولأمثالك من دعاة التهييج والخروج، ولا يقبلون حكم السنة فيكم؟ أليس هذا من التزمت والتعصُّب أم لا؟!

وما قولك في أصحاب اللِّحى من أعضاء تنظيم القاعدة التابعة لأسامة بن لادن وأيمن الظواهري، وما صنعوه من تفجيرات واغتيالات في داخل البلاد الإسلامية راح ضحيتها عدد من الأبرياء؟ هل هذا عندك من الإرهاب أم لا؟ أم أنك تعتبرهم من الأبطال المجاهدين الذين رفعوا راية الجهاد[1]؟!

وما قولك في جهيمان وأتباعه من أصحاب اللِّحى الذين استحلوا المسجد الحرام في شهر الله الحرام، فيما ذكرناه آنفًا؟!

وحتى تدرك حق الإدراك أن الحويني يتكلم ببوق الإخوان نفسه، إليك هذا المقطع من كلامه والذي يذكر فيه بعض كرامات أعضاء حزب الإخوان في المعتقلات ترغيبًا للشباب في اتباع سبيلهم: ويذكر شيئًا من مساوئ الحكام مخالفًا بهذا سبيل السلف الصالح، الذين مقتوا الحزبية وأهلها، وما كانوا يذكرون مساوئ الحكام على المنابر:

---

(١) قال شيخنا حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «هذا فضلاً عمَّا ترتب على خططهم المتهورة من اتخاذ الكفَّار أعمالهم غرضًا لإذلال المسلمين، واحتلال بعض بلادهم، وتضييق الخناق على الحكومات والشعوب في الدول الإسلامية، وشنّ الحرب على الدعوة والدعاة إلى الله على بصيرة، واتِّهامهم بالغلوّ والتطرُّف والإرهاب، وأين نحن من قول الله تعالى -والذي ينطبق على حالنا وواقعنا-: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ [آل عمران: ٢٨]». اهـ

قال الحويني: «الذين عاينوا السجن قديمًا في الستينيات لهم مواقف أشد غرابة وأعجب.

يحكي أحد النواب المصريين في كتاب له اسمه «الطريق إلى المنصة» يقول: وهذا الرجل كان الذراع الأيمن للمشير عبد الحكيم عامر.

إذا المشير أراد أنه ينام مع امرأة كان هو يروح باريس يجيب غرفة النوم -يعني: رجل من أوليائه-.

وكان صلاح نصر آنذاك يصور المشير عاريًا مع المرأة، وهو صديقه الحميم ويعتقد دي الصور لزوم الشغل جايز يحتاج الصور في يوم من الأيام.

لا يوجد في قواميس هؤلاء كلمة الوفاء ولا الصداقة لا لا هذا غير موجود.

صديقه بيصوره عريان.

المهم فقد صلاح نصر الصور، أين ذهبت؟ طبعًا خاف أنها تذهب للمشير يبقى راح في داهية.

كل الذين من حوله من أصفيائه وأوليائه سامهم سوء العذاب بحثًا عن هذه الصور.

يقول الرجل الساعة ثلاثة بالليل .. هجموا على البيت أخذوني، أين الصور؟ قلت: أي صور، والله لا أعلم شيئًا.

قالوا: لا طلّع الصور، قال: وعلّقوني كالذبيحة، ورأيت أيامًا لا شمس لها ولا قمر لا يسمع عنها الزمان ودخل مع الإخوان آنذاك.

قال: رأيت بعيني منظرًا لا أنساه رجل زاد على الستين عجوز أخذوه وربطوا يديه ورجليه، ثم ربطوه في ذيل الفرس، وعاد الفرس هاربًا يستحثوا الفرس على الجري ويجري الفرس، والرجل يجرجر على الأرض مدة نصف ساعة.

فلمّا انتهى هذا الشوط من التعذيب، كان الرجل كأنه نُصُب أحمر من كثرة الدماء.

قال راوي الحكاية المدهش أن الرجل جاء يستشهد، ويقول: الحمد لله أنهيت وردي.

كيف لهذا الرجل أن يقرأ و[...] أين.. من الذي ثبّت فيه العقل أو ثبّت فيه قوة القلب؟

إياك أن تتصور أن المبتلى في الله حياته ضنك لا لا لا والله.

إن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- قال: «**إن الشهيد لا يشعر بوقع القتل إلا كما يشعر أحدكم بالقرصة**»، لما تطير عنقه لا يشعر بشيء وهو أول القربات .. انتهى الأمر.

وهذا مشاهد فأحيانًا الإنسان وهو يعمل عملاً فيه مكسب بدني ممكن تقطع يده يقطع عنقه ولا يدري لا يدري إلا بعد ذلك، الصبر على القضاء واجب لكن الرضا به مستحب، ولا يرضى إلا المؤمنون حقًا.

لذلك ينبغي ألا يفرط المرء في دينه لمجرد أن يعايش شيئًا من الإرهاص في الدنيا: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وهذا من الحمق وقلة الصبر وضعف القلب كيف يجعل إيذاء الناس كعذاب الله ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ ۝ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ ﴾ [الفجر: ٢٥، ٢٦]، فكيف تسوي بين هذا وبين عذاب الناس مهما بلغ.

لكن القوة قوة القلب والضعف ضعف القلب». اهـ

قلت: لقد صار الغمز واللَّمز في الحكام وفي نواب الحكام مِمَّا يتفكه به الحويني في أغلب دروسه وخطبه، فقلَّما تخلو خطبة له من هذا التفكه، وهذان مثالان آخران:

المثال الأول: قال الحويني: «إحنا مسحبناش السفير، إللِّي سحب السفير السودان وليبيا وسحبت سفير السعودية وكام دولة كده، وأنتوا عارفين سحب السفير ده كله شغل عقيم يعني ما لوش قيمة خلاص بعد ما أنت تعتذر ومش عارف إيه خلاص رجع السفير، السفير [.] يا ناس و لا بيعمل حاجة ما فيش بس هو قلك عنوان الدبلوماسية اسحب السفير يبقى خلاص إحنا زعلانين من بعض خلاص خصام لحد ما نتصالح بعد كده، أيّ كلمتين...[1]».

---

(١) نظرًا للركاكة الشديدة التي يتحدث بها الحويني، سوف أقوم بترجمة كلامه باللُّغة العربية المقروءة؛ كي يُفهم، فهذا معنى كلامه بلُغة العرب: «نحن لم نسحب السفير -يقصد الحكومة المصرية-، الذين سحبوا السفير هم: السودان وليبيا والسعودية، وبعض الدول الأخرى، وأنتم تعرفون أن أمر سحب السفير أمرًا عقيمًا لا قيمة له، فإذا اعتذر أهل الدنمارك، يعيدون السفير مرة أخرى ...لكن قيل: إن عنوان الدبلوماسية: سحب السفير، من أجل أن يبرهن على وجود عدم الوفاق السياسي ما بين الدولتين، فإذا حدث الوفاق عاد السفير ...إلخ».

المثال الثاني: قال الحويني: «وأنت عارف أن الجماعة بتوع مجلس الشعب القصة دي مش في دماغهم لا قوانين ولا الكلام ده كل واحد له قصته الخاصة له مآرب يطلع ... يأخد كم من ألف فدان ياخد كم ميت فدان كم مش عارف إيه القصة معروفة كلها وانتوا طبعا مش هقلكم سر يعني».

قلت: هذا الابتذال في استعراض مساوئ الطبقة الحاكمة، لم نعهده أبدًا على أحد أئمتنا من السلف الصالح طوال القرون الغابرة إلى زماننا هذا، وليس إنكارنا منزلاً على ذات الكلام المستنكر على بعض الحكّام أو نوابهم، فقد يكون بعض ما ذُكر حق، لكن استنكارنا منزلٌ على كون نشر هذه المساوئ على المنابر -وإن كانت حقًّا في نفسها- ليس من سبيل السلف الصالح، ولا تتحقق به مصلحة أو تزول به مفسدة، بل لا يجر هذا السبيل إلا إلى المفاسد، فلا فائدة منه إلا تهييج الغوغاء على الحكام، مِمّا يترتب عليه إراقة الدماء وهتك الأعراض.

قال ابن أبي عاصم في السنة (١٠١٦): حدثنا الحوطي، ثنا اسماعيل بن عياش، عن صفوان بن عمر، عن أبي اليمان الهوزني، عن أبي الدرداء قال: إياكم ولعن الولاة فإن لعنهم الحالقة وبغضهم العاقرة قيل يا أبا الدرداء: فكيف نصنع إذا رأينا منهم ما لا نحب؟ قال: «اصبروا فإن الله إذا رأى ذلك منهم حبسهم عنكم بالموت»[1].

وقال أبو مجلز لاحق بن حُميد السَّدوسي (ت ١٠٩هـ): سبُّ الإمام الحالقة، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين[2].

وقال ابن أبي الدنيا في الصمت (٢٣٥): حَدَّثَنَا مروان بن معاوية، عن زائدة بن قدامة

---

(١) قال العلامة الألباني: إسناده ضعيف ورجاله ثقات غير أبي اليمان الهوزني قال ابن القطان: لا يعرف له حال، وأما ابن حبان فوثقه».اهـ

قلت: ولعل العلامة الألباني يقصد أن ابن حبان ذكره في الثقات فقط، وهذا وحده لا يكفي في توثيقه كما هو معلوم لكن قال ابن حبان في مشاهير علماء الأمصار (٨٧٥): «أبو اليمان الهوزني عامر بن عبد الله من جلة أهل الشام وصالحيهم مات بها وكان ثبتا»، وهذه صيغة توثيق عالية من ابن حبان تثبت أن ابن حبان قد سبر حاله، وعرفه، وقال العجلي في معرفة الثقات (٢٢٨٩): «شامي تابعي ثقة»، وعليه فهذا إسناد صحيح.

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن زنجوية في الأموال (١/ ٧٨).

قال: قلت لِمنصور بن المعتمر: إذا كنت صائمًا أنال من السلطان؟ قال: لا، قلت: فأنال من أصحاب الأهواء؟ قال: نعم[1].

وقال ابن أبي شيبة (٦/٣٦٢): حَدَّثَنَا عبد الله بن إدريس، عن مُحَمَّد بن أيوب، عن هلال بن أبي حميد قال: قال عبد الله بن عكيم: لا أعين على قتل خليفة بعد عثمان أبدًا، قال فقيل له: أعنت على دمه؟ قال: «إني أعد ذكر مساوئه عونًا على دمه»، وإسناده صحيح.

وقال أبو علي الحسن بن الحسين بن حَكَمان في «الفوائد والأخبار والحكايات عن الشافعي وحاتم الأصم ومعروف الكرخي وغيرهم» (٨١): حدثنا أبو الحسن الدَّقيقي قال: حدثنا محمد بن موسى الحلواني قال: حدثنا محمد بن منصور الطوسي قال: سمعت معروفًا الكرخي يقول: «مَن لعن إمامه، حُرِم عدله»، وإسناده صحيح.

وهذا الدأب على نشر هذه المساوئ على العامة، هو بلا شك من إشاعة الفاحشة في أوساط المسلمين، وقد قال الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النور: ١٩].

وهذه الطريقة هي طريقة محمد سرور زين العابدين، ولكن سرور صرَّح بتكفير العلماء والحكَّام، والحويني يخفي ويغمز ويلمز دون أن يصرِّح.

وهذه بعض تصريحات محمد سرور، والتي نرجو من الحويني -إن كان سلفيًّا كما يدعي- أن يبرز إنكاره الشديد لها، وأن يعقد درسًا -أو يكتب مقالاً- يحذِّر فيه الشباب من خطورة هذه العبارات، ويبين لنا فساد منهج السرورية، ويتبرأ منه صراحة:

قال محمد سرور[2]: «...ومن خلال هذه الفقرات المختارة يفهم القراء كثيرًا مِمَّا يجري في عالمنا الإسلامي.

○ هذا وللعبودية طبقات هرمية اليوم:

فالطبقة الأولى: يتربع على عرشها رئيس الولايات المتحدة «جورج بوش»، وقد يكون غدًا «كلينتون».

---

(١) أثر صحيح: وأخرجه ابن أبي الدنيا أيضًا في الغيبة (ص ٨٣)، وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٤١).

(٢) كما في مجلة السنة -وهي الأحقُّ أن توسم بالبدعة- عدد (٢٦) سنة (١٤١٣هـ) (ص ٢-٣).

والطبقة الثانية: هي طبقة الحكّام في البلدان العربية.

وهؤلاء يعتقدون أن نفعهم وضرهم بيد بوش؛ ولهذا فهم يحجون إليه ويقدّمون إليه النذور والقرابين...». اهـ

قلت: وهذا تكفير صريح لكل حكّام البلاد العربية، وهو حكم نابع من غلو الخوارج الأوائل الذين يكفِّرون بالكبائر.

وقال أيضًا[1] في تكفير حكام الدولة السعودية: «قال صاحبي: ما رأيك بهذا القول: لو سلم أبناء عبد العزيز من البطانة العلمانية التي تحيط بهم، لما كانت الأمور بهذا السوء؟... قلت: يا أبا... هم أخبث من بطانتهم العلمانية ...فلماذا يقع اختيارهم على الفاسدين والعلمانيين والمنافقين دون غيرهم؟ ولهذا فانني أقول: إن أولاد عبد العزيز هم الذين يفرضون على الأمة القرارات الجائرة التي يشتركون مع العلمانيين في التخطيط لها وإعدادها». اهـ

يقول عبد السلام بن عبد الله السليمان في كتابه «صلة الغلو في التكفير بالجريمة» (ص٨٦) تعليقًا على هذا الكلام: «حكم بأن أبناء عبد العزيز أخبث من بطانتهم العلمانية، وعلّل ذلك بقوله؛ لأن عقائد الطرفين واحدة، والمعروف أن العلمانيين كفّار، ومن كان أخبث منهم فهو أشد كفرًا منهم، ولا شك أن مثل هذا الكلام يثير العامة، والشباب خاصة، وأصحاب الأهواء لإثارة الفتن وعدم الثقة بولاة الأمر مِمَّا يدعو إلى الخروج عليهم بعد أن حكم بكفرهم». اهـ

وقال أيضًا في تكفير علماء السنة في الدولة السعودية: «لقد كان الرّق في القديم بسيطًا؛ لأن للرقيق سيدًا مباشرًا، أما اليوم فالرّق معقد، ولا ينقضي عجبي من الذين يتحدثون عن التوحيد وهم عبيد عبيد العبيد، وسيّدهم الأخير نصراني». اهـ

قلت: وهذه العبارات هي شنشنة الرافضة الشيعة الإيرانية، والصوفيّة النابتة من بذورها النّكِدة في قذف حكام وعلماء دولة التوحيد والسنة، التي يلقّبونها بـ«الدولة الوهّابيّة»؛ لأنها هي الدولة التي كبتت دعوتهم، ونشرت التوحيد والسنة في أرجاء الأرض، وقام علماؤها بتصحيح العقائد والمناهج، ومحاربة الفرق الضالة.

---

(١) كما في مجلة السنة عدد (٤٣) جمادىٰ الثاني (١٤١٥هـ) (ص٢٧-٢٩).

وقـد تبنـت الطريقـة العزميـة الـصوفية -المتـسترة علـى التـشيع والـرفض- في الآونـة الأخيرة كبر الطعن والتشويه في دعوة الإمام المجدّد محمد بن عبدالوهّاب، وفي آل سعود، وقد توافقت عبارات السرورية مع عبارات العزمية في تكفير حكّام الدولة السعودية السنية وعلمائها، بصورة تجعلك تعجب هل حدث هذا عن توافق وترتيب بينهما، أم أن الأمر حدث اتفاقًا لا قصدًا؟!

وإليك بعض العبارات الفجّة لأصحاب الطريقة العزمية وقارنها بكلام محمد سرور لتدرك كلامي:

جاء في «الخديعة الكبرى ٢» (سلسلة الفتوحات العزمية) (ص١٤٢): «ولن يخفى عن بصيرة المتابع النابه فظاعة ما ارتكبه حلف الشيطان بين أحفاد أبي جهل (الوهّابية) وأحفاد ابن سلول (آل سعود) في حق الإسلام والمسلمين».

وقالوا في «الوهّابية لمصلحة من؟» (ص٥٦): «بلغت عائلة الحكم الوهّابي الجاثمة على صدر جزيرتنا العربية قمة الاستبداد والطغيان والفساد والنهب والإسراف والتبذير، ومع ذلك لا نجد لهيئة كبار علماء (الجهل) قولاً ولا رأيًا فيما حدث ويحدث، ومن يتتبع سيرة ومواقف تلك الهيئة المنسوبة للعلم ظلمًا وعدوانًا يجد أنهم لا يتحدثون إلا في شئون المراحيض وأمور الحيض والنفاس، والعمل على تحريم كل شيء يتعلق بحقوق المرأة من العمل حتى الحصول على رخصة قيادة، أما السياسة وشئونها ومتعلقاتها فهي لآل سعود الحاكمين والمالكين لمقدرات البلاد والعباد وحدهم، ولا يحق لأحد من تلك الهيئة الاقتراب من تلك الأمور إلا بما تسمح به أسرة القمع والتسلط، وبالقدر الذي يخدم أهواءها وسياساتها ومصالحها الذاتية، فإن تحقق الغرض، حرّم عليهم ما أبيح لهم بالأمس». اهـ

قلت: كما يلمس القارئ النبيه أن النفس واحد ما بين السرورية والعزمية الشيعية في الطعن في السلفية المتمثلة في دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

ولقد أبانت هذه الطريقة الخبيثة عن وجهها الرافضي الكالح المعادي للإسلام، المتستر بحب آل البيت، بنشر سلسلة «المغاليق» المسماة بـ«الفتوحات العزمية»، التي تعمل على تشويه الحقائق وتزيين الافتراءات بأخبث الطرق التي لا تعرف إلا عن الرافضة، فإن

تسعة أعشار الزور والكذب في الرافضة، وهذا معلوم عنهم على مر التاريخ، وخياناتهم المتعددة يعرفها العدو والصديق، ولذلك فإن الشيعة الرافضة هم بوابة اليهود والنصارى إلى بلاد الإسلام، فهم الذين يُمكِّنون للكفَّار في بلاد الإسلام، وليس العراق منا ببعيد.

فقد كرَّست هذه الطريقة -قبحها الله- منشوراتها هذه المريبة في الطعن في منهج السلف الصالح، تحت مُسمَّى التحذير من الوهَّابية، مع نشر عدة ردود في الدفاع عن التشيع والرفض المتمثل في سبِّ وتكفير أصحاب النبي ﷺ، وتحريف القرآن، ومحو السنة، عاملهم الله بما يستحقون، ونسأل الله سبحانه أن يوفِّق ولاة أمر المسلمين إلى كبت دعوتهم ومنع شرهم عن المسلمين.

○ **أقول**: ومن جملة متناقضات الحويني أنه لَمَّا سئل عن حكم المظاهرات، وهل هي من الدين، أو هي دخيلة بغض النظر عنها أنها لا تؤثر في القرار السياسي[1]؟

فأجاب: لا لا لا ... هذه المظاهرات يحدث من فسادها ما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، يعني الأدلة الشرعية لا تبيح هذا.

وسئل أيضًا[2] عن الحكم الشرعي للمسيرات، وما يحدث فيها من هتافات، ومن إحراق الماكتات والأعلام... فالسائلة ترى أن يخرج العلماء في مسيرات سلمية، فما الحكم الشرعي في هذا؟

فأجاب الحويني قائلاً: لا أنا أقولها صراحة، هذه من الأمراض التي دبت إلى الأمة، وكان سببها السلبية، عدونا لا يحترم هذا كله، عدونا لا يحترم لا إحراق ماكتات ولا إحراق أعلام، ولا فعل مسيرات .. عدونا رجل عملي يفعل ما يريد، كفانا.. بالعكس فإن هذه المسيرات لها أثر سلبي وهو أن شحنة الغيظ تذهب من نفوس الجماهير[3]...».

---

(١) لقاء مع الحويني على قناة الحكمة بعنوان: «غزة لن تنكسر».

(٢) لقاء مع الحويني على قناة الحكمة بعنوان: «غزة لن تنكسر».

(٣) لماذا هذا الحرص على أن تبقى شحنة الغيظ كامنة في نفوس الجماهير؟!

هل يريد أن يستثمرها في شيء أكثر فاعلية من المظاهرات نحو ثورة عارمة أو انقلاب عام يأتي على الأخضر واليابس؟! =

قلت: إقرار الحويني بفساد المظاهرات وعدم شرعيتها، وأنها من الأمراض التي دبت إلى الأمة: حقٌّ يشكر على صدعه به، لكن هلاَّ أيّد فتواه هنا، بترك التهييج السياسي الذي هو قرين المظاهرات، فالتهييج هو الدافع لهذه المظاهرات.

وكما اعترف أن هذه المظاهرات -أو المسيرات-، وما يحدث فيها من تخريب إنما هي سلبية لا تؤثر في العدو، فكذلك أيضًا هذا التهييج السياسي الذي يصاحبه إظهار مساوئ حكّام الدول الإسلامية سلبية لا تفيد إلا العدو، ومن سلبيتها أنها تثير الفتنة بين أبناء الأمة، وينتهي الأمر بحدوث القتال بين المسلمين: حكامًا ومحكومين، مِمَّا يضفعهم أكثر وأكثر، ولا يحدث الإصلاح المنشود لا في طبقة الحكام ولا في طبقة المحكومين.. فماذا كان؟!

وهذا المعنى أكّده الحويني في اللقاء نفسه حيث قال: «فأنا أرى الحقيقة أن يكون -يعني- أهل الولاية في بلاد المسلمين على مستوى الحدث يعني الجماهير تتهم الحكّام أنهم لا يقومون بدورهم، ربما يكون عند الحكّام معضلات الجماهير لا تعرفها، لكن ما يفعله الحكّام لا يرضى الجماهير وما تفعله الجماهير لا يرضى الحكّام طيب ما هو هذا نوع من الاحتراق الداخلي إن لم يعالج معالجة حكيمة يمكن أن ينفجر هذا الوضع في أي بلد من بلاد المسلمين عشان كده أنا خايف على بلاد المسلمين على الجبهة الداخلية التي يسمونها الآن بالجبهة الخارجية أن تحترق أو يحصل نوع من التصادم؛ لأن فيه نوع من الغليان الكامن في كل ديار المسلمين».

قلت: سبحان الله ! هكذا يناقض الحويني نفسه، أليس الاحتراق الداخلي الذي يهدد المجتمع، من أسبابه: خطبه النارية التي تشمل النكير العلني على بعض مساوئ الحكّام مِمَّا يلهب عاطفة الجماهير، ويجعل الدماء تغلي في عروقها؟!

=

قال الشيخ حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «كان الأولى أن يقول: إن ما يفعله البعض من مظاهرات وهتافات تلهب مشاعر الذين لا يعلمون ولا يفقهون، فيحرقون ويدمرون، إنما هو دليلٌ على شدة اليأس والقنوط من رحمة الله، وعلاج دائهم هذا يكمن في أن يخشعوا لله، مع الأخذ بالأسباب الشرعية، ثم الصبر والاحتساب، والذي لا يتأتى إلا بالاستعانة بالله -عز وجل-، ثم سؤال العلماء عن علاج هذه المشاكل». اهـ

ولن نذهب بعيدًا، فما كاد الحويني يتم كلامه السابق الذي يطالب فيه بمعالجة هذا الاحتراق الداخلي معالجة حكيمة، إلا وقد أردفه بكلام حماسي يلهب فيها هذه النار ويعجل بحدوث الانفجار، حيث قال: «إزاي إخواننا يهانون كل هذا الهوان إزاي يرجعوا من الحج يظلوا فترة طويلة رجالاً ونساء في العراء، امرأة تريد قضاء حاجتها ده رجل مريض ده طفل عايز ينام والبرد قارس وممنوع يدخلوا ثاني هذا العذاب ليه لماذا نعامل بهوان».

رغم أنه منذ لحظات كان يلتمس العذر للحكّام بأنهم قد تكون عندهم معضلات -أي مشاكل صعبة الحلّ- تجعلهم يتخذون أحيانًا بعض القرارات التي لا ترضي الجماهير!

وفي اللّقاء نفسه ألقي على مسامعه هذا التحريض على الحكّام من أحد السائلين، حيث قال هذا السائل: «الواضح أن الحكّام في واد وإن إحنا في واد، يعني: الرئيس الفلسطيني لما تنزل وزيرة الخارجية الأمريكية ويقابلها بالمصافحة والقبلات يدل على إن فعلاً الحكام في شيء والشعوب في شيء ثاني خالص فيعني يا ريت الكلام يوصل للحكام».

فيا ليت الحويني يتحدَّث بلسان العلماء الذين يصلحون ولا يفسدون، ويترك لسان الثوريين من القطبيين السروريين الذين يفسدون ولا يصلحون.

فانظر إلى الإمام ابن باز -وهو إمام يقتدى به- لَمَّا صدرت من بعض الحكّام أمورًا منكرة تصل إلى الكفر الأكبر، لم يتخذ هذه الأمور مادة إعلامية له، يتكسب بها عاطفة الجماهير؛ كي يظهر بمظهر الشجاع الذي ينكر ظلم الحكّام على الملأ دون أن يخاف بطشهم، وإنما كان يراسلهم مُنكِرًا عليهم ما صدر منهم مبينًا لهم الحكم الشرعي ناصحًا إياهم بالتي هي أحسن، وإليك نموذجان من هذا:

النموذج الأول: برقيته -رحمه الله- إلى الحاكم الأسبق للعراق: صدام حسين مستنكرًا عليه إعلانه النظام الاشتراكي، وقال فيها:

«فخامة رئيس الجمهورية -أخذ الله بيده إلى الحق- إن الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تستنكر ما أصدرته الحكومة العراقية من القرارات الاشتراكية، وتضم صوتها إلى صوت علماء العراق وغيرهم من العلماء في إنكار النظام الاشتراكي، وتؤكد بأنه نظام كفريٌّ يصادم نظام الإسلام ويناقضه، وتنصح حكومة العراق بالرجوع إلى نظام الإسلام وتطبيقه

في البلاد؛ لكونه أعدل نظام وأصلح تشريع عرفته البشرية، وهو كفيل بتحقيق العدالة الاجتماعية السليمة وحلّ المشاكل الاقتصادية وغيرها ...إلخ».

النموذج الثاني: رسالته إلى رئيس ليبيا معمر القذافي يحثُّه فيها على إعلان التوبة والتبرّؤ مِمّا نُسب إليه من إنكاره السنة، وقال فيها:

«بيان من الرئاسة العامة للمجلس الأعلى العالمي للمساجد حول ما دار مع العقيد معمر القذافي حول إنكاره للسنة النبوية كمصدر للتشريع كما تناقلتها الصحف والأنباء ...إلخ.

هذا ملخص قرار الوفد، وقد سرَّنا كثيرًا رجوع فخامة العقيد إلى الصواب في الأخذ بالسنة الصحيحة ...إلخ».

قلت: وقد يقول قائل مستهزئًا: إن هذه الرسائل لا تغني شيئًا عند الطواغيت -على حدّ تعبيره-، فإنهم لا يرفعون لها رأسًا!.

أقول: وهل تهييج الغوغاء عليهم، وتدبيج الخطب النارية ضدهم، وذكر مساوئهم على المنابر هو الذي سوف يصلحهم؟

أم أنه يزيد من حنقهم وبطشهم ويفجر الجبهة الداخلية.

ولذلك جاءت السنة بنصح الحكّام سرًّا درءًا لهذه المفسدة، ومراعاة للمصلحة العامة.

قال الإمام أَحْمَد فِي مسنده (٤٠٣/٣) قَالَ: حَدَّثَنَا أبو المغيرة، ثَنَا صفوان، حَدَّثَنِي شُرَيْح بن عبيد الحضرمي، وغيره، قَالَ: جَلد عياض بن غنم صاحب دارًا حين فتحت فأغلظ له هشام بن حكيم القول، حتَّى غضب عياض، ثُمَّ مكث ليالي، فأتاهُ هشام بن حكيم، فاعتذر إليه، ثُمَّ قَالَ هشام لعياض: أَلَم تسمع النَّبِي ﷺ يقول: **«إن من أشد الناس عذابًا أشدهم عذابًا فِي الدُّنْيَا للناس؟»**.

فَقَالَ عياض بن غنم: يا هشام بن حكيم، قد سمعنا ما سَمِعْت، ورأينا ما رأيت، أو لَم تسمع رَسُول الله ﷺ يقول: **«من أراد أن ينصح لسلطان بأمر، فلا يُبد له علانية، ولكن يأخذ بيده، فيخلو به، فإن قبل منه، فذاك، وإلاَّ كَانَ قد أدّى الَّذِي عليه له»**.

وإنك يا هشام لأنت الجريء إذ تجترئ عَلَى سلطان الله، فهلاً خشيت أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله -تبارك وتعالَى-»(١).

قال الشيخ عبد السلام بن برجس -رحمه الله- في كتابه الفريد «معاملة الحكّام في ضوء الكتاب والسنة» (ص١٢٣- ط مكتبة الفرقان): «وهذا الحديث أصلٌ في إخفاء النصيحة للسلطان، وأن الناصح إذا قام بالنصح على هذا الوجه، فقد برئ وخلت ذمته من التبِعَة».

وعلى هذا الأصل، جرى عمل الصحابة -رضوان الله عليهم-؛ فهؤلاء أربعة من صفوة أصحاب النبي ﷺ يؤكدون أهمية تقديم النصيحة للسلطان سرًّا لا علنًا غلقًا لباب الفتنة:

الصحابي الأول: **أسامة بن زيد** -رضي الله عنه-، فقد قيل له: ألا تدخل عَلَى عُثْمَان فتكلمه، فَقَالَ: «أترون أني لا أكلمه إلاَّ أسمعكم، والله لقد كلَّمته فيما بيني وبينه ما دون أن أفتتح أمرًا لا أحب أن أكون أول من فتحه...»(٢).

قال العلامة الألباني -رحمه الله- في تعليقه على مختصر صحيح مسلم عند هذا الحديث: «يعني المجاهرة بالإنكار على الأمراء في الملأ؛ لأن في الإنكار جهارًا ما يخشى عاقبته كما اتفق في الإنكار على عثمان جهارًا إذ نشأ عنه قتله».

---

(١) وهذا سندٌ صحيح إِلَىٰ شريح، وشريح كما قَالَ دحيم: من شيوخ حمص الكبار، ثقة، وقيل لِمحمد ابن عوف: هل سَمِعَ -أي شريح- من أحد من أصحاب النَّبِي ﷺ، قَالَ: ما أظن ذَلِكَ، وذلك لأنه لا يقول فِي شيء من ذَلِكَ سَمِعْتُ. (التهذيب ٢/ ٤٩٢).
قُلْتُ: ففي سماع شريح من عياض، أو هشام نظر.
وقد أَخْرَجَهُ ابن أبي عاصم فِي السنة (١٠٩٦)، وأبو عبيد فِي الأموال (١١٣)، والطبراني فِي مسند الشاميين (٢/ ٩٤)، وابن عدي فِي الكامل (٤/ ٧٥)، وابن عساكر فِي تاريخ دمشق (٤٧/ ٢٦٥-٢٦٦) من طريق صفوان به.
لكن للحديث طريق آخر متصل: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي فِي التاريخ الكبير (٧/ ١٨)، وابن أبي عاصم فِي السنة (١٠٩٨)، وفي الآحاد والمثاني (٢/ ١٥٤)، والحاكم فِي المستدرك (٣/ ٣٢٩)، والبيهقي فِي الكبرى (٨/ ١٦٤)، والطبراني فِي الكبير (١٧/ ٣٦٧)، من طريق عبد الله بن سالِم، عن الزبيدي، قَالَ: حَدَّثَنِي فضيل بن فضالة يرده إِلَىٰ ابن عائذ يرده إِلَىٰ جبير بن نُفير، عن عياض بن غنم، قَالَ لِهشام بن حكيم..... وذكره بنحوه.
قُلْتُ: عبد الله بن سالِم هُوَ الأشعري الوحاظي، ثقة، والزبيدي هُوَ مُحَمَّد بن الوليد، ثقة ثبت من كبار أصحاب الزهري، وبقية رجاله ثقات. وقد صحح الحديث العلامة الألباني: فِي ظلال الجنة.
(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِي (٣٢٦٧)، ومسلم (٢٩٨٩)، واللفظ لِمسلم.

الصحابي الثاني: عبد الله بن أبي أوفى، فقد أخرج أَحْمَد فِي مسنده (٣٨٢/٤) قَالَ: ثنا أبو النضر، ثنا الحشرج بن نباتة العبسي، حَدَّثَنا سعيد بن جمهان، قَالَ: أتيتُ عبد الله بن أبي أوفى وهو مَحجوب البصرة، فسلمتُ عليه.

قَالَ لي: من أنت؟ فقلت: أنا سعيد بن جمهان.

قَالَ: فما فَعَلَ والدك؟ قَالَ: قُلْتُ: قَتَلته الأزارقة.

قَالَ: لعن الله الأزارقة، لعن الله الأزارقة، حَدَّثَنا رَسُول الله ﷺ أنهم كلابُ النار.

قَالَ: قلتُ: الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها؟ قَالَ: بلى، الخوارج كلها.

قَالَ: قُلْتُ: فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم. قَالَ: فتناولَ يدي، فغمزها بيده غمزةً شديدة، ثُمَّ قَالَ: «وَيْحَك يا ابن جمهان، عليك بالسواد الأعظم، عليك بالسواد الأعظم، إن كَانَ السلطان يسمع منك، فائته فِي بيته، فأخبره بما تعلم، فإن قَبِل منك، وإلا فدعه، فإنك لستَ بأعلم منه»[1].

الصحابي الثالث: سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، فقد أخرج الشيخان[2] عن سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- قال: أعطى رسول الله ﷺ رهطًا وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ منهم رجلاً لم يعطه وهو أعجبهم إليَّ، فقمت إلى رسول الله ﷺ فساررته، فقلت: يا رسول الله ما لك عن فلان، والله إني لأراه مؤمنًا، قال: أو مسلمًا، وفيه: قال ﷺ: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحبُّ إليَّ منه خشية أن يكبَّ في النار على وجهه**».

قال النووي -رحمه الله- في شرحه على مسلم (١٤٩/٧): «فيه التأدب مع الكبار، وأنهم يسارون بما كان من باب التذكير لهم والتنبيه ونحوه، ولا يجاهرون، فقد يكون في المجاهرة به مفسدة».

الصحابي الرابع: ابن عباس -رضي الله عنهما-: فقد قال سعيد بن منصور في سننه

---

(١) حديث حسن: وَأَخْرَجَهُ الحاكم (٣/ ٦٦٠)، والطيالسي (٨٢٢)، وابن أبي عاصم فِي السنة (٩٠٥)، وابن عدي فِي الكامل (٢/ ٤٤١) من طريق حشرج به.

(٢) البخاري (١٤٠٨)، ومسلم (١٥٠).

(١٦٥٧/٤) (٨٤٦): نا أبو عوانة وجرير، عن معاوية بن إسحاق، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: آمر إمامي بالمعروف؟ فقال ابن عباس: «إن خشيت أن يقتلك فلا، فإن كنت فاعلاً ففيما بينك وبينه، ولا تغتب إمامك».

وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنّفه (٦٠٢/٨) من طريق جرير عن معاوية، عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: آمر أميري بالمعروف؟ قال: «إن خفت أن يقتلك، فلا تؤنّب إمامك، فإن كنت لا بد فاعلاً، ففيما بينك وبينه»[1].

وقال ابن أبي شيبة في مصنّفه (٦٠٢/٨): حدثنا معاوية قال: حدثنا سفيان، عن معمر، عن ابن طاوس عن أبيه قال: قلت: لابن عباس: أنهى أميري عن معصية؟ قال: لا تكون فتنة؟ قال قلت: فإن أمرني بمعصية؟ قال: فحينئذ.

وسئل سَماحة الإمام ابن باز -رحمه الله-: هل من منهج السَّلَف نقد الولاة من فوق المنابر؟ وما منهج السَّلَف فِي نصح الولاة؟

فأجابَ: ليس من منهج السَّلَف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذَلِكَ عَلَى المنابر؛ لأن ذَلِكَ يُفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة فِي المعروف ويُفضي إلى الخوض الَّذِي يضر ولا ينفع، ولكن الطريقة المتبعة عِند السَّلَف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلونَ به حتَّى يوجه إلى الخير؛ وإنكار المنكر يكون من دون ذكر الفاعل فيُنكر الزنا، ويُنكر الخمر، وينكر الربا من دون ذكر من فعله ويكفي إنكار المعاصي والتحذير منها من غير أن يذكر فلانًا يفعلها لا حاكم ولا غير حاكم.

ولَمَّا وقعت الفتنة فِي عهد عُثْمَان -رضي الله عنه- قَالَ بعضُ الناس لأسامة بن زيد ألا تكلِّم عُثْمَان؟ فَقَالَ: إنكم ترون أني لا أكلِّمه إلاَّ أسمعكم؟ إني لأكلمه فيما بيني وبينه دون أن أفتتح أمرًا لا أحبُّ أن أكونَ أول من افتتحه.

ولَمَّا فتحوا الشر فِي زمان عُثْمَان -رضي الله عنه- وأنكروا عَلَى عُثْمَان جهرة تَمَّت

---

(١) وأخرجه ابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (ص١١٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٣/ ٢٧٣)، وسنده حسن.

الفتنة والقتال والفساد الَّذي لا يزال الناس فِي آثاره إلى اليوم حتَّىٰ حصلت الفتنة بين عليّ ومعاوية، وقُتِلَ عُثْمَان بأسباب ذَلِكَ، وقُتِلَ جَمْعٌ كثير من الصحابة وغيرهم بأسباب الإنكار العلني، وذكر العيوب علنًا حتَّىٰ أبغض الناس ولي أمرهم وقتلوه، نسأل الله العافية»[1]. اهـ

○ وفِي حوار مع فضيلة الشيخ صالِح بن فوزان الفوزان -حفظه الله- سُئِلَ:

بعض الشباب اليوم يفهم قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. أنهم أولئك الذين يذكرون أخطاء الحكام عَلَىٰ المنابر، وأمام الملأ، وفي الأشرطة المسجلة، ويَحصرون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فِي ذَلِكَ أيضًا، نرجو توجيه أولئك الشباب هداهم الله إلَىٰ السلوك الصحيح وتوضيح المعنىٰ الصحيح لِهذه الآية، وحكم أولئك الذين يتكلمونَ فِي الْحُكَّام علنًا؟

الجواب: يقول الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ-: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ [المائدة: ٥٤].

هذه الآية فِي كل من قَالَ كلمة الحق وجَاهدَ فِي سبيل الله، وأمر بالمعروف ونَهَىٰ عن المنكر طاعة لله تعالى، ولَم يترك النصيحة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد فِي سبيل الله من أجل الناس أو من خشية الناس، لكن قضية النصيحة والدعوة إلى الله كما قَالَ تعالَىٰ: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾ [النحل: ١٢٥].

والله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- قَالَ لِموسى، وهارون لَمَّا أرسلهما إلَىٰ فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤].

وَقَالَ تعالى فِي حق نبينا مُحَمَّد ﷺ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالنصيحة للحُكَّام تكون بالطرق الكفيلة لوصولِها إليهم من غير أن يُصاحبها تشهير أو يُصاحبها استنفار لعقول السُذج والدَّهْمَاء من الناس، والنصيحة تكون سرًّا بين الناصح وبين ولي الأمر، إمَّا بالمشافهة، وإمَّا بالكتابة له، وإمَّا أن يَتَّصل به ويبين له هذه الأمور،

---

(١) المعلوم من واجب العلامة بين الحاكم والمحكوم (ص١٠).

ويكون ذَلِكَ بالرفق، ويكون ذَلِكَ بالأدب المطلوب، أمَّا الكلام فِي الولاة عَلَى المنابر، وفِي المحاضرات العامة، فهذه ليست نصيحة، هذا تشهير، وهذا زرع للفتنة، والعداوة بين الحُكَّام وشعوبهم، وهذا يترتب عليه أضرار كبيرة، قد يتسلط الولاة عَلَى أهل العلم وعلى الدعاة بسبب هذه الأفعال، فهذه تفرز من الشرور ومن المحاذير أكثر مِمَّا يظن فيها من الخير...»[1]. اهـ

قلت: وقد اقتضت سنة الله أن يكون فساد الحكَّام تابعًا من فساد الرعية، فمن أراد إصلاح الحكام، فليبدأ بإصلاح الرعية أولاً، لا يكون شغله الشاغل هو الغمز واللَّمز في الحكَّام وأعوانهم، والتلويح بتكفيرهم، وصدق الطرطوشي في «سراج الملوك» (٢/٤٦٧) -رحمه الله- لما قال: «لم أزل أسمع الناس يقولون: (أعمالكم عمَّالكم)، و(وكما تكونوا يولَّى عليكم)، إلى أن ظفرت بهذا المعنى في القرآن، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام: ٢٩]، وكان يقال: «ما أنكرت من زمانك فإنما أفسده عليك عملك».

وقال عبد الملك بن مروان: «ما أنصفتمونا يا معشر الرعية! تريدون منَّا سيرة أبي بكر وعمر، ولا تسيرون فينا، ولا في أنفسكم بسيرتهما؟!». اهـ

وتأمل هذا الكلام البليغ لابن قيم الجوزية، والذي منه تدرك ضلال الخوارج القعدية، وأنهم يضادون الله سبحانه في سنته القدرية، حيث قال -رحمه الله- في «مفتاح دار السعادة» (١/٢٥٣): «وتأمل حكمته تعالى في أن جعل ملوك العباد وأمراءهم وولاتهم من جنس أعمالهم، بل كأن أعمالهم ظهرت في صور ولاتهم وملوكهم، فإن استقاموا استقامت ملوكهم، وإن عدلوا عدلت عليهم، وإن جاروا جارت ملوكهم وولاتهم، وإن ظهر فيهم المكر والخديعة؛ فولاتهم كذلك، وإن منعوا حقوق الله لديهم، وبخلوا بها منعت ملوكهم وولاتهم ما لهم عندهم من الحق، وبخلوا به عليهم، وإن أخذوا مِمَّن يستضعفونه ما لا يستحقونه في معاملتهم أخذت منهم الملوك ما لا يستحقونه وضربت عليهم المكوس والوظائف، وكلَّما يستخرجونه من الضعيف يستخرجه الملوك منهم بالقوة؛ فعمالهم

---

(١) حوار مع عالِم (ص١٦-١٨) (س٥).

ظهرت في صور أعمالهم، وليس في الحكمة الإلهية أن يُولَّى على الأشرار الفجار إلاَّ مَن يكون من جنسهم، ولَمَّا كان الصدر الأول خيار القرون، وأبرها كانت ولاتهم كذلك، فلمَّا شابوا شابت لهم الولاة؛ فحكمة الله تأبى أن يُولِّي علينا في مثل هذه الأزمان، مثل معاوية وعمر بن عبد العزيز فضلاً عن مثل أبي بكر وعمر، بل ولاتنا على قدرنا وولاة من قبلنا على قدرهم، وكل من الأمرين موجب الحكمة ومقتضاها، ومن له فطنه إذا سافر بفكره في هذا الباب رأى الحكمة الإلهية سائرة في القضاء والقدر ظاهرة وباطنة فيه كما في الخلق والأمر سواء، فإياك أن تظن بظنك الفاسد أن شيئًا من أقضيته وأقداره عارٍ عن الحكمة البالغة، بل جميع أقضيته تعالى وأقداره واقعة على أتم وجوه الحكمة والصواب، ولكن العقول الضعيفة محجوبة، بضعفها عن إدراكها، كما أن الأبصار الخفاشية محجوبة بضعفها عن ضوء الشمس، وهذه العقول الضعاف إذا صادفها الباطل جالت فيه وصالت ونطقت، وقالت: كما أن الخفاش إذا صادفه ظلام الليل طار وسار:

خفافيش أعشاها النهارُ بضوئه ... ولازمها قطع من الليل مظلم

وتأمل حكمته -تبارك وتعالى- في عقوبات الأمم الخالية، وتنويعها عليهم بحسب تنوع جرائمهم، كما قال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودَا وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ﴾ [العنكبوت: ٣٨]، إلى قوله: ﴿يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وتأمل حكمته تعالى في مسخ من مسخ من الأمم في صور مختلفة مناسبة لتلك الجرائم فإنها لمَّا مُسِخَت قلوبهم وصارت على قلوب تلك الحيوانات وطباعها اقتضت الحكمة البالغة أن جعلت صورهم على صورها لتتم المناسبة ويكمل الشبه...». اهـ

وقال العلامة الألباني -رحمه الله- كما في الشريط (٤٥٩-٤٦٠) من سلسلة الهدى والنور: «لكن هناك مشكلة هذه الظاهرة التي يعتقد بها أفراد الشعوب الإسلامية وهي أن الحكومات الإسلامية وأن حكَّامها لا يحكمون بما أنزل الله، ننسى أنفسنا ونجعل دأبنا ودأب هؤلاء الحكام، ونقول: هؤلاء كفار لا يحكمون بما أنزل الله، وقد يكون الأمر كذلك، وقد لا يكون! هذا يحتاج إلى بحث، لكن نحن نسينا أنفسنا: هل نحن نحكم بما أنزل الله نحن؟

هناك كما تعلمون قوله -عليه السلام-: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ فالرجل راع وهو مسئول عن رعيته، والمرأة راعية ومسئولة عن رعيتها، والعبد** -حتى هو- **راع ومسئول عن رعيته**....» إلى آخره؛ فالحاكم مسئول عن الرعية كلها، وهو الحاكم معنا، فمن افتتان المسلمين وانصرافهم عن نصرة رب العالمين أنهم يهتمون بغيرهم وينسون أنفسهم خلاف قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة: ١٠٥]؛ فنجد كثيرًا من الشباب المسلم كأفراد، ونجد كثيرًا من الجماعات الإسلامية دأبهم هو الحكام أن هؤلاء كفار، هؤلاء لا يحكمون بما أنزل الله، وإذا نظرت إليهم لوجدتهم كالحكّام، لكن سلطة الحاكم بلا شك أوسع، ودائرة ظهور عدم حكمه بالإسلام أيضًا أوسع من حكم هؤلاء الأفراد على أنفسهم وعلى أهليهم، لكن مع ذلك هؤلاء لا يطبقون الإسلام الذي يعلمونه، لماذا؟ لغلبة الأهواء على نفوسهم، فهم إذن مع الحكام في الهوا سوا كما يقولون.

وأنا أريد أن أذكّر بحديث نقتبس منه العكس الذي نحن الآن في صدده، كما أنّ الحسنة تتضاعف بسبب قلة المتوفر منها في يد المحسن وتقل قيمتها بسبب كثرة وتوفر الحسنات عنده، كذلك أنا أقول: إذا كان مسلم مسؤوليته على نفسه هذا أهون من أن تكون مسؤوليته عليه وعلى زوجته، وهذا الثاني مسؤوليته أهون أن تكون مسؤوليته عليه وعلى زوجته وأولاده، وواحد له خمسة، وواحد له عشرة إلى آخره، فكلما قَلَّت الأشخاص، كلّما خفت المسؤولية فإذا خفت المسؤولية تتضاخم المسؤولية في التقصير فيها والعكس بالعكس تمامًا، ما هو هذا الحديث؟ يقول الرسول -صلى الله عليه وعلى آله وسلم-: «**سبق درهم مائة ألف**»، قالوا: كيف يا رسول الله، قال: «**هذا رجل عنده درهم فتصدق به، وذاك رجل أخذ من عرض ماله مائة ألف**» ما حس مع كثرة العدد ما حس بهذه الكمية التي تصدق بها، أما هذا الأول ما عنده غير الدرهم، فتصدق به فهذا أجره أكثر من ذاك.

أنا أقول: الآن القضية هكذا بس بطرف مقابل نلوم الحكام لماذا لا يحكمون بما

أنزل الله؟ وننسى أنفسنا، ونحن أن نحكم على أنفسنا وعلى بعض من [تحت أيدينا] أسهل علينا من أنه -أي: الحاكم- يحكم البلاد كلها على الإسلام.

خلاصة القول: كما جاء في الحديث وهو أيضًا حديث ضعيف السند، لكن هو حكمة: «كما تكونوا يولى عليكم»، إن كنتم صالحين تقيمون شريعة الإسلام في نفوسكم يُحكِّم ربنا -عز وجل- عليكم من يقيم شريعة الله عليكم، والعكس بالعكس تمامًا». اهـ

قلت: وصدق محمد بن الحنفية -رحمه الله- لمَّا قال: «ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف من لا يجد من معاشرته بُدًّا، حتى يجعل الله له فرجًا، أو قال: مخرجًا».

وقال الحويني في خطبة «صيحات نذير» (جزء ١): «وإليكم مثل من تحت.. قريبًا، ولعلَّ بعضكم يذكره، وهو موقف الشيخ الجليل «محمد شاكر» والد المشايخ الاجلاء الفضلاء .. شامة مصر.. الشيخ «أحمد شاكر» أبو الأشبال المحدث الكبير، والشيخ «محمود شاكر» المقاتل عن اللُّغة العربية، وعن ثقافة المسلمين.

هذا أبوهم ولا استغراب (فهذا الشبل من ذاك الأسد).

الشيخ «محمد شاكر» كان وكيل الجامع الأزهر، وهو مؤسس القضاء الشرعي في السودان، أرسله الشيخ محمد عبده للسودان؛ ليؤسس القضاء الشرعي هناك، عاد فصار شيخ علماء الأسكندرية، ثم ترقى ليصبح وكيل الجامع الأزهر.

وفي يوم من الأيام -وهذه رواية العلامة المحدِّث أحمد شاكر- في يوم من الأيام أرادوا الاحتفال بالدكتور «طه حسين» بمناسبة حصوله على الدكتوراة من باريس، كان الملك فؤاد يحب السماع لخطيب معين له عباراته المنمقة وأفلاته الوعظية الجيدة؛ فكان يحب أن يستمع إليه ويصلي خلفه.

فقالوا تعال؛ لأن الملك يريد أن يصلي وراءك، ومتنساش تقول كلمتين تشكر الملك أنه راعى طه حسين، وأنه سفَّره لفرنسا وهكذا؛ فخطب ذلك الرجل خطبة عصماء .. وزلت قدمه زلة سقط بها على أم رأسه!

فقال مادحًا الملك: (ما عبس ولا تولَّى لَمَّا جاءه الأعمى).

فبمجرد أن نزل من على المنبر قال الشيخ محمد شاكر فورًا: «أيها الناس أعيدوا الصلاة فإن الخطيب كفر.!». اهـ

قلت: ولماذا هذا المثال بالخصوص الذي يضرب في حق الشيخ محمد شاكر، إلا لِمَا وراء الأكمة، إنها تربية للشباب على الجرأة في التكفير، وإثارة هذه النزعة الخارجية فيهم.

ولا يعني هذا أن هذا القول من هذا الخطيب ليس كفرًا، ولكن الذي استوقفني هو انتقاء الحويني لهذه الواقعة فقط من عشرات الوقائع التي حدثت في زمن الملكين فؤاد وفاروق، والتي تبين كيف كان يتعامل أهل العلم معهما.

وإذا أردت عشرات الأمثلة المشرقة على تعامل علماء السنة السلفيين مع ولاة الأمر في زمن الشيخ محمد شاكر وما بعده، وهو زمن تولي الملك فؤاد ثم وريثه الملك فاروق حكم مصر، فاقرأ كتاب «الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية» للشيخ عادل السيد -جزاه الله خيرًا-، حيث جمع جمعًا نفيسًا من مجلات الهدي النبوي -لسان حال أنصار السنة قديمًا-، ومن بعض الوثائق القديمة أمثلة مشرقة عن المشايخ: أحمد بن محمد شاكر -آخر مُحدِّثي مصر-، ومحمد حامد الفقي-، وعبد الرزاق عفيفي -رحمهم الله جميعًا- في إعطائهم البيعة لولاة الأمر، والدعاء لهم، وجمع المسلمين عليهم، ومناصحتهم بالطرق الشرعية السوية التي بها يزداد الخير ويقل الشر.

ولما عُرض كتاب «الحاكمية والسياسة الشرعية عند شيوخ جماعة أنصار السنة المحمدية» على الحويني حذَّر منه واستنكره كما أخبرني بهذا الشيخ عادل السيد، وهذه عادة الحويني مع مثل هذه الكتب التي تحضُّ على طاعة ولاة الأمر في المعروف.

ولذلك لا يتعرض لذكر هذا الأصل السلفي البتّة في دروسه، بل يغمز ويلمز من يلتزم به من أهل العلم وطلبة العلم.

وقال الحويني: «ولهذا أقول لكم يا إخواني **لابد من اليقظة! لابد** أ[illegible] طلاب العلم في كل مكان.. لابد ان يذاكروا ويجتهدوا.. لا ندري ما الذي ستجيء به **الأيام** [illegible]ية القادمة!

أنا أقول لكم أرى الصورة ضبابية جدًّا!».

قلت: وهذه هي نظرة الخوارج قديمًا وحديثًا للمجتمعات، وللزمان..!

وقال الحويني في محاضرة «جزاء المخالفة» على إحدى القنوات الفضائية:

«**وأنا أسأل سؤالاً:** أعداؤنا، هل ظفروا وتمتعوا بغزو بلادنا؟

الأمريكان لمّا دخلوا أفغانستان، هم متمتعون هناك؟ ظفروا؟ غلبوا؟ أبدًا، مَن الذي يقاتلهم؟ شراذم من الشجعان لهم عقيدة يريدون استرداد دولتهم العراق[1].

في العراق، هل انتصر الأمريكان؟ نعم، قتل من العراقيين ما يقارب مليون إنسان.

لكن الإعلام في العالم كله يستقي إعلامه من أمريكا يقولك من بداية الغزو لحد الآن قتل ثلاثة آلاف، أنحن مغفلون؟! ثلاثة آلاف، اضرب في عشرة على الأقل.

وقد ظهر الخزي على وجه رئيسهم واستقال الأحمق الذي كان سببًا في تخطيط هذا الغزو وخرج إلى مزبلة التاريخ ورئيسه سيذهب إلى مزبلة التاريخ.

ما انتصروا في العراق برغم أن بلاد المسلمين متفرقة، دعكم من الأحضان والقبلات وما ترونه في الجرائد لا إن بلاد المسلمين كما قال المتنبي قديمًا:

أرانب غير أنهم ملوك ... مفتحة عيونهم نيام

الأرنب لا ينام إلا مفتح العينين فإذا جاء صياد ليصطاده -ولا يعرف ذلك- يظنه مستيقظًا، أما الماهر يعلم أنه نائم فيلتقطه بلا أدنى عناء[2].

بلاد كبلاد متفرقة والشعوب متفرقة ومع ذلك لم يظفر أعداؤنا ولم يهنئوا بالغزو، فكيف لو كان هناك اجتماع على كلمة واحدة ما كان يجرؤ أحد من أعدائنا أن ينظر إلينا»[3]. اهـ

قلت: كنا نود أن يعرّج الحويني على ذكر المحرِّك الحقيقي لأمريكا لغزو أفغانستان ثم العراق، وهم الشيعة الرافضة الإمامية المعادية للإسلام وأهله!.

---

(١) هذه الشراذم من الشجعان أصحاب العقيدة هم أفراخ تنظيم القاعدة الخارجي تحت قيادة الزرقاوي الحروري!.

(٢) وهذا فيه إيماء للتحريض على اغتيال هؤلاء الملوك.

(٣) قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «وهذا لا يتم إلاَّ بأن يتآلف المسلمون تحت لواء الكتاب والسُّنة بفهم سلف الأمة».

فدأب الحزبيين التنديد بأمريكا وغضّ الطرف عن العدو الأخطر -وأقول الأخطر-، الذي فتح ديار الإسلام لأمريكا ولليهود، وهم الشيعة الرافضة ومن والاهم من الأحزاب المنحرفة نحو حزب الإخوان المسلمين، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «منهاج السنة» (٣/٣٧٨): «إذا صار اليهود دولة بالعراق وغيره تكون الرافضة من أعظم أعوانهم، فهم دائمًا يوالون الكفار من المشركين واليهود والنصارى ويعاونونهم على قتال المسلمين ومعاداتهم».

وللمزيد انظر كتابي: «كشف العلاقة المريبة بين الشيعة الرافضة وحزب الإخوان المسلمين».

ثم وقفت على كلام حقٍّ للحويني في درس له بعنوان «حقيقة الشيعة»، حقّق فيه شيئًا مِمّا قد كنت ذكرته في كلامي السابق، حيث قال: «العراق .. الشيعة أكلوها، مذبحة لأهل السنة في كل يوم، وأنا ذكرت لكم، في شهر ٧ الماضي اتهجر مائة ألف سني من البصرة يا يسيب بلده يا يقتل، ١٨٧ مسجدًا في البصرة لا تُقام فيها جمعة ولا جماعة من سبعة شهور أو ثمانية، يدخلوا يصلون يحصدونهم بالرصاص، خارجين من المسجد يجدون عربية مفخخة.

مائة وعشرون ألف جندي أمريكي في العراق تحت حماية الشيعة، هو أنت شفت مذابح إلا في المحافظات السنية في العراق ...». اهـ

* * * *

فصل

موقف الحويني من الجهاد في العراق

قال الحويني في خطبة جمعة له بعنوان: «الهجرة من المعاصي ... الهجرة التي لا تنقطع»، والتي كانت بتاريخ (٢٦/١/٢٠٠٧) بمسجد شيخ الإسلام ابن تيمية بكفر الشيخ:

«وقوله ﷺ: **«وإذا استنفرتم فانفروا»**، ده مرتبط أيضًا أو بمثل معناه قوله ﷺ: **«لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار»**؛ لأن أي بلد من بلاد المسلمين يعتدى عليه ويطلب النجدة فعلى جميع المسلمين القادرين على الوصول من الدول الإسلامية أن يذهبوا.

بلد متاخم إن عجز فالمتاخم إن عجر فالمتاخم إن عجز.. حتى يشمل بلاد المسلمين جميعًا.

يعني الجهاد فرض عين على مصر، الجهاد فرض عين على مصر، ليه؟

العراق أكلت، مَن إلي جانب العراق؟ الشام بدولها الأربعة، الشام الاسم القديم الذي يجمع الدول الأربعة: سوريا ولبنان والأردن وفلسطين دي كلها اسمها الشام وهم عاجزون! مَن إلي جانبهم؟ الجزيرة وهم عاجزون! من إلي جانبهم؟ مصر[1]، يعني صار

---

(١) ولماذا لم تقل في مصر كذلك: إنهم عاجزون؟!
لماذا شدُّ الحبل على مصر فقط دون بقية البلاد المذكورة؟
لماذا لم تطالب حزب الإخوان أن يثبت شعاره الذي رفعه من جانب واحد: «لا سنة ولا شيعة لكن إسلامية ..إسلامية»، أن يطالب حسن نصر أن يرسل أسلحته وشيعته لنصر الدولة الإسلامية في غزة وفي العراق؟
وهل الجهاد فرض عين على أهل مصر، وليس فرض عين على النصيريين في سوريا، والشيعة الروافض في لبنان، أو على أدعياء الجهاد في بلاد الشام؟
ولماذا لم نسمع لك حسًّا في نصرة أهل السنة في بيروت لمَّا حصدهم المجرم الأفّاك حسن نصر بمدافعه؟!
مَن أولى بالإنكار عليه: حكومة مصر -التي في أقل أحوالها حتى لو مالئت اليهود، وأغلقت أبوابها =

الجهاد فرض عين على كل هذه البلاد. طيب بالنسبة للأفراد، لأن كلمة فرض عين يعني يأثم إذا لم يفعل.

هل نحن آثمون كأفراد لا، ليه؟ مقفول علينا.

خلاص يبقى المسألة فيما يتعلق بنا خلاص.

إنما إذا فتحت الحدود فحين إذن يجب على كل قادر أن يذهب يجب عليه أن يذهب، وهذا ... معنى حديث: «لا تنقطع الهجرة»؛ لأنه أنت لمَّا تطلع من هنا تروح العراق مثلاً بعد ما الأسباب المانعة انتهت أنت مهاجر أنت تركت بلدك وذهبت لبلد آخر فمتحقق فيك وصف المهاجر.

لأن الصحابة لما خرجوا من مكة إلى المدينة ده ٤٥٠ كيلوا أنت لمًا تخرج من مصر تذهب إلى العراق أو تخرج إلى أفغانستان بتقطع ألوف الكيلوات طالما تركت بلدك و[.] و[.] وتركت مالك وأولادك وأهلك وذهبت إلى جهة تقصد بها وجه الله فأنت مهاجر». اهـ

قلت: هذه الفتوى[1] مبنية على العاطفة البحتة بعيدًا عن تصور صحيح للواقع، والذي -بناء عليه- يكون حكم الشرع.

وقد اشتملت هذه الفتوى على ثلاثة أخطاء مهلكة:

الخطأ الأول: تعتيمه على حقيقة الوضع في العراق، والإيحاء إلى مستمعي كلامه

=

أمام مناصرة أهل غزة كما يُدَّعى عليها- فإنها لم تسلم شعبها المسلم إلى العدو وتوَّجه إليه مدافعها وتترصد أبناءه بالقتل والسلب والنهب العلني؟!.

أم حزب الشيطان -بقيادة حسن نصر- الذي أرسل جنوده إلى ميلشيات المهدي الرافضية في العراق لإتمام عملية تصفية المسلمين هناك، وحرق المساجد والمصاحف وكتب السنة، مع تسلطه على مسلمي لبنان -أعني المنتسبين إلى السنة- قتلاً وخطفًا وترويعًا ومنعًا للمعونات التي تصل إليهم من الدول السنية نحو المملكة العربية السعودية ومصر؟!!

إن سبيلك يا حويني هذا هو سبيل حزب الإخوان، ولسانك هو لسانهم، ولذلك سكت عنهم، وسكت على مَن يأمرون أتباعهم بالسكوت عنهم!!

(١) وعلى غرارها قول محمد حسَّان في خطبته «من لك يا بغداد»: «حتى لو قُتِل عشرة ملايين مسلم في العراق، فالجهاد مستمر».

بأن هناك جهادًا شرعيًا في العراق، ومن ثَمَّ حرَّض المسلمين كافة على الذهاب هناك؛ لأن الجهاد هناك صار فرضًا عينيًا عليهم.

الخطأ الثاني: تحريضه الشباب على الذهاب إلى العراق، وتصويره أمر الذهاب إلى هناك بأنه هجرة في سبيل الله -عز وجل-.

الخطأ الثالث: استخدامه أسلوب التهييج على ولاة الأمر، حيث علَّق أسباب منع المسلمين من القيام بهذا الفرض العيني على الحكَّام؛ لأنهم يغلقون الحدود أمام مَن يريد السفر للعراق.

○ **فأمَّا عن بيان الخطأ الأول، فأقول مستعينًا بالله مولاي ومولى المؤمنين:**

إن كنا سلفيين حقًّا، فلنتحاكم إلى الكتاب والسنة وفهم سلف الأمة في مسألة حكم الجهاد في العراق، مع التصوير الصحيح الصادق لواقع المسلمين في العراق خلال الغزو وبعده.

فنقول: إن مداهمة العدو الكافر لبلد من بلاد المسلمين له حال ومآل:

أمَّا الحال، أي حال المداهمة.

وأمَّا المآل، فهو ما بين أمرين:

الأول: اندفاع العدو وعدم تمكنه من دخول البلد والاستقرار فيها، والسيطرة عليها، لَمَّا دُفِع من قبل المسلمين.

الثاني: تمكنه من البلد واحتلاله إياها واستقراره فيها وسيطرته عليها.

* **أمَّا الحال: -أي حال المداهمة-:**

فهذا يوجب على أهل هذا البلد دفعه بما استطاعوا، وهذا ما يسمى بجهاد الدفع، كما قال أ.د: عبد المحسن المنيف -حفظه الله- في كتابه «الجهاد.. أحكامه ومن يدعو إليه» (ص٧٠-٧١): «إذا نزل الكفار ببلد تعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم.

وإليه ذهب الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة، واستدلوا على ذلك بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣]. دلَّت الآية الكريمة على وجوب قتال الكفار الذين يلوننا، مِمَّا يدل على تعيُّن القتال على أهل البلد الذي نزل الكفَّار فيه». اهـ

وقال علي بن عبد الرحمن بن هُذَيل الأندلسي في «تحفة الأنفس وشعار سكان الأندلس» (ص٧٨): «وقد يتعين فرض الجهاد في بعض الأحيان لسببين:

أحدهما: أمر الإمام بالخروج للغزو، فمن عيَّنه تعيَّن عليه.

والثاني: أن يفجأ العدو قومًا لهم قوة على مدافعته فيتعين عليهم دفاعه وقتاله، فإن لم يستقلوا بذلك لزم من قاربهم أن يخرج إليهم، فإن لم يستقل الجميع وجب على من علم بضعفهم وطمع في إدراكهم وعونهم المضي إليهم حتى يندفع عنهم العدو.

ويسقط الوجوب عن الصبي والمجنون والمرأة والمريض والأعمى والأعرج الذي يعجز عن المحاربة والركوب وحبس السلاح عند الحاجة إلى ذلك.

وكذلك يسقط بالفقر وعدم نفقة الذهاب والإياب وبالرق إلا بإذن السيد، وبالأبوين إلا بإذنهما إلا أن يفجأ العدو مدينة أو محلة أو يقع النفير أو يكون الابن قد أوجبه على نفسه في وقت معين فلا يجوز المنع بوجه ولا يحتاج إذن جد ولا جدَّة...».

وقال الشيباني في «شرح السير الكبير» (١/٢٠٠-٢٠١): «لا ينبغي للعبد أن يجاهد بغير إذن مولاه ما لم يكن النفير عامًا، فإذا كان ذلك فله أن يخرج، وليس لمولاه أن يمنعه من ذلك، لأن فرضية الخروج عند النفير العام كفرضية الصوم والصلاة، وذلك مستثنى للعبد مِمَّا ملكه عليه مولاه، وإذا تبين هذا في العبد، وللمولى عليه ملك على الحقيقة، تبين في حق الولد مع الوالدين بطريق الأولى، وكذلك النساء إذا كانت بهن قوة القتال فليخرجن إذا كان النفير عامًا.....

ولا يعجبني أن يباشرن القتال، لأن بالرجال غنية عن قتال النساء، فلا يشتغلن بذلك من غير ضرورة، وعند تحقق الضرورة بوقوع النفير عامًا لا بأس للمرأة أن تقاتل بغير إذن وليها وزوجها...

وكذلك الغلمان الذين لم يبلغوا إذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا في النفير العام، وإن كره ذلك الآباء والأمهات، وفي غير هذه الحالة لا ينبغي لهم أن يخرجوا، إلا أن تطيب أنفسهم بذلك». اهـ

وجاء في «رد المحتار على الدر المختار» (٤/١٢٧): «(قوله إن هجم العدو) أي: دخل بلدة بغتة، وهذه الحالة تسمى النفير العام، قال في الاختيار: والنفير العام أن يحتاج إلى

جميع المسلمين (قوله فيخرج الكل) أي كل من ذكر من المرأة والعبد والمديون وغيرهم، قال السرخسي: وكذلك الغلمان الذين لم يبلغوا إذا أطاقوا القتال فلا بأس بأن يخرجوا ويقاتلوا في النفير العام وإن كره ذلك الآباء والأمهات». اهـ

قلت: وهذا النفير العام الذي به يجب الجهاد على كلِّ أحد، هو الذي يعلنه الأمير العام الذي بيده مقاليد القتال وصد العدوان، فهو يستنفر المسلمين جميعًا لصد عدوان هذا العدو الصائل، ودفعه بما استطاعوا عن التمكن من بلادهم، وهذا الدفع بهذه الصفة واجب بلا شك، لكن إذا سقط الأمير، وصار الجند بلا رأس يقودهم في هذا الدفع، فإن الأمر يختلف؛ حيث يتحول الدفع إلى حروب فردية؛ فكلٌّ أمير نفسه، فتتشتت قوى المقاتلين، ولا يدرون في أي اتجاه يسيرون، وبالتالي يصير دفع هذا العدو الصائل عبثًا وإزهاقًا للأنفس بلا فائدة مرجوّة إلا أن يشاء الله.

وكلامي هذا لا يُفهم منه أني أمنع من أن يدفع كل مسلم عن نفسه وماله، وعن حريمه وعرضه ما استطاع، بل يجب عليه هذا الدفع وإن كانت فيه نفسه، لعموم الحديث الذي أخرجه مسلم (٢٢٥) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «**فلا تعطه مالك**»، قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «**قاتله**»، قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «**فأنت شهيد**»، قال: أرأيت إن قتلته؟ قال: «**هو في النار**».

ولكن كلامي يتنزل على القتال العام إذا كان بدون قيادة وبدون توجيه، فهنا تنتفي القدرة على الدفع العام.

قال ابن هانئ في مسائله لأحمد (٢/٩٦) (١٥٩١): «وسئل عن القوم يأتيهم العدو، فيريدون أن يخرجوا، فيقاتلونهم؟

قال: إذا لم يكن عليهم أمير، أو يأمر السلطان، فلا يعجبني[1]».

---

(١) قول الإمام أحمد: «لا يعجبني»، هي عنده إحدى صيغ التحريم، كما قال ابن حامد في «تهذيب الأجوبة» (٢/ ٨٠١) مبيّنًا معنى جواب الإمام بـ«أخشى أن يعجبني، ولا يعجبني، ولم يُعجبه»: «فكل ما ورد من هذا النحو، فكلُّه عندي مستحقٌّ به الواجب، وعلمٌ للتحريم، كأنه قال: «لا تفعل»، =

قال الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ﴾ [الأنفال:٤٦]، إذا لم يكن عليهم أمير تجادلوا».

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- كما في الفتاوى الكبرى (٥/٥٣٩): «وإذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير إليه بلا إذن والد ولا غريم، ونصوص أحمد صريحة بهذا وهو خير مما في المختصرات، لكن هل يجب على جميع أهل المكان النفير إذا نفر إليه الكفاية، كلام أحمد فيه مختلف.

وقتال الدفع مثل أن يكون العدو كثيرًا لا طاقة للمسلمين به، لكن يخاف إن انصرفوا عن عدوهم عطف العدو على من يخلفون من المسلمين؛ فهنا قد صرح أصحابنا بأنه يجب أن يبذلوا مُهَجهم ومُهَج[1] من يخاف عليهم في الدفع حتى يسلموا.

ونظيرها أن يهجم العدو على بلاد المسلمين وتكون المقاتلة أقل من النصف، فإن انصرفوا استولوا على الحريم، فهذا وأمثاله قتال دفع لا قتال طلب لا يجوز الانصراف فيه بحال، ووقعة أُحُد من هذا الباب». اهـ

وَقَالَ ابن القيم في «الفروسية» (ص١٨٧- ١٨٨): «وجهاد الدفع أصعب من جهاد الطلب؛ فإن جهاد الدفع يشبه باب دفع الصائل، ولهذا أبيح للمظلوم أن يدفع عن نفسه... فقتال الدفع أوسع من قتال الطلب وأعم وجوبًا؛ ولهذا يتعين على كُلٍّ أحد يقوم ويجاهد فيه: العبد بإذن سيده وبدون إذنه، والولد بدون إذن أبويه، والغريم بغير إذن غريمه، وهذا كجهاد المسلمين يوم أحد والخندق، ولا يشترط في هذا النوع من الجهاد أن يكون العدو

=

أو قال: «يفعل هذا».

ثم قال في (٢/ ٨٠٥): «ولا أعلم خلافًا بين أصحابنا أنه إذا قال: «هذا لا يعجبني»، أن ذلك مستحق به النهي عن الشيء». اهـ

قلتُ: فهذا يعني أن الإمام أحمد كان يذهب إلى تحريم خروج المسلمين لقتال العدو المداهم لديارهم، إذا لم يكن عليهم أمير.

(١) قال ابن منظور في لسان العرب (١٣/ ٢٠٦- دار إحياء التراث): «المُهْجَة: دمُ القلب، ولا بقاء للنفس بعد ما تراق مُهْجَتُها».

ضعفي المسلمين فما دون، فإنهم كانوا يوم أحد والخندق أضعاف المسلمين فكان الجهاد واجبًا عليهم؛ لأنه حينئذ جهاد ضرورة ودفع لا جهاد اختيار، ولهذا تباح فيه صلاة الخوف بحسب الحال في هذا النوع، وهل تباح في جهاد الطلب إذا خاف فَوْت العدو ولم يخف كَرته؟ فيه قولان للعلماء: هما روايتان عن الإمام أحمد». اهـ

قلت: وقد تعلَّق بعض أصحاب الشبهات بما قرره الشيخ وتلميذه -رحمهما الله- على مشروعية جهاد الدفع مطلقًا رغم انتفاء شرط القدرة.

وإن المتتبع لكلام شيخ الإسلام: يرى أنه إنما أراد بالنفي نفي الاشتراط المطلق لا مطلق الاشتراط، وفرق بين الاشتراط المطلق ومُطلق الاشتراط كما قال شيخ الإسلام : كما في مجموع الفتاوى (١٦٤/٢): «وأما اللفظ المطلق والمقيد فمثال ﴿تَحۡرِيرُ رَقَبَةٖ﴾، ﴿فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ﴾، وذلك أن المعنى قد يدخل في مطلق اللفظ ولا يدخل في اللفظ المطلق، أي يدخل فِي اللفظ لا بشرط الإطلاق، ولا يدخل فِي اللفظ بشرط الإطلاق».

وقال: أيضًا كما في مجموع الفتاوى (٤٤٢/٤): «إن الأمر بقتال الطائفة الباغية مشروط بالقدرة والإمكان أن ليس قتالهم بأولى من قتال المشركين والكُفَّار، ومعلوم أن ذلك مشروط بالقدرة والإمكان، فقد تكون المصلحة المشروعة أحيانًا هي التآلف بالمال والمسالمة والمعاهدة كما فعله النبي غير مرة والإمام إذا اعتقد وجود القدرة ولم تكن حاصلة كان الترك في نفس الأمر أصلح».

وقال أيضًا كما فِي رسالته إلَى السلطان الملك الناصر فِي شأن التتار: «فإن الله فرض على المسلمين الجهاد بالأموال والأنفس، والجهاد فرض واجب على كل مسلم قادر، ومن لم يقدر أن يجاهد بنفسه فعليه أن يجاهد بماله إن كان له مال يتسع لذلك».

قلت: وهذا واضح أن شيخ الإسلام يشترط في أي قتال القدرة والإمكان سواء كان قتالَ دفع أم قتال طلب، ويؤكد هذا ما قاله في «منهاج السنة النبوية» (٥٣٦/٤): «وإذا قال القائل: إن عليًا والحسين إنما تركا القتال في آخر الأمر للعجز؛ لأنه لم يكن لهما أنصار، فكان في المقاتلة قتل النفوس بلا حصول المصلحة المطلوبة.

قيل له: وهذا بعينه هو الحكمة التي راعاها الشارع ﷺ في النهي عن الخروج على الأمراء وندب إلى ترك القتال في الفتنة، وإن كان الفاعلون لذلك يرون أن مقصودهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالذين خرجوا بالحَرّة وبدير الجماجم على يزيد والحجاج وغيرهما، لكن إذا لم يزل المنكر إلا بما هو أنكر منه صار إزالته على هذا الوجه منكرًا، وإذا لم يحصل المعروف إلا بمنكر مفسدته أعظم من مصلحة ذلك المعروف كان تحصيل ذلك المعروف على هذا الوجه منكرًا».

قلت: وهذا التقرير من شيخ الإسلام واضح جلي في أنه يرى أن دفع العدو الكافر بالقوة لا يجوز إذا ترتب عليه مفاسد أعظم فيها قتل النفوس بلا مصلحة مطلوبة[1]؛ وهذا عين ما حدث على أرض العراق حين مداهمة العدو الكافر أمريكا، وإليك شهادة أحد أبناء العراق عن اللحظات المؤلمة التي مرّت بها العراق عند بداية الغزو الأمريكي الرافضي لبغداد؛ لتدرك حقيقة ما حدث، وليس الرائي كمن سمع:

قال حسن العراقي في «رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية» (ص١٦٧):

«لقد حانت ساعة الصفر في ساعة متأخرة من الليل، استيقظ أبناء هذه البلاد العليل على دوي الانفجارات، وأصوات الطائرات، وصواريخ تنطلق من البحار لتسقط على المنشآت والعمارات؛ لتستيقظ المستشفيات من الصباح، وهي تستقبل الجرحى وتستعد المقابر لتستقبل الموتى.... هدم وحرق وخراب نال كلَّ شيء، فما بين صراخ الأطفال وعويل النساء قضى العراقيون هذه الصفحة المليئة بالأحزان والآلام والآهات».

---

(١) وأعجبتني كلمة قالها أعضاء الجماعة الإسلامية المصرية في «مراجعاتها المنهجية» الأخيرة، والتي نُشرت في موقعها الخاص على الإنترنت، وهذا في بيان هجومي منها ضد المشكّكين في هذه المراجعات، حيث قالوا ردًّا على من أنكروا عليهم التوقف عن قتال الحكّام:

«...إنها جراح دفينة نكأتها تلك المزايدات التي سمعناها وقرأناها على لسان البعض في حق إخواننا من أبناء وقادة الجماعة الإسلامية منذ أعلن الأخيرون توقفهم عن قتال لم يجلب للإسلام مصلحة ولم يقم للشريعة حدًّا، ولم يرفع لدعوة الإسلام راية.. وكأن القتال غاية في حد ذاته لا يصح تركه ولو أدى إلى ضياع ما تبقى من شعائر الدين وإهلاك المؤمنين الصالحين».

وقال قبل هذا (ص١٦٦): «وسقطت بغداد وتحولت كأنها غابة تتصارع فيها الوحوش الكاسرة ليس للضعيف فيها مأوى، وليتك تسير في شوارعها وأنت تتأمل ما أصاب بغداد: أين الطائرات والدبابات؟ أين الجيوش الجرارة؟ أين المنشآت العملاقة؟ لا ترى إلا الدمار والخراب وبيوت مهجورة، ووزارات منهوبة، وشوارع مخربة ...!!

ثم قال (ص١٦٨): «فبعد الدمار والحرق الذي شمل كل مرافق الحياة: انعدام الوقود، وانقطاع الكهرباء، وخراب المدارس والمستشفيات؛ وجد العراقيون أنفسهم أمام أزمة ضيقة جداً ألا وهي فقدان الغذاء؛ حتى أكل الكثير من العوائل علف الدواب مع كثرة الخيرات، وهكذا مرت هذه السنوات ثقيلة مع ما رافقها من فساد إداري شمل كل القطاعات؛ بسبب الغلاء وقلة المؤنة والمعونات ...

تتسارع الأيام وتتلبد مرة أخرى بدخان الحرب السماء، فبينما كانت بعض العوائل تخزن الغذاء كانت عوائل أخرى تتهيأ لمغادرة الأماكن القريبة من الأهداف العسكرية، أما أصحاب الأسواق فأخلوا أسواقهم ومحلاتهم خوفًا من الدمار أو الحرق والنهب...

ساعة متأخرة من الليل بينما رقد الناس وإذا بأصوات الطائرات والانفجارات التي تهتز لها الأرض فضلاً عن البيوت الصغيرة.. أصوات مرعبة لكنها أصحبت مألوفة؛ أشرقت شمس الصباح لا ترى إلا بيوتًا مهدمة، أطفال يتصارخون، نساء تبكي...

يضيق الصدر عبرات كلما مرت بالبال تلك الذكريات المحزنة، ولما أصاب البلاد بسبب ذنوب العباد، وصدق الله العظيم: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ...﴾ [يونس: ٤٤].

أيام قليلة وإذا بتلك الدولة التي ملأت الدنيا ضجيجًا قد أصبحت خرابًا.. أين قوى الأمن؟ أين الحرس؟ أين الجيش؟ كل شيء ذهب كأنه سراب ...!!!

وجاءت الساعة التي وقعت فيها الكارثة الحقيقية التي وقعت بهذه البلاد، فبدأ مشهد عجيب لا يوصف: نهب وسلب وحرق وتكسير وتدمير، وكنا نتوقع أن يحدث ذلك من المحتل الكافر، ولكن هذا حدث من قبل العراقيين أنفسهم؛ حيث دمروا وحرقوا ونهبوا كل شيء يمكن أن يتحرك من مكانه، والذي عجزوا أن يحملوه حرقوه ودمّروه ...إلخ». اهـ

قلت: فهذا حال أهل العراق إبان الغزو الأمريكي الرافضي: سقطت الحكومة العراقية المنظمة، وسقط معها الجيش واختفى رجال الأمن، وسقطت القيادة التي كانت لها القُدرة على القيام بجهاد الدفع للعدو، ولم يبق إلا الشعب الأعزل عن السلاح وعن القيادة الحكيمة التي تقوده في دفع العدو، مع التمهيد القوي من العدو قبل دخوله بضرب البلاد بالطائرات حتى يدمر المرافق والمنشآت ويشل حركة الحياة هناك.

فكيف يقول عارف بهذه الواقع الأليم -عالمًا كان أم جاهلاً-: إن الواجب على أهل البلد دفع هذا العدو وإن كانوا بهذه الحال بدون سلاح ولا قيادة ولا طعام ولا شيء، وبعبارة مختصرة: لقد افتقدوا أدنى أسباب القدرة على الدفع والقتال، وفي المقابل يمتلك العدو أسلحة لا طاقة لهم بدفعها، فصاروا عاجزين العجز الكامل، وتحقَّق فيهم ما قاله شيخ الإسلام: «فكان في المقاتلة قتل النفوس بلا حصول المصلحة المطلوبة».

أضف إلى هذا أن من أسباب سقوط الجيش وانهيار الحكومة المركزية وجود خيانات من الرافضة في داخل حكومة صدام أدت إلى تسهيل دخول الأعداء، كما حدث من قبل عند غزو التتار؛ فما أشبه الليلة بالبارحة.

بل حتى لو وُجد إمام له راية في مثل هذه البلاد، والمسلمون بهذه الحالة من الضعف وانعدام الأسباب، فلا تجب طاعة الإمام في القتال؛ لأنه يصير قتال فتنة، وهذا ما قرر شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٤/٤٤٢-٤٤٣) حيث قال: «ومن رأى أن هذا القتال مفسدته أكثر من مصلحته علم أنه قتال فتنة فلا تجب طاعة الإمام فيه؛ إذ طاعته إنما تجب في ما لم يعلم المأمور أنه معصية بالنص فمن علم أن هذا هو قتال الفتنة الذي تركه خير من فعله لم يجب عليه أن يعدل عن نص معين خاص إلى نصٍّ عام مطلق في طاعة أولي الأمر، ولا سيما وقد أمر الله تعالى عند التنازع بالرد إلى الله والرسول ويشهد لذلك أن الرسول أخبر بظلم الأمراء بعده وبغيهم ونهى عن قتالهم؛ لأن ذلك غير مقدور إذ مفسدته أعظم من مصلحته، كما نهي المسلمون في أول الإسلام عن القتال كما ذكره بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ﴾ [النساء: ٧٧]، وكما كان النبي ﷺ وأصحابه مأمورين بالصبر على أذى المشركين والمنافقين والعفو والصفح عنهم حتى يأتي الله بأمره». اهـ

قلت: فكيف يقال بعد هذا أن شيخ الإسلام يوجب قتال الكفّار إذا احتلوا إحدى بلاد المسلمين دون أن يكون لهم قدرة على الدفع؟

وبعد سرد الوقائع المؤلمة التي حدثت إبان مداهمة العدو الأمريكي الكافر مع حليفه الرافضي، **يدرك العاقل مآل هذه المداهمة مع عدم وجود القدرة على الدفع**، ألا وهي: احتلال هذا العدو للعراق وفرض سيطرته عليها؛ **فما هو حكم دفعه بعد أن تم الاحتلال؟**

والجواب يتضح لمن يبصر الواقع ويحسن تنزيل الأحكام الشرعية عليه، وهو أن يقال: إن معرفة جواب هذا السؤال مبنية أيضًا على معرفة واقع المسلمين هناك، ومدى قدرتهم على دفع هذا المحتل وإخراجه من البلاد.

وقد بيّن هذا الواقع أيضًا حسن العراقي في «**رؤية شرعية**»، حيث قال: «بدأت بعض الجماعات الحزبية -ومن أجل كسب عواطف الناس لأغراض حزبية- تدعو للتعاون مع الجماعات المسلحة التي وفدت من الخارج، ونشر الخطب الحماسية لخطباء معروفين بالحماسة غير المنضبطة، وحثّ الشباب للانخراط مع هؤلاء القادمين من الخارج بدعوى معرفتهم لصنع المتفجرات.

لم تكن في السنة الأولى الرايات متميزة كثيرًا، ولم تظهر قيادات بصورة بارزة، وعلى الغالب لم تكن تلك الجماعات منظمة تنظيمًا شموليًا بدأت العمليات القتالية ضد المحتل، وبدأت ردود الفعل ولكنها محدودة في بداية الأمر، ومن الطبيعي أن تزداد مع ازدياد المقاومة، وبدأت عمليات المداهمة، ثم فتحت السجون، وهكذا رويدًا رويدًا...».

ثم تكلّم عن حرب الفلوجة فقال: «الفلوجة حدثت فيها معركتان: الأولى كانت سببًا لاجتماع الكثير من الرايات بعد أن أعلنت أمريكا أنها فشلت في دخول المدينة، وأن فيها مقاومة شديدة! ولعلَّ ذلك مؤامرة من أجل أن تصبح المدينة هذه ساحة لاستقطاب المئات من المقاتلين بل الآلاف، وكذلك كمية كبيرة جدًا من الأسلحة.

ثم جاءت اللحظة التي هددت فيها القوات الغازية بدخول المدينة...إلى أن قال: وما هي دقائق حتى بدأ قصف شديد من البر ومن الجو؛ حتى اهتزت المدينة وتحولت إلى قطعة من نار لم يستطع أحد أن ينسحب فضلاً على أن يقاتل...».

ثم تحدث عن «حروب الردة» كما في (ص١٧٣)، فقال: «هكذا كان يسميها أعضاء تنظيم القاعدة ويقصد بها قتال الجماعات التي قررت الدخول بالعملية السياسية، ولعل من أبرزها جماعة الإخوان المسلمين المتمثلة بما يُسمى بالحزب الإسلامي، وبدأت الحرب بداية بتصفية كل من يثبت أنه ينتمي لِمَا يسمى الحزب الإسلامي؛ وهكذا انقلب السحر على الساحر كما يقال، وبدأ الإخوان -وهم الذين يمتازون بالتلون وليس لهم منهج ثابت- إقناع الناس أن سبب مصائب السنة هو تنظيم القاعدة، وبالمقابل فإن أعضاء جماعة القاعدة ينشرون بين الناس ضرورة القضاء على ما يسمى بالحزب الإسلامي؛ لأنه طعن بهم وتعاون مع المحتل عليهم...».

إلى أن قال في (ص١٧٨): «ونتيجة حتمية للخلط الذي حصل بين الشباب، بواسطة أيدي منها خفية، ومنها ظاهرة، بسوء فهم أو بسوء قصد، وامتدادًا لهذه المخالفات الفكرية والسلوكية والعقدية والسياسية، حصل اليوم ما حصل من تمرد على الشريعة، وخروج عن المنهج؛ وخضوع لواقع ينفذ المسلمون أنفسهم مخططات أعدائهم بأيديهم من غير وعي ولا تحمل للمسئولية أمام الله تعالى، حتى صاروا ألعوبة يحركها الكفَّار كما يريدون.

وما يحصل اليوم في العراق، إنما هو جزء من هذا الواقع، وبعض من هذه الأحداث التي يدمى لها كل قلب مخلص، فبأي عقل صحيح وأي دين مستقيم يُجعل شباب التوحيد على دينهم قرابين وأضاحي يضحى بها قبل يوم العيد لـ(بوش) وأمثاله من أئمة الكفر والزندقة، حتى أصبح ذلك الشاب الطيب المسكين يباع في سوق استهلاك الدماء كما يُباع العبيد؟!

ولمصلحة من يُقاد شباب التوحيد ويُغرَّر بهم، فإذا دخلوا حدود العراق، قبض التجار الفجار أثمانهم بثمن بخس دولارات معدودة، فألحقوهم بمن قبلهم ثم ينتظرون الصفقة اللاحقة، وهكذا!!

فإذا دخل الضحية إلى تلك الساحة المجهولة، التي اختلفت فيها الرايات، وتعدَّدت الجماعات، وتناقضت الأفكار والاتجاهات، فإذا هو بواقع لم يتصوره فلا يعرف عدوه من وليه.

وبعض هؤلاء الشباب إذا انكشفت له الحقيقة وأراد الرجوع أو امتنعَ عن الانتحار، حكموا عليه بأنه جاسوس عميل فربطوه وفجروه، وأخبروا أهله بأنه شهيد، أو باعوه لجماعة أخرى يستفيدون منه.

وبعض هذه الضحايا صار أمام الأمر الواقع، فسار في الطريق وخضع إلى الشبهات والأفكار حتى يقضي نحبه، وهو على غير سبيل الحق.

ومنهم مَن وقع في شُبهة تكفير أهل الإسلام الصحيح في نفس الوقت الذي تأتيهم المعونات من أعداء الإسلام المعروفين.

وبحسب معرفتي لواقع العراق والأحداث التي تقع فيه إنما هي مصيدة صنعها الكفار وعملاؤهم لشباب المسلمين، وهيئوا لها ظروفًا تثير الغيرة والحماسة عند هؤلاء الشباب؛ حتى يندفعوا فيسقطوا فيما يريدونهم أن يسقطوا فيه، حتى يخسر المسلمون آلاف الشباب، وهذا كافٍ في إرضاء الكفار للخلاص من أعداد كثيرة من خيار أهل الإسلام، فهل هنالك من يتنبه؟!!

وإذا لم يكن الشاب على معرفة صحيحة بدينه، وعمَّن يأخذ العلم، فسوف يكون فريسة سهلة لأعدائه وما أكثرهم؟!

ومن هذه التهيئة: ما يُعرض اليوم في الفضائيات، وكيف أن الكُفَّار ينتهكون أعراض المسلمين والمسلمات مع أنهم هم الذين يصورونها ويعرضونها على أعين الناس، حتى أحدثوا في نفس ذلك الشاب ثورة من الحماس وفراغًا يريد سده بأي شيء، ولو كان ذلك فيه هلاكه.

فصار مثل ذلك الشباب كمثل الجائع الذي قُدم له أشهى الطعام، وقيل له هذا طعام مسموم، فأكل لسد جوعته ولم يصبر، فكذلك هؤلاء.

وبسبب هذه التهيئة صار أحدهم يضع المتفجرات بين جنبيه فتنفجرُ به ليقتل جنديًّا أو اثنين من الكفار، وهم لا يساوون شراك نعله، وربما تعدى الحال فيقتل من المسلمين ولم يصب الكفار، وما تحصل خير ولا اندفع شر، والواقع يزيد سوءًا، بل تعدى الأمر إلى استحلال دماء المسلمين!!

فهل من معتبر فيرجع؟!!! وهل من متعظ فيسمع؟!!!

وإني لأخصّ بالذكر شباب التوحيد في بلاد الحرمين، وإني والله ولا أرجو وراء ذلك إلا النصح لنفسي ولهم فأقول:

أمَا اتعظتم من أحداث أفغانستان، لما قدّمتم أكثر من أربعة عشر ألف شاب في قتالهم مع الروس، مع أنهم يكفّرونكم ولا يصلون خلفكم؛ لأنكم وهابيون في نظرهم، وقتالكم يقدمونه على قتال الكفار؟

فمتى تكون الموعظة؟!!

وهل مَنْ يرجع إلى نفسه ويعرف خطر ما يُحيط به؟!!

فإياكم أن تسيروا وراء سراب يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، فكذلك دعاة الضلالة عندكم يمنونكم ويرغِّبونكم وهم ليسوا على شيء...

فيأيها الشباب الطيب في بلاد الحرمين: من أوجب الواجبات عليكم اليوم؛ لكي لا تضيِّعوا أنفسكم وأمتكم: أن ترجعوا إلى العلماء الموثوقين الذين شابوا وبلغوا من العمر ما يمنعهم من الاستشراف إلى الدنيا وزينتها، وعلماؤكم السلفيون في بلاد الحرمين هم من خيرة العلماء في العالم اليوم -وهذا من نعمة الله عليكم-، فاستنصحوهم واسمعوا لهم فهم على خير عظيم، وقد أخبر نبيكم ﷺ كما في الصحيحين وغيرهما: «**إن العلم يأرز إلى مكة والمدينة في آخر الزمان كما تأرز الحيَّة إلى جحرها**»، حتى إن الدجال لا يدخلهما، وذلك ببركة العلم وإذا ذهب العلم هلك الناس». اهـ

قلت: فهذا هو الواقع بإيجاز في العراق بعد ما أتم العدو الأمريكي الكافر مع حليفه الرافضي تثبيت قواعده وصارت له الهيمنة الفعلية على البلاد؛ فالمسلمون المقاتلون عبارة عن جماعات بدعية متناحرة لا تقوم على منهج قويم، وليس هناك علماء يوجهونهم في أفعالهم، ومن ثَمَّ يخبطون خبط عشواء.

وقد يقول متحمس لم يهتدِ بنور العلم: لكن كفى بالمقاتلين شرفًا أن لا يجعلوا العدو يهنأ بالأمن بعد الاحتلال، فالعمليات التي يقومون بها ضد العدو هي داخلة في جهاد الدفع؛ لإخراج العدو من البلاد.

والجواب على شُبهة هذا المتحمس أن يقال ما قاله حسن العراقي في «رؤية شرعية» (ص١٥٠): «أين هذه المصلحة عند ضرب الكافر الظالم المحتل في سوق شعبي أو مكان سكني يذهب ضحيته من المسلمين الأبرياء أضعاف ما يقتل من الكفار، بالإضافة إلى ما يلحق ذلك من ردة فعل من قبل الظالم الكافر الله أعلم بنتائجها.

لذلك أصبح أصعب شيء على الناس يوم يضرب عند بيوتهم الكافر؛ لأنهم يدركون ردة الفعل القاسية، لذلك أصبح الكثير من الناس يمنع المقاتلين من ضرب العدو من قرب داره، والذي لا يستطيع أن يمنع فلا أبالغ إذا قلت: إنه يدع الله ألا يتمكن المقاتلون من هدفهم خشية على نفسه وأهله.

قال الأول: أليس للمقاتلين أهل يخافون عليهم؟

قال الثاني: أما الذين جاءوا من خارج الحدود فالغالب أنهم لا يبالون بمصالح الناس بحجة أن الجهاد لابد له من تضحيات، وعلى أساس أنهم تركوا الأوطان والأهل من أجل نصرة العراقيين.

وأما المقاتل العراقي: فالغالب أنه يقاتل بعيدًا عن بيته وأهله، وهذا الأمر معروف عند من يعيش هذه الحرب عن قرب، لكنه مجهول لمن يتابع ذلك عن طريق الفضائيات». اهـ

قلت: وبناء على هذا الواقع المرير الذي يعيش فيه العراق بعد الاحتلال، كانت فتاوى العلماء الربانيين والتي دارت على أنه لا يوجد جهاد شرعي صحيح داخل العراق، فليست هناك راية إسلامية واضحة مرفوعة، وليس هناك إمام يقاتل خلفه، ومن ثَمَّ لا يجوز القتال والحالة هذه.

وقد قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إنَّما الإمام جُنَّة يُقاتل مِن ورائه، ويُتَّقى به، فإن أمر بتقوى الله -عز وجل-، وعدل كان له بذلك أجر، وإن يأمر بغيره كان عليه منه**».

قال ابن هذيل في «تحفة الأنفس» (ص١٨٩): «وعلى الأمير ترتيب جيشه في مصاف الحرب وتعديل صفوفه وتفقُّدها من الخلل، قال الله العظيم مخاطبًا نبيه الكريم: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ﴾ [آل عمران: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]...».

ثم قال: «وكذلك يجعل لكل طائفة راية يرجعون إليها ويتعارفون بها، ويدافعون عنها، ويعد مع كل راية جماعة مِمَّن يثق به من أهل الشجاعة والدين؛ فالرايات هي أرواح العساكر، وبثباتها ثبات أفئدة الجماهير، ولذلك أمر النبي ﷺ في غزوة مؤتة أمرًا فقال: «إن أصيب زيد فعلى الناس جعفر، فإن أصيب جعفر فعليهم عبد الله بن رواحة الأنصاري»، فلمَّا دنوا من العدو ورأوا كثرته وقوَّته قالوا: نكتب إلى رسول الله ﷺ بخبر العدو وعدده، فيأمرنا ويمدنا، فقال عبدالله بن رواحة: يا قوم إن التي تكرهون التي خرجتم تطلبون -يعني الشهادة- وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فهي إحدى الحسنيين، إما ظهور وإما شهادة؛ فوافقه الجيش كله على هذا الرأي ونهضوا، فلمَّا لقوا المشركين اقتتلوا فقُتل الأمير الأول ملاقيًا بصدره الرماح والراية في يده، فأخذها جعفر بن أبي طالب، واقتحم عن فرسه، وقيل: عقرها، فقاتل على الراية حتى قُطعت يمينه، فأخذ الراية بيساره، فقطعت فاحتضنها بصدره حتى قتل عليها -رضي الله عنه-، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فقال النبي ﷺ: «**أعاره الله جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء**»، فأخذ الراية بعده عبد الله بن رواحة فقاتل حتى قُتل، ثم أخذ الراية خالد بن الوليد، فانحاز بالمسلمين.

وإنما القصد من هذا الحديث ثبات الراية والمحافظة عليها، وكيف السنة في أمرها، وأن الذي يتولَّى إمساكها يجب أن يكون له من إقدام وشجاعة وعلم بالحرب ودين لا يفلّه خَوَرٌ مريرة ولا عَوَرٌ بصيرة، فحيث انتقلت الراية انتقلت معها القلوب، وإن أدبرت تبعها نفس الجلد والهيوب». اهـ

قلت: فأين مثل هذه الراية، ومثل هذا الأمير على أرض العراق؟!

نريد من دعاة الجهاد في العراق أن يحدِّدوا لنا بوضوح الراية التي يجب على أهل العراق أن يقاتلوا تحتها، وأن يسموا لنا الأمير الذي يقاتل من ورائه ويُتقى به؟!

أمَّا أن يقاتل مسلموا العراق تحت رايات متنوعة المشارب والأهداف، لا يدرون شيئًا عنها، ولا عن حامليها، فهذا من إلقاء النفس في التهلكة، فقد يكون المرء يقاتل تحت راية عمية جاهلية نحو راية البعث، أو راية الرفض والتشيع، وهو لا يدري هذا؛ لعدم وضوح الرايات.

وفي هذا تمكين للخونة من خديعة المسلمين والتجارة بدمائهم، وسوقهم إلى حتفهم بأرجلهم، وجعل العراق مقبرة كبيرة للمسلمين بحجة جهاد الدفع.

○ وإليك هذه الفتاوى التي تعضد ما ذكرنا:

أولاً: فتوى الشيخ العلامة صالح اللحيدان -رئيس مجلس القضاء الأعلى بدولة التوحيد والسنة الدولة السعودية-:

نشرت جريدة عكاظ عدد (السبت- ١٤٢٥/١٠/٨هـ) الموافق (٢٠ نوفمبر ٢٠٠٤)- العدد (١٢٥٢) هذا الحوار مع الشيخ اللحيدان:

- هل سفر الشباب إلى العراق والدخول في تنظيمات مسلحة تقاتل هناك جهاد في سبيل الله؟

* **فأجابَ -حفظه الله-:** الحمد لله الذي شرع لعباده أكمل الشرائع وأتمَّها، وجعل الجهاد في سبيل الله من الأعمال الكريمة الفاضلة وأوجب على العباد العمل الذي يرضي الله -سبحانه وتعالى- .. إن العراق في حال لا يحسن أن يذهب إليه أحد لِمَا يسمى بالجهاد.. نحن نسمع أن أكثر من يُقتَل من العراقيين بأيدي عراقيين، وهذا مِمَّا يزرع الأحقاد ويملأ البيوت بالضغائن والشر، ثم إن الجهاد يكون جهادًا ترجى ثماره ويؤمل فيه الخير، أما أن تظهر جماعات في أمور وطرق فوضوية ثم يحصل بسببها تدمير قرى ومدن وإهلاك صغار وكبار وتحطيم وتدمير مساجد أو غير ذلك، فإن هذا من الجنايات على هذا البلد المنكوب..

نصحت من سألني في رمضان عندما كنت في الحرم من العراقيين بأن لا يُنظموا قتالاً في مدن وقرى ويكونوا من أسباب خرابها وأن يصلحوا أنفسهم ويحسنوا صلتهم بربهم...

أرى أن أي شاب يخرج من بلادنا للذهاب للعراق مسيء إلى نفسه ولأسرته ولبلاده وهذا ليس من الجهاد... ما يمكن أن يفعله العراقيون في بلادهم لو أمنوا على أنفسهم وأهليهم بما يسمي حروب العصابات في هذا الجو الذي لا يفرق فيه بين مقاتل وغير مقاتل وغاية ما هنالك إذا حصلت حوادث قتل اعتذر مجرد اعتذار عنه.. هؤلاء الذين يذهبون للعراق من أي بلد عربي أو إسلامي في هذه الأحوال الفوضوية من حروب في العراق هم في الحقيقة أشبه بمن يزيد النار اشتعالاً تأكل الاخضر واليابس.

- إذن كيف يتم ضبط ما يصدر من فتاوى وبيانات في هذا الاتجاه ويوصف موقعوها بعلماء المملكة؟

* الإنسان إذا قال عن نفسه إنه عالم وشهد له بالعلم دل على عدم تثبته لِمَا يقول، الإنسان لا يزكي نفسه ولا يصفها بالعلم، ثم إن الإنسان إذا أراد أن يفتي، يفتي عمَّا يُسأل عنه فيما لا يترتب عليه أمور لها أخطارها، والصحابة -رضي الله عنهم- ربما سئل الواحد منهم عن مسألة وهو يعرف حكمها، لكنه لا يرى أن المقام مناسب لأن يذكر الحكم في تلك المسألة.

- وما مشروعية إصدار البيانات التحريضية أو الفتيا بسفر الشباب الى العراق والجهاد هناك؟

* هذه يُسأل عنها أصحابها إذا كانوا داخل البلاد وعلى الجهات المسئولة أن تسائلهم ... نحن لسنا بحاجة لإصدار الفتاوى، فالصحابة كانوا يتدافعون الفتيا، ولا يرغب الإنسان أن يفتي إلا إذا وجد أنه لا أحد يفتي بغير هذه الفتوى أو كلف بها .. أرض العراق أشبه ما تكون بمستنقعات بترول تشتعل فيها الحرائق من هنا وهناك، إذن ما الفائدة في كون الشخص الذي يفتي ويشعر الناس أن هذا عمل جهادي وبطولي وخلافهما.

- إذن كيف تضبط مثل هذه البيانات والفتاوى؟

* هذا يتم عن طريق الجهات المسؤولة المعنية بضبطها.

- ولكن .. أليس لكم موقف كهيئة كبار علماء؟

* أعتقد أن المفتي العام تحدث في رمضان، وذكر أن السفر للعراق تهلكة ... كون المفتون يقولون: لا يفتي فلان، حينئذ تقول السلطة لهذا الذي يفتي، وتسأله عمَّا إذا كان مُنصَّبًا للفتيا، وإن لم يكن مُنصبًا فيسأل عن الأسئلة التي جاءته ومِمَّن .. هل جاءته .. أسئلة مِمَّن يمثلون العراق، فهؤلاء يفتونهم علماء العراق.

- أفهم أن هؤلاء معرَّضون للمساءلة؟

* لا شك في هذا ويجب على السلطة ان يكون لها موقف بيِّن .. هل هذا الذي يفتي جاءه من يستفتيه من العراق؛ لأن هنالك فرقًا بين الواقع الآن وعندما حصل الهجوم على

العراق، فعامة الناس يرون أنه على العراقيين أن يدافعوا عن بلدهم، ولمّا قُبض على صدام كان عليهم أن يدافعوا عن بلدهم؛ لأن واقع الأمر أن العراق لم تزدد خيرًا ولم ينته الشر الذي وقع فيها في عهد صدام، ولا شك أن ما حدث في العراق من جرائم قتل لمنع أي انتفاضة تقوم لا شك أنه كان من الظلم البيّن، لكن ما حدث بعد احتلال العراق لا يقارن بما كان قبل ذلك، والذي يوجه الناس أن يذهبوا إليه إنما يوجههم إلَى الشر لا يوجههم إلى خير، وإن كنت لا أعتقد أنهم يظنون أن ما صدر منهم شر، هم قد يظنون أنه خير، لكن ما كل مجتهد حسن التوفيق فيه.

- ما حكم جمع التبرعات لتمويل تنظيمات عراقية مسلحة وغيرها تقاتل داخل العراق سواء تنظيم الزرقاوي أو غيره؟

لا أعرف الزرقاوي ولا عمله لكن جميع الأموال ترسل إلى العراق لشراء أسلحة أو عتاد ... ما دمنا لا نأمن ذهاب هذه الأموال، وإلى أين ومن يحملها وإلى أين تصل .. لو كانت الأموال تجمع لتنفق على أناس في حال فقر وفاقة أو جوع وخطر ولشراء علاجات أو أدوية لكان ذلك حسنًا، لكن ينبغي أن يكون تحت نظر وتنفيذ الجهات المسؤولة في بلادنا... تكفي الأخطاء التي كانت تقع في أفغانستان مِمّا كان يذهب في غير طريقه، وسبَّب الخروج إلى أفغانستان شرور كثيرة على شبابنا وناشئتنا وبعض من ينتمون إلَى العلم .. فلماذا تكرر الخطيئة في العراق؟! إذا جاهد العراقيون واجتهدوا وكان بإمكانهم أن يصدروا هذا الشيء فهذا حسن، لكن ما حصل في الأشهر الماضية ورمضان هذا العام من ذلك التدمير الهائل فالأولى بالناس أن يكفوا عن هذا الشيء وهذا لأهل العراق، وأما أن يخرج شبابنا أو شباب غيرنا، ويتوجهوا إلى العراق فهذا مِمّا يزيد الشر شرًا.. والأموال التي تجمع في غاية أمورها أنها مباحة، وإذا منعت السلطة ذلك صار منع المباح أمرًا متعينًا على من يمنع أن لا يتصرف .. والذي يتبرع للمقاتلين في العراق في الوقت الراهن يتبرع لأن تزداد الأمور شرًا واشتعالاً». اهـ

* * *

○ **ثانيًا: فتاوى العلامة صالح الفوزان -حفظه الله تعالى-:**

سأل أحد أولياء الأمور الشيخ الفوزان -حفظه الله- : **حول إلحاح ولده عليه للذهاب إلى العراق؟**

فأجاب: «احفظوا أولادكم هم يسمونه جهاداً لأجل أن يُرغّبوا الناس فيه ويأتون بآيات الجهاد وأحاديث الجهاد وما حدث ليس جهادًا، هو تجنيدُ ضدكم، يريدون أن يجنّدوا أولادكم في نحوركم ويكونوا هم في راحة، يشغلونكم بأولادكم، هذا الذي يريدون، فلا تترك ولدك يذهب مع أناس لا تعرفهم ولا تعرف عقيدتهم ولا تعرف منهجهم، لا تتركه أبدًا أنت المسئول عن ولدك».

وأجاب كذلك الشيخ الفوزان في لقاء مفتوح حول: **من يفتي الناس بوجوب الجهاد ويقول لا يشترط للجهاد إمام ولا راية بالقول:**

«**هذا رأي الخوارج**، أما أهل السنة فيقولون لا بد من راية، ولا بد من إمام، هذا منهج المسلمين من عهد رسول الله ﷺ».

وأضاف: «لايجوز للشباب أن يذهبوا إلاّ بإذن الإمام؛ لأنهم رعية، والرعية لابد أن تُطيع الإمام، فإذا أذن لهم فإنه يبقى أيضًا رضا الوالدين، فلا يذهب إلاّ برضا والديه؛ لأنه جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فاستأذَنهُ في الجهادِ فقال: أحيٌّ والِداكَ؟ قال: نعم. قال: ففيهما فجاهد».

○ **ثالثًا: فتوى فضيلة مفتي الديار السعودية الشيخ عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله تعالى-:**

قال -حفظه الله-: «إن الذهاب إلى العراق ليس سبيلاً لمصلحة؛ لأنه ليس هناك راية يُقَاتل تحتها فالذهاب إلى هناك من باب التهلكة».

* * *

○ **رابعًا: نصيحة العلامة المحدِّث ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- إلى أهل العراق:**

قال -حفظه الله تعالى- كما في كتاب «رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة

العراقية» (ص٢٣) إعداد: حسن العراقي: «**قلتم في السؤال الأول**: أصبح العراق بلدًا محتلاً بشهادة القاصي والداني، وبشهادة المحتل نفسه.

فأقول: إن العراق أصبح مُحتلاً منذ قامت الثورة الشيوعية فحكموها ثم خلفهم البعثيون، والحركات التي تقاوم الاحتلال الجديد لا شك أنها تكفِّر الشيوعية والبعثية، فما هو السر في عدم جهادهم لقتال الاحتلال الأول؟!

فإن قالوا: العجز.

قلنا: أنتم الآن أشدُّ عجزًا.

وإن قالوا: المحتل الأول عربي مواطن.

قلنا: إن الرسول ﷺ وأصحابه بدءوا بجهاد العرب المواطنين الأقربين.

وقلتم: هل الجهاد فرضُ عين؟

فأقول: نعم هو فرضُ عين على أهل العراق، ولكن فرض العين قد يسقط عند العجز، فالحج ركن من أركان الإسلام ولا يجب في العمر إلاَّ مرة على المستطيع، وصلاةُ الجمعة تسقط عن المسافر وهي فرضُ عين، وصلاة الظهر والعصر والعشاء تسقط من كل منها ركعتان وهي فرض عين على المسافر من أجل المشقة، فضلاً عن العاجز عنها، والعاجز عن القيام والقعود في الصلاة يسقطان عنه للعجز وهما من فروض الأعيان.

وأهلُ العراق في نهاية العجز، فلا قبل لهم بجهاد أمريكا وحلفائها ومؤيديها من الشرق والغرب، فأين السلاح الجوي والبري والبحري الذي أمر الله بإعداده بقوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٦٠]؟!

فهذه المقاومة الهزيلة التي تقوم بها الحركات عندكم لا تزيد العدو إلاَّ طمعًا فيكم وفي بلدكم، ولاسيما وليس لهذا الجهاد راية إسلامية، وسلاحها من بقايا النظام البائد كما ذكرتم.

ولاسيما وهو يؤدي إلى إهلاك الأبرياء، وانتهاك حرماتهم وأعراضهم، واعتقال الكثير

منهم، الأمر الذي لا يَعْدُ أن يكون تحريشًا يعقبه هروب المحرِّشين، وترك أهل المدن والقرى لتسلط المحتل عليهم بالقتل والإذلال والاعتقال، هذا من الناحية المادية.

أمَّا الناحية المعنوية: فأهل العراق الأغلبية الساحقة فيه من الفئات المنحرفة والفئات الملحدة، وهم بقلوبهم ومشاعرهم مع المحتل الجديد، إن لم نقل ويساعدونهم، مِمَّا يزيد الأمر شدة وصعوبة على الحركات الهزيلة التي تريد المقاومة من غير مراعاة لسنن الله الكونية والشرعية المشروطة في الجهاد، من الإيمان الصحيح، والعقيدة الصحيحة، والأعمال الصالحة، ومن إعداد القوة التي تُرهب العدو؛ فمؤهلات النصر والظفر مفقودة.

وعليه؛ فعلى المسلمين في العراق وغيرهم من بلاد الإسلام أن يعودوا إلى الله، وإلى التمسك بكتاب ربِّهم وسُنَّة نبيهم، وما كان عليه أصحابه والخلفاء الراشدون من عقائد صحيحة، وأعمال صالحة، وعليهم التخلص من العقائد الفاسدة من القول بالحلول ووحدة الوجود، وتعطيل صفات الله -جل وعلا-، ومن ضلال الخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والمرجئة في أبواب الدين كلها، وبذلك يُصبحون حزب الله، وبهذا وبذاك يستحقون النصر والظفر على الأعداء.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾ [محمد: ٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥].

فما وعدهم الله بالاستخلاف في الأرض إلاَّ بإيمانهم الصادق بكل أصول الإيمان، وإلاَّ بقيامهم بالعمل الصالح المطلوب منهم، والمستمد من شرعه.

وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴾ [الصافات: ١٧١ - ١٧٣].

ولن نكون جند الله الغالبين إلاَّ بالتزامنا الصادق، واتِّباعنا لكتاب الله وسُنَّة رسوله ﷺ، وما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ من عقائد صحيحة، ومنهج قويم، وعمل صحيح، وبدون ذلك فلن تستحق الأمة إلاَّ الذل والهوان وتسليط الأعداء الأمر الذي وقع وهو واقع.

والـحركات العاطفية العشوائية الـمزيفة لن ترفع هذا الواقع الأليم، بل لا تزيده إلاَّ رسوخًا، فالأمة تحتاج إلى عقلاء حكماء صادقين يسعون جادين مخلصين في رفع هذا الواقع الأسود، بما أرشدنا إليه الناصح الأمين ألا وهو العودة إلى دين الله الحق، بوضع منهج واحد للأمة، ألا وهو ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه: عقيدة، وعبادة، وسياسة، وأخلاقًا، وتطهير هذا المنهج والاعتقاد من كل الشوائب التي ساقت الأمة إلى هذا الواقع البهيم الأسود المر، والأمة تحتاج إلى الوعي الكامل الصحيح الذي يحفظ دينها وعقلها من الأباطيل والترهات والشعارات المزيفة، وخداع أهلها وتلاعبهم بعقول وعواطف هذه الأمة، التي هي الضحية لهذه الترهات والشعارات، وصلِّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وسلم. اهـ

* * *

○ **خامسًا: فتوى فضيلة الشيخ عبد المحسن العبيكان –حفظه الله–:**

قال الشيخ فِي لقاء جريدة الرياض معه بتاريخ (١٩ ربيع الآخر ١٤٢٦): «هناك فرق في جهاد الدفع الذي يشترط فيه إذن الإمام وجهاد الدفع الذي لا يشترط فيه؛ فجهاد الدفع الذي لا يشترط هو الشخص الذي اعتدى عليه ابتداءً في بيته لأجل قتل نفسه أو أخذ ماله أو الاعتداء على عرضه فهذا يدفع الصائل، ولا يشترط فيه إذن ولي الأمر، أمَّا الاحتلال العام فهذا استيلاء على الحكم العام، ولم يقل الشرع أنه يَجب مقاتلة المحتل العام....».

* * *

○ **سادسًا: وصية فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري –حفظه الله– إلى أهل العراق:**

قال –حفظه الله– كما في «رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية» (ص٣١-٣٥): «... فأسألُ الله العظيم رب العرش العظيم أن يُفرِّج على أهل السُّنة في العراق، وأن يحرس العراق من كلِّ مكروه، وأن يجمع خاصتها وعامتها على ما أحبه الله من دين الإسلام؛ فإنه لا يستقيم حال العباد والبلاد إلاَّ على البيضاء النقية التي تركنا عليها الرسول -عليه الصلاة والسلام- وحضّنا عليها، وأخبرنا أنه لا يزيغ عنها إلاَّ هالك، كما أخبر النبي -عليه الصلاة والسلام- عن هذه الأمة، وأنه ستفترقُ على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلاَّ واحدة، قالوا: من هي؟ قال: «**الجماعة**».

وهذه الرواية هي الصحيحة وفسَّرها ابن مسعود أن الجماعة ما وافق الحقَّ وإن كنت وحدك، فإنك أنت الجماعة، وفي رواية أخرى: قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: «**من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي**»، وهذه الرواية من حيث إسنادها ضعيفة، ولكن من حيث معناها صحيحة ولهذا يحسِّنها بعض أهل العلم.

وحاصل ما دلَّ عليه هذا الحديث الصحيح بمجموع طرقه: أن الأمة الإسلامية قسمان: **قسمٌ هم أهل الحق الخالص المحض**، وهم خاصة محمد ﷺ، وهذه الجماعة هي الجماعة، هي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية التي قال عنها الرسول ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم**»، وهم السلفية أهل السُّنة والجماعة، وهم أهل الأثر، وهم أهل الحديث.

وأمَّا القسمُ الثاني: قسم أهل الضلالة، وقسمُ أهل البدعة، وأهل الفرقة، وهم اثنان وسبعون فرقة، وهذه الفرق كلها هالكة متوعدة بالوعيد الشديد، كما قال -عليه الصلاة والسلام-: «**كلها في النار**»، أي: أنها متوعدة.

فإذا تقرر هذا، فرسالتي إلى أبنائي من أهل السُّنة من أهل العراق -فرَّج الله عنهم وقوَّى عزيمتهم وشدَّ أزرهم-:

أولاً: ليس بغريب أن يتكالب عليكم أهل البدع مهما اختلفت مسمياتهم، ومنهم الرافضة، وهذا شأن أهل الحق وأهل الباطل هم في صراع منذ عهد الرسول ﷺ وحتى يأتي أمر الله، وليس غريب أن يروح جراء هذا التكالب رجال أو أطفال أو نساء فيقتلون أو يشردون.

ثانيًا: أوصيهم بالصبر على ما أصابهم، وأذكِّرهم بقول الرسول ﷺ لابن عمه ابن عباس -رضي الله عنه- في الحديث الطويل قال: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب....**».

إلى أن قال: «... وأما ما يحصل في العراق من تفرق وشيع، فالذي أدين الله به أنه لا يجوز أن ينخرط السلفي في سلك أي من هذه الفرق، إن استطاعَ أن يدع ويبين فذاك، وإلاَّ كما أسلفت.

وأزيدُ هنا من الأدلة ما يأتي: قال تعالى: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة: ٢٨٦].
﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن: ١٦].

وقال النبي ﷺ: «**إذا أمرتكم بالأمر فأتوا منه ما استطعتم**».

وفي حديث حُذيفة قال: فإن لم يكن لَهم جَماعة ولا إمام؟ قال: «**فاعتزل تلك الفرق كلها حتى يُدركك الموت وأنت على ذلك، ولو أن تعض على شَجرة**».

فهذه الأحزاب والشيع التي تسود الأمة أحيانًا وتفرقها إلى فِرق، فنهاية أمرها السياسة، فكل حزب يَدعو إلى الإسلام فيما يزعم وهو لا يدعو إلى الإسلام وفق الكتاب والسُنة وفهم السلف الصالح، وإنَّما يدعو إلى الإسلام وفق منظوره هو، وفق ما قعده له مؤسسه.

فجماعة الإخوان المسلمين تدعو إلى الإسلام على قواعد وأصول مؤسِّسها حسن البنا المصري، ويجمعها قاعدة: (نتعاون فيما اجتمعنا عليه، ويَعذرُ بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه)، وهذه القاعدة قاعدة فاجرة ضالة زائفة؛ وذلكم أنها فتحت الباب على مصراعيه لتلج كل فرقة ضالة، وتكون جنبًا إلى جنبٍ مع أهل السُنة، سواء كانت تلك الفرق منتسبة إلى الإسلام كالرافضة، أو غير منتسبة للإسلام كاليهودية والنصرانية، وقد فصلت هذه القاعدة في مجالس مختلفة.

وخلاصة القول: أيها السلفيون في العراق إيَّاكم إيَّاكم أن تنخرطوا في سلك أي جماعة من هذه الجماعات الحزبية البدعية، فإنها جماعات سياسية ثورية مهما اختلفت مسمياتها، فإنها لا تنطلق من معيار الشرع وميزان السنة.

فالخوارج في هذا العصر -وهم في الغالب على فكر سيد قطب- وغيرهم كلها تندرج تحت غطاء مظلة الإخوان المسلمين، كما صرَّح بذلك أمين سر جماعة الإخوان المسلمين علي عشماوي، قال: إنه لا توجد جماعة في هذا العصر إلا وهي تحت عباءة الإخوان المسلمين.

وأهل السُنة في كل زمان ومكان يطلقون الحكم على النوازل من الكتاب والسُنة، وذلك بالنظر إلى القواعد العامة، وإدراج هذه النوازل التي تحدث في كل زمان ومكان تحت القواعد العامة فتطبق عليها القواعد العامة، وهذا لا يعرفه كل أحد، لا يعرفه إلاَّ العلماء

الذين يعرفهم العامة والخاصة بخالص النصح للأمة، والاستقامة على المنهج الحق، وسعة النظر في النوازل، واستنباط الأحكام عليها من أدلة الشرع.

وما أحسن ما قاله ابن مسعود -رضي الله عنه-: «لا يزالُ الناس صالحين متماسكين ما أتاهم العلم من أصحاب محمد ﷺ وأكابرهم، فإذا أتاهم العلم من أصاغرهم هلكوا».

وقال ابن سيرين: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمَّن تأخذون دينكم».

وما من عالم سُنَّة إلاَّ وهو يؤلمه ما يصيب المسلمين في كل مكان وإن بعدت الشقة، ولكن هؤلاء العلماء الأفذاذ الأخيار يحتاج إلى من ينقل لهم الأخبار في الأقطار نقلاً صحيحًا منصفًا، فإذا وجد النقل الصحيح لن يعدم هؤلاء العلماء الناصحون الأخيار الحكم الذي يناسب تلك النازلة، لأن حكم العلماء الراسخين في العلم المخلصين للأمة لا يعدو الصواب، لأن مرجعه الشرع.

وأمَّا أن يتفرد كل فئة من الناس للنظر في الأحكام دون فقه ودون روية، فإن هذا هو سبب الفوضى، وسبب الحيرة، وسبب التشرذم والتشرد وإضعاف العزائم، وهذا ما يريده الأعداء والأعداء من خارج الإسلام، يَجدون المبتدعة سُلَّمًا يعبرون من خلاله إلى أهل الإسلام.

والأمة في حصن حصين وحرز متين مادامت تلتف حول علمائها، وتأخذ منهم، وتلازمهم، وتسير على أحكامهم، أمَّا إذا ساد الأصاغر وقليلوا الفقه فقل على الأمة السلام.

وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

روجع في (١٧) ذي القعدة ١٤٢٧ هجرية.

* * *

○ سابعًا: وصية فضيلة الشيخ صالح بن سعد السحيمي -حفظه الله- إلى أهل العراق:

قال -حفظه الله- كما في «رؤية شرعية للفتن والنوازل في الساحة العراقية» (ص٣٦-٤١): «هذه الفتنُ المتلاحقة التي عصفت بالمسلمين نستطيع أن نلخصها بست مخاطر:

الـخطر الأول: الكفـار علـى اخـتلاف مللهـم، وهـؤلاء لا يجهـل أحـد خطـرهم علـى المسلمين، غير أنني أقولها بصراحة: هم أقلُّ خطراً مِمَّن سأذكرهم، لا أقصدُ بقولي أقلُّ كفراً، أو أشدُّ كفراً، ولكن أقصد خطورتهم على المسلمين أقل؛ لأن الكفرة يعرفهم المسلمون ويَحذرونَهم، ولا يُمكن لِمُسلم إلاَّ مَن كُتِبَ عليه الشقاوة أن يأتيه كافر فيقول له: ارجع عن دينك، فيرجع، فالمسلم الذي ثبَّته الله لا يرجع عن دينه، لكن الْفِرَق التي سأذكرها أخطرُ من جهة أنهم ينتسبونَ إلى الإسلام.

الـخطرُ الثاني: الرافضة، وهم أعداءُ الإسلام منذ فجر التاريخ، هم الذين ألَّبو على عثمان، ثم ألَّبو على عليٍّ -رضي الله عنهما-، وما قامت دولة أو فئة ضد الإسلام إلاَّ كانوا في طليعةِ تلك الدولة أو الفئة، وما جرى للخليفة المتوكل من هادم الدين نصير الدين الطوسي معروف لديكم، هم أعداءُ الإسلام والمسلمين، وما يجري الآن في العراق، وما يجري في لبنان خيرُ شاهد.

يتسمَّون باسم الإسلام، ويندسونَ ويتفقون سراً مع الكفار بقصد هدم الإسلام، ومثالبهم وكفرياتهم كثيرة لا تَخفى على أحد، ومنها: اعتقادهم نقص القرآن، وكفرهم بالسُّنة، وقولهم على الله البداء، وهي عقيدة يهودية خلاصتها أن الله لا يعلم الأشياء قبل كونها، أو يبدو له ما لم يكن يعلمه، واعتقادهم أن أئمتهم أعظمُ من الأنبياء، وتكفيرهم الصحابة، وأشياء كثيرة لا تُعد ولا تُحصى.

الفئةُ الثالثة: الخوارج، وهؤلاء أخطرُ؛ لأنه في الجُملة يُسمون من أهل السُّنة، وهُنا تكمُنُ الخطورة، ويمثلهم الإخوانيون والسروريون والجهاديون الآخرون، سواء تسمَّوا بجماعة التكفير أو غيرها، أي حزب من هذه الأحزاب تشترك في الحكم بتكفير أهل السُّنة السلفيين الذين هم على الإسلام الحق، وهؤلاء يُخدع بهم الناس؛ لأنه يظهر عليهم العبادةُ والزهد، كما أخبرَ النبي ﷺ: «**يحقرُ أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم**»، رواه البخاري.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «**يأتي في آخر الزمان قومٌ حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يَمرقون من الإسلام كما يَمْرُق السّهم من الرميّة، لا**

يُجاوزُ إيمانهم حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم؛ فإن في قتلهم أجرًا لمَن قتلهم يوم القيامة». صحيح البخاري.

وقال -عليه الصلاة والسلام-: «يقرءون القرآن لا يُجاوزُ حناجرهم، يَمرقونَ مِنَ الدّين مروق السّهم من الرميّة، يَقتلون أهل الإسلام ويَدعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد». رواه البخاري.

وقال -عليه الصلاةُ والسلام-: «شَرُّ قَتْلَى تحت أديم السّماء، وخيرُ قتيل من قتلوا، كلابُ أهلِ النّار»، رواه ابن ماجه، كما ذكرهم الرسول ﷺ في الأحاديث الصحيحة، وهم زُهّاد عُبّاد.

الرابعة: **المتصوفة على اختلافِ مللهم**، وهم يَختلفونَ بُعدًا عن الدين وقُربًا بسبب ما عندهم من البدع؛ فمنهم من يبلغ درجة الكفر، كالذي يعتقد سقوط التكاليف الشرعية كالصلاة والصوم، أو يدعو الموتى، ومنهم من هو أقلُّ من ذلك من عنده بدع ولا يصلون إلى درجة الكفر؛ فليسوا على وتيرة واحدة كالرافضة والخوارج المعروفين بضلالهم.

وهؤلاء ضُلاّل، لكن منهم من ليس عنده إلاّ البدع وهي خطيرة؛ لأنّها أحبُّ إلى الشيطان من المعاصي؛ لأن المعاصي يُتابُ منها والبدعُ لا يُتابُ منها، كما قال سفيان بن عيينة.

الخامسة: **العلمانيون المارقونَ** الذين استغلوا ظهور الخوارج فتنكروا للدين، وأصبحوا يزهدون الناس فيه، بل ويتهكمون به ويستهزءون به، وهم في غاية الخطورة أو هم ملاحدة؛ لأنه إذا وصل بهم الأمرُ إلى حدّ الاستهزاء بالدين والمطالبة أو بإلصاق كل شيء يَحصل بالدين، حتى إنهم يحسبون ما يفعله الخوارج على منهج السلف.

السادسة: **المرتزقة** الذين يصطادون في الماء العكر، سواء كانوا مستأجرين من الكفرة أو من الفِرَق الضالة، كل هؤلاء تكاليبهم ليس على العراق فحسب، بل هذا التكالب من هذه الفئات الست على المسلمين عامة، والهدف هو مُحاصرة معقل الإسلام والمسلمين في هذه البلاد المملكة العربية السعودية.

وبناءً عليه نقول: يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلاّ أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون، ولو كره المشركون، ولو كره المبتدعة.

نصيحتي لإخواني إزاء هذه الفتن لاسيما وقد لمسنا نتائجها الخطيرة على من انتمى إليها وخُدع بها من خدع من أهل السُّنة إنهم يُباعون على الأمريكان والبعثيين بآلاف الدولارات، من قبل أدعياء الجهاد المزعومة؛ إذن المسألة خطيرة.

*** فما هو موقف أهل السُّنة وبالذات طلبة العلم السلفيين أو الذين وفقهم الله لسلوك منهج السلف الصالح؟**

موقفهم في خضم الأحداث الجارية: هو العلم والتعليم لمن يستفيد منه، وتحصين الشباب من الأفكار الوافدة، فعليهم أن يتجنبوا هذه الفِرَق كلها، لأنها كلها فِرَق ضالة..».

إلى أن قال: «والله يؤلمنا ما يحصل في العراق يؤلمنا ألمًا شديدًا، وإن قلوبنا تحترق وتتقطع، لكن ليس الحلُّ أن نزج بشباب أهل السُّنة في هذه المحرقة، وأنا أسميها مَحرقة كما سمّاها بعضُ أهل العلم، الحل أن نُحافظ على البقية الباقية، كون الناس يعترضون، كون الناس يستهزئون، كوننا نؤذى في سبيل ذلك... المشتكى إلى الله.

وهذا لا يعني أن المسلم لا يُدافع عن نفسه وعرضه وماله، إذا جاءكم العدو إلى بيوتكم فقاتلوا دون أنفسكم وأعراضكم وأموالكم، ومن قُتل منكم على هذه النية فهو شهيد بإذن الله تعالى، وأمّا أن تزجوا بالشباب السلفي في هذه الأوحال وهذه المحرقة وتحت تلك الرايات المختلطة وتلك الرايات العمية، فإني لا أرى هذا، بل إنه خطيرٌ جدًا، وأرى من يُفْتِهم بهذا فهو آثم، من يُفتي للشباب السلفي بالانخراط بما يُسمى بالجهاد تحت راية التكفيريين أو أي راية عُمّـيه أيًا كانت.

*** ماذا نفعل القضية قضية احتلال؟**

الجئوا إلى الله، واحموا بيوتكم، واحموا أعراضكم وأموالكم، واجتهدوا بتأصيل العلم الشرعي النافع، وعلّموا أولادكم وأبناءكم، فإن ذلك هو الحصن الحصين الذي هو -بإذن

الله- تتحصنوا به؛ والنبي ﷺ لَمَّا كان المسلمون ضعفاء في بداية الأمر أذوه وحاصروه الكفار ووضعوا عليه سلى الجزور وقتل منهم بعض الشهداء كياسر أبي عمّار، وأمه سُميّة -رضي الله عنهما- وغيرهم، ويقتلون أمام الصحابة ما غامر بأنفسهم وهم عدد قليل، بل بشرهم بالجنّة: «صَبرًا يا آل ياسر، فإن موعدكم الجنة»، المستدرك على الصحيحين.

إخواننا أهلُ السُّنة في العراق اصبروا، نقول: إذا سلكتم هذا المسلك نقول: نسأل الله أن يكون موعدكم الجنة.

أرى أن تَجتهدوا في العلم، والتعليم، والمحافظة على البقية الباقية بدلاً من إلقائهم في محرقة الأمريكان والرافضة، فإن اعتدي عليكم دافعوا عن أنفسكم، فمن قُتل دون ماله أو عرضه أو نفسه فهو شهيد -بإذن الله تعالى-، هذه نصيحتي للسلفيين بالعراق.

وصلِّ اللهم على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

وأملاهُ الدكتور

صالح بن سعد السحيمي الحربي

المدرس في المسجد النبوي الشريف

في الثامن والعشرين من ذي القعدة ١٤٢٧هـ

* * *

○ **وقال الشيخ حمد بن عبد العزيز بن حمد بن عتيق -مدير المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد في حي العزيزية بالرياض- في مقالٍ له يردّ فيه على الهرفي:**

«**الأمر الثاني الذي بنى عليه الأستاذ الهرفي ردَّه**: هو أقوال العلماء في وجوب جهاد الدفع، ولا شك أن ما نقله عن أهل العلم غير مختلف فيه لكن ما صورة جهاد الدفع التي ذكر أقوال أهل العلم فيها.

صورتها: أن يداهم العدو البلد الإسلامي **فيحصل القتال** بين المسلمين والكفار، فقتال الدفع مستمر استمرار بقاء الدولة الإسلامية وعدم تغلُّب الكفار، أما إذا تغلَّب الكفَّار أو لم يمكن دفعهم **أو** كان في مدافعتهم من المفسدة أعظم من مصلحة مقاتلتهم فهنا

يسقط جهاد الدفع، وحينها يكون المسلم بين حالين إما أنه يستطيع إظهار دينه في البلد التي تغلَّب فيها الكافر فيجوز له البقاء ولا تجب عليه الهجرة، والحال الثانية: إذا لم يستطع إظهار دينه فتجب عليه الهجرة إن استطاعها، أما الأدلة على ذلك: فمنها قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وقوله: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. فإذا لم يستطع المسلمون مدافعة العدو لضعفهم المادي والعسكري سقط عنهم ذلك، ومنها أن النبي ﷺ سَلَّم بعض المسلمين للكفار كأبي جندل قبل أن يعقد الصلح مع الكُفْار يوم الحديبية، ولم يدافع عنه مع وجوب الدفاع عنه وعن غيره من المسلمين؛ لأن ذلك لو حدث لترتب عليه مفسدة عظيمة على الإسلام والمسلمين، ومنها ما رواه مسلم عن النواس بن سمعان عن النبي ﷺ أنه قال: «**يوحي الله إلى عيسى ابن مريم أني قد أخرجت عبادًا لي لا يدان لأحد بقتالهم -أي: لا يستطيع قتالهم أحد- فحرِّز عبادي إلى الطور**»، أي: احتموا بالجبال واتركوا القتال.

وجه الدلالة: أن عيسى -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- حين ينزل في آخر الزمان ويحكم بشريعة محمد -عليه الصلاة والسلام- يهجم عليه عدو كافر، ومع ذلك يأمره الله بالفرار إلى الجبال، وينهاه الله عن قتال الدفع؛ لأنه لا فائدة منه، وإلا للزم من عدم سقوط جهاد الدفع أبداً حتى مع عدم القدرة عليه أو تغلب الكُفَّار وسيطرتهم على بلاد المسلمين أمور باطلة، لا أظن الأستاذ الهرفي يقول بها، ومن ذلك:

١- أن الجهاد واجب على المسلمين جميعًا في بلاد الكُفَّار التي كانت في يوم من الأيام بلادًا إسلامية كأسبانيا وبلغاريا، وأن القيام بالعمليات في هذا الوقت ضدهم عمل جهادي واجب.

٢- أن الجهاد واجب على المسلمين جميعًا، في البلاد العربية والإسلامية التي دخلها الاستعمار، ولم يخرج منها إلا بعد أن ولَّى عليها أحدًا من تلك البلاد نيابة عنه، فهل يقول بذلك؟

٣- وقد يقول قائل: من أين لك أنه لا فائدة من قتال الأمريكان في العراق، واليهود في فلسطين؟ **فالجواب**: أن هذا ظاهر شرعًا وعقلاً وواقعًا، فأما الشرع والعقل: فقد بيَّن الله تعالَى أنه لا يعين المسلمين ولا ينصرهم إلا إذا أخذوا بأمرين اثنين:

الأول: الإيمان بالله وأصله التوحيد والاعتقاد الصحيح مع العمل الصالح.

والثاني: القوتان المادية والعسكرية، أما الدليل على الأمر الأول فقوله تعالى:

﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠-٤١].

أما الدليل على القوة المادية فقوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقوله: ﴿ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٦٦].

فلو كانت القوة الإيمانية كافية لَمَا أمرنا الله بالإعداد لقتال العدو، ولما كان للتحديد بأن الواحد من المسلمين يغلب الاثنين أي معنى؛ لذلك لما هُزم المسلمون فِي مؤتة وانسحب خالد بن الوليد بالجيش لم يكن ذلك بسبب مخالفتهم طاعة الله، وإلا بيَّنه الله كما حدث يوم أحد، وإنما هزموا لعدم القوة المادية التي تقارب العدو، فقد كانوا بضعة آلاف يقابلون أكثر من ١٠٠ ألف من الروم.

ويدل له حديث النواس بن سمعان المتقدم عندما يأمر الله عيسى -عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- أن يفر ومن معه إلى الجبال ونهاه عن القتال، وذلك بسبب ضعفهم المادي بالنسبة لعدوهم المحتل.

والمسلمون اليوم -إلا مَن رحم الله- معلوم حالهم لكل من أعطاه الله بصرًا وبصيرة؛ أما حالهم الديني ففيه من الضعف من جهة الاعتقاد والعمل ما هو معلوم لكل ذي لُبٍّ، فهم مُتفرِّقون في عقائدهم، مخالفون لما كان عليه نبيهم وأصحابه، أمَّا مخالفتهم في العمل فحدِّث ولا حرج: كتركِ للأركان الأربعة، وكالنظر إلى ما حرم الله وسماع ما حرَّم الله وأكل ما حرَّم الله.... إلخ، مِمَّا ليس المراد إحصاءه بل الإشارة إليه، قال ابن تيمية: «وحيث ظهر الكفار، فإنما ذاك لذنوب المسلمين التي أوجبت نقص إيمانهم، ثم إذا تابوا بتكميل إيمانهم نصرهم الله..». الجواب الصحيح (٦/٤٥٠).

وقال: «وإذا كان في المسلمين ضعف، وكان عدوهم مستظهرًا عليهم كان ذلك بسبب

ذنوبهم وخطاياهم، إما لتفريطهم في أداء الواجبات باطنًا وظاهرًا، وإما لعدوانهم بتعدي الحدود باطنًا وظاهرًا».

أمـا القـوة الماديـة فغايـة مـا يملكــه هـؤلاء الـذين يقاتلــون اليـوم ضـــد اليهــود والأمريكـــان مـا يـسمى الأسلحـــة الخفيفة، ومـــا الـذي تغـني عنـه هـذه الأسلحة بالنسبة للترسانتين اليهودية والأمريكية، والتي لا توازيها أسلحة الدول العربية مجتمعة، فضلاً أن توازيها أسلحة الزرقاوي وأتباعه منفردة.

فالضعف الديني * الضعف المادي * القتال لعدو قوي متسلط = الهزيمة الْمُنكرة».اهـ

قلت: فحال العراق الآن لا يختلف كثيرًا عن حال بعض البلاد الأخرى التي كان المسلمون يحكمونها ثم وقعت في أيدي الكفار، حتى صارت لهم الغلبة عليها، ومن ثَمَّ تحولت إلى دار حرب، وطبَّق العلماء كافة على هذه البلاد المحتلة أحكام دار الحرب التي صارت الهيمنة فيها للكفَّار، وليس للمسلمين في داخل البلاد وخارجها قدرة -من جهة الواقع الفعلي- على إخراج هذا العدو لضعف في الإيمان والعدة؛ فأوجبوا على كل من لا يتمكن من إقامة دينه وحفظ نفسه وأهله أن يهاجر من هذه الدار إلى دار إسلام وأمن.

قال ابن بدران الدمشقي في «الأسئلة الكويتية وأجوبتها المسماة روضة الأفراح» (ص١٠٧): «فقد دلَّت السيرة النبوية والأحاديث الصحيحة على أن من عجز عن إظهار دينه بدار الحرب وهي ما يغلب فيها حكم الكفر، ودار الإسلام عكسها، وقدر على الهجرة لزمته، كذا فسَّر في الفروع دار الحرب، والصواب ما قاله الماوردي: إذا قدر المرء على إظهار دينه في بلد من بلاد الكفر، فقد صارت البلد به دار إسلام.

فالإقامة فيها أفضل من الرحلة لِمَا يُرجى من دخول غيره في الإسلام، وهذا معنى ما رواه البخاري عن عائشة -رضي الله عنها-: «لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفرُّ أحدهم بدينه إلى الله ورسوله ﷺ مخافة أن يفتن عليه، وأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربَّه حيث شاء، ولكن جهاد ونية...»».

ثم قال (ص١٠٨): «وقد دلَّت السيرة النبوية وأحاديث الهجرة على أن من يمكنه إظهار دينه، وأداء واجباته فإن الهجرة في حقِّه مستحبة لتكثير سواد المسلمين ومعونتهم،

وجهاد الكفار والأمن من غدرهم، والراحة من رؤية المنكر بينهم، هذا الفرع ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري.

قلت: وإذا كان هذا المعنى يحصل في البلد الذي هو فيه فالإقامة له خير من الهجرة، لأن أعداء المسلمين اليوم إذا احتلوا بلدًا من بلدانهم أو قطرًا من أقطارهم تعجبهم هجرة المسلمين منه، ليكون بدلاً منه من كان على دينهم، بناء على قاعدتهم من أن الحكم للأكثرية». اهـ

قلت: وإليك ثلاث أمثلة واضحة تظهر لك الفرق الواضح بين فتوى العلماء المبنية على الدليل الشرعي الصحيح والفقه السديد لواقع المسلمين، وبين فتوى الأصاغر والخوارج الذين لا يلقون بالاً لمصلحة المسلمين، ولا يعظِّمون الدليل إذا خالف أهواءهم[1]:

المثال الأول: أفتى شيخ الإسلام: أهل ماردين -من كان عاجزًا منهم عن إقامة دينه- أن يهاجر إلى بلاد أخرى بعد أن احتلها النصارى، ولم يوجب على أهلها الجهاد، فقال كما في مجموع الفتاوى (٢٨/٢٤٠): «دماء المسلمين وأموالهم محرمة حيث كانوا في ماردين أو غيرها، وإعانة الخارجين عن شريعة دين الإسلام محرمة سواء كانوا أهل ماردين أو غيرهم، والمقيم بها إن كان عاجزًا عن إقامة دينه وجبت الهجرة عليه وإلا استحبت ولم تجب، ومساعدتهم لعدو المسلمين بالأنفس والأموال محرمة عليهم ويجب عليهم الامتناع من ذلك بأي طريق أمكنهم من تغيب أو تعريض أو مصانعة، فإذا لم يمكن إلا بالهجرة تعينت ولا يحل سَبُّهم عمومًا ورميهم بالنفاق، بل السبُّ والرمي بالنفاق يقع على الصفات المذكورة في الكتاب والسنة». اهـ

المثال الثاني: سُئِلَ أبو العباس أحمد بن يحيى الوَنشريسي كما في «أسنى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر»:

«جوابكم يا سيدي -رضي الله عنكم- ومتَّع المسلمين بحياتكم في نازلة وهي: أن قومًا من هؤلاء الأندلسيين الذين هاجروا من الأندلس وتركوا هناك الدور والأرضين

---

(١) يقول الشيخ حسن -حفظه الله-: «لا شك أن مَن سبق بالعلم النافع، يكون حريصًا على تحرِّي الحق، وعلى مصلحة المسلمين، فهو الأجدر بأن يُسأل إذا أصاب المسلمين أمرٌ من الأمن أو الخوف؛ لعكوفه على العلم النافع فضلاً عن تجاربه التي مرَّ بها».

والجنَّات والكرْمات وغير ذلك من أنواع الأصول، وبذلوا زيادة على ذلك كثيرًا من ناضّ المال، وخرجوا من تحت حكم الملة الكافرة، وزعموا أنهم فروا إلى الله سبحانه ... واستقروا بحمد الله في دار الإسلام.... ندموا على الهجرة بعد حصولهم بدار الإسلام، وسخطوا وزعموا أنهم وجدوا أن الحال عليهم ضيقة، وأنهم لم يجدوا بدار الإسلام -التي هي دار المغرب- .... بالنسبة إلى التسبب في طلب أنواع المعاش على الجملة رفقًا ولا يسرًا، ولا مرتفقًا، ولا إلى التصرف في الأقطار آمنًا لائقًا، وصرَّحوا في هذا المعنى بأنواع من قبيح الكلام الدال على ضعف دينهم، وعدم صحة يقينهم في معتقدهم، وأن هجرتهم لم تكن لله ورسوله كما زعموا، وإنما كانت لدنيا يصيبونها عاجلاً عند وصولهم، جارية على وفق أهوائهم، فلمَّا لم يجدوها وفق أغراضهم صرَّحوا بذمِّ دار الإسلام وشأنه، وشتم الذي كان السبب لهم في هذه الهجرة وسبِّه، وبمدح دار الكفر وأهله، والندم على مفارقته، وربما حُفظ عن بعضهم أنه قال على جهة الإنكار للهجرة إلى دار الإسلام التي هي هذا الوطن -صانه الله-: إلى هاهنا يُهاجر من هناك؟ بل من هاهنا تجب الهجرة إلى هناك -يقصد دار الكفر-...

وعن بعضهم أيضًا أنهم يرومون إعمال الحيلة في الرجوع إلى دار الكفر معاودة للدخول تحت الملة الكافرة كيف أمكنهم[1].

فما الذي يلحقهم في ذلك من الإثم، ونقص رتبة الدين والجُرْحة؟ ...وكيف بمن رجع منهم بعد الحصول في دار الإسلام إلى دار الكفر...؟

فأجاب الونشريسي -رحمه الله- في «أسنى المتاجر» (ص٤٢- ٤٨):

---

(١) وكأن السائل يصف حال بعض بني جلدتنا في هذا الزمان من أدعياء الجهاد وأصحاب شعار «الإسلام هو الحل»، والدعوة إلى إعادة الخلافة الإسلامية، وإذ بهم يهاجرون من ديار الإسلام -بعد أن اعتبروها ديار كفر-، إلى ديار الكفر حقًّا، نحو أمريكا وإنجلترا وفرنسا وألمانيا وهولندا، واتخذوا من هذه الديار موطنًا لهم، من خلاله يعملون على تحقيق أهدافهم المدعاة، ومن هناك أخذوا يذمون دار الإسلام، ويمدحون دار الكفر ويرفعون من شأنها، ونسوا أن الكفار إنما استقبلوهم في بلادهم تحقيقًا لديمقراطيتهم الزائفة، واستخدامًا لهم في تحقيق مصالحهم اللاتي يرومونها من خلال هذه الأحزاب البدعية التي تخدم مصالح الكفار تحت شعارات إسلامية برَّاقة، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

«الجواب ... أن الهجرة من أرض الكفر إلى أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة، وكذلك الهجرة من أرض الحرام والباطل بظلم أو فتنة، قال رسول الله ﷺ: **«يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتَّبع بها شَعَف الجبال ومواقع القَطر، يفر بدينه من الفتن»**، أخرجه البخاري... وروى أشهب عن مالك: لا يقيم أحد في بلد يُعمَل فيه بغير الحق، قال في العارضة: «فإن لم يوجد بلد إلا كذلك؟!، قلنا: يختار المرء أقلها إثمًا، مثل أن يكون بلد فيه كفر، وبلد فيه جور خير منه، أو بلد فيه عدل وحرام، وبلد فيه جور وحلال خير منه للمقام، أو بلد فيه معاصٍ في حقوق الله فهو أولى من بلد فيه معاصٍ فيه مظالم العباد...

ولا يُسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية -لعنه الله- على معاقلهم، وبلادهم إلا تصوُّر العجز عنها بكل وجه وحال، لا الوطن والمال، فإن ذلك كله ملغي في نظر الشرع، قال الله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩].

فهذا الاستضعاف المعفو عمَّن اتَّصف به غير الاستضعاف المُعتذَر به في أول الآية وصدرها، وهو قول الظالمي أنفسهم ﴿كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فإن الله تعالى لم يقبل قولهم في الاعتذار به، فدلَّ على أنهم كانوا قادرين على الهجرة من وجه ما وعفا عن الاستضعاف الذي لا يُستطاع معه حيلة ولا يُهتدى به سبيل بقوله: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾، و(عسى) من الله واجبة، فالمستضعف المعاقب في صدر الآية هو القادر من وجه، والمستضعَف المعفو عنه في عجزِها هو العاجز من كل وجه، فإذا عجز المبتلى بهذه الإقامة عن الفرار بدينه، ولم يستطع سبيلاً إليه، ولا ظهرت له حيلة، ولا قدرة عليها بوجه ولا حال، وكان بمثابة المُقعَد أو المأسور أو كان مريضًا جدًّا أو ضعيفًا جدًّا فحينئذٍ يُرجى له العفو، ويصير بمثابة المكرَه على التلفظ بالكفر، ومع هذا لا بد أن تكون له نيَّة قائمة أنه لو قدر وتمكن لهاجر، وعزمٌ صادق مستصحب أنه إن ظَفَر بمُكنة وقتا ما فيها هاجر».اهـ

المثال الثالث: فتوى العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني في مسألة الهجرة من فلسطين بعد أن صارت في أيدي اليهود:

سئل -رحمه الله- كما في الشريط رقم (٤٥٩) من سلسلة الهدى والنور:

هناك سؤالان فضيلة الشيخ أشرتم في معرض حديثكم أو في معرض إجابتكم على أحد الأسئلة السابقة إلى مسألة وجوب وجود راية إسلامية حتى يجاهد تحت ظل هذه الراية.

الآن السؤال الأول الذي أريد أن أطرحه: ما رأيكم فيما يدور الآن في فلسطين من جهاد ضد العدو، وخاصة في مسألة النساء نسمع كثيرًا ويدور على ألسنة كثير من الناس هذه العمليات البطولية التي تقوم بها نساء غير ملتزمات بالشريعة الإسلامية أو بالشرع الإسلامي وتمجد هذه الأفعال، وترفع إلى درجة أننا سمعنا من بعض أولئك الذين عندهم شيء من العلم الشرعي أنهم يمجدونها إلى آخره... هذا هو السؤال الأول.

أما السؤال الثاني: فإن بعض الجماعات الإسلامية تجمع أموالاً، هذه الأموال ترصد، لكي تصرف على الذين يقاتلون الأعداء في فلسطين، ما هو رأيكم بارك الله فيكم؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله رحمة واسعة ونفع بعلمه- قائلاً:

«**أولاً:** ليس هناك جهاد، قلنا: نحن صراحة، **وفي فلسطين ليس هناك جهاد**، هناك مقاومة، وهذه المقاومة لا تفيد شيئًا، **فالواجب الشرعي على سكان فلسطين أن يفعلوا كما فعل المهاجرون الأولون**، وكما فعل الذين هاجروا أول وهلة من الفلسطينيين لمَّا اليهود دخلوا البلاد وبدأوا يخرِّبون فيها، فهاجروا إلى بلاد عربية.

فبقاء هؤلاء المسلمين تحت أيدي هؤلاء الكافرين هذا خلاف الشرع الحكيم.

ثانيًا: هذا ليس جهادًا؛ لأن الجهاد نحن نقول دائمًا، وقلنا أيضًا في هذه الأمسية قبل هذا الجمع: الجهاد يحتاج إلى استعداد من ناحيتين: ناحية إيمانية، وناحية مادية، وكلٌّ من الناحيتين غير مُتحقِّق في فلسطين، وإن كان في شك من هذا؛ فليصرح حتى نتحاور معه في ذلك، وأن لا استعداد لا من ناحية إيمانية ولا من ناحية المادية، فحينئذ ما على المسلمين هناك إلا أحد شيئين:

- إما أن يرضخوا لهذا الكافر الظالم، وهذا لا يجوز.
- وإما أن يهاجروا وهذا هو الواجب ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

والآن أنا أعجب مِمَّا حكيت أن هناك نساء غير ملتزمات ويأتين ببطولات يمجدها بعض رجالات الإسلاميين.. كيف هذا التمجيد؟ أنا أظن هذا التمجيد يسلّم على ذاك التمجيد، طبعًا العراق وصدام وإلى آخره.

أي وحدة يا إخواننا المسلمين لو فكر المسلمون جميعًا فيها لعرفوا أنهم لا حياة لهم إلا بتحقيقها، وأن كل هذه المظاهر التي تمجد، وتسمى بالبطولات ما هي في الواقع إلا كسراب بقيعة يحسبه الظمئان ماء أو كما يقول المثل العامي: رغوة صابون أو سحابة صيف عمّا قريب تنقشع، لا مطر ولا غيث تحتها.

ما هي هذه الآية: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]. فالمسلمون اليوم بعامة، ينصرون الله؟ من يقول: إ نهم ينصرون الله يلزمه أحد شيئين: إما أن يكون كاذبًا، وهذا هو الواقع، وإما أن يكون خبر الله كذبًا، وهذا كفر حين قال: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، فالآن نساء غير ملتزمات هل نصرن الله في ذوات أنفسهم؟ **الجواب**: لا، فكيف يمكن أن نتصور أن الله ينصرهم؟! هؤلاء مساكين، لكن هؤلاء النساء يفعلن كالنساء اليهوديات، النساء اليهوديات يقاتلن، وهن كمان شايفين حالهن إنهن يدافعن عن بلادهن وعن دينهن على عجره وبجره، وكذلك هؤلاء المسلمات الغير الملتزمات .. يجاهدن في ظنهن، لكن ليس هذا من الجهاد في سبيل الله إطلاقًا.

لذلك أنا لا أعتقد أنه يوجد في العالم الإسلامي اليوم جهاد بمعنى الكلمة، ولا يمكن أن يتحقق النصر للمسلمين ما لم ينصروا رب العالمين».

إلى أن قال: «إذن الجواب واضح يجب أن يكون هناك جماعة جاهدوا نفوسهم في الله حق جهاده، وتجمعوا على هذا الأساس برهة من الزمان -والتاريخ يعيد نفسه، كما فعل الرسول -عليه الصلاة والسلام- ثم يستعدون ليس للهجوم على الأعداء، وإنما لرد اعتداء الأعداء، هذا معنى التاريخ يعيد نفسه.

الرسول ﷺ ما بدأ القتال مع الكفار لكنهم بدؤوا مقاتلته -عليه السلام-، وما قاتلهم إلا بعد أن استعد لمجابهتهم، وهكذا ينبغي على المسلمين ألا ينسوا أن قول رب العالمين:

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، أن هذا مبدأ عام يشمل كل تصرفات المسلمين جماعات ووحدانًا، حكامًا ومحكومين». اهـ

قلت: فهذه ثلاث فتاوى لثلاثة من العلماء الأكابر في ثلاث وقائع متماثلة أصابت بلاد الإسلام، تبيِّن لك الحكم الشرعي في هذه المسألة الشائكة.

وسيقول المتحمسون -على غير علم-: كيف نترك أرضنا للكفَّار ونهاجر؟

فنسألهم: ما الأغلى عندكم: أرضكم ودياركم أم دينكم؟

وجـواب المؤمنين: ديننا أغلى عندنا من أرضنا وأموالنا وإخواننا وأهلينا، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤].

وقال سبحانه قبلها: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ﴾ [التوبة: ٢٠].

وأما جواب الحزبيين المرجفين الحماسيين الفارغين من العلم الصحيح -أصحاب الأهواء-: لا نترك أرضنا إلا على جثثنا.

ولو صدقوا لقالوها صراحة: لن نترك أرضنا ولو فتنا في ديننا، وبعناه بثمن بخس إلى الروافض حتى يمدونا بالمال والسلاح.

ولقد عُرِضَت هذه الشبهة على العلامة الألباني -رحمه الله- جراء فتواه في مسألة الهجرة من فلسطين، وإليك موضع الشاهد من نص الحوار الذي دار مع الشيخ -كما في الشريط رقم (٧٣٠) من سلسلة الهدى والنور (تم تسجيله في ٢٩ شوال ١٤١٣):

«**السائل:** الهجرة من أرض فلسطين من أرض الحرب كيف نوفق بين هذا الكلام وحديث الرسول -عليه السلام-: «**لتقاتلن اليهود .. وأنتم في أكناف بيت المقدس...**»، الحديث الذي تعرفوه بارك الله فيكم؟

الشيخ: أنا أقول لو أن غيرك ألقى هذه الشبهة، المسجد الأقصى أفضل من المسجد الحرام؟



السائل: لا.

الشيخ: طيب، بيت المقدس أفضل من مكة؟

السائل: لا.

الشيخ: طيب، أي الهجرتين أفضل.. الهجرة التي هاجر رسول الله من مكة أم هذه الهجرة التي نحن نقترحها؟

السائل: هجرة الرسول ﷺ.

الشيخ: طيب، إذن هذه من باب أولى، فلماذا أنت تستعظم وقدمت المقدمة بنيت على ذاك الحديث أنه مهاجر إبراهيم -عليه السلام-.. أولاً مهاجر إبراهيم -عليه السلام- ليس بيت المقدس فقط، بل هي بلاد الشام كلها، أليس كذلك؟

السائل: نعم.

الشيخ: طيب، فإذا كان الرسول -عليه السلام- سنَّ للمسلمين أن يهاجروا من بلد يضطهضون فيه بهجرته من المسجد الحرام أولاً، كما ذكرت أن يهاجروا إلى الحبشة وهي بلاد كفر.

سبحان الله! إذن الرسول سنَّ هذه السنة وهاجر أصحابه المضطهضون من مكة إلى بلاد الكفر إلى الحبشة النجاشي هذا؟

السائل: نعم.

الشيخ: فلماذا تستغرب أنت مسلم يؤمن بالله ورسوله ويحرص على اتباع رسوله -عليه الصلاة والسلام- في حدود استطاعته أن ينصح إخوانه المسلمين: **كفاكم إلقاء للنفوس في التهلكة.. إراقة لدماء المسلمين عبثًا** في الأمثال العامية في بعض البلاد العربية: «عين ما بتقاوم مخرج»، الدول الإسلامية التي عندها القوة والسلاح والطيارات والدبابات متفرجة، والشعب الفلسطيني هو الذي يقابل الدبابات والطيارات و... وإلى آخره، هؤلاء أنت تظن سيخرجون اليهود، وعلى قول ذلك الدجال إلى فطس الذي كان يعلن أنه سيرمي اليهود في البحر، أنت تظن الفلسطينيين إخواننا هؤلاء المضطهدين من اليهود شر اضطهاد هؤلاء سيتمكنوا من رمي اليهود في البحر.

السائل: طبعًا لا.

الشيخ: إذن هذا -بارك الله فيك- هؤلاء أوجب عليهم الهجرة من غيرهم؛ لأنهم يُقَتَّلون كل يوم بالعشرات مقابل يهودي كل شهر واحد يقتل.

هذه الهجرة التي أنت استغربتها العكس هو الصواب تمامًا؛ فلذلك أنا أقول لك: اعكس تصب، إذا كان الرسول أولاً أذن للضعفاء المضطهدين في مكة أن يهاجروا إلى الحبشة دار النصارى يومئذ، نحن نقول اليوم: لا تهاجروا إلى دار النصارى، وإنما هاجروا إلى دار الإسلام، هذا أولاً.

ثانيًا: رسول الله ﷺ حينما أذن الله له بالهجرة من مكة إلى المدينة وقف هكذا على جبل أبي قبيس فالتفت إلى مكة وقال: «**أما أنك من أحب بلاد الله إلى الله ومن أحب بلاد الله إليّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**»، إذن هذا رسول الله قلبه متعلّق بالمسجد الحرام الذي جعله الله ﴿مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا﴾ فـ[...] الخلاص أولاً بنفسه ثم بإخوانه الذين لحقوا به فإذا كان هو من أفضل بلاد الله هاجر، فلماذا لا يهاجر من ثالث بلاد الله -وهو بيت المقدس-؟ المسلمون مضطهدون ولا سيما وهم في كل يوم يعذبون.

ثم تجد من يسمى بمنظمة التحرير بالمئات وبالألوف وعندهم مال وسلاح وإلى آخره يتفرجون.

السائل: المنظمة معروفة أنها غثاء.

الشيخ: هذا هو، من الذي قال....

السائل: قضية «ولكن جهاد ونية»، الذي الآن مطلوب من كل المسلمين أن يجاهدوا حتى في فلسطين في داخل فلسطين ومن خارجها.

الشيخ: هذا السؤال أيضا جانبي تمامًا: مَن الذي يجاهد يا أخي؟ أنت ما تعرف وضعك هناك؟ ما تعرف أن اليهود الآن يعني ممنوع قانونًا أن يُقاتلوا من قبل المسلمين؟

السائل: معروف.

الشيخ: فإذن لماذا تتجاهل الواقع بارك الله فيك، أنت تقول هذا يجب، «ولكن جهاد ونية»، الآن يجب أن نقف..! هل يكون الجهاد بحماس إنسان لا هو دولة ولا هو حاكم ولا هو

ضابط ولا هو.. وإنما شاب متحمِّس إلى آخره؟ هل هذا جهاد في سبيل؟ إذن يا أخي: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، هذا الخطاب قبل كل شيء لمن؟ هذا بحث نحن طرقناه في عدة أشرطة، ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ خطاب للمؤمنين أين هم المؤمنون؟ الذين يأكلون الربا الذين يتدابرون الذين يتخاصمون الذين يتحزبون ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، نحن يجب الآن أن ننظر للموضوع جذريًا من أين نبدأ؟ نبدأ بالجهاد! مَن الذي يجاهد؟ ما في من يجاهد يا أخي، لذلك....

السائل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَـٰهَدُواْ﴾ [الأنفال:٧٢].

الشيخ: أين هم؟! فلنبدأ بالإيمان -بارك الله فيك-، لا تفكر بالخاتمة: ﴿وَجَـٰهَدُواْ﴾، الجهاد يبدأ بالأخير حينما تتهيأ النفوس للجهاد في سبيل، يقول الرسول -عليه السلام-: «**المجاهد من جاهد هواه لله**»، فهل المسلمون اليوم يجاهدون هواهم لله مع انتشار الفسق والفجور والتبرج وأكل الربا وإلى آخره، لذلك نحن لنا كلمات لا بد من تحقيق كلمتين: تصفية وتربية، المسلمون اليوم لا يفهمون إسلامهم فهمًا صحيحًا بدءًا من الله، الله لا يعرفونه كما عرفنا بنفسه في كتابه وفي أحاديث نبيه، لا يعرفون نبيهم أي: بأحكامه وسنته لذلك نحن بعيدين جدًا جدًا عن الجهاد -جهاد الكفار-، وقبل أن يفوتني أنت تظن أن اليهود سيخرجهم أهل فلسطين ونحن نرى من أهل فلسطين كل يوم جماعة يذبحون ذبح النعاج والقوى الحكومية تتفرج، ليس هؤلاء وإنما حينما يعود المسلمون إلى دينهم ويربون أنفسهم تربية صحيحة تربية إيمانية، تربية مادية سلاحية، لأنني أقول ما قاله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ﴾ خطاب لمن؟ للمؤمنين ﴿مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ هل نحن نستطيع اليوم أن نعد القوة لو كنا مؤمنين؟

السائل: لا.

الشيخ: إذن فلنحاول أن نقوم بما نستطيع من القيام، وهو أن نكون مؤمنين، أي: أن نؤمن بما جاء في الكتاب والسنة وأن نعمل بما جاء في الكتاب والسنة في حدود طاقتنا أنا أقول في كثير من مثل هذه المناسبة كثير من الشباب الآن متحمس حاطط دأبه وجهاده مع حكامه المسلمين، هؤلاء الذين يسمون بجماعة التكفير -مثلاً- يريدون محاربة حكام

المسلمين؛ قلت لـه: يـا حبيبي حـارب نفسك أنت قبـل كـل شـيء، أنـت نـسيت نفـسك وتحارب غيرك.

السائل: وحزب التحرير.

الشيخ: حزب التحرير وجماعة التكفير والهجرة إلى آخره، فأنا أقول: هؤلاء نسوا أنفسهم فانشغلوا بحكامهم، بينما العكس هو الصواب، رسول الله ﷺ أول ما بدأ بدأ بماذا؟ بدأ بدعوة الناس إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فهؤلاء الذين اليوم يريدون أن يجاهدوا الحكام ما بدءوا من النقطة التي بدأ بها الرسول -عليه الصلاة والسلام-؛ لذلك ما في فائدة من البحث والجدال والتحزب والتكتل إذا لم يكن على ما كان عليه رسول الله ﷺ، وذلك بالنسبة إلينا بعد ما جئنا بعد الرسول بخمسة عشر قرن لا بد من التصفية والتربية.

الآن لو طرحت سؤالا تقليديًا عندنا تلقيناه من نبينا ﷺ حينما سأل الجارية أين الله؟ اسأل مسلمينك اليوم يقولون لك: الله في كل مكان يعني الله في الخمارات.

السائل: حاشاه.

الشيخ: أنا وأنت بنقول حاشاه والحمد لله الذي هدانا، ولكن هؤلاء تريد أن تجاهد معهم وتقاتل معهم سيقاتلوك؛ لأنك تقول هذه الكلمة لو كنتم تعلمون.

فلذلك -بارك الله فيك- الهجرة واجبة على كل من يستطيع وهذا لابد منه، وهذا حكم شرعي، أما من لا يستطيع، فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

السائل: يقول الرجل يعني نترك أرض فلسطين لليهود يعيشوا ويسرحوا فيها كما يحلوا لهم.

الشيخ: لا..!! نترك أنفسنا كالنعاج لليهود أحسن! هذا أحسن؟ يا أخي -بارك الله فيك- من القواعد الإسلامية إذا وقع المسلم بين شرين اختار أقلهما شرًا هذا أولاً، وثانيًا: كلمة الحق لا تتصور أن يتبناها كل مسلم لو كان الأمر كذلك ما وجدت هذا التأخر في المسلمين، وسبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك.

*** وفي مجلس آخر دار هذا الحوار مع الشيخ:**

السائل: ما الواجب على أهل فلسطين في هذا الزمان وما حكم الدار التي هم فيها؟

الشيخ: هم بين أمرين من كان منهم يستطيع أن يهاجر إلى بلد إسلامي ينجوا بدينه وبنفسه فهذا هو واجبهم، أما من كان لا يستطيع فيصبر كما صبر الضعفاء في أول العهد الإسلامي في مكة، هذا هو الواجب على كل من كان هناك.

السائل: حكم الدار التي هم فيها؟

الشيخ: دار محكومة بالكفر، لو كان هناك مسلمين يجب أن يقاتلوهم حتى تعود البلاد إلى أهلها المسلمين.

السائل: وإذا كانت البلاد التي من حولهم أيضًا لا تحكم بما أنزل الله فهجرتهم تكون من دار كفر إلى دار ...؟

الشيخ مقاطعًا: لا ليسوا سواء ليسوا سواء، **هذه ديار إسلامية ولو كان فيها حكم -كما تعلمون جميعًا- في كثير من الجوانب مخالف للإسلام**، لكن هناك الحكم حكم كافر له قرنان حكم يهودي، أما هنا فالأمر ليس كذلك فلا يجوز قياس هذه البلاد على تلك، وهذا كما يقول ابن حزم -رحمه الله-: «لو كان القياس صحيحًا لكان هذا من القياس هو عين قياس باطل» وأن تقاس البلاد الإسلامية التي تحكم بحكم إسلامي، ولو كان فيه ما فيه، فليس كالحكم الذي يحكم بالتوراة أو بالإنجيل، أو بأي قانون يخالف كل الشرائع السماوية». اهـ

قلت: وبعد هذا السيل الوافر من الحقائق التي ذكرها أكابر العلماء، نقول إن الواجب الآن على مسلمي العراق أن يجمعوا شتات شملهم، وأن يجتمعوا على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، وأن يسعوا إلى إصلاح ذات بينهم مجتمعين على هذا المنهج الرباني، ولكن حتى يتحقّق هذا الأمل المنشود، يجب أن تكون هناك جهود مبذولة من قبل الدعاة وطلبة العلم هناك لتبصرة المسلمين بهذا الأمر، ويجب أن يتوقف هذا القتال العشوائي الذي يفتك بالمسلمين قبل الكافرين، ويحدث نكاية في المسلمين أكثر من الكافرين، حيث إن هذا القتال يصدر من أناس مختلفي المشارب والأهداف، بدليل أن بعض هذه الأحزاب المقاتلة بدأت توجّه أسلحتها ضد بعض المسلمين هناك كما هو حال الخوارج الأوائل.

وإذا ظلت الفتن قائمة والقتال مستمر بهذه الصورة التي تجعل العدو الأمريكي والرافضي ينتقم لنفسه ويدمر الأخضر واليابس، ويأسر من يأسر؛ ففي هذه الحال فإن الخائف على دينه تجب عليه الهجرة فرارًا من هذه الفتن.

وأنبه المسلمين هناك أيضًا إلى أنه إذا تم استيلاء الرافضة على السلطة في البلاد، كما هو مشاهد من التواطئ الأمريكي الرافضي في احتلال البلاد، فإن المستبصر بخيانة الروافض والعارف بمكرهم السيئ بالمسلمين لا يجد بُدًّا من نصح المسلمين جميعًا هناك بأن يفروا بدينهم من الروافض قبل أن يقعوا في مصيدتهم؛ لأنهم لن يبقوا مسلمًا على السنة، فإن أي سني يقع في أيدي الروافض، فإن مصيره إحدى ثلاث: القتل بأبشع أنواع القتل، أو التعذيب الشديد، أو التحول إلى المذهب الرافضي الخبيث.

وأقولها صراحة: إن وقوع العراق تحت الاحتلال الأمريكي النصراني أرحم من وقوعها تحت الاحتلال الرافضي المجوسي؛ لأن الأمريكان إذا سيطروا على الوضع في البلاد ولم يجدوا مقاومة، فإنهم في الغالب يؤمِّنون الناس على دينهم، وأما الرافضة فإن عدوهم الأول المسلمون الذين على السنة، ولن يسمحوا بوجود السنة، بل هم يسعون بكل ما أوتوا من أسباب إلى محو السنة في كل بلاد الإسلام، وتحويلها إلى المنهج الرافضي الخبيث.

وبناء على ما ذكرنا، فإن المسلمين -وهم على ما هم فيه من الضعف- إذا تمكنوا من الوصول إلى عقد هدنة مع العدو الأمريكي مقابل أن يجعل سلطة البلاد في أيديهم لا في أيدي الرافضة، ولو حتى كانت هذه السلطة تحت الهيمنة الأمريكية، فإنهم بذلك يكونون قد وصلوا إلى حلٍّ جيد، به يتمكنون من استعادة قوتهم، وحفظ دينهم، حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولاً.

أما ترك الأمر في أيدي الخوارج الذين يظهرون في مظهر السنة، فإنه سوف يوقع البلاد حتمًا في أيدي الرافضة، مِمَّا سوف يكون له أسوأ أثر على البلاد المسلمة فيما بعد.

ولذلك فإن الذين يقولون: لا هدنة ولا مصالحة مع الكفَّار، وهم يعلمون ما بالمسلمين من ضعف إيماني ومادي، فإنهم لا يراعون مصلحة المسلمين، ولا يدرون شيئًا عن الواقع.

وهذا شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- يرى أنه إذا كانت ثَمَّ مصلحة للمسلمين، بعقد المسالمة والمعاهدة مع الكفَّار -كما فعله النبي ﷺ غير مرة- فإنه يصار إليها ولا يصار إلى القتال، كما قال في مجموع الفتاوى (٤/٤٤٢): «أن الأمر بقتال الطائفة الباغية مشروط بالقدرة والإمكان أن ليس قتالهم بأولى من قتال المشركين والكفار، ومعلوم أن ذلك مشروط بالقدرة والإمكان، فقد تكون المصلحة المشروعة أحيانًا، هي التآلف بالمال والمسالمة والمعاهدة، كما فعله النبي ﷺ غير مرة». اهـ

وهناك شبهة يثيرها الحزبيون أشار إليها صاحب كتاب «رؤية شرعية»، وهي قوله (ص١٥١): «**قال الأول**: ما الفرق بين الساحة الأفغانية الأولى مع الروس والساحة العراقية، ولماذا أفتى العلماء في الأولى بمشروعية الجهاد، وتوقّفوا في الساحة العراقية؟

قال الثاني: الفرق كبير من الناحية الداخلية ومن الناحية الخارجية، فمن الناحية الداخلية كانت الفصائل الأفغانية مع اختلافاتها العقائدية والمنهجية متّفقة ضد الروس، وهذا بخلاف العراق تمامًا، حيث دخل البلد بحروب مدمرة لا فائدة منها مِمَّا جعل أكثر من ثلثي العراق يفرح بقدوم أمريكا وليس عنده استعداد لمحاربتها، وبالتالي شكلت قوة عراقية كبيرة لمحاربة من يحارب أمريكا.

ومن الناحية الخارجية: يقول الشيخ عبد العزيز الريس في شريط خاص لنقد من يفتي بالجهاد في العراق: الحرب الأفغانية الأولى من حيث الظاهر كانت بين الأفغان وروسيا، ومن حيث الحقيقة كانت حرب أمريكية روسية. انتهى. لكثرة المساعدات التي تصل إلى المجاهدين الأفغان عبر باكستان من أمريكا وغيرها، حتى إن مستشار الأمن القومي الأمريكي يقوم بزيارات إلى الأفغان من أجل مساعدتهم ضد الروس.

ثم من المهم أن نعرف أن أفغانستان الآن تحت الاستعمار الأمريكي مِمَّا يؤكد حقيقة الوضع الأول!! بينما في العراق فجميع دول الجوار تقاطعك مقاطعة شبه تامة.

بالإضافة إلى أن المقاومة نفسها ما استطاعت أن تكسب حب الناس فضلاً على مساعدتهم؛ لأن قسمًا كبيرًا منهم لا يبالي بمضرة الناس أو إيذائهم المباشر أو غير المباشر، وكذلك دخول كثير من عصابات النهب والقتل باسم المقاومة، وكذلك القتل العشوائي

وغيرها، مِمَّا جعل الناس ينظرون إلى المقاومة بأنهم عبارة عن معارضة انفصالية نتيجة لتصرفات كثير منهم الغير مسئولة». اهـ

قلت: وأمَّا بالنسبة للبلاد التي تلي بلد هؤلاء المسلمين، والتي داهمها العدو الكافر، هل يتعين الجهاد على أهل هذه البلاد مطلقًا أم أنه مقيد بقيود؟

والجواب: بل هو مقيَّد بقيود، كما ثبتت بهذا النصوص، ومن هذه القيود:

القيد الأول: أن لا يكون ثَمَّ عهد قائم بين حكومات هذه البلاد المسلمة والعدو الكافر، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾ [الأنفال: ٧٢].

قال ابن كثير في تفسيره (٢/٥٣٤): «﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾، يقول تعالى: وإن استنصركم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم فإنه واجب عليكم نصرهم؛ لأنهم إخوانكم في الدين إلا أن يستنصروكم على قوم من الكفار بينكم وبينهم ميثاق أي مهادنة إلى مدة، فلا تخفروا ذمتكم، ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم، وهذا مروي عن ابن عباس -رضي الله عنه-».

وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١/١٨٠٠): «والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ﴾. استثناء من متعلق النصر وهو المنصور عليهم، ووجه ذلك أن الميثاق يقتضي عدم قتالهم إلا إذا نكثوا عهدهم مع المسلمين، وعهدهم مع المسلمين لا يتعلق إلا بالمسلمين المتميزين بجماعة ووطن واحد وهم يومئذ المهاجرون والأنصار، فأما المسلمون الذين أسلموا ولم يهاجروا من دار الشرك فلا يتحمل المسلمون تبعاتهم ولا يدخلون فيما جرّوه لأنفسهم من عداوات وإحن؛ لأنهم لم يصدروا عن رأي جماعة المسلمين، فما ينشأ بين الكفار المعاهدين للمسلمين وبين المسلمين الباقين في دار الكفر لا يعد نكثًا من الكفار لعهد المسلمين؛ لأن من عذرهم أن يقولوا: لا نعلم حين عاهدناكم أن هؤلاء منكم؛ لأن الإيمان لا يطلع عليه إلا بمعاشرة وهؤلاء ظاهر حالهم مع المشركين يساكنونهم ويعاملونهم.

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ تحذير للمسلمين، لئلا يحملهم العطف على المسلمين على أن يقاتلوا قومًا بينهم وبينهم ميثاق». اهـ

وقال القرطبي في تفسيره (٨/٥٤): «قوله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم إلا أن يستنصروكم على قوم كفار بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته.

ابن العربي: إلأ أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى تخرج إلى استنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك قال مالك وجميع العلماء، فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حلَّ بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد». اهـ

قلت: وما ذكره ابن العربي متعيِّن بلا شك على المسلمين، ولكن الناظر في أحوال المسلمين اليوم -حكَّامًا ومحكومين- يرى مظاهر الضعف في الإيمان والوهن بادية عليهم؛ فلم يكن بالسهل عليهم هذا البذل، والبذل يكون على قدر قوة الإيمان، وهذا تقصير منهم جميعًا، كلٌّ على قدر مسئوليته، نسأل الله أن يصلح الأحوال.

القيد الثاني: أن يكون عندهم القدرة على نصر إخوانهم، من توفر العدد والعدة، حيث يغلب على ظنِّهم أن تحركهم بجيوشهم سوف يحدث النكاية المطلوبة في العدو، ويكون فيه النجاة لإخوانهم، أما أن يكون فيه الحصد للجميع والإبادة، فهذا لا يقول به أحد عاقل فضلاً عن عالم.

○ **ويدل على هذا القيد:**

أولاً: قول الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ثانيًا: قوله سبحانه: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

فأما بالنسبة لقوله: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥].

جاء في «مغني المحتاج» (٢٢٦/٤): «إذا زادت الكفَّار على الضعف ورُجي الظفر بأن ظنناه إن ثبتنا استحب لنا الثبات، وإن غلب على ظننا الهلاك بلا نكاية بالعدو، وجب علينا الفرار؛ لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ أو بنكاية فيهم استُحب لنا الفرار». اهـ

وقال الشوكاني -رحمه الله- في «السيل الجرار» (٥٢٩/٤): «إذا علموا بالقرائن القوية أن الكفَّار غالبون لهم مستظهرون عليهم فعليهم أن يتنكبوا عن قتالهم ويستكثروا من المجاهدين ويستصرخوا أهل الإسلام، وقد استدل على ذلك بقوله -عز وجل-: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾، وهي تقتضي ذلك بعموم لفظها، وإن كان السبب خاصًّا وقد تقرر في الأصول أن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومعلوم أن من أقدم وهو يرى أنه مقتول أو مأسور أو مغلوب فقد ألقى بيده إلى التهلكة».

وقال ابن جزي في «قوانين الأحكام الشرعية» (ص١٦٥): «وإن علم المسلمون أنهم مقتولون فالانصراف أولى، وقال أبو المعالي: لا خلاف في ذلك».

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «الصارم المسلول» (ص٢٢١): «فمن كان من المؤمنين بأرض هو فيها مستضعف أو في وقت هو مستضعف، فليعمل بآية الصبر والصفح عمَّن يؤذي الله ورسوله من الذين أوتوا الكتاب والمشركين، وأما أهل القوة فإنما يعملون بآية قتال أئمة الكفر الذين يطعنون في الدين، وبآية قتال الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون».

وقال العلامة ابن عثيمين: عن الجهاد: «إذا كان فرض كفاية أو فرض عين؛ فلا بد له من شروط، من أهمها: القدرة، فإن لم يكن لدى الإنسان قدرة فإنه لا يلقي بنفسه إلى التهلكة»[1].

وقال: «ولهذا لو قال لنا قائل الآن: لماذا لا نحارب أمريكا وروسيا وفرنسا وإنجلترا؟! لماذا؟! لعدم القدرة.

---

(١) الباب المفتوح.

الأسلحة التي قد ذهب عصرها عندهم هي التي في أيدينا، وهي عند أسلحتهم بمنزلة سكاكين الموقد عند الصواريخ، ما تفيد شيئًا فكيف يمكن أن نقاتل هؤلاء؟

ولهذا أقول: إنه من الحمق أن يقول قائل أنه يجب علينا أن نقاتل أمريكا وفرنسا وإنجلترا وروسيا! كيف نقاتل؟ هذا تأباه حكمة الله -عَزَّ وَجَلَّ-، ويأباه شرعه، لكن الواجب علينا أن نفعل ما أمر الله به -عَزَّ وَجَلَّ-: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. هذا الواجب علينا أن نُعد لهم ما استطعنا من قوة، وأهم قوة نعدها هو الإيمان والتقوى»[1].

وقال -رحمه الله-: «فالقتال واجب، ولكنه كغيره من الواجبات لا بدّ من القدرة، والأمة الإسلامية اليوم عاجزة، لا شكَّ عاجزة، ليس عندها قوة معنوية ولا قوة مادية، إذن يسقط الوجوب مع عدم القدرة عليه ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. قال تعالى: ﴿وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]»[2].

وقال أيضًا: «إنه في عصرنا الحاضر يتعذر القيام بالجهاد في سبيل الله بالسيف ونحوه، لضعف المسلمين ماديًا ومعنويًا، وعدم إتيانهم بأسباب النصر الحقيقية، ولأجل دخولهم في المواثيق والعهود الدولية، فلم يبق إلا الجهاد بالدعوة إلى الله على بصيرة»[3].

وقال الجصاص في «أحكام القرآن» (١/ ٣٦٠-٣٦١): «وقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]، قال أبو بكر: قد قيل فيه وجوه: أحدها ما حدثنا محمد بن بكر قال: حدثنا أبو داود قال: حدثنا أحمد بن عمرو بن السرح: قال حدثنا ابن وهب عن حيوة بن شريح، وابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب، عن أسلم أبي عمران قال: غزونا بالقسطنطينية وعلى الجماعة عبد الرحمن بن الوليد والروم ملصقو ظهورهم بحائط المدينة، فحمل رجل على العدو، فقال الناس: مه مه، لا إله إلا الله، يلقي بيديه إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: إنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما نصر الله نبيه وأظهر دينه الإسلام قلنا: هلم نقيم في أموالنا ونصلحها، فأنزل الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى

---

(١) شرح كتاب بلوغ المرام (الشريط الأول: وجه أ).

(٢) شرح رياض الصالحين: أول كتاب الجهاد.

(٣) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١٨/ ٣٨٨).

ٱلتَّهۡلُكَةِ﴾، فالإلقاء بالأيدي إلى التهلكة أن نقيم في أموالنا فنصلحها وندع الجهاد، قال أبو عمران: فلم يزل أبو أيوب يجاهد في سبيل الله حتى دفن بالقسطنطينية؛ فأخبر أبو أيوب أن الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة هو ترك الجهاد في سبيل الله، وأن الآية في ذلك نزلت، وروي مثله عن ابن عباس وحذيفة والحسن وقتادة ومجاهد والضحاك.

وروي عن البراء بن عازب وعبيدة السلماني: «الإلقاء بالأيدي إلى التهلكة هو اليأس من المغفرة بارتكاب المعاصي»، وقيل: «هو الإسراف في الإنفاق حتى لا يجد ما يأكل ويشرب فيتلف»، وقيل: «هو أن يقتحم الحرب من غير نكاية في العدو»، وهو الذي تأوّله القوم الذي أنكر عليهم أبو أيوب وأخبر فيه بالسبب، وليس يمتنع أن يكون جميع هذه المعاني مرادة بالآية لاحتمال اللفظ لها وجواز اجتماعها من غير تضاد ولا تناف، فأما حمله على الرجل الواحد يحمل على حلبة العدو، فإن محمد بن الحسن ذكر في السير الكبير أن رجلاً لو حمل على ألف رجل وهو وحده، لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية، فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية فإني أكره له ذلك؛ لأنه عرَّض نفسه للتلف من غير منفعة للمسلمين، وإنما ينبغي للرجل أن يفعل هذا إذا كان يطمع في نجاة أو منفعة للمسلمين، فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية ولكنه يجرّئ المسلمين بذلك حتى يفعلوا مثل ما فعل فيقتلون وينكون في العدو، فلا بأس بذلك إن شاء الله؛ لأنه لو كان على طمع من النكاية في العدو ولا يطمع في النجاة لم أر بأسًا أن يحمل عليهم، فكذلك إذا طمع أن ينكي غيره فيهم بحملته عليهم فلا بأس بذلك، وأرجو أن يكون فيه مأجورًا؛ وإنما يكره له ذلك إذا كان لا منفعة فيه على وجه من الوجوه، وإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية، ولكنه مما يرهب العدو، فلا بأس بذلك؛ لأن هذا أفضل النكاية وفيه منفعة للمسلمين، والذي قال محمد من هذه الوجوه صحيح لا يجوز غيره؛ وعلى هذه المعاني يحمل تأويل من تأول في حديث أبي أيوب أنه ألقى بيده إلى التهلكة بحمله على العدو؛ إذ لم يكن عندهم في ذلك منفعة، وإذا كان كذلك فلا ينبغي أن يتلف نفسه من غير منفعة عائدة على الدين ولا على المسلمين، فأما إذا كان في تلف نفسه منفعة عائدة على الدين فهذا مقام شريف مدح الله به أصحاب النبي ﷺ في قوله: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ

ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ﴾ [التوبة: ١١١]، وقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]. في نظائر ذلك من الآي التي مدح الله فيها من بذل نفسه لله». اهـ

وقال ابن عربي في «أحكام القرآن» (١/١٦٥-١٦٦): «في تفسير التهلكة: فيه ستة أقوال:

الأول: لا تتركوا النفقة. **الثاني**: لا تخرجوا بغير زاد، يشهد له قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾. **الثالث**: لا تتركوا الجهاد. **الرابع**: لا تدخلوا على العساكر التي لا طاقة لكم بها. **الخامس**: لا تيأسوا من المغفرة؛ قاله البراء بن عازب، قال الطبري: هو عام في جميعها لا تناقض فيه، وقد أصاب إلا في اقتحام العساكر؛ فإن العلماء اختلفوا في ذلك، فقال القاسم بن مخيمرة، والقاسم بن محمد، وعبد الملك من علمائنا: لا بأس أن يحمل الرجل وحده على الجيش العظيم إذا كان فيه قوة وكان لله بنية خالصة، فإن لم تكن فيه قوة فذلك من التهلكة، وقيل: إذا طلب الشهادة وخلصت النية فليحمل؛ لأن مقصده واحد منهم، وذلك بيِّن في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾، والصحيح عندي جوازه؛ لأن فيه أربعة أوجه:

الأول: طلب الشهادة. **الثاني**: وجود النكاية. **الثالث**: تجرية المسلمين عليهم. **الرابع**: ضعف نفوسهم ليروا أن هذا صنع واحد، فما ظنك بالجميع، والفرض لقاء واحد اثنين، وغير ذلك جائز». اهـ

وسئل الشيخ صالح الفوزان: هل المقصود بالقوة هنا -أي الجهاد- اليقينية أم الظنية[١]؟

فأجاب: «القوة معروفة فإذا تحقّقت فعلاً وصار المسلمون يستطيعون القيام بالجهاد في سبيل الله عند ذلك يشرع جهاد الكفّار، أما إذا كانت القوة مظنونة أو غير متيقنة فإنه لا يجوز المخاطرة بالمسلمين والزجّ بهم في مخاطرات قد تؤدي بهم إلى النهاية غير الحميدة، وسيرة النبي ﷺ في مكة والمدنية خير شاهد على هذا». اهـ

---

(١) انظر «الجهاد في الإسلام» (ص٨٧).

قلت: وأما بالنسبة لقوله تعالى: ﴿ ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٦].

قال ابن أبي زمنين في «قدوة الغازي» (ص١٩٧): «وفي تأويل الضُعف اختلاف من أهل العلم:

فمنهم من قال -وهم الأكثر-: إنما هو الضُعف في العدد وليس في القوة والجلد، ولا يحلُّ للرجل من المسلمين أن يفر من الرجلين، ولا للمائة أن تفر من المائتين، وإن كانوا أشدَّ منهم سلاحًا وأظهر جلدًا وقوةً، إلا أن يكونوا في أرض العدو وبموضع مادتِهم، وبُعد عن مادة المسلمين، فهم يخافون استجاشة العدو وتكاثرهم عليه، فلهم عند ذلك الانحياز عنهم والتولية منهم سعة.

ومنهم من قال: ليس الضُعف في العدد، وإنما هو في القوة والجلد، فلو أن مائة من المسلمين في قوة وجلد لقوا الثلاثمائة، والخمسمائة، وأكثر من ذلك من المشركين ليسوا مثلهم في قوتهم وجلدهم وشدِّ سلاحهم، ما حلَّ لهم الانحياز منهم، ولا التولية عنهم، إذا كانت لهم بمثلهم قوة واستضلاع.

ولو أن مائة من المسلمين في ضعفٍ من أبدانهم ومن دوابّهم ومن سلاحهم لقوا أقل من المائتين من المشركين أظهر منهم قوةً وجلدًا وأشد سلاحًا وأقوى خيلاً بالأمر البائن الظاهر المجاوز للضُعف، كانوا في سعة من الانحياز عنهم والتولية منهم، فإنما الضعف في القوة والجلد، وليس في العدد». اهـ

وقال ابن رشد في «بداية المجتهد» (٣٨٧/١): «وذهب ابن المجاشون -ورواه عن مالك- أن الضعف إنما يعتبر في القوة لا في العدد، وأنه يجوز أن يفر الواحد من واحد إذا كان أعتق جوادًا منه، وأجود سلاحًا وأشدَّ قوة».

وقال القرطبي في تفسيره (٣٨٩/٧): «وقالت فرقة منهم ابن الماجشون في الواضحة: إنه يراعى الضعف والقوة والعدة.

قال -القائل القرطبي-: فيجوز على قولهم أن يفر مائة فارس من مائة فارس؛ إذا علموا أن ما عند المشركين من النجدة والبسالة ضعف ما عندهم». اهـ

وتأمل ما قاله السرخسي في «شرح السير الكبير» (٢٢٤٣/٥): «ولو أن عساكر ثلاثة من المسلمين دخلوا أرض العدو، ودخل كل فريق منهم ناحية من النواحي، فأتى العدو عسكرين من تلك العساكر، وتركوا العسكر الثالث، فأخبر العسكر الثالث بكثرة العدو، فإن كان أكبر الرأي من أهل هذا العسكر الثالث أن أهل العسكرين ينتصفون من العدو مضوا على غزوهم؛ لأن العسكرين الآخرين لا يحتاجان إلى إعانتهما.

٤٤٦٢- وإن كان أكبر الرأي منهم أن أحد الفريقين ينتصف، والآخر لا ينتصف أتوا الفريق الآخر الذي لا ينتصف؛ لما قلنا: إن فيه نكاية للعدو ونجاة المسلمين.

٤٤٦٣- وإن كان أكبر الرأي منهم أن الفريقين لا ينتصفون ممن أتاهم، وإن تفرقوا لم يغنوا شيئا، فإن كان أحد العسكرين أقرب إلى دار الإسلام أتوا العسكر الآخر وتركوهم؛ لما قلنا: إن الخوف عليهم أكبر.

٤٤٦٤- وإذا كان حال العسكرين حالا واحدة أتوا أقرب العسكرين منهم وإن كان العسكر الآخر يهلك؛ لأن عدو ذلك العسكر أقرب منهم.

٤٤٦٥- فإن كان الذين يلونهم قليلا والآخرون كثيرا بدئ بالأقرب فالأقرب ولم ينظر القليل والكثير؛ لأن حق الأقرب أوجب.

٤٤٦٦ - إلا إن كان هذا يضر بالمسلمين إضرارًا شديدًا ويخافون أن يهلك المسلمون به ويذلون، فإذا كان الأمر هكذا أتوا الكثير؛ لأن المصلحة للمسلمين في هذا أكثر وأعم.

٤٤٦٧- وإن كان الذين يلونهم أكثر والأبعدون أقل لا يكون الأبعد أولى بالنصرة ولكن الأقربين أولى؛ لأن رب قليل ينتصفون من كثير، ورُبَّ كثير لا ينتصفون من قليل فحق النصرة لا يتعلق بالقلة والكثرة، إنما يتعلق بالقرب والبعد، والله تعالى الموفق». اهـ

وأقول: ولا تعني هذه القيود السابقة أن ولاة الأمر في البلاد المسلمة المحيطة بالعراق معذورون وليسوا مقصّرين، بل بلا شك فيه تقصير كبير -كما بيّنا- نتيجة ضعف الإيمان الغالب والركون إلى الدنيا، مع ضعف الإمكانيات والعدة، والواجب عليهم أن يعملوا على إصلاح هذه الأوضاع بتحكيم الكتاب والسنة في كل شئون حياة المسلمين من

اعتقاد وعبادات ومعاملات وأخلاق، وبإعداد القوة المادية التي تمكنهم من نصرة المسلمين المستضعفين في العراق، وتخليص بلاد الإسلام من شر الأمريكان والروافض واليهود.

قال العلامة الألباني -رحمه الله- (سلسلة الهدى والنور- شريط ٣٤): «... معنى ذلك أن الإثم لحقهم ما لم يستعدوا لإخراج هؤلاء الكفار من بلاد المسلمين، ومعنى هذا أنه يجب عليهم أن يبادروا إلى اتخاذ الأسباب التي تمكنهم من القيام بهذا الواجب فإن لم يفعلوا فهم آثمون، فربنا -عز وجل- يأمرنا بأن نستعد لقتال الكفار ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ...﴾ إلى آخر الآيات وفي الاستعداد هذا يمكن إخراج اليهود فما زال المسلمون يتراضون ببقاء هؤلاء الكفار فهم آثمون بلا شك، ونحن ضربنا مثلاً باليهود؛ لأنه أقرب مثال يحضر في أذهان المسلمين في هذا الزمان، ولكن نحن نعلم جميعًا أن البلاد الإسلامية قد احتلت من السوفيات ومن غيرهم منذ خمسين سنة، فماذا فعل المسلمون في سبيل القيام بهذا الواجب؟ لم يفعلوا شيئًا، لا شك أنهم آثمون لقد ظلّت هذه البلاد في أيدي الكفار ثم توّسع الكفار في احتلال بلاد إسلامية أخرى كفلسطين مثلاً، ولم يقف الأمر هنا فآخر ما وقع احتلوا الأفغان، فإذن المقصود من هذا تنبيه المسلمين جميعًا إلى أنهم مقصِّرون وآثمون حيث يَدعون الكفار يحتلون بلادهم بلدة بعد أخرى». اهـ

قلت: والعجيب أن كبار السروريين في المملكة العربية السعودية كانت فتاواهم أضبط من فتوى الحويني في شأن العراق، وإن كانت لا تخلو من خلل وخلط، ومن صور هذا الخلل والخلط: اعتبارهم إفساد الزرقاوي والقاعدة وما يقومون به من القتل العشوائي والعمليات التخريبية -التي لا تنكي في العدو ولا تنفع المسلمين- من الجهاد القائم في العراق، لكن على أدنى تقدير قد اعترفوا بخطورة استقطاب مجاهدين من خارج العراق، نظرًا لعدم وضوح الرايات، واختلاط الأمور، وكثرة الخونة والمرتزقة في داخل العراق، مِمَّا لا يجعل الشاب يأمن على نفسه.

وإليك نصُّ فتوى أحد كبارهم، وهو: سلمان العودة؛ لتدرك أن الحويني لم يخالف أئمة السنة فقط، بل خالف أحد كبار منظري السرورية -رغم موافقته له في كثير من أصول

المنهج السروري القطبي-[1]: سئل سلمان العودة هذ السؤال: «أنا أب لأربعة أولاد، وأريد أن أذهب للعراق مجاهدًا، لأدافع عن إخوتي المسلمين، سؤالي: إذا ذهبت هناك بنية نيل رضوان الله ثم تم قتلي فهل أكون شهيدًا؟ عندي حياة واحدة فقط ولا أريد أن أضيعها أريد الجواب مؤيدًا من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، والسلام.

أجاب سلمان قائلاً:

«**أولاً**: إذا لم نتصارح ونتعامل بالصدق التام فيما بيننا في مثل هذه الظروف الحرجة البالغة الخطورة فلا خير فينا!

ولا أزعم -أيها الأخ الحبيب- أن ما أقول لك هو بالضرورة صواب، ولكنني أؤكد لك أن الحامل عليه هو ما يعلمه الله في قلوبنا من الشحّ بدماء المسلمين وأرواحهم والحدب عليهم وتلمس مصلحتهم العاجلة والآجلة.

ولا أحد من المسلمين إلاّ وفي قلبه من الحنق والغيظ على هذا العدوان الفاجر ما يكاد أن يودي بسكينته وعافيته وكفى بالقهر داءً.

ولكننا لا نريد أن نزيد في المحنة بزهوق أرواح خلّص أتقياء صلحاء ذوي نيات طيبة دون أن يكون في ذلك نكاية بالعدو.

إن الله تعالى يحب حياة المؤمنين وبقاءهم وعبادتهم وصلاتهم وقرآنهم، ولذلك خلقهم، ولا يزيد المؤمن عمره إلاّ خيرًا وخيركم من طال عمره وحسن عمله.

فرحيل المؤمن عن هذه الدار ليس مطلوبًا بذاته، ولكن يشرع حين تترتب عليه مصلحة أعظم من مصلحة بقائه، فإذا عدمت هذه المصلحة أو ضعفت وجب تقديم اعتبار الحياة والبقاء.

وقبل أن أستطرد أنقل لك هذين النصين من كلام الإمام الفقيه العز بن عبد السلام في كتابه «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (ج١- ص٩٥): «قال -رحمه الله-: انهزام المسلمين من الكافرين مفسدة، لكنه جائز إذا زاد الكافرون على ضعف المسلمين، مع التقارب في

---

(١) وقد ذكرت بعض صور هذه الموافقة في الردّ على المخالفة الأولى: «تكفير المصر على المعصية».

الصفات تخفيفًا عنهم لِمَا في ذلك من المشقة ودفعًا لمفسدة غلبة الكافرين لفرط كثرتهم على المسلمين، وكذلك التحرُّف للقتال والتحيّز إلى فئة مقاتلة بنية أن يقاتل المتحيِّز معهم؛ لأنهما وإن كانا إدبارًا إلاَّ أنهما نوع من الإقبال على القتال.

وقال -رحمه الله-: «التولي يوم الزحف مفسدة كبيرة لكنه واجب إذا علم أنه يُقتل من غير نكاية في الكفار ؛ لأن التغرير بالنفوس إنما جاز لما فيه من مصلحة إعزاز الدين بالنكاية في المشركين، فإذا لم تحصل النكاية وجب الانهزام، لِمَا في الثبوت من فوات النفوس مع شفاء صدور الكفار وإرغام أهل الإسلام وقد صار الثبوت ههنا مفسدة محضة ليس في طيّها مصلحة»[1].

إن من الحق والعدل أن يدافع الشعب العراقي قدر مستطاعه عن دينه وأرضه وعرضه وخيراته ونحن على ثقة أن دخول الإدارة الأمريكية في هذا المستنقع خطأ غير محسوب وأن الأحداث ستثبت على المدى الطويل أن الأمر كان حماقة من غير مجرب.

*** لكننا لا نرى ما يدعو إلى ذهاب أحد من المسلمين إلى العراق للمشاركة في الحرب لأسباب منها:**

١- معظم الحرب سيكون ضربات جوية مدمرة، وهذه يستوي عندها أن تقتل ألفًا أو مائة ألف والآلة ستكون ذات أثر في حسم نتيجة المعركة على المدى القصير.

٢- أهل مكة أدرى بشعابها وظروفها وطبيعتها الجغرافية، وليس بالناس حاجة إلى الكثرة العددية، وربما كان الذاهب عبئاً عليهم بدلاً من أن يكون عونًا لهم.

٣- ربما استشرف العدو وتمنى القبض على بعض المتطوعين في العراق لغايات سياسية وإعلامية ومصالح داخلية وخارجية، وقد تنقطع ببعض الذاهبين السبل ويقعون في أيدي من لا يخاف الله ولا يراقبه.

٤- عدم وضوح الصورة العملية للحرب الآن وماذا ستكون عليه؟ وهل ستطول أم تحسم عاجلاً، وكيف سيكون الوضع الداخلي... فهذه وأمثالها اعتبارات ذات أهمية، وبالتزام شيء من الصبر وضبط النفس فقد تنجلي عن نتائج لها تأثير في القرار.

---

(١) قواعد الأحكام (١/ ١١٢)، وكلامه هنَا نفيس مبنيٌّ على النقل والعقل.

٥- ثمت قوى متصارعة متناقضة، وكلها مخوف، ومن نجا من هذه فربما لم ينج من تلك، فالقوات الغازية من جهة، والمعارضة الموالية للغرب من جهة أخرى، وبعض القوى المحلية الطائفية أوالعرقية[١]، وبعض الجيران المتربصين، وبعض الأطراف المرتبطة بالنظام[٢].... والذاهب يسير بين هذه القوى وكأنما هو في حقل ألغام، إن أخطأه هذا أصابه ذاك، وقد يجد نفسه في طريق لم يقصد إليه ولم يرده...» إلخ الفتوى.

قلت: وأخيرًا أسأل الحويني ومن شايعه من الدعاة إلى الجهاد المزعوم في العراق:

- لماذا لم تكونوا أنتم على رأس سرية عظمى من أتباعكم ومحبيكم تذهبون جميعًا إلى العراق للجهاد؟

فنحن تعلَّمنا أن القائد الشجاع يكون على رأس المقاتلين، لا يكون خلفهم أو يكون من المخلَّفين! وأن الداعي إلى القتال يكون أول المقاتلين وإلاَّ كان دعيًّا!!

ولماذا لم ترسلوا أبناءكم وأشقاءكم وأصفياءكم وتلاميذكم إلى هناك؟

فإن قالوا: إن الدولة تمنعنا.

قلنا: ومتى كنتم تحترمون الدولة وقراراتها !! والتهرب من الدولة سهل عليكم -إن أردتم- إن كنتم راغبين في الجهاد ونيل الشهادة -كما تدعون-!!

وتناسيتم أن الله -عز وجل- جعل النجاة من بطش الكافرين المتسلطين -حال استضعاف المؤمنين- منَّة منه سبحانه ونصر وغلبة، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [الصافات: ١١٤- ١١٦].

قال الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «والتخلص من العدو يسمى نصرًا وفتحًا وغلبة، كما قال النبي ﷺ في غزوة مؤتة حين كانت الراية مع زيد بن حارثة، ثم كانت مع جعفر بن أبي طالب، ثم كانت مع عبدالله بن رواحة، وكلهم قتلوا -رضي الله عنهم-، قال: «فأخذها خالد ففتح الله على يديه»، وخالد -رضي الله عنه- لم ينتصر على

(١) يُشير إلى الرافضة.

(٢) أي: البعثي.

الروم، ولم يغلبهم، ولكن نجا منهم؛ فسمى النبي ﷺ هذه النجاة فتحًا، كما سمى الله تعالى هنا نجاة موسى وهارون وقومه من فرعون أنها نصر وغلبة».

[ونقول لهم: ألا تخافون الله تعالى وتتقونه حينما تزجون بآلاف الشباب المسلم في معارك خاسرة، الكفَّار أحرص عليها منكم، وهم الذين يستدرجونكم من خلال الفضائيات التي تبنون عليها فتواكم، وهي التي بأيديهم، ومن أسلحتهم في إثارتكم وإثارة الشباب، وإفسادهم وإغراقهم بفنون من الشبهات والشهوات][(1)].

فهبوا إلى آتون الحرب الذي تريدون إلقاء شباب الأمة فيه، ولتكونوا أول من يحترق فيه، وإلا فأنتم أدعياء، ولا تخلون من أحد هذه الأمور التي أحلاها مرٌّ حنظل:

الأول: أنكم طلاَّب شهرة على حساب هذه الأمة، أو تعملون لحساب هذا الحزب الضائع المائع: حزب الإخوان المفسدين الذي مزق الأمة الإسلامية أشلاء، ثم أراد أن يلملم هذه الأشلاء المتهالكة المتناحرة تحت راية بالية؛ فهو المستفيد دائمًا من هذه الدعايات المتصنعة إلى الجهاد؛ كي يصور للشباب المخدوع أن أتباعه هم المخلصون الذين يضحون بأنفسهم في سبيل الله -زعموا !!-.

وفي حقيقة الأمر ما هي إلا دعايات للترويج للحزب حتى يكسب أكبر عدد من الجماهير المستضعفة في صفِّه خلال الانتخابات أو الانقلابات، وكذلك يستجلب بهذه الدعايات أموالاً طائلة تدخل في خزانته ينفق منها على حزبه المتهالك، وقلَّما يصفو شيء من هذه الأموال لنصرة القضايا الإسلامية بحق.

والثاني: أنكم متعالمون لا تحسنون فقه الجهاد، ولا تعرفون ضوابطه الشرعية، ولا تحسنون فقه الواقع الذي تنزلون عليه فتاويكم، ومن ثَمَّ خالفتم كبار أهل العلم، مِمَّن هم أضبط منكم لفقه الجهاد ولفقه الواقع.

والثالث: أنكم كذَّابون مأجورون من قبل أعداء الإسلام -رافضة ويهود ونصارى- من أجل التغرير بشباب الأمة، وجرهم إلى الهاوية التي يحصدون فيها حصدًا دون أدنى فائدة تعود على المسلمين.

---

(١) ما بين المعكوفتين منقول من «رؤية شرعية» (ص١٨٠).

وبهذا يزداد العدو قوة، ويزداد المسلمون ضعفًا وذلاً ومهانة.

إن الانتصار على الكفَّار لم يكن، ولن يكون أبدًا بالدعوات الخارجية الحماسية النارية التي تحرق المسلمين قبل الكفَّار، ولن يكون بصيحات مدوية ودعايات كاذبة تخالف واقع المسلمين الذي يجب عليهم أن يعالجوه معالجة فعلية، بالعودة الصادقة إلى سبيل سلفهم الصالح وترك سبل أهل الغلو من قطبية وسرورية وصوفية ورافضة ...إلخ.

إن أصحاب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- ما فتحوا الأمصار ونشروا التوحيد والسنة إلا بالوسطية التي تعلَّموها من الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم-؛ فالوسطية هي المميزة لأمة الإسلام عن بقية الأمم، كما قال الله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* * * *

فصل

موقف الحويني من حماس ومن الجهاد في فلسطين

قال الحويني في مقطع صوتي على الإنترنت: «الجماعة إخوانا في حماس لما ضاقت الدنيا بهم ذهب رئيس المكتب السياسي إلى إيران وخطب في البرلمان الإيراني وهذا نذير شر أنا لا أتكلم الآن من منطلق سياسي لا، لا علاقة لي بالسياسة ولكنني أتكلم من منطلق عقائدي نعم علاقتنا، الآن بإيران سيئة أنا لا أتكلم ولا أظاهر السياسة الموجودة الآن، وأنتم كثيرًا ما سمعتموني على هذا المنبر أتكلم عن الشيعة نحن نتكلم من منطلق عقائدي لا علاقة لي بالدولة وافقتها ولا خالفتها، **ذهاب رئيس المكتب السياسي في حماس -وهو رجل سُنِّي- إلى إيران نذير شر**، لأن الروافض الذين يعاصروننا الآن في إيران وفي غيرها يخالفون أهل السنة في أصلين كبيرين، وأهل السنة على رأس قائمة الأعداء قبل اليهود لا تستغربوا، لأن الجماهير عندنا لا يعرفون شيئًا عن الشيعة لعدم وجود الشيعة في بلادنا فهم لا يقرءون ولا يعرفون شيئًا عن الشيعة، ثم إن قومنا مغفَّلون، أي كلمة ترضيهم وينسون حقائق الخلاف بمجرد ما يقال التقريب، **الروافض الآن يخالفوننا في أصل الإسلام في القرآن والسنة:**

أما القرآن فيقولون: إنه ناقص وإن المصحف الكامل هو مصحف الزهراء هرب به القائم محمد بن حسن العسكري، ودخل سرداب لحد النهاردة مخرجش الكلام ده كلام حقيقي مرجعياتِهم يقولون به.

إلِّي يقول لك: التقريب دول ساسة، إنما أهل العلم عندهم لا يغيِّرون ويكفي أن أحيل من يريد أن يطلع في هذه المسألة على كتاب خطير اسمه «فصل الخطاب بإثبات تحريف كتاب رب الأرباب» المؤلِّف جمع فيه أكثر من ألفي رواية عن مرجعيات الشيعة

الكبار وأئمتهم والكتاب ده مخفي لا يظهرونه أبدًا، رجل من أهل السنة ذهب إلى طهران في يوم من الأيام واستطاع أن يحصل على نسخة، هذه النسخة حصلت أنا عليها[1]، كلام صريح أن الصحابة حرَّفوا القرآن.

الأصل الثاني الذي يخالفوننا فيه: السنة، فالصحابة جميعًا -عندهم- ماتوا على النفاق ما عدا ستة بس، إذا خالفك رجل في أصل القرآن والسنة ماذا بقي؟! تضع يدك في يديه بمناسبة إيه أنا سمعت بأذني، أحد مرجعياتهم الكبار يقول: إن أول ما نفتح مكة والمدينة ينبغي أن يهدم المسجدين المسجد الحرام والمسجد النبوي، ويعاد بناءهما على أساس من التقوى ليه؟، لأن النواصب إلى هما أحنا أهل السنة هم الذين بنوا المسجد وهم فسقة والله -عز وجل- يقول: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة:١٠٦]. فالنواصب هم الذين بنوا هذا المسجد وهذا المسجد من مساجد ضرار هذا مسجد ضرار والآخر مسجد ضرار.

لما دخل الخميني إيران سنة (٧٩) وهلَّل أهل السنة ليه [.] الخميني [.] رجل ملتحي والظاهر عليه سمى العلماء، وزمان كان أي ملتحي يبقى اسمه سني أيًا كان الملتحي، ده أيًّا كان ملته إيه يبقى اسمه سني هلّلوا، والشيعة عندهم نظام التقية ميقلكش إلّى في بطنه أبدًا، **ووضع الخميني خطة اسمها «الخطة الخمسينية» لتشييع العالم السني**، الخطة الخمسينية

---

(١) علق الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله- على هذا الموضع قائلاً: «لستُ أدري ما يقصده ويريده «هذه النسخة حصلت أنا عليها»، ثم ما هذا العرض الركيك: «رجل من أهل السنة»، «ذهب يوم من الأيام»؟!

- هذا الكتاب كتبه إمام من أئمتهم جامعًا بين أقوال المقرين بالتحريف، وأقوال المنكرين له من كبار أئمتهم صيانة للمذهب من الخطأ والتناقض.

- ثم إن المؤلف أكرموه وكافئوه بدفنه بعد موته في مرقد الإمام الخليفة علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- المزعوم في العراق.

- والكتاب مطبوع منذ عشرات السنين، ويُباع علنًا في مكتباتهم، والتي قد رأيتها في الكويت والبحرين، واشتريت نسخة منذ نحو ثلاثين عامًا أثناء دراستي في الجامعة الإسلامية.

فأقول فليتق الله عن مثل هذه التأليفات الركيكة الساذجة، وعن ادعاء تفرده واختصاصه بما لا مزية ولا خاصية فيه». اهـ

دي معناها يعني في خلال خمسين سنة يصير السنة شيعة، وأوقفوا خُمس البترول للدعوة إلى المذهب الشيعي في بلاد السنة على أساس قول النبي ﷺ: «في الركاز الخمس» الركاز ده أي حاجة بتطلع من الأرض زي البترول مثلا وأنتم تعلمون أن إيران دولة منتجة للبترول بغزارة تصور خمس البترول يبقى كام مليار هذا موقوف للدعوة إلى التشيع في العالم السني، فلما يبقى الرجل السني يطلب النظرة من هؤلاء الروافض هذه كارثة وأنا أحذِّره، وأحذِّر إخوانه من الوقوع في هذا الفخ لا يغرنه الأمول التي قد يحصل عليها، ولا الأسلحة التي قد يحصل عليها لا إن العقيدة خط فاصل، مهما كان المرء مستضعفًا لا يضحي بعقيدته فهذا شيء أردت أن أنبه إليه وسأعود إليه مرارًا إن شاء الله تعالى». اهـ

قلت: هذا الكلام جيد -في مجمله-.

لكن ما علم الحويني -أو ربما تجاهل صيانة للحماسيين والحزبيين والحركيين-، أن ذهاب رئيس المكتب السياسي إلى إيران ووضع يده في أيدي الرافضة هو فرعٌ عن أصل إخواني حركي فاسد يُبيح لهم التعاون مع الرافضة وغيرهم دون اعتبار للأصول العقائدية، والولاء والبراء عليها، ومن ثَمَّ لا يعيرونَ خلافات الرافضة في الاعتقاد أي اهتمام، بل يوجبون السكوت عنها وعدم الاشتغال بها جمعًا للكلمة وتوحيدًا للأمة بزعمهم، وهذا أصلٌ عظيم عندهم سعوا إليه بخيلهم ورجلهم -وما زالوا- منذ أيام إمامهم الأول حسن البنا مع المدعو: عباس القمِّي، والذي أثمر وزرع شجرة خبيثة وصفوها بدار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

فالحويني يسكت عن فساد الأصل، ويبتغي معالجة ما تفرَّع عنه، كيف تأمل جني الثمار الطيبة والزرع شوك وحنظل؟!!.

وفحوى كلام الحويني أن ما استنكره فقط على حماس هو تعاونها مع إيران الرافضية، وأما طرائقهم الأخرى التي استنكرها عليهم العلماء، فالظاهر أن الحويني لا يستنكرها ويقرهم عليها، نحو هذه العمليات الانتحارية، ونحو قتالهم الفاشل الأخير في غزة الذي ضحَّوا فيه بشعب غزة حفاظًا على كبريائهم، ويؤكد هذا هذه الحلقات التي عقدها الحويني بعنوان: «غزة لا تنكسر»، و«زفرات مهموم»، وإظهاره سفاهة حماس بأنها جهاد، وصمود أمام اليهود.

بل لقد شارك الحويني في التوقيع على بيان يحرِّض على الجهاد المزعوم الذي تقوم به حماس، والذي وقَّع عليه أربعون من الدعاة المصريين -وهم أصحاب اتجاهات مختلفة ما بين أشعري وصوفي وحزبي إخواني وقطبي خارجي-.

وإليك نصُّ البيان:

«إن الأحداث الجارية الآن على أرض من أراضي الإسلام والمسلمين، على أرض غزة فلسطين الصامدة، من عدوان سافر ومجازر تأباها كل القيم والأخلاق وترفضها الإنسانية جمعاء توجب علينا نحن الموقعين على هذا البيان، مجموعة من علماء مصر الحبيبة ودعاتها، أن نبين رأينا إعذارًا إلى الله -عز وجل- وبيانًا للناس.

أولاً: إن فلسطين المباركة التي باركها الله في كتابه أرض إسلامية بكل ما تحمله الكلمة من معان، ففيها أولى القبلتين، وبها ثاني المسجدين وثالث الحرمين ومسرى رسولنا، لذا فإنه لا يجوز لأحد كائنًا من كان أن يتنازل عن هذه الأرض أو عن جزء منها لغير المسلمين، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

ثانيًا: الصهيونية العالمية المتمثلة في عصابة إسرائيل هم أشد الناس عداوة للمؤمنين على طول تاريخهم، فقد طفحت عداوتهم لله ولأنبيائه ورسله، وهم خلف كل شر، ووراء كل فساد، نقضوا العهود واستحلوا الحرمات وخانوا ونكَّلوا بكل من عاملهم واقترب منهم، وقد اغتصبوا أرض فلسطين على حساب أهلها الموادعين وسكانها المسالمين، وبمساندة مستمرة من الغرب ظلمًا وعدوانا، ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة: ٨٢].

وهؤلاء الصهاينة الإسرائيليون[1] جماعة مغتصبة محتلة لأرض فلسطين، ولابد أن يعود الحق لأصحابه مهما طال الزمن، ولا نرضى ولا نقبل بهذا الاحتلال الغاشم من هذه العصابة الصهيونية لهذه الأرض المقدسة.

---

(١) لا تصح تسمية اليهود بـ«الإسرائيليين» نسبة إلى إسرائيل -أي: يعقوب عليه السلام-؛ لأنهم ليسوا على دين يعقوب -عليه السلام- الذي هو الإسلام، وأصله التوحيد.

ثالثًا: الجهاد في سبيل الله والمقاومة المسلحة الخيار الإستراتيجي لإعادة الأرض المغتصبة والحق المسلوب، فالصهاينة لا يعرفون لُغة الحوار ولا يفهمون معنى السلام، ومنهجهم القتل والإفساد في الأرض؛ لذا فإننا نؤمن ونوقن بأن اللُّغة الوحيدة التي يفهمونها هي لغة الجهاد بكل وسائله وأنواعه، ولا ينبغي أن يتوقف الجهاد إلاَّ عند خروج آخر صهيوني من أرض فلسطين ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

رابعًا: هؤلاء الذين اتخذوا طريق الجهاد والمقاومة طريقًا لهم وحملوا أرواحهم على أكفهم وقدموا شهداءهم وأموالهم وبذلوا الغالي والنفيس ثمنًا لتحرير هذه الأرض بالرغم من الآلة العسكرية التي يمتلكها العدو والقوة الهمجية الإجرامية التي تفصح عن حقد أعمى لكل ما هو مسلم، هؤلاء من الطائفة المنصورة بإذن الله، والجديرون بالمساندة والنصرة والتأييد، «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لعدوهم قاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك**»، قيل: يا رسول الله، أين هم؟ قال: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**». أخرجه أحمد.

خامسًا: وها نحن نذكِّر ونؤكِّد على أن دور الشعوب في نصرتهم للقضية، وواجبهم الشرعي الذي يفرضه علينا ديننا هو الجهاد في سبيل الله بكل ما تحمله الكلمة من معان، وتقديم العون المادي والمقاطعة بكل أشكالها وألوانها، اقتصادية وسياسية وثقافية على حدٍّ سواء، لإسرائيل ومن يساندها في الغرب أو في الشرق، مع رفض التطبيع بكل أنواعه، ونؤكد على تحريم التعامل مع هذا الكيان الصهيوني ومن يسانده بأي لون من ألوان التعامل والتطبيع.

ويجب أن نقف جميعًا تحت قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩ - ١٤٠].

وعلى الأمة جميعًا أن تتوحد وتجتمع على قلب رجل واحد، كل يقوم بواجبه، وترك كل صور الخلاف البغيض الذي يعطل الجهاد في سبيل الله ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذا بيان للناس، وعلى كلٍّ أن يتحمل مسئوليته، وأما المجاهدون الشرفاء في غزة فلسطين وفي أي مكان من أرض المسلمين المغتصبة فنقول لهم لقد دفعتم دماءكم ضريبة الإيمان والعزة والكرامة، فالثبات الثبات والصمود الصمود والصبر الصبر، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]». انتهى البيان.

* * *

قلت: وقد وقَّع على البيان أربعون كما بيَّنا، منهم الحويني، ومنهم أيضًا عدد من رموز المبتدعة، ولنا مع هذا البيان وقفات نلخصِّها في النقاط التالية:

الوقفة الأولى: من طرائق الحزبيين أنهم دائمًا يسعون للاستكثار من علماء المبتدعة -وما أكثرهم-، فلكل فرقة من الثنتين والسبعين فرقة المبتدعة منظِّرون.

فهذا دأبهم في هذه البيانات -الفبركة- التي يخدعون بها الأمة، إذ يقولون: وقَّع على البيان: أربعون عالِمًا أو ثمانون أو مائة أو ...، ثم إذا نظرت في أسماء الموْقعين ما وجدت واحدًا من علماء السنة -من رءوس الفرقة الناجية- المشهود لهم بالاستقامة على المنهج السلفي القويم، إنما وجدتهم على مناحٍ مختلفة مخالفة للسنة، وإنما جمعتهم السياسة الكاسدة المبنية على تكيس المراهقين واندفاع الحماسيين.

الوقفة الثانية: لا اعتراض على أول بندين، بل هما حقٌّ يجب أن يدين بما فيهما كل مسلم، وإنما الاعتراض عن بعض ما ورد في البنود التالية.

ففي البند الثالث: طرح خيار الجهاد بالقوة والمقاومة المسلحة يقبل في حالة القدرة ليس في كل حال، ولذلك نحن نسأل هؤلاء: هل المسلمون بالفعل يملكون القدرة من العدة والعتاد والسلاح على قتال الكافرين؟

فإن أجابوا بـ(**نعم**)، دلَّ هذا على جهلهم بواقع المسلمين، لكنهم يعترضون بقولهم: إن حكّام المسلمين يملكون القدرة لكنهم يمنعونها عن المسلمين؛ لتواطؤهم مع الكافرين.

قلنا: لو سلمنا لكم جدلاً بصحة هذا الاتهام، فما الواجب عليكم في هذا الحال إن كنتم تعقلون؟

قالوا: الواجب علينا أن نعمل على إزاحة هؤلاء الحكّام أو إجبارهم بالقوة على تمكين المسلمين من قتال الكافرين، وذلك عن طريق المظاهرات والاعتصامات والاغتيالات والانقلابات، وما لا يتم الواجب إلا به؛ فهو واجب!

قلنا: هاتوا لنا النصوص الشرعية التي تبيح لكم هذا، ثم أثبتوا لنا عن طريق تجارب سابقة صحة هذا المنحى وحدوث المصلحة به على أرض الواقع !!

قالوا: هناك عدة نصوص تبين فضل قول الحق عند السلطان الجائر، ووجوب مجاهدة الظالمين، ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ...إلخ.

قلنا: وهناك كذلك نصوص تبين وجوب الصبر على السلطان الجائر، وتحرّم الخروج عليه بالقوة -وقد ذكرنا بعضها خلال هذا البحث-، وقد قام السلف بتطبيق هذه النصوص، وبيّنوا أن الصبر على جور السلطان أولى من الخروج عليه، لِمَا يترتب على الخروج من سفك الدماء وإثارة الغوغاء وانتهاك الحرمات، وقد تواترت الوقائع منذ أن خرج الخوارج على عثمان -رضي الله عنه- مرورًا بوقعة الحرة إلى زماننا هذا في إثبات مفاسد الخروج بالقوة على الحاكم، وما أحداث الجزائر منكم ببعيد، فهلاً اتعظتم بهذه الوقائع إن كنتم تفقهون الواقع، فلم يكن الحلُّ أبدًا في الخروج المسلح على الحكّام أو التهييج عليهم.

وأما ما احتججتم به من النصوص المبينة لفضل قول الحق عند السلطان الجائر، فهي لا تدل على الخروج عليه، إنما تدل على فضل النطق بالحق عند السلطان على أن يكون هذا الناطق متجردًا لله غير طالبٍ صيتًا أو شُهرةً، وقد قيِّدت هذه النصوص هذا بكونه عند السلطان لا من فوق المنابر، أو من أروقة الشوارع في المظاهرات الغوغائية، أو من خلال الانتخابات الهمجية، ولا يشارك في مثل هذه المظاهرات أو صراعات الانتخابات إلا السفهاء الذين فقدوا عقولهم وامتهنوا دينهم -أو جهلوا دينهم وواقعهم-.

وأما النصوص الحاضّة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فقد قُيِّدت بالقدرة، كما هو موضح في حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه-، حيث قال ﷺ: **«من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فقلبه، وذلك أضعف الإيمان».**

وإنما احتجاجكم بهذه النصوص في غير موضعه هو من جنس احتجاج الخوارج والمعتزلة الذين بنوا أصولهم الباطلة في الخروج على الحكّام وفي تكفير عصاة المسلمين على الفهم الكاسد لهذه النصوص وغيرها.

وهذا خلاف ما عليه كافة علماء السنة وعلى رأسهم: العلامة الألباني، وهذا يضاف إلى جملة المسائل الكبار التي خالف فيها الحويني منهج الألباني، ووافق فيها القطبيين السروريين.

فقد اتفقت كلمة الأكابر على أن المسلمين في حالة من الضعف والتفكك تستلزم منهم إجراء الهدنة والصلح مع اليهود، حتى يلم المسلمون شعثهم ويحصّلوا القدرة الكافية على جهاد اليهود، وقد تقدَّم ذكرُ فتوى الألباني الخاصة بوجوب هجرة المسلمين المستضعفين من فلسطين حفاظًا على دينهم، كما هاجر المستضعفون الأوائل من مكة حفاظًا على دينهم.

وإليك المزيد من فتاوى الألباني وغيره من الأكابر في هذا الشأن التي تثبت لك أن الحويني لا يسير على خطى الألباني السلفي، ولا على خطى الأكابر، إنما يسير على خُطى القطبيين السروريين، ولذلك وقَّع معهم على هذا البيان معلنًا مسايرته لهم في منهجهم ومخالفته لأكابر العلماء السلفيين الذين يريد أتباعه الجهّال حشره معهم بأي طريقة.

***

○ أولاً: فتاوى العلامة الألباني -رحمه الله- في حماس، وفي حكم الانتفاضة وقتال اليهود:

سئل الألباني -رحمه الله- كما في (شريط ١٣٢ من سلسلة الهدى والنور): **ما حكم ما يسمى بالانتفاضة في فلسطين؟**

الشيخ: أنا خلاف جماهير الناس الذين يتحدثون عن الانتفاضة **أنا أرى أن هذه الانتفاضة لن تأتي إلاَّ بالدمار**، لأنها تحريكة سياسية وتحريكة لم يستعد لها إطلاقًا، فهذه الحركة أشبه ما تكون عندي بالثورة السورية الأخيرة هذه ضد حافظ الأسد؛ لأنهم قاموا بها دون أن يخططوا لها، وماذا تفعل الانتفاضة مع هؤلاء اليهود المسلحين بكل سلاح ولا تتحرك دولة من الدول العربية لإمداد هذه الانتفاضة من السلاح، **فأنا لا أعتقد أن هذا العمل يجوز شرعًا، فضلاً عن أن أعتقد بأنه سيفيد واقعًا**، فما يقتل يهودي إلا ويقتل مقابله عشرات من [الفلسطينيين]، والمفروض على الجماعة المسلمة أن تدّخر قوتها للساعة التي يجب عليهم أن يتحركوا ويغلب على ظنهم أنهم يستفيدون من حركتهم، ومن هنا يقال في الأمثال العامية: عين ما بتقاوم مخرج، المخرج الآلة التي يطعن بها، والعين من شحم ودم ما تقاوم المخرج، هذا المثال ينطبق تمامًا على إخواننا الفلسطينيين الذين يقابلون الرصاص بأنواعه وأشكاله بالحجارة.

السائل: بالأجسام.

الشيخ: هذه مفهومة، لأنه لمّا بيقابلوهم بالحجارة ما يرمونها إلا بأيديهم -بأجسامهم-...». اهـ

وسئل -رحمه الله- كما في (شريط ٣١٧ من سلسلة الهدى والنور): **اليوم أهلنا في فلسطين في حال صراع مستمر مع اليهود فهل يجوز شرعًا إذا أمسك أحد أهلنا بيهودي هل يجوز أن يقتله؟**

ج: يقتله هنا ولا هناك؛ هناك؛ يا أخي أنتم ما بتشوفوا أنه لا يقتل يهودي إلا ويقتل مقابله عديد من المسلمين، ما رأيتم هؤلاء القتلى من المسلمين أكثر ولا من اليهود.

س: هو من المسلمين لكن لابد من الشغلات هذه حتى نوقع في قلوبهم الرعب.

ج: ... أوردها سعد وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل، تصور ..أنت لو بقي الحال هكذا شو بتكون النتيجة المسلمين عَم بيتفرجوا والفلسطينيون يذبحون، فكيف تكون النتيجة: يُقتل يهودي ويُقتل مقابله عشرة، ويُسجن الألوف، شو تكون النتيجة: يكون انتصار عن اليهود، مو هذا هو الطريق، الحقيقة أن المسلمين الآن أخطؤوا طريق الجهاد،

الجهاد يبدأ بجهاد النفس كما قال -عليه الصلاة والسلام- المجاهد من جاهد هواه لله، لا أقول الحديث المشهور على ألسنة الناس: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، هذا حديث ضعيف، ولكن يغني عنه الحديث الصحيح وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: «**المجاهد من جاهد نفسه لله**». اهـ

وسئل -رحمه الله- كما في (شريط ٣٢٢ من سلسلة الهدى والنور): **هناك سؤال آخر يتعلق بالجهاد أيضًا الآن في فلسطين انتفاضة، وبعض الشباب المسلم يخرج من هذه الظروف يخرج من فلسطين إلى أوروبا بحجة العلم، فهل يجوز ذلك يتركون الانتفاضة وظروف فلسطين، ويخرجون إلى أوروبا لكي يتعلموا مع أنهم هناك الناس في حاجة لهم كبيرة؟**

ج: يا أخي الانتفاضة لا تؤاخذني قد لا ترون رأيي الانتفاضة جهود لم يُتَّخذ لها العدة شأن كثير من الثورات التي قامت في الحجاز في مكة المكرمة في مصر في سوريا، فكانت عاقبتها على المسلمين فسادًا وضعفًا فهذه الانتفاضات التي نسمع بها وأخيرًا في فلسطين كانت غير مهيأ لها الأسباب كما أشرت آنفًا.

لا الأسباب الروحية المعنوية ولا الأسباب المادية، ولذلك فالخروج إذا كان الخروج هربًا فهذا طبعًا ليس جيدًا، أما إذا كان الخروج، كما الذين خرجوا من قبل في سبيل طلب العلم، وكانت نواياهم كما قلنا تحقيق فرض كفائي فلا أرى في ذلك بأسًا؛ لأنني أرى أن الانتفاضة ما دامت الدول الإسلامية لا تمد بالأشخاص ولا بالسلاح، فلا يمكن أن تنجح، وحينئذ فيكون ادخار هذه الأعداد من الشباب التي تُراق دماؤها وتذهب إلى الأرض هدرًا [..] المطلوب أولى من إضاعتها سدى هكذا».

وأما عن قولهم في البند الرابع: «هؤلاء الذين اتخذوا طريق الجهاد والمقاومة طريقًا لهم وحملوا أرواحهم على أكفهم...»، وهم يشيرون بهذا إلى حماس، فقد كفانا مؤنة الرد عليه العلامة الألباني أيضًا حينما قال مبيِّنًا حقيقة هؤلاء الذين مدحوهم بغير ما يستحقون، حيث سئل كما في (شريط ٤٨٩ من سلسلة الهدى والنور) (الدقيقة الخامسة والخمسون وعشرون ثانية ٢٠ : **٥٥**): السائل: إذا كان هناك قادة لهم عسكريون وأوعزوا إلى بعض الأفراد أنْ يُهاجموا فئة من اليهود؟

الشيخ: الله يهدينا وإيّاكم، **الحركة القائمة اليوم في الضفة هذه حركة ليست إسلامية شئتم أو أبيتم**، لأنّهم لو أرادوا الخروج لأعدوا له عدّته، أين العدّة؟؟ العالم الإسلامي كله يتفرج وهؤلاء يُقتّلون ويُذبّحون ذبح النعاج والأغنام، ثمّ نريد أن نبني أحكامًا كأنّها صادرة من خليفة المسلمين، ومن قائد الجيش الذي أمّره هذا الخليفة، ونيجي .... لجماعة مثل جماعة حماس هذه، نعطيهم الأحكام الإسلامية، ما ينبغي هذا بارك الله فيكم، نحن نرى أنّ هؤلاء الشباب يجب أنْ يحتفظوا بدمائهم ليوم الساعة، مش الآن..». اهـ

***

○ **ثانيًا: فتاوى الإمام ابن باز -رحمه الله- في حكم الصلح مع اليهود:**

سئل الإمام ابن باز -رحمه الله-: «**يختلف الفلسطينيون في مواقفهم من عملية السلام، فحماس تعارض وتدعو للمقاومة، والسلطة الفلسطينية موافقة، وأغلب الشارع كما يبدو مع السلطة، فمن تلزم الناس طاعته؟ وما هو موقفنا نحن في الخارج؟.. نرجو بيان الحق؛ لأن هناك أخطارًا بأن ينشب القتال بين الفلسطينيين أنفسهم؟**

وفي ختام الحديث مع سماحتكم وبما جعل الله لكم من محبة وقبول في قلوب الناس، أرجو أن يوجه سماحتكم كلمة لأبناء هذه الأمة يكون فيها ما يكفل سعادتهم في الدنيا والآخرة، ويكفل رفعة الدين وأهله، وفقنا الله وإياكم لكل خير آمين.

فأجاب الشيخ -رحمه الله رحمة واسعة- قائلاً: «ننصح الفلسطينيين جميعًا بأن يتفقوا على الصلح، ويتعاونوا على البر والتقوى. حقنًا للدماء، وجمعًا للكلمة على الحق، وإرغامًا للأعداء الذين يدعون إلى الفرقة والاختلاف، وعلى الرئيس وجميع المسئولين أن يحكموا شريعة الله، وأن يلزموا بها الشعب الفلسطيني، لما في ذلك من السعادة والمصلحة العظيمة للجميع، ولأن ذلك هو الواجب الذي أوجبه الله على المسلمين عند القدرة، كما في قوله سبحانه في سورة المائدة: ﴿وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ إلى أن قال سبحانه: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٤٩، ٥٠]...إلخ».

وسئل بعدها -رحمه الله-: **فهم بعض الناس من إجابتكم على سؤال الصلح مع اليهود -وهو السؤال الأول في المقابلة- أن الصلح أو الهدنة مع اليهود المغتصبين للأرض،**

والمعتدين جائز على إطلاقه، وأنه يجوز مودة اليهود ومحبتهم، ويجب عدم إثارة ما يؤكد البغضاء والبراءة منهم في المناهج التعليمية في البلاد الإسلامية، وفي أجهزة إعلامها، زاعمين أن السلام معهم يقتضي هذا، وأنهم ليسوا بعد معاهدات السلام أعداء يجب اعتقاد عداوتهم، ولأن العالم الآن يعيش حالة الوفاق الدولي والتعايش السلمي، فلا يجوز إثارة العداوة الدينية بين الشعوب، فنرجو من سماحتكم التوضيح؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله رحمة واسعة- قائلاً: «الصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفرة لا يلزم منه مودتهم ولا موالاتهم، بل ذلك يقتضي الأمن بين الطرفين، وكف بعضهم عن إيذاء البعض الآخر، وغير ذلك، كالبيع والشراء، وتبادل السفراء.. وغير ذلك من المعاملات التي لا تقتضي مودة الكفرة ولا موالاتهم.

وقد صالح النبي ﷺ أهل مكة، ولم يوجب ذلك محبتهم ولا موالاتهم، بل بقيت العداوة والبغضاء بينهم، حتى يسر الله فتح مكة عام الفتح ودخل الناس في دين الله أفواجًا، وهكذا صالح النبي ﷺ يهود المدينة لما قدم المدينة مهاجرًا صلحًا مطلقًا، ولم يوجب ذلك مودتهم ولا محبتهم، لكنه -عليه الصلاة والسلام- كان يعاملهم في الشراء منهم والتحدث إليهم، ودعوتهم إلى الله وترغيبهم في الإسلام، ومات ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي في طعام اشتراه لأهله، ولما حصل من بني النضير من اليهود الخيانة أجلاهم من المدينة -عليه الصلاة والسلام-، ولما نقضت قريظة العهد ومالؤوا كفار مكة يوم الأحزاب على حرب النبي ﷺ قاتلهم النبي ﷺ فقتل مقاتلتهم، وسبى ذريتهم ونساءهم، بعدما حكم سعد بن معاذ -رضي الله عنه- فيهم فحكم بذلك، وأخبر النبي ﷺ أن حكمه قد وافق حكم الله من فوق سبع سماوات. وهكذا المسلمون من الصحابة ومن بعدهم، وقعت الهدنة بينهم - في أوقات كثيرة- وبين الكفرة من النصارى وغيرهم فلم يوجب ذلك مودة، ولا موالاة ....

ومِمَّا يدل على أن الصلح مع الكفار من اليهود وغيرهم إذا دعت إليه المصلحة أو الضرورة لا يلزم منه مودة، ولا محبة ولا موالاة: أنه ﷺ لما فتح خيبر صالح اليهود فيها على أن يقوموا على النخيل والزروع التي للمسلمين بالنصف لهم والنصف الثاني للمسلمين، ولم يزالوا في خيبر على هذا العقد، ولم يحدد مدة معينة، بل قال ﷺ: «نقركم

على ذلك ما شئنا»، وفي لفظ: «نقركم ما أقركم الله» فلم يزالوا بها حتى أجلاهم عمر -رضي الله عنه-، وروي عن عبد الله بن رواحة -رضي الله عنه- أنه لما خرص عليهم الثمرة في بعض السنين قالوا: (إنك قد جرت في الخرص، فقال -رضي الله عنه-: والله إنه لا يحملني بغضي لكم ومحبتي للمسلمين أن أجور عليكم، فإن شئتم أخذتم بالخرص الذي خرصته عليكم، وإن شئتم أخذناه بذلك). وهذا كله يبين أن الصلح والمهادنة لا يلزم منها محبة، ولا موالاة، ولا مودة لأعداء الله كما يظن ذلك بعض من قلَّ علمه بأحكام الشريعة المطهرة. وبذلك يتضح للسائل وغيره أن الصلح مع اليهود أو غيرهم من الكفرة لا يقتضي تغيير المناهج التعليمية، ولا غيرها من المعاملات المتعلقة بالمحبة والموالاة، والله ولي التوفيق».

وسئل أيضًا: هل تعني الهدنة المطلقة مع العدو إقراره على ما اقتطعه من أرض المسلمين في فلسطين، وأنها قد أصبحت حقًّا أبديًّا لليهود بموجب معاهدات تصدق عليها الأمم المتحدة التي تمثل جميع أمم الأرض، وتخول الأمم المتحدة عقوبة أي دولة تطالب مرة أخرى باسترداد هذه الأرض أو قتال اليهود فيها؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله رحمة واسعة- قائلاً: «الصلح بين ولي أمر المسلمين في فلسطين وبين اليهود لا يقتضي تمليك اليهود لما تحت أيديهم تمليكًا أبديًّا، وإنما يقتضي ذلك تمليكهم تمليكًا مؤقتًا حتى تنتهي الهدنة المؤقتة أو يقوى المسلمون على إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة، **وهكذا يجب قتالهم عند القدرة** حتى يدخلوا في دين الإسلام أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، وهكذا النصارى والمجوس؛ لقول الله سبحانه في سورة التوبة: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩]، وقد ثبت في الصحيح عنه ﷺ أنه أخذ الجزية من المجوس، وبذلك صار لهم حكم أهل الكتاب في أخذ الجزية فقط إذا لم يسلموا.

أما حل الطعام والنساء للمسلمين فمختص بأهل الكتاب، كما نص عليه كتاب الله سبحانه في سورة المائدة، وقد صرح الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسير قوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ ۞ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا ﴾ [الأنفال: ٦١] الآية، بمعنى ما ذكرنا في شأن الصلح».

وقال -رحمه الله- في «إيضاح وتعقيب على انتقاد يوسف القرضاوي فتوى حول الصلح مع اليهود»:

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا إيضاح وتعقيب على مقال فضيلة الشيخ: يوسف القرضاوي المنشور في مجلة «المجتمع» العدد (١١٣٣) الصادرة يوم (٩) شعبان (١٤١٥هـ)، الموافق (١٠/١/١٩٩٥م) حول الصلح مع اليهود، وما صدر مني في ذلك من المقال المنشور في صحيفة «المسلمون» الصادرة في يوم (٢١) رجب (١٤١٥هـ) جوابًا لأسئلة موجهة إليَّ من بعض أبناء فلسطين، وقد أوضحت أنه لا مانع من الصلح معهم إذا اقتضت المصلحة ذلك؛ ليأمن الفلسطينيون في بلادهم، ويتمكنوا من إقامة دينهم.

وقد رأى فضيلة الشيخ يوسف أن ما قلته في ذلك مخالف للصواب؛ لأن اليهود غاصبون فلا يجوز الصلح معهم، إلى آخر ما ذكره فضيلته. وإنني أشكر فضيلته على اهتمامه بهذا الموضوع ورغبته في إيضاح الحق الذي يعتقده، ولا شك أن الأمر في هذا الموضوع وأشباهه هو كما قال فضيلته يرجع فيه للدليل.....

ولكن ما ذكرناه في الصلح مع اليهود قد أوضحنا أدلته، وأجبنا عن أسئلة وردت إلينا في ذلك من بعض الطلبة بكلية الشريعة في جامعة الكويت، وقد نشرت هذه الأجوبة في صحيفة «المسلمون» الصادرة في يوم الجمعة (١٩/٨/١٤١٥هـ)، الموافق (٢٠/١/١٩٩٥م)، وفيها إيضاح لبعض ما أشكل على بعض الإخوان في ذلك.

ونقول للشيخ يوسف وفقه الله وغيره من أهل العلم: إن قريشًا قد أخذت أموال المهاجرين ودورهم، كما قال الله سبحانه في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحشر: ٨]، ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشًا يوم الحديبية سنة ست من الهجرة، ولم يمنع هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم؛ مراعاة للمصلحة العامة التي رآها النبي ﷺ لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم، ولمن يرغب الدخول في الإسلام.

ونقول أيضًا جوابًا لفضيلة الشيخ يوسف عن المثال الذي مثل به في مقاله وهو لو أن إنسانًا غصب دار إنسان وأخرجه إلى العراء ثم صالحه على بعضها، أجاب الشيخ يوسف: أن هذا الصلح لا يصح.

وهذا غريب جدًّا، بل هو خطأ محض، ولا شك أن المظلوم إذا رضي ببعض حقِّه، واصطلح مع الظالم في ذلك فلا حرج؛ لعجزه عن أخذ حقه كله، وما لا يدرك كله لا يترك كله، وقد قال الله -عز وجل-: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾، وقال سبحانه: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾، ولاشك أن رضا المظلوم بحجرة من داره أو حجرتين أو أكثر يسكن فيها هو وأهله، خير من بقائه في العراء.

أما قوله -عز وجل-: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٥]، فهذه الآية فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم وأقدر على أخذ حقه، فإنه لا يجوز له الضعف، والدعوة إلى السلم، وهو أعلى من الظالم وأقدر على أخذ حقه، أما إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية فلا بأس أن يدعو إلى السلم، كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير -رحمه الله- في تفسيره هذه الآية، وقد دعا النبي ﷺ إلى السلم يوم الحديبية؛ لما رأى أن ذلك هو الأصلح للمسلمين والأنفع لهم، وأنه أولى من القتال، وهو -عليه الصلاة والسلام- القدوة الحسنة في كل ما يأتي ويذر؛ لقول الله -عز وجل-: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] الآية.

ولمَّا نقضوا العهد وقدر على مقاتلتهم يوم الفتح غزاهم في عقر دارهم، وفتح الله عليه البلاد، ومكنه من رقاب أهلها حتى عفا عنهم، وتم له الفتح والنصر ولله الحمد والمنة.

فأرجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم إعادة النظر في هذا الأمر بناء على الأدلة الشرعية، لا على العاطفة والاستحسان، مع الاطلاع على ما كتبته أخيرًا من الأجوبة الصادرة في صحيفة «المسلمون» في (١٤١٥/٨/١٩هـ)، الموافق (١٩٩٥/١/٢٠م)، وقد أوضحت فيها أن الواجب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية، إن كانوا من أهلها، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وعند العجز عن ذلك لا حرج في الصلح على وجه ينفع المسلمين ولا يضرهم؛ تأسيًا

بالنبي ﷺ في حربه وصلحه، وتمسكًا بالأدلة الشرعية العامة والخاصة، ووقوفًا عندها، فهذا هو طريق النجاة وطريق السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة». اهـ

* * *

○ **ثالثًا: فتوى العلامة مقبل بن هادي -محدِّث الديار اليمنية -رحمه الله- في حماس:**

سئل الشيخ مقبل -رحمه الله- كما في تحفة المجيب (ص ١٤٥):

ما رأيكم في الجهاد الإسلامي وحركة المقاومة الإسلامية حماس في الأراضي العربية المحتلة في فلسطين؟

فأجاب -رحمه الله تعالى-: «**أما جماعة حماس فهي جماعة حزبية** لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، وتنكر على أهل السنة ولو حصل لهم نصر لفعلوا كما فُعل في أفغانستان يوجه بعضهم إلى بعض المدفع والرشاش؛ لأنهم ليسوا على قلب واحد».

* * *

○ **رابعًا: فتاوى العلامة أحمد النجمي -رحمه الله- مفتي جنوب المَملكة العربية السعودية:**

في حوار مع الشيخ -رحمه الله- بتاريخ (١٤٢٧/١٢/٩هـ) سئل الأسئلة التالية، وقد اخترنا منها الأسئلة المتعلقة بموضوعنا:

هل تعتبر حماس ولاة أمر بالنسبة لنا، كونهم هم الحكومة و هل يجب طاعتهم وعدم التكلم ببدعهم و ضلالاتهم من باب عدم استغابة الحُكَّام؟

الشيخ: حسبنا الله ونعم الوكيل، حسبنا الله ونعم الوكيل.

السؤال السادس: يقول: هل الخروج على الحكومة الفلسطينية التي تقودها حماس، طالما أن الموظفين لم يستلموا رواتبهم منذ شهر؟

الشيخ: على كل حال هم يطالبون برواتبهم، ويطلبون منهم أن يفسحوا لهم المجال على الأقل في الدعوة السلفية، وأن لا يعارضوهم في الدعوة السلفية، بل يتركون لهم حرية الدعوة إلى الله -عز وجل-، ولا يمنعوهم من ذلك، ولا شك أن أصحاب الحزبيات هؤلاء معروف عنهم أنهم إذا صارت لهم السلطة فهم لا يريدون أحدًا أن يتكلم في سلطتهم الحزبية، نعم.

السؤال السابع : يقول؛ ما هو حكم الشرع بالإضراب القائم في فلسطين وخاصة في ما يتعلق بالمدارس والمستشفيات؟

الشيخ: **الإضراب ليس من الشرع الإسلامي**، الإضراب ليس من الشرع الإسلامي وإنما هو من الأوضاع التي أخذت عن الكفار.

السؤال الثامن: يقول؛ من أخطر على الاعتقاد الصحيح هل هي حماس الإخوانية، أم فتح العلمانية، من أخطر من هاتين الجماعتين؟

الشيخ : كلاهما خطير، كلاهما خطير.

السؤال السادس عشر : ما حكم موالاة البعض من السنة للرافضة، مثل موالاة حماس لحزب الله في لبنان؟

الشيخ: **حماس ليست من أهل السنة**[1]، حتى يقال: البعض من أهل السنة يوالون للرافضة، ما يعدون من السنة. انتهى

* * *

وأقول: إن الموقعين على البيان -ومنهم الحويني- في وصفهم جنود حماس بأنهم يحملون أرواحهم على أكفهم، وبأنهم من الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، قد ألقوا وراء ظهورهم فتاوى هؤلاء الأكابر ولم يرفعوا لها رأسًا، وغشوا المسلمين بهذا الثناء على هذه الفئة، وكتموا حقائق هذه الفئة الباغية[2]، مِمَّا يضطرنا إلى كشف النقاب عن هذه الحقائق نصحًا لهذا الشباب الذي ضيَّع حياته بسبب غش هؤلاء وعدم تجليتهم للحقائق، وتلميعهم لأهل الباطل.

فنقول أولاً: إن حركة حماس هي حركة إخوانية، كما صرح واضعو ميثاقها بهذا في المادة الثانية من ميثاق الحركة حيث قالوا[3]: **«حركة المقاومة الإسلامية -أي حماس- جناح من أجنحة**

---

(١) أي: أهل السُّنة الخُلَّص من أهل الفرقة الناجية والطائفة المنصورة.

(٢) ومِمَّن أيضًا شارك في هذا الكتمان والغش: ياسر برهامي، وذلك في مقال له بعنوان: «قوافل الطغيان على طريق غزة».

(٣) كما في ميثاق حركة المقاومة الإسلامية حماس- فلسطين (١) محرم (١٤٠٩- ١٨ آب ١٩٨٨- ص٧) وهو الملحق بـ«حماس الجذور التاريخية»، تأليف د: عبد الله عزام- الطبعة الأولى عام (١٤٠٩هـ).

الإخوان المسلمين بفلسطين، وحركة الإخوان المسلمين تنظيم عالمي، وهي كبرى الحركات الإسلامية في العصر الحديث ...»، ثم أخذوا يمجدون حزب الإخوان بما ليس فيه.

وعليه، فإنه يتنزل عليها فتاوى أكابر أهل العلم في التحذير من حزب الإخوان، والتي ذكرت أغلبها في «الكواشف الجلية»، و«دفع بغي الجائر الصائل».

وأهم هذه الفتاوى فتاوى الإمامين ابن باز والألباني، والتي صرَّحا فيها بإخراج حزب الإخوان عن الفرقة الناجية، واعتباره من الفرق الثنتين والسبعين الخارجة عن أهل السنة والجماعة.

سئل سماحة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز -رحمه الله تعالى-: أحسن الله إليك، حديث النَّبِي ﷺ في افتراق الأمم قوله: «**ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة إلاَّ واحدة**»، **فهل جماعة التبليغ على ما عندهم من شركيات وبدع، وجماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولاة الأمور وعدم السمع والطاعة، هل هاتين الفرقتين تدخل في الفِرَق الهالكة؟**

فأجاب -غفر الله تعالى له وتغمده بواسع رحمته-:

تدخل في الثنتين والسبعين، من خالف عقيدة أهل السنة دخل في الثنتين والسبعين، المراد بقوله: «أمتي» أي: أمة الإجابة، أي استجابوا له وأظهروا اتباعهم له، ثلاث وسبعين فرقة: الناجية السليمة التي اتبعته واستقامت على دينه، واثنتان وسبعون فرقة فيهم الكافر وفيهم العاصي وفيهم المبتدع أقسام.

فقال السائل: يعني: هاتين الفرقتين من ضمن الثنتين والسبعين؟

فأجاب: نعم، من ضمن الثنتين والسبعين، والمرجئة وغيرهم، المرجئة والخوارج بعض أهل العلم يرى الخوارج من الكفار خارجين، لكن داخلين في عموم الثنتين والسبعين[1].

---

(١) كانت هذه الفتوى في إحدى دروس الشيخ في شرح المنتقى في الطائف، وكانت قبل وفاته -رحمه الله- بسنتين أو أقل.

وقال العلامة الألباني -رحمه الله-: «**ليس صوابًا أن يُقال إن الإخوان المسلمين هم من أهل السنة؛ لأنهم يُحاربون السنة**»[1]. اهـ

وقال -رحمه الله- في معرض تحذيره من جماعة التبليغ في فتوى سوف تأتي -إن شاء الله-: «ولذلك فهم -أي: جماعة التبليغ- أشبه ما يكونون بجماعة الإخوان المسلمين؛ فهم يقولون إن دعوتَهم قائمة على الكتاب والسنة، ولكون هذا مجرد كلام، فهم لا عقيدة تجمعهم، فهذا ماتريدي، وهذا أشعري، وهذا صوفي، وهذا لا مذهب له.

ذلك لأن دعوتَهم قائمة على مبدأ: كتِّل جَمِّع ثم ثقِّف، والحقيقة أنه لا ثقافة عندهم، فقد مرَّ عليهم أكثر من نصف قرن من الزمان ما نبغ فيهم عالم.

وأما نحن فنقول: ثقِّف ثم جَمِّع، حتى يكون التجميع على أساس مبدأ لا خلاف فيه».

وإليكم هذا المقال النادر لآخر محدثي مصر العلامة أحمد شاكر، وفيه يحكم حكمًا شديدًا على منفذي عمليات الاغتيال السياسي من الإخوان، حيث إنه عقب مقتل رئيس الوزراء المصري السابق النقراشي على أيدي حزب الإخوان المسلمين، كتب العلامة أحمد شاكر مقالاً في «الأساس» بتاريخ (١٤٤٩/١/٢) سماه بـ**(الإيمان قيد الفَتْك)**[2]، قال فيه:

«روِّع العالم الإسلامي والعالم العربي بل كثير من الأقطار غيرهما باغتيال الرجل، الرجل بمعنى الكلمة النقراشي -الشهيد غفر الله له، وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين[3]-.

---

(١) من شريط حول جماعة التبليغ والإخوان: من تسجيلات منهاج السنة في الرياض.

(٢) جمهرة مقالات العلامة أحمد شاكر (٤٧٢-٤٧٥).

وأشكر للشيخ عادل السيد -بارك الله فيه- دلالتي على هذا المقال.

(٣) وهذا الثناء من العلامة أحمد شاكر على النقراشي -رئيس الوزراء الأسبق-، يدل على أنه لَم يكن يُكفِّر طبقة الحكام دون تفصيل، كما يدَّعي عليه دعاة القطبية، ويحتجُّون بفتاوى مطلقة له في تكفير مَن يَحكم بالقوانين الوضعية، وتناسوا الفارق بين الإطلاق والتعيين في كلام أهل العلم، وأنه لَم يثبت أن العلامة أحمد شاكر -رحمه الله- قد أسقط هذه الفتاوى على أعيان، ودعاؤه هنا للنقراشي بنَيْل الشهادة والمغفرة يدل على أن الشيخ أحمد شاكر ليس على دين قطب وأتباعه، =

وقد سبقت ذلك أحداث قدّم بعضها للقضاء[1]، وقال فيه كلمته وما أنا الآن بصدد نقد الأحكام، ولكني كنت أقرأ كما يقرأ غيري الكلام في الجرائم السياسية وأتساءل: أنحن في بلد فيه مسلمون؟ وقد رأيت أن واجبًا علي أن أبين هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر، **ولعلَّ الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرجوع، وما ندري من ذا بعد النقراشي في قائمة هؤلاء الناس.**

إن الله سبحانه توعد أشد الوعيد على قتل النفس الحرام في غير آية من كتابه: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ [النساء: ٩٣]، وهذا من بديهيات الإسلام التي يعرفها الجاهل قبل العالم وإنما هذا في

=

وإن أصروا على إلباسه الوسام القطبي الخارجي.

والمفترض أن يَخلعوا عنه هذا الوسام بعد فتواه هذه في تكفير أعضاء حزب الإخوان مِمّن استحلوا القتل السياسي.

(١) قال القرضاوي في مذكراته: «وفي اليوم الثامن والعشرين من شهر ديسمبر -أي بعد حلّ الإخوان بعشرين يومًا- وقع ما حذّر منه الإمام البنا، فقد أُذيع نبأ اغتيال رئيس الوزراء ووزير الداخلية والحاكم العسكري العام «محمود فهمي باشا النقراشي»، في قلب عرينه في وزارة الداخلية، أُطلقت عليه رصاصات أودت بحياته.

وكان الذي قام بهذا العمل طالبًا بكلية الطب البيطري بجامعة «فؤاد الأول» بالقاهرة، اسمه «عبد المجيد حسن» أحد طلاب الإخوان، ومن أعضاء النظام الخاص، الذي قُبض عليه في الحال، وأودع السجن، وقد ارتكب فعلته، وهو يرتدي زي ضابط شرطة، لهذا لم يُشك فيه حين دخل وزارة الداخلية، وانتظر رئيس الحكومة، حتى أطلق عليه رصاص مسدسه.

وعُيِّن «إبراهيم باشا عبد الهادي» نائب النقراشي خلفًا له في رئاسة الوزارة، الذي صمَّم على أن يضرب بيد من حديد، وأن ينتقم لسلفه النقراشي.

وقابل بعض شباب الإخوان اغتيال النقراشي بفرحة مشوبة بالحذر؛ لوفاة الرجل الذي ظلمهم وحلَّ جماعتهم، ولكن هل كان في الاغتيال حل للمشكلة؟ لقد أثبت التاريخ أن الاغتيال السياسي لا يحل مشكلة، وأنه كما قال أحد الساسة للشيخ البنا: «إن ذهب عير فعير في الرباط»، والملاحظ أنه كثيرًا ما يكون الخلف أنكى وأقسى من سلفه، وفي هذه القضية كان رد الفعل هو اغتيال حسن البنا؛ ثأرًا للنقراشي؛ فأي خسارة أكبر من فقد حسن البنا؟!».اهـ [المصدر: موقع إسلام أون لاين على النت].

القتل العمد الذي يكون بين الناس في الحوادث والسرقات وغيرها القاتل يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزرًا كبيرًا.

أما القتل السياسي الذي قرأنا جدالاً طويلاً حوله فذاك شأنه أعظم وذلك شيء آخر.

القاتل السياسي يقتل مطمئن النفس راضي القلب يعتقد أنه يفعل خيرًا فإنه يعتقد بما بثَّ فيه من مغالطات أنه يفعل عملاً حلالاً جائزًا إن لم يعتقد أنه يقوم بواجب إسلامي قصَّر فيه غيره، **فهذا مرتد خارج عن الإسلام، يجب أن يعامل معاملة المرتدين، وأن تطبق عليه أحكامهم في الشرائع، وفي القانون هم الخوارج كالخوارج القدماء الذين كانوا يقتلون أصحاب رسول الله**، ويدعون من اعترف على نفسه بالكفر، وكان ظاهرهم كظاهر هؤلاء الخوارج بل خيرًا منه، وقد وصفهم رسول الله بالوحي قبل أن يراهم، وقال لأصحابه: «**يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يُجاوز تراقيهم، يَمرقون من الإسلام كما يَمرق السهم من الرمية**». حديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم، (ج١ - ص٢٩٢، ٢٩٣).

وقال أيضًا: «**سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يُجاوز حناجرهم يَمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية؛ فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة**». حديث علي بن أبي طالب في صحيح مسلم، (ج١ - ص٢٩٣).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة متواترة، **وبديهيات الإسلام تقطع بأن من استحل الدم الحرام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه.**

فهذا حكم القتل السياسي هو أشد من القتل العمد الذي يكون بين الناس، والقاتل قد يعفو الله عنه بفضله وقد يجعل القصاص منه كفارة لذنبه بفضله ورحمته، وأما القاتل السياسي فهو مصرٌّ على ما فعل إلى آخر لحظة من حياته يفخر به ويظن أنه فعل فعل الأبطال، وهناك حديث آخر نصٌّ في القتل السياسي لا يحتمل تأويلاً فقد كان بين الزبير ابن العوام وبين علي بن أبي طالب ما كان من الخصومة السياسية التي انتهت بوقعة الجمل، فجاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال: أقتل لك عليًّا؟ قال: لا وكيف تقتله ومعه الجنود؟

قال: الحق به فأفتك به، قال: لا إن رسول الله ﷺ قال: «إن الإيمان قيد الفتك[1]، لا يفتك مؤمن؟!!».

حديث الزبير بن العوام رقم (١٤٢٩) من مسند الإمام أحمد بن حنبل: بتحقيقنا.

أي: أن الإيمان يقيد المؤمن عن أن يتردى في هوة الردة، فإن فعل لم يكن مؤمنًا[2].

أما النقراشي فقد أكرمه الله بالشهادة وله فضل الشهداء عند الله وكرامتهم، وقد مات ميتة كان يتمناها كثير من أصحاب رسول الله ﷺ[3]، تمناها عمر بن الخطاب حتى نالها فكان له عند الله المقام العظيم والدرجات العلى، وإنما الإثم والخزي على هؤلاء الخوارج القَتَلة مُستحلي الدماء[4]، وعلى منَ يدافع عنهم ويريد أن تتردى بلادنا في الهوة التي تردت فيها أوربا بإباحة القتل السياسي أو تخفيف عقوبته؛ فإنهم لا يعلمون ما يفعلون ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون، والهدى هدى الله». اهـ

قلت: وقد علّق محمد الغزالي على هذه الفتوى في مقدّمة كتابه «من هنا نعلم»

---

(١) قال ابن الأثير في النهاية (ص٦٩١-ط ابن الجوزي): «الفتك: أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌ غافل فيشد عليه فيقتله، وأما الغيلة فهو: أن يخدعه ثم يقتله في موضع خفي». اهـ

(٢) هذا الفهم من العلامة أحمد شاكر -رحمه الله- فيه نظر حيث إن هذا الحديث يجري على منوال حديث: «لا إيمان لمن لا أمانة له»، وحديث: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن»، ونحوهما من الأحاديث، والتي لا تعني نفي أصل الإيمان إنما المنفي هو الإيمان الواجب.

والقول بتكفير الخارجي الذي يقتل المسلمين قول قديم، قال به البعض لكن كما قال الحافظ الفتح (١٢/ ٣٠٠): «وذهب أكثر أهل الأصول من أهل السنة إلى أن الخوارج فسّاق وأن حكم الإسلام يجري عليهم لتلفظهم بالشهادتين ومواظبتهم على أركان الإسلام، وإنما فسقوا بتكفيرهم المسلمين مستندين إلى تأويل فاسد وجرهم ذلك إلى استباحة دماء مخالفيهم وأموالهم والشهادة عليهم بالكفر والشرك، وقال الخطابي: أجمع علماء المسلمين على أن الخوارج مع ضلالتهم فرقة من فرق المسلمين وأجازوا مناكحتهم وأكل ذبائحهم وأنهم لا يكفرون متمسكين بأصل الإسلام».اهـ

وتوقف الإمام أحمد فيهم وسماهم بـ«المارقة»، لما قيل له: أكفارٌ هم؟ قال: هم مارقة مرقوا من الدين، كما في السنة للخلال (١١١).

(٣) يُحمل هذا الكلام للعلامة أحمد شاكر على الرجاء والتمني والدعاء للنقراشي بنَيْل الشهادة، لا على الجزم له بها.

(٤) يقصد المنتمين إلى حزب الإخوان الذين يحملون هذا الفكر.

(ص١٢)[1] قائلاً: «إننا نعرف أن الشيخ أحمد شاكر القاضي بالمحاكم الشرعية أصدر فتوى بأن الإخوان المسلمين كفَّار!! وأن من قتلهم كان أولى بالله منهم (كذا)[2]، والرجل الذي يصدر هذه الفتوى كان أن ينبغي أن يطرد من زمرة العلماء، ومع ذلك فلا نحسب أحدًا أجرى معه تحقيقًا». اهـ

قلت: كـذا حكم الغزالي على العلامة المحدث أحمد شاكر، وهو الأولى بهذا الحكم منه لجنايته الواضحة على السنة وأهلها كما تراه واضحًا في آخر كتبه الذي سماه «السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث».

والعجيب أن الغزالي نفسه لما بان المكتوم من خطط الإخوان السرية وناله منها شيءٌ من الأذى قلب رأس المجن، وكاد بلسان مقاله أن يوافق الشيخ أحمد شاكر في حكمه على هذا الحزب الضال؛ فألَّف الغزالي كتابه: «من معالم الحقِّ في كفاحنا الإسلامي الحـديث»، الذي فضح فيه خبايا الإخوان وأظهر سوأتهم القبيحة التي تفضح خبيء مكرهم السيئ.

وفي تقرير رفعه العلامة أحمد شاكر إلى الملك عبد العزيز آل سعود -رحمه الله- سمَّاه «تقرير عن شئون التعليم والقضاء» (ص٤٨) نقل كلامًا لأحد رموز الأحزاب السياسية ورد في جريدة المصري، هذا نصُّه: «ولقد حاول البعض أخيرًا خلط الدين بالسياسة ودعا إلى جعل القرآن الكريم أساسًا للتشريع، فما جنينا من هذه التجربة غير الشر المستطير الذي نعاني بأسه حتى الآن».

قال العلامة أحمد شاكر معلِّقًا على هذا الكلام: «يريد سعادته حركة الشيخ حسن البنا وإخوانه المسلمين الذين قلبوا الدعوة الإسلامية إلى دعوة إجرامية هدَّامة ينفق عليها الشيوعيون واليهود، كما نعلم ذلك علم اليقين».

وقال العلامة صالح اللحيدان -حفظه الله-: «الإخوان وجماعة التبليغ ليسوا من أهل المناهج الصحيحة؛ فإن جميع الجماعات، والتسميات ليس لها أصل في سلف هذه الأمة».

(١) طبعة مكتبة نهضة مصر - إبريل ٢٠٠٦.
(٢) وهذا اعتراف من الغزالي بأن الإخوان هم قَتَلة النقراشي.

وسئل العلامة صالح الفوزان -حفظه الله- كما في كتاب «الأجوبة المفيدة على أسئلة المناهج الجديدة»:

س٤٠: هل دعوة الشيخ: محمد بن عبد الوهاب، دعوة إسلامية حزبية؛ كجماعة الإخوان المسلمين، والتبليغ؟ وما نصيحتكم لمن يقول هذا الكلام، وينشره في الكتب؟

ج: **أنا أقول**: إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله- على منهج السلف الصالح في الأصول والفروع، ليس القصد منها التحيّز لجماعة غير ما كان عليه أهل السنة والجماعة سلفًا وخلفًا.

أمّا جماعة الإخوان المسلمين والتبليغ، وجماعة كذا وكذا فنحن ندعوهم جميعًا إلى أن يردوا مناهجهم إلى كتاب الله وإلى سنة رسوله ﷺ، وإلى هدي وفهم السلف الصالح، وبعرضها على ذلك، فما وافق فالحمد لله وما خالف فإنه يُصحح الخطأ، هذا الذي ندعوا إليه»[1].

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا في تقديمه لكتابي «التفجيرات من منهج الخوارج»: «ومن تأصيلات البنا الفاسدة قوله: إن كل الفرق المنتسبة إلى الإسلام على حق، ولذلك كان حزبه يجمع بين الصوفي، والشيعي، والخارجي، والأشعري».

وقال العلامة عبد المحسن العبّاد -حفظه الله-: «فمثلاً جماعة الإخوان من دخل معهم فهو صاحبهم، يوالونه ومن لم يكن معهم فإنهم يكونون على خلاف معه، أما لو كان معهم ولو كان من أخبث خلق الله ولو كان من الرافضة، فإنه يكون أخاهم ويكون صاحبهم، ولهذا من مناهجهم أنهم يجمعون من هبّ ودبّ حتى الرافضي الذي هو يبغض الصحابة، ولا يأخذ بالحق الذي جاء عن الصحابة إذا دخل معهم في جماعتهم فهو صاحبهم ويُعتبر واحدًا منهم له ما لهم وعليه ما عليهم»[2]. اهـ

***

قلت: وقد تقدم ذكر تحذير العلماء من حماس بعينها، مِمّا لم يرفع له الحويني رأسًا، بدليل توقيعه على هذا البيان، وعدم تعرضه البتّة إلى الإشارة لفتاوى هؤلاء الأكابر في

---

(١) وللمزيد انظر عن حكم التحزب انظر: «جماعة واحدة لا جماعات» للعلامة ربيع.

(٢) فتاوى العلماء في الجماعات وأثرها على بلاد الحرمين -من تسجيلات منهاج السنة في الرياض-.

حزب الإخوان وفي حماس، ولو على الأقل فتاوى الإمام الألباني الذي يتمسح به، ويتشدق بثنائه عليه.

قلت: وقد ادَّعى أعضاء حماس في ميثاق الحركة ما يلي في المادة الخامسة من الميثاق:

بُعد حركة المقاومة الإسلامية الزماني: باتخاذها الإسلام منهج حياة لها، يمتد إلى مولد الرسالة الإسلامية، والسلف الصالح، فالله غايتها والرسول قدوتها والقرآن دستورها.

وبعدها المكاني: حيثما تواجد المسلمون الذين يتخذون الإسلام منهج حياة لهم، في أي بقعة من بقاع الأرض، فهي بذلك تضرب في أعماق الأرض وتمتد لتعانق السماء.

وفي المادة الثامنة: شعار الحركة الإسلامية حماس: الله غايتها، والرسول قدوتها، والقرآن دستورها، والجهاد سبيلها، والموت في سبيل الله أسمى أمانيها.

قلت: وهذا هو شعار حزب الإخوان منذ نشأته على يد حسن البنا.

فهل حقَّقت حماس ما ادَّعته في هذين المادتين من ميثاقها؟ هل بالفعل اتخذت حماس الإسلام منهجًا للحياة، وجعلت الله غايتها والقرآن دستورها والجهاد سبيلها؟

أم أنها خالفت هذا الشعار وانطبق عليها قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقول رسول الله ﷺ: «**المتشبع بما لم يُعط كلابس ثوبي زور**»[١].

سوف يظهر لنا من التصريحات التالية لهم انطباق الآية والحديث عليهم، فمنذ نشأتها يصرِّح قادتها والمتحدثون باسمها بتصريحات تؤكد عدم التزامهم بما دوّنوه في ميثاقهم، وإليك طائفة من هذه التصريحات:

قال أحمد ياسين -مؤسس حركة حماس-[٢]: «إحنا بنطلب حقنا ما بنطلب أكثر من **حقنا إحنا ما بنكره اليهود**، ونقاتل اليهود لأنهم يهود، اليهود أهل دين وإحنا أهل دين، **إحنا بنحب كل الأديان** أخوي هذا إلِّي مع أمي وأبوي لو أخذ بيتي وطردني أنا أقاتله أنا أقاتل

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢١)، ومسلم (٢١٢٩) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.
(٢) كلمة مسجلة بصوته منشورة على الشبكة العنكبوتية.

أخوي أقاتل ابن عمي إذا أخذ بيتي وطردني فلما اليهودي يأخذ أرضي وبيتي ويطردني منه كمان أنا أقاتله، أنا ما أقاتل أمريكا ولا بريطانيا ولا كل الناس الأخرى **أنا كل الناس معهم في سلام بحب الخير لكل الناس كما أحب الخير لليهود**»[1].

---

(١) هذه العقيدة التي صرَّح بها أحمد ياسين تجاه اليهود من أنهم أصحاب دين محترم، وأنه يحب كل الأديان، وأنه لا يبغضهم لدينهم، وإنما يبغضهم لاحتلالهم الأرض، إنما هي العقيدة التي ربى عليها حسن البنا أتباع حزبه، ومن ثَمَّ اتفقت كلمات رءوس هؤلاء الأتباع على مر السنين على هذه العقيدة الفاسدة المناقضة لصريح القرآن الذي صرح بوجوب بغض اليهود والنصارى وسائر الكفار لكفرهم بالله لا لعدوانهم على الأرض وما شاكل ذلك من دعاوى أصحاب الوطنية والقومية، وإليك ما يؤكد هذا:

قال حسن البنا كما في كتاب «الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ» (١/ ٤٠٩-٤١٠) أمام لجنة التحقيق البريطانية الأمريكية: «**فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست خصومة دينية**؛ لأن القرآن حض على مصافاتهم ومصادقتهم والإسلام شريعة إنسانية قبل أن يكون شريعة قومية وقد أثنى عليهم وجعل بيننا وبينهم اتفاقًا». اهـ

قلت: وهذه إحدى كذبات حسن البنا على القرآن وشريعة الإسلام.

وقال القرضاوي في حديث نشر في جريدة الراية القطرية العدد (٤٦٩٦): «إننا لا نقاتل اليهود من أجل العقيدة وإنما نقاتلهم من أجل الأرض ...».

وقال القرضاوي في برنامج حوار مفتوح: «الخطاب الديني والعلاقة مع الغرب» (الأربعاء ٢٤ نوفمبر ٢٠٠٤): «**وبعدين لا نقاتل اليهود لأنهم يهود** بالعكس نحن نعتبرهم أهل كتاب نحن عندنا أهل الكتاب لهم منزلة خاصة أباح الإسلام مآكلتهم ومصاهرتهم يعني أباح للمسلم أن يتزوج اليهودية ويتزوج النصرانية تكون ربة بيته وشريكة حياته ويكون أهلها أصهار له يعني أجداد أولاده وجداتهم وأخواله...

غسان بن جدو [مقاطعًا]: طيب أين المشكلة إذًا مع اليهود؟

فاستطرد يوسف القرضاوي قائلاً: فلسنا نعادي اليهود لأنهم يهود بالعكس أنا أقول لك **اليهود من الناحية الدينية أقرب إلى المسلمين من النصارى**، يعني المسلمين من ناحية النصارى من ناحية التعامل أقرب ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً﴾ إنما مثلاً اليهود يختنون والنصارى لا يختنون أقرب إلى أنه اليهود يذبحون والنصارى لا يهتمون بذلك، اليهود يحرمون الخنزير، اليهود يحرمون التماثيل، يعني نحن نشترك معهم أقرب إلينا ما ليست المشكلة وبعدين اليهود كانوا في بلاد المسلمين وكانوا يعيشون سادة ومن كبار الأغنياء هكذا شاهدناهم في مصر وفي غيرها، بدأت المشكلة منذ متى منذ دخلوا فلسطين وجاءوا من أوروبا ومن أميركا ومن روسيا ومن غيرها وأرادوا أن يأخذوا =

قلت: هـذا تصريح واضـح من مـؤسس الحـركة الإسـلامية المزعـومـة بـأن قصـدهم مـن قـتال اليهود ليس للعلة المذكـورة في قـوله تعـالى: ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [التوبة:٢٩]، وإنما قصـدهم فقط هـو تـحرير الأرض.

فهل كان السلف يقاتلون الكفّار بهذه النية الفاسدة، وهل هذا حال من ادعوا أن الله غـايتهم والرسـول قـدوتهم والقـرآن دسـتورهم؟ فهـل مـن الـولاء لله ورسـوله حـب الأديـان الباطلة المناقضة للإسلام؟ وهل من الولاء لله ورسوله، عدم بغض اليهود الملاعين؟ هل القرآن نصَّ على هذا يا أولي الألباب؟!

=

بلدًا ليست لهم، أخذوها بالمجازر بدير ياسين بالحديد والنار هنا بدأت المشكلة معهم أليس من حق أهل البلاد أن يدافعوا عن أنفسهم؟.....».

وفي كتـاب «مـصطفى الـسباعي رجـل فكـرة وقـائـد دعـوة» (ص٩٣-٩٨): «**فلـيس الإسـلام معاديًـا للنصرانية بل هو معترف بها مقدس لها**، وأما توهم الانتقاص من المسيحيين وامتياز المسلمين فأين الامتياز؟ والإسلام يحترم العقائد جميعًا! أما في الحقوق المدنية والتساوي في الواجبات فالإسلام لا يفرق بين مسلم ومسيحي ولا يعطي للمسلم حقًّا في الدولة أكثر من المسيحي والدستور ينص على مساواة المواطنين جميعًا في الحقوق والواجبات ...

ثم اقترح أربع مواد: ١- الإسلام دين الدولة الرسمي. ٢- الأديان السماوية محترمة ومقدسة. ٣- الأحوال الشخصية للطوائف الدينية مصونة ومرعية. ٤- لا يحال بين المواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة بسبب الجنس أو اللغة». اهـ

وقد صرَّح أيضًا صلاح شحادة -وهو القائد العسكري العام لكتائب القسام- بهذه العقيدة الفاسدة فقال: «فنحن نعمل وفق مبادئ جهادية نلتزم بها وشعارنا: إننا لا نقاتل اليهود لأنهم يهود، وإنما نقاتلهم لأنهم محتلون لأرضنا، ولا نقاتلهم لعقيدتهم، وإنما نقاتلهم لأنهم اغتصبوا أرضنا....». انظر (فلسطين - الجيل للصحافة ٢٠٠٢/ ٠٥/ ٢٩ وانظر (موقع الإخوان المسلمين: إخوان أون لاين بعنوان: صلاح شحادة.. القائد الرباني والشهيد الحي).

فأقول للحويني: أليس هؤلاء أولى بالإنكار عليهم من الحكّام وأذيالهم، فإن الحكام ما رفعوا شعار الدين بخلاف هؤلاء الأدعياء الذين رفعوا شعار الدين بل رفعوا شعار اتباع السلف الصالح، خداعًا لأتباعهم، ثم إذا بهم يستنزفون طاقات شباب الأمة لتحقيق الملك لهم ولترسيخ هذه العقائد الفاسدة؟!!

أين أنت يا حويني من بيان هذا الضلال لهذه الألوف التي تتخذك إمامًا يُقتدى بك؟ أليس من أعظم المحرمات أن تغشهم وتقدِّم لهم أمثال هؤلاء الأدعياء على أنهم مجاهدون صامدون يقاتلون في سبيل نصرة الإسلام؟!

وقال أحمد ياسين: «حتى ولو فاز الحزب الشيوعي، فسأحترم رغبة الشعب الفلسطيني».

قلت: أهذا إعزاز للإسلام، أم إعزاز للديمقراطية التي تبيح للشعب اختيار الشيوعية الكافرة على الإسلام؟!

فهل مثل هذا الرجل يتحاكم بالفعل إلى القرآن حين نطق بهذا الهراء؟ أم أنها السياسة التي أعمت بصيرتهم؟!

وقال أيضًا: «والله نحن شعب له كرامته وله حقوقه، إذا ما أعرب الشعب الفلسطيني عن رفضه للدولة الإسلامية، فأنا احترم وأقدس رغبته وإرادته».

قلت: هل يقول هذا عالم رباني أو مجاهد يجاهد في سبيل الله؟!

اترك الجواب للعقلاء!!

وقال خالد مشعل الناطق الرسمي رئيس المكتب السياسي لحركة حماس في لقاء محطة تليفزيون (CC) (٢٠٠٦) : «حماس لا تفرض برنامجها الاجتماعي والديني على الآخرين هي تعرض ما لديها دون أن تلزمهم لا تلزم النساء بالحجاب ولا تلزم الناس بمظاهر معينة لأن لها قاعدة معينة... لا إكراه في الدين، الدين اختياري وليس إجباري إن حماس ليست بُعبُعًا ولا تشكل مشروعا أصوليًّا إسلاميًّا، **نحن حركة تحرير وطني لا تهدف إلى أسلمة المجتمع ولا نفرض فكرنا على أحد.**

تاريخ حماس السابق يدل على أن حماس غير متشددة لا تجبر الناس لا على أفكار ولا على معتقدات، معقول حماس صار لها عشرون سنة تتعامل بسماحة وانفتاح ممكن الآن تريد حماس أن تنقلب وتتشدد، أعطيك مثالاً المسيحيون في فلسطين هم شركاؤنا في الوطن البعض كان عامل حماس المسيحيين تبين للإخوة المسيحيين عكس ذلك كل مدينة لها ظروفها، أنا أقول لك على النماذج التي حدثت لذلك بعد فوز حماس معظم القيادات المسيحية وعلى رأسهم الأب عطاء الله حنا الذي نقدره اتصل بنا وهنأنا...

العلم الفلسطيني هذا علم الشعب علم الوطن عندما يقرر الشعب عبر قياداتهم تغييرًا ما في شكل العلم نغيره، لكن العلم إنما وضع «لا إله إلا الله» على العلم كتصرف تلقائي من قطاعات من الشعب الفلسطيني». اهـ

قلت: أين بنود الميثاق اللاتي تنص على كون الإسلام منهج حياة، والقرآن هو دستورنا، والرسول قدوتنا ...إلخ، ما هي إلا شعارات يخدعون بها الشعوب المنساقة خلفهم على عماية، حتى إذا حققوا مآربهم وتمكنوا من الحكم، ضاعت هذه الشعارات أدراج الرياح، وصاروا أسوأ من الحكّام الذين كانوا يحاربونهم من قبل لعدم تطبيق الشريعة، وهذا واضح ظاهر لمّا تمكنوا من السودان، ثم غزة، فلا التزام بالتوحيد، ولا تطبيق للأحكام الشرعية إلا قليلاً، ويا ليتهم وقفوا عند هذا الحد، بل زادوا الطين بلة بالرجوع على الشريعة بتأويلات سمجة باطلة، وبحرب دعاة التوحيد والسنة، وتمجيد عتاة أهل البدع من الرافضة وغلاة الصوفية والمعتزلة والأشاعرة والخوارج ... إلخ.

وقال خالد مشعل في لقاء معه بتاريخ (٢٠٠٧/٧/١٧): «أنا أجريت اتصالات مع المسئولين العرب قلنا لهم باختصار مشكلتنا لم تكن مع سين أو صاد مشكلتنا مع خلل أمني كان يخترق الساحة الفلسطينية ويعيق عملها وبناءها الداخلي تمامًا.

قلنا لهم: لسنا بوارد عزل غزة عن الضفة الوطن لا يجزأ لا نريد سلطتين ولا حكومتين ولا كما نتهم إمارة ولا كما نتهم[١] إمارة إسلامية، ومن هذا الكلام الفاضي أقصد بالكلام الفاضي هذه الاتهامات التي لا دليل عليها».

وجاء خالد مشعل عند قبر الخميني ووضع عليه زهورًا، ثم قال: «إن الخميني هو الأب الروحي لدعوتنا»[٢].

---

(١) أرأيتم دعاة الجهاد؟! يتبرأ من أن تكون حكومته إمارة إسلامية!!، ويعتبر الكلام فيها من الكلام الفاضي!!.

(٢) وقد تقدَّم ذكر إنكار الحويني عليهم تعاونهم مع إيران، فكنا نود أن ينكر عليهم هذه الطوام الأخرى، وأن يظهر للشباب حقيقة منهجهم وانتمائهم لحزب الإخوان المحارب للسنة وأهلها.
ولكنها السياسة التي لا منهج لها، والإبقاء على هذا الود الزائف لمثل هذا الحزب، مع الحرص على الأتباع الجهال الذين سوف ينفضون من حوله إذا هو صرَّح بحقائق حزب الإخوان.

وقال: «وإذا تعرضت إيران للهجوم فإن من مسؤوليتنا الدفاع عنها رغم أن عملياتنا في الوقت الحاضر داخل الأراضي الفلسطينية لإنهاء الاحتلال وعودة اللاجئين».

وقد أكَّد عزيز الدويك رئيس المجلس التشريعي بحماس ما صرَّح به خالد مشعل من عدم عزم حماس على تطبيق أحكام الإسلام وعدم عزمها على إلزام الناس بها، حيث قال (المصدر: رويترز ٢٠٠٦/٢/٢٣): «**إن الحكومة الفلسطينية الجديدة تحت قيادة حماس لن تجبر الفلسطينيين على تبني الشريعة الإسلامية في حياتهم اليومية**، ولن تعمل على إغلاق دور العرض السينمائية والمطاعم التي تقدم مشروبات روحية».

وقال: «إن حماس التي فازت في الانتخابات التشريعية الشهر الماضي عندما تشكلت الحكومة فتلجأ إلى أسلوب الموعظة الحسنة والإقناع لجعل الشباب الفلسطيني يتجنبون المشروبات الروحية، وقال: لا أحد في حركة حماس لديه النية لتطبيق الشريعة بالقوة».

وقال أيضًا: «إن أي تغيير في التشريعات الفلسطينية المعمول بها في البرلمان السابق الذي كانت تهيمن عليه حركة فتح سيخضع لاستفتاء شعبي تجسيدًا لمبادئ الديمقراطية التي فازت بموجبها حماس». (المصدر: إذاعة رام الله، رويترز).

وقال: «لا يجوز أن تكون الديمقراطية لغيرنا». اهـ

وقال: «سيكون قرار شعبنا هو الفيصل الذي نرجع إليه، والشعب يقضي ما يشاء أو يرفض ما يشاء، فهو وفق كل الأعراف الدولية ووفق مبادئ الديمقراطية، هو صاحب الحق في هذا المجال!!».

وقال أيضًا في برنامج بالعربي على قناة العربية الفضائية ردًّا على سؤال جيزالخوري: «إذا اعترفت إسرائيل بالدولة الفلسطينية هل تعترفون بدولة إسرائيل؟

قال: «إذا حدِّدت الحدود سنكون ديمقراطيين أكثر من الغرب نفسه، سنعرض الأمر على الشعب الفلسطيني، فإن وافق فنحن ديمقراطيون نقبل قراره، وإن رفض فهي أرضه وهو صاحب الحقِّ الوحيد فيها». اهـ

وعلى السنن نفسه جرى إسماعيل هنية حيث قال في برنامج قضية على بساط البحث الساعة ٧:٤٥ مساء يوم الأربعاء ٣ ربيع آخر ١٤٢٦هـ الموافق ١٠ مايو ٢٠٠٥م:

«إن حركة حماس تهدف من وراء دخول المجلس التشريعي تكريس وحدة الشعب الفلسطيني الوحدة الوطنية، وتكريس التعددية السياسية والحزبية»[1].

وقال: «إن حركة حماس ستحترم إرادة الشعب، فمن سينتخبه الشعب سترضى به حماس فنحن دائمًا وأبدًا تبقى مع إرادة الشعب وسنرضى بما ستفرزه صناديق الاقتراع مهما كانت النتيجة، لأن صناديق الاقتراع والديمقراطية هي الطريق الصحيح والسليم».

وقال د: ناصر الدين الشاعر -نائب إسماعيل هنية-: «إن القانون يجب أن يطبق على الجميع، ومن لا يريد القانون فليذهب إلى الجحيم»[2].

وقال حامد البيتاوي: النائب عن (حماس) في المجلس التشريعي الفلسطيني في حوار معه في جريدة «الغد الأردنية» (٢٠ / ٢ / ٢٠٠٦ م): «أما مخاوف البعض من الرجعية وفرض الحجاب وتقييد الحريات ومنها حرية المرأة مخاوف غير حقيقية، فنحن لسنا حركة ناشئة ولا حركة غوغائية، بل لنا امتداد تاريخي عبر جماعة الإخوان المسلمين المعروفة بفكرها المعتدل، ....نحن لن نطبق الشريعة الإسلامية، ولكننا سنعمل قدر الإمكان على الالتزام بمبادئ الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة».

وقال الناطق الرسمي باسم حماس فوزي برهوم في حديث أدلى به للقدس العربية:

«الخشية ليس من نتائج الانتخابات، بل من أن نتخطي القانون والدستور والشرعية ونسجل سابقة خطيرة ... إلى قوله: حركة حماس حريصة على الدستور والقانون

---

(١) أي أنه يجيز تعدد الأحزاب في دولتهم، وهذه الأحزاب فيها العلماني، والشيوعي، والنصراني، والرافضي...» إلخ. فهل أمثال هؤلاء يوصفون بأنهم الطائفة المنصورة التي تقاتل على الحقّ؟!

(٢) أي قانون هذا؟! أرأيتم هذا التناقض يا شباب؟ ففي الوقت الذي يُجندون فيه الشباب لحرب الحكومات القائمة في بلاد الإسلام بحجة أنهم طواغيت حيث يُطبقون القوانين الوضعية، إذ بهم يظهرون وجههم الحقيقي الكالح في تعظيم هذه القوانين تعظيمًا مبالغًا فيه، فاقوا فيه هؤلاء الحكّام!!.

والديمقراطية حسب الأصول، وليس حسب مزاج التيار في حركة فتح أو للمزاج الأمريكي..». اهـ [شبكة الأخبار الفلسطينية: مدار].

قلت: فهذه هي حماس -حركة المقاومة الإسلامية- التي وقَّع الحويني على بيان يرفعها إلى مصاف الفرقة الناجية والطائفة المنصورة الممدوحة في الأحاديث الصحيحة، والتي قال فيها أصحاب البيان: «هؤلاء الذين اتخذوا طريق الجهاد والمقاومة طريقًا لهم وحملوا أرواحهم على أكفهم وقدموا شهداءهم وأموالهم وبذلوا الغالي والنفيس ثمنًا لتحرير هذه الأرض ...».

والصواب المطابق للواقع أن يقال: هؤلاء الذين اتخذوا طريق الديمقراطية والمداهنة السياسية طريقًا لهم، وحفظوا أرواحهم وضحوا بأرواح المسلمين وقدموا أرواح الأبرياء من أطفال ونساء وشيوخ المسلمين قربانًا لبقاء حركتهم والحفاظ على كبريائها، وبذلوا الغالي والنفيس من أجل حركتهم ...إلخ.

ورغم إيماننا اليقيني بقوله تعالى: ﴿ ۞لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ ...﴾ [المائدة: ٨٢]، وبقوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ ...﴾ [البقرة: ٢١٧]. إلا أنَّا نقول: إن الحرب الأخيرة التي أبيد فيها نصف أهل غزة تقريبًا ليس المسئول عنها اليهود فقط، بل المسئول عنها وعن استمرارها حماس، حيث قصد اليهود من هذه الحرب إذلال حماس وإظهار عجزها عن الدفاع عن المسلمين -وهذا حقٌّ واقع-، إلا أن كبرياء حماس منعها من الاعتراف بهذا الواقع المزري، وأبوا عقد الهدنة مع اليهود إبقاءً على دماء هؤلاء المسلمين المستضعفين، واليهود كانوا يريدون من حماس طلب الصلح والهدنة والنزول على شروطهم؛ لإيقاف هذا النزيف الدموي الذي لا يضر حماس، إنما يضر هذا الشعب الأعزل الذي صار أسيرًا تحت غطرسة حماس، فحماس تفتخر أنه لم يقتل من جنودها إلا قليلاً، ويخدعون السُّذَّج أن صمودهم المزعوم يعتبر نصرًا على اليهود، وهذا يبرهن بوضوح أنهم لا يلقون بالاً بدماء أهل غزة -الذين أغلبهم

نـساء وأطفـال وشـيوخ-، ولا يعتـبرون قتـل هـؤلاء خـسارة، بـل يعتـبرونهم قربانًـا لإثبـات صمودهم المدَّعى[1].

ومِمَّا يدل على اتباع هؤلاء الأدعياء ومن شايعهم أهواءهم، أن شيخهم أحمد ياسين، لَمَّا خرج من السجن دعا في تصريحات خاصة لـجريدة «المسلمون» إلى هدنة مؤقتة مع الكيان الصهيوني، وأوضح انطلاقًا من القواعد الإسلامية التي تبيح لنا عقد هدنة مؤقتة في زمن محدد مع العدو وتمشيًا مع الظروف الدولية والعربية.

فقـد طرحـت هـذه الهدنة على الإسـرائيليين (قبـل ثـلاث سـنوات) وأنـا في السجن وبعـد خروجـي رأيـت أن أجـدِّد الـدعوة بهـذه المبـادرة .. .. وأضـع الكـرة في ملعـب الإسرائيليين، فإذا لم يستجيبوا لهذه الهدنة فقد أعذرنا أمام العالم.

وأشـار إلى أن «التعايش مـع اليهـود ممكـن في حالـة أن يعـود الـشعب الفلـسطيني إلى أرضـه ووطنه وتقوم الدولـة الفلـسطينية المسلمة ، فيعيش المسلمون واليهـود والمسيحيون في ظل عـدالة الإسـلام الـتي لا تظلم أحـدًا». [جـريدة المسلمون - العدد (٦٦٤) الجمعة ٢٣/٦/١٤١٨ هـ - ٢٤ / ١٠ / ١٩٩٧ م].

قلت: فلِمَ لم تأخذ حماس بتوجيهات شيخها المؤسس والتي قالها اعترافًا منه بواقع

---

(١) ومن أدعياء السلفية الذين يجارون حماسًا على مشروعية إبادة المسلمين تعبيرًا عن الصمود، وأن النصر لحماس ولو قتل كل مسلمي غزة: ياسر برهامي حيث قال في مقاله: «قوافل الطغيان على طريق غزة» في كلام عاطفي مرسل عهدناه من أمثال هؤلاء الخوارج العصريين الذين لا يتحاكمون إلى كتاب الله في مسائل الجهاد، إنما يتحاكمون إلى عواطفهم الهوجاء التي تمكن الأعداء منا أكثر: «إن أهل غزة -لو قُتِلوا عن آخرهم- فهم المنتصرون، وقضيتهم لن تموت، ودماء شهدائهم وقود سير الأمة إلى طريق عزتها وعودتها إلى الله -عز وجل-، فمهما كانت نتائج هذه المعركة -نسأل الله أن يكتب النصر فيها للمسلمين، وأن ينزل بالكافرين والمنافقين بأسه الذي لا يُرد عن القوم المجرمين-، فنقول: مهما كانت نتائج هذه المعركة فقد أدوا واجبهم، وفعلوا الممكن، وفعلُهم جهاد لا يَطعن فيه إلا مخذولٌ حُرم التوفيقَ، ولا يصادم مشاعر الأمة كلها فيه إلا من فقد الإحساس بالجسد الواحد، وحكم على نفسه بمرض القلب أو موته».

قلت: وقد علمت حقيقة حماس وحقيقة جهادها المزعوم!

وهكذا دماء المسلمين لا قيمة لها عند أمثال هؤلاء، بل لقد عميت أبصارهم حتى صار الأسود القتيم أبيض ناصع، فيعتبرون إبادة المسلمين عن بكرة أبيهم في بلد ما، من النصر المبين.

المسلمين الذي لا يحتمل إلا هذه الهدنة، ولكنه قالها بعد زمان طويل، ولَمَّا قالها ابن باز والألباني ما قبلوها منهما، وقامت الدنيا عليهما، واتُّهِمَا -رحمهما الله- -مع مَن وافقهما من أهل العلم- من قبل السفهاء بأنهم عملاء لليهود، وأنهم عملاء لأسيادهم من الحكَّام، وأنهم عبيد عبيد العبيد ...إلخ.

وهذا يدل على أن قادة حماس الحاليين وأدعياء الصحوة لا يرفعون رأسًا للحق -حتى ولو صدر من شيخهم- إلا أن يوافق أهواءهم ومصالحهم.

فبرغم هذه الخسائر الفادحة في أرواح المسلمين من أهل غزة، بجانب تدمير نصف غزة تقريبًا، تبجح رئيس الحكومة الفلسطينية الحماسية إسماعيل هنية، واعتبر أن الشعب الفلسطيني انتصر على العدو بغزة، وألقى هنية -بعد يوم من قرار اليهود بوقف أحادي للنار تبعه قرار مماثل للفصائل الفلسطينية- خطابًا عبر قناة الأقصى قدم فيه تقويمًا للعدوان اليهودي ولموقف الحكومة وإجراءاتها، وتعهد بإعادة إعمار ما دمَّره الاحتلال بمساعدة الدول العربية والإسلامية.

وأمَّا خالد مشعل فقد وعد شعبه المسكين في غزة بالمدد المادي والعسكري، وصدَّق إيران التي وعدته بالمدد العسكري، فخدعته إيران وخدع شعبه وتركهم يموتون دون غطاء.

لقد ظل خالد مشعل مختبئًا في فندقه -أو خندقه- بدمشق، طيلة الأيام الأولى للحرب على غزة، وترك نساء وأطفال غزة يقتلون، ولكنه ظهر في اللحظة الغير المناسبة للظهور ليقول للعالم: إن المقاومة قد انتصرت.

إنها الخيانة في أبشع صورها، والغدرُ الذي يُرفع لصاحبه لواءٌ يوم القيامة.

وصدق من قال موجهًا كلامه إلى أدعياء النصر:

لا حول ولا قوة الا بالله ... عن أي انتصار تتحدثون، وغزة اليوم أشبه ما تكون بمنطقة أشباح...!

انتصار أم انكسار؟!! ... اذهبوا واسألوا عائلات الضحايا الأبرياء.... قادة حماس وجنودها يتحدثون عن البطولات الوهمية؛ لأنهم مختبؤون و محصَّنون!!

أي انتصار هذا الذي يتحدث عنه هذا الرجل الذي فقد المنطق منذ سنوات؟! ماذا عن القتلى؟! لا أقول إلا الله المستعان، وإذا كانت حماس تسمي هذا نصرًا، فهنيئًا لها النصر بعد تدمير غزة والتي تقدر الخسائر فيها بالمليارات!!

وبعد كل هذا العدد من القتلى والجرحى والدمار للبنية التحتية لغزة، ناهيك عن الصدمات النفسية التي أصابت أهل غزة .. يتبجح قادة حماس بإعلان انتصارهم على اليهود، وكما قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«إن لم تستح فاصنع ما شئت»**.

قلت: وقد حدَّثني أبو حمزة -من أهل غزة- خلال فترة العدوان على غزة على الهاتف، وحكى لي بعض مخازي جنود حماس، وسرد لي شيئًا من خياناتهم المخزية للمستضعفين من أهل غزة، ومن هذا:

لَمَّا علم جنود حماس أن اليهود يستهدفونهم هم دون غيرهم من أهل غزة، وإمعانًا منهم في تضليل اليهود عن جنودهم، كان أحدهم يقف عند بيت أحد المسلمين العزَّل من أهل غزة -مِمَّن هو ليس من أعضاء حماس- فيقوم بقذف قذيفة إلى هدف يهودي، ثم يهرب سريعًا، فيقوم اليهود برصد تحرك هذه القذيفة فيحدِّدون مكان خروجها عند بيت هذا المسلم، فيظنونه بيت أحد جنود حماس، فيضربونه، ويقتل من في البيت، بعد هروب هذا البطل الحمساوي.

ومن مخازيهم وخياناتهم ما صنعوه بالإعانات حيث كانت الإعانات تصل من السعودية ومن مصر إلى أهل غزة بدون مقابل، فإذ بقادة حماس يأخذونها، ويعيدون تغليفها، ويبيعونها على الشعب المسكين بضعف ثمنها، رغم أنها مرسلة لتوزع على مسلمي غزة مجانًا.

ومن مخازيهم أن جند اليهود من المشاة قد نزلوا غزة وتجوَّلوا في شوارعها دون أن يجدوا أحدًا يقف في طريقهم من جند حماس الأشاوس الذين قال فيهم أصحاب البيان: إنهم حملوا أرواحهم على أكتافهم.

○ فصدق من قال:

قبل هذه الحرب وَعَدَ القادة الأشاوس المقيمون في دمشق أنهم سيزلزلون الأرض

تحت أقدام «العدو الصهيوني»، وأنهم سيلحقون به هزيمة تاريخية ساحقة ماحقة تكون أول البشائر لتحرير فلسطين من البحر إلى النهر ومن رفح حتى الناقورة، وتكون بداية النهاية لإزالة هذا الكيان الغاصب.. وحقيقة أن الكثيرين -في ضوء هذه التهديدات، وفي ضوء قول حسن نصر الرافضي: إنه يعرف ماذا في غزة وما وصل إليها، وأنه لذلك متأكد ومتيقن من الانتصار-، قد صدَّقوا كل هذا الذي سمعوه وتوقعوا أن تتحول شوارع تل أبيب فقط إلى أنهار من الدماء ...

ولكن الوقائع التي تحدث بها أهل غزة أثبتت كذب ادعاءات قادة حماس، حيث قال أهل غزة: إنه لم تكن هناك لا بطولات ولا مقاومة ولا صمود، وأن أكثر من سبعة آلاف من الفلسطينيين جُرحوا وقتلوا، وهم إما في منازلهم لا يعرفون ما يجري على «جبهات القتال»، وإما يتراكضون في الشوارع لا يعرفون ماذا يفعلون وإلى أين يتجهون؟ وعندما تقتصر نسبة أعضاء «حماس» وأعضاء التنظيمات الأخرى المتحالفة معها من كل هذه الأعداد من القتلى والجرحى على ستة في المائة فقط، وعندما تقتصر خسائر الجيش اليهودي البشرية على عشرة جنود قُتل أربعة منهم بـ«نيران صديقة» فإنه معيب أن يكون كل هذا الحديث عن انتصار إلهي جديد، وأنه مضحك حتى حدود الاستلقاء على الظهر أن يتبرع «المجاهد الكبير» خالد مشعل ويهدي هذا الانتصار، إلى سوريا والى الرئيس بشار الأسد، إن المؤكد أن كل الذين أهداهم «المجاهد الكبير» خالد مشعل هذا الانتصار الإلهي الجديد وكل الذين أقاموا الأفراح والليالي الملاح، يعرفون الحقائق نفسها التي يعرفها أهل غزة ويعرفون أن «حماس» قد انهزمت شر هزيمة، وأن غزة قد أبيدت بسبب غطرسة حماس.

ونقول: هل التزمت حماس -التي ترفع شعار الإسلام تدليسًا- بهدي رسولنا -صلى الله عليه وآله وسلم- في التعامل مع مثل هذه المواقف الحرجة؟

ألم يقرأ قادة حماس وجنودها يومًا ما باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب من كتاب الشروط في صحيح البخاري؛ ليدركوا مخالفتهم الصارخة لسنة النبي ﷺ في تعامله مع أهل الحرب الذين أعلنوا الحرب على المسلمين، وليس بالمسلمين قوة على رد عدوانهم؟

لا أخالهم يرفعون رأسًا لمثل هذه الأحاديث، لأنهم لا يتحاكمون إلى الشريعة ولا إلى فهم السلف للنصوص، كما صرَّحوا بلا تورية فيما نقلناه آنفًا عن قادتهم والمتحدثين الرسميين باسم الحركة، إنما يتحاكمون إلى أهوائهم ومصالح حزبهم، وهذا واضح لكل ذي عينين.

وقد أذاقوا أهل غزة العذاب والخراب منذ أن تولَّوا الحكم في غزة، وإليك بعض جرائمهم التي لا يستطيعون -ولا يستطيع المتعصِّبُون لهم- إنكارها إلا تقية أو تدليسًا:

١- اغتيال الشيخ عادل نصار، رئيس اللجنة العلمية في «دار الكتاب والسنة»، حيث أصيب بعدة أعيرة نارية، بينما كان يغادر مسجد النصيرات، حيث ألقى خطبة الجمعة، ليستهدفه مسلحون مجهولون بإطلاق نار كثيفة عليه وعلى عدد من الشيوخ الذين كانوا برفقته، مما أدى إلى مقتل الشيخ نصار.

وأفاد شهود عيان، أن الشيخ نصارًا ألقى خطبة معتدلة دون التعرض لجهة ما، داعيًا إلَى ضرورة نبذ الفتنة والانقسام، وعدم الانجرار إلى الاقتتال الداخلي والمصادمات المؤسفة.

وقد علم الجميع أن هؤلاء المسلحين من أعضاء حركة حماس.

٢- التنكيل بكل من يخالف سياساتهم الجائرة المخالفة للشرع، خاصة مِمَّن ينتمي إلى حركة فتح، وذلك بأبشع أنواع التنكيل، التي لا يقرها الشرع مهما كانت المعاذير، فيا ليتهم طبَّقوا الحدود الشرعية على المخالفين لهم، لكان هذا أكرم لهم من الوحشية التي فاقت وحشية اليهود.

٣- السلب والنهب للرعية، فمن السهولة بمكان -كما أخبرني أبو حمزة- أن يدخل جنود حماس الأشاوس على أحد البيوت لسلب ما فيه، ومن السهولة بمكان أن يدخل هؤلاء الجنود -الذين حملوا أرواحهم على أكتافهم كما قال الغشَّاشون من الموقعين على البيان- إلى محطة وقود، وإجبار البعض على تسليم سياراتهم لهم، فإذا سأل أحد المسلوبين: لماذا تأخذون السيارة؟ أجاب أدعياء الجهاد: ومن أين نأتي لكم بالأموال التي ندافع بها عنكم ضد عدوان اليهود!!

وهذا من المبكي الذي يضحك منه المرء كمدًا، فيقول: أين دفاع هؤلاء الأشاوس

عنهم لَمَّا دكَّ اليهود غزة بالقنابل المدوية، وهرب الأشاوس إلى المخابئ الخاصة بهم دون بقية الرعية، ينامون فيها كالفئران، كما يشهد بهذا أهل غزة.

أليس من الغش وعدم الأمانة كتم هذه الحقائق المرة عن هذه الحركة البدعية الإخوانية التي تدعي تطبيق الإسلام ونصرته، وتستنزف أموال المسلمين بهذه الدعاوى الكاذبة؟!

أليس من الغش التوقيع على مثل هذا البيان الذي دلَّس على السُّذَّج أمر حماس وقلب الحقائق؟!

أليس من واجبات العالم والداعية الصادق أن يبين للمسلمين ما يحاك بهم، وأن يحذِّرهم مِمَّن يخدعهم، ويلبس عليهم أمر دينهم؟!

يا حويني اتق الله سبحانه، فإن ما عند الناس يفنى وما عند الله باق، واكشف للشباب حقائق هذه الأحزاب المنحرفة عن السنة، بيِّن لهم حقائق حزب الإخوان وحركة حماس، واسلك سبيل العلماء السلفيين في فتاوى الجهاد حتى لا تضلِّل الأمة وتحمل وزر من ضلوا بكلامك وانخدعوا بمن زينت لهم من رموز أهل البدع.

ألا تعتبر بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

وحتى تزداد أيها المسترشد بأن الحويني صار معروفًا عند الشباب المغرَّر به بالنزعة الثورية الخارجية -والتي هم يعتبرونها روح جهادية شرعية- أن ما يسمى بـ«شبكة المجاهدين الإلكترونية» على الإنترنت تقوم بانتقاء دروس وخطب الحويني التي تخدم منهجهم التهييجي -الذي يعتبرونه جهادًا- لبثها على شبكتهم، ومن هذه الخطب: خطبة «يا أمة الشهادة»، وتأمل معي -فهمك الله- التعليقات السابقة واللاحقة لرابط الخطبة، والتي كانت كالتالي:

- رابط مرئي بعنوان: «لبيك يا أسامة»، وعليه صور متنوعة لأسامة بن لادن، ولبعض الجنود الملثَّمين، ولمدرعات وآلات حربية.

- رابط مرئي بعنوان: «مؤسسة الملاحم للإنتاج الإعلامي تقدم: تمت عملية في قصر

محمد نايف بفضل الله ومنته»، وبعدها: «أحفاد محمد بن مسلمة -رضي الله عنه-»، وعليه صور للشاب الذي قام بعملية التفجير في قصر الأمير محمد نايف -سلمه الله-، وصور بعض الخوارج الآخرين -الذين يعتبرونهم مجاهدين-.

-وهذا توقيع الشاب الذي أنزل رابط درس الحويني، ذكر فيه هذه العبارات:

«أين الذين يؤثرون الدين على حياة الأنفس والبنين؟ أين أهل التوحيد، أين أهل التوحيد ومنكسي راية الكفر والتنديد؟ أين الذين يستعذبون العذاب ولا يهابون الضراب؟ أين الذين يستسهلون الوعرة ويستحلون المرة بأنهم أيقنوا أن نار جهنم أشدُّ حرًا؟».

من أقوال الشيخ الأسد: أسامة بن لادن -حفظه الله ورعاه-.

«... فيا أيها المسلمون اليوم يومكم اضربوا مصالح اليهود والأمريكان وكل من شارك في العدوان على المسلمين، ارصدوا الأهداف، واجمعوا الأموال، واجلبوا العتاد، خططوا بدقة، ثم اقتحموا متوكلين على الله طالبين الشهادة والجنة»... حكيم الأمة، الشيخ أيمن الظواهري -حفظه الله ورعاه-.

«ونعاهد الله يا كلب الروم بوش بأنه لن يقر لك قرار ولن يهنأ لك عيش ولن يأمن جيشك بلذيذ عيش ما دام فينا عرق ينبض وقلب يخفق» ... الأمير الذبّاح الشيخ أبو مصعب الزرقاوي -رحمه الله تعالى-.

«أليست تلك هي الجنة التي بايعوا من أجلها ها هي تعرض عليهم بأرخص الأثمان حبيبتي دعاء رحمك الله تعالى وأدخلك فسيح جنانه».. خطيبك أسد الإسلام.

«إننا اليوم ندعوكم لتحمل الأمانة، فإننا على مفترق طرق فلا تخذلونا بالله عليكم لا تخذلونا، فإنا بحاجة إليكم، لا نعدكم بالأمن والأمان، بل نعدكم بالجهاد في سبيل الله وأن نكون وقّافين عند حدود الله فليس عندنا أغلى من دمائنا سكبناها ونسكبها لتسير فيها سفينة الإسلام»... الشيخ المجاهد أبو حمزة المهاجر.

اللهم ألحقني بأحبائي الشهداء عبد الله عزام -أبو حفص المصري- خطاب -أبو هاجر- أبو أنس الشامي- عيسى العوشن - أبو عمر السيف- أبو إبراهيم الجزائري - عبد الله الرشود - أبو الوليد الغامدي - محمد عطا - وحبيبي أبو مصعب الزرقاوي -رحمهم

الله تعالى وأدخلهم فسيح جنانه-، والله لقد اشتقنا إليكم يا أحبائنا ولكن في جنة الخلد الملتقى.

اللهم فُكَّ أسر شيخنا الحبيب خالد الراشد -حفظه الله-، اللهم كن معه، ولا تكن عليه اللهم ردّه إلينا وإلى أهله سالما معافًا ... إلخ». انتهى

وفي موقع «أنا المسلم» المعروف بنزعته الخارجية، جاء هذا الخبر:

«**تعليق الشيخ الحويني على التعديلات الدستورية ... تعليق كالصاعقة على رؤوس أهل الضلال**: «ممنوع لأي واحد من أتباع الشيخ ربيع أن يستمع لهذا الدرس؛ لأنه درس ثوري احذر الاستماع إليه، وإياك أن تتدخل في مثل هذه الأمور، فكل ما يفعله الرئيس من تعديلات لا يجوز الاعتراض عليها أو التعليق عليه، وإلا كنت خارجيًا مارقًا، المهم هو سيد قطب ومحمد حسان ومحمد حسين يعقوب والعريفي ومحمد إسماعيل وغيرهم من العلماء والدعاة[1]، فأرشيف أهل البدع والأهواء زاخر بالأسماء فهم مصدر الشر للأمة، سبحان الله! كل من قال كلمة حق في ظل هذا الضلال والظلام صار ثوريًا.. أعانكم الله على أنفسكم وعقولكم».

* * *

قلت: أترك التعليق للحويني إما بالإقرار أو الإنكار ... ويلزمه أحدهما لا ثالث لهما!!!

وأخيرًا أقول للحويني: إن سلفك في هذا المنهج الثوري الخارجي الذي بنيت عليه فتاويك السابقة -سواء بالنسبة للجهاد في العراق أو في فلسطين أو في التحريض على الخروج- ليس السلف الصالح، بل سلفك -وبئس السلف-: الخوراج الأوائل والعصريون، ومن هؤلاء الذين شابهت طريقتك في التهييج طريقتهم، في بعض مناحيها: جمال الدين الأفغاني الذي زرع بذرة هذا المنهج في هذا العصر، ثم تلقفه منه حسن البنا، وأسس عليه منهج حزب الإخوان.

---

(١) لقد بيّنت حال هؤلاء، وذكرت طرفًا من مقالاتهم المخالفة للكتاب والسنة، من خلال الفصل التالي الذي عنونته بـ«ثناء الحويني على القُصّاص والقطبيين».

فماذا أنتج هذا المنهج الثوري الخارجي؟

والجواب: أنتج -من ضمن ما أنتج- دعاة حماسيين فارغين من العلم الصحيح، نحو: سيد قطب، وعبد الحميد كشك، وعبد الرحمن عبد الخالق، ومحمد سرور زين العابدين؛ وهؤلاء الأربعة الذين ضربنا بهم المثال: قد تأثر بهم الحويني أيّما تأثر، فلم يؤثر فيه الألباني مثلما أثر فيه هؤلاء ومَن على شاكلتهم.

وأنتج حقدًا دفينًا ملأ قلوب الشباب في العالم الإسلامي وصدُّهم عن سبيل الإصلاح بالتي هي أحسن للتي هي أقوم.

وأنتج هذه الأحزاب البدعية التي فرّقت ولم تجمّع، وهدمت ولم تبنِ.

○ ولنستعرض بعض ثمار هذا المنهج الخارجي، ومن ثمارهم تعرفونهم:

من ثماره: إسقاط الشباب المصري -بالخصوص- في فتن متوالية منذ نشأة الحزب في زمن الملك فؤاد -رحمه الله- إلى وقتنا هذا؛ فعملوا على إسقاط النظام الملكي، والذي كان -رغم ما فيه من آفات- حاميًا للمصريين من الوقوع في بوتقة المذاهب العلمانية نحو: الاشتراكية والديمقراطية والرأسمالية.

وبعد الثورة ازدادت فتنهم خاصة بعد صدور مؤلّفات سيد قطب، والتي كان لها أسوأ الأثر في انحراف الشباب المصري إلى منهج الخوارج، وبُعده عن سبيل العلماء الربانيين.

واستمرت إثارتهم في الفتن في عهد الرئيس السادات الذي بدأ محاولات إصلاح، وكانت ثَمَّ محاولات لتطبيق الشريعة، والأمر كان يحتاج إلى مزيد من الصبر مع النصح والبيان؛ لكن نظرًا لعلماء السوء الذين كانوا يحيطون بالرئيس من المتصوفة والأشاعرة والمتعصّبة للمذاهب والمرتزقة -مِمّن كانوا أكبر معوّق في تطبيق الشريعة-، لم يتم الأمر، ثم استدُرج هـؤلاء الخوارج من قبل اليهود وأمريكا والثورة الخمينية الرافضية لاغتيال السادات -رحمه الله-.

ومن ثماره: إهلاك عدد لا حصر له من خيرة شباب الأمة في هذه المعارك الفاشلة التي خاضوها مع الحكّام بداية من جمال عبد الناصر، وانتهاء بالرئيس المصري الحالي -وفّقه الله-.

هذه المعارك البائسة التي يزينها الحويني في أعين الشباب، ويجعل أصحابها نموذجًا يؤتسى به في الصبر على المحن والابتلاءات.

ومن ثماره: زعزعة الوحدة العقدية التي كانت عليها بلاد التوحيد والسنة: الدولة السعودية الحديثة، التي أنشأها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل -رحمه الله- على منهج قويم، حيث جمع شتات المسلمين في أرض الجزيرة والحجاز على منهج السلف الصالح تحت لواء الكتاب والسنة، وظل أبناء هذه الدولة على قلب رجل واحد، إلى أن هاجر إليهم أفراخ حزب الإخوان من مصر؛ فزرعوا بينهم الحزبية والفُرقة، وتمكنوا خلسة -وفي غفلة من أمراء البلاد وعلمائها- من زرع براعم حزبية يكون ولاؤها الكامل لهذا المنهج القطبي الخارجي ولرموزه.

فلا زرعًا أبقوا، ولا أرضًا أنبتوا، وإلى الله المشتكى.

وليعلم الجميع؛ أن الواجب على كل مسلم أن يحدّث نفسه بالغزو -أي: غزو الكفّار- لقوله ﷺ: «**من مات ولم يغز، ولم يُحدِّث نفسه بالغزو مات على شعبة من نفاق**»[1]، ولكن هذا الغزو الذي ينبغي أن يتمناه كل مسلم، هو الغزو النافع الذي به تتحقّق المصلحة للمسلمين وبه ينتشر الإسلام، الغزو الذي يضمن فيه العبد إحدى الحسنيين: الشهادة أو الغنيمة، أما هذا القتال العشوائي القائم على الفوضى حيث لا قيادة ولا إمارة -سواء كانت عادلة أم جائرة-، ولا عدة، فهذا إهلاك للأنفس بلا إذن من الشرع، وبلا أي فائدة تعود على المسلمين.

فأنا أتمنى -كما يتمنى كل شاب سُنّي- أن يرزقنا الله سبحانه شهادة صادقة في سبيله... نتمنى أن تُراق دماؤنا نصرة للإسلام وأهله، وإعلاء لكلمة الله -عز وجل-؛ لكن أن تراق دماؤنا هدرًا في سبيل نصرة هذه الأحزاب البدعية، أو بسبب استدارك الكفّار لنا؛ لإبادتنا، فهذا مِمّا لا نتمناه ونسأل الله سبحانه أن يجيرنا منه، وأن يجمع هذه الأمة على حكّام صالحين وعلماء ربانيين يقودون الأمة إلى سبيل عزها ومجدها في الدنيا والآخرة ... وليس ذلك على الله ببعيد.

---

(١) أخرجه مسلم (١٩١٠) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

المخالفة السادسة

الحويني يثني على القطبيين - خوارج العصر- والقُصّاص وطائفة من أهل الأهواء

أولاً: ثناؤه -المبطن- على رأس القطبيين -سيد قطب-، ودفاعه عنه:

قال الحويني في كلمة مسجَّلة بصوته -ومنشورة على أكثر من موقع على الإنترنت- مادحًا سيد قطب بأنه صاحب ديانة ومروءة وشهامة؛ لأنه صعيدي -رغم أن أقوال سيد مجتمعة على إدانته-: «تفسير الشيخ سيد قطب فيه لا شك فيه فوائد وفيه أيضًا أخطاء[1]؛ لأن الشيخ سيد قطب لم يكن من العلماء هذا كان رجلاً أديبًا في بداية حياته؛ ولأنه صعيدي فالأصل عنده الديانة صعيدي»، ثم قال مادحًا الصعايدة: «كانوا متدينين يطلعوا يصلوا يطلعوا عندهم نخوة عندهم مروءة عندهم مكارم أخلاق».

قلت: وهذا حقٌّ في جنس الصعايدة، لكن لا يصدق هذا على كل فرد منهم، فقد تتخلف هذه الصفات عن بعضهم، كما تخلفت عن سيد، فهل من مروءة سيد قطب ومكارم الأخلاق عنده: أن يسب كليم الله موسى ويصفه بأنه زعيم مندفع عصبي المزاج، وأن يسب طائفة من أصحاب النبي ﷺ ويصفهم بالخيانة والنفاق والرشوة وشراء الذمم، وهل من المروءة أن يصف هند بنت عتبة -رضي الله عنها- باللَّبوءة المتوحشة؛ مؤاخذًا إياها بفعل صنعته في جاهليتها -حيث لاكت كبد حمزة -رضي الله عنه- بلسانها- وقد تابت من هذا الفعل بعد ما أسلمت.

وهل من مكارم الأخلاق أن يسب ذا النورين الخليفة الراشد عثمان بن عفَّان -رضي الله عنه-، ويتهمه بالضعف، وبمحاباة بني أمية؟!

---

(١) هذا هو منهج الموازنات البدعي.

وهل من المروءة ومكارم الأخلاق أن يعتبر خلافة عثمان -رضي الله عنه- فجوة بين خلافة الشيخين: أبي بكر وعمر، وخلافة علي بن أبي طالب -رضي الله عنهم-؟!

وهل من عقيدة أهل السُّنة تكفير المجتمعات والحكومات الإسلامية على الإطلاق، وبثّ الفتن بين الحُكَّام والمحكومين، وتفجير المنشآت ونسف الكباري وغير ذلك من الفساد في الأرض مِمَّا لا يحبه الله ولا يرضاه؟! وهل كان هذا هو سبيل أهل السُّنة في الإصلاح؟!

وهل ...؟ وهل ...؟

وقد أثبت الحويني في كلامه أيضًا اطلاعه على سبِّ سيد قطب للصحابة، لكنه أخذ يعتذر له على طريقة القطبيين المتعصِّبين.

ثم قال: «فأنا عندما أقرأ لسيد قطب لا أقرأ له على أساس إنه عالم أبدًا سيد قطب ده راجل أديب أنا ما بخدش -أي: لا آخذ- منه معلومات أبدًا، ولا آخذ منه فتوى ولا آخذ منه معلومة دينية ولا الكلام ده»[1] وهو كمان لم يقرأ ما كانش أياميها لا كان كتب شيخ الإسلام

---

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله- معلِّقًا على هذا الكلام: «هكذا الهوى يصنع بصاحبه -عافانا الله وإيَّاكم- يقول الحويني عن سيد: «لم يكن من العلماء، لا أقرأ له على أساس أنه عالم أبدًا، ما نخدش منه معلومات، فلا آخذ منه فتوى، ولا آخذ منه معلومة دينية».

إذن لِمَ ملأتم الدنيا صراخًا وضجيجًا في مدحه، وإظهاره، ومدح كتاباته وتقريراته؟! حتى أنكم لم تجدوا من فصَّل وحقَّق توحيد الألوهية مثله، ومؤلَّفاته تُطبع وتوزع في شرق الأرض وغربها، بل وتقرءونها على الشباب المسلم في أقصى الدنيا، وأنها هي كتب الدعوة والمنهجية الحقة!!

ونسأل الحويني عدة أسئلة:

١) ما هو الواجب على من ليس بعالم في دين الله؟

٢) لماذا تقرأ له؟ وعلى أساس ماذا؟

٣) ماذا تأخذ منه من الفوائد والفرائد -عدا المعلومات والفتاوى والمعلومات الدينية-؟

٤) ما هي الفائدة من مدحه ومدح كتبه ومؤلفاته وتوزيعها؟

وأمَّا العجيبة الأعظم -وما أكثر العجائب من هؤلاء وتقريراتهم- فالعجائب فيما يكتبون ويقرِّرون ويقولون والله جمَّة ولا تنقضي.

يقول معتذرًا عن سيد قطب: «ما كانش أياميها كتب شيخ الإسلام ظهرت»!! ثم زاد: «ولا الكلام ده» هكذا.. ونسأله: وهل سيد وتلاميذه ومريدوه مِمَّن يعتنون بكتب شيخ الإسلام وتقريراته وفتاواه؟! وكيف لم تكن كتبه قد ظهرت؟! إذن من الذي أظهرها بعد إعدامه؟! هل طلابه =

ظهرت ولا الكلام ده وملحقش أول ما بدأ يعني يتخذ الاتجاه الديني قاموا واخدينوا حطينه في السجن قضى فيه فترة(١)، بعدين أعدموه(٢)!!.

=

ومريدوه؟ هب أن كتب شيخ الإسلام لم تظهر في حياة سيد، فالحق أقدم من شيخ الإسلام!!
إن سيدًا اطلع ونظر في كتب لا تُحصىٰ، واستفاد حتىٰ من كتب الشيوعية والهندوكية وسائر ملل الكفر، بل ونقل عنها، ثم تعتذر له بما اعتذرت، فأين هو عن كتب تفاسير الأمة، وكتب السنة القديمة، وكتب السلف الأعلام؛ إن كنت لا تدري يا حويني فتلك مصيبة، أن سيدًا وتلاميذه لا يقدمون أحدًا عليه، بل يعدونه فذًا ولا نظير له في تنظير مسائل الدين والاعتقاد وشرح معنىٰ «لا إله إلا الله»، بل بلغ مبلغًا يحق له فيه نقد الأنبياء والصحابة والحكم علىٰ أفعالهم بل وحتىٰ نياتهم ومقاصدهم، وكذلك هو الإمام الأوحد في فهم مسائل الشرك والتوحيد ومحاربة الطواغيت ونقد المجتمعات والجماعات، ولا أدري هل هذه المسائل والمواضيع عند الحويني من باب الفتاوىٰ، والمعلومات الدينية؟ أم هي من الأدبيات والآداب العامة التي لا علاقة لها بالدين والإيمان؟!
اللهم إلا إن كنا في خطأ عظيم وقد أسأنا فهم كلامه وتقريراته، فالاعتذار والعفو، واللهم عفوك ومغفرتك ونسألك أن ترزقنا حسن الفهم وحسن الاعتذار!!.
وأمّا أنت يا أبا إسحاق فالله أسأل أن يوفقك في إظهار مصداقية أقوالك وأوصافك في سيد، فتبيِّن للشباب المسلم المغرَّر به الموقف الحق من المسائل التي خاض فيها سيد في مسائل الدين والإيمان والاعتقاد، وأذكِّرك بقول الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣]. وإن كان سيد كما وصفت ليس بعالم، لا تؤخذ منه المعلومات الدينية ولا الفتاوىٰ، ولا نقرأ له علىٰ أساس أنه عالم؟! فبادر، وفقك الله وبيِّن ما يجب عليك بيانه فيما خاض فيه وهو لا يُحسنه، وأذكِّرك بقول شيخنا وشيخك العلامة الألباني حين قرأ رد تلميذه شيخنا ربيع بن هادي علىٰ سيد، حيث قال -رحمه الله-: «جزاك الله خير الجزاء علىٰ قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام!!». اهـ

(١) سبحان الله! رجل ملحقش -علىٰ حدِّ تعبير الحويني بالعامية، ومعناه: لم يتمكن أو لم تتح له الفرصة- أن يقرأ كتب شيخ الإسلام أو أن يدرس العلوم الشرعية، وأول ما اتخذ اتجاهه الديني أخذوه ووضعوه في السجن، هل استطاع في هذه الفترة التي -ملحقش- يقرأ فيها كتب شيخ الإسلام أن يؤلِّف مؤلَّفا ضخمًا [من عدة مجلدات] في التفسير، ثم يقدح قريحة ذهنه في خلال هذه الفترة دون دراسة كافية للأدلة الشرعية، كي يخرج لنا هذا الزخم من المؤلَّفات نحو العدالة الاجتماعية والتصوير الفني، ومعالم في الطريق، وغيرها من المؤلفات التي أتىٰ فيها بالعجائب!!

(٢) قال عبد الحميد كشك: «...وجيء بالسجان ليضع الحبال في يديه وقدميه، فقال الرجل [أي: سيد قطب] للسجَّان: دع عنك الحبال! سأقيد نفسي، أتخشىٰ أن أفر من جنات ربي!، ووقف علىٰ
=

الكتاب إلي هو كتبه بقى المذكرات التي نشرت بعد ذلك بعنوان «لماذا أعدموني» تدل على أنه الراجل لما سجن وظل فترة في سجنه أن كثير من آرائه تغيرت ورأى في النهاية أنه لا حدّ في التغيير إلا بالعلم، وأنه ينبعي أن نعلّم الناس ونرجع بهم إلى ما كان عليه السلف الأول إنما أنه ينادي بالجاهلية والمجتمعات الجاهلية ومش عارف إيه الجاهلية إلي بينسب إليها الفكر القطبي[1]، والكلام ده سيد قطب في هذا الكتاب رجع عن كثير جدًّا إن

=

طبلية المشنقة، ووضع الحبل في عنقه بيديه، وهو يقول: «ربي إني مغلوب فانتصر»، وصعدت روحه إلى رافع السماء بلا عمد ...». اهـ

قلت: إن صحَّت هذه الحبكة الدارمية، فإنها تدل على سوء خاتمة هذا الرجل، حيث قتل نفسه، ولم يصبر أن يأتيه قضاء الله سبحانه بالموت أو النجاة، وحاله لا يختلف كثيرًا عن حال هذا الرجل الذي لم يدع للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، فقال الصحابة: ما أجزأ منا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: **«أما إنه من أهل النار»**، فقال رجل من القوم: أنا صاحبه، قال: فخرج معه كلَّما وقف وقف معه، وإذا أسرع أسرع معه، قال: فجرح الرجل جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت، فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثدييه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله قال: **«وما ذاك»**، قال: الرجل الذي ذكرت آنفًا إنه من أهل النار، فأعظم الناس ذلك، فقلت أنا لكم به، فخرجت في طلبه ثم جرح جرحًا شديدًا، فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه في الأرض وذبابه بين ثدييه، ثم تحامل عليه فقتل نفسه فقال رسول الله ﷺ عند ذلك: **«إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيا يبدو للناس وهو من أهل الجنة»**.

فعجبًا من حال كشك -والحويني تلميذه النجيب- الذي اعتبر استعجال سيد لتنفيذ حكم الإعدام، ثم قيامه بوضع حبل المشنقة بيده حول رقبته؛ ليقتل؛ منقبة لسيد ودليلاً على شجاعته وصموده، وهذا من قلب الحقائق ومن التدليس الممجوج الذي اعتدناه من هؤلاء القصّاص.

وكم من أساطير نسجت حول إعدام سيد؟!

(١) هذا اعتراف واضح من الحويني بأن سيد قطب كان يصف المجتمعات الإسلامية بالجاهلية، وأنه نشأ من كلام سيد: الفكر القطبي، أو القطبيون، لكنه ادَّعى تراجع سيد عن هذا الفكر، وهذه الدعوى منقوضة بم تقرأه في التعليق التالي.

وتأمل تهكم الحويني وسخريته المبطنة بمن بيَّن وصف سيد المجتمعات بالجاهلية حيث قال الحويني: «ومش عارف إيه الجاهلية التي ينسب إليها الفكر القطبي»، وكأنه يريد نفي هذا لكنه استحى لشهرته وتواتره، ولكن حتى لو أثبته فكأنه لا يعجبه الخوض في هذا، ويتهكم بمن يخوض

=

لم أقل عن تقريبًا كل ما كان معروفًا عنه ويمثل نقطة أو يمثل علامة واضحة في تفكير الفكر القطبي.

فلذلك أنا... كتاب في ظلال القرآن أنا مش شايف أن حد ممكن يستفيد منه أوي إلا إذا كان رجلاً قارئًا قبل ذلك عشان يحسن الانتقاء من هذا الكتاب»[1]. اهـ

* * *

قلت: هذا الاعتذار عن سيد هو دأب القطبيين السروريين الذين يتمسحون بالسلفية، بخلاف أنه يعوزه الدليل.

ففي الكتاب المشار إليه: «لماذا أعدموني؟» قال سيد في (ص٢٨): «كنا قد اتفقنا على استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم أو إقامة النظام الإسلامي ...»، وقد تعلّق الحويني وأخدانه بهذه العبارة ونحوها من العبارات مدّعين أن فيها دليلاً على أن سيدًا قد تراجع عن مسألة تكفير المجتمعات وعن تغيير نظام الحكم بالقوة، وتناسوا أن سيدًا نقض فهمهم هذا بقوله بعد ذلك: «وفي الوقت نفسه قررنا استخدامها -أي القوة- في حالة الاعتداء على هذا التنظيم الذي سيسير على منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق وإنشاء قاعدة للإسلام في المجتمع، وكان معنى ذلك البحث في موضوع تدريب المجموعات التي تقوم برد الاعتداء وحماية التنظيم منه، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض، وموضوع المال اللازم كذلك...»، إلى أن قال: «ووفقًا لهذا جاءوا في اللقاء التالي ومع أحمد عبد المجيد قائمة باقتراحات تتناول الأعمال التي تكفي لشلّ الجهاز الحكومي عن متابعة الإخوان في حالة ما إذا وقع الاعتداء عليهم كما وقع في المرات السابقة... وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رؤوس في مقدمتها رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ومدير مكتب المشير ومدير المخابرات ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت

=

في تحذير الشباب من كلام سيد في تكفير المجتمعات الإسلامية ووصفها بالجاهلية.

(١) ما فائدة هذا الاستثناء: «إلاَّ إذا كان رجلاً قارئًا»؟! فإن الرجل قد يكون قارئًا صوفيًّا أو معتزليًّا أو إخوانيًّا أو قطبيًّا....إلخ. فهل كل هؤلاء القرّاء يستفيدون من الكتاب ويُحسنون الانتقاء منه؟!

التي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما سيجيء». اهـ

قلت: وفي هذا الكلام الدليل الظاهر على أن سيدًا كان يعتنق هذا الفكر الخارجي المتطرف إلى آخر لحظة في حياته.

ونقول أيضًا للحويني: هل تراجع سيد عن كتابه «معالم في الطريق» الذي يعتبره خوارج العصر المحرِّك لهم في عملياتهم الخارجية؟!

والجواب: **لا بالطبع**، لم يتراجع عنه، ولو سلَّمنا بتراجعه، فلماذا يصر محمد قطب -حتى موته- ثم أتباعه من بعده على طباعته وطباعة كتبه الأخرى المليئة بالضلال المبين وسبِّ صحابة سيد المرسلين؟!

ولقد اعترف أحد رموز المنهج القطبي الخارجي -ألا وهو أيمن الظواهري: الساعد الأيمن لأسامة بن لادن -أو قل العقل المدبر له- بأن كتب سيد قطب كانت هي المحرك لخوارج العصر -الذين سماهم بالجهاديين- للقيام بالأعمال الإرهابية الخارجية -والتي يسمونها بالأعمال الجهادية-، حيث نقلت جريدة الشرق الأوسط في عددها (٨٤٠٧) بتاريخ (٤ / ١٢ / ٢٠٠١ م) الموافق (١٩ / ٩ / ١٤٢٢ هـ) في الحلقة الثالثة مما وصف بالوصية الأخيرة من مذكرات د: أيمن الظواهري القائد الثاني لتنظيم القاعدة، والتي قال فيها: «إن سيّد قطب هو الذي وضع دستور الجهاديين في كتابه الديناميت معالم على الطريق، وإن فكر سيّد هو (وحده) مصدر الأحياء الأصولي، وإن كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام[1] يُعد أهمّ إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وأن فكر سيّد كان شرارة البدء في إشعال الثورة الإسلامية ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج، والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدد يومًا بعد يوم». اهـ

* * *

---

(١) وهو الكتاب الذي سبَّ فيه الخليفة الراشد عثمان -رضي الله عنه-، وطعن فيه وفي خلافته، وطعن أيضًا في معاوية بن أبي سفيان، وأبي سفيان، وهند بنت عتبة -رضي الله عنهم-، وفي بني أمية جميعًا.

قلت: ومن ثَمَّ اتفقت كلمة العلماء الربانيين على التحذير من كتب سيد ومنهجه؛ لاحتوائها على هذا الضلال، وإليك بعض فتاويهم الدالة على هذا:

○ أولاً: فتاوى إمام السنة عبد العزيز بن باز -رحمه الله-:

الفتوى الأولى: قال سيد قطب في تفسيره الظلال في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: «أمَّا الاستواء على العرش فنملك أن نقول: إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق»[1].

قال -رحمه الله-: «هذا كله كلام فاسد، هذا معناه الهيمنة، معناه إنكار الاستواء المعروف، إلّي هو العلو على العرش، وهذا باطل يدل على أنه مسكين ضايع في التفسير».

ولما قال أحد الحاضرين لسماحته بأن البعض يوصي بقراءة هذا الكتاب دائمًا، أجاب قائلاً: «لا غلط إلّي يقوله غلط، لا، لا، سوف نكتب عليه إن شاء الله»[2].

الفتوى الثانية: وقال سيد قطب في كتابه: «التصوير الفني في القرآن» عن موسى -عليه السلام-: «لنأخذ موسى إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج.. ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ﴾ [القصص: ١٥]، وهنا يبدو التعصُّب القومي كما يبدو الانفعال العصبي وسرعان ما تذهب هذه الدفعة العصبية فيثوب إلى نفسه شأن العصبيين».

ثم يقول عند قوله تعالى: ﴿فَأَصۡبَحَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ١٨]. قال: «وهو تعبير مصور لهيئة معروفة، هيئة المتفزع المتلفت المتوقع للشرِّ في كل حركة، وتلك سمة العصبيين»[3].

قال العلامة ابن باز -رحمه الله- لمَّا قُرئ عليه هذا الكلام: «الاستهزاء بالأنبياء ردة مستقلة».

---

(١) الظلال (٤/ ٢٣٢٨)، (٦/ ٣٤٠٨)، (ط ١٢)، (١٤٠٦)، دار العلم.
(٢) المرجع: «درس لسماحته في منْزله بالرياض سنة ١٤١٣هـ» تسجيلات منهاج السنة بالرياض.
(٣) التصوير الفني (٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٣) ط١٣ دار الشروق.
المرجع: درس لسماحته في منْزلة بالرياض سنة ١٤١٣هـ تسجيلات منهاج السنة بالرياض.

الفتوى الثالثة: وقال سيد قطب في كتابه «كتب وشخصيات» (ص٢٤٢): عن معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص -رضي الله عنهما-: «إن معاوية وزميله عمرًا لم يغلبا عليًّا لأنهما أعرف منه بدخائل النفوس، وأخبر منه بالتصرف النافع في الظرف المناسب، ولكن لأنهما طليقان في استخدام كل سلاح وهو مقيد بأخلاقه في اختيار وسائل الصراع، وحين يركن معاوية وزميله إلى الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم لا يملك عليٌّ أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب ينجحان ويفشل، وإنه لفشل أشرف من كل نجاح».

وقال أيضًا (ص٣٤٣): «وإذا احتاج جيل لأن يدعى إلى خطة معاوية فلن يكون هو الجيل الحاضر على وجه العموم، فروح «ميكافيلي» التي سيطرت على معاوية قبل ميكافيلي بقرون هي التي تسيطر على أهل هذا الجيل وهم أخبر بها من أن يدعوهم أحد إليها! لأنها روح «النفعية» التي تظلل الأفراد والجماعات والأمم والحكومات».

قال العلامة ابن باز -رحمه الله- لمَّا سئل عن الكلام الأول وقرئ عليه: «كلام قبيح!! هذا كلام قبيح سبٌّ لمعاوية وسبٌّ لعمرو بن العاص، كل هذا كلام قبيح، وكلام منكر؛ معاوية وعمرو ومن معهما مجتهدون أخطئوا، والمجتهدون إذا أخطئوا فالله يعفو عنا وعنهم».

قال السائل: قوله «إن فيهما نفاقًا» أليس تكفيرًا؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: «هذا خطأ وغلط لا يكون كفرًا؛ فإن سبَّه لبعض الصحابة، أو واحد من الصحابة منكر وفسق يستحق أن يؤدب عليه -نسأل الله العافية- ولكن إذا سبَّ الأكثر أو فسَّقهم يرتد؛ لأنهم حملة الشرع، إذا سبهم معناه قدح في الشرع».

قال السائل: ألا ينهى عن هذه الكتب التي فيها هذا الكلام؟

قال سماحة الشيخ عبد العزيز -رحمه الله-: «ينبغي أن تمزق».

ثُمَّ قال الشيخ: «هذا في جريدة؟».

قال السائل: في كتاب أحسن الله إليك.

قال الشيخ عبد العزيز: «لمن؟»

قال السائل: لسيد قطب.

قال الشيخ عبد العزيز: «هذا كلام قبيح».

قال السائل: في «كتب وشخصيات»[1].

* * *

○ ثانيًا: فتاوى العلامة المُحدِّث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-:

الفتوى الأولى: قال -رحمه الله- معلِّقًا على خاتمة كتاب «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم»[2]: «كلُّ ما رددته على سيد قطب حقٌّ وصواب، ومنه يتبين لكل قارئ على شيء من الثقافة الإسلامية أن سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه.

فجزاك الله خير الجزاء أيها الأخ «الربيع» على قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام»[3].

الفتوى الثانية: «فالذي يأخذ إن سيد قطب كفَّره الألباني مثل الذي يأخذ إنه والله الشيخ الألباني أثنى على سيد قطب في مكان معين، هؤلاء أهل أهواء، يا أخي! هؤلاء لا سبيل لنا أن نقف في طريقهم إلا أن ندعوا الله لهم فقط، ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩]»[4].

* * *

○ ثالثًا: فتاوى فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-:

الفتوى الأولى: سئل فضيلة الشيخ -رحمه الله-: هل كان سيد قطب ممن يقولون بوحدة الوجود؟

فأجاب الشيخ قائلاً: «مطالعتي لكتب سيد قطب قليلة، ولا أعلم عن حال الرجل، لكن قد كتب العلماء فيما يتعلق بمؤلفه في التفسير «ظلال القرآن» كتبوا ملاحظات عليه: مثل ما كتبه

(١) المرجع: «شرح رياض الصالحين» لسماحته بتاريخ يوم الأحد (١٨/ ٧/ ١٤١٦هـ).

(٢) وهو للشيخ ربيع -حفظه الله-.

(٣) المرجع: ورقة بخط الشيخ الألباني -رحمه الله- كتبها في آخر حياته، وعليها توقيعه الخاص.

(٤) المرجع: درس: «مفاهيم يجب أن تصحح».

الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله- وكتب أخونا الشيخ ربيع المدخلي ملاحظات عليه، على سيد قطب في التفسير وفي غيره، فمن أحب أن يراجعها فليراجعها»[1].

الفتوى الثانية: قال السائل: ما هو قول سماحتكم في رجل ينصح الشباب السُّني بقراءة كتب سيد قطب، ويخص منها: «في ظلال القرآن» و«معالم على الطريق» و«لماذا أعدموني؟» دون أن ينبه على الأخطاء والضلالات الموجودة في هذه الكتب؟

قال الشيخ -رحمه الله-: «أنا قولي -بارك الله فيك- أن من كان ناصحًا لله ورسوله ولإخوانه المسلمين أن يحث الناس على قراءة كتب الأقدمين في التفسير وغير التفسير فهي أبرك وأنفع وأحسن من كتب المتأخرين، أما تفسير سيد قطب -رحمه الله- ففيه طوام، لكن نرجو الله أن يعفو عنه، فيه طوام: كتفسيره للاستواء، وتفسيره سورة: «**قل هو الله أحد**»، وكذلك وصفه لبعض الرسل بما لا ينبغي أن يصفه به»[2].

***

○ رابعًا: فتوى العلامة المُحدِّث حماد الأنصاري -رحمه الله-:

سئل -رحمه الله-[3] عن قول سيد قطب:

«ولابد للإسلام أن يحكم؛ لأنه العقيدة الوحيدة الإيجابية الإنشائية التي تصوغ من المسيحية والشيوعية معًا مزيجًا كاملاً يتضمن أهدافهما جميعًا ويزيد عليهما التوازن والتناسق والاعتدال»[4].

فأجاب -رحمه الله-: «إن كان قائل هذا الكلام حيًّا فيجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا

---

(١) المرجع: شريط اللقاء المفتوح الثاني بين الشيخين العثيمين والمدخلي بجدة، وقال الشيخ عصام السناني: «وقّع عليها الشيخ مُحمَّد بتاريخ ٢٤/ ٢/ ١٤٢١هـ».

(٢) المرجع: مجلة الدعوة عدد ١٥٩١، ٩ محرم ١٤١٨هـ وقال الشيخ عصام السناني: «ثم وقّع عليها الشيخ مُحمَّد بتاريخ ٢٤/ ٢/ ١٤٢١هـ».

(٣) المرجع: كتاب «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم» للشيخ ربيع المدخلي (ص٢٤)، وقال الشيخ عصام السناني: «وقرأها على الشيخ حماد تثبتًا في ليلة الأحد ٣/ ١/ ١٤١٥هـ».

(٤) انظر معركة الرأسمالية والإسلام لسيد قطب (٦١).

قتل مرتداً، وإن كان قد مات فيجب أن يبين أن هذا الكلام باطل ولا نكفِّره لأننا لَم نقم عليه الحجة»[١].

* * *

○ **خامسًا: فتوى الشيخ العلامة مُحمَّد أمان الجامي -رحمه الله-[٢]:**

قال -رحمه الله- [٣]: «كتاب الظلال لسيد قطب... ليس تفسيرًا أثريًا ولا تفسيرًا لغويًا، ولكنه إنشاء وخلط وخبط بين آراء الأشاعرة وآراء وحدة الوجود، وآراء المتصوفة وهو أشعري ولا نزاع في ذلك، وأنصح صغار الطلبة في عدم قراءة كتابه الظلال، كما أنصح كبار الطلبة أي من طلاب العلم أن يقرءُوه ليبينوا لصغار الطلبة ما فيه من الباطل من باب النصيحة».

* * *

○ **سادسًا: فتاوى العلامة الشيخ عبد المحسن بن حمد العباد البدر -حفظه الله-:**

الفتوى الأولى: «إن سيد قطب -رحمه الله- كما هو واضح في مؤلفاته كاتب من الكتَّاب، وليس من العلماء الذين يُعَوَّل على كلامهم في المسائل العلمية، وهو عندما يكتب بانفعال وحماس ينفلت منه القلم، وتزل به القدم، فيقع في أخطاء فادحة نفسها...».

ثم ذكر الشيخ نماذج من طعنه في الصحابة، وطعنه في خلافة عثمان -رضي الله عنه-، ثم قال: «لذا فإني أنصح بعدم قراءة كتبه وبالاشتغال بقراءة الكتب النافعة المأمونة العاقبة على قارئها»[٤].

الفتوى الثانية: «... وأما القول بأنه ما شرح التوحيد مثل سيد قطب فهذا كلام غير صواب أبدًا، التوحيد لا يؤخذ من كلام سيد قطب وإنَّما يؤخذ من كلام العلماء المحقِّقين

---

(١) قال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله-: «الحجة قائمة على من بلغه القرآن والسنة، وكفر النصارى واضح في القرآن، وأوضح منه كفر الشيوعية، فكيف يخلط بين كفر وإيْمان».

(٢) رئيس قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية سابقًا والمدرس في المسجد النبوي.

(٣) المرجع: شريط محاضرة إجابات على أسئلة في منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله في شهر (٤/ ١٤١٣هـ).

(٤) المرجع: ورقة كتبها الشيخ إجابة على سؤال، ووقَّع عليها بتاريخ ٩/ ٦/ ١٤٢١هـ.

مثل: البخاري وغير البخاري من الذين أتوا بالأسانيد والأحاديث عن رسول الله ﷺ، وبيَّنوا التوحيد وعرَّفوا التوحيد، وعرفوا حقيقة التوحيد، وكذلك العلماء الذين علمهم في التوحيد ليس على الإنشاء وعلى الأساليب الإنشائية وعلى الكتابات الأدبية، وإنَّما بنوه على كلام العلماء وعلى الآثار وعلى كلام الله وكلام رسوله -صلوات الله وسلامه وبركاته عليه-...»[1].

* * *

○ سابعًا: فتوى العلامة الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله-:

- سئل الشيخ العلامة صالح الفوزان عن قراءة تفسير الظلال؟

فقال: «وقراءة الظلال فيها نظر، لأن الظلال يشتمل على أشياء فيها نظر كثير، وكوننا نربط الشباب بالظلال ويأخذون ما فيه من أفكار هي محل نظر، هذا قد يكون له مردود سيئ على أفكار الشباب..[2]»[3].

وقال: «أما ظلال القرآن فهو تفسير مجمل نستطيع أن نسميه تفسيرًا موضوعيًا فهو من التفسير الموضوعي المعروف في هذا العصر، لكنه لا يعتمد عليه لما فيه من الصوفيات، وما فيه من التعابير التي لا تليق بالقرآن مثل وصف القرآن بالموسيقى والإيقاعات، وأيضًا هو لا يُعنى بتوحيد الألوهية، وإنَّما يُعنى في الغالب بتوحيد الربوبية وإن ذكر شيئًا من الألوهية فإنَّما يركز على توحيد الحاكمية، والحاكمية لا شك أنَّها نوع من الألوهية لكن ليست وحدها هي الألوهية المطلوبة[4]، وهو يؤوِّل الصفات على طريقة أهل الضلال نحو[5] الكتاب لا يجعل في صف ابن كثير وغيره من كتب التفسير»[6].

---

(١) المرجع: سؤال له بعد درس سنن النسائي في المسجد النبوي بتاريخ ٧/ ١١/ ١٤١٤هـ.

(٢) وآثار هذا المردود السيئ أضحت واضحة لكل ذي عينين.

(٣) من شريط بتاريخ الثلاثاء ٤/ ٨/ ١٤١٦، قال الشيخ عصام السناني: ثُمَّ صححه الشيخ.

(٤) وقد بيَّنت -فيما سبق- جهله في التفريق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية، وغلوَّه في «الحاكمية» حتى جعلها أخص خصائص الألوهية، بل جعلها مرادف الألوهية!!.

(٥) كذا بالأصل، ولعل الصواب: «فهذا».

(٦) المرجع في شريط (مجموع ما قاله ابن باز حول نصيحته العامة؛ لقاء مع فضيلته، مكة المكرمة)، ٩/ ٨/ ١٤١٢هـ قال الشيخ عصام السناني: ثُمَّ صحَّحه الشيخ.

○ **ثامنًا: فتوى العلامة الشيخ صالح بن مُحمَّد اللحيدان -حفظه الله-:**

سئل فضيلة الشيخ -حفظه الله-: **هل يوجد في مجلد ظلال القرآن لسيد قطب شك أو ريب بالنسبة للعقيدة، وهل تنصح باقتنائه أم لا؟**

فأجاب الشيخ: «بل هو مليء بما يخالف العقيدة، فالرجل -رحمه الله- تسأل الله أن يرحم جميع أموات المسلمين- ليس من أهل العلم، هو من أهل الدراسات المدنية وأهل الأدب، وله كتبه السابقة قبل أن ينخرط في سلك الإخوان المسلمين، وكان من الأدباء، له كتاب: «حصاد أدبي»، و«الأطياف الأربعة»، وغيره... «وطفل من القرية» وأشياء كثيرة من هذا النوع، ثم شاء الله -جل وعلا- أن يتحول عمَّا كان عليه، وكان في وقت نشط الناس في الكلام وإن قلَّ العمل، وكان للكلام أثره فكان ما كان وكتب هذا الكتاب الذي اسمه «في ظلال القرآن»، وإن شاء الله له حسنات، ولكن له أخطاء في العقيدة، وفي حق الصحابة: أخطاء خطيرة كبيرة، وقد أفضى إلى ما قدم فنسأل الله أن يعفو عنا وعنه هو، **أما كتبه فإنَّها لا تعلِّم العقيدة ولا تقرر الأحكام**، ولا يعتمد عليها في مثل ذلك، ولا ينبغي للشادي والناشئ في طريق العلم أن يتخذها من كتب العلم التي يعتمد عليها، فللعلم كتبه، وللعلم رجاله، أنصح أن يعتني طالب العلم بالقراءة للمتقدمين: الأئمة الأربعة، وللتابعين، وأهل الحق، وعلماء الإسلام المعروفين بسلامة المعتقد وغزارة العلم والتحقيق وبيان مقاصد الشريعة، وهم -ولله الحمد- كثيرون، وكتبهم محفوظة -بحمد الله-...»[1].

***

○ **تاسعًا: فتوى الشيخ العلامة زيد بن مُحمَّد المدخلي -حفظه الله-:**

ناقش الشيخ زيد -حفظه الله- بعض الأفاضل حين زلَّ في الثناء على سيد قطب وذمِّ منتقديه، فمِمَّا قاله الشيخ زيد:

الوقفة الأولى: أقول يا ليت الشيخ[2] عندما ذكر تزكية سيد قطب وحسن البنا

(١) المرجع: من شريط درس بعد صلاة الفجر في المسجد النبوي بتاريخ (٢٣/ ١٠/ ١٤١٨).
(٢) يشير إلى الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين -غفر الله له-.

-رحمهما الله تعالى- ذكر بعض أخطائهما الجوهرية وتناول بالذكر أفكارهما المدمرة لحياة القلوب وسلامة الفطر، والتي منها ما يلي:

أ) ما قاله سيد قطب في حق معاوية وعمرو بن العاص من اتهامهما بالنفاق والكذب والغش والخيانة وبيع الذمم...

ب) وما قاله في خلافة عثمان حيث اعتبرها فجوة بين عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب... وما مشى عليه سيد في تأويل الصفات والعرش والميزان وغيرها[١].

ت) وما قرره سيد من أنه لا يوجد في عصره مجتمع من مجتمعات المسلمين قاعدة التعامل فيه شريعة الله والفقه الإسلامي بدون استثناء[٢].

ث) وما قرره من اعتبار المساجد في ديار الإسلام معابد جاهلية[٣].

ج) وما قرره سيد في تفسير لا إله إلا الله بالحاكمية والخلق والاختيار، تاركًا معناها الذي يجب أن تفسر به بالدرجة الأولى وهو توحيد الألوهية[٤].

د) موقف سيد من أخبار الآحاد الصحيحة في العقائد، وأنه لا يقيم لها وزنًا في هذا الباب، وذلك خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة[٥].

ذ) وما بالغ فيه سيد من تقرير المبدأ الاشتراكي الهدّام حيث قال بعد كلام طويل في هذا الموضوع: سبل في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعًا وتعيد توزيعها على أساس جديد...[٦].

ر) وما قرره أيضًا في باب الولاء والبراء في تصريحه بمشروعية الترابط والمودة بين المسلمين والكافرين الذين لَم يحاربونا[٧].

---

(١) التصوير الفني في القرآن الكريم (ص٨٥-٨٦) وفي ظلال القرآن (٣/ ١٧٦٢-١٧٦٣) والتصوير الفني (ص٨٣) وفي الظلال (٣/ ١٢٦١) (٤/ ٢٤٨١).

(٢) في ظلال القرآن (٤/ ٢١٢٢).

(٣) المرجع نفسه (٣/ ١٨١٦).

(٤) المرجع نفسه (٢/ ١٠٠٥).

(٥) المرجع نفسه (٦/ ٤٠٠٨).

(٦) معركة الرأسمالية والإسلام (ص٤٤)، وانظر السلام العالمي (ص١٤١-١٥٩).

(٧) نحو مجتمع إسلامي (١١٩-١٢٠)، والسلام العالمي (١٧٤-١٧٥).

إلى غير ذلك من الأخطاء الفاحشة التي تتعلق بأصول الدين وحقوقه ومكملاته، قال فيها خطأ وشططًا... وإذا الأمر كذلك فكان ينبغي للشيخ أن يحذر الشباب من هذه المزالق التي يجهلونَها وربَّما وقعوا فيها وهم لا يعلمون، اللهم إلا إذا كان لا يعلمها فيحتمل له العذر احتمالاً مع مرارة الأمر، ومن ثم تكون التزكية مبنية على ما شاع وذاع من صيت الرجلين في أوساط جماهير الناس، وذلك لا يغني من الحقِّ شيئًا؛ لأن التزكية شهادة، والشهادة لا تكون إلا على علم، قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦]...»[1].

* * *

○ **عاشرًا: فتوى الشيخ العلامة عبيد بن عبد الله الجابري -حفظه الله-:**

قال -حفظه الله-[2]: «هذا سيد قطب من كفَّره، والله لا أستنكر عليه؛ لأنه قال كلمة الكفر، وركب ما هو معلوم من الدين بالضرورة تحريمًا: تطاول على الأنبياء، تطاول على عثمان -رضي الله عنه-، وعلى غيره من الصحابة ..عنده كفريات، وفي كلامه ما هو دعوة إلى وحدة الأديان.. ركب ما هو معلوم تحريمه من الدين بالضرورة، فمَن كفَّره والله أنا لا أستنكر عليه، وإن كنت أنا أحجم عن تكفيره، لكن أقول: والله هو أقرب إلى الكفر، رجل ضالٌ مُضِل مفسد».

فسألته: لقد نُقل عنكم في سحاب أنكم نقلتم بالإسناد عن الشيخ ابن عثيمين أنه قال: لولا الورع لكفَّرنا سيد قطب؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله-: «نعم هذا شائع».

فقلت: هذا صحَّ عن الشيخ ابن عثيمين؟

قال الشيخ: «نعم ..صحَّ هذا عنا، نقله عنا بعض طلابنا».

* * *

---

(١) المرجع: كتاب الإرهاب وآثاره على الأفراد والأمم. للشيخ (ص١٠١-١٠٧).

(٢) وذلك في المجلس الأخير الذي قرأت فيه على الشيخ عبيد -حفظه الله- هذا البحث.

○ الحادي عشر: فتوى الشيخ العلامة عبد الله الغديان -حفظه الله-:

قال السائل: يقول عدنان عرعور: «لا أعلم أحدًا تكلَّم في قضايا المنهج مثل ما تكلَّم سيد قطب، ومعظم ما كتبه سيد كان مصيبًا فيه، ومن أعظم كتبه «في ظلال القرآن» و«معالم على الطريق» و«ولماذا أعدموني» مع أنه صرح في مواضع أخرى أنه لَم يقرأ هذه الكتب وينصح الشباب بقراءتِها، فما قول سماحتكم؟

قال فضيلة الشيخ: «الجواب أن الشباب ينصحون بعدم قراءتِها، وأنَّهم يقتصرون على دلالة القرآن ودلالة السنة وعلى ما كان عليه الخلفاء الأربعة والصحابة والتابعون»[1].

***

○ ثانيًا: ثناؤه على ثلاثة من دعاة القطبية فِي مصر: محمد عبد المقصود[2]،

---

(١) المرجع: من شريط أقوال العلماء في إبطال قواعد ومقالات عدنان عرعور.

(٢) وهذا الرجل معلوم حاله بين طلبة العلم السلفيين في مصر، وهو أنه **تكفيريٌّ قطبي**، وأقواله في تكفير أصحاب الكبائر -خاصة الحكَّام- معلومة منشورة، وكذلك تصريحاته بموالاة غلاة الخوارج في هذا العصر، وإقراره لطرائقهم، وطعنه في أكابر أهل العلم مثل الألباني وربيع بن هادي ومحمد أمان جامي مشهودة ومسجلة عليه، وهذه بعض أقواله:

فهو القائل: «والله إني لأحب أسامة بن لادن وأواليه وأعتقد أنه من المجاهدين في سبيل الله، وهم الذي أخبر عنهم الصادق المصدوق ﷺ..»، وقد بيَّنا شيئًا من حال أسامة بن لادن من قبل، ويكفي شهادة الإمام ابن باز عليه أنه من الخوارج والمفسدين في الأرض.

وهو القائل على العلامة الألباني -رحمه الله-: «لقد دخلت على الشيخ بعض شبه المرجئة».

وهو القائل عن خمسة من العلماء السلفيين في مدينة النبي ﷺ المشهود لهم بالعلم والفضل: «وهي عصابة مكونة من خمسة أشخاص يريدون الهيمنة على الدعوة السلفية في الأرض، وليسوا من أهل العلم هؤلاء ليسوا من أهل العلم، وكتبهم مليئة بالتجهيل على العلماء، وإمامهم ربيع المدخلي الذي عدَّه حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام إمامًا عند أهل السنة في هذا العصر..».

قلت: كذبت والله -وكذب من وافقك على كلامك هذا-؛ فإن من تشير إليهم قد أثبت لهم إمام السنة عبد العزيز بن باز -رحمه الله- العلم والفضل لمَّا تطاول عليهم أمثالك، مِمَّن ابتلوا بداء الخروج على الحكَّام، وعلى العلماء.

وأما العلامة ربيع بن هادي فهو إمام من أئمة السنة شئت أم أبيت بشهادة العدول من أهل العلم. وأين أنت الآن أيها المسكين وأين ربيع المدخلي؟! أنت مقموع لا وزن لك عند علماء السنة، =

ولا ذكر لك إلا عند الغلاة أمثالك في دهاليز مصر المظلمة التي عشّشت فيها الأفكار القطبية الخارجية التي طالما عانىٰ منها بسببك وبسبب أمثالك شباب مصر، والمعتقلات التي ضاعت فيها أعمارهم تشهد علىٰ ذلك.

وهو الذي قال -لما سئل عن حكم المظاهرات-: «والله أنا عن نفسي لا أرىٰ بأسًا بالمظاهرات..».

وهو القائل: «بفضل الله -عز وجل- الحمد لله، أنني أبرأ إلىٰ الله -عز وجل- من هذه القوانين الوضعية ومن واضعيها ومن الحاكمين بها، أبغضهم في الله -عز وجل- **وأحكم عليهم بأنهم كفروا!! حين بدلوا شريعة الله -عز وجل-**... هذا الأمر مفخرة لي بفضل الله -عز وجل-، وإذا سلمنا أنهم لا يكفرون إلا إذا استحلوا، فهل لا يكون الاستحلال إلا بقوله أنا مستحل!».

قلت: ونحن -كذلك- نبرأ إلىٰ الله من هذه القوانين الوضعية، ومن كل ما خالف شرع الله تعالىٰ، ونبرأ إلىٰ الله أيضًا من الغلوّ في تكفير الحكّام القائم علىٰ منهج الخوارج.

وقوله: «لو سلمنا جدلاً أنهم لا يكفرون إلاّ إذا استحلوا!!» يدل علىٰ أنه لم يقتنع بمنهج السلف في التفرقة في الحكم بين المستحل وغير المستحل، فقد جعل صحة هذا القول من باب الفرض الجدلي، وبالتالي فهو يعتنق قول الخوارج الذين لا يُفصّلون، ولا يُفرّقون.

وكذلك تشكيكه فيما قرره علماء السُّنة من أن الاستحلال القلبي لا يُعرف إلاّ عن طريق القول -أو ما يقوم مقامه من الكتابة والشهادة-، يؤكد بلا ريب ما ذكرته.

وقال -كما نقل هذا عنه الشيخ خالد بن عبد الرحمن-: «مَن لم يكفّر الحاكم فهو أخطر علىٰ الإسلام من المرجئة»، ولمّا عرض الشيخ خالد هذه العبارة علىٰ شيخنا محمد البنا -رحمه الله-، أجاب الشيخ: «علىٰ كل حال ما أظن عالِمًا أو مَن عنده علم يقول مثل هذا الكلام».

وسئل: سمعنا أنكم قلتم إن الممثلين في هذا المسلسل الفاجر المضلل مرتدون، فهل ما سمعنا عنك صحيح؟

فأجاب قائلاً: «نعم هذا صحيح، الترويج للكفر الذي يروج للكفر سواء أن كان مخرجًا أو ممثلاً أو مؤلفًا أو وزيرًا! ... **الذين شاركوا في إخراج هذا المسلسل الذي يدعو للكفر والضلال والانحلال ينبغي أن يكونوا كفاراً مرتدين!!**... تصوّر مسلسل يوضع فيه الصليب إلىٰ جوار كلام الله -عز وجل- إلىٰ جوار الأسماء الحسنىٰ وإلىٰ جوار سورة الكرسي... لعنة الله عليهم ولا كرامة **لعنة الله علىٰ وزير الإعلام!** ... نسأل الله أن يدمرهم وأن يدمر جميع الطواغيت وطاغوتهم الأكبر».

قلت: هكذا تكفير بالجملة دون ضابط ولا رابط علىٰ طريقة الخوارج الأوائل.

«وطاغوتهم الأكبر» لعلّه يقصد به الرئيس المصري، ولعلّه يقصد الرئيس الأمريكي، وبـ«الطواغيت»: حكّام البلاد الإسلامية؛ وهذا هو قول محمد سرور -زعيم السرورية-.

وقد وُجّه هذا السؤال إلىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في عهد الإمام ابن باز -رحمه

=

الله-: اختلفنا في المسلم الذي يلبس الصليب شعار النصارىٰ، فبعضنا حكم بكفره بدون مناقشة، والبعض الآخر قال: لا نحكم بكفره حتىٰ نناقشه ونبين له تحريم ذلك وأنه شعار النصارىٰ فإن أصرَّ علىٰ حمله حكمنا بكفره».

الجواب: «التفصيل في هذا الأمر وأمثاله هو الواجب؛ فإذا بُيِّنَ له حكم لبس الصليب وأنه شعار النصارىٰ، ودليل علىٰ أن لابسه راضٍ بانتسابه إليهم والرضا بما هم عليه، وأصرّ علىٰ ذلك حُكِم بكفره؛ لقوله -عزَّ وجلَّ- : ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١]، والظلم إذا أطلق يراد به: الشرك الأكبر.

وفيه أيضًا إظهار لموافقة النصارىٰ علىٰ ما زعموه من قتل عيسىٰ -عليه الصلاة والسلام-، والله سبحانه قد نفىٰ ذلك وأبطله في كتابه الكريم حيث قال -عزَّ وجلَّ-: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] الآية. وبالله التوفيق. وصلىٰ الله علىٰ نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

قلت: وهو الذي صرَّح بموافقته علىٰ البيان الذي أصدره مائة فرد -مِمَّن يحسبون علىٰ الدعاة وأهل العلم- وهم ما بين حزبي وخارجي وجاهل ومتعالم-، حول أحداث غزة، والذي صرَّحوا فيه بتكفير الرئيس المصري، فقال: «أنا أضم صوتي إلىٰ صوت العلماء -علماء الحق- والدعاة الذين أصدروا بيانًا قرأته اليوم في الصحف، أضم صوتي إلىٰ صوتهم وأؤيدهم في كل ما قالوا وأؤيد أيضًا أخي الشيخ حازم أبو إسماعيل -رحم الله أباه رحمة واسعة- فهذا الشبل من ذاك الأسد، أؤيده علىٰ كل ما قال علىٰ هذه القناة الميمونة -يقصد قناة الناس-».

قلت: ومن هو حازم صلاح أبو إسماعيل؟ هو أحد أعلام جماعة الإخوان المسلمين بمصر ونجل صلاح أبي إسماعيل البرلماني المصري الشهير وعضو هيئة الدفاع عن الإخوان المسلمين المحالين للمحكمة العسكرية.

وهو الذي جاء منسوبًا إليه هذا الكلام في موقع «ملتقىٰ طلاب المحروسة»: «من قناة الناس الشيخ حازم صلاح ابو اسماعيل يعلن الانتفاضة ضد مبارك.. لا تدعو الله ولا تنفقوا في سبيل الله اذا كان ذلك سيؤدي الىٰ قعودكم عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: أمر الحاكم بالمعروف ونهيه عن المنكر مع توقع الأذىٰ منه هو أعظم الجهاد، واجب العلماء إظهار الدين وعليهم تبيانه بالكامل لا أن يختزلوه في صلاة وصيام ونفقة ودعاء، واجب الأمة الآن الأخذ علىٰ يد السفهاء من الحكام إلىٰ أن يرجعوا الىٰ الحق ويتوقفوا عن مولاة الصهاينة والكفار، حازم أبو إسماعيل يؤكد أنه لم يقل كل شيء وعلىٰ المؤمنين أن يسعوا من أجل الحق ..الدعاء والنفقة والصلاة والعبادات لا تكفي وحدها ولابد من الجهاد ..ليس للمسلمين أن يحتجوا بقفل الحكَّام لباب الجهاد وفي يدهم ما هو أفضل منه وهو قولة حق في وجه سلطان جائر ..علىٰ المؤمنين أن يبحثوا عن أي وسيلة للأخذ علىٰ يد السفهاء من الحكَّام حتىٰ لو كان (تمشية في الشارع لـ..) .. وخاطب الشيخ الأئمة والمشايخ وقال: إن عليهم أن يكفوا عن أن يقولوا نصف الحقيقة وأن الأفضل لهم أن يقولوا إنهم

=

وفـــوزي الـــسعيد[1] ....

=

عاجزون عن قول الحق في إشارة صريحة لموقف القناة الرسمي على لسان صاحبها ومديرها الأستاذ سعيد توفيق ومشايخ آخرين.

وفي الختام أكَّد الشيخ أن هذه ليست دعوة للتوقف عن الدعاء أو الإنفاق في سبيل الله، ولكن ذلك لابد أن يكون مصاحبًا لأعمال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر... موعدنا اليوم الانتفاضة المصرية مستمرة حتىٰ تحقيق الأهداف الجهاد السلمي مستمر انتفاضة حتىٰ النصر، والله أكبر ولله الحمد».

قال ناقل الخبر: «نطالب كل محبي قناة الناس ومحبي الشيخ حازم صلاح أبو إسماعيل والمؤمنين بالاستعداد لمواجهة أي إجراء قد يتخذه أذناب مبارك سواء بغلق القناة أو تغيير ترددها أو التضيق عليها أو علىٰ الشيخ حازم صلاح أبو اسماعيل ومنعه من الظهور علىٰ الهواء».

قلت: وهذه لهجة اعتزالية ظاهرة، فمن الأصول الخمسة للمعتزلة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يعني عندهم: الخروج علىٰ الحاكم الجائر؛ لإقامة الحاكم العدل.

وكذلك هذا هو سبيل الخوارج القعدية القائم علىٰ تزيين الخروج علىٰ الحاكم، دون مباشرته باليد، والذي بيَّناه في ثنايا هذا الكتاب.

وحازم أبو إسماعيل هو مقدِّم برنامج «فضفضة» علىٰ قناة الناس.

فهذا هو محمد عبد المقصود يظهر معتقده الخارجي في تكفير الحكَّام واضحًا صريْحًا، والحويني يعلم هذا علم اليقين، وإن كان لا يعلم فقد علم الآن، فماذا هو صانع؟!

فمثل هذا الرجل، كيف يقدَّم للشباب علىٰ أنه من نجوم الدعوة، ولكن هذه التزكية العالية من الحويني له لم تأتِ من فراغ، ولكن لِمَ قيل في المثل: الطيور علىٰ أشكالها تقع.

(١) هو قطبيٌّ تكفيريٌّ جَلِد، وهو الذي طعن في إمام السُّنة محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- قائلاً: «إذن الإرجاء الذي أعنيه والذي أركز عليه هو إخراج العمل من دائرة الإيمان، ومن ثَمَّ قالت: (**مدرسة الأردن**) علىٰ جلالة زعيمها وقائدها علىٰ جلالة قدره وعلىٰ رفعة شأنه عند أهل السنة وعلىٰ إنه إمام عظيم محدث الزمان، فأنا عن نفسي لولا هذا الرجل ولولا ما قرأت في كتب هذا الرجل لكنت كما يُقال نسيًا منسيًا إلا أن يشاء الله -عز وجل-، وله فضلٌ علىٰ جميع الناس، عندما نحج نأخذ معنا حجة النبي ﷺ للشيخ الألباني، عندما نصلي نحتكم إلىٰ ما في كتبه، في أكثر هذه الأمور لأنه محدث الزمان، ومع ذلك أراد الله -عز وجل- أن يمتحن أهل السنة **بأن يقول هذا الإمام العظيم في الاعتقاد في هذه المسألة كلامًا هو كما قاله الجهم بن صفوان**، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، فلا يجعل كفرًا أكبر إلا كفر الاعتقاد، عُمِّيت عليه المسألة». اهـ

قلت: فهل مثل هذا الرويبضة الذي يطعن في إمام السنة يصلح أن يكون نجمًا من نجوم الدعوة؟!

وهذا الرجل هو الذي كان يوزِّع كتاب «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا» بسعر زهيد أمام مسجدي

=

وسيد العربي[1]: في عقيقة ابنته ميمونة زار الحويني ثلاثة من رءوس القطبيين في مصر، فقال مثنيًا عليهم:

«الذين شرفونا في هذا الحفل المبارك ونسأل الله -تبارك وتعالى- أن ينفعكم بهم.. تفضل يا شيخ محمد عبد المقصود، الشيخ محمد عبد المقصود، والشيخ فوزي السعيد، والشيخ سيد العربي: **هؤلاء نجوم ... هم نجوم؛** لا يحتاجون إلى تذكير منا». اهـ

* * *

○ ثالثًا: ثناؤه على عبد الحميد كشك:

عبد الحميد كشك -من قدامى دعاة حزب الإخوان-، وهو قصَّاص مهيِّج، وخطيب حماسي مفوَّه، عنده تصوُّف، وقد أثنى عليه الحويني في مقدِّمة كتابه «تنبيه الهاجد» (ص٩) قائلاً: «ففي صيف عام (١٣٩٥هـ) كنت أصلي الجمعة في مسجد (عين الحياة)، وكان إمامه إذ ذاك الشيخ عبد الحميد كشك حفظه الله تعالى»، ثم قال معلقًا في الحاشية: «ثم توفي

=

التوحيد والعزيز بالله بالقاهرة، هذا الكتاب السيئ الذي شوَّه فيه صاحبه -المجهول الهوية- صورة علماء السنة، خاصة أئمة الجرح والتعديل وافترى عليهم الأكاذيب، وقد رددت عليه -بفضل الله- وهتكت أستاره في كتابي «دفع بغي الجائر الصائل على إمام الجرح والتعديل وعلى المنهج السلفي وأئمته بالباطل.... نقد علمي لكتاب انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا».

(١) هو على شاكلة صاحبيه: قطبيٌّ تكفيري جَلِد، وهو مِمَّن أشاعوا فتنة عمياء أطارت عقول الشباب المتهور، وهي تكفير كُلِّ مَن يسب الدين من العامة، دون الانتباه إلى ما ذكره أهل العلم من وجوب تصريح الساب بسب دين الإسلام، أو أن يبين أنه قصد بلفظ الدين: دين الإسلام؛ لأن أغلب حال العامة يدور حول سب تدين الشخص وخلقه ولا يقصدون الإسلام، وقد تقدم نقل فتاوى الأئمة: ابن عثيمين، ومحمد إبراهيم آل الشيخ، وعبد الرزاق عفيفي، والألباني -رحمهم الله جميعًا- في هذا الشأن.

وقد وصل الحال بأتباعه الغلاة إلى أنهم كانوا يحملون معهم أجهزة التسجيل داخل السلخانات (أماكن ذبح الأنعام)؛ كي يسجلوا للجزارين «سبَّ الدين»؛ من أجل أن يقنعوا العامة بحرمة الذبائح في هذه المذابح؛ لأن الجزارين -على مذهبهم- كفروا.

وقد تولى كبر الدعوة الفاجرة في مصر مع فوزي السعيد ومحمد عبد المقصود في اتهام الألباني بالإرجاء، وعقد سلسلة دروس (بلغت ستة وعشرين درسًا) لتأصيل هذا الأمر، وحشد الشبهات لتقريره.

الشيخ -رحمه الله- في رجب (١٤١٧هـ) فاللهم اغفر له وارحمه وارض عنه كفاء ما نافح عن دينك، وما جاهر بكلمة الحق».

وقال: «وقد انتفعت به كثيرًا في بداية حياتي». اهـ

***

قلت: ونحن لا ننكر عليه الدعاء له بالمغفرة والرحمة، لكن ننكر عليه إظهاره لكشك في صورة المجاهد المنافح عن السنة، والكل يعلم أن الرجل كان مزجى البضاعة، ولم يؤسِّس دعوته على منهج الأنبياء في الاهتمام بالتوحيد والتحذير من الشرك بكل صوره، بل كان جل اهتمامه الحديث عن مخالفات الحكَّام والفنانين ونحوهم.

ثم قال مبينًا تأثره بخطب كشك ومنهجه وانتفاعه به: «إنَّ الحركة العلمية كانت هامدةً في ذلك الوقت، وكل من تصدَّر لوعظ الناس فهو عندنا عالمٌ، فما بالك بأشهر الواعظين عندنا في ذلك الزمان -وهو الشيخ كشك- الذي كان له بالغ التأثير في الناس بحسن وعظه، ومتانة لفظه، وجرأته في الصدع بالحق، لم ينجُ منحرفٌ من نقدِهِ مهما كان منصبه[1]، وكان في صوته -مع جزالته- نبرة حُزن، ينتزع بها الدمع من المآقي انتزاعًا[2]، حتى من غلاظ الأكباد وقساة القلوب، **فكان هذا الشيخ العالم الأول والأخير عندي، لا أجاوز قوله. وقد انتفعت به كثيرًا في بداية حياتي**[3]، كما انتفع به خلقٌ، لكنني لما طالعت «السلسلة الضعيفة» وجدت أن كثيرًا من الأحاديث التي يحتج بها الشيخ منها، حتى خيل

---

(١) حتى لو كان الحاكم العام للبلاد، وهذا إقرار من الحويني على جواز الإنكار على الحُكَّام المنحرفين على المنابر؛ حيث إنه يذكر هذا على سبيل المدح لصنيع الرجل دون أدنى غضاضة، ودون أن يُبيِّن مناقضة هذا الصنيع لمنهج السلف الصالح.

(٢) قال الشيخ حسن عبد الوهاب -نفع الله بعلمه-: «هكذا...! مهما كانت المخالفات للمنهج الصحيح فإنما هو التأثر العاطفي بدون الضوابط الشرعية، وهذا من مشاعر العامة الذين يسارعون إلى البكاء عند التحدُّث في الدين، ولو كان المتحدِّث بدعيًّا، فإنه لا يستند في كلامه للأدلة من الكتاب والسُّنة بفقه سلف الأمة». اهـ

(٣) أرأيتم هذا الاعتراف الصريح بالارتباط بكشك ومنهجه؟!

إليّ أنه يحضر مادّة خطبه من هذه «السلسلة»، وسبب ذلك فيما أرى أن الشيخ حفظ أحاديثه من كتاب «إحياء علوم الدين» لأبي حامد الغزالي، وكان الغزالي -رحمه الله- مزجى البضاعة في الحديث، تام الفقر في هذا الباب!.

فعكّر عليّ كتاب الشيخ ما كنت أجدهُ من المتعة في سماع خطب الشيخ كشك، حتى كان يومٌ، فذكر الشيخ على المنبر حديثًا عن النبي ﷺ قال: **«إن الله يتجلى يوم القيامة للناس عامة، ويتجلى لأبي بكر الصديق خاصة»**.

فلأول مرة أشك في حديث أسمعه، وأسأل نفسي: ترى! هل هو صحيح أم لا؟ ومع شكّي هذا، فقد انفعلت له، وتأثرت به بسبب صراخ الجماهير من حولي، استحسانًا وإعجابًا!

ولمّا رجعت إلى منزلي، قلبت «السلسلة الضعيفة» حديثًا حديثًا أبحث عن الحديث الذي ذكره الشيخ كشك، فلم أجده، فواصلت بحثي، فبينما كنت في بعض المكتبات، وقفت على كتاب «المنار المنيف» لابن القيم -رحمه الله- بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- فوجدتُ الحديث فيه، وقد حكمَ الإمامُ عليهِ بالوضع فيما أذكرُ، فعزمت على إبلاغ الشيخ بذلك نصيحة لله تعالى، وقد كان رسخ عندي أن التحذير من هذه الأحاديث واجبٌ أكيدٌ.

وكان للشيخ جلساتٌ في مسجده بين المغرب والعشاء، فذهبتُ في وقتٍ مبكرٍ لألحق بالصف الأول حتى أتمكن من لقائه في أوائل الناس، فلما صلينا، جلس الشيخُ على كرسيه في قبلة المسجد، وكان له عادة غريبةٌ، وهي أنه يمدُّ يده، فيقفُ الناس طابورًا طويلاً، فيصافحونه، ويقبّلون يده وجبهته، ويُسرُّ إليه كل واحد بما يريد، وكنت العاشرَ في هذا الطابور، فقلت في نفسي: وما عاشر عشرة من الشيخ ببعيد!

فلمّا جاء دوري، قبّلتُ يده وجبهته، وقلت له: إنَّ الحديث الذي ذكرتموه في الجمعة الماضية -وسميتُه- قال عنه ابن القيم: إنه موضوع.

فقال لي: بل هو صحيح، فلمّا أعدت عليه القول، قال كلامًا لا أضبطه الآن، لكن معناه أن ابن القيم لم يُصِب في حكمه هذا، ولم يكن هناك وقت للمجادلة؛ لأن من في الطابور ينتظرون دورهم!». اهـ

قلت: وبالفعل ثبت انتفاع الحويني بخطب كشك حيث أثّرت في منهجه أيّما تأثير، وصار في الآونة الأخيرة -بعد أن حصّل المكانة العلمية التي كان يسمو إليها بالتصاقه بالألباني- إلى خطيب ثوري على غرار كشك في عباراته الركيكة وانتقاداته اللاذعة لأهل الفن والحكم خارجًا بهذا عن سمت العلماء الربانيين.

وتأمل كيف صوّر كشكًا في صورة العالم الإمام، بل في صورة المجتهد الذي يوضع اجتهاده في مصاف اجتهادات الإمام ابن قيم الجوزية -رحمه الله-، وهذا من التدليس بلا شك!.

وقارن بين كلام الحويني وكلام الإمام الألباني التالي في حق كشك؛ كي يثبت لك تدليس الحويني حيث كتم هذه الحقائق التي بيَّنها العلامة الألباني، ولَمَّع كشكًا بما لا يستحقه مِمَّا يغر السُّذّج، وقد قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦]، وبه تدرك أيضًا التباين الظاهر بين منهج الحويني ومنهج الألباني.

قال الإمام الألباني -رحمه الله تعالى- بعد أن تكلّم عن الشعراوي وبيَّن مخالفاته في العقيدة-: «الشعراوي مثل شيخ آخر مع اختلاف بينهما بلا شك، الذي يسمى: كشك، **كلاهما قصَّاص**، والقُصّاص هذه طبيعتهم، يجمعوا الناس حولهم وينبسطوا من كلامهم، لكن مهما حضر جلسات هؤلاء القصّاصين اسأله بعد سنين: شو معلوماتك إلّي استفدتها بما يتعلق بمعرفة الحلال والحرام، والمكروه والمستحب إلى آخر ما هنالك من الأحكام .. ما بتشوف عنده شيء إطلاقًا!! إنما عنده حكايات وعنده سوالف كما يقولون ومطمئن تمامًا، لكن الخاتمة لا يخرج من هذه الدروس بشيء، أو أي شيء يصحّح عقيدته وهذا هو المثال بين أيدينا؛ لأنك لو سألت العامة فضلاً عن أهل العلم، القرآن كلام من؟ كل المسلمين يقولون كلام الله، لكن لو أنك مع الشعراوي وأمثاله من الأشاعرة والماتريدية يبقوا يلفوا ويدوروا معك حتى يُخرجوك عن هذه العقيدة ويقولوا القرآن هذا ليس كلام الله لكن ما يرموها صراحة حتى ما تطلع رائحتهم النتنة، القرآن كلام الله، كلّم الله موسى تكليمًا، مثل التوراة، مثل الإنجيل كلها كُتب أنزلها الله على رسله المصطفين الأخيار،

الشاهد أن العقيدة التي يجب تدريسها من كل العلماء في كل المناسبات الشعراوي وكشك هذا لا يدندنون حول ذلك.

هل سمعت الشعراوي يُبيّن للناس هذه الصلاة التي أمرنا بها في آيات كثيرة كمثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا الزَّكَوٰةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة:٤٣]، نصحك وجزاه الله خير هذا لا يمكن إنكاره لما سألك كيفك أنت في الصلاة؟ بتصلي ما بتصلي؟ إلى آخر ما ذكرت أنت، لكن هل بيّن لك كيف لك أن تصلي؟ أنا أقول لك سلفًا: لا، ليش؟ إذا كُنت مخطئًا فقل لي أخطأت؛ **لأني على مثل اليقين أنه هو وكشك وغيره لا يعرفون يصلون**، هم يصلون لكن لا يعرفون يصلون، ليش؟ لأن صلاتهم حسب ما قرءوا في مذهبهم، من كان شافعيًّا يرفع يديه عند الركوع ومن كان حنفيًّا يقول لا، وهكذا والأمثلة كثيرة وكثيرة جدًا، مع أن النبي ﷺ قال: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، كما أنهم لا يدندنون حول أمر رسول الله ﷺ ليعرف المسلم أن يأتمر بالحديث السابق: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**».... إلخ»[1]. اهـ

[من شريط «وقفات مع الشعراوي وكشك»، سلسلة الهدى والنور شريط رقم ١٥٩].

وسئل -رحمه الله-: مرأة لا يعلمها زوجها الفرائض العينية التي هي فرضٌ عليها، هل يجوز لها أن تخرج رغمًا عنه إلى دروس العلم لتتعلم؟

الجواب: يجوز ولا يجوز، إذا كانت تخرج تتعلم الفرض العيني جاز وإلا فلا، إذا كان الزوج لا يُعلّم زوجته ما يجب عليها من أمور دينها وجوبًا عينيًا، فخرجت بدون إذنه لتتعلم الواجب عليها عينًا، فيجوز لها؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، أنا أعني بهذا القيد على الرغم من أنه جاء في السؤال لكن يجب أن نؤكد عليه في الجواب؛ لأنها قد تخرج مثلاً لتسمع درسًا، هذا الدرس يمكن أن يكون درس قصّاص أو واعظ أو .. ، أو أن **يكون مثل كشكولكم هذا، -شو اسمه؟!- ، الشيخ كشك هذا اللي يضجج الدنيا بصياحه وزعاقه**، (وصلوا على النبي، وزيدوا صلاة ..) وإلى آخره، إذا خرجت إلى مثل هذا ما -بتكون- خرجت لتعلم العلم الواجب العيني، فلذلك لابد من التحديد. [سلسلة الهدى والنور، شريط رقم ٣٤].

---

(١) سوف أنقل تتمة الكلام عند التحذير من الشعراوي -إن شاء الله-.

وقال الشيخ عبد المالك الرمضاني -مبينًا تأثر أبي إسحاق الحويني بمنهج وأسلوب عبد الحميد كشك-: «يتكلم في السياسة على المنبر لأنه كان يذكر المسئولين ويذكر أخطاءهم وما شابه ذلك على المنبر وهذا المسلك معروف **مسلك ثوري إخواني، الرجل له شيء من هذا الميراث الإخواني**؛ لأني لمست منه بل قرأت له مدحه للإخوان المسلمين ذلك المدح المبالغ فيه، وأنتم تعلمون أن السلفي لن يتميز بالسلفية إلا لأنه مخالف لأكبر المناهج المحرفة للدين في هذا العصر ألا وهو منهج الإخوان المسلمين، فهذا في تنبيه الهاجد في إحدى حواشي كتابه هذا يمدح عبد الحميد كشك يصفه بالرجل المجاهد ويشكره على جهاده، **وعبد الحميد كشك تعرفون بأن الرجل صوفي إخواني قح، وهو من أوائل -إن لم أقل هو أول- من ابتدع سَّب الحكَّام على المنبر**[1] بعد أن كان قد نسيه الناس في كثير من البلاد الإسلامية، وأعطى للشباب الثوري نفسًا ما بعده من نفس، ولا تكاد تجد لهذه الثورات القائمة في كثير من البلاد الإسلامية اليوم من فتيل إلا وكان قد أوقده أول من أوقده عبد الحميد كشك، يلقي الخطبة على المنبر ويسب الحكام والسلاطين مع أنه مخالف لهدي النبي ﷺ حيث يقول: «**أقيلوا ذوي الهيئات عثراتهم إلا الحدود**»، أقيلوا ذوي الهيئات: أصحاب الهيئات، أصحاب الوجاهة الذين لهم وجاهة في المجتمعات، لهم سلطان، أقيلوا عثراتهم أي تجاوزوا عن عثراتهم لا تستبيحوها، ولا تنشروها أمام الناس، إلا الحدود يعني إذا بلغ القاضي أو السلطان أن رجل من ذوي الهيئات من ذوي الوجاهة من الوزراء والمسئولين قرف حدًّا من حدود الله لا يسعه إلا أن يطبقه عليه، لكن غير هذا لا يشرع، لا سيما وقد قال النبي ﷺ: «**من أراد أن ينصح لذي سلطان فلا يبده علانية ولكن يأخذ بيده في خلوة وينصح له، فإن قبل منه فذاك وإلاَّ كان قد أدى الذي عليه**». اهـ

[من شريط لقاء علمي ومنهجي مع الشيخ عبد المالك].

* * *

---

(١) أي: قام بإحياء هذه البدعة.

○ **رابعًا: ثناؤه على سيد حسين العفّاني:**

قام الحويني بتقريظ عدة كتب للسيد حسين عفّاني، ومن خلالها أثنى عليه، فقال في تقريظه لكتاب «رهبان الليل» (١٦/١): «ولكم كنت في رغبة أن أرى مجموعًا في هذا المعنى، حتى أقر عيني، وعين كل سني -إن شاء الله- صاحبنا الشيخ سيد بن حسين العفّاني بهذا الكتاب، فجزاه الله خيرًا».

وقال في تقريظه كتاب «الجزاء من جنس العمل» (الطبعة الثانية ١٤١٧/١٩٩٦-ط مكتبة ابن تيمية- القاهرة): «فقد أهداني صاحبي النبيل الشيخ سيد بن حسين العفّاني -حفظه الله تعالى- نسخة هذا الكتاب بخط يده؛ لأبدي فيه رأيًا، ظنًّا منه أن وراء الأكمة ما وراءها، وتحسُّبًا منه أن في الزوايا خبايا، على عادته في هضم حظ نفسه...

إلى أن قال: «فليعذرني الشيخ النبيل على قصوري وتقصيري، والله أسأل أن ينفع به كما نفع بصاحبه...».

قلت: هذا الشيخ النبيل الذي أثنى عليه الحويني بهذا الثناء العالي، قد سلك مسلك القطبيين في تكفير بعض حكّام المسلمين المعاصرين، ووافق أيضًا «القطبيين» في غلوهم في تمجيد سيد قطب، وتمجيد تفسيره الظلال، حيث قال: «وبقي الظلال، والغريب أن ظلال القرآن كتبه فقيد الإسلام سيد قطب في سجون ناصر وهُرِّب... وذاع وانتشر حتى في إعلام الطاغية.. يدعو الناس لصاحبه ليل مساء، ويدعون على مَن قتله ليل مساء.. والجزاء من جنس العمل... وأخيرًا أي ذل تناله أيها الداعي إلى القومية العربية في الدنيا فوق هذا».

وقال أيضًا كما في «زهر البساتين» (١٨٢/٣) مادحًا سيد قطب: «أديب الإسلام الشيخ....».

وفي (٤١٥/١) من «الجزاء من جنس العمل»، قال تحت عنوان «صاحب الكامب» -يشير إلى الرئيس المصري محمد أنور السادات -رحمه الله-: «في يوم عرفة عام (١٣٩٧) هجرية السبت في ١٩ نوفمبر سنة (١٩٧٧) تحرك أحد أفراد هذه الأمة إلى أرض فلسطين، والتقى في موكب من الحفاوة مع شعب صهيون؛ ليخدع من يخدع بسلام الذُّل».

ثم قال في (٤١٨/١): «وفي كامب العار، وفي مستنقع الكامب تم سلام الذل، ويا

للسخرية حين يشبهونه بصلح الحديبية الذي سماه الله فتحًا مبينًا، فأي خداع للمسلمين وأي سخرية فوق هذه؟

الذي تطاول استكبارًا كيف يتمرغ هنا في وحل الكامب؟!».

إلى أن قال: «عتا وعتا وسخر من الدعاة، ونادى نفسه برب العائلة:

لـئن قالــها الطــاغوت ربٌّ وعائــل ... فقــد قالــها فرعــون ربكــم الأعــلى

فمــا الفــرق بــين القــالتين كمــا تــرى ... ســوى بــين أعــلى عائــل فــارجع القــولا

وفتح السجون على مصراعيها، وقذف في آتونها الدعاة والشباب، وكما أبكى عيون أمهات في يوم التروية، فأبكى الله عيون بنيه في يوم العيد، والجزاء من جنس العمل... مكر بالناس في سلامه المزيف، فمكر به وهو في يوم زينته ووسط حشوده وعتاده[1]، آمن ما يكون، هذا الذي تطاول ذلَّ، والجزاء من جنس العمل». اهـ

* * *

قلت: وهذا النفس الخارجي العالي لا يحتاج إلى كثير تعليق، لمن عرف الفروق بين السلفية والخارجية، ولكن نقول لإزالة الغشاوة عمَّن غشي بصره هذه الهالة من الكلام المزخرف الذي يستجيش العواطف ويلهب حماسة الشباب المتهور الفارغ من العلم الصحيح:

محمد أنور السادات -الذي يتهمه العفّاني بأنه صاحب سلام الذلّ-: هو الذي أذلَّ الله على يديه بني صهيون في حرب العاشر من رمضان، وجعله الله سببًا في تطهير جزء من أراضي المسلمين -وهو جزء عزيز: أرض سيناء- من دنس اليهود، ورفع على هذه الأرض راية الإسلام، وشيَّد عليها المساجد، وأرغم أنوف اليهود على أن يتسولوا هم الصلح مع المسلمين، وقد أمر جنوده بأن يجعلوا صيحة النصر في هذه الحرب: «الله أكبر»، حتى صارت هذه الصيحة شعارًا يُعمل به في الجيش المصري حتى الآن[2].

---

(١) يشير إلى اغتياله -رحمه الله- على أيدي الخوارج يوم احتفاله بنصر العاشر من رمضان على اليهود، وهذا إقرار منه -بل مدح منه- لصنيع هؤلاء الخوارج. مع التنبيه على بدعية هذا الاحتفال.

(٢) وقد كان محمد الغزالي -الإخواني- أعقل وأرشد من هؤلاء القطبيين في موقفه من السادات، =

وأما عن قيامه بعقد هذه الهدنة مع اليهود، فإن جمهور أهل العلم أجازوا عقد الهدنة مع الكافر لاعتبارات ومصالح يراها القائد، ومن هذه المصالح أن يستعيد المسلمون قوتهم؛ كي يأخذوا الأهبة الكافية لمواجهة العدو مرة أخرى، وفتوى الإمام ابن باز الأخيرة في جواز الصلح مع اليهود مذكور فيه الأدلة الواضحة على هذا الأمر؛ فليرجع إليها.

وهذا الذي يتباكى على الفلسطينيين، ويدعي خذلان السادات لهم بسبب صلحه مع اليهود، كان عليه أن يسأل نفسه، ما الذي صنعه -أدعياء الجهاد- طوال هذه السنوات، وقد مضى على معاهدة كامب ديفيد ما يقرب من ثلاثين عامًا، أليسوا هم حتى الآن متناحرين متفرقين إلى أحزاب وشراذم يقتل بعضهم بعضًا؟! ألم يقم في الأمس القريب قادة فرقة حماس الإخوانية بالتضحية بالشعب الفلسطيني المسلم في غزة إرضاء لكبريائهم، وأبوا الصلح المؤقت مع اليهود؟

فمَن الأنفع للمسلمين -إن كنت صادقًا-: آلرجل الذي أذلَّ اليهود بعد عزة، وأخرجهم خائبين من سيناء يحملون عار الهزيمة، وأجبرهم على طلب الصلح، وقام بالصلح معهم حفاظًا على المسلمين وحقنًا لدمائهم حتى يستعيد المسلمون قوتهم؟! .

أم هؤلاء الجبناء من قادة حماس الذين اختفوا في حصونهم، وصدَّروا المسلمين العزّل كي يحصدهم اليهود حصدًا، وهم لا يرفعون رأسًا لهذه الدماء التي أهدرت، بل يعتبرونها قرابين قُدِّمت نصرة للإسلام، وفي الواقع إنما قُدِّمت لإبقاء حزبهم والحفاظ على هيبتهم المدعاة، ثم بعد ذلك يخدعون السُّذَّج بهذه الشعارات الكاذبة التي يخفون خلفها عارهم: «غزة لن تنكسر ..!!»، و«لنا العزة وإن أبيدت غزة»؟!

وهذا الشيخ النبيل الذي أثنى عليه الحويني، له ثناءات على عدد من أهل البدع في هذا الزمان -والذين حذَّر منهم أئمة السُّنة في هذا الزمان-، ومن هذه الثناءات ما يلي:

=

حيث قال في «قذائف الحق» (ص١١٩): «وعندما تولى الرئيس أنور السادات الحكم، كشف عن الوجه الحقيقي لمصر المسلمة، ودفع سياسة البلد إلى طريق أرشد، وقضى على مراكز القوة التي كانت تريد السير بمصر بعيدًا عن الإسلام». اهـ

قال مادحًا حسن البنا كما في زهر البساتين (٤٩٩/٢): «الداعية الإمام الشيخ العبقري المصلح الفذ ... أشهر في الدنيا من الدنيا استطاع أن يرد غربة الإسلام بين الجاهلين به إلى معرفة وأنس، عرّف الناس في زمان الغربة بشمولية الإسلام فإن الإسلام مصحف وسيف...».

وقال عن الطنطاوي كما في زهر البساتين (١٦٥/٣): «الداعية الإسلامي الكبير وعرس الشهداء».

وقال عن أبي الحسن المصري كما في حاشية الزهر (٢١٠/٦): «شيخ المركز العلمي بمأرب، وهو متبحر في علم الحديث».

وإذا أراد أن ينتقد أحد هؤلاء سلك منهج الموازنات المحدث الذي أحدثه الشيطان لتزيين أهل البدع في أعين الناس، فقال العفّاني كما في زهر البساتين (٤٤٤/٣) عن محمد الغزالي: «من هذا المنطلق -يعني: منطلق النصح-، ونحن نتكلم عن فضيلة الشيخ محمد الغزالي وهو يهدر كالموج ويقصف كالرعد ويزأر كالليث مدافعًا عن الإسلام ضد خصومه، إلا أننا لا نقبل كلامه في السلفيين ودفاعه عن المدرسة العقلانية».

وفي الجملة فالرجل حاطب ليل، ومَنْ زكّاه مثله.

* * *

○ **خامسًا: ثناؤه على دعاة مدرسة الأسكندرية الحزبية: محمد إسماعيل المقدّم**[1]،

---

(١) هو أحد دعاة مدرسة الأسكندرية الحزبية، والتي ترفع راية «شغور الزمان من الإمام»، وبالتالي ترى عدم شرعية ولاة الأمر الممكنين في بلاد الإسلام، على طريقة المعتزلة والخوارج.

وهو القائل في شرحه على كتابه «علو الهمة» (الشريط الخامس): «ونحن لا نقصد الاستيعاب ولكن نقصد مجرد ضرب الأمثلة، لذلك نقفز على عصرنا الحديث، ونختم الكلام في هذا الفصل بمثال فذ، بذل حياته لإعلاء كلمة الله، وهو الأستاذ سيّد قطب -رحمه الله تعالى- وأعلى درجته في الشهداء، فإن ذلك الرجل -وما أقل الرجال في هذا العصر- ارتضع منذ طفولته معاني العزة والكرامة والأنفة وشرف النفس، **حتى عاش حياته سيدًا، وغادر الدنيا سيدًا، رافعًا رأسه، وعاش حياته قطبًا، وغادرها أيضًا قطبًا في الدعوة والجهاد**، ونتوقف فقط -رغم أن حياته الطويلة حافلة بهذه المواقف: مواقف العزة والكرامة- عند ساعاته الأخيرة وهو يغادر هذه الدنيا الفانية، طُلب إليه أن يعتذر للطاغية مقابل إطلاق سراحه، فقال: (لن أعتذر عن العمل مع الله)، وعندما طُلب منه كتابة كلمات
=

يسترحم بها عبد الناصر قال: (إن إصبع السبابة الذي يشهد لله بالوحدانية في الصلاة، لَيَرفُض أن يكتب حرفًا يُقِرُّ به حكم طاغية)، وقال أيضًا: (لماذا أسترحم الباطل؟، إن سُجنتُ بحق، فأنا أقبل حكم الحق! وإن سُجنت بباطل، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل!».

وفي إحدىٰ الجلسات اقترب منه أحد الضُبَّاط، وسأله عن معنىٰ كلمة (شهيد) يعني يلمح له أن مصيرك أنك ستقتل، فيقول له كلمة شهيد معناها إيه؟ اقترب منه هذا الضابط وقال له ما معنىٰ كلمة شهيد؟ فرّد عليه -رحمه الله تعالىٰ- قائلاً: «شهيد: يعني أنه شهد أن شريعة الله أغلىٰ عليه من حياته».اهـ

قلت: وهذه صوفية عصرية؛ فصيَّروا سيدًا في مرتبة القطب الذي يجب أن تدور حوله الأتباع، كما هو الحال عند الصوفية.

وما ذكره من قصص حدثت في الساعات الأخيرة قبل إعدام سيد، إنما هي قصص خيالية يخترعها الأتباع الجهلة ورءوس الضلال لتلميع متبوعيهم بنسبة الكرامات إليهم علىٰ طريقة المتصوفة والشيعة في تلميع أئمتهم.

ومَن يقرأ مذكرات سيد «لماذا أعدموني؟» -والتي نشرها محمد قطب بعد مقتل أخيه- يدرك وهاء هذه الأسطورة التي تشعر القارئ أن سيدًا حُكِم عليه بالإعدام؛ لأنه كان يطالب بإقامة التوحيد وتطبيق الشريعة، ولكن جمال عبدالناصر أبىٰ، واعتقله من أجل ذلك.

والصحيح أن جمال عبد الناصر إنما اعتقل سيدًا، وأمر بإعدامه لما اعترف به سيد نفسه في مذكراته هذه، حيث قال في (ص٢٨): «كنا قد اتفقنا علىٰ استبعاد استخدام القوة كوسيلة لتغيير نظام الحكم أو إقامة النظام الإسلامي وفي الوقت نفسه قررنا استخدامها في حالة الاعتداء علىٰ هذا التنظيم الذي سيسير علىٰ منهج تعليم العقيدة وتربية الخلق وإنشاء قاعدة للإسلام في المجتمع، وكان معنىٰ ذلك البحث في موضوع تدريب المجموعات التي تقوم برد الاعتداء وحماية التنظيم منه، وموضوع الأسلحة اللازمة لهذا الغرض، وموضوع المال اللازم كذلك...»، إلىٰ أن قال: «ووفقًا لهذا جاءوا في اللقاء التالي ومع أحمد عبد المجيد قائمة باقتراحات تتناول الأعمال التي تكفي لشلّ الجهاز الحكومي عن متابعة الإخوان في حالة ما إذا وقع الاعتداء عليهم كما وقع في المرات السابقة ... وهذه الأعمال هي الرد فور وقوع اعتقالات لأعضاء التنظيم بإزالة رؤوس في مقدمتها رئيس الجمهورية ورئيس الوزارة ومدير مكتب المشير ومدير المخابرات ومدير البوليس الحربي، ثم نسف لبعض المنشآت التي تشل حركة مواصلات القاهرة لضمان عدم تتبع بقية الإخوان فيها وفي خارجها، كمحطة الكهرباء والكباري، وقد استبعدت فيما بعد نسف الكباري كما سيجيء».اهـ

قلت: فليأت المنافحون عن سيد بالباطل ما يثبت أنه كان يدعو عبدالناصر إلىٰ التوحيد؟!

هاتوا لنا نصًا واحدًا -ولو ضعيفًا- يفيد أن سيد قطب طالب عبد الناصر أن يعمل علىٰ إزالة صور الشرك الأكبر التي ملأت نجوع وقرىٰ مصر!.

وأحمـد فريـد[1]،...

=

لا يوجد؛ لأن سيدًا لم يؤصل توحيد العبادة على طريق الرسل، ولم يدع إليه على هذه الصفة.

(١) هو قطب من أقطاب مدرسة الإسكندرية الحزبية.

وإليك نبذة من تاريخه الدعوي الذي يبين انتماءاته المنهجية كما حكاها هو بنفسه، ويبين كذلك شيئًا من النشأة الحزبية لمدرسة الأسكندرية -كما على موقع أنا المسلم-: «وتعرفت في هذه الفترة على إخواني في الله الذين بدأوا الدعوة إلى الله -عز وجل- بالجامعة، وكان سبب ذلك أن كتب أحد طلاب الكلية الذين يسبقوننا على سبورة المدرج من أراد أن ينضم إلى الجماعة الدينية فعليه أن يذهب إلى جمعية الشبان المسلمين بالشاطئ يوم كذا بعد صلاة كذا، فذهبت إلى الجمعية والتقيت بهم، وكان على رأسهم أخي الحبيب الدكتور إبراهيم الزعفراني، ثم كثرت اللقاءات بيننا بالكلية وخاصة إبراهيم الزعفراني ...، وبدأنا سويًا طريق الدعوة، وكانت هذه بداية الصحوة بالنسبة لنا، وكذا بجامعة الإسكندرية، وبدأ النشاط بالجامعة بعد تكوين الجماعة الإسلامية التي كانت في الظاهر خاصة بالجامعة وفي الواقع ممتدة إلى خارج الجامعة ثم في السنة الأخيرة في كلية الطب رشحت لاتحاد طلاب الجامعة لجنة خدمة الطلاب... وكان أول عمل بعد أن نجحنا في الانتخابات هو إنشاء جماعة إسلامية بكل كلية من كليات جامعة الإسكندرية.

وفي هذه الأثناء تعرفنا على الشيخ محمد بن إسماعيل ... وكنت دونه في العلم والعمل، ولكنني كنت قد بدأت الدعوة إلى الله -عز وجل- بعاطفتي الإسلامية وبضاعتي المزجاة من العلم ويكفي في إثبات هذه العاطفة شهادة أحد أعداء الدعوة في هذا الوقت وهو الأستاذ صبري نور -رحمه الله- فقد كان في هذا الوقت يخالف الجماعة الإسلامية في الفكر ويميل إلى فكر التكفير وأرجو أن يكون رجع عن ذلك فقد رأيته في مساجد الدعوة قبل وفاته بقليل واستقبلني استقبالاً حسنًا فقال في هذه الأثناء:

الأخ أحمد فريد قلبه ينبض بحب الإسلام، والحمد لله الواحد العلام.

وبعد أن نجحت الجماعة الإسلامية في الحصول على جميع اللجان في اتحاد كلية طب الإسكندرية نما إلى علمنا أن عميد الكلية قد ألغى الاتحاد وهو بصدد تعيين أمراء جدد نتيجة لضغوط معينة معروفة، فصمَّم الإخوة على عمل مؤتمر بساحة كلية الطب، وعلق الميكرفون فوق حجرة الجماعة ونزل عميد الكلية، وحاشيته لإنزال الميكرفون وإلغاء المؤتمر فوقفت له تحت الميكرفون وصممت على أن الميكرفون لن يزال، وكنت في هذا اليوم في غاية الشدة وكان أخي إبراهيم في غاية اللين، عكس طبيعتنا في غير هذا الموقف، المهم لم ينزع الميكرفون وبدأ المؤتمر وكنت آخر المتكلمين(*).

[(*) علّق الشيخ حسن على هذا الموضع قائلاً: «هل هذه الوقفات من بعض الطلبة مع عميد الكلية والتحدي له واعتبار الطالب رأسه برأس العميد، وهو المسئول عن إدارة الكلية يكون من شاب يخاف الله،

=

ويلتزم بمنهج أهل السُّنة، ولكن لا تعجب فإن الذي يسير على عدم توقير الكبير (المسئول) والسمع والطاعة للأمير (في غير معصية) يفعل ذلك. ويحسب أنه على هدى، والله تعالى ثم رسول الله ﷺ قد فصلا في مثل هذه القضايا»].

وأذكر أنني قلت في خطبتي: «نحن نعلم مستقبلنا جيدًا مستقبلنا بين جدران الزنازين وعلى خشبات المشانق أما مستقبلهم... وتلوت خواتيم سورة إبراهيم:

﴿ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. إلى قوله تعالى: ﴿ هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا۟ بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [إبراهيم: ٥٢].

وارتجت الكلية رجة عنيفة وكنت أرى الطالبات المتبرجات يبكين وكذا إخواننا في الجماعة الإسلامية، وقد هزت كلمتي حتى عميد الكلية فأعاد الاتحاد المنتخب مرة ثانية وأرسل إلينا يقول: اعتبروني واحد منكم، وانضم في هذا الوقت كثير من الطلاب إلى الجماعة الإسلامية لما وجدوا من هذه الروح، وكان أعداء الجماعة يتهمونها بأنها تحرك عواطف الناس وبذلك ينجحون في الانتخابات والله الموفق رب الأرض والسماوات.

وعاشت الجماعة الإسلامية أزهى عصورها في الجامعة وخارج الجامعة وأقيمت المعسكرات الإسلامية وكانت من اتحاد الجامعة واشتراكات الطلاب، وكان ذلك قبل خروج الإخوان من السجون فكان الذي يضع برنامج المعسكرات الشيخ محمد بن إسماعيل، فقد كان ومازال أعلمنا ونحسبه أتقانا لله -عز وجل-، ولم يكن ظهر اسم السلفية وكذا لم يكن هناك تواجد لمنهج الإخوان، فكان العمل تحت اسم الجماعة الإسلامية، ولكن الكتب التي نَدْرُسُهَا ونُدَرِّسُهَا سلفية كتب ابن تيمية وابن القيم، وأذكر أنه في سنة من السنوات، تم تدريس كتاب: الأصول العلمية للدعوة السلفية للشيخ عبد الرحمن عبدالخالق، واستمر النشاط بالجامعة وخارجها، وكان أول ظهور للإخوان في معسكر إسلامي برشيد وكان القائم عليه الأستاذ عباس السيسي كبير الإخوان بالإسكندرية -وهو رجل فاضل كريم من الرعيل الأول للإخوان-، وقد دعيت لهذا المعسكر وكذا الشيخ محمد بن إسماعيل والشيخ أبو إدريس محمد عبد الفتاح، وكان الإخوان يرسلون كل يوم أحد الإخوة للإشراف على المعسكر، وكان في اليوم الأول الأستاذ محمد عبد المنعم، وكان مع إخوة الجماعة الإسلامية عناصر ضعيفة جدًا علميًا وعمليًا من الإخوان الجدد وللأسف كانوا هم المسئولين عن الحجرات، وكذا إعطاء الدروس وإدارة المعسكر، في اليوم التالي كان المبعوث من الإخوة الأستاذ جمعة أمين -حفظه الله-، وكان يعرفنا حيث اعتكفت معه بمسجد الحمام بالظاهرية، وكان يعطي موعظة يومية في التفسير فشكوت إليه ما نعانيه في المعسكر فقال: أنت غدًا أمير المعسكر أو الشيخ محمد إسماعيل فقلت له: بل الشيخ محمد إسماعيل وكان الأمر كذلك فتغيرت الأحوال بالمعسكر تمامًا، وفي اليوم التالي كنت أنا أمير المعسكر ثم حضر إلينا الدكتور

مصطفىٰ حلمي وكانت رسالته الدكتوراه أو الماجستير عن شيخ الإسلام ابن تيمية، -وهو وإن كان حركيًا من جماعة الإخوان إلاَّ أن دراسته وكتاباته سلفية- ثم ازداد المعسكر حلاوة بحضور الأستاذ محمد حسين في اليوم الأخير وكان المعسكر علىٰ شاطئ رشيد، وكنا نلعب الكرة وننزل البحر فكان من أمتع المعسكرات، وفي نهاية المعسكر أراد الإخوان مني ومن الشيخ محمد إسماعيل المبيت فاستأذنت الأستاذ محمد حسين فرفض وقال كان ينبغي أن يستأذنوني، وأعطونا عدة مذكرات عن الدعوة لتوزيعها فرفض الأستاذ محمد حسين ذلك.

واستمر نشاط الجماعة الإسلامية بالجامعة يقودها من خارج الجامعة الأستاذ محمد حسين، وكان طبيعة العاملين شخصيات إدارية كإبراهيم الزعفراني وكان أميرًا، وشخصيات دعوية تتحمل الدعوة العامة وكذا المجموعات الدراسية.

وقبل أن أنتقل إلىٰ بداية تأثير الإخوان علىٰ الجماعة الإسلامية أحب أن أشير كيف تعرفنا علىٰ إخواننا بجامعة القاهرة، وهم: الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح والدكتور عصام العريان والدكتور محمد عبد اللطيف، وقد تم بمعسكر عقد بكلية الهندسة بشبين الكوم لانتخاب رئيس اتحاد طلاب الجمهورية.

فتعرفنا علىٰ هؤلاء الإخوة الكرام ووجدنا أن ظروف نشأتهم ونشاطهم تشبه ظروفنا إلىٰ حدٍّ كبير؛ فحصل تآلف عجيب معهم وتواصل وتناصح وتناصر، وكان المعسكر مهيًأ لانتخاب شخصية معينة لها ولاء معين معروف في مثل هذه المعسكرات، فقمنا بعمل تكتل إسلامي وهددنا بترشيح الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، وكان كما أذكر رئيس اتحاد طب القاهرة، المهم حصلنا علىٰ بعض المقاعد في اتحاد الجمهورية...».

قلت: كما هو واضح من هذا السرد التاريخي أن نشأة أحمد فريد كانت نشأة حزبية بحتة، قامت علىٰ قواعد الأحزاب من انتخابات، وترشيحات في اتحاد الطلاب، وثورية فارغة، وشعارات حماسية عاطفية ...إلخ، وشيوخ أحمد فريد في هذا الطريق وأقرانه هم رموز الجماعة الإسلامية وحزب الإخوان، فهل وجدتم في سرده السابق أنه درس العلم الشرعي علىٰ أحد من العلماء السلفيين؟ وانتبه إلىٰ اندماج جماعته مع حزب الإخوان، واتفاقهما علىٰ هذه الإمارة البدعية، بل وتآمُر بعضهم علىٰ بعض! وانتبه أيضًا إلىٰ اعتراف أحمد فريد بتأثير حزب الإخوان علىٰ جماعته، بل واعترافه باتفاقهما في النشأة، وفي النشاط الدعوي، وحدوث التآلف والتواصل والتناصر بينهم، ومن هذا التناصر: اتفاقهما علىٰ ترشيح أحد رموز حزب الإخوان، وهو عبد المنعم أبو الفتوح! وانتبه أيضًا إلىٰ ثنائه علىٰ رموز حزب الإخوان، وتبجيله إيّاهم، نحو السيسي، وأبي الفتوح، وعصام العريان!، وقد طبَّق أحمد فريد في كلامه السابق منهج الموازنات البدعي بحذافيره!!.

وصدق عمرو بن قيس الملائي -رحمه الله- حينما قال فيما أخرجه ابن بطة في الإبانة (٤٤) (١/ ٢٠٥): «إذا رأيت الشاب أول ما ينشأ مع أهل السُّنة والجماعة فارجه، وإذا رأيته مع أهل

البدع فايئس منه، فإن الشاب على أول نشوئه».

ولكن رغم وضوح كلامه السابق، إلا أنه يعتبر هذا التيار الذي نشأ وسطه أنه يمثل الدعوة السلفية التي هي دعوة الفطرة، وهذا والله من التلبيس العجيب الذي لا يصدر إلا من أحد رجلين: إما رجل لا يعرف حقيقة المنهج السلفي، أو رجل ملبس صاحب هوى يتعمَّد التدليس؛ حيث قال أحمد فريد بعد هذا: «وإلى هذا الوقت لم يكن للإخوان أثر على الصحوة الإسلامية سواء بالإسكندرية أو القاهرة وكان ذلك سنة (١٩٧٦) أو (١٩٧٧) وكانت الصحوة تعمل تحت اسم الجماعة الإسلامية أمَّا الاتجاه هو على الفطرة والفطرة في اتجاهات الدعوة هي السلفية كما أن الإسلام هو دين الفطرة بالنسبة للشرائع المختلفة.

لأن السلفية هي اتباع سلف الأمة وهم الصحابة ومن بعدهم من أهل القرون الخيرية الثلاثة الأول عدا أهل البدع الذين يرون ظلام الظلم نورًا، واعتقاد الحق ثبورًا، وسيصلون سعيرًا، ولا يجدون لهم من دون الله وليًّا ولانصيرًا».

قلت: ولا أدري مَن هم أهل البدع المعنيين بكلامه السابق؟! والظاهر من فحوى كلامه أن أهل البدع هم الفرق القديمة، التي هي في عُرف حزب الإخوان مندثرة لا وجود لها على أرض الواقع... والله المستعان.

ثم قال: «وكان مؤسس هذه الجماعة الإسلامية بالجامعة الأخ إبراهيم الزعفراني وكنت أقرب الناس إليه والمدرسة السلفية لم تولد بعد، وتزامن تأثيرالإخوان على قيادات الجماعة الإدارية وميلاد المدرسة السلفية، ففوجئنا بالإخوة الإداريين يطلبون الاستخارة للانضمام إلى جماعة الإخوان المسلمين، وأذكر أنني قلت نحن نحب السلف وعلماء السلف وسوف نشتكيكم إلى الله -عز وجل-.

وكان الشيخ محمد إسماعيل مسئولاً عن منطقة محرم بيه وكان بها الشيخ أبو إدريس محمد عبد الفتاح وكذا الشيخ سعيد عبد العظيم، وكان المرشد للإخوان في هذا الوقت غير معلن -وهو الأستاذ عمر التلمساني- حيث جمع صفوف الإخوان بعد الأستاذ الهضيبي، وجدير بالذكر أيضًا أننا في نشاط الجامعة دعونا الأستاذ التلمساني لمحاضرة بمدرج كلية الطب وأنكر علينا بعض قيادات الإخوان ولعله الدكتور حتحوت وقال: إن عمر التلمساني لا يمثل الإخوان، وقد أعلن بعد ذلك أنه المرشد العام للإخوان المسلمين في ذلك الوقت...».

قلت: أرأيتم هذا التناقض -أو قل: التلاعب بالمنهج..!- ففي الوقت الذي يُظهرونَ فيه الإباء للانضمام لحزب الإخوان، بل ويدعون الله -عز وجل- على مَن دعاهم إلى هذا؛ يدعون مرشد الإخوان إلى محاضرة!!

وإني أعجب من هذا الإباء المصطنع في ترك الانضمام لحزب الإخوان رغم أنهم لا يختلفونَ كثيرًا عنه، فعندهم البيعة والتجمع الحزبي والانتخابات والتهييج السياسي... إلخ، وإنما الفارق الأساسي بين الحزبين، أن حزب الأسكندرية له عناية أكثر بالعلم الشرعي، والقراءة من بعض

كتب السلف، بخلاف حزب الإخوان فهو علىٰ ضحالة شديدة في هذا.

وقال الشيخ حسن -حفظه الله-: «إن كان الحق معهم، وكانوا مع السلف حقيقة؛ لسادوا وأصبحت لهم الكلمة علىٰ الإخوان، ولكن ذلك لم يحدث، بل الإخوان المسلمون هم الذين لهم السيطرة والغلبة ولو بطريق غير رسمي».

ثم قال أحمد فريد: «ثم كان من تقدير الله -عز وجل- أن بدأ الشيخ محمد بن إسماعيل في إنشاء المدرسة السلفية وذلك بعد أن رأىٰ أنه تأهل للدعوة والتصدي لتعليم الناس ... ثم لما طلبوا منا الاستخارة للانضمام إلىٰ الإخوان رفض الشيخ محمد كما ذكرت الانضمام للإخوان المسلمين؛ لأن المرشد مجهول وكان معه إخوة محرم بيه.. وهددوا الشيخ بالتشهير بهم علىٰ المنابر والتضييق عليهم، فلم يخضع لهذا التهديد واستمر في دعوته...».

قلت: وهذا اعتراف جلي من أحمد فريد أن السبب الرئيسي الذي من أجله رفضت مدرسته الانضمام لحزب الإخوان هو جهلهم بالمرشد العام، أي: كان سبب الرفض سببًا حركيًا لا عقديًا منهجيًا، يعني: لم يكن سبب رفضهم للانضمام فساد منهج حزب الإخوان، وتأسيسه علىٰ البدع.

ثم قال: «وبعد أن خرجت من الجيش كانت الجماعة الإسلامية قد تميزت إلىٰ فريقين الإخوان المسلمون والمدرسة السلفية، وكان كل فريق يطمع في عملي معه وأنا بطبيعة الحال وفي كل وقت حسن المعاملة للجميع فزارني الأستاذ محمد حسين، وكذلك الشيخ محمد إسماعيل وبقية الإخوة فعملت في الدعوة السلفية؛ لأنها الفكر الأصيل وإسلام الفطرة فلم أبايع في وقت من الأوقات جماعة الإخوان وكذلك بقية الإخوة بالدعوة السلفية لم يبايع واحد منهم جماعة الإخوان، ولكن الواقع أن الإخوان استقطبوا العناصر الإدارية من الجماعة الإسلامية بالإسكندرية، وأحضروا الإخوة الأحباب عبد **المنعم أبوالفتوح وعصام العريان ومحمد عبد اللطيف** للأستاذ محمد حسين بالأسكندرية فأقنعهم بفكرالإخوان، فالواقع أن بعض الجماعة الإسلامية التي نشأت سلفية العقيدة والمنهج تركوا المنهج السلفي واندمجوا في جماعة الإخوان وبقي إخوة الدعوة السلفية علىٰ فكرهم وعقيدتهم واستحر التشويه بالمدرسة السلفية من خلال درس الثلاثاء وغيره حتىٰ كان بعض الجهال يخرج من محاضرات الإخوان وهو يقول السلف تلف.. وهذا من جهلهم بمعنىٰ السلف.

وكان كثير منهم من كثرة الطعن والتشويه للإخوة السلفيين يحضر درس الخميس في مسجد عباد الرحمن، وكان هو التجمع الرئيسي للدعوة السلفية علىٰ مدىٰ عدة سنوات من أجل أن يتعرف علىٰ هؤلاء فإذا به يترك منهج الإخوان ويصير من دعاة السلفية أو أفرادها العاديين وفي أتون هذه المعركة الكلامية تكلَّم الشيخ محمد بن إسماعيل عن الأصول العشرين للشيخ حسن البنا -رحمه الله- وسجلت المحاضرة وانتشرت انتشارًا واحدًا كما هو شأن الحق في كل زمان ومكان يقيض الله -عز وجل- من ينشره ويرفعه؛ ثم سجَّل الأستاذ محمد حسين شرحًا للأصول العشرين، ولكنه لم ينتشر كما انتشر شريط الشيخ محمد إسماعيل.

=

.....وياسر برهامي[1]:

=

المهم تحت سيطرة الإخوان على الجماعة عينوا لكلِّ كلية أميرًا تابعًا للإخوان، وكذا المدينة الجامعية وحاولوا التضييق على السلفيين وحاول الإخوان جبر النقص العلمي بالنسبة لإخوانهم السلفيين فأحضروا الشيخ المطيعي من القاهرة، وكان أشعري العقيدة مع أن إخواننا بالإسكندرية كانت عقيدتهم سلفية، ولكن دفعهم إلى ذلك مقاومة المدّ السلفي ...».اهـ

قلت: سبحان الله! أبعد إفصاح هؤلاء المتعصِّبة من جهلة حزب الإخوان بالعداء السافر للسلف، بل والاستهزاء بمصطلح «السلف»، تحت سمع وبصر قادتهم، يقوم محمد إسماعيل بشرح «الأصول العشرين» لمؤسس الحزب -حسن البنا-، بدلاً من أن يبين للجميع فساد الحزبية وشؤمها، ويبين فساد منهج البنا الذي بايع على الطريقة الحصافية الصوفية، وأنشأ حزبه عليها، وكان يدرب الشباب على الاغتيالات، والاعتصامات، والمظاهرات، والتفجيرات، وأعمال الشغب، والتي هي أركان الخروج في العصر الحديث، وكان البنا أول من أشهرها ونشرها في وسط المسلمين، مِمَّا ترتب عليه فتن لا تُحصىٰ، وإراقة دماء الآلاف من الأبرياء، وكفل هذه الدماء عليه.

وانتبه إلى إصرار أحمد فريد على التعظيم والإجلال لبعض رموز حزب الإخوان وقادته نحو: العريان، وأبي الفتوح، دون أن يتعرض لهم بأي كلمة تجريح!.

ورغم اعترافه بحرب الإخوان للمنهج السلفي، إلا أنه هو وإخوانه في مدرسة الأسكندرية مازالوا ينعقون ببدعة الموازنات، ويوجبونها على أتباعهم، ويطبقونها مع حزب الإخوان، فلا يسمحون بانتقاد حزب الإخوان إلا مع ذكر أمجاده وحسناته في زعمهم!!.

(١) قطبي تكفيري حزبي جَلِد، وإليك بعض أقواله التي تثبت أنه ينحىٰ منحىٰ آل قطب في الغلو في التكفير:

قال في كتابه «فقه الخلاف» (ص٥٥): «مذهب البعض من أبناء الصحوة يرون هؤلاء الدعاة على أبواب جهنم ولاة أمر شرعيين، وليسوا فقط قد فرضوا على المسلمين أمرًا واقعًا بالقوة لا بالحق».

وقال في كتاب «فقه الخلاف» (ص٥٦، ٥٧): «فإن واجب المسلمين حال غياب الإمام أن يكون العلماء هم ولاة الأمور».

والمقصود بغياب الإمام: الغياب المعنوي، هو كفره كفرًا بواحًا؛ لأنه بيَّن ذلك في مذكرة: «العمل الجماعي بين الإفراط والتفريط» (ص١٠)، بقوله: «المقصود بشغور الزمان عن الإمام هو عدم وجود الحكومة المسلمة التي تحمل المكانة على مقتضى الحكم الشرعي، وهذا الشغور يكون في صورتين:

الأولى: انعدامه حسيًا: كما لو مات الإمام أو عُزل.

الثانية: الانعدام الشرعي: كما لو ارتد عن الإسلام أو بدَّل الشرائع، وغيَّر الأحكام فسقطت بذلك بيعته، وانحلت عقدة إمامته، وإن بقي في موقعه قابضًا على أزمة الأمور».

=

قال الحويني في لقاء معه على قناة الناس: «أحسست أولاً بالغربة ما فيش أحد يدعو إلى السنة، الغربة هذه كوْنت عندي ضرورة أن نوجد تلاميذ وأدور على من الذي يمشي على نفس الخط معايا عشان يحصل نوع من التواصل الوجداني بيني وبينه، وإن كان ما فيش ترتيب عملي يعني المشايخ الموجودين في مصر الآن -ربنا يحفظهم جميعًا- من إخواني بيني وبينهم وُدٌّ أكيد، رغم ممكن نغيب بالست سنوات ما نشوفش بعض، إلا المشايخ المشاهير عشان بنلتقي في القناة: الشيخ محمد حسان، الشيخ محمد يعقوب، الشيخ مصطفى العدوي ..أما بقية إخواننا المشايخ: الشيخ محمد إسماعيل، الشيخ أحمد

=

ويقول في كتابه «فقه الخلاف» (ص٥٧): «تحذير الناس من الدعاة على أبواب جهنم ومعرفة ضررهم وانعدام ولايتهم شرعًا وإن استقرت واقعًا».

ويقول في كتابه «فقه الخلاف» (ص٧٦): «وكذا وصفُ أعداء الله المنافقين الذين يصدون عن سبيل الله بكل الطرق على أنهم ولاة أمور شرعيين تلزم طاعتهم، ومن وصفهم بأنهم ولاة شرعيين فإنما أوتي من قلة علمه وسوء فهمه».

ويقول في كتابه «فقه الخلاف» (ص٧٦): «وينبغي أن يدخل في هذا النوع من الخلاف غير السائغ الخلاف في حكم من يلزم الناس بقانون مخالف لشريعة الإسلام في التشريع العملي، ويحتمه عليهم فلا شك أن هذا الأمر من الكفر الأكبر».

ويقول في كتابه «مِنَّة الرحمن في نصيحة الإخوان» (ص١٧): «أمَّا الكفر الأكبر فهو الذي يؤصل أن القانون الملزم به في الحكم أن الزنا حرية شخصية طالما كان برضا الأطراف المعتبرة، أو أنه إذا ثبت يلزم قيده بعقوبة تخالف الشرع كالحبس شهورًا، ويجعله موقوفًا على طلب الزوج ونحو ذلك».

قلت: وهذه الأقوال ظاهرة ظهور الشمس في أن الرجل يحكم على حكَّام المسلمين الحاليين -الذين تلبسوا بالحكم بهذه القوانين- بالكفر الأكبر دون الرجوع إلى تفصيل السلف في التفرقة بين المستحل وغير المستحل، وقد صرح بهذا بدون تورية في العبارة الأخيرة، وبالتالي فهو لا يرى لهم ولاية، ولا بيعة، أي: لا يرى لهم سمع ولا طاعة في المعروف، وهذا النهج الخارجي هو الذي عليه كل من تربى على كتب سيد قطب، ومن ثَمَّ صاروا أكبر فرقة من فرق الخوارج في هذا العصر، والتي أطلق عليها العلماء: «القطبية»، نسبة إلى سيد قطب، وشقيقه محمد قطب.

وللمزيد عن حقيقة حال ياسر برهامي: انظر «الإنصاف في نقد (فقه الخلاف) للدكتور ياسر برهامي»، لأبي عبد الله أحمد بن زايد.

فريد، وإخواننا المشايخ في الأسكندرية، وبقية المشايخ في مصر، ممكن أغيب بالست سنوات بالسبع سنوات ما شوفش أحد فيهم، لكن لا أحمل في قلبي ..

فقاطعه مقدِّم البرنامج قائلاً: ممكن نعمل لكم لقاء مُجَمّع؟

فقال الحويني: يا ريت، لو عملت كده تكون أسديت إلي جميلاً».

وقال في تقريظه لكتاب «رهبان الليل» (١٧/١) للعفّاني: «وأنا في غنًى عن مدح هذا الكتاب، فهو ينطق بذلك، وقد سبقني في التعريف به والثناء عليه صاحبنا الحبيب الشيخ أبو الفرج محمد بن إسماعيل -حفظه الله-». اهـ

وقال في شريط بعنوان «حكم الخروج مع جماعة التبليغ والدعوة» بعد أن بيّن ما هم عليه من بدعة: «يعني مثلاً أنا، والشيخ محمد يعقوب والشيخ محمد حسان والشيخ مصطفى العدوي والشيخ محمد إسماعيل والشيخ ياسر برهامي والشيخ سعيد عبد العظيم والشيخ أحمد فريد والشيخ محمد عبد المقصود إخوانًا دول كلهم محطوطين في اللِّستة السوداء الكلام ده حقيقي، وأنا على رأسهم أنا أكتر واحد يحذّرون مني بسبب الكلام الذي أقوله».

* * *

قلت: ومن المواقع الصديقة على موقع الحويني: موقع طريق السلف -والأولى أن يسمى بطريق الخلف-، والذي تقوم عليه مدرسة الأسكندرية، وموقع صوت السلف الذي يشرف عليه ياسر برهامي.

وهكذا يعترف الحويني باندماجه الكامل مع هؤلاء القطبيين والقُصّاص، في الوقت الذي يشوّه فيه صورة العلماء الربانيين، وإلى الله المصير...

* * *

○ سادسًا: ثناؤه على محمد حسّان[1]:

(١) قد سبق لي نقد منهج محمد حسّان والتحذير منه في كتابي «الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية»، وكذلك في سلسلة دروس منهجية سميتها بـ«التوضيح في ردِّ شبهات صاحب رسالة إلى غلاة التجريح»، فمن أراد التفصيل فليرجع إليهما.

وقد أضجَّ كتاب «الكواشف الجلية» مضاجع محمد حسّان والحزبيين، ومن ثَمَّ اتفقوا على

قال الحويني كما في (شريط ١٠ من شرح مسلم) مُرحِّبًا بقدوم الواعظ محمد حسَّان عليه في مسجده:

«يشرفنا وينور بلدنا بمثل ... فضيلة الشيخ محمد حسَّان جاء عائدًا وزائرًا وواصلاً لرحمه -جزاه الله خيرًا-، نحن برضه لن نخلي المقام من تذكرة من لسانه المنطلق الممتع، نسأل الله أن يذلِّله في سبيل الله».

وقال في أولى حلقات برنامجه «ساعة وساعة» على قناة الرحمة الفضائية: «ولكن قبل أن أتكلم عن هذا البرنامج وطريقتي فيه، أود أن أتكلم عن شيء أثار لغطًا في أول ظهور قناة الرحمة، ذلك أنني لم أشارك في هذه القناة من بدايتها، وظن بعض الناس أن هناك نوعًا من سوء التفاهم بيني وبين الشيخ محمد حسَّان، جعلني أتأخر أو أتقاعس عن المشاركة في هذه القناة، لكن ليس شيء من هذا بفضل الله -عز وجل-، والودّ بيننا بحمد الله -عز وجل- ودٌّ أكيد ....». اهـ

وله ثناءات عدة عليه في مواطن أخرى خاصة في لقاءاته وبرامجه في القنوات

=

اختلاف مشاربهم على التحذير منه وعلى ذمِّ صاحبه، وسارع أحد المفتونين بمحمد حسَّان لإنقاذ ما يمكن إنقاذه حفظًا لماء وجه شيخه بعد أن افتضح منهجه وصار جليًّا عند العقلاء، فألَّف كتاب «الجواهر الحسان في بيان منهج فضيلة الشيخ محمد حسان»، وسلك مسلك التلبيس وإخفاء الحقائق ما استطاع، ليظهر شيخه في أحسن صورة ممكنة، وإن كان هذا على حساب الحق وعلى حساب معتقد السلف الصالح، ومن ثَمَّ فقد شرعت في كتابة رد موسَّع على هذا الكتاب أبين فيه الأصول الحزبية الظاهرة عند محمد حسَّان، وأثبت فيه عدم صحة المراجعات المدعاة الملفقة التي تمت بين محمد حسان ومدرسة الأردن -هذه المدرسة التي حوَّلت دفتها -للأسف!!- لنصرة الحزبيين وجنَّدت طاقاتها وإمكانياتها العلمية والمادية لهذا-؛ حتى صار أصحابها: الشيخ علي حسن، والشيخ مشهور بوقًا لمحمد حسان والحويني والمغراوي وأبي الحسن وغيرهم من الحزبيين من خلال منتدياتهم الخاصة، ومن خلال منتدياتهم العامة، المسماة بـ«كل السلفيين».

وسيأتي -إن شاء الله- نقد بعض مقالات الشيخ علي حسن، والشيخ مشهور في الثناء على الحويني، ومحمد حسان في فصل لاحق، والذي من خلاله أيضًا أذكر بعض مقالات محمد حسَّان المخالفة، وأناقشها مناقشة علمية.

الفضائية، بل صار هو ومحمد حسّان ومحمد حسين يعقوب يمثلون ثالوثًا على هذه القنوات.

* * *

○ سابعًا: ثناؤه على محمد متولي الشعراوي[1]:

---

(١) هو صوفي أشعري، وإليك الأدلة على هذا:

هو صوفي أشعري ماتريدي، يتبع الطريقة الصوفية الهبرية البلقايدية الجزائرية الضالة التي يتزعمها «محمد بلقايد التلمساني الجزائري»، وخلفه ابنه «محمد عبد اللطيف بلقايد».

وإليك الأدلة على هذا:

قال الشعراوي في شعره مادحًا البلقيادي وطريقته:

نــــور القلــــوب وري روح الــــوارد	هبريــــة تــــدني الوصــــول لعابــــد
تزهـــــو بسلــــسلة لـــــها ذهبيـــــة	مــن شــاهد للمــصطفى عــن شــاهد
طوَّفـــــت في شرق الــــبلاد وغربهـــــا	وبحثــت جهــدي عــن إمــام رائــد
أشـــــفي بــــه لغيــــب حقيقـــــة	وأهــــيم منــــه في جــــلال مــــشاهد
فهــــداني الوهَّــــاب جــــلَّ جلالـــــه	حتــى وجــدت بتلمــسان مقاصــدي
واليـــوم آخـــذ نورهـــا عـــن شـــيخنا	مــحيي الطريـــق مـــحمد بالقائـــد
ذقنــــا مواجيـــــد الــــحقيقة عنــــده	وبــــه عرجنــــا في صــــفاء مــــصاعد
عـــن شـــيخه الـــهبري در كنـــوزه	فــــاغنم لآلئــــه وجـــــد وجاهــــد
وهنــــا تكــــشف كــــل سر غــــامض	وتُــشاهد الــملكوت مــشهد راشــد
وإذا البـــــصائرُ أينعـــــت ثـــــمراتها	نالــــت بهــــا الأبــــصارُ كــــل شــــواردِ
لا تلـــــق بـــــالاً للعـــــزول فإنــــــه	لا رأى قـــــط لفاقـــــد في واجـــــد
لــــو ذاق كــــان أحــــرَّ منــــك صبابة	لكنــــه الــــحرمان لــــج بجاحــــد
سر في طريقــك يـــا مريـــد ولا تعـــر	أذنـــــًا لـــــصيحة منكـــــر ومعانــــدِ
لا يـــستوي عنـــد العقـــول مـــجاهد	في الله قـــــوَّام الــــدجى بالراقــــدِ
الله قـــــصدك والرســــول وســــيلة	وخطــــاك خلــــف مــــحمد بالقائــــد

وسئل الشعراوي: فضيلة الشيخ لو أن رجلاً تبرع ببناء مسجد وشيَّد لنفسه قبرًا في داخله -أي في داخل المسجد-، هل هذا جائز؟ فأجاب: **أيوه ولا فيه شيء، النبي ما هو قبره في المسجد، والأزهر موجود، وقبور الأولياء كلها في المساجد، التنطع ده سيبنا منه**، جايبين دليل ما يعرفوش يستدلون به.. يقولون: لعن الله من اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، ...نقول لهم: **أنتم أغبياء في** =

الاستشهاد، ما هو القبر؟ عرِّفني ما هو القبر؟ هو المكان الذي فيه جثة الرجل هل هذا اتخذ مسجدًا ولا معمول عليه سور.. يسمونه إيه؟ شيء لا يتعدىٰ أبدًا عن الباب، ما تعملش فيه مقصورة، معنىٰ مقصورة يعني إيه مقصورة علىٰ الدفن لا تتعداه إلىٰ أي حدث، فمن أين جاء اتخاذ القبر صلاة -مصلىٰ-؟ أغبياء يا أخي، نقول لهم: روحوا اهدموا القبر بتاع النبي، إذا كان هذا خصوصية للنبي، نقول له لا أبو بكر مدفون فيه وعمر، ونصلي في الصفة والقبر أمامنا، ونصلي في الروضة والقبر عن يسارنا، ونصلي في منزل الوحي والقبر عن يميننا، ونصلي في المواجهة والقبر خلفنا؛ إذن القبرية لا دخل لها...».اهـ

قلت: ومن القائل بحرمة بناء المساجد علىٰ القبور؟ أنهم أئمة الإسلام عبر القرون:

قال محمد بن الحسن الشيباني -صاحب أبي حنيفة- في كتابه «الآثار» (ص٤٥): «لا نرىٰ أن يُزاد علىٰ ما خرج من القبر، ونكره أن يجصَّص أو يطيَّن أو يجعل عنده مسجدًا»، قال الشيخ الألباني في «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (ص٤٠): «والكراهة عند الحنفية إذا أطلقت فهي للتحريم، كما هو معروف لديهم، وقد صرَّح بالتحريم في هذه المسألة ابن الملك...».

وقال القرطبي في تفسيره (١٠/ ٣٨): «قال علماؤنا: وهذا يحرم علىٰ المسلمين أن يتخذوا قبور الأنبياء والعلماء مساجد».

قال الألباني في تحذير الساجد (ص٤١): «ومذهب الحنابلة التحريم أيضًا كما في شرح المنتهىٰ (١/ ٣٥٣) وغيره»، ثم قال في (ص٤٥): «وقد تبنت دار الإفتاء في الديار المصرية فتوىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية؛ فنقلتها عنه في فتوىٰ لها أصدرتها تنص علىٰ عدم جواز الدفن في المسجد؛ فليراجعها من شاء في مجلة الأزهر (ج١١ ص ٥٠١-٥٠٣)».

ولعلَّ الشيخ يشير إلىٰ الفتوىٰ رقم (٣١٩) من فتاوىٰ دار الإفتاء المصرية (بتاريخ ١٦ جمادىٰ الأولىٰ ١٣٥٩هـ/ ٢٢ يونية ١٩٤٠م)، ونص السؤال: «كتبت وزارة الأوقاف ما يأتي: يوجد بوسط مسجد عز الدين أيبك قبران ورد ذكرهما في الخطط التوفيقية، وتقام الشعائر أمامهما وخلفهما، وقد طلب رئيس خدم المسجد دفنه في أحد هذين القبرين؛ لأن جدّه الذي حدَّد بناء المسجد مدفون بأحدهما؛ فنرجو التفضل ببيان الحكم الشرعي في ذلك؟

فأجاب عنه الشيخ عبدالمجيد سليم -شيخ الأزهر ومفتي الديار المصرية سابقًا- رحمه الله-: «قد أفتىٰ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بأنه لا يجوز أن يُدفن في المسجد ميت، لا صغير ولا كبير، ولا جليل ولا غيره؛ فإن المساجد لا يجوز تشبيهها بالمقابر»، وقال في فتوىٰ أخرىٰ: «أنه لا يجوز دفن ميت في مسجد فإن كان المسجد قبل الدفن غُيِّر، إما بتسوية القبر، وإما بنبشه إن كان جديدًا...».

وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله- كما في «زاد المعاد» (٣/ ٥٧٢): «لا يجتمع في دين الإسلام قبر ومسجد، بل أيهما طرأ علىٰ الآخر منع منه، وكان الحكم للسابق».

قلت: فهل مثل هذا يُبجَّل ويُعظَّم؟! أيبجَّل ويُعظَّم الذي يسب أئمة الدين نحو أحمد ومالك وأبي حنيفة وابن تيمية وابن القيم -رحم الله الجميع- بقوله: «**أنتم أغبياء في الاستشهاد**»؛ **لأنهم استشهدوا بقوله ﷺ**: «لعن الله من اتَّخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، في تحريم بناء المساجد على القبور؟!

ووجَّه رئيس تحرير مجلة «المجاهد» (عدد شهر ذي الحجة ١٤٠١هـ) ثلاث أسئلة إلى الشعراوي، هذا نصُّها مع إجابتها:

السؤال الأول: عن حكم الصلاة في المساجد التي فيها أضرحة؟ فأجازه.

السؤال الثاني: عن حكم تقبيل المقاصير المقامة حول تلك الأضرحة؟ فأجازه.

السؤال الثالث: عن حكم التوسل بالأولياء والصالحين؟ فأجازه.

وكتب راضي صدوق رئيس تحرير صحيفة العالمية في مقال له بعنوان: «وهؤلاء المتاجرون بالدين!؟»، جاء فيه: «وهناك قصص طريفة حصلت بيني وبين مولانا الشيخ الشعراوي، أيام كان يعمل مدرِّسًا في جامعة أم القرىٰ في مكة المكرمة، فقد استحدث فضيلته حلقة صوفية خصَّصها لنفرٍ محدودٍ مخصوص من أهل الثروة والجاه».

وقال الشعراوي كما في كتاب «الشعراوي يبوح بأسراره الروحية» (ص٢٨): «أما البشارة التي تلقيتها في الروضة الشريفة هي أن **لنا بابًا في مصر يسمىٰ الحسين**، والتي فهمت منها **أن مقامي سيكون إلىٰ جوار سيدنا الحسين** .. فقد تحققت هي الأخرىٰ وسكنت فعلاً إلىٰ جوار سيدنا الحسين».

وقال كما في (ص٤٠): «**و رحت أزور سيدنا الحسين** وهناك شكرت الله كثيرًا، وشكوت حالي أيضًا ويقسم الشيخ وهو يقول: والله العظيم لم يمر أسبوع إلا وجاء الفراش الذي كان يعمل معي وقال لي: مبروك يا عم! فسألته علىٰ إيه؟ فقال: الشقة بقت بتسعة جنيه ! لأنهم عملوا تخفيض وطلعت بتسعة جنيه بس قال الشيخ: **كانت هذه أول مسألة مع سيدنا الحسين ثم توالت المسائل بعد ذلك!**».اهـ

وقال كما في (ص٦٣): «وحدث وأنا أستعد لدخول الامتحان في الشهادة العالية -وكان يسكن بجوار مقام السيدة زينب- أنني مرضت فاشتد عليَّ المرض، فلم أدخل الامتحان.. فاتني امتحان الدور الأول، وفاتني امتحان الدور الثاني وزعلت وحزنت؛ لأني كنت مجتهدًا **وقلت للسيدة زينب: إحنا ساكنين جنبك .. ونصلي عندك.. وفاتنا الامتحان في الدور الأول والدور الثاني .. وضاعت السنة .. وخاصمتها! ولم أعد أصلي في مسجدها**».

ثم يروي الشعراوي بعد ذلك أن أحد أصدقائه دعاه لأن يصالح السيدة زينب بأن دعاه لحضور مولد السيدة زينب عند قبرها (المزعوم) ثم عندما نام الشعراوي في الليل ظهرت له السيدة زينب وقالت له: «**أنت زعلان منَّا؟ إن كانت راحت منك سنة .. حنعوضها لك بخمسة**».

ثم يقول الشعراوي بأنه أدرك سر تلك الخمسة عندما اشتغل موظفًا بالأزهر بالدرجة السادسة ففوجئ الشعراوي بترقيته من الدرجة السادسة للخامسة بالاختيار وليس بالأقدمية.

ويقول الشعراوي في الكتاب السابق (ص١٥٩): «وعلىٰ باب المسجد المؤدي للقبة .. يقرأ زوَّار السيدة عائشة هذا البيت:

بـــمقام عائـــشة الـــمقاصد أرخـــت ســـل بنـــت جعفـــر الوجيـــه الـــصادق

وقال كما في (ص١٧٣): «وفي المحطة وضعت يدي في جيبي فلم أجد «الريال الفضة»! وأحسست بالضيق... فلم يكن معي غيره؛ و وقفت حزينًا ماذا أفعل؟ ..كانت معي قفة بها زوادة الطعام .. ووضعتها إلىٰ جانبي .. ووقفت أتلفت حولي في ضيق و قلق بحثًا عن إنقاذ ..ولمحت رجلاً بعمامة حمراء -وهو قادم من بعيد- .. وقلت لنفسي: .. لعل هذا الرجل الأحمدي ينقذني! فالعمامة الحمراء يرتديها عادة شيوخ وأتباع الطريقة الأحمدية .. طريقة سيدي أحمد البدوي .. **وأنا من المحبين لسيدي أحمد البدوي، وتاريخ سيدي أحمد البدوي تاريخ طويل ومجيد...**».اهـ

قلت: فهذه مقالات واضحة تدل المنصف علىٰ حقيقة منهج الشعراوي، من أنه منهج صوفي خرافي قائم علىٰ تزيين الشرك والوسائل الموصلة إليه.

وقال الشعراوي في كتاب «من فيض الرحمن في معجزة القرآن» (ص٢٩٤):

«أما حديث الله سبحانه وتعالىٰ فقد تم في مكان المعجزة، أو مكان الآيات التي أراد الله أن يكشف عنها لرسله، فكشف الله لموسىٰ آياته الكبرىٰ في الأرض؛ وكلَّمه وهو علىٰ الأرض، وكشف الله لمحمد عليه السلام آياته الكبرىٰ في الملكوت الأعلىٰ؛ وكلَّمه عند سدرة المنتهىٰ، **والله موجود في كلا المكانين، وفي كل مكان وزمان، ومن هنا فإن الحديث لم يكن مرتبطًا بتحديد مكان الله سبحانه وتعالىٰ، فهو موجود في الأرض وموجود في السماء**... كلام موسىٰ علىٰ الأرض، وكلام محمد في الملكوت الأعلىٰ إنما أعطانا البرهان والدليل علىٰ **أنه موجود في كل مكان**».

وقال كما في (ص٨٨): «**فقد تتحول إلىٰ عبد رباني تقول للشيء كن فيكون**، جاء في الحديث القدسي الشريف: «عبدي أطعني تكن عبدًا ربانيًّا؛ تقول للشيء كن فيكون»».

وقال العلامة مقبل بن هادي -رحمه الله-: «الشعراوي يقول للسادات: لو كان لي من الأمر شيء لنزلتك منزلة مَن لا يُسأل عمَّا يفعل» (انظر: البشائر في السماع المباشر ..نصائح وإرشادات من أقوال الشيخ المحدِّث مقبل بن هادي ص ٥٧).

فما هو تعليق الحويني علىٰ هذه المقالات البدعية المخالفة لصميم التوحيد وعقيدة السلف؟!

وهل هذه طريقة المحدِّثين: أن يتعرضوا لذكر رجل علىٰ بدعة -وهو مشهور بين الناس بأنه إمام الدعاة-، ثم يمدحه ويرفع من شأنه، ولا يحذِّر العامة من بدعته؟

ولكن السياسة طغت علىٰ الحويني؛ فاستحسن سبيل السياسيين، ونبذ طريقة المحدِّثين القائمة علىٰ حماية هذا الدين؛ فهو لا يفرق بين صاحب البدعة وصاحب السنة، بل الكل عنده يخدم الدين، وهو بهذا ينطلق من قاعدة محمد رشيد رضا -المسماة بقاعدة المنار الذهبية-، والتي

قال الحويني[1]: «من ١٧ سنة قلت كلمة وبعتّها كده بس ما أدري وصلت أم لا أيام ما كان حملة مجلة روز اليوسف عاملة حملة وجريدة الـ.... عاملة حملة على الشيخ الشعراوي وخطبت خطبة في مسجد الجمعية الشرعية وفي الخطبة الثانية قلت الكلام الآتي: قلت له يا مولانا لا تسكت على أمثال هؤلاء دول تجرجرهم للنيابة وأنت رجل تستطيع أن ترفع سماعة الهاتف وتكلم رئيس الدولة فضلاً عن رئيس الوزراء فضلاً عن أي وزير تستطيع أن تصل إلى رئيس الدولة، كلّمه وتقله أنه لا يجوز أن يكون أعراض العلماء مضغة في أفواه هؤلاء المجرمين السفهاء وعندك جيش من المستشارين من المعجبين الذين يحبونك، جنّد هؤلاء كل واحد يرفع عليه قضية من بلد عشان ما يفوقش من دايرة محكمة إلا يلاقي

=

تلقفها منه حسن البنا وجعلها شعاراً لحزب الإخوان: «نجتمع فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

وقد تقدّم كلام الألباني في الشعراوي، وأنه أشعري ماتريدي، وإليك موضع الشاهد منه: «لكن لو أنك مع الشعراوي وأمثاله من الأشاعرة والماتريدية يبقوا يلفوا ويدوروا معك حتى يُخرجوك عن هذه العقيدة ويقولوا القرآن هذا ليس كلام الله ، لكن ما يرموها صراحة حتى ما تطلع رائحتهم النتنة، القرآن كلام الله، كلم الله موسى تكليمًا، مثل التوراة، مثل الإنجيل كلها كُتب أنزلها الله على رسله المصطفين الأخيار، الشاهد أن العقيدة التي يجب تدريسها من كل العلماء في كل المناسبات الشعراوي وكشك هذا لا يدندنون حول ذلك.

هل سمعت الشعراوي يُبيّن للناس هذه الصلاة التي أمرنا بها في آيات كثيرة كمثل قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾... كما أنهم لا يدندنون حول أمر رسول الله ﷺ، ليعرف المسلم أن يأتمر بالحديث السابق: «**صلوا كما رأيتموني أصلي**»، لماذا؟

لأنه مشغول في تفسير القرآن، وبخاصة العلوم العصرية، فهو ليس متفرغًا ليصحّح صلاة نفسه على السنّة فضلاً على أن يتفرَّغ لتصحيح صلاة الآخرين، فنحن هنا نلاحظ أن العلماء هم الذين يدرسون الكتاب والسنة وبخاصة بما يتعلق بتصحيح العقائد ثم العبادات، أما الجوانب العلمية الكونية الطبيعية، فهذه لا شك تفيد وتزيد المؤمن إيمانًا، بقدرة الله وحكمته، لكن هؤلاء قبل ذلك كان عليهم أن يعرفوا كيف يعبدون الله لا يشركون به شيئًا». اهـ

قلت: فهل يوافق الحويني الإمام الألباني على هذا التأصيل والتفصيل في شأن الشعراوي؟!
نرجو منه إجابة واضحة لا لف فيها ولا دوران.

(١) مقطع صوتي مسجل بصوت الحويني على النت.

دايرة ثانية تبعث له، دول يخافوا ما يختشوش، قلت له: افعل هذا لوجه الله علشان تحمي الذين ليس لهم حشمتك وليس لهم مكانتك[1]، لمّا أنت تتبهدل ويتهموك ويشتموك ليل نهار وأنت ساكت! ساكت ليه؟

فأنا أقول أي واحد له منصب [....] زي شيخ الأزهر مثلاً، ده بيكلم رئيس الدولة لمّا يقول له: **إنه لا يجوز الاعتداء على حمى العلماء، لأن ده بيهوِّن الدين عند العوام...**».

***

○ **ثامنًا: ثناؤه على عبد الله السماوي[2]:**

قال الحويني[3]: «فكان معي في الزنزانة الشيخ -الله يرحمه- الشيخ عبد الله السماوي، وهذا الرجل يعني كان حسن الخلق جدًّا قَلّ من رأيته في مثل أخلاقه وحلمه مع اختلافي معاه آنذاك في مسائل الهجرة والعزلة والمش عارف إيه الكلام ده[4]، كنا نقعد نتناقش في المسألة دي لكنه كان يحفظ كتاب الله -عز وجل- عن ظهر قلب يحفظه كالماء مع الأخلاق الجميلة والطيبة والهدوء ولا يتكلم إلاَّ العربية الفصحى فقط.

وحكى لي مرة أنه هو اتسجن في سنة من السنوات فبيتكلم العربية الفصحى فقالوا له: أنت بتتفزلك علينا اتكلم عامية بالـ.. اتكلم زيّنا، قال: لا أستطيع، حاولوا يجبروه أنه يتكلم بالعامية لا يستطيع قاموا عاملين فيه إيه بقى؟ قاموا جايبين كده لازقينه في الحيطة

(١) وقد قال مثلها صنوه محمد بن حسّان، حيث قال في «مقدِّمة أصول التفسير» مثنيًا على الشعراوي: «فأين نور السهى من شمس الضحى! وأين الأرض من السما! وأين الثرى من كواكب الجوزاء!!».

(٢) هو رجل تكفيري على منهج التكفير والهجرة، كما اعترف الحويني نفسه في كلامه.

(٣) مقطع صوتي مسجل بصوت الحويني على النت.

(٤) تأمل هذه الاستهانة، وهذا الاستخفاف بهذه المسائل المنهجية الخطيرة التي تمثل حدًّا فاصلاً بين منهج السلف ومنهج الخوارج! وكأن الحويني أراد أن يقول: «إن مخالفة السماوي في هذه المسائل يُغضُّ الطرف عنها، ولا تؤثر في عدالة الرجل وديانته، ما دام يتمتع بالأخلاق الجميلة، ويحفظ القرآن عن ظهر قلب كالماء، ولا يتكلَّم إلاَّ بالعربية الفصحى، ومن ثَمَّ عقّب على هذا بذكر إحدى مناقبة -أو قل: كراماته-؛ إمعانًا منه في تحسين صورة الرجل، وتضليل الشباب المتحمس بهذا الكلام، وهو بهذا يطبق بدعة الموازنات العصرية على أوضح ما يكون.

ومكتفين إيديه ورجليه وقاموا كابين عليه صَفيحتين عسل أسود وسابوا الدِّبان ياكله؛ كل ده عشان يتكلم بالإيه بالعامية وهو يأبي لا يتكلم إلاَّ بالعربية رحمة الله عليه». اهـ

* * *

○ تاسعًا: ثناؤه على محمد نجيب المطيعي الأشعري[1]:

قال الحويني في «تنبيه الهاجد» (ص١٢): «وخرجتُ من مسجد «عين الحياة»، -وهو مسجد كشك-، لدي الرغبة في دراسة علم الحديث ما يجلُّ عن تسطير وصفه بناني... وطفقتُ أسأل كل من ألقاه من إخواني عن أحد من الشيوخ يشرح هذا العلم، أو يدلني عليه، فأشار عليَّ بعضُ إخواني -وكان طالبًا في كلية الهندسة- أن أحضر مجالس الشيخ

(١) قال الشيخ الوالد حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «المطيعي كان يسوِّغ أفعال الجهلة الذين يذهبون إلىٰ القبور، ويقدِّمون النذور لأصحابها، ويشهد لهذا كتاباته في مجلة «المسلم» التي تصدر عن العشيرة المحمدية الصوفية.

وكانت صناعته الحديث، لكنه كان يجاري أصحاب الأهواء علىٰ ما هم عليه، وقد حضرت له خطبة في يوم ما، فسمعته يقول: «هذا الرجل الذي يسوق عربة يبيع فيها الترمس أنا أقدسه»، وهذه كلمة لا تُقال في حقِّ البشر.

وفي الوقت الذي كان الحويني يذهب فيه إلىٰ كشك، والمطيعي، كنت -بفضل الله- أتعلَّمُ التوحيد علىٰ أيدي علماء السُّنة نحو الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله-، وشقيقي الشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمه الله-، ولو لم نتخصص في علم الحديث كعلم آلة، إلاَّ أنا تخصَّصنا فيه كعقيدة ومنهج، وعظَّمنا شأنه.

وكان الواجب علىٰ الحويني -إن كان سلفيًّا صادقًا- أن يُحذِّر من بدع كشك والمطيعي حتىٰ لا يُغترّ بهما.

ومِمَّا أذكر أني قرأته في مجلة «المسلم» الصوفية -التي كان يكتب فيها المطيعي- ما يلي:

«قال المحمدي -نسبة إلىٰ العشيرة المحمدية- للحافقي -نسبة إلىٰ الشيخ محمد حامد الفقي، مؤسس أنصار السُّنة-: أتعتقد أن قولك «مدد» لصاحب القبر الصالح حرام أو بدعة؟ فما رأيك في قول الإمام أحمد بن حنبل -حينما ضلَّ الطريق-: «يا عباد الله دلوني علىٰ الطريق!»، أليس مرادفًا لقولنا: مَدد يا أسياد؟! ففغر الحافقي فاه حتىٰ سال لعابه علىٰ ذقنه».

وكأن الصوفي أقام الحجة علىٰ السُّني بهذا الدَّجل والتدليس والتلاعب بالألفاظ وهذا دأبُ أهل البدع الافتراء علىٰ أئمة السُّنة -نحو الإمام أحمد-، ونسبة الأكاذيب إليهم تثبيتًا للبدعة وترويجًا لها».اهـ

محمد نجيب المطيعي- -رحمه الله تعالى-، وكان شيخنا -رحمه الله- يلقي دروسه في «بيت مليكة ماليزيا» بالقرب من ميدان «عبده باشا» ناحية العباسية، وكان يشرح أربعة كتب، وهي: «صحيح البخاري»، و«المجموع» للنووي، و«الأشباه والنظائر» للسيوطي، و«إحياء علوم الدين» للغزالي، فوجدت في هذه المجالس ضالتي المنشودة، ودُرتي المفقودة، فلزمته نحو أربع سنوات حتى توقفت دروسه بعد الاعتقالات الجماعية التي أمر بها أنور السادات، وانتهى الأمر بمقتله في حادث المنصة الشهير، ورحل الشيخ -رحمه الله- إلى السودان...

ولم يكن كدَّر عليَّ متعتي بدروس الشيخ المطيعي -رحمه الله- إلا حطُّه على الشيخ الألباني صاحب الفضل عليَّ بعد الله -عز وجل-....»[1]. اهـ

***

○ عاشرًا: ثناؤه على أعضاء حزب الإخوان المُسلمين:

للحويني ثناء في مواضع مختلفة من دروسه على الإخوان المسلمين الذين عذِّبوا في المعتقلات حيث كان يعدِّد كراماتهم، ويجعلهم نموذجًا يُقتدى به في الصبر على الأذى، وبئس الأسوة، ومن هذه المواضع، ما يلي:

قال الحويني: «يعني أذكر مرة واحد كان هربان في الستينيات ... أيام ما كان جمال عبد الناصر يعتقل الإخوان، وأي بني آدم عليه من دين، كده يحطه في السجن.

فالراجل ده هرب وبتاع والكلام ده المهم حب يرجع في أواخر السبعينيات فعايز يرجع فمش عارف، لم يكن بقى لا كمبيوتر ولا فيه مش عارف إيه، ولا عارف اسمه موجود في القائمة السوداء ولا بتاع، إذا وصل المطار سيقبضوا عليه ولا مش هيقبضوا عليه؟ فالمهم راح لصديق له في القنصلية المصرية في ذلك البلد وقال له أنا عايزك تتوسط لي كده وبتاع والكلام ده، وإنك أنت إيه تؤمِّن لي السكة، والرجل ده كان رجل عنده برضه دين وكده فقال له: أنا أهديك رسالة أول ما تنزل المطار تطلب صاحبها سيمشي لك المسائل خالص والسكة آمنة.

---

(١) وهل مَن يعترف بفضل الإمام الألباني، يتتلمذ على يد صاحب بدعة يطعن في الألباني لعدم موافقته له في بدعته؟!

أخذ الرجل الرسالة ... وأول ما وصل المطار فتح الرسالة، بيفتحها كده فقال له: إذا سألت فاسأل الله[1].

بس هو ده الموجه له الرسالة ده إللي سيسلك لك سكتك وسيمشي لك والكلام ده هو.

يقول: يعني هذه الكلمة صدّعت قلبي؛ لأنني ما توقعتها.

والشيء لمّا يكون غير متوقع يصدع القلب إلّي هيا المفاجأة المباغتة.

إذا سألت فاسأل الله، خلاص يعني انشرح قلبه على طول وأحس أن الدنيا بالنسبة له انتهت، والسكة مأمونة وخلاص على كده ومر». اهـ

* * *

قلت: وقد صار معلومًا لدى الجميع أن بطانة الحويني في مصر وخارج مصر هم القطبيون والحزبيون والقصّاص، نحو محمد حسّان، وعبدالرحمن عبدالخالق، ومحمد حسين يعقوب ...إلخ.

وكذلك صار من المعلوم أنه إذا زار المملكة لا يهتم أبدًا بزيارة العلماء السلفيين هناك، نحو العلامة ربيع بن هادي، والعلامة صالح الفوزان، والعلامة عبيد الجابري -حفظ الله الجميع-، بل لا يزور إلا القطبيين ومن نحا نحوهم.

وفي زواج كريمته في رجب (١٤٣٠ هـ)، كان على رأس قائمة المدعوين رءوس القطبيين والقصّاص في مصر، نحو: محمد عبد المقصود، ومحمد حسّان، وأحمد النقيب، وخالد صقر، ومصطفى محمد، وأحمد فريد، والعفّاني.

وقد تبادل الجميع في هذا العرس الثناء المتبادل -كعادتهم-[2]، وقد اتفقوا جميعًا

---

(١) وهل سؤال الله -عز وجل- وحده، يتعارض مع الأخذ بالأسباب؟! بل إن العبد مأمور بسؤال الله والاستعانة به والتوكل عليه، مع الأخذ بأسباب السلامة.

(٢) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «رحم الله الأوزاعي القائل: من ستر علينا بدعته، لم تخف علينا ألفته»، ورحم الله أيضًا القائل: «ما أسرّ أحدٌ سريرته إلا أظهرها الله في فلتات لسانه، أو على صفحات وجهه»، فإن هذه الدعوات للمناسبات الخاصة من زواج ونحوه تظهر حال الداعي مع المدعوين، وتظهر مقاماتهم ومنازلهم عنده. =

على تمجيد الحويني، وعلى رفعه إلى مرتبة الإمامة في السنة، وفي علم الحديث، وقد يصح أن يقال: إن الحويني بلغ شأوًا في الصناعة الحديثية المتعلقة بالتصحيح والتضعيف، لكن -كما قلنا مرارًا-: لقد خالف اعتقاد أهل الحديث في عدة مسائل، وهي التي ذكرناها في بحثنا هذا، فليس هو إمامًا في معتقد ومنهج أهل الحديث.

أضف إلى هذا، أن هذه التزكية أتت من أناس مجروحين وتأصيلاتهم الموافقة للمنهج القطبي السروري الخارجي معروفة، وقد أشرنا إلى بعضها فيما سبق، ولا نعلم أحدًا من علماء الحديث -أصحاب العقيدة السلفية السوية- زكى الحويني في اعتقاده ومنهجه، ولا حجة في التزكيات المنقولة عن إمام الحديث العلامة الألباني -رحمه الله-؛ حيث إنها -كما سوف يأتي في فصل «بين الألباني والحويني»- تزكيات في باب الصناعة الحديثية لا في المعتقد والمنهج.

❊ ❊ ❊ ❊

=

فلا التمسح بما قاله الألباني، ولا الشعارات الفارغة من معاني السلفية الحقَّة، ولا التبريرات والمعاذير السمجة، تغني عن صاحبها شيئًا ﴿يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٦]. وصدق الله تعالى القائل في كتابه: ﴿بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ۝ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥].

فصل

نقض شبهات وترهات صاحب حلقات

«كشف التعصُّب والمَين والكيل بمكيالين» (الحَلقة الثالثة)

قد تقدّم تفنيد بعض عبارات أبي حذيفة الجزائري صاحب حلقات «كشف التعصُّب والْمين والكيل بمكيالين.. **دفاعًا عن شيخنا أبي إسحاق**»، وقد حشد حلقته الثالثة بتلبيسات متعدِّدة زيَّن فيها الباطل في صورة الحق، وجعل الظالم مظلومًا، والمظلوم ظالِمًا، وظنَّ أنه أتي بشيء ..، فأحببت أن أبين له أنه إنما أتى بسراب ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: ٣٩].

* **والسمات العامة التي شيِّد عليها صرح الباطل في هذه الحلقة تتركز فيما يلي:**

١) إيراده بعض القواعد العامة والمجملة التي لا تتنزل على الواقع المستنكر.

٢) احتجاجه ببعض كلام أهل العلم في غير موضعه.

٣) اعتماده على الاعتداء والبتر والإجمال.

قال أبو حذيفة -صاحب المين-: «لا نسلِّم لك أنّ هؤلاء الذين أثنى عليهم الحويني قطبيِّين وحزبيّين وأذناب خوارج لأجل أمرين:

الأوّل: أنّ ميزانك في الحكم دائر بين التّقليد العصبيّ المذموم، وبين الاعتداء والبتر والإجمال، فأنا أنازعك في حكمك على هؤلاء الذين سمّيتهم وإن كنتُ لا أعرفهم حاشا الشّيخ عبد الحميد كشك، ليس لأنّني أجهلُ حالهم ولا لأنّني أبرّئهم من تهمك، فهذا بحث آخر، وبينك وبينهم اللهُ الحكمُ العدلُ فأوصيك بتقوى الله.

ولكنني أنازعك في زعمك: لأنّ وقوفي على سوء طريقتك يحرّم عليّ التّسليم بأحكامك فإنّ ما بني على باطل فهو باطلٌ بلا شكّ.

ثانيًا: مازلنا ننشد الأستاذ أن يسعفنا بضابط علميّ صحيح صريح لهذه الأوصاف المجملة لكي نقدر على النّظر.

مع تذكيرك مرّة أخرى أنّ أخاك الأستاذ ابن عطايا العتيبي اعترف أنّه يجهل حقيقة هذه الأوصاف، فكيف تريدنا أن نقبل منك، وأقول استطرادًا:

قد اعترف الأستاذ أسامة العتيبي أنّه حَكَمَ على شخص معيّن من خلال مقابلة رآها له في قناة الجزيرة الفضائحيّة بأنّه (فلاني وعلاني أو أنّه مؤيّد للخوارج)، ثمّ اعترف فيما بعد أنّه أخطأ في الحكم معتذرًا بسوء فهمه للتّصريحات الصّحفيّة للمحكوم عليه، فلتضحك الثّكالى على طريقة أهل العلم (الجدد) في (نقد الرّجال والفرق والطوائف)».

* * *

قلت: يا أخي اتقِ الله في أخيك الذي تقذفه بهذه التهم العظيمة بغير بينة تشفع لك عند الله، ألم تسمع إلى وصية إلهنا العزيز الحكيم: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

وأقول: مَن المقلّد المتعصّب المتسرع في حكمه؟! أهذا الذي يتّهم غيره بهذه التهم العظيمة التي تسقط عدالة صاحبها؛ تعصُّبًا لقوم بُهت قد افتروا على العلماء وعلى المنهج السلفي الفرى العظيمة، أم الذي يدافع عن منهاج النبوة وعن ورثته بحقٍّ؟!

وأذكّر المفترين بالوعيد المذكور في قوله تعالى: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١].

ففي الوقت الذي تتهمني فيه بالاعتداء والبتر والإجمال، يدرك اللّبيب أنك أنت الغارق في هذه المزالق.

فقد أجملت في كلامك واعتديت عليّ بادعاءات كاذبة؛ والتي بنيتها على سوء ظنك بأخيك بأنه ظلم هؤلاء الدعاة القطبيين وألصق بهم القطبية زورًا وبهتانًا، وبنيت ادعاءاتك على واقعة عين لا تصلح البتّة في تقرير ما ادعيت ..هذا لو صحت على الوجه الذي ادعيته، وأنا في شكٍّ من هذه الصحة.

«واعلم -أصلحك الله- أن هذا الكلام مقابلة دعوى مجمل، وهو من باب مقابلة الباطل بالباطل؛ لأن القائس في فرع مجهول، عُكس عليه الأمر، بأن جعل ذلك الفرع الذي ادعاه أصلاً لصورة مرجوحة عن أصله المجهول بعد تعيين شيء من صوره، فإن قيل: كيف يتمكن المعترض من أن يدّعي أنه إذا ثبت الحكم في المقيس ثبت في تلك الصورة المرجوحة بالدليل، أو بالنص، مع أن المسألة خلافية؟

قيل: هذا يتفق إذا كان القياس في فرع مجهولاً فاسدًا بالضرورة، وقد ركّبه هذا التركيب ...»[1].

وقد بترت فتاوى الأكابر من أهل العلم؛ حيث أتيت منها بما يوافق هواك فقط، وتركت ما يدين شيخك، خاصة من فتاوى الألباني -كما سوف يأتي-.

ولك عندي عذر واحد في عدم تسليمك بقطبية هؤلاء الدعاة، وهو أني لم أذكر في البحث الموجز -الذي نُشر على سحاب أول الأمر- أقوال هؤلاء التي تثبت انتماءهم المنهجي للقطبية، وقد اعترفتَ بجهلك بحال هؤلاء، فماذا أنت قائل بعد أن سردت لك أقوالهم التي تدينهم؟!

وأما عن قولك في الادعاء الثاني: «ما زلنا ننشد الأستاذ أن يسعفنا بضابط علميّ صحيح صريح لهذه الأوصاف المجملة لكي نقدر على النّظر»، فقد أسعفتك بطلبك في مقدِّمة هذا البحث، فارجع إليه تَجد فيه دواء دائك -إن شاء الله-.

وأما عن ادعائك على الشيخ أسامة العتيبي -وفّقه الله-، فأين دليلك على كونه يجهل حقيقة هذه الأوصاف؟!

وحتى إن ثبت هذا -ونحن نجلهُ عن هذا-، فهل كون أحد المنتمين إلى المنهج السلفي قد خفيت عليه بعض مسائله، يعتبر دليلاً على عدم تحرير العلماء لهذه المسائل، هل هذه حجة يُحتَّج بها يا أولي الألباب؟!

---

(١) ما بين علامتي التنصيص من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه -الذي طُبع مؤخرًا-: «تنبيه الرجل العاقل على تمويه الجدل الباطل» (٤١١-٤١٢).

وأما عن احتجاجك بهذه الواقعة الخاصة بالشيخ أسامة العتيبي، واتهامك له بتراجعه عن حكمه على بعض الرجال، فأقول لك: لو ثبت هذا فإنه يعد محمدة للشيخ العتيبي لا مذمة، حيث حكم على رجل بما ظهر له منه بادي الرأي، ثم لَمَّا تبين له خلاف هذا، تراجع، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وعليه فإني أنصحك أبا حذيفة أن تدرس أصول علم النقد، وأن تتفقه في كتب الجرح والتعديل، قبل أن تخوض في هذا الباب؛ حيث إن نقدك السابق هذا يدل على جهلك بهذا العلم، يدرك هذا كلٌ من شمَّ رائحة هذا العلم.

فمن درس هذا العلم واشتغل به يدرك أن أئمة الجرح والتعديل كان يتغير حكمهم على الشخص الواحد، على حسب ما يظهر لهم من حاله، ففي أول الأمر كانوا يجرحون فلانًا، ثم يتبين لهم بعد حين عدم صحة هذا الجرح، فيتراجعون.

وقد اشتهر اختلاف ابن معين في حكمه على الرجل الواحد بين القدح والمدح، وهو إمام فحل في هذا العلم يُقتدى به.

ومن أئمة العصر: ابن باز والألباني ومقبل بن هادي -رحمهم الله-، قد اشتهر تراجعهم عن تعديل بعض الأشخاص والأحزاب المعاصرة، لَمَّا تبين لهم حالهم.

فهل نسخر من ابن معين ومن باقي الأئمة ونقول فيهم: «فلتضحك الثكالى على طريقة أهل العلم (الجدد) في (نقد الرّجال والفرق والطوائف)»، نظرًا لتغير أقوالهم في الرجل الواحد؟!

سبحانك هذا بُهتان عظيم ﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَىَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

* * *

ثم قال أبو حذيفة: «ففي باب الثناء على المبتدعة: لا يكون الثناء دالاً أو مشعرًا بموالاتهم وموافقتهم على ضلالهم إلا إذا توفّرت فيه شروط ملّخصها ما يلي:

-أن يكون دائمًا مستمرًا في غالب أحوال المتكلّم، فلا يكون قد حصل مرّة أو مرّات معدودة في عمرٍ مديد قضاه صاحبه في مقاومة البدعة و نشر السنّة.

- أن يكون مجملاً مطلقًا غير مقيّد ولا مخصوص، كأن يثني على عنترة أنّه فارس مغوار أو أنّه نبيل، فهذا لا يدخل في ذلك.

- أنْ يكون الثّناء في مقام ترويج لبدعتهم أو ما يشبهه بحيث تتجلّى مضرّة الثّناء بلا خلاف، و يترجّح اقتران ثناء المتكلّم عليهم في ذاك المقام مع إدراكه الجازم أو الرّاجح أنّ ذلك ناشرٌ لضلالهم ناصرٌ لبدعهم».

* * *

قلت: من أين لك هذه الشروط؟ ومَن وضعها من أئمة أهل السنة؟

وبهذا تؤكد أنك تسير على طريق شيخك الحويني في الاستقلال بالاجتهاد في مسائل شائكة دون أن يكون لك سلف فيها.

وتؤكد أيضًا لزومك طريقة الإجمال والإطلاق في الكلام، والتي تتهم خصمك بها؛ حيث إن كلامك هذا يتنزل في الأذهان بادي الرأي على الحويني، وهذا ما تريده أنت، لكن عند التفصيل والتعيين يظهر وهاء دعواك، وينكشف المخبأ، هذا مع التسليم بصحة هذه الشروط.

ولو كنت جاهلاً بما سطره السلف في هذا الباب لعذرتك بجهلك، لكن يظهر من النقولات التي نقلتها في بحثك أنك مطلع على كتب السلف، لكن من الواضح أنه اطلاع من لم ينتفع بها، وإنما اطلاع مَن ينتقي منها ما يخدم أهواءه فحسب.

وحتى لا يغتر الأغمار بدعواك الباطلة، نذكر لهم نماذج من آثار السلف في باب موالاة المبتدعة والثناء عليهم؛ ليدركوا منهج السلف في هذا الباب:

وهذه الآثار أخرجها ابن بطة في الإبانة الكبرى في المجلد الثاني بداية من (ص٤٥٢):

(٤١٩) عن عطاء بن مسلم الخفّاف ذكر عن الأعمش أنه قال: كانوا لا يسألون عن الرجل بعد ثلاث: ممشاه ومدخله وألفه من الناس.

قلت: فنسأل -المتعصّب للحويني-: كيف ممشى الحويني ومدخله ومَن ألفه من الناس؟

والجواب معلوم لكل مَن يعرف الحويني: أن ممشاه مع أمثال ابن حسّان وابن حسين يعقوب والزغبي ومحمد بن عبد المقصود والمقدِّم والبرهامي ..، ومدخله في

مساجد هؤلاء الحزبيين وقنواتهم ومجالسهم الخاصة، وهم ألفه، ولذلك صدق الأوزاعي لَمَّا قال -كما في الأثر التالي-:

(٤٢٠) عن بقية: سمعت الأوزاعي يقول: «من ستر علينا بدعته لم تخف علينا ألفته».

(٤٢١) أبو بكر بن خلاد الباهلي قال: سمعت يحيى بن سعيد القطَّان يقول: لَمَّا قدم سفيان الثوري البصرة، جعل ينظر إلى أمر الربيع -يعني ابن صبيح-، وقدره عند الناس، سأل أي شيء مذهبه؟ قالوا: ما مذهبه إلا السنة، قال من بطانته؟ قالوا: أهل القدر، قال: هو قدري.

عقَّب ابن بطة -رحمه الله- قائلاً: «رحمة الله على سفيان الثوري، لقد نطق بالحكمة فصدق، وقال بعلم فوافق الكتاب والسنة وما توجبه الحكمة ويدركه العيان ويعرفه أهل البصيرة والبيان، قال الله -عز وجل-:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ [آل عمران: ١١٨].

(٤٢٢) عن الأصمعي قال: سمعت بعض فقهاء المدينة يقول: إذا تلاحمت بالقلوب النسبة تواصلت بالأبدان الصحبة.

قال ابن بطة: وبهذا جاءت السنة، ثم ساق هذا الحديث بإسناده إلى أبي هريرة -رضي الله عنه- قال:

(٤٢٣) قال رسول الله ﷺ: «**الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**». وأخرجه مسلم أيضًا برقم (٢٦٣٨).

إلى أن روى بإسناده برقم:

(٤٢٩) عن الفضيل بن عياض قال: الأرواح جنود مجنَّدة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف، ولا يمكن أن يكون صاحب سنة يمالئ صاحب بدعة إلا من نفاق.

(٤٣٠) وعن مبشر بن إسماعيل الحبلي قال: قيل للأوزاعي: إن رجلاً يقول: أنا أجالس أهل السنة، وأجالس أهل البدع، فقال الأوزاعي: هذا رجل يريد أن يساوي بين الحق والباطل.

قال ابن بطة: صدق الأوزاعي أقول: إن هذا رجل لا يعرف الحق من الباطل، ولا الكفر من الإيمان، وفي مثل هذا نزل القرآن، ووردت السنة عن المصطفى ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٤].

ثم ساق بإسناده عن ابن عمر قال:

(٤٣١) قال رسول الله ﷺ: «**مثل المنافق في أمتي كمثل الشاة العايرة بين الغنمين تصير إلى هذه مرة، وإلى هذه مرة، لا تدري أيها تتبع**».

قال ابن بطة: «كَثُر هذا الضرب من الناس في زماننا هذا، لا كثَّرهم الله، وسلمنا وإياكم من شر المنافقين، وكيد الباغين، ولا جعلنا وإياكم من اللاعبين بالدين، ولا من الذين استهوتهم الشياطين، فارتدوا ناكصين، وصاروا حائرين». اهـ

قلت: وقد وصف العلامة مقبل بن هادي -رحمه الله- الحويني بهذا الوصف حين أشار الشيخ إلى فمه وملأه بالهواء، وقال: «يحب أن يأكل من هاهنا ومن هاهنا». (المجروحون عند الإمام الوادعي) لأبي أسامة عادل بن محمد السياغي (ص٩١).

أي: يحب أن يأكل من جانب السلفيين، ومن جانب الحزبيين، فليس هو إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء.

وهذا واضح في أول أمر الحويني حيث كان يجاري الألباني -رحمه الله-، ويريد أن يأكل من جانبه القسط الأعظم، وقد نجح في هذا إلى حدٍّ ما، وفي الوقت نفسه كان يجاري أدعياء السلفية في مصر من القطبيين أمثال محمد بن عبد المقصود، وسيد العربي، ومحمد بن حسّان، وياسر برهامي، ومحمد بن إسماعيل المقدِّم ...إلخ، ويعتبر هؤلاء نجوم الدعوة في مصر.

وكلامه في مواضع كثيرة -وقد نقلنا بعضه في هذا البحث- يؤكد أنه أراد التسوية بين أهل السنة وأهل القطبية البدعية، بل لقد صار يقدِّم أهل القطبية البدعية على علماء السلفية، ويغمز ويطعن في علماء السلفية.

وإذا سلَّمنا بصحة الشروط المذكورة، فإنها أيضًا -عند المنصفين- لا تنطبق على الحويني، وهذه الشروط هي:

-أن يكون دائمًا مستمرًّا في غالب أحوال المتكلِّم، فلا يكون قد حصل مرّة أو مرّات معدودة في عمرٍ مديد قضاه صاحبه في مقاومة البدعة ونشر السنّة.

-أن يكون مجملاً مطلقًا غير مقيّد ولا مخصوص، كأن يثني على عنترة أنّه فارس مغوار أو أنّه نبيل، فهذا لا يدخل في ذلك.

-أنْ يكون الثّناء في مقام ترويج لبدعتهم أو ما يشبهه بحيث تتجلّى مضرّة الثّناء بلا خلاف، و يترجّح اقتران ثناء المتكلّم عليهم في ذاك المقام مع إدراكه الجازم أو الرّاجح أنّ ذلك ناشرٌ لضلالهم ناصرٌ لبدعهم».

فنقول: وهذا متحقّق في بعض مَن أثنى عليهم فيمن لا يشك في بدعتهم إلا جاهل أو مبتدع مثلهم، نحو محمد بن عبدالمقصود الذي شارك فوزي السعيد وسيد العربي -والثلاثة قطبيون محترقون- في الحملة المشينة على إمام السنة الألباني، والتي روّجوا فيها عند المغرَّر بهم من شباب مصر أن الألباني يقول بقول المرجئة، وأنه دخلت عليه شبه المرجئة، بل لقد قال فوزي السعيد هذه المقولة العظيمة في حق هذا الإمام: «ومع ذلك أراد الله -عز وجل- أن يمتحن أهل السنة بأن يقول هذا الإمام العظيم -أي الألباني- في الاعتقاد في هذه المسألة كلامًا هو كما قاله الجهم بن صفوان».

قلت: ثم يأتي الحويني فيقول عن هؤلاء الغلاة الطاعنين في إمام السنة بهذا الطعن الفاجر: «هؤلاء نجوم، ولا يحتاجون إلى تذكير منا».

فهل يخالف منصف في كون هذا الثناء العالي يغرِّر بمن يسمعه، وفيه ترويج جلي لهؤلاء المبتدعة، فأي مسلم -لا دراية له بحقيقة هؤلاء، وعنده ثقة في الحويني- يسمع هذا الكلام، فإنه بلا شك سوف يتعلّق بهم، وببدعتهم؟!

وقد يقول قائل: لقد أثنى الحويني عليهم هذا الثناء في عقيقة ابنته، وهو مقام مجاملات، ولعلّه شعر بحرج من حضورهم، فأراد أن يكرمهم كضيوف فقط، فخرجت منه هذه العبارة دون قصد منه لتزكية منهجهم.

والجواب: هذا القول لا يسلّم لقائله، لأنه لو كان الأمر هكذا، ما كان ينبغي للحويني أن يرضى بترويج شريط هذه العقيقة الذي يحتوي على هذا الثناء.

فإن قيل: لعله تسرب دون علمه، أو كما قال صاحب المين: «وكذلك كلام الشيخ الحويني قديم جدًا، ولعلّ ابنته ميمونة تزوجت، فما يدريك أن الشيخ تراجع هو أيضًا».

قلنا: كان الواجب عليه بعد ذلك أن يبيِّن، مع البراءة مِمَّا قاله صراحة، وتحذير الشباب من التلقي عنهم.

وأقول أيضًا: أيها الفتى العجول، ألا تدري أنه في حالة تراجع الحويني عن هذا الثناء على هؤلاء المبتدعة، فإنه من البديهي أن ينتشر كما انتشر ثناؤه، أم أنه أثنى عليهم في ملأ، ثم تراجع عن هذا الثناء في بئر أو في مفازة بعيدة، لا يدري به أحد؟!!

وإليك الدليل على ثبات الحويني على ثنائه القديم، وأن العلاقة الحميمة بينه وبين محمد بن عبدالمقصود ما زالت مستمرة إلى وقتنا هذا، وهو: حضور ابن عبد المقصود مؤخرًا حفل زواج ابنة الحويني -كما تقدّم-، بل قام ابن عبدالمقصود بتقبيل رأس الحويني، إظهارًا للود والتوافق بينهما.

ثم شارك مؤخرًا في حوار على قناة الحكمة الفضائية، والتي يهيمن عليها الحويني، مِمَّا يؤكد استمرار الود والألفة بينهما.

فإن قيل: لكن الحويني قد دفع عن الألباني تهمة الإرجاء وردَّ على مَن اتهموه بهذا بأنهم أصحاب نفس غالي في التكفير، حيث قال: «وبعض الناس اشتد نفسه في الرمي بالكفر فسارع إلى اتهام غيره بالإرجاء، ومن عنده نفس قوي في التكفير من السهل عليه أن يتهم المعتدل بالإرجاء، وهذه مسألة فيها مزلة أقدام ينبغي على الإنسان أن يعتدل فيها! فبعضهم اتهم الشيخ -رحمه الله- الداعي إلى السنة، والذي أحيا السنة من العدم في هذا العصر، وما من رجل ينسب إلى علم إلا ولهذا الشيخ عليه منة وفضل دقَّ أو جلَّ..! اتهموه بالإرجاء. فدخلنا في مسألة رمي الرءوس، وهذه مسألة خطيرة..!». اهـ

قلت: هذا كلام جيد، لكن ألا تشعر أخي القارئ بتناقض، فكيف اتُّهم رامي الألباني بالإرجاء بأنه صاحب نفس قويٌّ في التكفير، وفي الوقت نفسه أثني عليه ثناء عاليًا، وصاحبه وجالسه[1]؟!

---

(١) وأقول: لعلَّه حدث العكس، أي: لعلَّ الحويني قال هذا الكلام في دفع تهمة الإرجاء عن الإمام الألباني -قديمًا-، ثم لَمَّا صحب هؤلاء القطبيين تغيَّر رأيه، فأثنى عليهم.

أليس هذا من الممالئة لأهل البدع، ومن التغرير بأهل السنة؟!

الجواب واضح لكل سُنّي يعرف منهج السلف الصالح في التحذير من خطورة الثناء على المبتدعة، ويظهر هذا في الرد على الكلام التالي لصاحب «التعصُّب والمين»:

• قال أبو حذيفة: «الثناء على المخالف ليس بممنوع مطلقًا ولا مباح مطلقًا، وليس يصلح جعله علامة على السنّة والبدعة وجودًا وعدمًا، وذلك لأنّه منوط بالمصلحة الشّرعيّة، وهو -تبعًا لذلك- خاضع للظّرف والمقام الذي يتكلّم فيه المتكلّم، فإنّ العلماء قد أباحوا أن تدعو الكافر إلى طعام إذا كان ذلك مظنّة ترغيبه في الإسلام ودخوله فيه».

قلت: هذا التأصيل مناقض لمنهج السلف الصالح، وهو أقرب إلى مسالك أهل الكلام؛ فهو تأصيل محدث وضعه أهل الأهواء حماية لأنفسهم من نقد أهل الحق؛ كي يرتعوا في غيهم.

قال شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (١٣٢/٢): «وهكذا هؤلاء الاتحادية فرءوسهم هم أئمة كفر يجب قتلهم ولا تقبل توبة أحد منهم إذا أخذ قبل التوبة فإنه من أعظم الزنادقة الذين يظهرون الإسلام ويبطنون أعظم الكفر وهم الذين يفهمون قولهم ومخالفتهم لدين المسلمين، ويجب عقوبة كل من: انتسب إليهم، أو ذبّ عنهم، أو أثنى عليهم، أو عظّم كتبهم، أو عرف بمساعدتهم ومعاونتهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو، أو من قال إنه صنّف هذا الكتاب، وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق؛ بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم، ولم يعاون على القيام عليهم؛ فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات».

وسئل الإمام عبد العزيز بن باز -رحمه الله- في شرح فضل الإسلام (الشريط العاشر):

- الذي يثني على أهل البدع ويمدحهم هل يلحق بهم؟

الجواب: «نعم ما فيه شك من أثنى عليهم ومدحهم هو داع إليهم، هو من دعاتهم، نسأل الله العافية».

وقال-رحمه الله- في تعليقه على الوابل الصيب (الشريط الخامس): «مَن أظهر البدع

يحذّر من بدعته وتترك محاسنه، من أظهر البدع يحذّر منه ويعرض عن المحاسن؛ لأن المقصود التحذير من الشر، وليس المقصود بيان المحاسن».

وقال الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- كما في لقاءات الباب المفتوح (شريط ٦٧): «وعندما تحذّر من خطأ شخص نذكر الخطأ فقط؛ لأن المقام مقام تحذير، ومقام التحذير ليس من الحكمة أن نذكر المحاسن؛ لأنك إذا ذكرت المحاسن فإن السامع سيبقى متذبذبًا، فلكل مقام مقال».

وقال الشيخ محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله- في شريط «مَن حامل راية الجرح والتعديل في العصر الحاضر»: «إذا كان المقصود بترجمة الرجل هو تحذير المسلمين وبخاصة عامتهم الذين لا علم عندهم بأحوال الرجال ومناقب الرجال ومثالب الرجال؛ بل قد يكون له سمعة حسنة وجيدة ومقبولة عند العامة، ولكن هو ينطوي على عقيدة سيئة أو على خلق سيء، هؤلاء العامة لا يعرفون شيئًا من ذلك عن هذا الرجل حين ذاك لا تأتي هذه البدعة التي سميت اليوم بـ (الموازنة) ذلك لأن المقصود حين ذاك النصيحة وليس هو الترجمة الوافية الكاملة».

ثم قال: «لذلك باختصار أنا أقول ولعل هذا القول هو القول الوسط في هذه المناقشات التي تجري بين الطائفتين: هو التفريق بين ما إذا أردنا أن نترجم للرجل فنذكر محاسنه ومساويه، أما إذا أردنا النصح للأمة أو إذا كان المقام يقتضي الإيجاز والاختصار فنذكر ما يقتضيه المقام من تحذير من تبديع من تضليل، وربما من تكفير أيضًا إذا كان شروط التكفير متحققة في ذاك الإنسان، هذا ما أعتقد أنه الحق الذي يختلف فيه اليوم هؤلاء الشباب».

وقال الشيخ صالح الفوزان -حفظه الله- في رسالة التبديع والتفسيق (ص٧٣): «لا يجوز تعظيم المبتدعة والثناء عليهم، ولو كان عندهم شيء من الحق، لأن مدحهم والثناء عليهم يروّج بدعتهم، ويجعل المبتدعة في صفوف المقتدى بهم من رجالات هذه الأمة.

والسلف حذّرونا من الثقة بالمبتدعة، ومن الثناء عليهم، ومن مجالستهم، والمبتدعة يجب التحذير منهم، ويجب الابتعاد عنهم، ولو كان عندهم شيء من الحق، فإن

غالب الضُلاَّل لا يخلون من شيء من الحق؛ ولكن ما دام عندهم ابتداع، وعندهم مخالفات، وعندهم أفكار سيئة، فلا يجوز الثناء عليهم، ولا يجوز مدحهم، ولا يجوز التغاضي عن بدعتهم؛ لأن في هذا ترويجًا للبدعة، وتهوينًا من أمر السنة، وبهذه الطريقة يظهر المبتدعة ويكونون قادة للأمة- لا قدَّر الله- فالواجب التحذير منهم». اهـ

* * *

قلت: فالثناء على المبتدعة على الإطلاق علامة على البدعة، لا كما قال صاحب المين.

ثم قال صاحب المين: «وليس الثّناء مختصّا بكون المبتدع ردّ على غيره أو نفع المسلمين بشيء فحسب، بل إنّه لمّا كان من باب العدل والإنصاف والامتثال لأمر الله تعالى، فإنّه شمل جميع ما يتميّز به المخالف سواء ممّا نفع به غيره أو ممّا هو في خاصّة نفسه كالإخلاص أو الحماس للإسلام أو التّقوى و الورع و الصّدق والعلم كما مرّ في كلام شيخ الإسلام عن الخوارج وغيرهم، وليس ذكر ذلك على سبيل الوجوب وعلى وجه مخصوص كما هو قول أنصار (الموازنات المبتدعة) ولكن تبعًا للمقام وللمصلحة الشّرعيّة التي تترجّح لدى المتكلّم حيث قد يوافق أو لا يوافق عليها ...».

قلت: قد يذكر العالم الرباني السُّني شيئًا من حسنات أهل البدع -إن كانت لهم حسنات- ليس بقصد الثناء عليهم، وإنما لإحدى العلل الآتية:

أولاً: في مقام الترجمة أو التقويم لهذا المبتدع، كما قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في شريط «مَن حامل راية الجرح والتعديل في العصر الحاضر»: «النقد إما أن يكون في ترجمة الشخص المنتقد ترجمة تاريخية فهنا لا بد من ذكر ما يحسن وما يقبح بما يتعلق بالمترجم من خيره ومن شره»، ثم قال: «فإذا أردنا أن نترجم للرجل فنذكر محاسنه ومساويه».

وذهب الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله- في لقاءات الباب المفتوح (شريط ١٢١) إلى وجوب ذكر الحسنات والسيئات حال الترجمة فقال: «أما من أراد أن يقوم الرجل ويذكُر حياته، فالواجب أن يذكر حسناته وسيئاته»، وقال فيه -أيضًا-: «وأما إذا كنا نريد أن نتكلم عن حياته فالواجب أن يُذكر ما له وما عليه».

ثانيًا: عند مقارنته بمبتدع آخر بدعته أغلظ، نحو مقارنة الأشاعرة بالجهمية، فالتمشعر أخف من التجهم، وقد ردَّ الأشاعرة على الجهمية تعطيلهم لبعض الصفات، كما قال شيخ الإسلام في «مجموع الفتاوى» (١١/٤-١٤) : «وكذلك المسائل الاعتقادية الخبرية، لم ينبل أحد من الطوائف ورءوسهم عند الأمة إلا بما معه من الإثبات والسنة:

فالمعتزلة أولا -وهم فرسان الكلام- إنما يحمدون ويعظمون عند أتباعهم وعند من يغضي عن مساوئهم لأجل محاسنهم عند المسلمين بما وافقوا فيه مذهب أهل الإثبات والسنة والحديث، وردهم على الرافضة بعض ما خرجوا فيه عن السنة والحديث: من إمامة الخلفاء وعدالة الصحابة وقبول الأخبار وتحريف الكلم عن مواضعه والغلو في علي ونحو ذلك.

وكذلك الشيعة المتقدمون كانوا يرجحون على المعتزلة بما خالفوهم فيه من إثبات الصفات والقدر والشفاعة ونحو ذلك.

وكذلك كانوا يستحمدون بما خالفوا فيه الخوارج من تكفير علي وعثمان وغيرهما، وما كفَّروا به المسلمين من الذنوب.

ويستحمدون بما خالفوا فيه المرجئة من إدخال الواجبات في الإيمان، ولهذا قالوا بالمنزلة وإن لم يهتدوا إلى السنة المحضة.

وكذلك متكلمة أهل الإثبات مثل الكلابية والكرامية والأشعرية، إنما قبلوا واتبعوا واستحمدوا إلى عموم الأمة بما أثبتوه من أصول الإيمان من إثبات الصانع وصفاته وإثبات النبوة والرد على الكفار من المشركين وأهل الكتاب وبيان تناقض حججهم.

وكذلك استحمدوا بما ردوه على الجهمية والمعتزلة، والرافضة والقدرية من أنواع المقالات التي يخالفون فيها أهل السنة والجماعة.

فحسناتهم نوعان: إما موافقة أهل السنة والحديث، وإما الرد على من خالف السنة والحديث ببيان تناقض حججهم.

ولم يتبع أحد مذهب الأشعري ونحوه إلا لأحد هذين الوصفين أو كليهما، وكل من أحبه وانتصر له من المسلمين وعلمائهم فإنما يحبه وينتصر له بذلك؛ فالمصنِّف في مناقبه

الدافع للطعن واللعن عنه -كالبيهقي، والقشيري أبي القاسم، وابن عساكر الدمشقي- إنما يحتجون لذلك بما يقوله من أقوال أهل السنة والحديث أو بما رده من أقوال مخالفيهم -لا يحتجون له عند الأمة وعلمائها وأمرائها إلا بهذين الوصفين-، ولولا أنه كان من أقرب بني جنسه إلى ذلك لألحقوه بطبقته الذين لم يكونوا كذلك كشيخه الأول أبي علي، وولده أبي هاشم، لكن كان له من موافقة مذهب السنة والحديث في الصفات، والقدر والإمامة، والفضائل والشفاعة والحوض والصراط والميزان، وله من الردود على المعتزلة والقدرية، والرافضة والجهمية وبيان تناقضهم: ما أوجب أن يمتاز بذلك عن أولئك، ويعرف له حقّه وقدره ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ وبما وافق فيه السنة والحديث صار له من القبول والأتباع ما صار، لكن الموافقة التي فيها قهر المخالف وإظهار فساد قوله هي من جنس المجاهد المنتصر». اهـ

وكما قال -رحمه الله- في منهاج السنة النبوية (١٥٧/٥): «والرافضة فيهم من هو متعبد متورع زاهد لكن ليسوا في ذلك مثل غيرهم من أهل الأهواء فالمعتزلة أعقل منهم وأعلم وأدين والكذب والفجور فيهم أقل منه في الرافضة، والزيدية من الشيعة خير منهم أقرب إلى الصدق والعدل والعلم، وليس في أهل الأهواء أصدق ولا أعبد من الخوارج»[1].

---

(١) نقل صاحب «التعصُّب والمين» هذا الموضع في حلقته الثالثة، ثم علَّق عليه قائلاً: «فما تعليق الأستاذ على هذا الثّناء، وهل يملك طاعن الجرأة ليقول إنّ شيخ الإسلام زيّن بدع الرّوافض والخوارج في عيون العامّة والأتباع؟ وأنّه وقع في (المخالفات الكبرى)».

أقول: تعليقي أيها المتعصِّب أن شيخ الإسلام ذكر هذا في معرض المقارنة بين هذه الفرق المبتدعة، مع بيانه لحالهم وتحذيره من بدعهم في عشرات المواضع الأخرى تفصيلاً، فهل يقارن مثل هذا الإمام الجهبذ الذي أفنى عمره في جهاد أهل البدع، وصنَّف المصنَّفات العظيمة في هذا الشأن، مع الحويني؟!

فهذا قياس فاسد، فإن الحويني لما ذكر فوزي السعيد، ومحمد بن عبد المقصود، وسيد العربي، والشعراوي، والسماوي، والعفّاني، وحسّان، والمقدِّم ...إلخ أهل الأهواء -على تفاوت بينهم في البدعة-، لم يذكرهم إلا بالثناء المطلق والمدح، ولم يكن ثناؤه عليهم في معرض مقارنة مع غيرهم من أهل البدع، ولا يُعرف أنه حذّر من بدعهم التي بيَّنا بعضها في موطن آخر، فهل تقاس الثرى بالثريا؟!

وقال -رحمه الله- في الصفدية (٢/٢٤٠): «إن النصارى واليهود خير من هؤلاء -أي الجهمية- من وجوه متعددة فيما يتعلق بالاعتقادات والعبادات».

وكما قال العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- (شريط التنظيمات والجماعات): «ثم إن الفصل بين العقيدة والمنهج، أنا أقول غير مرة: إن الخوارج الذين أمر رسول الله بقتلهم... كان عندهم عقائد سلفية، يعني يؤمنون بتوحيد العبادة، وبتوحيد الأسماء والصفات، ما عندهم شرك، ما عندهم قبور، ما عندهم تجهم، كانوا عندهم فساد في الحاكمية، مثل ماحصل لشبابنا الآن، اعتبرهم رسول الله شر الخلق والخليقة، وأمر بقتلهم، والتشريد بهم، وفعلاً اتفق الصحابة على قتالهم .... لما برز هؤلاء الخوارج الذين تعتبر عقيدتهم السلفية أحسن من عقائد هؤلاء الذين يتبعون سيد قطب، والله عقائدهم أصفى من عقائد هؤلاء».

ثالثًا: على سبيل الإخبار لا المدح، أي: أنه يخبر عن وجود هذه المحاسن فيهم من باب الإخبار عن السمات التي يتميزون بها، دون أن يكون قصده مدحهم بهذا الأخبار، بدليل أنه في السياق نفسه، يذكر أن هذه المحاسن لم تنفعهم، كما في أحاديث الخوارج، حيث بيّن صلى الله عليه وآله وسلم بعض محاسن الخوارج في العبادة، قاصدًا الإخبار عن السمات التي يتميزون بها عن غيرهم لا قاصدًا مدحهم؛ بدليل أنه ﷺ في السياق نفسه بيّن أن هذا الاجتهاد في العبادة لا ينفعهم؛ لأنهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية.

وكما قال شيخ الإسلام -رحمه الله- مجموع الفتاوى (٩/٣٧): «والقوم وإن كان لهم ذكاء وفطنة، وفيهم زهد وأخلاق- فهذا القدر لا يوجب السعادة والنجاة من العذاب إلا بالأصول المتقدمة: من الإيمان بالله وتوحيده وإخلاص عبادته، والإيمان برسله واليوم الآخر، والعمل الصالح، وإنما قوة الذكاء بمنزلة قوة البدن وقوة الإرادة، فالذي يؤتى فضائل علمية وإرادية بدون هذه الأصول يكون بمنزلة من يؤتى قوة في جسمه وبدنه بدون هذه الأصول».

رابعًا: على سبيل نفي ما لا تصح نسبته إلى هذا المبتدع، وهذا من باب العدل في الإخبار والإنصاف في الحكم، لا من باب المدح والثناء المطلق الذي به تزين بدعة

المبتـدع، كمـا قـال سـبحانه: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ومن أمثلة هذا ما قاله شيخ الإسلام كما في الفتاوى الكبرى (٥٣٩/٦): «فكل مسلم بل كل عاقل إذا فهم قولهم حقيقة علم أن القوم جاحدون للصانع مكذبون بالرسل والشرائع مفسدون للعقل والدين وليس الغرض هذا الكلام فيهم فإن الأشعرية لا تقول بهذا وحاشاها من هذا، بل هم من أعظم الناس تكفيرًا ومحاربة لمن هو أمثل من هؤلاء، وإنما هؤلاء من جنس القرامطة والباطنية».

وقال في «منهاج السنة النبوية» (٥٧/١): «ومما ينبغي أن يعرف أن ما يوجد في جنس الشيعة من الأقوال والأفعال المذمومة وإن كان أضعاف ما ذكر لكن قد لا يكون هذا كله في الإمامية الإثنى عشرية ولا في الزيدية، ولكن يكون كثير منه في الغالية وفي كثير من عوامهم مثل ما يذكر عنهم من تحريم لحم الجمل وأن الطلاق يشترط فيه رضا المرأة ونحو ذلك مِمَّا يقوله بعض عوامهم، وإن كان علماؤهم لا يقولون ذلك، لكن لمَّا كان أصل مذهبهم مستندًا إلى جهل كانوا أكثر الطوائف كذبًا وجهلاً».

وقال أيضًا كما في «مجموع الفتاوى» (٥٥٥/٥): «كان ممن انتدب للرد عليهم أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب، وكان له فضل وعلم ودين، ومن قال: إنه ابتدع ما ابتدعه ليظهر دين النصارى في المسلمين كما يذكره طائفة في مثالبه، ويذكرون أنه أوصى أخته بذلك فهذا كذب عليه، وإنما افترى هذا عليه المعتزلة والجهمية الذين ردَّ عليهم؛ فإنهم يزعمون أن من أثبت الصفات فقد قال بقول النصارى، وقد ذكر مثل ذلك عنهم الإمام أحمد في الرد على الجهمية، وصار ينقل هذا من ليس من المعتزلة من السالمية، ويذكره أهل الحديث والفقهاء الذين ينفرون عنه لبدعته في القرآن، ويستعينون بمثل هذا الكلام الذي هو من افتراء الجهمية والمعتزلة عليه، ولا يعلم هؤلاء أن الذين ذموه بمثل هذا هم شرٌّ منه، وهو خير وأقرب إلى السنة منهم».

خامسًا: من باب الإخبار عن صدقه في الرواية وحفظه، لا من باب المدح المطلق له،

بدليل أنهم -في الموضع نفسه- يذمون بدعته، كما في ترجمة أبان بن تغلب: «قال أحمد ويحيى وأبو حاتم والنسائي: ثقة -أي في الرواية-».

وقال الجوزجاني: زائغ مذموم المذهب مجاهر ... وقال ابن عدي: له نسخ عامتها مستقيمة إذا روى عنه ثقة وهو من أهل الصدق في الروايات، وإن كان مذهبه مذهب الشيعة وهو في الرواية صالح لا بأس به.

ولما خرج الحاكم حديث أبان في مستدركه قال: كان قاص الشيعة وهو ثقة.

وقال العقيلي: سمعت أبا عبد الله يذكر عنه عقلاً وأدبًا وصحة حديث إلا أنه كان غاليًا في التشيع ..

وقال الأزدي: كان غاليًا في التشيع وما أعلم به في الحديث بأسًا».

سادسًا: لعدم علمه بحاله، وهذا يكون لأحد سببين: **الأول**: إخفاء هذا المبتدع بدعته أو عدم ظهورها عليه في الوقت الذي مُدِح فيه. **والثاني**: عدم علم العالم بما عليه هذا المبتدع من بدعة، وإن كانت بدعته ظاهرة لغير هذا العالم.

وهذا له أمثلة عدة عند السلف، نحو: تزكية عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لعبد الرحمن بن مُلجَم قاتل علي -رضي الله عنه-، وذلك قبل أن تظهر بدعته.

وبعد هذا التحليل العلمي يظهر لنا وهاء ما قرَّره صاحب المين حيث قال: «وعليه فإنّ فصل الخطاب في هذه القضيّة أن يقال: ليس الثّناء المجرّد المقيّد الذي يقع المرّة والمرّات المعدودة في خلال السّيرة الطّويلة المحمودة ليس بمعيار للتّبديع ولا سببًا للتّشنيع إلا عند رجل جاهل أو متجبّر متجنّ على منهج السّلف، فإنّ ما كان منوطًا بالمصلحة الشّرعية كالثّناء، لا يحقّ لأحد أن يبدّع به أحدًا، وإلا لزم عليه تبديع جمع غفير من أهل العلم الأفاضل كما هو حاصل من هؤلاء القوم».

قلت: قد تقدَّم أن الثناء المطلق على المبتدعة علامة على البدعة، وأن مادحهم داعٍ لهم، وهذا متواتر عن السلف الأوائل، لا يخالف فيه إلا جاهل بمنهج السلف أو صاحب هوى.

وأما الوقائع العينية التي استدل بها صاحب المين وغيره -والتي نقلنا بعضها- ليس فيها ثناء مطلق أو مقيّد على صاحب بدعة، إنما كانت لإحدى العلل المذكورة آنفًا.

ولم يقل أحد من السلف البتَّة هذه القاعدة المحدثة التي ابتدعها صاحب المين: «ليس الثناء المجرّد المقيّد الذي يقع المرّة والمرّات المعدودة في خلال السّيرة الطّويلة المحمودة ليس بمعيار للتّبديع ولا سببًا للتّشنيع ...».

فإن صاحب السنة يصعب -بل يستحيل- أن يثني ثناء مطلقًا أو يمدح -متعمِّدًا- صاحب بدعة إلا عن عدم علم ببدعته، أو من باب الإخبار عن صفة من صفات هذا المبتدع وهي من محاسنه الثابتة، فهو مخبر لا مادح، أو من باب الترجمة له، والتي تُذكر فيها المحاسن والمساوئ -أيضًا على سبيل الإخبار لا المدح-، أو على سبيل نفي ما لا تصح نسبته لهذا المبتدع من باب الإنصاف والعدل، ليس من باب المدح للمبتدع.

قال الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله-: «مقام أهل العلم مع أهل البدعة على حالتين:

الحالة الأولى: أن يكون مقام رد عليهم ومقام تحذير منهم، فهذا لا يناسب الثناء عليهم، والمبتدع لا يستحق الثناء أصلاً، فإذا كان المقام مقام ردود ومقام تحذير فلا يجوز الثناء على مبتدع ولا على من سلك سبيلهم.

أما إذا كان المقام مقام تقييم له ليس ردًّا عليه، فإن أهل العلم يذكرون ماله من الخير وما عليه من الشر، بإجمال دون تفصيل، مثل ما ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- بعض محاسن المعتزلة حيث ردوا على اليهود والنصارى وعلى طائفة الدَّهرية وعلى كثير من طوائف الضلال من غير هذه الأمة، وأثنى على الأشاعرة مرة بردهم على المعتزلة، لكن إذا رد على المعتزلة سامهم ما يستحقون ولم يُثنِ عليهم البتة». اهـ

قلت: فشتَّان شتَّان بين صنيع أئمة السلف وبين طريقة الحويني.

فهل ما تقدَّم نقله عن الحويني في ثنائه على بعض المبتدعة كان من باب ذكر محاسنهم لإحدى العلل المذكورة؟

الجواب واضح لكل صاحب فهم، وهو: أن ثناءه عليهم كان ثناءً مطلقًا وكان تزكية لمنهجهم البدعي، ولم يكن لإحدى العلل المذكورة، ولا يخالف في هذا إلا متعصِّب أو معاند قد انغلق قلبه عن فهم الحقّ[1].

---

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «أقول: إن ذكر محاسن رجل أو جَماعة أو فرقة أحيانًا، لا يكون =

ثم قال الفتى المفتون -صاحب التعصُّب والمين-: «وقال هداه الله: «وأنه إذا زار المملكة لايهتم أبدًا بزيارة العلماء السلفيين هناك، نحو العلامة ربيع بن هادي، والعلامة صالح الفوزان، والعلامة عبيد الجابري -حفظ الله الجميع-، بل لا يزور إلا القطبيين ومن نحا نحوهم».

أكرّر هنا: ألا يشعر القارئ لهذا الكلام أنّ القوم كأنّهم رجال مخابرات، يراقبون حركات أهل العلم وسكناتِهم، فهل أنت يا خالد المصري من تتبّع الشّيخ أبا إسحاق في كلّ رحلاته التي زار فيها المملكة؟».

=

إلاّ تأكيدًا لذمّه وكشفًا لسوءته وإيضاحًا للتحذير منه، وإعلانًا لحجة الله في البيان لخلقه، وبيانًا للنصح لعامة المسلمين، أي ليس كما ذهب إليه مَن وصفت وصَدقت بوصفك إيَّاه بالفتىٰ العجول.

وأذكر كلمة لشيخنا محمد أمان الجامي -رحمه الله- حيث قال: «إن ذكر بعض المحاسن المشهورة لأهل البدع المشهورين قد يكون ضرورة ملحة، وذلك من باب عدم الاغترار بتلك الحسنات وجميل الخصال، والأصل في هذا -كما كان يذكّر به دائمًا- ذكر نبينا -عليه الصلاة والسلام- لحسن عبادة الخوارج وصلاتهم وصيامهم، بل وأنها تزيد وتعظم علىٰ ما كان مثلها من الصحابة، وكذلك حفظهم للقرآن وتَقَفُّرهم للعلم، فكل هذا من باب: إياك أن تغتر بصلاح الظاهر فيعميك عن سوء الباطن، فبالرغم من ذكر تلك المحاسن أمر النبي ﷺ بقتلهم وقتالهم، وبيَّن أنهم شر قتلىٰ وأنهم كلاب النار».

رحم الله شيخنا فكم من الشباب يغتر بما ظهر من حسن حال بعض الدعاة والأصاغر حتىٰ **نزّهوهم** وجعلوا منهم أئمة، والعياذ بالله جاهلين بذلك الأصل العظيم.

بل وزاد -رحمه الله- بأن هذا المنهج المنحرف -أعني: الاغترار بظاهر الحال- سيزيد ويطغىٰ، بل ويقدم علىٰ الأصول والثوابت والأكابر والأمر العتيق، وزيادتها واشتهارها من علامات قيام الساعة وأهوالها، بل إرهاصات خروج الدجال وسياحته في الأرض واتباع الخلق له اتباعًا عظيمًا؛ لأنهم إنما ينظرون إلىٰ خوارقه ومحاسن ما يُظهره من الكرامات والأحوال والكنوز والأمطار والثمار حتىٰ تعميهم عن حقيقة كونه غاية في القبح وأنه أعور، إلىٰ غيرها مِمَّا لا تتفق مع دعوىٰ الربوبية والألوهية.

أقول: رحم الله شيخنا وأثابه عن حسن فهمه وكشفه لأصول مناهج الأغرار، ونفعنا بعلمه وإخوانه وأقرانه، رحم الله الأموات منهم وحفظ الله من بقي منهم». انتهىٰ كلام الشيخ فلاح -نفع الله بتقريراته النفيسة-.

قلت: لست رجل مخابرات -أيها المفتون-، ولو كنت رجل مخابرات فإن هذا لا يعيبني بشيء، فمنذ متى كان الاشتغال بالاستخبار -أي التجسس- فيما هو فيه مصلحة للمسلمين سُبَّة يعيَّر بها صاحبها؟!

ألا يشم القارئ الفطن رائحة منهج الخروج العفن تفوح من كلام هذا المفتون؟!.

هذا أولاً، وثانيًا: من المعلوم عند العقلاء -ولا أخال هذا المفتون منهم- أن صحبة الرجل لا تخفى على من حوله، فكيف بداعية مشهور مروَّج له إعلاميًا بصورة ملحوظة، كيف لا يدرى أصحابه وأخدانه؟!

فهل يستطيع هذا المفتون أن ينكر أن أئمة السنة قاطبة منذ فجر الإسلام إلى وقتنا هذا، معروف أصحابهم وأخدانهم، وإذا ارتحلوا إلى أي بلد، يُعرَف من ينزلون عليه في هذا البلد، ومن يزورون، كما هو مدوَّن في كتب التراجم؟!

فلو كان الحويني مغمورًا، لسلَّمنا لك بافترائك علينا، بأننا رجال مخابرات!

فعلى هذا المفتون أن يقرأ كتاب «الرحلة في طلب الحديث» للخطيب البغدادي، وأن يدرس كتب التراجم قبل أن يخوض في نقد الآخرين، والذي يحتاج إلى علم وتقوى.

ثم قال المفتون: «ثانيًا: أنت ذكرت ثلاثة من المشايخ العلامة ربيع بن هادي، والعلامة صالح الفوزان، والعلامة عبيد الجابري».

أقول: لا أظنّ أحدًا من هؤلاء الأفاضل الذين ذكرتهم يوافقك على حشره في هذا السّياق الذي تحكي فيه كلامًا كالهذيان، يا أيّها الأستاذ: هل من السّلفيّة أنّ الذي يزور المملكة يجب عليه زيارة هؤلاء وغيرهم؟

هل تعلم أقوال أهل العلم في ردّ الحديث المكذوب الذي نصّه: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني».

وهل تريد أن تدخل التّصوّف على شباب أهل السنّة من حيث لا يشعرون؟

و هل تجزم أنّ الشّيخ الحويني في (كلّ) زياراته إلى المملكة (لم يزر ولا واحدًا) من علماء السنّة؟».

قلت: من الذي يهذي أيها المفتري على أهل الحق؟! ما أحوجك إلى أن تُعَذَّر على قذفك الأبرياء بلا حياء؟

ولو كان الأمر بيدي لصنعت معك ما صنعه شعبة مع أمثالك مِمَّن ليسوا أهلاً للتحديث ولا الكتابة، حيث أخرج ابن أبي حاتم في «مناقب الشافعي» (ص٢٠٩) عن أبيه أنه قال: حدثني حرملة بن يحيى قال: سمعت الشافعي يقول: «لولا شعبة: ماعُرِف الحديث بالعراق، كان يجيء إلى الرجل، فيقول: لا تحدِّث، وإلا استعديت عليك السلطان».

هل وُجد في كلامي أني أوجبت على الحويني أو غيره زيارة هؤلاء العلماء بأعيانهم؟

إنما قلت: إنه إذا زار المملكة لا يهتم بزيارة العلماء السلفيين، ثم ضربت مثالاً بأكابرهم الأحياء.

والمفهوم عند كل عاقل من قولي: «**يزورهم**» ليست الزيارة التعبدية البدعية، فالمفتون من فرط جهله لا يفرق بين زيارة الأموات من الأنبياء والصالحين، أي: شدُّ الرِّحال إليهم -والذي هو من هذيان المتصوفة-، وبين زيارة الأحياء من العلماء، والرحلة إليهم، والتي هي سنة سلفية، والتي هي إحدى مميزات السلفي؛ حيث إنه من المعلوم عند أهل العلم أن علماء الصحابة تفرَّقوا في الأمصار، وصار كلُّ واحد منهم عَلَماً على هذا المصر، وكذلك مَن بعدهم من علماء التابعين وتابعي التابعين بإحسان، وهلم جرًّا إلى وقتنا هذا، فكان دأب طلبة العلم هو الرحلة إلى هؤلاء الأعلام؛ كي يحصِّلوا العلم على أيديهم، مع الحرص على مجالستهم.

وصنيع هذا الفتى المفتون معي يشبه صنيع مَن حكى عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من الذين لا يفرقون بين الزيارة الممنوعة إلى القبور والتي تعني شد الرحال والسفر إليها، وبين الزيارة المشروعة إلى القبور، حيث قال -رحمه الله- في «الإخنائية» (ص٢٣٥): «وأما ما احتج به من الأحاديث الواردة في زيارة القبور فعنها أجوبة:

أحدها: أن يقال: ليس فيما ذكرته ما يدل على استحباب زيارة قبر نبينا ﷺ ولا غيره من القبور، وأما قوله: «فزوروا القبور»، فالأمر بمطلق الزيارة أو استحبابها أو إباحتها لا يستلزم السفر إلى ذلك ولا استحبابه ولا إباحته ...

الجواب الثاني: وهو أنه خاطبهم بما كانوا يعرفونه من الزيارة، وهم لم يكونوا يعرفون زيارة القبور إلا كما يعرفون اتباع الجنائز: يتبعون الجنازة من البيت إلى المقبرة، وكذلك يخرج أحدهم لزيارة القبور من البيت إلى المقبرة، أو يمر بالقبر مرورًا، فهذا هو الذي كانوا يعرفونه ويفهمونه من قوله.

قال أحمد بن القاسم: سئل أحمد بن حنبل عن الرجل يزور قبر أخيه الصالح ويتعمّد إتيانه، قال: وما بأس بذلك؟ قد زار الناس القبور، قال: وقد ذهبنا نحن إلى قبر عبد الله بن المبارك، وقال حنبل: سئل أبو عبد الله عن زيارة القبور، فقال: قد رخّص فيها رسول الله ﷺ، وأذن فيها بعد، فلا بأس أن يأتي الرجل قبر أبيه وأمّه أو ذوي قرابته فيدعو له ويستغفر له وينصرف». اهـ

قلت: فلا يستبعد أن يأتي صاحب الهذيان فيرمي أحمد بالتصوف قائلاً له: هل تعلم أقوال أهل العلم في ردّ الحديث المكذوب الذي نصّه: «من حجّ ولم يزرني فقد جفاني»، وهل تريد أن تدخل التّصوّف على شباب أهل السنّة من حيث لا يشعرون؟...!!!، حيث فهم بفهمه السقيم أن أحمد يقصد بزيارة القبور: شد الرحال والسفر إليها، كما فهم بفهمه السقيم أني أقصد بزيارة العلماء قصدهم كما يقصد الجهال أصحاب القبور، وصدق مَن قال: «آفة المرء من الفهم السقيم»، وقيل: «حبُك الشيء يعمي ويُصِمُّ».

وقال الشيخ العلامة زيد بن محمد آل سليمان في كتابه «فتح المنان في نقض شبه الضال دحلان» (ص٧٧): «والقول بتحريم السفر إلى غير المساجد الثلاثة وإن كان قبر نبينا ﷺ هو قول مالك وجمهور أصحابة، وكذلك أكثر أصحاب أحمد الحديث عندهم معناه تحريم السفر إلى غير الثلاثة، لكن منهم من يقول: قبر نبينا ﷺ لم يدخل في العموم، ثمّ لهذا القول مأخذان، **أحدهما**: أن السفر إليه سفر إلى مسجده، وهذا المأخذ هو المأخذ الصحيح، وهو موافق لمالك وجمهور أصحابه، ولم يعرف أحد من العلماء المسمّين أنه قال: يستحب السفر إلى زيارة قبور الأنبياء والصالحين، لكن أطلق بعضهم استحباب زيارة قبره ﷺ وحكى بعضهم الإجماع، فإنه من المعلوم أن مسجده يُستحب السفر إليه بالنص والإجماع، فالمسافر إلى قبره لا بد إن كان عالمًا بالشريعة أن يقصد السفر إلى مسجده،

والعالم بالشريعة لا يقع في هذا، فإنه يعلم أن الرسول ﷺ قد أمر بالسفر إلى مسجده ﷺ، والصلاة فيه، وكل من علم ما يفعله باختياره لا بد أن يقصده، وإنما ينتفي القصد مع الجهل، ولهذا كان لزيارة قبره حكم ليس لسائر القبور من وجوه متعدّدة، وأهل الجهل والضلال يجعلون السفر إلى زيارته كما هو معتاد له من السفر إلى زيارة قبر من يعظمونه يسافرون إليه ليدعوه ويدعوا عنده ويبنون عنده مسجدًا يصلون فيه تعظيمًا لصاحب القبر.

فمن لم يفرّق بين ما هو مشروع في زيارة القبور، وما هو منهي عنه، لم يعرف دين الإسلام في هذ الباب». اهـ

قلت: فعلى هذا الشاب ومن وطئ عقبه أن يتفقهوا قبل أن يتصدروا لمقام النقد العلمي، فمن لا يفرق بين الكوع والكرسوع، بل لا يحسن التفريق بين اليمين والشمال، كيف يخوض غمار هذه المباحث الدقيقة التي تحتاج إلى علم وفهم وحلم وبصيرة؟!

والشاهد، أن طلبة العلم كانوا يحرصون أشد الحرص حين رحلتهم إلى أي مصر من الأمصار، أن يزوروا العالم السني في هذا المصر، وأن يسمعوا منه، وأن يستفيدوا من علمه.

وهذا الحرص نابع من الموالاة والمحبة لهؤلاء العلماء، فكيف يُظن بطالب علم يوالي علماء السنة ويحبهم، إذا نزل بلدهم لا يسعى سعيًا حثيثًا إلى زيارتهم، والتواصل معهم على قدر الاستطاعة.

وبوّب البخاري في صحيحه (كتاب العلم): باب الخروج في طلب العلم، ورحل جابر بن عبدالله مسيرة شهر إلى عبدالله بن أنيس في حديث واحد.

وبوّب أيضًا: باب الرحلة في المسألة النازلة وتعليم أهله.

وانظر إلى حرص أحمد على مجالسة الشافعي لَمَّا نزل مكة، وحثّه ابن راهويه على هذا، وذلك فيما أخرجه ابن أبي حاتم في مناقب الشافعي (ص٤٢، ٤٣): «قال أبو إسماعيل الترمذي: سمعت إسحاق بن راهويه يقول: كنا بمكة -والشافعي بها، وأحمد بن حنبل بها- فقال لي أحمد بن حنبل: يا أبا يعقوب، جالس هذا الرجل (يعني: الشافعي)، قلت: ما أصنع به، وسنُّه قريب من سننا؟ أترك ابن عيينة والمقبري؟! فقال: ويحك، إن ذاك يفوت، وذا لا يفوت، فجالسته».

قلت: فأين الحويني من هذا الحرص على مجالسة أكابر أهل العلم في زماننا المعاصر في مكة والمدينة وغيرهما؟

ومَن هم الأئمة في زماننا المعاصر الذين ينبغي أن يحرص طالب العلم على أن لا يفوتوه، كحرص أحمد على أن لا يفوته الشافعي؟

والجواب: هم أعلام الهدى نحو: الفوزان، وربيع، والجابري، واللحيدان، وزيد المدخلي، والعبّاد، وعبدالرحمن محيي الدين... إلخ.

فما الذي منع الحويني من الحرص على أن لا يفوته هؤلاء؟

إلاَّ أن يكون مستصغرًا لهم، طاعنًا فيهم، مُستعليًا بنفسه عليهم، أو أنه يعتبر نفسه قرينًا لهم في السن والعلم وصحة المنهج!!

وروى ابن بطة في الإبانة (٢/٤٨٠) (٥١٤) بإسناده عن أبي حاتم قال: حدثت عن أبي مُسهِر قال: قال الأوزاعي: يُعرف الرجل في ثلاثة مواطن: بألفته ويعرف في مجلسه، ويُعرَف في منطقه، قال أبو حاتم: وقدم موسى بن عقبة الصوري بغداد فذكر لأحمد بن حنبل فقال: انظروا على مَن ينزل، وإلى مَن يأوي.

قلت: وبالطبع، نزول الحويني وإيواؤه إلى أحد من أكابر العلماء السلفيين لن يكون خافيًا، كما لم يخفَ نزوله على الألباني لَمّا ذهب إلى الأردن.

وقد يحتّج البعض برحلة الحويني إلى الألباني على نقض ما قررته.

والجواب: إن زيارة الحويني للألباني تحمد له في أول طلبه، ولكنه للأسف بعد هذا قد اشترى الذي هو أدنى بالذي هو خير، فبعد أن حرص على مجالسة الألباني، إذ به بعد عودته إلى مصر بفينة يجالس الطاعنين في الألباني، أمثال محمد بن عبدالمقصود، وفوزي السعيد، وسيد العربي، ويقدّمهم للناس على أنهم نجوم الدعوة في مصر.

وبعدها صارت بطانته في مصر: محمد بن حسّان، وحسين يعقوب، العفّاني، والمقدّم ...إلخ القائمة.

فأين مجالسته للأكابر، وحرصه على هذا، في حلّه وارتحاله، كما هي جادة السلف؟!

ولَمَّا قيل لبعض أهل الأهواء: ألا ترحل حتى تسمع من عبد الرزاق، فقال: ما يصنع؟ بالسماع من عبد الرزاق من يسمع من الخلاَّق؟!.

وانظر إلى حرص أحمد -رحمه الله- على ملاقاة الأكابر في زمانه والرحلة إليهم، كما نقل هذا عنه ابنه صالح في سيرته لأبيه، حيث قال -كما قال في (ص٤٣، ٤٤)-: «قلت له -أي لأحمد-: أي سنة خرجت إلى سفيان بن عيينة؟ قال: في سنة سبع وثمانين، قدِمناها وقد مات فضيل بن عياض، وهي أول سنة حججت، وسنة إحدى وتسعين حجَّ الوليد بن مسلم، وفي سنة ست وتسعين، وأقمت سنة سبع وتسعين، وخرجت سنة ثمان وتسعين، وأقمت سنة تسع وتسعين عند عبد الرزاق، وجاءنا موت سفيان -أي ابن عيينة- ويحيى بن سعيد -أي القطان- وعبد الرحمن بن مهدي سنة ثمان وتسعين».

وقال: «ولو كان عندي خمسون درهمًا كنت قد خرجت إلى جرير بن عبد الحميد إلى الري، فخرج بعض أصحابنا ولم يمكنني الخروج، لم يكن عندي».

ثم قال: «وأوّل سماعي من هشيم سنة تسع وسبعين، وكان ابن المبارك قدِم في هذه السنة، وهي آخر قدمة قدِمها، وذهبت إلى مجلسه، فقالوا: قد خرج إلى طرسوس، وتوفي سنة إحدى وثمانين».

وأخرج ابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص٣٤) بإسناده إلى خُشنام بن سعد قال: قلت لأحمد بن حنبل: أكان يحيى بن يحيى إمامًا؟ قال: كان يحيى بن يحيى عندي إمامًا، ولو كانت عندي نفقة؛ لرحلت إلى يحيى بن يحيى.

فمن هم الأئمة عند الحويني بعد موت الألباني وابن باز وابن عثيمين؟!

وأخرج ابن الجوزي في «مناقب أحمد» (ص٣٥) بإسناده إلى عبد الله بن أحمد قال: سمعت أبي يقول: فاتني مالك، فأخلف الله عليَّ سفيان بن عيينة، وفاتني حماد بن زيد، فأخلف الله عليَّ إسماعيل بن عُلَيَّة.

وكنا نتمنى أن يقول الحويني: فاتني ابن باز، فأخلفَ الله عليَّ صالح الفوزان، وفاتني ابن عثيمين فأخلفَ الله عليَّ عبد المحسن العبَّاد!!.

وانظر أيضًا إلى ما أورده البيهقي في كتابه «مناقب الشافعي» (١٠٠- ١٠٧) عن رحلة

الشافعي إلى مالك بن أنس، ثم خروجه من مكة، ولزومه لهُذيل في البادية، ثم خروجه بعد ذلك إلى اليمن.

والشاهد أنه قد جرت سُنة العلماء أنهم إذا نزلوا في أي بلد أن يحرصوا على زيارة أئمة السنة في هذا البلد.

ومجالسة الحويني لهؤلاء القطبيين وصحبته لهم صارت أمرًا متواترًا في القنوات الفضائية وفي دروسه العامة وفي زياراته ومجالسه الخاصة.

وصدق الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- في قوله: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم مَن يخالل».

*** وقد تواترت الأقوال عن السلف في تأييد هذا المعنى، ومن هذه الأقوال:**

قال ابن مسعود -رضي الله عنه-: «اعتبروا الناس بأخدانهم، فإن المرء لا يخادن إلا مَن يُعجبه»، في لفظ: «إنما يماشي الرجل ويصاحب من يحبه، ومن هو مثله»، وفي لفظ ثان: «اعتبروا الرجل بمن يصاحب، فإنما يصاحب من هو مثله»، وفي لفظ ثالث: «اعتبروا الأرض بأسمائها، واعتبروا الصاحب بالصاحب»[1].

وقال أبو الدرداء: إن من فقه الرجل ممشاه ومدخله ومجلسه، قال أبو قلابة: قاتل الله الشاعر حيث يقول:

عن المرء لا تسأل وأبصر قرينه ... وكل قرين بالمقارن مهتدي[2]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنَّفه (٤/ ٣٠٧)، وابن أبي الدنيا في «الإخوان» (٣٨)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٣٧٦)، (٤٩٩-٥٠٣) من طرق عن أبي إسحاق عن هُبَيرة بن يَريم الكوفي عن ابن مسعود به، وهذا إسناد حسن، هبيرة، قال أبو بكر الأثرم عن أحمد بن حنبل: لا بأس بحديثه، هو أحسن استقامة من غيره، يعني الذين روى عنهم أبو إسحاق وتفرد بالرواية عنهم، قال الحافظ في التقريب: لا بأس به، وقد عيب بالتشيع.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة (٦/ ١٢١)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٤٣٧) (٣٦٨)، (٢/ ٤٣٩) (٣٧٧)، (٢/ ٤٦٤) (٤٥٩) عن أيوب عن أبي قلابة عن أبي الدرداء به.

وهذا البيت من الشعر هو من أحكم وأوجز ما قاله: عدي بن زيد، كما أخرج هذا أبو القاسم الحسين بن محمد الحنَّائي في «الحنائيات» (٢/ ١١٤٦) (٢٢٤) من طريق أبي بكر بن دُرَيد، عن أبي عثمان سعيد بن هارون، عن العتبي قال: دخل الشعبي على عبد الملك فقال: يا شعبي

وقال ابن بطة: أنشدنا أبو بكر بن الأنباري قال : أنشدني أبي لأبي العتاهية:

مـن ذا الـذي يخفى عليك إذا نظـرت إلى قرينـه

وعـلى الفتـى بطباعـه سـمة تلـوح عـلى جبينـه

وعن حنبل بن إسحاق، قال: سمعت أبا عبد الله يقول: «أهل البدع ما ينبغي لأحد أن يجالسهم، ولا يخالطهم، ولا يأنس بهم». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٤٩٥].

وقال ابن عون: «من يجالس أهل البدع أشد علينا من أهل البدع». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٤٨٦].

وقال الفضيل بن عياض: «من جلس مع صاحب بدعة فاحذره»(1).

وقال البربهاري في «شرح السنة» (١١٢رقم ١٤٥): «إذا رأيت الرجل جالس مع رجل من أهل الأهواء فحذِّره وعرفه، فإن جلس معه بعد ما علم فاتقه فإنه صاحب هوى».

والحويني قد علم منذ سنوات مقالة ابن عبدالمقصود في اتهام الألباني بالإرجاء، ورغم هذا يصر على مجالسته وعدم التحذير منه، وعلم بما عليه ابن حسَّان وابن يعقوب والعفَّاني والمقدِّم، ورغم هذا يصر على مجالستهم والثناء عليهم.

وسأل أَبو دَاوُد الإمام أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ: «أَرَى رَجُلاً مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ مَعَ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ أَتْرُكُ كَلامَهُ؟ فقَالَ: لا أَوْ تُعْلِمُهُ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي رَأَيته مَعَهُ صَاحِبُ بِدْعَةٍ، فَإِن تَرَكَ كَلامَهُ فَكَلِّمْهُ، وَإِلاَّ فَأَلْحِقْهُ بِهِ»، أخرجه ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (١/١٦٠).

وصدق محمد بن عبيد الغلابي حين قال: «يتكاتم أهل الأهواء كل شيء إلا التآلف والصحبة». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٥١٠].

وعن عبد الله بن أحمد قال: وجدت في كتاب أبي حدثنا معاوية الغلابي قال: قال

=

أنشدني أحكم ما قالت العرب وأوجز، فقال يا أمير المؤمنين قول امرؤ القيس ...ثم ذكر قول زهير، ثم قول النابغة، ثم قول عدي بن زيد ..إلخ.

(١) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء (٨/ ١٠٣)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٥٩) (٤٣٧).

سفيـان: «ليس شيء أبلغ في فـساد رجـل وصـلاحه من صـاحب». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٥٠٤].

وعـن معـاذ بـن معـاذ: قلت ليحيى بن سعيد: «يا أبا سعيد الرجل وإن كتم رأيه لم يخف ذاك في ابنه ولا صديقه ولا في جليسه». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٥٠٩].

وعن قتادة: «إنا والله ما رأينا الرجل يصاحب من الناس إلا مثله وشكله، فصاحبوا الصالحين من عباد الله، لعلَّكم أن تكونوا معهم أو مثلهم». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٥١١].

وعـن مالـك بـن دينـار قـال: «النـاس أجنـاس كأجنـاس الطـير: الحمـام مـع الحمـام، والغراب مع الغراب، والبط مع البط، والصعو مع الصعو، وكل إنسان مع شكله». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٥١٢].

وعـن الأوزاعـي قـال: «يُعـرف الرجـل في ثلاثـة مـواطن: بألفته ويعـرف في مجلـسه ويعرف في منطقه». [الإبانة الكبرى لابن بطة ٥١٤].

* * *

ثم قال المفتون «صاحب المين» -أبو العجب خرافة-: «وإذا كنت تزعم تقدير الشيخ الفوزان إلى درجة التّصوّف: هلاَّ التزمتَ بنصائحه التي تنصب على منهج الإلزام والإقصاء والتّبديع والذي تعتبر أنت وأصحابك ممّن يقوم بهم هذا المسلك الخطير، وسأنقل لك لاحقًا بعض تلك النّصائح».

* * *

قلت: دعك من هذا التهويل: أين هذا الزعم الذي تنسبه إليَّ أيها المفتري؟!

ونظرًا لِمَا بدا منك من وعود كاذبة قد يصعب عليك أن توفي بها، وإذا وفيت تضطر إلى بطر الحق وغمط الناس إخفاء لتدليسك، فسأنقل لك نماذج يسيرة من فتاوى الفوزان التي تنصب على منهجك الباطل وعلى منهج مَن تتعصَّب لهم، مِمَّن يسلكون هذا المسلك الخطير في قلب الحقائق، وهي مأخوذة من «الأجوبة السديدة على أسئلة المناهج الجديدة»، والذي جمعه تلميذ الشيخ: جمال فريحان الحارثي -جزاه الله خيرًا على جمعه الطيب-، وعلَّق على الفتاوى بتعليقات مفيدة، وقد أقره على الجمع والتعليقات العلامة الفوزان:

س٧: ما رأيكم في الجماعات كحكم عام؟

ج: كل من خالف جماعة أهل السنة فهو ضال، ما عندنا إلا جماعة واحدة هم أهل السنة والجماعة، وما خالف هذه الجماعة فهو مخالف لمنهج الرسول ﷺ.

ونقول -أيضًا-: كل من خالف أهل السنة والجماعة فهو من أهل الأهواء، والمخالفات تختلف في الحكم بالتضليل أو بالتكفير حسب كبرها وصغرها، وبعدها وقربها من الحق.

س١٠: هل يلزمنا ذكر محاسن من نحذِّر منهم؟

ج: إذا ذكرت محاسنهم فمعناه أنت دعوت لاتِّباعهم، لا، لا تذكر محاسنهم.

أذكر الخطأ الذي هم عليه فقط؛ لأنه ليس موكولاً إليك أن تزكي وضعهم، أنت موكول إليك بيان الخطأ الذي عندهم من أجل أن يتوبوا منه، ومن أجل أن يحذره غيرهم، والخطأ الذي هم عليه ربما يذهب بحسناتهم كلها إن كان كفرًا أو شركًا، وربما يرجح على حسناتِهم، وربما تكون حسنات في نظرك وليست حسنات عند الله.

س٤٨: قرأت كتابًا اسمه: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» لمؤلفه: محمد سرور بن نايف زين العابدين، قال فيه:

(نظرتُ في كتب العقيدة فرأيت أنها كُتبت في غير عصرنا، وكانت حلولاً لقضايا ومشكلات العصر الذي كُتبت فيه، ولعصرنا مشكلاته التي تحتاج إلى حلول جديدة، ومن ثَمَّ فأسلوب كتب العقيدة فيه كثير من الجفاف؛ لأنه نصوص وأحكام، ولهذا أعرض معظم الشباب عنها، وزهدوا بها)؟

*** فما هو تعليق فضيلتكم على هذا الكلام؟**

ج: هناك أناس يُزهِّدون في تدريس العقيدة ويُزهِّدون في كتب السلف، ويُزهِّدون في مؤلفات أئمة الإسلام، ويريدون أن يصرفوا الناس إلى مؤلفاتهم هم وأمثالهم من الجهال، ومن دعاة الضلال.

هذا القائل من دعاة الضلال؛ نسأل الله العافية فيجب أن نَحْذَر من كتابه هذا، وأن نُحذِّر منه.

وأذكر لكم أن الشيخ محمد أمان الجامي -وفقه الله- قد أملى شريطًا كاملاً على هذه الكلمة (أن كتب العقيدة نصوص وأحكام ...) رد عليه ردًا بليغًا فعليكم أن تبحثوا عن الشريط وأن تنشروه بين المسلمين، حتى يحذروا من هذا الخبث، ومن هذا الشر الوافد إلى بلاد المسلمين[1].

نعم؛ هذا شريط قيم جدًا، جزا الله خيرًا شيخنا الشيخ محمد أمان الجامي، ونصر به الإسلام والمسلمين.

- لماذا نستورد أفكارنا من الخارج؟

- لماذا نستورد من محمد سرور زين العابدين في لندن -أو غيره- هذه الأفكار؟

- لماذا لا نرجع إلى الكتب التي بين أيدينا، من كتب السلف الصالح، وكتب علماء التوحيد، التي صدرت عن علماء، ولم تصدر عن كاتب أو مثقف لا يُدرى عن مقاصده؟ ولا يُدرى -أيضًا- عن مقدار علمه؟

الرجل -محمد سرور- بكلامه هذا يضلِّل الشباب، ويصرفهم عن كتب العقيدة الصحيحة، وكتب السلف، ويوجههم إلى الأفكار الجديدة، والكتب الجديدة، التي تحمل أفكارًا مشبوهة.

كتب العقيدة آفتها عند محمد سرور أنها نصوص وأحكام، فيها قال الله، وقال رسوله، وهو يريد أفكار فلان وفلان، لا يريد نصوصًا وأحكامًا.

فعليكم أن تحذروا من هذه الدسائس الباطلة، التي يُراد بها صرف شبابنا عن كتب سلفنا الصالح.

الحمد لله نحن أغنياء بما خلَّفه لنا سلفنا الصالح من كتب العقائد، وكتب الدعوة، وليست بأسلوب جاف -كما زعم هذا الكاتب -، بل بأسلوب علمي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أمثال: صحيح البخاري، ومسلم، وبقية كتب الحديث، ومن كتاب الله تعالى،

---

(١) فهل يوافق الحويني وأتباعه المتعصِّبون الفوزان على هذا التحذير، وعلى هذا العزو إلى العلامة أمان الجامي، أم أنهم يعتبرون الجامي من غلاة التجريح، وينبذون أهل السُّنة بالجاميَّة؟!

الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ثم كتب السنة، مثل: كتاب «السنة» لابن أبي عاصم، و«الشريعة» للآجري، و«السنة» لعبدالله بن الإمام أحمد، وكتب شيخ الإسلام ابن تيميّة وتلميذه ابن القيم، وكتب شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب، فعليكم بهذه الكتب والأخذ منها.

فإذا كان القرآن جافًا، والسنة جافة، وكلام أهل العلم المعتبرين فيه جفاف؛ فهذا من عمى البصيرة، وكما قال الشاعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

والعقيدة لا تؤخذ إلا من نصوص الكتاب والسنة، لا من فِكر فلان وعلاّن.

س٣٠: ما هو الموقف من هذا الكتاب -منهج الأنبياء- السابق الذكر؟

ج: تُشخَّص الأمراض التي في الكتاب، ويُطلب سحبه من المكتبات، ومنعه من الدخول إلى المملكة[1].

---

(١) قال الحارثي: «سئل سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز في محاضرة بعنوان «آفات اللسان» بتاريخ (٢٩/ ١٢/ ١٣/ ١٤١٣هـ) في مدينة الطائف، عن كلام محمد سرور زين العابدين، وموقفه من كتب العقيدة في السؤال السابق فأجاب سماحته -رحمه الله-: «هذا غلط عظيم ... كتب العقيدة الصحيح أنها ليست جفاءً، قال الله، قال الرسول، فإذا كان يصف القرآن والسنة بأنها جفاء؛ فهذا ردَّة عن الإسلام، هذه عبارة سقيمة خبيثة».
وسئل عن حكم بيع الكتاب فقال: «إن كان فيه هذا القول فلا يجوز بيعه، ويجب تمزيقه». اهـ النقل من الشريط المذكور.
ومثل كلام «محمد سرور» يقول «حسن الترابي»: «ينبغي لفقه العقيدة اليوم أن يستغني عن علم الكلام القديم، ويتوجه إلى علم جديد غير معهود للسلف».
ويقول -أيضًا-: «وعلينا أن ننظر في أصول الفقه الإسلامي، وفي رأيي أن النظرة السليمة لأصول الفقه الإسلامي تبدأ بالقرآن، الذي يبدو أننا محتاجون فيه إلى تفسير جديد (!!)، إذا قرأتم التفاسير المتداولة بيننا تجدونها مرتبطة بالواقع الذي صيغت فيه، كل تفسير يعبِّر عن عقلية عصره ...، إلا هذا الزمان؛ لا نكاد نجد فيه تفسيراً عصريًّا شافيًا».
انظر كتاب «تجديد الفِكر الإسلامي» للترابي (ص٢٥- ٤٢)، ط. الدار السعودية، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ.

=

س٣٣: ما رأيكم في كتاب «القطبية»، وهل تنصح بقراءته، وهل كتب الردود من منهج السلف -رحمهم الله-؟

ج: الرد على المخالف؛ سنة السلف، فالسلف يردون على المخالفين وهذه كتبهم موجودة: رد الإمام أحمد على الزنادقة والمبتدعة، ورد شيخ الإسلام ابن تيمية على الفلاسفة وعلى علماء الكلام، وعلى الصوفية وعلى القبوريين، ورد الإمام ابن القيم وكثير من الأئمة، ردوا على المخالفين من أجل بيان الحق وإظهار الحق للناس حتى لا تضل الأمة وتتبع المخطئين والمخالفين، وهذا من النصيحة للأمة، أما كتاب «القطبية» وغيره من الكتب؛ فما كان فيه من صواب وصدق فلابد من الأخذ به، فإذا كانوا الذين يردون على المخالفين ينقلون كلام الشخص المخالف من كتابه أو من شريطه ويعينون الكتب أو الأشرطة بالصفحة والجزء، والكلام الذي نقلوه؛ خطأ بيِّن، فما المانع من الرد عليه؟ من أجل نصيحة الناس ليس القصد تنقص الأشخاص إنما القصد النصيحة للناس والبيان للناس، فما دام كتاب القطبية أو غيره لم يذكر كذبًا على أحد، وإنما ينقل من كلام المخالفين بنصه، ولم ينقله بمعناه أو باختصار مخل، وإنما نقله بنصه وعيَّن الجزء الذي قيل فيه والصفحة التي قيل فيها؛ بل والسطر الذي قيل فيه، فماذا عليه؟

أما كوننا نتكتم على الناس، ونغرر بالناس ونقول اتركوا هذه الكتب بأيدي الشباب وبأيدي الناس وفيها السموم وفيها الأخطاء فهذا من الغش للأمة؛ ولا يجوز هذا، لا بد من البيان لا بد من النصيحة، لا بد من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هذه كتب الردود موجودة من قديم الزمان وما عابها أحد ولا انتقدها أحد، الحمد لله، لا بد من البيان.

=

قلت: وهو بهذا الكلام يريد أن يفسِّر القرآن بحسب أهواء الناس في مختلف العصور، ولا يدري أن التفسير متوقف ومقصور على مصادر محدَّدة، هي: تفسير القرآن بالقرآن، وتفسير القرآن بالسنة، وتفسير القرآن بأقوال الصحابة، وتفسير القرآن بمقتضى اللغة التي نزل بها، وهي على الترتيب بين هذه الأربعة المصادر، ولا يختلف هذا باختلاف الأزمان، وأحوال الناس ولا بتغير النظريات العلمية».اهـ

س٤٧: هل يتوقف على صحة المنهج جنة أو نار؟

ج: نعم، المنهج إذا كان صحيحًا صار صاحبه من أهل الجنة، فإذا كان على منهج الرسول ﷺ ومنهج السلف الصالح يصير من أهل الجنة بإذن الله وإذا صار على منهج الضُّلاَّل فهو مُتَوَعَّدٌ بالنار.

فَصِحَّة المنهج من عدمها يترتب عليها جنة أو نار.

س٤٨: ما هو القول الحق في قراءة كتب المبتدعة، وسماع أشرطتهم؟

ج: لا يجوز قراءة كتب المبتدعة، ولا سماع أشرطتهم، إلا لمن يريد أن يَرُدَّ عليهم ويُبيِّن ضلالهم.

أما الإنسان المبتدئ، وطالب العلم، أو العامي، أو الذي لا يقرأ إلا لأجل الاطلاع فقط، لا لأجل الرَّد وبيان حالها؛ فهذا لا يجوز له قراءتها؛ لأنها قد تؤثر في قلبه وتُشَبِّه عليه فيصاب بشرها، فلا يجوز قراءة كتب أهل الضلال؛ إلا لأهل الاختصاص من أهل العلم، للرَّد عليها، والتحذير منها.

س١٠١: أرجو أن تبين لنا القول في علماء المدينة وأعني بهم من يدعون بالسلفيين، فهل هم على صواب فيما يفعلون، أوضح لنا الحق في هذه المسألة؟

ج: علماء المدينة[1]، أنا ما أعرف عنهم إلاَّ الخير، وأنهم أرادوا أن يبينوا للناس الأخطاء التي وقع فيها بعض المؤلفين أو بعض الأشخاص، من أجل النصيحة للناس، وما كذبوا على أحد وإنما ينقلون الكلام بنصه موثقًا بالصفحة والجزء والسطر، ارجعوا إلى ما نقلوه، فإن كانوا كاذبين بيِّنوا لنا جزاكم الله خيرًا، نحن ما نرضى بالكذب راجعوا كتبهم انقدوها، هاتوا لي نقلاً واحدًا كذبوا فيه أو قصروا فيه وأنا معكم على هذا.

أما أن تقولوا للناس اسكتوا واتركوا الباطل ولا تردوا عليه ولا تبينوا؛ هذا غير

---

(١) قال الحارثي: «المقصود بهم كلاًّ من المشايخ: محمد أمان الجامي -رحمه الله-، وربيع بن هادي المدخلي، وعبيد الجابري، وعلي الفقيهي، وصالح السحيمي، ومحمد بن هادي -حفظهم الله-، والذين لهم الفضل بعد الله -سبحانه وتعالى- في تبصير الكثيرين من طلبة العلم بحال فرقة «الإخوان المسلمين» والرد على قياداتِهم هنا وهناك».

صـحيح، هـذا كتمـان للحـق، الله -جـل وعـلا- يقـول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قـــال تعـــالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

نحن نرى الأخطاء ونسكت، ونترك الناس يهيمون؟ لا، هذا ما يجوز أبدًا يجب أن نبين الحق من الباطل رضي من رضي وسخط من سخط[1]. اهـ

* * *

وقال صاحب المين -أبو العجب خرافة-: «قال الأستاذ: بل لا يزور إلاَّ القطبيين ومن نحا نحوهم.

فأقول: قد ثبت أنّ الشّيخ أبا إسحاق كان ينزل ضيفًا على الشّيخ بكر أبو زيد -رحمه الله، فهل قولك السّابق يزيدنا يقينًا من أنّك تعتبر الشّيخ بكر أبو زيد (قطبيًّا)؟».

وقـال في موضـع آخـر: «وقـد كانـت صـفحات هـذه الـشّبكة إلى زمـن قريـب تعـرض مجموعة تافهة اسمها المطاردة تحت أصوات المدافع للمسمّى شكيب الأثري جمع فيها شتات أشرطة الجرح مبوبًا! ومعنونًا بعناوين ظلمات بعضها فوق بعض ويكفي المنصف أن يرى ما بوّب!! به للكلام في عَلمين من أعلام المسلمين قائلاً:

أقوال العلماء في القطـبي بكر أبو زيد ... أقوال العلماء في الإخواني ابن جبرين».

قلت: لقد تربينا على أيدي مشايخنا الكرام: ربيع بن هادي، ومحمد بن عبد الوهاب البنا، وحسن بن عبد الوهاب البنا، وعبد الرحمن محيي الدين -جزاهم الله عنا خير الجزاء- على الأدب والحلم والإنصاف.

فلست -ولله الحمد- من الذين يتسرعون في إصدار الأحكام، أو من الذين يصدرون الأحكام على الأعيان جزافًا دون بينة، ودون مرجعية لأهل هذا الشأن من مشايخنا الكبار.

---

(١) وموقف الحويني، وابن حسّان، ومن سار على طريقهما من علماء المدينة معروف، وهو أنهم يعتبرونهم أصحاب فتنة، كما صرَّح بهذا ابن حسَّان في رسالته إلى غُلاة التجريح، والحويني طعن على الشيخ ربيع قائلاً: أحمق... إلخ.

والشيخ بكر أبو زيد -رحمه الله- من العلماء الذين كان لهم قدم صدق في نصرة الدعوة السلفية، والتحذير من الدعوات الحزبية وذلك من خلال مؤلَّفاته الأولى.

لكنه أردف هذه المؤلفات بأخرى خلط فيها حقًا بباطلاً، وأجمل فيها القول في مسائل شائكة، كانت تحتاج إلى تبيين وتفصيل، مما كان فيه شيء من الخذلان للحق وأهله.

فإني أعجب من الذين يحتجون بالخطاب الذهبي المنحول على الشيخ بكر، والذي خرج بدون إذنه، وينشرونه في الآفاق، مع رسالة «تصنيف الناس بين الظن واليقين»، وفي الوقت نفسه يغضون الطرف عن كتاب «حكم الانتماء للأحزاب والجماعات الإسلامية»، و«أصول الرد على المخالف»، و«حلية طالب العلم»، و«التعالم وأثره على الفكر والكتّاب»، ونحوها من الكتب المنهجية النافعة للشيخ بكر، فلا يرفعون لها رأسًا، بل بعضهم كان يحذِّر منها، ففي هذه الكتب المنهجية التأصيلية هم يعتبرون الشيخ بكرًا جاميًا أو مدخليًّا أو متشدِّدًا، أما في «الخطاب الذهبي»، و«تصنيف الناس» فهو معتدل ومنصف وعلامة لا نظير له، فنعوذ بالله من حال أهل الهوى.

وعليك أن تقرأ كتاب «الحدّ الفاصل بين الحق والباطل ... حوار مع الشيخ بكر أبي زيد في عقيدة سيد قطب وفكره»، لشيخنا العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله-، لتدرك الباطل المذكور في «الخطاب الذهبي»، وأنا في انتظار ردٍّ علمي منك حول هذا الكتاب، إن كنت صادقًا في طلب الحق.

وهذا الجائر -صاحب التعصُّب والمين- يريد أن يسوي بين الشيخ بكر والحويني، وشتان شتان بينهما في العلم أولاً ثم في قدر المخالفات الصادرة من كليهما، فالحويني يكفِّر المصر على المعصية، ويعتنق قاعدة سيد قطب في توحيد الحاكمية وهي قاعدة الخوارج الجدد، وينفي وجود السلطان الشرعي البتَّة في هذا الزمان، ويثني على رموز الحزبيين والقصَّاص، ويجالسهم ويظهرهم في أعين الشباب بمظهر العلماء الربانيين تدليسًا منه، ويحرِّض على الخروج على طريقة الخوارج القعدية، ويعتمد بدعة الموازنات، ويتهكم بالعلماء بعبارات سيئة ...إلخ، **وأما مخالفات الشيخ بكر فلم تصل إلى هذا الحدِّ**.

ومع هذا نقول: إن الشيخ بكرًا -غفر الله له- قد وقع في إساءة عظيمة في عدم براءته الصريحة من هذا الخطاب الذهبي، وعدم تراجعه عن الأخطاء الظاهرة في رسالته «تصنيف الناس»، وهذا التعاطف السقيم مع سيد لم ينفع المسلمين وضرَّ الشيخ بكرًا في منهجه، فإذا قال العلماء: إنه قطبي، فهذا لدفاعه العاطفي الغير منضبط عن سيد ضاربًا عرض الحائط بما كتبه كبار العلماء وأفتوا به في شأن سيد وضلالاته.

وأنصح إخواننا الباحثين عن الحق وكذلك المغرَّر بهم الذين يظنون أن الشيخ ربيعًا -حفظه الله- هو الذي تفرَّد بالردِّ على أخطاء الشيخ بكر أن يقرءوا «الردّ العلمي على منكري التصنيف» للشيخ عبد السلام بن برجس بن ناصر آل عبد الكريم -رحمه الله-، حيث رد فيه ردًّا دامغًا على رسالة الشيخ بكر «تصنيف الناس بين الظن واليقين»، وأوضح بجلاء منهج السلف الصالح في هذا الباب، بما لا يدع فرصة أو مجال لمعارض بالباطل أن يشمخ بأنفه صادًّا عن سبيل الله القويم.

وأما عن الشيخ ابن جبرين فإن مخالفاته أطمّ، وقد تصدى للردِّ عليها طائفة من كبار أهل العلم.

واعلم يا هذا أنّا لسنا صوفية دراويش أو حزبيين متعصِّبين من الذي يقدسون مشايخهم ورؤساءهم، ولا يلقون بالاً لمخالفاتهم الكتاب والسنة وإن بلغت ما بلغت، فإليك بعض مخالفات الشيخ ابن جبرين -رحمه الله-، والتي منها تدرك الحكم على الرجل، كما كان يحكم أئمة الجرح والتعديل سابقًا على الرجال من مقالاتهم ومواقفهم:

أولاً: قال ابن جبرين في الفتوى الصادرة منه بتاريخ ١٤١٦/٨/١٧: **«إنَّ سيد قطب وحسن البنا من علماء المسلمين، ومن أهل الدعوة، وقد نفع الله بهما وهدى بدعوتهما خلقًا كثيرًا، ولهما جهود لا تنكر، ولأجل ذلك شفع الشيخ: عبد العزيز بن باز في سيد قطب عند ما قرر عليه القتل، وتلطّف في الشفاعة فلم يقبل شفاعته الرئيس جمال، عليه من الله ما يستحق.**

ولَـمَّا قتل كل منهما أطلق على كل واحد أنّه شهيد؛ لأنّه قتل ظلمًا، وشهد بذلك الخاص والعام، ونشر ذلك في الصحف والكتب بدون إنكار.

ثم تلقّى العلماء كتبهما، ونفع الله فيها، ولم يطعن أحد فيهما منذ أكثر من عشرين عامًا.

وإذا وقع منهما أخطاء يسيرة في التأويل أو نحوه فلا يصل إلى حدّ التكفير، فإنَّ العلماء الأوّلين لهم مثل ذلك، كالنووي، والسيوطي، وابن الجوزي، وابن عطية، والخطابي، والقسطلاني، وأمثالهم كثير. وقد قرأت ما كتبه الشيخ: ربيع المدخلي في الرَّد على سيد قطب، ورأيته جعل العناوين لِمَا ليس بحقيقة، فردّ عليه الشيخ بكر أبو زيد...».

قلت: وكما طار الحزبيون بخطاب الشيخ بكر الذهبي، طاروا أيضًا بهذه الفتوى للشيخ ابن جبرين، والتي دلائل البطلان لائحة عليها، وقد بيَّن ما فيها من باطل في ردٍّ علمي: الشيخ عبدالله بن صلفيق الظفيري -جزاه الله خيرًا- في كتابه: «ملحوظات وتنبيهات على فتوى فضيلة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين في دفاعه عن: حسن البنا - سيد قطب - عبد الرحمن عبد الخالق»، وقد راجع كتابه وقدَّم له: فضيلة الشيخ عبيد بن عبد الله الجابري -حفظه الله تعالى-.

فارجع إلى هذا الرد لعلّك أن تنتفع بما فيه من حجج وبراهين تزيل عنك ظلام العصبية الذي صنع غشاوة على بصرك.

وارجع أيضًا إلى ما سطرناه في هذا الكتاب في بيان حال سيد قطب، وما نقلناه من فتاوى العلماء في التحذير منه ومن كتبه؛ لتدرك مخالفة الشيخ ابن جبرين لجلِّ علماء العصر في هذا الشأن بلا بينة ولا برهان، بل تعصُّبًا لسيد.

وأما حسن البنا فسيأتي الإشارة إلى الطامات التي عنده فيما يلي، والتي منها تدرك خطأ ما صرَّح به ابن جبرين في هذه الفتوى، وأن هذه الفتوى ما هي إلا تعمية، وتضليل عن الحق.

ثانيًا: سئل الشيخ ابن جبرين كما في الفتوى رقم (١١٦٢٢) على موقعه الخاص: **ما حكم حركة الإخوان؟ وهل تعدد الجماعات الإسلامية المعاصرة من الفرق الضالة؟**

الاجابة: «الإخوان المسلمون» الذين ظهروا في مصر قصدوا الإصلاح والدعوة إلى الله وحصل بحركتهم أن هدى الله خلقًا كثيرًا تابوا من ترك الصلاة ومن شرب المسكرات ومن فعل الفواحش والمحرمات، ولكن بقي معهم بعض العادات الجاهلية لم يتمكن

الدعاة من إزالتها فسعوا في تخفيفها وحيث إنهم أفراد من جملة الشعب ليس في أيديهم قوة وليس لهم سلطة فلذا لم يتمكنوا من هدم القباب على القبور ومن منع الظواهر الشركية وحيث لم يكن لهم منعة فقد تسلط عليهم رؤساء الدول وأودعوهم في السجون وقتلوا الكثير منهم لاعتقادهم أنهم يثيرون عليهم جماهير المواطنين ويبرزون مثالب الرؤساء ومخالفاتهم وما يحكمون به من القوانين الوضعية والعادات السيئة وإسقاط الحدود وإباحة الزنى والخمور فلا جرم حرص أولئك الرؤساء على تفريقهم واضطهادهم وكسر قوتهم.

وأما تعدد تلك الجماعات فلا نرى أن الجميع من الفرق الضالة لمجرد اختلاف الأسماء إذا كان الهدف واحدًا، فهناك جماعة التبليغ في المملكة وما حولها أغلبهم من خريجي الجامعات الإسلامية وعلى عقيدة أهل السنة لكنهم رأوا الدعوة إلى الله بالأفعال والرحلات أكثر تأثيرًا وهناك السلفيون من أهل السنة والجماعة رأوا تفضيل التعلُّم والتوسع في المعلومات العقدية، وهناك الإخوان المسلمون رأوا الاشتغال بالدعوة والتصريح بالمنكرات، وهناك من رأى الهجر والبعد عن العصاة ولو كانوا رؤساء، وهناك من أجاز التدخل مع الولاة لتخفيف شرهم، والأصل أن الجميع على معتقد أهل السنة فلا يعدون من الفرق الضالة فإن وجد من بينهم من هو على عقيدة مخالفة كالتعطيل والتشبيه وإباحة الشركيات والقول بالإرجاء أو قول الخوارج، أو إنكار قدرة الله فإنه يحكم على من اعتقد ذلك بأنه من الفرق الضالة ويحذر من الانخداع بدعوته. والله أعلم.

وسئل في الفتوى رقم (٦٤٤٤): **وما حكم من قال: عقيدتي سلفية ومنهاجي إخواني؟**

وأما من قال: عقيدتي سلفية، فلا بد أن يعرف معتقد السلف في باب الأسماء والصفات والقضاء والقدر وأسماء الإيمان والدين، ويراد بالسلف الصحابة والتابعون وأتباعهم الذين كانوا على العقيدة الصحيحة، كما تدل على ذلك كتبهم كصحيح البخاري وصحيح مسلم والسنن الأربعة وسنن الدارمي وكتب التوحيد والاعتقاد، التي كتبها سلف الأمة وأئمتها كالطحاوي وابن خزيمة والدارمي والآجري والقاضي أبي يعلى وابن بطة واللالكائي وابن قدامة وابن تيمية ونحوهم.

وأما منهاج الإخوان فلا بأس به إذا قاموا بالدعوة قولاً وفعلاً، وبلغوا شرع الله وأمروا

بالمعروف ونهوا عن المنكر سواء تسموا بالإخوان أو بأنصار السنة أو بأهل التوحيد أو بالسلفيين؛ فإن العبرة بالعمل لا بالأسماء.

وسئل أيضًا كما في الفتوى رقم (١٠٠٦): **س: ما هو حكم التحزب والدخول في الأحزاب الإسلامية؟**

لا يجوز؛ فإن الأمة الإسلامية دينها واحد، وعقيدتها واحدة، فلا يجوز التفرق، بل يجب الاجتماع لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢]. وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]. ولا شك أن هذه الفِرَق والأحزاب مخالفة لما أمر الله به من الاجتماع؛ لقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]. أما إذا كانت الأحزاب متفقة في العقيدة، وفي الأعمال، وفي الديانة، وإنما اختار بعضها التفرغ لطلب العلم، واختار آخرون السفر للدعوة، واختار آخرون تولي الأعمال المهمة كالقضاء والإمامة والخطابة، وقصد كل منهم الإصلاح فيما يتولاه، فإن ذلك جائز، لأنه من باب التعاون على البر والتقوى، ومن باب القيام بأوامر الله تعالى.

وثَمَّ فتاوى أخرى على موقعه تنحى المنحى نفسه.

*** وأقول ردًّا على هذا الباطل في هذه الفتاوى المضلِّلة:**

إن القصد لا يغني عن صاحبه شيئًا إذا كان عمله فاسدًا، فحزب الإخوان قد أسَّسه حسن البنا على الطريقة الحصافية الصوفية، حيث قال في مذكرات الدعوة والداعية (ص٢٤): «نزلت دمنهور مشبعًا بالفكرة الحصافية، ودمنهور مقر ضريح الشيخ السيد حسنين الحصافي شيخ الطريقة الأولى، وفيها نُخبة صالحة من الأتباع الكبار للشيخ، فكان طبيعيًّا أن أندمج في هذا الوسط، وأن أستغرق في هذا الاتجاه».

فلم يقم البنا دعوة حزبه على دعوة التوحيد الصافية، ومن ثَمَّ لم يعتن هو ولا من جاء بعده من دعاة الإخوان بالتوحيد والتحذير من الشرك، واهتداء بعض العصاة بترك بعض الكبائر العملية لا يفيدهم كثيرًا إذا لم يتعلَّموا التوحيد وينبذوا الشرك والبدع، فما فائدة ترك الرجل شرب المسكرات، والتزامه بالصلاة، هو في الوقت نفسه يخرج في الموالد يردِّد هذا

البيت الشركي الذي كان يردّده حسن البنا مع أتباعه في مولد النبي ﷺ، كما ذكر هذا أخوه عبد الرحمن البنا كما في كتاب (حسن البنا بأقلام تلامذته ومعاصريه، ص٧١-٧٢):

هـذا الـحبيبُ مـع الأحباب قـد حـضرا ... وسـامح الكـل فيمـا قـد مـضى وجـرى

لقـــد أدار عـــلى العـــشاق خـــمرته ... صرفًـا يكـاد سـناها يـذهب البـصرا

يـا سـعد كـرر لنـا ذكـرى الـحبيب ... لقـد بلبلـت أسمـاعنا يـا مطـرب الفقـرا

ومـا لركـب الـحمى مالـت معاطفـه ... لا شـك أن حبيـب القـوم قـد حـضرا

قلت: أرأيت أيها الشاب السُنِّي كيف يزعم حسن البنا -الإمام المجدد المزعوم- حضور النبي ﷺ هذه الحضرة الصوفية المزعومة، ويصف الرسول بصفات الله سبحانه بأنه سامح -أي غفر- فيما مضى وما جرى؟!!

ومن ثَمَّ بنى حسن البنا المرحلة الثانية من مراحل الدعوة الثلاث على التصوف، كما في رسالته «**التعاليم**» حيث قال: «في المرحلة الثانية التي هي من مراحل التكوين ونظام الدعوة في هذه المرحلة **صوفي بحت من الناحية الروحية**، وعسكري بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا: أمر وطاعة من غير تردد ولا شك ولا حرج». اهـ

وهذه التربية الصوفية للبنا امتدت إلى تلاميذه وأتباعه.

بل صرّح البنا أنه كان يشد الرحال إلى الأضرحة، مخالفًا بهذا الأمر النبوي، وضاربًا بعقيدة التوحيد عرض الحائط، حيث قال: «وكنا كثير من أيام الجمع التي يتصادف أن نقضيها في دمنهور، نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء القريبين من دمنهور، فكنا أحيانًا نزور دسوق فنمشي على أقدامنا بعد صلاة الصبح مباشرة، حيث نصل حوالي الساعة الثامنة صباحًا فنقطع المسافة في ثلاث ساعات، وهي نحو عشرين كيلو مترًا ونزور ونصلي الجمعة، ونستريح بعد الغداء، ونصلي العصر ونعود أدراجنا إلى دمنهور حيث نصلها بعد المغرب تقريبًا.

كنا أحيانًا نزور عزبة النوام حيث دفن في مقبرتها الشيخ سيد سنجر من خواص رجال الطريقة الحصافية المعروفين بصلاحهم وتقواهم، ونقضي هناك يومًا كاملاً ثم نعوده.

وقال في بيان خروجه في الموالد كما في (ص٢٥-٢٦) من مذكرات الدعوة: «وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد الرسول ﷺ بالمواكب بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الأول إلى ثاني عشر منه..وخرجنا بالموكب ونحن ننشد القصائد المعتادة في سرور كامل وفرح تام».

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تقديمه على كتابي «التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات هي من منهج الخوارج والبغاة»: «وذلك أنه كان أحد أصدقائي، واسمه: سيد سعد في الإسماعيلية، وكان البنا يُجالس مَنْ يستغيث بغير الله، ومَنْ يقول إن الرسول خُلِق من نور، ومَنْ يُعلِّق التمائم والأحجبة، وكان سيد سعد يقول له: أليس هذا من الشرك؟! ألا تنهاهم عنه؟! فكان البنا يجيبه: بعدين، ليس هذا وقته، فقال له: كيف إذا مِتَّ قبل أن تُعلِّمهم، كيف يكون موقفك بين يدي الله؟ فأجاب: أنا أعرف كيف أجيب!! وعندها نفض سيد سعد يديه من البنا وتركه.

وهذا من مفارقات حسن البنا أنه يعلم التوحيد والشرك، ولا يتكلم فيهما أبدًا». اهـ

وأين ابن جبرين من هذا المقال النادر في مجلة الهدي النبوي[1] (العدد الخامس- جمادى الأولى سنة ١٣٦٥) -والتي كان يرأس تحريرها: الشيخ محمد حامد الفقي -رحمه الله- بعنوان «الإخوان المسلمون -أو الإخوان المصريون- بين أمس واليوم»[2] (ص١٦٣-١٦٦) حيث جاء فيه كشف تعاون حسن البنا مع النصارى وإظهار المودة لهم ابتغاء نصرة حزبه في الانتخابات:

«الله غايتنا -الرسول زعيمنا- القرآن دستورنا: تلك مبادئهم التي كانوا بالأمس يملأون بها الدنيا صياحًا، غدوًا ورواحًا ظاهرها حق لا شبهة فيه، والله أعلم بالقلوب وما تخفيه، فانظر كيف استحالت هذه المبادئ اليوم إلى تطورات ثلاث تناهض هذه المبادئ تمامًا:

---

(١) لسان حال جماعة أنصار السنة المحمدية في عهد الشيخ محمد حامد الفقي.

(٢) وكان الفضل بعد الله سبحانه في إرشادي إلى هذا المقال للأخ الفاضل عمر جنفون -جزاه الله خيرًا-.

أولاها: تصريح المرشد العام لمجلة المصور ونشر في عددها الصادر يوم الجمعة **٥** إبريل ١٩٤٦ نثبته بنصه ليكون مصداقًا لقوله -عز وجل-: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].:

مريت بك غالي والشيخ لويس فانوس و...أعضاء عاملون في جماعة الإخوان المسلمين!

كنا قد علمنا أن الإخوان المسلمين يساعدون الأستاذ لويس فانوس في ترشيحه لمجلس الشيوخ باعتباره عضوًا في الجماعة! فرجعنا في ذلك إلى فضيلة الأستاذ حسن البنا المرشد العام للإخوان فكتب يقول:

لهيئة الإخوان المسلمين أصدقاء كثيرون من غير المسلمين، والإخوان يعتبرون هؤلاء الأصدقاء: -أعضاء عاملين- معهم في كل الشؤون الاجتماعية التي تتفق مع مؤهلاتهم ويفسحون لهم المجال للإفادة بآرائهم وأفكارهم.

وقد اشترك **(الأخ)** الأستاذ **نصيف ميخائيل** في التحضير لمؤتمر الإخوان بالغربية اشتراكًا فعليًّا بل لن أكون مبالغًا إذا قلت أنه هو الذي أعد المؤتمر.

ولا أنس ما **(للأخ)** الشيخ **المحترم لويس فانوس بك** الجولات في مؤتمرات الإخوان المسلمين، وما يقوم به من دعاية للجمعية في أنحاء مصر.

كما أن **(الأخ) مريت بك غالي** يساهم في أعمال الإخوان، ولا تنس تبرعه في شراء الدار، ومساعداته الأدبية بتبادل الآراء والأفكار حول الإصلاحات الاجتماعية فضلاً عن أنه عضو في لجنتنا الاقتصادية كما يتعاون معنا في المشروعات الاجتماعية النافعة.

ولقد ذكرت هذه الأسماء **على سبيل المثال لا الحصر**، فإننا لا نجد أبدًا ما يحول بيننا وبين التعاون مع الوطنيين العاملين -**مسيحيين** كانوا أو مسلمين- ويتجلى هذا في جوالة الإخوان أكثر من **ثلاثين جوالاً من إخواننا المسيحيين**، أما في الانتخابات فالقاعدة العامة عندنا مساعدة مرشحي الإخوان أولاً وهم لا يرشحون إلا الأكفاء من المصريين، ويوم ينشر الإخوان قوائمهم للانتخابات سيجد الجميع أننا لا نعرف إلا المصلحة العامة، وسيجدون ضمن هذه القوائم أسماء **إخواننا المسيحيين** الذين يشتركون معنا في الجمعية.

وبعد مرشحي الإخوان نساعد أصلح المرشحين وأقدرهم على خدمة المصلحة العامة **بغير نظر إلى اعتبار آخر ديني** أو حزبي إلا مصلحة مصر والمصريين...». اهـ

وثاني هذه التطورات ما نشرته مجلة آخر ساعة في عددها الصادر كذلك يوم الجمعة **٥** إبريل ١٩٤٦ وهو اقتراح قبطي على الأستاذ حسن البنا -المرشد العام للإخوان المسلمين- أن يسمى الإخوان المسلمين (الإخوان المصريين) حتى يتمكن كثير من الأقباط من الانضمام إليهم، وهذا الاقتراح هو وليد التطور الأول، ولا شك، وما الوقت الذي نفذ فيه اسمًا بعد أن تنفذ فعلاً ببعيد.

وأي صبغة بقيت للإخوان المسلمين بعد أن أصبح في ميسور كل إنسان -أيًا كان دينه- أن يكون أخًا لهم فإذا اعترضهم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، أوّلوا المؤمنين **بالمؤمنين بفكرتهم!!**

وأما النصوص المحكمة التي وردت في التحذير من اتخاذ غير المؤمنين أولياء كقوله تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١]. فلعلَّ الأستاذ المرشد لا يعدم لها تأويلاً يستخدمها به لصالحه بما أوتيه من سعة الحيلة وقوة العارضة، وفوق كل ذي علم عليم.

أما التطور الثالث فهو ذلك الإعلان الذي نشرته مجلة الإخوان عن تمثيل رواية باسم المعز لدين الله الفاطمي منشئ القاهرة، وباني الجامع الأزهر، تأليف الأستاذ عبد الرحمن الساعاتي -شقيق المرشد العام- المسرحية التي تصور الفكرة، وتجمع إلى روعة الفن جلال الدين تمثل على مسرح الأوبرا يوم الأربعاء أول مايو سنة (١٩٤٦)، إخراج منير، وألحان أحمد عبد القادر.

سهمان في صميم العقيدة ندع تصور تأثيرهما لذهن القارئ، وآخر في صميم العقيدة والأخلاق كليهما، ذلك هو التمثيل الذي جارت فيه بعض الجماعات الإسلامية أولئك المرتزقة الغاوين الذين امتهنوا هذه الصناعة -صناعة التمثيل الماجنة العابثة بالفضيلة القاضية على الآداب والتي لا تستمد حياتها إلا من الروايات المكذوبة والقصص الخيالية المختلفة ومهما نحل المبطلون هذا التمثيل من فوائد فلن ينهض ببعض ما يخلفه من مفاسد.

ولقد كنا ننتظر أن يكون الإخوان المسلمين معنا حربًا على هذه البدعة الضارة أو يقفوا منها موقف الحياد على الأقل لا أن يكونوا من الداعين إليها قولاً وعملاً، ولتفنيد حجج القائلين بفوائد التمثيل مقام غير هذا توليناه مبسطًا في عدة مناسبات، ولا زلنا نلاحق هذه حجج القائلين بفوائد التمثيل مقام غير هذا توليناه مبسطًا في عدة مناسبات ولا زلنا نلاحق هذه الحجج بالتفنيد ونتحى باللائمة على كل داع إلى التمثيل وإن كره الأكثرون.

فإذا تجاوزنا التمثيل بصفة عامة إلى اختيار الرواية نفسها نرى اختيار الإخوان المسلمين لموضوعها يدعو إلى أشد العجب، إذ كيف يجعلون روعة الدين تتجلى بإعادة سيرة **هذا العُبَيدي** الخبيث مع علمهم بما جناه على الدين، وما أحدثه فيه من طوام بالتغيير والتبديل بمحض الهوى وطغيان الشهوة والنية المبيّتة على إزالته تنفيذًا لوصية جدّه ابن سبأ اليهودي الذي جرح الإسلام بتأريث الفتنة بين علي ومعاوية جرحًا لا زالت دمه يسيل إلى اليوم، وما كانت أعمال المزل لدين الله وأعمال خلفائه من بعده سراً خفيًا بل تناولها التاريخ فدوّن علماؤه -فرنجة وعرب- من جناياتهم على الدين ما يستحقون ببعضه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين؛ فاختيار هذا الخبيث الباطني[1] موضوعًا لروايتهم إما أن يكون

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ٣٩٧) في حوادث سنة (٤٠٢): «وفي ربيع الآخر منها كتب هؤلاء ببغداد محاضر تتضمن الطعن والقدح في نسب الفاطميين، وهم ملوك مصر وليسوا كذلك، وإنما نسبهم إلى عبيد بن سعد الجرمي، وكتب في ذلك جماعة من العلماء والقضاة والأشراف والعدول، والصالحين والفقهاء والمحدثين، وشهدوا جميعًا أن الحاكم بمصر هو منصور بن نزار الملقب بالحاكم -حكم الله عليه بالبوار والخزي والدمار- ابن معد بن إسماعيل بن عبد الله بن سعيد، لا أسعده الله، فإنه لما صار إلى بلاد المغرب تسمى بعبيد الله، وتلقب بالمهدي، وأن من تقدّم من سلفه أدعياء خوارج، لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب، ولا يتعلقون بسبب وأنه منزه عن باطلهم، وأن الذي ادعوه إليه باطل وزور، وأنهم لا يعلمون أحدًا من بيوتات علي بن أبي طالب توقف عن إطلاق القول في أنهم خوارج كَذَبة، وقد كان هذا الإنكار لباطلهم شائعًا في الحرمين، وفي أول أمرهم بالمغرب منتشرًا انتشارًا يمنع أن يدلس أمرهم على أحد، أو يذهب وهم إلى تصديقهم فيما ادعوه، وأن هذا الحاكم بمصر هو وسلفه كفّار فسّاق فجّار ملحدون زنادقة معطلون وللإسلام جاحدون، ولمذهب المجوسية والثنوية معتقدون، قد عطّلوا الحدود، وأباحوا
=

جهلاً بسيرته وذلك ما نستبعده على جماعة الإخوان-بقطع النظر عمّا يتأثر به العامة من إنشاء القاهرة وبناء الأزهر[1].

وإما أن يكون تجاهلاً لغرض ليس للدين به أية صلة.

ولا يفوتنا أن نذكر أن الإخوان قد شعروا في الأيام الأخيرة بالنظر الشذر الذي يرمقهم به الناس من جراء التطور السريع الذي حدث في مبادئهم فأرادوا أن يغطوا موقفهم بترديد مقال للمرشد العام قاله منذ عشر سنوات.

ولا أرى ترديد ذلك المقال القديم يغني من الحق شيئًا إن كان الواقع يكذبه، والشواهد كلها إلب عليه[2].

ولو أننا لا نخلي أغلب الهيئات التي تناوءهم من التحامل المغرض والخصومة التي ليس لها من سبب إلا الحسد وقصد التشهير للتشهير ذاته إلا أننا نشهد أنهم انحرفوا في الأيام الأخيرة عن الجادة التي كانوا من قبل قد رسموها لأنفسهم لا من حيث الاشتغال بالأمور السياسية فحسب ولكن من حيث التراجع عن المبادئ القويمة التي كانوا ينادون بها ويجعلون ختامها (الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، والتراخي في الاستمساك بها تحت ضغط الظروف التي **جعلت من الأستاذ نصيف ميخائيل والشيخ المحترم لويس فانوس بك وميريت بك غالي إخوانًا ينضوون تحت راية الإخوان المصريين**». اهـ

ويقول التلمساني -من مرشدي الإخوان- في تصريح له: «الإخوان جماعة عالمية للمسلم وغير المسلم، **والعلاقة بيني وبين الأب شنودة زعيم الأقباط في منتهى الوُدّ**»[3].

=

الفروج، وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء، وسبُّوا الأنبياء، ولعنوا السلف، وادعوا الربوبية».اهـ

(١) هكذا يذيب حسن البنا عقيدة البراء من النصارى، ومن رموز الفكر الشيعي الباطني في سبيل استرضاء الجماهير لجلب أكبر عدد من الأتباع للحزب؟!

(٢) وفي هذا ردٌّ على مَن يحتج ببعض شعارات الإخوان النظرية التي يخدعون بها السُذّج نحو قولهم: نحن دعوتنا قائمة على الإصلاح والبناء، وقولهم: القرآن دستورنا، ومحمد قائدنا..إلخ، وهل القرآن أمر بمصافاة النصارى وإثبات الإخوة لهم؟!

(٣) انظر: (الصحوة الإسلامية رؤية نقدية من الداخل، ص١٢٣).

وسئل مهدي عاكف -المرشد الحالي للإخوان-: موقف الإخوان من أقباط مصر؟

فأجـاب: «علاقـة طيبـة... **طـول عمـري أحبـائي الأقبـاط، وكنـت عـضوًا في اللـواء المسيحي زمان أو ما يطلق عليه الآن الشبان المسيحيين، وكلهم أصدقائي**.. وكلمة الفتنة الطائفية مدسوسة على مصر... نحن نسيج وشعب واحد.. لهم ما لنا وعليهم ما علينا»[1]. اهـ

قلت: بل صرَّح مهدي عاكف بأنه على استعداد أن يرسل عشرة آلاف مقاتل إلى الرافضي الخبيث (حسن نصر) -قائد الحزب الشيعي الرافضي في لبنان-، كما تواتر هذا النقل عنه، وأنكر هذا عليه بعض من يتعاطف مع حزب الإخوان[2].

فهذا حال مرشدي الإخوان، ذرية بعضها من بعض؛ قد اتفقوا على موالاة النصارى والرافضة!!

وهـذا مرجع الإخوان في الفتيـا: يوسـف القرضـاوي يقـدم العـزاء في طـاغوت الأمـة النصرانية في هذا الزمان -بابا الفاتيكان-، ويدعو له بالرحمة، حيث قال[3]: «الحبر الأعظم البابا يوحنا بولس الثاني بابا الفاتيكان والكنيسة الكاثوليكية، وأعظم رجل يشار إليه بالبنان في الديانة المسيحية، لقد توفي بالأمس وتناقلت الدنيا خبر هذه الوفاة ومن حقنا -**أو من واجبنا- أن نقدِّم العزاء إلى الأمة المسيحية وإلى أحبار المسيحية في الفاتيكان**، وفي غير الفاتيكان **وبعضهم أصدقاء لنا**..»، إلى أن قال: «**لا نستطيع إلاَّ أن ندعو الله تعالى أن يرحمه** ويثيبه بقدر ما قدَّم من خير للإنسانية، وما خلف من عمل صالح أو أثر طيب، ونقدم عزاءنا للمسيحيين في أنحاء العالم، ولأصدقائنا في روما وأصدقائنا في جمعية سانت تيديو في روما، **ونسأل الله أن يعوِّض الأمة المسيحية فيه خيرًا**». اهـ

---

(١) المصدر: حوار نشر في مجلة (آخر ساعة) المصرية كتبه [حسن علام]!.

(٢) انظر «رسالة مفتوحة إلى فضيلة الأستاذ محمد مهدي عاكف»، تأليف: حسن نصر المزرعاوي.

وهذه التصريحات المتشابهة في مرشدي الإخوان في موقفهم من النصارى، بُنيت على تفسخ عقيدة الولاء والبراء عندهم، وأهل السنة يتبرءون من شرك النصارى، ولكن في الوقت نفسه يعتبرون النصارى الذين يعيشون في بلاد الإسلام بعهد أو بذمّة أنهم معصومي الدم والمال، ولا يجوز التعدي عليهم.

(٣) المرجع: موقع قناة الجزيرة، برنامج الشريعة والحياة، الحلقة بتاريخ ٣/ ٤/ ٢٠٠٥، وهي مسجلة.

قلت: وأما عن تمييع عقيدة البراء من الرافضة الشيعة الإمامية الجعفرية الإثني عشرية فحدِّث ولا حرج، حيث كان حسن البنا من الدعاة إلى التقريب مع هذا المذهب الرافضي الخبيث القائم على: تكفير الصحابة، والاعتقاد بتحريف القرآن، واتهام أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- بالزنا، والقول بألوهية علي -رضي الله عنه-... إلخ كفرياتهم التي لا يماري فيها مسلم فضلاً عن عالم.

قال د. عزّ الدِّين في كتابه «**موقف علماء المسلمين من الشيعة والثورة الإسلامية**» (ص١٥- ١٦):

«قام الإمام الشهيد حسن البنّا بجهد ضخم على هذا الطريق يؤكد ذلك ما يرويه الدكتو[ر] اسح[ا]ق موسى الحسيني في كتابه (الإخوان المسلمون .. كبرى الحركات الإسلامية [أ]نّ بعض الطلاب الشيعة الذين كانوا يدرسون في مصر قد انضموا إلى جماعة الإخو[ان و]من المعروف أنّ صفوف الإخوان المسلمين في العراق كانت تضم الكثير من الشيعة الإمامية الإثني عشرية، وعندما زار نواب صفوي سوريا وقابل الدكتور مصطفى السباعي المراقب العام للإخوان المسلمين اشتكى إليه الأخير أنّ بعض شباب الشيعة ينضمون إلى الحركات العلمانية والقومية فصعد نواب إلى أحد المنابر وقال أمام حشد من الشبان الشيعة والسنة: «من أراد أن يكون جعفريًا حقيقيًا فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين». اهـ

ويقول الأستاذ سالم البهنساوي- أحد مفكري الإخوان المسلمين- في كتابه «السُنَّة المفترى عليها» (ص٥٧): «منذ أن تكوّنت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنّا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة، وقد أدّى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة (١٩٥٤) للقاهرة»، وقال أيضًا في الصفحة نفسها: «ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تُؤدِّي إلى هذا التعاون». اهـ

قلت: وهذه الحقائق المُرة لا تخفى على مثل الشيخ ابن جبرين؟

فلماذا يا ترى أخفاها ولم يظهرها؟

وأين ابن جبرين من كلام إمام السنة ابن باز: «**حركة الإخوان المسلمين ينتقدها خواص أهل العلم**»، ومن قوله: «**الإخوان المسلمين» ليس عندهم نشاط كلي وقوي في التحذير فيما يتعلق بالشرك ودعوة أصحاب القبور**، وهذا على كل حال يراه في كتبهم وسيرتهم فإذا روجعت كتبهم يرى منها ذلك». اهـ [من شريط مسجل من دروس الشيخ بالطائف صيف عام ١٤١٦ هـ شهر صفر].

وأين هو من هذه الفتوى الأخيرة لهذا الإمام الثبت -رحمه الله-، حيث سئل عن جماعة الإخوان المسلمين على ما عندهم من تحزب وشق العصا على ولاة الأمور وعدم السمع والطاعة، هل تدخل في الفرق الهالكة؟

فأجاب -غفر الله تعالى له وتغمده بواسع رحمته-: «تدخل في الثنتين والسبعين ...». (إحدى دروس الشيخ في شرح المنتقى في الطائف، وكانت قبل وفاته -رحمه الله- بسنتين أو أقل)؟!!

ثالثًا: سئل الشيخ ابن جبرين عن الجامية[1] فقال: «الجامية قوم يغلب عليهم أنهم من المتشددين على من خالفهم، والذين يحسدون كل من ظهر وكان له شهرة فيدخلوا عليهم، ويصدق عليهم الحسد فلأجل ذلك صاروا يتنقصون كل من برز من العلماء ويعيبونهم ويتتبعون عثراتهم ويسكتون عن عثرات بعض فيما بينهم، ونسبتهم إلى أول من أظهر ذلك وهو محمد أمان الجامي، وقد توفي وأمره إلى الله تعالى، هذا سبب تسميتهم».

قلت: وإنما أفتى ابن جبرين بهذا الهراء تعصُّبًا لحزبه -حزب الإخوان-، وتشويهًا لصورة العلماء الذين كشفوا عوار هذا الحزب، وعوار رموزه.

وهو يعلم -علم اليقين- أن أكابر علماء العصر لا يوافقونه على هذا الطعن في العلامة الجامي -رحمه الله-، وإنما أحدث هذا اللقب «الجامية»: الحزبيون شفاء لغليلهم.

وصدق الإمام الصابوني -رحمه الله- لما قال: «وعلامات أهل البدع على أهلها بادية ظاهرة، وأظهر آياتهم وعلاماتهم: شدة معاداتهم لحملة أخبار النبي ﷺ واحتقارهم لهم،

---

(١) فتوى مسجلة بصوت ابن جبرين، ومنشورة على أكثر من موقع في الإنترنت.

واستخفافهم بهم وتسميتهم إياهم حشوية، جهلة وظاهرية ومشبهة ...». [عقيدة السلف وأصحاب الحديث، ص١٠٩].

◐ وإليك ثناء العلماء على العلامة محمد أمان الجامي -رحمه الله-، وإنكارهم هذا اللَّقب «الجامية»!:

قال العلامة ابن باز -رحمه الله-: «بخصوص صاحبي الفضيلة الشيخ **محمد أمان الجامي**، الشيخ ربيع بن هادي المدخلي، **كلاهُمَا من أهل السنة، ومعروفان لدي بالعلم والفضل والعقيدة الصالحة.. فأوصي بالاستفادة من كتبهما**». [شريط الأسئلة السويدية].

وقال -رحمه الله-: «وإخواننا المشايخ المعروفون في المدينة ليس عندنا فيهم شك هم من أهل العقيدة الطيبة، ومن أهل السنة والجماعة مثل **الشيخ مُحمَّد أمان بن علي الجامي**، ومثل الشيخ ربيع بن هادي، ومثل الشيخ صالح بن سعد السحيمي ... ومثل الشيخ مُحمَّد بن هادي كلهم معروفون لدينا بالاستقامة والعلم والعقيدة الطيبة»[1].

وسئل الشيخ عبد العزيز الراجحي -حفظه الله-: بعض الناس يتهم من تمسك بالمنهج السلفي بأنّه جامي، ويحذر من الشيخ ربيع والشيخ النجمي والشيخ زيد بن محمد هادي المدخلي وغيرهم من أهل العلم؟

فأجاب -حفظه الله-: «**الألقاب لا تغيّر**، النبز بالألقاب لا يصلح، المهم ثقل الشخص، المشايخ نعرف أن معتقدهم سليم، ومن أهل السنة والجماعة، الشيخ ربيع والشيخ أحمد والشيخ زيد لا غبار عليهم». [تسجيلات منهاج السنة بالرياض].

وسئل الشيخ الفوزان -حفظه الله- كما في شريط «الأسئلة السويدية» (٥ ربيع الآخر ١٤١٧هـ): «... كذلك من العلماء البارزين الذين لهم قدم في الدعوة: فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد، فضيلة الشيخ ربيع هادي، كذلك فضيلة الشيخ صالح السحيمي، كذلك **فضيلة الشيخ محمد أمان الجامي، إن هؤلاء لهم جهود في الدعوة والإخلاص**، والرد على من يريدون الانحراف بالدعوة عن مسارها الصحيح، سواء عن قصد أو عن غير قصد،

---

(١) انظر مدارك النظر لعبد المالك الرمضاني (ص٤٠٩) ط- الرابعة، مكتبة الفرقان.

هؤلاء لهم تجارب ولهم خبرة ولهم سبر للأقوال ومعرفة الصحيح من السقيم، **فيجب أن تُروَّج أشرطتهم ودروسهم وأن ينتفع بها**، لأن فيها فائدة كبيرة للمسلمين».

وسئل -حفظه الله تعالى- كما في شرحه على «النونية»: أحسن الله إليكم صاحب الفضيلة: **يقول بعض الناس أن هناك فرقة قد خرجت اسمها الجامية حتى أطلقوها عليك فما أدري من أين أتوا بهذا الاسم، ولماذا يطلقونها على بعض الناس؟**

الجواب: هذا من باب، يعني من باب الحسد أو البغضاء فيما بين بعض الناس، **ما فيه فرقة جامية ما فيه فرقة جامية، الشيخ محمد أمان الجامي -رحمه الله- نعرفه من أهل السنة والجماعة**، ويدعوا إلى الله -عز وجل- ما جاء ببدعة ولا جاء بشيء جديد، ولكن حملهم بغضهم لهذا الرجل إنهم وضعوا اسمه وقالوا فرقة جامية، مثل ما قالوا الوهابية، الشيخ محمد بن عبد الوهاب لمّا دعا إلى التوحيد إخلاص العبادة لله سموا دعوته بالوهابية، هذه عادة أهل الشر إذا أرادوا مثل ما قلنا لكم ينشرون عن أهل الخير بالألقاب وهي ألقاب ولله الحمد ما فيها سوء، ما فيها سوء ولله الحمد، ولا قالوا بدعًا من القول، ما هو بس محمد أمان الجامي إلّي ناله ما ناله، نال الدعاة من قبل من هم أكبر منه شأنًا، وأجلُّ منه علمًا نالوهم بالأذى...». اهـ

وسئل أيضا (رقم الفتوى **٥٠٩٣** من موقعه -حفظه الله-): فضيلة الشيخ- وفقكم الله- ذكرتم حفظكم الله أن من عادة أهل الباطل قديمًا وحديثًا وصف أهل الحق بأوصاف، حتى ينفروا الناس منهم، والسؤال يقول: **نحن مجموعة من طلاب العلم ندعو إلى لزوم منهج السلف، والالتفاف حول العلماء الربانيين، وحول ولاة الأمور، والتحذير من أهل البدع، ومع ذلك نتهم بأننا جامية، ونلقب بهذا اللقب، وقد تكرَّر هذا السؤال عدة مرات، فما التوجيه حيال هذا اللقب وحيال هذه النسبة؟**

الجواب: «التوجيه: استمروا فيما أنتم عليه، وأنتم على خير، ولا تلتفتوا لمن يقول هذا القول. وذنبه عليه، أبدًا لا يهمكم أمره، نعم».

وسئل -حفظه الله- في الحرم المكي في تاريخ (١٤٢٤/٦/١٣هـ): **هل من نصيحة**

لشباب يطعنون في بعض أئمة الدعوة السلفية كالشيخ محمد أمان الجامي، والشيخ ربيع المدخلي؟

فأجاب بقوله: «دعونا من الأفراد والقيل والقال، المشايخ إن شاء الله فيهم خير، وفيهم بركة للدعوة السلفية، وتعليم الناس، فلو ما أرضوا بعض الناس فالرسول ما أرضى كل الناس، هناك ساخطين على الرسول ﷺ مسألة النفسانيات والأهواء هذه لا اعتبار بها، المشايخ نحسن بهم الظن، وما علمنا عليهم إلا الخير إن شاء الله».

رابعًا: وصف الشيخ ابن جبرين أسامة بن لادن بأنه مجاهد، وأن تكفيره للدولة السعودية اجتهاد منه، فلمّا سئل: هل أسامة بن لادن من المفسدين في الأرض كما قال الشيخ ابن باز -رحمه الله- في فتواه؟

أجاب: «الشيخ ابن باز لم يقل ذلك وإنما قيلت عليه، والشيخ ابن باز لا يقول هذه المقالة ولايقولها مسلم، فأسامة رجل جاهد في سبيل الله قديمًا، وكان له جهود في بلاد الأفغان وفقه الله، ونصره ونصر به، ولا يزال قائمًا بالجهاد، وكونه يكفّر فهذا من اجتهاده، حيث أنه يكفِّر بعض الدول التي يلاحظ عليها بعض الأشياء، فلا يقال إنه بهذا يصير من المفسدين في الأرض أو نحو ذلك».

قلت: هذا تكذيب بلا مستند، فإن قول الإمام ابن باز نشرته جريدة المسلمون (العدد ١٤١٧/٥/٩)، وتناقله الناس في حياة الإمام ابن باز -رحمه الله- دون أدنى نكير منه، ولا تكذيب منه للخبر، بل له -رحمه الله- كلام آخر نشرته مجلة البحوث الإسلامية (العدد ٥٠، ص٧-١٧)، والحق بمجموع فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز (٩/٩٩-١٠٠)، قال فيه:

«ونصيحتي للمسعري والفقيه وابن لادن وجميع مَن يسلك سبيلهم أن يدعوا هذا الطريق الوخيم، وأن يتقوا الله ويحذروا نقمته وغضبه، وأن يعودوا إلى رشدهم، وأن يتوبوا إلى الله مِمَّا سلف منهم».

وقال د: عبد الرحمن بن عبد الله البراهيم في رسالته: «رسالة مكشوفة إلى الشيخ عبد الله بن جبرين مرصوفة (ص٨): «تواتر عن الشيخ عبد الله بن جبرين ... تكذيب نسبة هذا

الكلام للإمام عبد العزيز بن عبد الله بن باز -رحمه الله- وهذا غريب للغاية، والرد عليها من أوجه:

١- أنه موثق من مصدرين موثوقين: الأول: مجلة البحوث، والثاني: فتاوى ومقالات الشيخ ابن باز، وقد طُبِعَا في حياته وراجعه وأقره.

٢- أن أصل هذه الكلمة محاضرة ألقاها سماحته، وهي موجودة بصوته أو متيسر إحضارها لدى تسجيلات منهاج السنة والبينة بالرياض، والأصالة والآجري بجدة، ومعاذ بن جبل بمكة، وسبيل المؤمنين بالدمام، والوصل بحائل.

٣- أن الشيخ العلامة صالحاً الفوزان أقر بصحتها ونسبتها لسماحة الشيخ ابن باز وكذّب من كذّب نسبته للشيخ ابن باز». اهـ

قلت: وقال الشيخ صالح آل الشيخ كما في جريدة الرياض (عدد ٢٠٠١/١١/٨م):

«ربما سمعتم بعض المدرسين يمجد أسامة بن لادن، وهذا خلل في فهم الإسلام».

قلت: ولعلّه يقصد الشيخ ابن جبرين بهذا الكلام.

***

خامسًا: له عدة فتاوى على موقعه في الثناء المقنّع على جماعة التبليغ، وتعمية أمرهم على طالبي الحق.

ولا يتسع المقام لنقل هذه الفتاوى ولا مناقشته فيها، لكن لعلَّ الله سبحانه أن ييسر هذا في مقام آخر، نحو الطبعة الجديدة من كتابي «الكواشف الجلية»، أو في الجزء الثاني منه إن شاء الله تعالى.

قلت: وبعد سرد هذه المقتطفات من مقالات وفتاوى ابن جبرين، يتضح لدى المنصفين صحة ما حكم به علماء السنة عليه، كما في الفتاوى التالية لهم:

أولاً: العلامة أحمد بن يحيى النجمي -رحمه الله-:

قال -رحمه الله تعالى- في رده على ابن الجبرين، كما في «رد الجواب على من طلب مني عدم طبع الكتاب» (ص٣٣-٣٦) (ط الفرقان):

«وأما قولك: فأنا أنصحك أيها الشيخ أن تصون لسانك وقلمك عن الوقيعة في هذا الداعية الذي نفع الله به. وأقول:

ما أحسن النصيحة إذا كانت في محلها، إنها هديّة ثمينة لمن أراد أن يصون بها دينه ولكنك نصحتني أن لا أنصح.. وهل هذه نصيحة، إنها في الحقيقة تثبيط عن الخير وصدّ عن سبيل الله، فاتق الله ياشيخ عبد الله وعُد إلى الصواب، والله الذي لا إله إلا هو ما في قلبي شك بنسبة ١% في حِلّ ما فعلته، بل أرى أنه من الواجب عليّ وقد علمت عن هذا الرجل وعن منهجه ما يؤهلني أن أنصح غيري وأن أبيّن ما على هذا المنهج من المآخذ نصيحة لطلاب العلم المغرر بهم وأداء لحق الله عليَّ في الدفاع عن الدين الإسلامي وذودًا عن التوحيد، وحِمى لجنابه بما حماه نبي الهدى صلوات ربي وسلامه عليه كلّما هبت النسائم، وناحت على الأيك الحمائم وكلّما صلى مصلي وصائم لله صائم وسلّم تسليمًا كثيرًا».

وأما قولك: «أنك تنصحني أن لا أقع في عِرض هذا الداعية».

أقول: ما هو الأولى في نظرك بالحماية والدفاع عنه، التوحيد والعقيدة الصحيحة عقيدة أهل السنّة والجماعة، أو عرض حسن البنا، أليس الله -عز وجل- أمر بقتال المشركين والكفار من أجل العقيدة ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾، وفسرت الفتنة بالشرك، أليس الله أباح إزهاق أرواح الكفار والمشركين وسبي نسائهم وأولادهم وجعل أموالهم غنيمة للمسلمين من أجل العقيدة أفلا يُباح من فعل الشرك الأكبر وأقرَّ فاعليه عليه وإدخال في الدين بدعًا، وإدخال فيه شرعًا لم يكن مشروعًا؟

أفلا يُباح عِرضه من أجل بيان الحق للمغترين بهذا الرجل ومنهجه؟

بل والله الذي لا إله إلا هو إن الواجب عليَّ وعليك وعلى جميع طلاب العلم أن يكون نصر الدين وبيان الحق مقدم على كل شيء في هذا الدنيا طاعة لله، وقيامًا بحقه ونصرة لدينه، وحماية لعقائد المسلمين من اللبس، وبالله التوفيق.

وأما قولك: «بأنك تنصحني ألا أطبع كتابي».

فأولاً: أعتبر هذا منك صدًّا عن سبيل الله لأن هذا الكتاب أعتبره من أفضل حسناتي؛ لأنني نصرت به الحق وحميت به جناب التوحيد، ودافعت به عن العقيدة الصحيحة، أرجو

إني فعلت ذلك مخلصًا لله، وقائمًا بحقه وذائدًا عن حمى دينه وما أبرئ نفسي من التقصير والخطأ، وأسأل الله أن يغفر لي، فإن العبد مهما عمل فهو محل للقصور والتقصير.

وثانيًا: أعتبر هذا منك خذلانًا للحق، وتظاهرًا مع أهل الباطل، وإعانة لهم، وكفى بذلك إساءة إلى الشرع ثم إلى حملته الذين قال الله حقهم: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

ثالثًا: سمعت أن بعض الحزبيين يشترون الكتب التي تقدح في حزبهم بكميات كبيرة ثم يحرقونها، فما الفرق بين من يحرق الكتاب بعد أن يطبع، وبين من يقول لا تطبع.

رابعًا: وإني أعدُّ هذا من التدخل في شؤون الغير لصرفه عن نشر الخير، وفي الحديث: «**من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه**».

خامسًا: إن طبعته وتداوله الناس فأنا أطبع كتابًا يقرر التوحيد وينكر الشرك، ويقرر السنة وينكر البدعة، ويقرر الحق وينكر الباطل، وكان من الواجب عليك أن تطلب التعجيل بطبعه نصرة للتوحيد والحق والسنة، ولكنك عكست القضية وطلبت عدم طبعه، وكنت بذلك ظهيرًا لأهل البع والتحزب بالباطل على أهل التوحيد والسنة وأتباع نهج السلف فاستغفرِ اللهَ وتُب إليه قبل أن يفوت وينقضي العمر، فوالله لا ينفعك عند الله فلان ولا علان، وإنما ينفعك قيامك بالحق ونصرك له ولأهله، والله هو المسئول وحده أن يهدينا وإيّاك إلى الحق ونصرته ونصرة أهله، ويعيذنا من الهوى والضلال.

وأما تحذيرك إيّايَ من أن أطبعه خوفًا عليَّ من أن تشوه سمعتي.

فأنا أقول لك: إعلم أن تشويه السمعة إنما يكون بنصرة الباطل أو قوله أو فعله، وأنا من فضل ربي لم أعمل باطلاً ولم أنصر أهل الباطل، فتشوه سمعتي عند المؤمنين الذي هم شهداء الله في أرضه، ولكني عملت حقًا ونصرت حقًا أرجوا به الثواب عند الله ولسان صدقٍ في الآخرين.

أما أهل الباطل فأنا لا أحرص على سمعتي عندهم، وأسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يكفيني شرّهم، وأن يحميني من كيدهم، وأنا ماضٍ في طبع الكتاب ونشره إن شاء الله، ومتوكل على الله الذي بيده نواصي العباد جميعًا». اهـ

وسُئِلَ -حفظه الله-[1]: **يسألون عن عبد الله بن جبرين على أساس تقولون أنه ليس من أهل السنَّة والجماعة، وبعض الناس يقولون لا هو من أهل السنَّة والجماعة، فما رأيكم يا شيخ في هذا الكلام، وجزاكم الله خيرًا؟**

الجواب: عبد الله بن جبرين إخواني، إخواني، إخواني.

السائل: هل تنصح يا شيخ أن نأخذ منه في الفقه والمنهج ؟

الجواب: لا، لا ما هُوَ أهل المنهج الصحيح.

السائل: في الفقه يا شيخ؟ **الجواب**: ليس من أهل المنهج الصحيح.

***

ثانيًا: العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى-:

وَجَّهَ له الاخوة البريطانيين سؤالاً كان نصّه: **بعض المخالفين هنا يحاجونا في بعض مؤلفات بعض العلماء كالشيخ بكر أبو زيد -حفظه الله- والشيخ عبد الله بن جبرين، ونحن نعلم أنهما [....] فيمن يرد على عكس هذه المسألة، لكننا المشكلة نريد أنه لو [....] وصلكم تراجع منهم أو شيء من هذا حتى نقول لإخواننا هنا؟**

الجواب: هذا من أخطاء بعض من انتقدتم، هذا من أخطائهم الواضحة المكشوفة، ولا يتعلق بهذه الأخطاء وهذه الأباطيل إلا أصحاب الهوى، فمن كان صادقًا في دينه ومن أهل السنَّة حقًا فعليه أن يدرس هذه القضايا، ولا يجوز له أن يُرجّح كلام شخص على كلام شخص إلاَّ بعد أن يفهم حق الفهم كلام الطرفين، ويُميِّز بين المحق والمبطل، وبعد ذلك يتكلم بما يدين الله -تبارك وتعالَى- به أنه الحق، أما أن يتكلم بهواه فنعوذ بالله فهذا من أساليب أهل الضلال وأهل الأهواء -عياذًا بالله-، لا شك أن الرجلين أخطئا وأخطئا وبالغا في الخطأ ونصرة الباطل، ونسأل الله لهما التوبة، والقاعدة عند أهل السنَّة أنه: يأخذ من قول كل أحد ويُترَك[1]، فما وافق من قوله الحق أخِذ به، وما خالفه رُدَّ ولا سيما إذا رافقه الهوى والعياذ بالله، فعلموهم هذه القواعد»[2].

---

(١) فتوىٰ مسجلة بصوت الشيخ (شبكة سحاب السلفية بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٣).

(٢) شريط «نصيحة إلىٰ مسلمي بريطانيا».

ثالثًا: الشيخ عبيد بن عبدالله الجابري -حفظه الله تعالى-:

قال -حفظه الله- كما في تقريظه على كتاب «ملحوظات وتنبيهات على فتوى الشيخ عبد الله بن الجبرين في دفاعه عن حسن البنا - سيد قطب - عبد الرحمن عبد الخالق»:

«وقد اطّلعت على ما كتبه الأخ الفاضل الشيخ: عبد الله بن صلفيق القاسمي الظفيري، بعنوان: (ملحوظات وتنبيهات على فتوى فضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين -وفقه الله- في دفاعه عن: حسن البنا، وسيد قطب، وعبد الرحمن عبد الخالق، ونقده لما كتبه حولهم فضيلة الشيخ: ربيع بن هادي المدخلي).

فألفيت هذا المؤلَّف في غاية الجودة؛ لثلاثة أمور:

أولها: ما تحلّى به الكاتب من حسن المخاطبة للشيخ عبد الله بن جبرين، فقد تلطّف معه غاية التلطّف، وسلك مسلك طلاب العلم النبلاء في مخاطبة العلماء والأشياخ.

وهذا ظاهر في الرّد والرسالة المرفقة به إلى فضيلة الشيخ ابن جبرين.

ثانيها: أنّ الكتاب خالٍ من الخطأ العلمي والأسلوبي.

ثالثها: نقل الشيخ عبد الله الأدلة الصريحة على فساد منهج كل من: حسن البنا، وسيّد قطب، وعبد الرحمن عبد الخالق. ومجانبتهم السنّة من كتبهم، فلم يكن متقوّلاً عليهم من تلقاء نفسه.

وكفى بهذه شهادة على جرح القوم، وأنّهم ليسوا من دعاة الحق فضلاً عن أن يكونوا أئمة مجددين.

والناظر في ما كتبه كلٌّ من: سيد، وإمامه البنا؛ بعين البصيرة والإنصاف، يجد أنّ الرجلين موغلان في البدع والضلالات، بل وعندهم كفريّات.

كما أنّه يلحظ صراحة من كتابات عبد الرحمن التهكُّم بالسنّة وأهلها، وذلك من خلال سخريته بعلماء السنّة، مثل سماحة الشيخ: محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-.

وما أرى الرجل إلاّ من أساطين مدرسة فقه الواقع المنحرفة التي تنشرها السرورية.

فجزى الله الأخ عبد الله على هذه الكتابة خير الجزاء، ونفع بها الإسلام وأهله». اهـ

وقال أيضًا في ثنائه على رسالة د: عبدالرحمن بن عبد الله البراهيم «رسالة نصح مكشوفة»: «فإنه ليس خافيًا علي ما كان يطلقه ابن جبرين -عفا الله عنا وعنه- من عبارات الثناء والتبجيل التي هي صريحة في الدفاع عن الحزبيين وجماعة التبليغ وجماعة الإخوان المسلمين وحامل لواء التكفير في هذا العصر سيد قطب ورأس الخوارج هذه الأيام أسامة ابن لادن ووصفه إياه بالمجاهد!! وكنت قد أجمعت الرد عليه، ولكن لما نظرت في رسالة نصح مكشوفة التي نشرها الأخ الدكتور عبد الرحمن بن عبد الله البراهيم في موقع بناء وجدت أن ما سطره الكاتب قد كفاني مؤنة الرد، فجزى الله الكاتب خيرًا و شكر له.

وكتبه: عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري

المدرس بالجامعة الإسلامية سابقًا

وحرِّر في مساء الأربعاء التاسع من شعبان عام ثمانية وعشرين وأربعمائة وألف الموافق الثاني والعشرين من أغسطس عام سبعة وألفين».

* * *

رابعًا: الشيخ العلامة زيد بن محمد المدخلي -حفظه الله تعالى-:

قال -حفظه الله تعالى-: «فقد اشتد الأسى وتضاعف الحزن حينما طلع علينا اسم العالم الكبير والزاهد الورع الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين مع لجنة حقوق الإنسان، ومعلوم أن الشيخ أخذ على حين غرة وغفلة والمؤمن غر كريم.

غير أن الغفلة رافقته فشَهِد لمؤلفات سيّد قطب التي تربت عليه تلك اللجنة وأمثالها وانطلقت من مدلولاتها بأنها كغيرها من كتب الأولين كالنووي وابن الجوزي ونحوها مُغفلاً ما فيها من الضلال الخطير الذي تجلى في منهجه التكفيري، وسبّه وشتمه لمن زكاهم ربهم في محكم كتابه وزكاهم نبيهم محمد ﷺ في صحيح سنته نالاً وهم الصحابة الكرام والصفوة من الأنام، وسواء أصدر ذلك من سيّد بقصد أو بدون قصد فقد أفضى الرجل إلى ما قدم وكلنا ذلك الرجل وفي عرصات الحق الملتقى فاللهم سلّم سلّم.

وتجاوزت الغفلة بالمحب الحبيب فحمل على علماء المدينة أمثال الشيخ ربيع بن هادي مدخلي والجهابذة الأخيار، وأذكر منهم على سبيل المثال الشيخ علي بن محمد

ناصر بن الفقيهي، والشيخ صالح السحيمي، والشيخ محمد بن بن هادي المدخلي والذين معهم على منهج السلف حملة شعواء انتصارًا لسلمان وسفر ومن وافقهما في الفكر والنظر...»[1].

***

خامسًا: الشيخ محمد بن رمزان الهاجري -حفظه الله تعالى-:

قال أثناء كلامه عن فرقة التبليغ: «وغيره كثير أيضًا ممن يزكي هذه الجماعة ويثني عليها، كابن جبرين عندنا يثني على هذه الجماعة، وما من جماعة إلاَّ وتستشهد بأقواله، الذين خرجوا وأتباع بن لادن يستشهدون بأقواله، وفرقة الياسوية (أي جماعة محمد إلياس الصوفي التبليغي) تستشهد بأقواله، واللجنة التي فيها المسعري هو أحد أعضائها، ويأتي بقول ويخالفه، ويأتي بأمر ويرده، وما من صاحب نِحلة أو جماعة من هذه الجماعة المفرّقة للأمّة إلاَّ وله فتوى لنصرته وفي المقابل عداء للسلفيين طعن في الشيخ النجمي، وطعن في الشيخ ربيع، وتحريم المكتبات السلفية كسبيل المؤمنين في الدمام فقد أفتى بعدم جواز الشراء منها، والثناء على دعاة الباطل، فما من صاحب نحلة إلا ويستشهد بأقواله واتخذوه حجيجًا لهم ومن إصرًا لهم ومدافعًا عنهم، نسأل الله -عز وجل- أن يهديهم للصواب وأن يلهمه الرشد، وإلاَّ فأهل السنّة حريصون على السنّة وعلى الدعوة إلى السنّة وإن خالفها من خالفها، والمخالف لها مطعون فيه، والممتدح للمعادين لها هو معهم في خندق، فنسأل الله -عز وجل- أن يكفينا شر زلة الحكيم فهي يضل بها فئام من الناس وزلة العالم يزل بها عالم ولا غرّ فإن هناك أناس لهم صناعة في الحديث ولكنهم من أهل الخرافة كالمناوي وهناك من لهم صناعة في الفقه وهم من أهل الضلالة.

ألا فليحذر كل سلفي سني من أن يقتفي ضلالة من ضل فإن الإنسان يسأل يوم القيامة عمّا يعتقد لا عما يعتقده فلان»[2]. اهـ

---

(١) شبكة سحاب السلفية (٢٨/ ١٢/ ٢٠٠١).

(٢) شبكة سحاب السلفية (٥/ ٧/ ٢٠٠٣).

وما نسبه هذا الفتى إلى مَن يسمى بشكيب، وهو شاب مجهول الحال من تلاميذ فالح الحربي، وفالح قد بان أمره، حيث صار من رءوس الحدادية في الآونة الأخيرة، وما قاله شكيب في «المصارعة» بعضه كان نقلاً مجرد منه لفتاوى العلماء الأكابر، وبعضه الآخر من بنات أفكاره وليس من كلام أئمة هذا الشأن، وفي الغالب هو من إيعاز فالح الحربي له.

والفتى المفتون يفتري -بكلامه السابق- على أئمة السنة أنهم يسيرون على طريق الحدادية، ويريد أن يسوي بين صنيع الحدادية المبني على الطيش والسفاهة في إصدار الأحكام وبين صنيع أئمة السنة نحو المشايخ: مقبل بن هادي، وربيع بن هادي، وعبيد الجابري، وزيد المدخلي، ومن صار على طريق هؤلاء من تلامذتهم، فصار حاله كحال الذي يريد أن يسوي بين الظلمات والنور، والظل والحرور.

وقال صاحب التعصُّب والمين في بداية الحلقة الأولى: «إنّ الأصول الفاسدة التي سأناقشها، هي لسكّين واحد به جرح كثير من مشايخنا الأفاضل فليس الأمر مقتصرًا على الشيخ أبي إسحاق ولا على مشايخ مصر كما قد يتوهّم متوهّم، بل هو امتداد للطّعن الذي نال كبار العلماء كالشيخ بكر أبو زيد والشيخ ابن جبرين».

* * *

قلت: العجيب أن هذا الفتى الجزائري في الوقت الذي يدعي فيه على الأبرياء أنهم يقدّسون مشايخهم ويتعبدون إلى الله بأقوال مشايخهم، إذ به يقع فيما ينكره على الآخرين، فهو الآن الذي يريد منا أن نتعبد إلى الله بما قاله الشيخين بكر أبي زيد وابن جبرين وإن خالف الحق.

يا هذا إن إن الباطل زائل، والحق منصور باق، فدعك من هذا التهريش، الذي لن ينفعك في الآخرة، يوم تعرض على ربك وحيدًا فريدًا، فيحاسبك على جنايتك على أهل الحق بهذا الهراء النابع من الجهل والعصبيه العمية؛ فتب إلى ربك وطهر قلبك من هذه العصبية!.

* * *

ثم قال صاحب المين: «وأنا أزعم الآن أنّ الشّيخ ابن باز والشّيخ الألباني والشيخ عبد العزيز آل الشّيخ والشّيخ العبّاد وغيرهم من أعلام الهدى في هذا الزّمن قد أثنوا على كثير من النّاس الذين يعدّهم الأستاذ وأصحابه على نهجه مبتدعة على تفاوت، ومن هؤلاء جماعة حماس سدّد الله أفرادها، وجميع المسلمين إلى التي هي أقوم، ومن هؤلاء الشّيخ أحمد ياسين -رحمه الله رحمة واسعة- حيث أثنى عليه الشّيخ اللحيدان ثناءً عطرًا، ومن هؤلاء الشّيخ حسن البنّا ومن هؤلاء المودودي وغيرهم كثير».

* * *

قلت: لقد أصبت بتصدير كلامك بقولك: «وأنا أزعم ...»، فلك نصيب من قوله -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«بئس مطية الرجل زعموا»**.

قال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٥٤٨/٢): «وفي الحديث ذم استعمال هذه الكلمة «زعموا» وإن كانت في اللُّغة قد تأتي بمعنى قال كما هو معلوم و لذلك لم تأت في القرآن إلا في الإخبار عن المذمومين بأشياء مذمومة كانت منهم مثل قوله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾. ثم أتبع ذلك بقوله: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡ﴾ [التغابن: ٧]. ونحو ذلك من الآيات، قال الطحاوي -رحمه الله تعالى- بعد أن ساق بعضها: «وكل هذه الأشياء فإخبار من الله بها عن قوم مذمومين في أحوال لهم مذمومة وبأقوال كانت منهم، كانوا فيها كاذبين، فكان مكروهًا لأحد من الناس لزوم أخلاق المذمومين في أخلاقهم، الكافرين في أديانهم، الكاذبين في أقوالهم وكان الأولى بأهل الإيمان لزوم أخلاق المؤمنين الذين سبقوهم بالإيمان وما كانوا عليه من المذاهب المحمودة والأقوال الصادقة التي حمدهم الله تعالى عليها، رضوان الله عليهم ورحمته، وبالله التوفيق».

وقال البغوي في «شرح السنة» (٤١٣/٣) نسخة المكتب -أي الإسلامي-: «إنما ذم هذه اللفظة؛ لأنها تستعمل غالبًا في حديث لا سند له، ولا ثبت فيه إنما هو شيء يُحْكَى على الألسن، فشبَّه النبي ﷺ ما يقدمه الرجل أمام كلامه ليتوصل به إلى حاجته من قولهم: زعموا، بالمطية التي يتوصل بها الرجل إلى مقصده الذي يؤمه، فأمر النبي ﷺ بالتثبت فيما يحكيه والاحتياط فيما يرويه، فلا يروي حديثًا حتى يكون مرويًا عن ثقة، فقد روي عن

النبي ﷺ قال: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»، وقال -عليه السلام-: «من حدث بحديث يرى أنه كذب فهو أحـد الكاذبين». اهـ

***

قلت: وسوف يظهر لنا بجلاء أن هذا الفتى العجول يلحقه الذمُّ الوارد في الكلام السابق، حيث إنه زعم على هؤلاء العلماء ما لا يصح عنهم، ولكنه اعتمد -كعادته- على الإجمال والبتر والتدليس ليوهم القارئ بصحة زعمه، وجهود هؤلاء العلماء الأفاضل في ردودهم على أهل البدع مشهورة منشورة، وقد ذكرنا أمثلة منها خلال هذا البحث.

فأنا أحيل هذا الفتى العجول على بعض عبارات الجرح الشديدة التي ذكرها العلامة الألباني في بعض من ذكر الفتى العجول، وزعم -وهي بئس المطية- أني أنا الذي أعدهم- على نهجي- مبتدعة:

- **حسن البنا:** حيث قال في حزبه: «ليس صوابًا أن يقال إن الاخوان المسلمين هم من أهل السنة، لأنهم يحاربون السنة»، (من شريط فتوي حول جماعة التبليغ و الاخوان من تسجيلات منهاج السنة في الرياض).

وقال أيضًا: «الإخوان المسلمون يتطلقون من هذه القاعدة (نعمل فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه) التي وضعها لهم رئيسهم الأول -أي: حسن البنا- وعلى إطلاقه... إلى أن قال: هذه العبارة هي سبب بقاء الإخوان المسلمين نحو سبعين سنة عمليًا بعيدين فكريًا عن فهم الإسلام فهمًا صحيحًا وبالتالي بعيدين عن تطبيق الإسلام عمليًا؛ لأن فاقد الشيء لا يعطيه». [شريط رقم **٣٦٥** من سلسلة الهدى والنور].

وقال: «ولا أدل على ما قلت من نشر إحدى هذه الصحف مقالة ذاك (المجاهد) المزعوم، والناشر لصورتي اختلاسًا، حيث عنون هو أو القائم على النشر وأحلاهما مر المقال المشار إليه -وبالحرف الكبير-: الألباني كان من الإخوان المسلمين! والقاصي والداني يعلم أننا **لا نؤيد كل هذه التكتلات الحزبية**، بل نعتقد أنها مخالفة لنصوص الكتاب والسنة». [من مقدمة سماحته لدفاع فضيلة الشيخ محمد شقرة عن سماحته في مسألة الهجرة من فلسطين].

- **محمد الغزالي**: حيث قال فيه: «تجده لا يتبع السنة الصحيحة، ويحكِّم عقله في السنة الصحيحة، ولا يتبع الفقهاء وهو يزعم بأنه مع الفقهاء الكبار الأجلاء... إلخ، وكتابه المعروف.. السنة النبوية.. فهذا فيه طامات طامات... **هذا رجل عقلاني**... فهو ينكر الأحاديث المتفق على صحتها، ويصحِّح الأحاديث الضعيفة».

وسئل في موضع آخر: ما هي نظرتكم نحو الداعية المشهورة الغزالي من الناحية العقائدية والمنهجية؟

فأجاب -رحمه الله-: «أنا أعرف الغزالي من قبل أن يثور الثوّار عليه، **وأنه كان منحرفًا عن السنة** من يوم أن كتب مقدمة الطبعة الرابعة لكتابه فقه السيرة، وذكر هناك منهجه في الاعتماد على أحاديث الرسول -عليه السلام- سواء ما كان منها متعلِّقًا بالسيرة أو بغيرها، **فهو ينهج في ذلك نهج أسلافه المعتزلة**، فهو لا يقيم وزنًا لجهود أئمة الحديث مطلقًا فهو بشطبة قلم يضرب على حديث متفق على صحته، وبصيحة من حنجرته يصحّح حديثًا لا يصح عند علماء الحديث...»، ثم قال: «..فهو ما عنده قواعد وما عنده ضوابط شرعية». [سلسلة الهدى والنور- شريط رقم ٣٠٠].

وقال أيضًا وقد سئل عن حكم الكوثري والغزالي لإنكارهما للأحاديث الصحيحة: «... هذا الذي ابتُلي المسلمون به اليوم: محمد الغزالي ...فهذا لا يجوز تكفيره وحسبنا أن **نحكم بضلاله**»، وقال أيضًا: «الغزالي أميٌّ في علم الحديث»، وقال: «**الغزالي لا شك أنه يعيش في ضلال مبين**». [سلسلة الهدى والنور- شريط رقم ٦٣١].

- **أبو الأعلى المودودي**: حيث قال -رحمه الله- في الضعيفة عند حديث (٢١٧٦): «فهذا هو كاتبهم الكبير الشيخ محمد الغزالي -أي كاتب حزب الإخوان- يقول فيما سماه بـ«السنة النبوية» (ص١٨): «قاعدة التعامل مع مخالفينا في الدين ومشاركينا في المجتمع: لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فكيف يهدر دم قتيلهم؟!»، وهو تابع في ذلك للأستاذ حسن البنا -رحمه الله-، فهو الذي أشاعه بين شباب الأخوان وغيرهم، وهذا هو سيد قطب -عفا الله عنه- يقول مثله، ولكن بجرأة بالغة على تصحيح الباطل: وهؤلاء لهم ما لنا وعليهم ما علينا بنص الإسلام الصحيح كذا في كتابه «السلام العالمي»: (ص١٣٥- طبع مكتبة وهبة الثانية).

وقد جرى على هذه الوتيرة من المخالفة للنصوص الصحيحة، اعتمادًا على الأحاديث الضعيفة غير هؤلاء كثير من الكتاب المعاصرين، **لجهلهم بالسنة، وتقليدهم لبعض الآراء المذهبية، ومن هؤلاء الأستاذ المودودي -رحمه الله-**، وقد تقدم الردُّ عليه في تسويته بين المسلم والذمي في الحقوق العامة».

قلت: وانظر أيضًا ما ذكره الشيخ -رحمه الله- في الضعيفة (حديث ٤٦٠) من نقد علمي قوي لمقالة باطلة ذكرها المودودي في كتابه: «نظرية الإسلام وهديه» حول دية الذمي.

واعلم -فهمك الله- أن الشيخ -رحمه الله- قد يذكر أحيانًا في كلامه المودودي بـ«العلامة ...»، ونحوها، وهذا كقوله عن حسن البنا وسيد قطب «الأستاذ»، وهذا مراعاة منه -رحمه الله- لِمَا كان معروفًا في وسط الكتّاب، نظرًا للضجة الإعلامية الواسعة التي صنعها حزب الإخوان لهؤلاء مِمَّا صيَّرهم رموزًا في أعين الناس، وما كانت الردود عليهم وبيان حالهم قد انتشر كما انتشر بعد وفاة العلامة الألباني -رحمه الله-.

وأمَّا مَنْ حَذَّر من المودودي في حياته، وكذلك من سيد قطب في حياته، وغيرهما من رموز الأحزاب المنحرفة، فقد عمل المروِّجون لهم على كتم هذا الكلام وطيِّه، والسعي على إخفائه، وذلك عن طريق الترويج لهم بصورة منقطعة النظير جعلت كثيرًا من العلماء مِمَّن لم يكن له اطلاع على هذا التحذير، لا يكون عنده الهمة للتفتيش عن حقائق مناهجهم، هذا بجانب أن العلماء لم يكن لهم اشتغال بكتب هؤلاء، فلم ينتبه بعضهم لضرر كتاباتهم إلا لَمَّا عمَّت الفتنة بهم خاصة بعد حرب الخليج الأخيرة[1].

---

(١) وهذا نص كلام العلماء الذين عاصروا المودودي في بداية فتنته -مِمَّا لم يطلع عليه الألباني- ولو اطلع عليه لكان له شأن آخر، كعهدنا به في التعامل مع أمثال المودودي مِمَّن قد يكون أقل خطرًا منه:

قال الشيخ عبد السلام بن برجس -رحمه الله- في درس له بعنوان «الجرح والتعديل» (الوجه أ):

«ولنضرب مثلاً في الأشخاص، ومثلاً في الكتب يجلى هذا الأمر ويوضح خطأ التعديل بمثل هذه المدارك، فمثال الأشخاص: الأستاذ أبو الأعلى المودودي، هذا الرجل خرج في الهند ودعا إلى الإسلام وألَّف كتبًا كثيرة وكوَّن جماعة إسلامية، وقد انخدع به كثير من الناس لاسيما مَن في هذه =

=

الجزيرة العربية، وظنوه مُجددًا من المجدِّدين لدين الإسلام، وسَبَبُ هذه الثقة بهذا الرجل هو ذلك المدح الذي عُلِّقَ علىٰ هذين الأمرين: علىٰ انتشار كتبه، وعلىٰ انتفاع الناس به، وقد ضلَّ المادح والمثني؛ لأن النفع كما يكون في الخير فقد يكون في الشر فأهل البدع -عندهم وفي تصورهم- أنهم قد انتفعوا بعلمائهم وبكتبهم، ولنكشف حقيقة هذا التوثيق الذي خُلع علىٰ مثل هذا الرجل الذي بلغ مبلَغًا عاليًا في الانحراف عن السنة؛ لكي نكشف هذا الأمر فبين يدي الآن رسالة لأحد المُحدِّثين من علماء الهند وهو الشيخ محمد يوسف البنّوري -رحمة الله تعالىٰ عليه-، اسمها: «الأستاذ المودودي وشيء من حياته وأفكاره» يقول في آخر الكتاب الأول من هذا العنوان يقول: «وفي ختام هذه المقدمة نأتي بقرار اتخذه أكابر العلماء وجهابذة الدين في حق الأستاذ المودودي وجماعته ودستورها في (٢٧ من شوال سنة ١٣٧٠) في دلهي في مكتب جمعية العلماء وقد اتفق أكابر علماء الدين علىٰ هذا القرار وفيهم مثل شيخ الإسلام السيد حسين أحمد المدني رئيس أساتذة دار العلوم بديوبند، ومثل المحقق مفتي الهند الأكبر الشيخ محمد كفاية الله الدهلوي، ومثل حكيم الإسلام الشيخ القاري محمد طيب الديوبندي مدير دار العلوم الديوبندية، وفيهم الشيخ عبد اللطيف المحدث مدير مظاهر العلوم في سهارنفور، وفيهم شيخ الحديث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي الصديقي صاحب أوجز المسالك شرح الموطأ لمالك، وفيهم الشخ أحمد سعيد خطيب الهند سكرتير جمعية العلماء، وفيهم الشيخ سعيد أحمد المفتي في مظاهر العلوم، وغيرهم من أصحاب مراكز العلم والفتوىٰ وهؤلاء الأكابر أعيان هذه البلاد وأعلامها علمًا وفقهًا ودينًا وتقوىٰ وكان أصبح عليهم مدار الفتوىٰ، وهذا نص القرار المترجم إلىٰ العربية يقولون فيه: «إن مطالعة تآليف المودودي وحزبه الجماعة الإسلامية تجعل الناس في حرية من اتّباع أئمة الدين وألاَّ يبقىٰ لهم صلة بهم وهذا مما يهلك العامة ويضلهم ضلالاً، ووسيلة لانتقاص صلة المسلمين بصحابة رسول الله ﷺ والسلف الصالحين، وإن كثيرًا من تحقيقاته وأفكاره الخاطئة إذا اتخذها الناس تكون وسيلة لفقه جديد، وإحداث في الدين وبدعة في الإسلام باليقين، وهذا في غاية الضرر في الدين فنحن نقول بكل صراحة إن كل حركة تحوي أمورًا مثل هذه خطأ يضر المسلمين ونعلن براءتنا من هذه الجماعة ومن هذه الحركة».

ثم يقول المؤلف في (ص٥٠) من الكتاب المذكور: «إن مركز الفتوىٰ في الهند ورئاسة دار الإفتاء في دار العلوم في ديوبند أصدرت الفتوىٰ في الأستاذ المودودي وجماعته وهاك نص الفتوىٰ مترجمًا إلىٰ العربية:

يجب علىٰ المسلمين أن يجتنبوا عن الجماعة الإسلامية وإن المشاركة فيها سمٌّ قاتلٌ، وعلىٰ المسلمين أن يكفوا الناس عن المشاركة فيها لكيلا يضلوا، وضرر الجماعة أكثر من النفع، فلا يحل شرعًا المساهمةُ فيها وكل من أيّدها وأعانها بالنشر والإشاعة يكون آثمًا ويكون داعيًا للإثم والمعصية بدل أن يكون مثابًا ومن كان منهم إمامًا في مسجد فتكره الصلاة وراءه». اهـ

=

- **عبد الفتاح أبو غدة**: حيث ألف الإمام الألباني في الرد عليه كتابًا سماه بـ«كشف النقاب عمَّا في كلمات أبي غدة من الأباطيل والافتراءات»، ومن كلمات الجرح الشديدة التي ذكرها في هذا الرد في تجريح أبي غدة: قوله (ص٩): «تعرّفت على الشيخ عبد الفتاح أبو غدة في بلده حلب منذ أكثر من عشرين سنة تقريبًا، وقد عرفت فيه **رجلاً متعصِّبًا للمذهب الحنفي تعصُّبًا أعمى**»، وفي (ص١٣): «..كل هذه الأمور وغيرها مما كان يبلغني عنه جعلني أتيقن أننا قد **ابتلينا بعدو ماكر**، يظهر خلاف ما يبطن، وأنه لا بد من كتابة ردٍّ عليه، يكشف عن جهله فيما أخذه علي في «تقريره الجائر»، وعمَّا ضمنه من الكذب والزور وقلب الحقائق وغير ذلك من الصفات التي لا تليق بمؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر»، وقوله (ص٤٩): «من أكاذيبه التي لا تتناهي..».

وقد صرَّح بتبديعه في مواضع منها: (ص٤٤) حيث قال: «وإن كان هو وغيره من المبتدعة ...»، وكذلك في (ص٦٦) حيث قال: «... فلا تزال مدانًا بأنك **كوثري جُملة وتفصيلاً**، حتى تحقِّق طلبنا بإعلان براءتك منه جملة وتفصيلاً»، وقال في (ص٦٧): «..وإذن فبرهانك هذا يشهد عليك **بأنك كوثري في كل ما وصفنا به الكوثري من الضلال** والانحراف عن السلف وأئمة الحديث»، وفي (ص٧٢) قال: «وأنت أيها القارئ إذا قابلت هذا بطعن أبي غدة في الإمام البخاري وسائر أئمة الحديث الذين تكلَّموا في سوء حفظ أبي حنيفة ولا يدافع عنهم بمثل دفاعه عن شيخه الكوثري بل يجزم بأن ذلك إنما كان تعصُّبًا منهم عليه -رحمهم الله جميعًا-؛ **تبين لك انحراف أبي غدة عن أهل السنة إلى أهل البدعة والضلالة**، والله المستعان».

- **الصابوني**، حيث قال فيه: «... فهو يصدق عليه مع الأسف الشديد المتشبع بما لم

=

هكذا يقول علماء الهند ومفتو الهند في مثل هذا الرجل ويجعلون الإعانة على تأييده إثمًا مع أنه يدعو إلى الإسلام، وما ذلك إلاَّ لأنه دعا إلى الإسلام على غير السنة، فوجب أن يُحذر منه، ووجب أن لا يُغتر بالانتفاع المزعوم من كتبه وبمسير كتبه في الشرق والغرب، فهذا مثال الأشخاص». اهـ

قلت: والذي علم حجة على مَن لم يعلم، فلو سلَّمنا جدلاً أن الألباني أو ابن باز أو غيرهما من الأئمة أثنى على المودودي أو غيره من أهل البدع، نظرًا لعدم علمه بحاله، وكان هناك إمام آخر -خاصة إذا كان معاصرًا لهذا المبتدع- وبيَّن حاله بالبراهين، فالعبرة بالبينة والبرهان.

يعظ كلابس ثوبي زور! ... حب الظهور يقطع الظهور، هذا أحب أن يظهر أمام الناس أنه مفسّر، ومحدِّث فاختصر كتاب ابن كثير ... **فهو ليس في العير ولا في النفير**»، وقيل للشيخ: في العقيدة يكتب مقالاً أنه لا يجوز السؤال عن الله بأين؟ قال الشيخ: «الله أكبر الله أكبر هذا **دليل على أنه مفلس في علم الحديث، والفقه**». [سلسلة الهدى والنور شريط **٣٩٥**].

وانظر أيضًا ما قاله عنه في مقدمة المجلد الرابع من الصحيحة، نحو قوله: «ولهذا الرجل أخطاء كثيرة، وأكاذيب أخرى، وبخاصة على إخواننا السلفيين..».

- **عبد الرحيم الطحان**، حيث قال فيه: «الكلام الذي حكيته عنه -أي عن الطحان- كله هراء **ويجب أن يطحن من الطحانين طحنًا** ... فأنصحهم أن لا يحضروا للرجل -أي الطحان- درسًا، **لأنه صوفي مبتدع، ويتستر بالسنة وهو جاهل بها**». [شريط: وقفة مع عبد الرحيم الطحان].

- **د. القلعجي**، حيث قال فيه: «وأما الدكتور القلعجي الجريء على تصحيح الأحاديث الضعيفة، وتضعيف الأحاديث الصحيحة، **بجهل بالغ، وقلة خوف من الله** -عز وجل-». [الضعيفة (٢٣/٧)].

- **حسان بن عبد المنان**، حيث ردَّ عليه في كتاب «النصيحة بالتحذير من تخريب (ابن عبد المنّان) لكتب الأئمة الرجيحة وتضعيفه لمئات الأحاديث الصحيحة»، والذي طُبع في العام الذي توفي فيه -رحمه الله-.

- **محمد أبو زهرة**، حيث قال فيه في مقدّمة «تحريم آلات الطرب» (ص١١): «فتأمّل كم في كلام هذا الشيخ الأزهري من جهل بالحديث ومصطلحه، فلا عجب من تلميذه الغزالي أن يصدر منه ما هو أعجب وأغرب كما سيأتي، الأمر الذي يدل على أن الأزهر لم يكن له عناية بتدريس الحديث دراية ورواية، وأكبر دليل على ذلك أننا لا نرى في هذا العصر محدِّثًا معروفًا مشهورًا بآثاره ومؤلّفاته تخرّج من الأزهر الشريف، ويكفينا تدليلاً على ما أقول هذا الكلام الهزيل من شيخهم هذا الكبير! والله المستعان».

- **محمد فهيم أبو عبية**، حيث قال ناقدًا إياه في مسألة ظهور المسيح الدجال، ونزول عيسى -عليه السلام-، كما في مقدِّمة كتاب «قصة المسيح الدجال» (ص١٣): «وهذا هو

بعينه ما فعله هذا الأزهري (الفهيم) وبعض شيوخه -تبعًا لسلفهم من الخوارج والمعتزلة، وأخيرًا القاديانية كما سبق- تارة بطريق التشكيك في صحة الأحاديث بزعم أنها آحاد- كما فعل الشيخ محمود شلتوت في بعض مقالاته، تبعًا للشيخ (محمد عبده) كما سبق- وتارة بطريق التأويل والتعطيل كما فعل هذا (الفهيم)!».

- **رمضان البوطي**، حيث ردَّ عليه في كتاب «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الردّ على جهالات الدكتور البوطي في كتابه «فقه السيرة»، وكان مِمّا قاله في تجريحه: في (ص٨): «وكل الذي صنعته أنني بيَّنت **جهله في هذا العلم وتطفله عليه ومخالفته للعلماء**، وافتراءه عليهم وعلى الأبرياء، بصورة رهيبة لا تكاد تصدَّق ...مع التبجح بالادعاء الفارغ الذي لم يسبق إليه»، ثم قال: «وسبحان الله العظيم! إن الدكتور ما يفتأ يتهم السلفيين -في جملة ما يتهمهم به- بأنهم يجتهدون في الفقه، وإن لم يكونوا أهلاً لذلك، فإذا به يقع فيما هو شر مما اتهمهم به تحقيقًا منه للأثر السائر: «من حفر بئرًا لأخيه وقع فيه...»، وفي (ص٨١) قال: «... ذلك ما أريد بيانه ببعض الأمثلة؛ لكي لا يغتر بهذه الكلمة من ابتلي بقراءة كتابه هذا «فقه السيرة» أو بالتتلمذ عليه والإصغاء لجهالاته وادعاءاته ..إلخ».

وأما فتاوى الألباني في حماس فقد تقدَّم نقل بعضها، وأذكِّر بإحداها -وهي أشدها- إمعانًا في بيان تدليس هذا الفتى العجول، حيث قال الإمام الألباني هذه الكلمة الشديدة في تجريح حركة حماس: «**الحركة القائمة اليوم في الضفة هذه حركة ليست إسلامية شئتم أو أبيتم**».

وأما عن الشيخ عبد المحسن العبَّاد، وتدليسك على الأغمار بأنه يسير على طريقتك التالفة المؤدية إلى ضياع الحق تحت مسمى الرفق والمصلحة، والذي تدلس عليه بأنه يثني على بعض رموز أهل البدع وأدعياء السلفية نحو من ذكرت، فقد أبطل الشيخ العبَّاد بنفسه حجة أمثالك بكلام قويٍّ متين، أرجو أن تفهمه وأن تنتفع به، وكان هذا في إجابته عن هذا السؤال:

لقد شاع عند بعض الشباب أن الشيخ عبد المحسن العبَّاد تراجع عن تقريظ كتاب مدارك النظر للشيخ عبد المالك وأن دليل تراجعه هو كتابه المطبوع رفقًا أهل السنة بأهل السنة، فما هو الرد على هذا الكلام -حفظكم الله-؟

فأجاب: «أولاً كتاب مدارك النظر أنا قرأته مرتين يعني أنا سُئِلت يعني عدة مرات أنني ما قرأت يعني الكتاب كله أو إنما قرأت بعضه أو اطلعت على بعضه، وأنا قلت وأقول: إنني قرأته مرتين من أوله إلى آخره، والكتاب الذي كتبته أخيرًا وهو (رفقًا أهل السنة بأهل السنة) لا علاقة للذين ذكرتهم في مدارك النظر بهذا الكتاب، فهذا الكتاب الذي هو (رفقًا أهل السنة بأهل السنة)، لا يعني الإخوان المسلمين، **ولا يعني المفتونين بسيد قطب وغيره من الحركيين ولا يعني أيضًا المفتونين بفقه الواقع والنيل من الحكَّام وكذلك التزهيد في العلماء لا يعني هؤلاء لا من قريب ولا من بعيد**، وإنما يعني أهل السنة فقط وهم الذين على طريقة أهل السنة حيث يحصل بينهم الاختلاف فينشغل بعضهم ببعض تجريحًا و هجرًا وذمًّا». اهـ

أكمل الشيخ الجواب بعد الأذان فقال: «ذكرت أن هذا الكتاب لا يعني هذه الطوائف وهذه الفرق المنحرفة عن منهج أهل السنة والجماعة وعن طريقة أهل السنة والجماعة وإنما يعني من كان من أهل السنة مشتغلاً بغيره من أهل السنة تجريحا وهجرًا وتتبعًا للأخطاء والتحذير بسبب هذه الأخطاء، وكذلك إذا حصل خلاف بين شخصين ينقسم أهل السنة إلى قسمين قسم يؤيد هذا وقسم يؤيد هذا ثم يحصل التهاجر والتقاطع بين أهل السنة في كل مكان نتيجة لهذا الاختلاف، فإن هذا من أعظم المصائب ومن أعظم البلاء يعني حيث يتهاجر أهل السنة ويتقاطعون بسبب خلاف بين شخص وشخص، وما قاله فلان في فلان وما قاله في فلان وفلان وما موقفك من فلان وإن وقفت سلمت، إن لم تقف وإن لم يكن لك موقف فإنك تكون مبتدعًا، ثم يحصل التهاجر وينقسم أهل السنة إلى هذا الانقسام الخطير هذا هو الذي يعنيه هذا الكتاب.

ومن المعلوم أن هذا الكتاب لا يعجب الحركيين؛ لأن الحركيين يحبون أن ينشغل أهل السنة بعضهم ببعض حتى يسلموا من أهل السنة، وذلك بانشغال بعضهم ببعض». اهـ

قلت: وكان مِمَّا قاله -حفظه الله- في تقريظه في نقد سفر وسلمان في تقريظه على «مدارك النظر»: «وفي الكتاب ذكر كلامًا في صفحتي: (٢٤٣) و(٣٥١) لاثنين من شباب هذه البلاد -هداهما الله- اتهم كل منهما كبار علماء العصر في هذه البلاد بالقصور؛ لأنهم أفتوا

بتسويغ مجيء قوات أجنبية للمشاركة في الدفاع عن البلاد أثر الهجوم الغاشم من طاغية العراق على الكويت وكانت نتيجة ذلك دحر العدو المعتدي والإبقاء بحمد الله على الأمن والاطمئنان وكان الأليق بهما وقد أعجبهما الرأي المخالف لما رآه العلماء أن يتهما رأيهما...»، إلى أن قال: «ثم إن الخلاف حاصل في أكثر مسائل العلم منذ زمن الصحابة ولم يكن بعضهم يسفِّه بعضًا فضلاً عن أن يكون الصغار هم الذين يجترئون على تسفيه رأي الكبار كما حصل من هذين الشابين أصلحهما الله».

قلت: فما قول صاحب المين في وصف الشيخ العبّاد لسفر وسلمان بـ«الصغار الذي يجترئون على تسفيه رأي الكبار»، وبأنهما قد وقعا في اتِّهام الكبار بغير حقٍّ.

وقال موُجهًا كلامه لسلمان العودة: «ومن الخير لهذا الشاب ومَن يطأ عقبه من الشباب أن يكونوا مع الجماعة ويجتنبوا الشذوذ والخلاف والفرقة، وأن يفيئوا إلى الرشد فإن الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل».

قلت: وهذا صريح بيِّن في أن الشيخ العبّاد يحذِّر من سفر وسلمان وعائض، ويطالبهم بترك الشذوذ والخلاف والفرقة، فما هو قول صاحب المين والكيل بمكيالين؟!

وإني أنصح كلَّ مَن يتمسح بالشيخ العبَّاد أن يقرأ المجلد السابع من «كتب ورسائل عبد المحسن بن حمد العبَّاد»، وهو المجلد الخاص بالردود؛ ومن خلاله تدرك أن الشيخ العبَّاد له ردود قوية على طائفة من أهل البدع مِمَّن في ميزان هؤلاء المتمسحين من أهل الاجتهاد الذين خدموا الإسلام، الذين ينبغي أن يُرفَق بهم، ولا يُحذَّر من بدعهم وأهوائهم.

وللشيخ العبَّاد ثناء على ردود العلامة الألباني على أهل البدع، وعلى منهجه في الرد، وقد نقلنا لك فيما سبق شيئًا من هذه الردود على أناس أثنى الحويني على بعضهم أو على أمثالهم وأشكالهم، مِمَّا يؤكد بلا ريب أن الحويني يسير في سبيل مناهض لِمَا عليه الألباني والعبَّاد ومن على نهجهما من كبار الأئمة، وإليك نصُّ كلام العبَّاد:

قال -حفظه الله- في «الردّ على الرفاعي والبوطي في كذبهما ودعوتهما إلى البدع والضلال» (ص٤٧٥ - الكتب والرسائل): «ويرجع اختيار الشيخ الألباني -رحمه الله- أي في

الجامعة الإسلامية- إلى علمه وفضله وجهوده في خدمة السنة، وإلى كونه ناصرًا للسنّة مُحذِّرًا من البدع، رادًّا على المبتدعة.

وأما وصف الكاتب لكتبه بأنها كاسدة، فنعم هي كاسدة عنده وأمثاله! أمّا مَن له اشتغال بالعلم واهتمام بالسنة فيحرص على اقتنائها والاستفادة منها». اهـ

وقال صاحب المين: «أمّا قول الأستاذ أنّ الشيخ كشك كان على غير الجادّة في طريقة الدّعوة فأقول: الشّيخ أثنى عليه في مقام ناسب الثّناء ولا أعرف في الأسلوب العربي الجمع بين الثّناء وذكر المثالب إلا في أوهام طائفة الجرّاحين الجدد، والشّيخ كشك وسيّد قطب والبنّا وغيرهم، لا شكّ في خطإ أسلوبهم الدّعوي، ولكن لا شكّ أيضًا أنّهم -رحمهم الله- كانوا يدعون بصدق إلى الإسلام الذي يعرفونه هم والذي يحسبونه المنهج الحقّ، فلا ضير من الثّناء عليهم ممّن علم نهجه وموقفه من طرق الدّعوة إلى الله».

قلت: وما هو قدر معرفتك بعلوم اللُّغة العربية حتى يعتد بمعرفتك من عدمها للأسلوب العربي؟!

ولو سلّمنا بصحة ما نسبته إلى الأسلوب العربي، فهل نتحاكم إلى الأسلوب العربي ونترك أصول المنهج السلفي؟!

فقد تقدّم أن مقام التحذير من صاحب البدعة أو المخالف يتطلب ذكر المساوئ فقط، ولا يناسب مقام التحذير ذكرُ المحاسن، وهذا واضح وبديهي في أسلوب العرب وطريقة السلف، وهو ما اتفق عليه كبار أئمة هذا الزمان[1].

وأما ثناء الحويني على كشك فلم يكن في مقام يناسب الثناء، بل العكس هو الصواب، فإن المقام كان يقتضي التحذير، وقد تقدّم بيان حال كشك، بما لا يحتاج إلى الإعادة، فنحيل القارئ المنصف على كلامنا السابق.

وأما تخطئتك لكشك والبنا وقطب، مع وصفك لهم بالصدق في الدعوة إلى الإسلام، أليس هذا هو منهج الموازنات المحدث الذي تحاول أن تتهرب منه بشتى الحيل، والتي منها البتر لكلام أهل العلم؟!

---

(١) قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «متأسين بمن سبقهم من صفوة أهل العلم السلفيين».

فما فائدة تخطئتك إياهم مع هذا الثناء العالي، أضف إلى هذا استخدامك أسلوب الإجمال المبني على الإيهام تدليسًا على القرّاء، حيث إنه عند التفصيل في حال هؤلاء المذكورين سوف تنكشف حيلتك.

وقال صاحب المين: «وما الذي جعلك تجبن وتتخاذل عن نصرتك المزعومة للسنّة التي (خالفها) الحويني بموقفه من سيد قطب، حين رأيتَ سماحة المفتي والشّيخ ابن قعود والشّيخ ابن جبرين والشّيخ بكر أبو زيد والشّيخ ابن باز والشّيخ الألباني قد وقع من كلّ واحد منهم شيء من ذلك الثّناء أو الإنصاف أو الدّفاع أو الاعتذار؟».

قلت: فبالنسبة للشيخ ابن باز -رحمه الله- فقد ذكرنا في فصل آخر شيئًا من فتاواه في سيد قطب، وهي كافية في إثبات كذب وتدليس هذا المدَّعي، وكفى قول ابن باز عن سيد: «مسكين ضايع في التفسير»، وقوله عن سبِّ سيد لنبي الله موسى -عليه السلام-: «سبُّ الأنبياء ردة مستقلة» ...إلخ، فهل في هذا الجرح رائحة الثناء أو الدفاع أو الاعتذار؟!

وإن وُجد اعتذار عن سيد قطب في كلام أحد من العلماء الذين حذّروا منه، فهو اعتذار مانع من تكفيره فحسب، إلا من شذّ أو تفرد بالثناء المطلق عليه مع الاعتذار المتكلِّف نحو ابن جبرين والشيخ بكر أبي زيد والشيخ عبد العزيز آل الشيخ، والشاذ لا يقضي على الصحيح، كما أن المتشابه لا يقضي على المحكم، ودأب أهل البدع التعلُّق بالشاذ والمتشابه، وترك الصحيح والمحكم.

وأمّا عن الشيخ الألباني -رحمه الله-، وموقفه من سيد قطب، فقد قال -الجزائري المفتون- في موطن آخر إمعانًا في التشويش على الموقف الحقيقي للألباني من سيد قطب: «ولذلك سأذكر مثالاً فيه مناقشة حول ثناء الشّيخ الألباني على سيّد قطب -رحمه الله تعالى- في بعض كتاباته ومواقفه فقد قال الشّيخ الألباني -رحمه الله تعالى- في شريط البدعة والمبتدعون: «دعك وسيّد قطب، هذا الرّجل نجلّه على جهاده مع علمنا أنّه كان كاتبًا إسلاميًا، كان أديبًا.. فلا غرابة أن تصدر منه أشياء و أشياء تخالف المنهج الصّحيح».

و قال في موضع آخر كما هو مشهور عنه: «فصل لا إله إلا الله منهج حياة كأنّه كتب بقلم سلفي».

ثم قال صاحب المين: «وماذا تقول في ثناء الشّيخ الألباني عليه -أي على سيد- وهو ثابت موثق؟ و هل تراجع الشّيخ الألباني أيضًا؟ وأين حصل ذلك؟»، وقال أيضًا: «ولذلك أثنى الشّيخ الألبانيّ على سيّد قطب -رحمه الله- بأنّه كان صادقًا في دعوته للإسلام الذي يفهمه هو، وإن كان مخطئًا في ظنّه وعلمه، ومن ثمّ طريقته».

قلت: للعلامة الألباني -رحمه الله- كلام قديم ظاهره الثناء المجمل على سيد، مع الاعتذار المجمل أيضًا عن بعض أخطائه، ومن هذا الكلام القديم ما أشار إليه صاحب المين في كلامه السابق، لكن من تدليسه -ولا أريد أن أقول من غشّه وخيانته لأمانة النقل-، حذف من النقل السابق عبارة هامة فيها جرح شديد من الألباني في سيد، وإليك تمام الجملة، ومنها تدرك **العبارة المحذوفة:** «لا يزيد -أي سيد قطب- على كونه كان كاتبًا، كان أديبًا منشئًا، لكنه لم يكن عالمًا، فلا غرابة أن يصدر منه أشياء وأشياء وأشياء تخالف المنهج الصحيح»، فحذف صاحب الكيل بمكيالين عبارة: «لكنه لم يكن عالمًا».

وفي موضع آخر قال العلامة الألباني: «وهو -أي سيد- لا يحسن التعبير عن العقائد الشرعية -وبخاصة العقائد السلفية-».

وقال في نقده لكلمة سيد قطب: «إن القرآن من صنع الله»: «كلام خطابي شاعري، لكن أنا لا أرى أن نقف كثيرًا عند مثل هذا الكلام، إلا بأن نبين أنه كلام غير سائغ شرعًا، وأنه غير معبر عن عقيدة الكاتب في القرآن الكريم: هل هو كلام الله حقيقة أم لا؟».

قلت: لكن الشيخ الألباني نفسه في مرحلة متقدمة لما عُرِض عليه كلام سيد في تفسيره لسورة الإخلاص، والذي ظاهره كلام أهل وحدة الوجود من غلاة المتصوفة نحو ابن عربي الطائي، والحلاج، وابن سعبين، وابن الفارض، لم يعتبر كلام سيد هذا من قبيل الكلام الأدبي الحماسي الغير منضبط بضوابط أهل العلم، بل اعتبره صريحًا في بابه، وترك الاعتذار عنه، فقال: «نقل -أي سيد- كلام الصوفية، ولا يمكن أن يفهم منه إلا أنه يقول بوحدة الوجود»، ثم لم يستثن من هذا التقرير إلا التكفير، فقال: «لكن، نحن من قاعدتنا أنّنا لا نكفّر إنسانًا -ولو وقع في الكفر- إلا بعد إقامة الحجة»[1].

---

(١) انظر الأقوال السابقة في كتاب «حق كلمة الألباني في سيد قطب».

وقد نفى الألباني عن نفسه الثناء على سيد قطب، فقال: «فالذي يأخذ إن سيد قطب كفَّره الألباني مثل الذي يأخذ إنه والله الشيخ الألباني أثنى على سيد قطب في مكان معين، **هؤلاء أهل أهواء**، يا أخي! هؤلاء لا سبيل لنا أن نقف في طريقهم إلا أن ندعوا الله لهم فقط، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩][(١)]».

وأخيرًا، بعد أن اطلع العلامة الألباني على الردِّ المفصَّل للعلامة ربيع على كتب سيد، ظهر له بجلاء أن الأمر لم يقف عند مجرد عبارات أدبية حماسية لسيد بل تعدى إلى انحرافات ظاهرة في العقيدة، فكانت كلمته الأخيرة التي تعد ناسخة لأي كلام محتمل مشتبه فيه ثناء ولو من طرف بعيد على سيد قطب، أو فيه اعتذار مجمل عنه، وفيها صرَّح الألباني بكل جلاء موافقته التامة للعلامة ربيع في ردوده على سيد، وأن هذه الردود تبين لكل قارئ حصَّل شيئًا من العلم جهل سيد، وانحرافه عن الإسلام[(٢)]، حيث قال العلامة الألباني -رحمه الله- كلمته الأخيرة والتي شيَّدها بخط بنانه، وزيَّنها بترقيعه كما في تعليقه على خاتمة كتاب «العواصم مما في كتب سيد قطب من القواصم»، للعلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-، وهذا نصُّ هذه الكلمة الجليلة:

«كُلُّ ما ردَدْته على سيد قطب حقٌّ وصواب، ومنه يتبين لكلُّ قارئ على شيء من الثقافة الإسلامية أن سيد قطب لم يكن على معرفة بالإسلام بأصوله وفروعه.

فجزاك الله خيرًا -أيها الأخ الربيع- على قيامك بواجب البيان، والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام». اهـ

وأمَّا سماحة المفتي الحالي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله-، فسيأتي بيان حقيقة موقفه من سيد قطب.

وأمَّا الشيخ بكر، والشيخ ابن جبرين فقد تقدَّم بيان موقفهما من سيد: وبينت هناك

---

(١) المرجع: شريط للشيخ بعنوان: «مفاهيم يجب أن تصحح».

(٢) ومن أراد تفاصيل هذه الانحرافات فليرجع إلى ردود العلامة ربيع بن هادي، وإلى فتاوى العلماء الأكابر المؤيِّدة لهذه الردود.

أنهما شذًا عن سائر الأكابر بدون حُجّة ولا بُرهان، فلا حُجة فيما قالاه بل الحُجّة في الجرح المفسَّر المؤيد بالكتاب والسُّنة.

قلت: ولم يثبت عن العلماء الذين تدعي عليهم أنهم اعتذروا عن سيد نحو ابن باز والألباني والمفتي الحالي أنهم قالوا عمّن حذّر من ضلالات سيد: «إنهم يتلككون له ..»، كما قال الحويني، أو أنهم غلاة تجريح كما قال ابن حسّان، فشتان شتان، بين العالم الرباني -وإن أخطأ-، وبين صاحب الهوى.

* * *

ثم قال صاحب المين في تعليقه على قولي: «وقد صار معلومًا لدى الجميع أن بطانة الحويني في مصر وخارج مصر هم القطبيون والحزبيون والقصّاص، نحو: محمد حسّان، وعبد الرحمن عبد الخالق، ومحمد حسين يعقوب ..إلخ»: «لا نعتبر بقولك عن أحد قطبي أو حزبي أو نحوه؛ لأنّه كما بيّنت آنفًا لست أهلاً لأخذ هذه الأحكام ولا ضابط محدّد عندك حتى تحاكم أقوالك إليه».

* * *

قلت: العبرة ليست بقولي أنا أيها الفتى العجول، إنما العبرة بحقائق مناهج هؤلاء، وبأقوال أهل العلم فيهم.

وأما الحكم بكوني أهلاً لأن يؤخذ مني هذه الأحكام أو لست أهلاً لها، فلا يمتري أحد أن هذا الحكم لا يكون لأمثالك من حدثاء الأسنان، إنما يكون للعلماء المعتبر قولهم.

وقد تقدّم نقل بعض كلامهم في العبد الفقير بما يغني عن الإعادة هنا، فما أحوجك إلى لزوم غرز هؤلاء الأكابر، ونبذ هذا العجب والاعتداد بالنفس، وأخشى أن تنطبق عليك سمات الخوارج المذكورة في الحديث الذي أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٩٤٥) حيث قال: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللهِ بْنُ مُعَاذٍ، ثنا مُعْتَمِرٌ، ثنا أَبِي قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ، أَوْ يَكُونُ فِيكُمْ، قَوْمٌ يَتَعَبَّدُونَ وَيَتَدَيَّنُونَ، حَتَّى يُعْجِبُوكُمْ وَتُعْجِبُهُمْ أَنْفُسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**»[1].

---

(١) إسناده صحيح: وأخرجه أحمد في مسنده (٢٧/ ٣٤٦)، وأبو يعلى في مسنده (٩/ ٩٣)، وابن أبي

وأما ضابط هذه الأحكام نحو قطبي، سروري، ... فقد تقدّم ذكره في المقدّمة.

والله المستعان وعليه التكلان.

ثم قال: «مع التنبيه إلى شيء: الشّيخ عبد الرّحمن عبد الخالق لا أعرفه، و إذا أردت معرفته فليس من أمثالك، ولم يرفع الله العلم بعده».

قلت: دعك من هذا التعالي والكبرياء اللّذان لا يليقان بأمثالك من حدثاء الأسنان، واحذر من وعيد الله سبحانه الذي أخبر به رسوله ﷺ في نقله عن ربّه: **«العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني بشيء منهما عذَّبتُه»**[1].

وكما قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ، حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ»**.

وتحلى بالتواضع واخفض جناحك للمؤمنين، فإن التواضع يعصم صاحبه من البغي والفخر على الغير دون حق، كما قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: **«وَإِنَّ الله أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ وَلا يَبْغِ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ»**[2].

وأما عبد الرحمن عبد الخالق، فإن حاله معروف عند الثقات من أهل العلم، وقد حذّروا منه ومن حزبيته التي أنشأها في الكويت، وكون حاله خفي عليك، رغم شهرة كلام أهل العلم فيه منذ سنوات، إنما يدل على ضحالة علمك بهذا الشأن، وأنك وطأت أرضًا غريبة عليك، فكان عليك أن تتحلى بآداب عابر السبيل المسافر، الذي ليس من أهل البلد، فلا دراية له بمداخلها ومخارجها، ولا قدرة له على الكسب في غير بلده، فحقّت له الزكاة، فإياك أن تكون كالعائل المستكبر.

=

شيبة في مصنّفه (١/ ٨٧٩)، وأبو القاسم زاهر بن طاهر الشّحّامي في «السباعيات الألف» (٢٦٩) من طريق سليمان التيمي عن أنس -رضي الله عنه-.

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٥٢) من حديث أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة -رضي الله عنهما-.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٦٧)، من حديث عياض بن حمار -رضي الله عنه-.

ثم قال الفتى المفتون تعليقًا على قولي: «قول الأستـــاذ: «وصار معلومًا أيضًا علاقته -أي علاقة الحويني- الوثيقة بجمعية إحياء التراث الحزبية»: «ينسفه طالب الحقّ بشيء واحد: أثبت حزبيّة هذه الجمعيّة، ثمّ أثبت حرمة التّعاون معها إطلاقًا، ثـمّ أثبت نوع العلاقة التي صارت معلومة كما تزعم، وهذه الجمعيّة نراكم كلّ ما خاصمتم فاضلاً أطلقتم عليه الأطفال يرمونه بأحجارها، و إذا كان طريقكم في كلام مخالفكم تحريفه وبتره وليّه، فإنّ طريقتكم في الطّعن في منهجه أن تقولوا كلّما خالفكم مخالف: أخذ أموالاً من هذه الجمعيّة، وطبع كتاب كذا عند هذه الجمعيّة، وهكذا تعلّم الشّباب هذا الأسلوب المبتدع وتشرّبوه» وإلا فإنّ للفقهاء تفصيلاً حتى في مال الكافر ومعونة الفاسق والتّعاون على خير راجح مع مخالف مبتدع، فأين هذا كلّه في ذهن الأستاذ، وهل هذه هي الأصول التي خالفها الحويني؟ فإن كانت هي فأسأل الله تعالى أن يعافيني منها وأحمده على نعمة السنّة والإسلام».

***

قلت: أولاً: أقول ردًّا على تحديك السافر: «أثبت حزبية هذه الجمعية ..»: هذه شهادة العدول من أهل العلم في إثبات حزبية هذه الجمعية:

○ **أولاً: العلامة الإمام محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-:**

سئل -رحمه الله-: سمعت كلام شباب سلفي كثير أن سلفية الكويت تمر بحزبية، فأريد منكم يا شيخ توضيح ما هي مظاهر الحزبية التي قلتموها عن سلفية الكويت[1]؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: «فالدعوة السلفية في الكويت[2] مش يمرون بدور **تحزب، لا دخلوا وانتهى الأمر** من يوم أجازوا لأنفسهم كالإخوان المسلمين -دائمًا وأبدًا-، وكحزب التحرير -في بعض أدوارهم- حينما سوّغوا لأنفسهم باسم الإصلاح أن يدخلوا في البرلمانات القائمة على ما نقول على الكفر بالله ورسوله وبالإسلام جملة وتفصيلاً لكن على الأقل نقول هذه القائمة على مخالفة الشريعة في جوانب كثيرة وكثيرة جدًّا، فحينما

(١) كما في سلسلة الهدى والنور (شريط ٧٢٥).

(٢) يُشير إلى دعوة عبد الرحمن عبد الخالق، والتي كانت نواة لجمعية إحياء التراث.

أباحوا لإخوانهم أن يُنتخبوا وأن يَنتخبوا، وأن يدخلوا في البرلمان هذا الذي يحكم بغير ما أنزل الله حتى صار منهم من كان وزيرًا، لهذا نحن نقول إن الدعوة السلفية هناك أخذت طورًا سياسيًا آخر.

فنحن ماضون على الدعوة على هذا الأساس التصفية بناء على الكتاب والسنة الصحيحة، وتربية المسلمين على هذا الأساس.....». اهـ

قلت: وهذا المنحى السياسي الذي جنحت إليه دعوة إحياء التراث باسم السلفية الأدلة عليه من تصريحاتهم كثيرة ومعروفة، أذكر منها مثالين فقط، يؤكدان أن جمعية إحياء التراث قائمة على منهج حزب الإخوان المسلمين، وعلى فكر سيد قطب المشار إليه آنفًا:

أولاً: نشرت جريدة الوطن بتاريخ ٢ أغسطس سنة ٢٠٠٠ الخبر التالي:

«أصدر التجمع السلفي الإسلامي (الجناح السياسي للتراث)، و(الحركه السلفية) -أي السرورية-، والائتلاف الإسلامي الوطني، والحركه الدستورية الإسلامية بيانًا بمناسبة الذكرى العاشره للعدوان العراقي الغاشم على الكويت أدانوا فيه مُجددًا جريمة النظام العراقي النكراء التي أقدم عليها طاغية العراق والتي كانت وبالاً على العرب والمسلمين، وقال البيان أن الذكرى تطل علينا ومئات من أبناء الكويت قابعون في سجون العراق والملايين من أبناء العراق مسجونون داخل نظامه.

وأكّد البيان أن الموّقعين عليه يؤكدون ثبات ما اتفق عليه الكويتيون في مؤتمر جدة في عام (١٩٩٠) أثناء الغزو وعلى ما ارتضوه وتعاهدوا عليه في وثيقة الرؤيه المستقبليه، كما دعوا إلى سعي كل القوى بما فيها الحكومة لتطوير الديمقراطية وتكريس الوحدة الوطنية، والمحافظة على وحدة المجتمع ونسيجه الاجتماعي وتعزيز الاقتصاد والاستثمار للمال الوطني وتنمية الإنسان الكويتي كما أكّدوا أهمية أن يتبلور منظور أمني خاص بالكويت كما دعوا لوضع رؤية جديده لمشروع الدولة على مشارف القرن ٢١». اهـ

ثانيًا: قال محمد أبو زيد صاحب كتاب «المفهوم السلفي للعمل السياسي»، والذي يُعد من أكبر قادة الجماعة وأحد أعضاء الأمانة العامة في الجماعة بل كان نائب الأمين العام، قال في حوار أُجري معه في جريدة الوفاق السودانية بتاريخ (١٤٢١/٣/١٦هـ): «وأنا

أقـول إن الغـرب اسـتفاد كـثيرًا مـن المنهجيـة الإسـلامية في الحكـم، والديمقراطيـة الـتي يتحدثون عنها هي الشورى في الإسلام، والشورى في الإسلام تقول: يحكم الحاكم برضاء أغلبية الشعب، أو بإجماع الشعب». اهـ

قلت: ومـا قالـه العلامـة الألبـاني يكفـي كتعليـق علـى هـذا المـدح العـالي علـى الديمقراطيـة الغربيـة مـن قبـل جمعيـة إحيـاء الـتراث الـتي تـدّعي الـسلفية، وقـد ظهـرت آثـار الديمقراطية على تصريحات أعضاء جمعية إحياء التراث -التي تدّعي السلفية-، فصاروا لا يفرّقون بين أهل السنة والشيعة، ويعتبرون التفرقة بينهم من الطائفية المذمومة:

ففي جريدة «الأيام» البحرينية العدد (٥٢٠٠)، السبت (٣٠/ ٣/ ١٤٢٤هـ) (٣١/ ٥/ ٢٠٠٣) أجرى هشام عدوان لقـاء مع الشيخ عـادل المعـاودة -مـن أعـضاء جمعيـة إحيـاء الـتراث، والنائب الثاني لرئيس مجلس النواب، ورئيس جمعية التربية الإسلامية السرورية الحزبية- (٢/٢): «المحاور: أي الحركات الإسلامية تقصد في اكتساح الشارع الخليجي؟ السنية منها أم الشيعية؟

عادل المعاودة: أقصد هنا كل الأطياف الإسلامية ... الحركات الإسلامية تكتسح الشارع بالفعل سنية وشيعية، والجميع يرى ذلك.

وقال أيضًا عادل المعاودة: أنا أعلم أن هناك من يتهم السلفيين بتكفير أتباع المذهب الجعفري بل هناك من يدعي أننا نحرم السلام عليهم والتعامل معهم وهذا كله كذب وافتراء علينا، أنا أتعامل مع إخواني الشيعة يوميًا، وبطبيعة نشأتي في فريق المعاودة بالمحرق وبطبيعة تداخل بيوت السنة والشيعة في تلك المنطقة، نشأت ولا أزال أتعامل مع الأخوة الشيعة دون أي تفرقة ودون أي تحسس، والقضية الطائفية برمتها أنا أقف منها موقف الضد». اهـ

وفي العدد (٣٥٤) (١/٨/٢٠٠٥) من مجلة الفرقان -التي تصدرها إحياء التراث- كان مقال الافتتاحية عن تفجيرات شرم الشيخ الأخيرة، وجاء فيه ما يلي:

«لا شك أن الأحداث والمعطيات على أرض الواقع العالمي اليوم هي التي تغذي الإرهاب وتوقد جذوته من الظلم الذي تمارسه الدول الكبرى بحق الشعوب المستضعفة وهيمنتها على مقدراتها وانتهاكها لأبسط معالم حقوق الإنسان والحرية والعدل والمساواة

التي تتشدق بها وتتكلم باسمها، والازدواجية في المعايير التي تطبقها في بلادها وتتعامل بها مع الآخرين، وإن هذا الظلم والازدواجية في المعايير قد ضاعفت من نشر الإرهاب وأعطته المبررات الكافية لرد الصاع صاعين لتلك الدول، كذلك فإن كثيرًا من الأنظمة في دول العالم الثالث اعتمدت سياسة البطش والتنكيل بشعوبها وحرمانها من أبسط الحقوق الإنسانية مما فجر الأوضاع في بلادها وزاد السخط والحقد والكراهية بين الناس». اهـ

قلت: أولاً: هل تسلط الدول الكافرة -كما ذكروا- هو السبب الرئيسي في خروج هؤلاء الخوارج، أم أن هؤلاء الخوارج ينطلقون من عقيدة راسخة عندهم -وهي تكفير عصاة المسلمين بالكبائر، واستحلال دماءهم-، وما تسلط الكافرين إلا جذوة أشعلت النار الكامنة في صدور هؤلاء على أهل الإسلام من العصاة؟

ثانيًا: لماذا لم يذكروا أن هذه الفئة الضالة قد تلقت منهجها من كتب سيد قطب، ومحمد قطب، والمودودي، وتلاميذهم من الحزبيين، وأن كتب هؤلاء هي المحرك الرئيسي لهذه الأحزاب المضلة، وهي دستورهم؟

ثالثًا: استخدام هذه المصطلحات السياسية الغربية «حقوق الإنسان، والحرية، والمساواة» لم نعهده إلا من حزب الإخوان، الذي يرفع هذه الشعارات حتى ينال بها قربًا من الحكومات، وفوزًا في الانتخابات، فهل لا يدرون أن هذه هي شعارات الماسونية اليهودية، رفعتها لتخدع بها السُّذَّج من السياسيين المسلمين، حتى يستبدلوها بالمصطلحات الشرعية؟ ثم استخدام لفظ العالم الثالث -بدلاً عن الدول الإسلامية- أليس فيه انصياع للانهزامية التي يبغيها أعداؤنا من نشر هذا المصطلح بيننا؟

رابعًا: قولهم عن أنظمة العالم الثالث -أي ولاة أمر المسلمين- إنها اعتمدت سياسة البطش والتنكيل بشعوبها، أليس فيه تهييج لهذه الشعوب على ولاة أمرها، مما يوقد نار الفتنة؟ أليس هذا هو إسلوب الخوارج القعدية في تزيين الخروج على الحكّام؟ وهذا لا يعني أننا نشهد لولاة الأمر بالعصمة، لكن هل هذا هو المنهج الشرعي في تغيير الظلم الذي يقع منهم؟ أم أن المنهج الشرعي يتمثل في النصح لهم بالتي هي أحسن، مع الدعاء لهم، ودعوة المسلمين إلى إصلاح عقائدهم ومناهجهم حتى يغير الله سبحانه الأوضاع إلى

الأحسن، ومن ثَمَّ يتغير حال ولاة الأمر أو يستبدلهم إذا رأى منا صدقَ التزام بمنهاج النبوة، والتحذير ممن يخالفه من أهل الأهواء؟

خامسًا: إطلاق القول بأن هذه الأنظمة قد حرمت شعوبها من أبسط الحقوق الإنسانية فيه مجازفة القصد منها هو إثارة القارئ على هذه الأنظمة؟ حيث إن حكّام المسلمين -وفقهم الله لما يرضاه- ليسوا سواء حتى يُعمِّم الحكم هكذا عليهم بهذه الصورة الاستفزازية، هذا أولاً؟ وثانيًا من الملاحظ أن من هؤلاء الحكام من قد يبطش بهؤلاء السياسيين من المسلمين؛ لأنهم يصارعونه على منصبه، فهو صراع على دنيا بينكم، فلا تصوروا للناس أن صراعكم مع الحكّام هو من أجل العقيدة، لأنه لو كان هذا صحيحًا لكنتم أول المحذّرين من كتب أئمتكم المحتوية على سب الصحابة، والدعوة إلى وحدة الوجود، والغلو في تكفير المسلمين، بل والدعوة إلى زيارة المقامات، والتوسل بالأموات، وما تسترتم عليهم[1]؟

ولم نعهد من أئمة السنة المعاصرين مثل ابن باز، والألباني، وابن عثيمين -الذين يتمسحون بهم- أنهم يتحدثون عن حكّام المسلمين -وإن كانوا ظالمين- بهذا الأسلوب، إنما هذا هو أسلوب الحزبيين؟

***

○ ثانيًا: سئل العلامة المحدِّث مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله- في كتابه «تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب»:

السؤال١٢٧ : عندنا جماعة إحياء التراث الإسلامي لعبد الرحمن عبد الخالق، فما نصيحتك للشباب الذين دخلوا معهم؟

---

(١) قَالَ حسن البنا فِي أصوله العشرين الَّتِي أصَّلها لِحزبه:

الأصل الخامس عشر: «والدعاء إذا قُرِنَ بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلافٌ فرعي فِي كيفية الدعاء، وليس من مسائل العقيدة».

قُلْتُ: وقد أثر هذا التأصيل الفاسد فِي أجيال الإخوان التالية لِحسن البنا تأثيرًا بالغًا حتَّىٰ وصل بِهم الأمر إلا أن يقول مرشدهم: التلمساني فِي (شهيد المحراب) (ص٣١): «إن دعوة الأولياء فِي قبورهم ليس فيها شرك ولا وثنية».

الجواب: «هذه جماعة فُرقة، فقد زارنا بعضهم إلى اليمن وقالوا لنا: نحن لا نستطيع أن نساعدكم إلا أن يكون لكم مركز حكومي -بمعنى أن يكون معترفًا بكم من قبل الحكومة، فقلنا لهم: ونحن لا نريد مساعدتكم إلاَّ أن تساعدونا بلا شرط ولا قيد، فعمدوا إلى بعض ضعاف الأنفس واستمالوهم بالعملة الغالية الدينار الكويتي حتى زهّدوهم في أهل العلم، وقال قائل الكويتيين في مجلس وهم في صنعاء: إن دعوتنا ما انطلقت إلاَّ بعد أن تركت العلماء.

فأقول: أفّ لهذه المقالة النتنة، ورب العزة يقول في كتابه الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، ويقول -سبحانه وتعالى- في شأن قصة قارون عند أن خرج على قومه في زينته قال أهل الدنيا:

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

فأهل العلم هم الذين يعرفون ويضعون الأشياء في مواضعها، ومن شك في كلامي فليذهب إلى عبد المجيد الريمي وليقل له: أسألك بالله عند أن كنتم في مجلس مع كويتي أقال لكم: ما انطلقت دعوتنا إلا بعد أن تركنا العلماء؟

فهذه دعوة مفرّقة بين أهل السنة، وجاء في «صحيح البخاري» عن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- أنه قال: «ومحمّد -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- فرق بين النّاس».

وفي رواية: «ومحمّد فرّق بين النّاس»، أي: أن النبي -صلى الله عليه وعلى آله وسلم- يفرق بين الأب وابنه، فيكون الأب كافرًا والولد مسلمًا، أو ربما تكون المرأة مسلمة وزوجها كافر، أو العكس، وكذا الأخ وأخيه، لكن دعوة عبد الرحمن بن عبد الخالق فرّقت بين أهل السنة في اليمن، وفي مصر، وفي أرض الحرمين ونجد، وفي الكويت نفسها، وفي الإمارات، وفي غير ذلك من البلدان.

فأنصح كل أخ ألا يبيع دينه بعمارة مسجد، فإذا قالوا لك: نبني لك مسجدًا فقل لهم:

تبنون لي مسجدًا لله تعالى بدون شرط ولا قيد: «من بنى مسجدًا لله تعالى يبتغي به وجه الله بنى الله له بيتًا في الجنّة؟»، أما أن يقال: نبني لك مسجدًا وتكون معنا، أو مدرسة تحفيظ قرآن، وتكونون معنا لأجل أن تصوتوا لنا، فلا.

وفي كتب عبد الرحمن عبد الخالق طوام، وأنصح بمراجعة كتاب أخينا الفاضل ربيع ابن هادي المدخلي -حفظه الله- في رده على عبد الرحمن عبد الخالق؛ لأن بعض الناس يظن أنه قد تراجع وتاب على يد الشيخ ابن باز، فهو قد تراجع في بعض المسائل فقط، فهل تراجع عن تفرقة المسلمين؟ وهل تراجع عن البعد عن الحزبية؟ وهل رجع إلى ما كان عليه عند أن كان في الجامعة الإسلامية؟ فقد كان على خير حتى عصفت به الأهواء يمينًا وشمالاً.

فهؤلاء أناس سواء أكانوا من جماعة عبد الرحمن عبد الخالق، أم من الإخوان المسلمين، أم من السرورية قد أصبحوا مثل الأعور ولا أقول عميانًا فإنّهم مبصرون، وكما قيل:

أعمى يقودُ بصيرًا لا أبا لكم ... قد ضلّ مَن كانت العميان تهديه

فأقول للأخوة البريطانيين: لن يضيعكم الله -سبحانه وتعالى-، ومن علم شيئًا من العلم فليعلم إخوانه، وأنصحكم بالابتعاد عن هؤلاء -أي جمعية إحياء التراث-، ومطالبة العلماء الأفاضل بإرسال من يعلمكم فإن التعليم أنفع لكم، وإذا أتى شخص مستفيد وبقي عندكم ثلاثة أشهر لكان أنفع لكم ولبلدكم».

وفي كتاب: «إعلام الإخوان بما قاله المحدِّث العلامة مقبل الوادعي أبو عبد الرحمن في الداعية عبد الرحمن عبد الخالق وجمعيته ومجلة الفرقان» كان هذا السؤال للشيخ مقبل:

س٧: ما هو موقف الشيخ ابن باز والشيخ الألباني -رحمهما الله- من جمعية إحياء التراث؟

ج٧: أما الشيخ الألباني فهو متبرئ منها منذ زمن، والشيخ ابن باز أنكر عليهم بعض الأشياء، والحزبيون ملبسون، فيأتون المشايخ الأفاضل بمن هو موثوق به عندهم من أهل السنة ويقولون: يا شيخ قد حقق الله الخير الكثير على أيدينا وقد ذهبنا إلى أفريقيا -وهم في

الحقيقة ذهبوا يفرقون كلمة المسلمين- وذهبنا إلى إندونيسيا وإلى باكستان وإلى كذا وكذا، والشيخ -حفظه الله- يصدّق، وقد رد على عبد الرحمن عبد الخالق، وأنا متأكد أن الشيخ إذا اتّضح له أمره سيتبرأ منهم». اهـ

* * *

○ **ثالثًا: العلامة المحدِّث ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-:**

سئل -حفظه الله-: «ما رأيكم في طالب علم يقيم الدروس والمحاضرات في جمعية إحياء التراث الإسلامي علمًا بأن بعض الإخوة السلفيين بين المؤيد والمخالف، نرجو توضيح الموقف الصحيح من جمعية إحياء التراث؟

فأجاب -حفظه الله-: «لكن عليها مآخذ شديدة في الخارج أكثر من الداخل، وأرى من يتعاون معها يتعاون ضد المنهج السلفي؛ فعليها أن تتوب إلى الله، وتلتزم المنهج السلفي باطنًا وظاهرًا وأن تعلن الحرب على هذا الغلو، وعلى هذه المناهج مناهج سيد قطب.

أما كون عبد الرحمن عبد الخالق يدافع عن سيد قطب، والترابي، والبنا، والمودودي وغيرهم من زعماء البدع والفتن، ويبقى إمامًا مقدَّسًا في قلب إحياء التراث -بارك الله فيكم- فهذا من أقوى القرائن على أن إحياء التراث ليست صادقة في الالتزام بالمنهج السلفي، وهذه آثارهم معروفة في الخارج؛ فهي لا تحمل المنهج السلفي بجدية وصفاء ونقاء.

ومن أدلة أنها لا تلتزم هذا المنهج أنها توالي التكفيريين في اليمن: جمعية الحكمة وغيرها، وتوالي غيرهم: توالي الإخوان المسلمين؛ أين وجودها في مواجهة هذا الزحف الإخواني -الذي- لا هم له إلا سحق المنهج السلفي.

على كل حال نحن ننصح الشباب السلفي بنشر المنهج السلفي من الطرق الشريفة النظيفة، وأنصح السلفي الصادق أن لا يُدخل إخوانه في دوامة الخلافات والقيل والقال، وقد نصحتكم في مرات كثيرة أن تبتعدوا عن أسباب الخلافات؛ فالتعاون مع إحياء التراث يؤدي إلى صراعات وخلافات بينكم؛ فالسلفي الصادق لا يغامر بدعوته وبإخوانه ويدخل بهم في صراع الخلافات.

نحن والله نتمنى لإحياء التراث أن تعود إلى رشدها، وأن تكون أعمالها الخفية مثل أعمالها الظاهرة، نريدها سلفية واضحة باطنًا وظاهرًا نرى آثار هذه السلفية في الخارج وفي الداخل، لكن ما نرى هذا، ما نرى هذا بارك الله فيكم أين هذا في البنجلاديش، وأين آثارهم في السودان وأين آثارهم...

وإن كانوا يلبسون على الناس يقولون: نحن نطبع الكتب، وننشر كذا وكذا، لكن من يدرس ويسبر غورها ويتقصى أعمالها يجدها -بارك الله فيكم- ليست مخلصة في نشر المنهج السلفي الذي رفع رايته رسول الله ﷺ وصحابته الكرام ورفع رايته أحمد بن حنبل وابن تيمية وابن عبد الوهاب، نجدهم يذوبون في فكر الإخوان: مُجاملات وسياسات وما شاكل ذلك؛ فلتتب إلى الله -عز وجل- من هذا المنهج»[1]. اهـ

***

رابعًا: شيخنا فضيلة الشيخ الوالد محمد بن عبد الوهاب البنا -رحمه الله رحمة واسعة-[2]:

في مجالس الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا والتي عقدها في زيارته الأخيرة لمصر في شهر ربيع الأول ١٤٢٦هـ وسجَّل بعضها معه أخونا الشيخ خالد بن عبد الرحمن:

قال الشيخ -أحسن الله إليه-: «إن أبا الحسن وكل من يتردد على دار إحياء التراث مهما كان ظاهرًا سلفيًّا، فهم مبتدعة وهذه الجمعية وجدت لمحاربة الدعوة السلفية.

قلت (القائل خالد بن عبد الرحمن): هذه الجمعية التي في الكويت؟

قال الشيخ: نعم، وهذه الجمعية التي في الكويت تنفق مليارات حتى تهدم السلفية؛ فعبد الرحمن عبد الخالق مثلاً كان من أشد الناس كراهية لهم لهذه الجمعية، لكن لما أغدقوا عليه ونسأل الله أن يحفظنا وإياكم انقلب عبد الرحمن على ربيع بن هادي».

---

(١) كان هذا السؤال في مجلس بعنوان «الوسطية في الإسلام» في يوم الخميس الثامن من المحرم (١٤٢٦هـ).

(٢) وقد بلغني خبر وفاته -رحمه الله- خلال إعداد الكتاب قبل مغرب الخميس ٢٤ من ذي القعدة (١٤٣٠هـ)، نسأل الله سبحانه أن يلحقه بالنبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقًا.

وقال أيضًا: «دار التراث التي هي وجدت لمحاربة السلفية، وهم يغدقون المال لمحاربة السلفية..... وأنا قلت لأبي الحسن المأربي إن الذي يتردد على دار إحياء التراث لا يكون أبدًا سلفيًا».

وقال -رحمه الله-[1]: «وأضر شيء إحياء التراث، والله إنما وُجِدَت لهدم السلفية، الله يكفينا شرها». اهـ

* * *

○ خامسًا: العلامة عبيد الله الجابري -حفظه الله-:

سئل -حفظه الله-: ما هو قولكم في عبد الرحمن عبد الخالق، وعبد الله السبت هل هم من السلفيين؟

فأجاب: «هم على ضلال، فعندنا وثيقة -معلومات موثقة- أن عبد الرحمن بن عبد الخالق هذا قطبي، والسبت بوابة أخرى لجمعية إحياء التراث التي تنحى منحى سياسي في الدعوة إلى الله، وعندها البيعة: بيعة المسئول عن الدعوة، يبايع في العسر واليسر والمنشط والمكره كما يبايع الأمير.

فالجمعية لها بوابتان: إحداهما السبت والآخر عبد الرحمن، فمن خرج من بوابة السبت دخل من بوابة عبد الرحمن، ومن خرج من طريق عبد الرحمن دخل من بوابة السبت». اهـ

* * *

○ سادسًا: الشيخ محمد بن هادي -حفظه الله-:

سئل -حفظه الله-: يوجد لجمعية إحياء التراث جهود في مجال الدعوة في المملكة، فماذا تعرفون عن هذه الجمعية؟ وهل هي قائمة على المنهج السلفي؟

الجواب: لا، والله ما هي على المنهج السلفي والله على المنهج الإخواني قائمة وأصحابها متلونون، والذي نعرفه منهم لا يجوِّز لنا أن ندعه لحال من زكاهم ممن تجملوا

---

(١) كلمة سجلتها مع الشيخ في زيارته الأخيرة في مصر يوم الجمعة ٢٠ ربيع الآخر (١٤٢٦هـ).

له وهو لايعرفهم، فإن الله -سبحانه وتعالى- لم يكلفنا إلا بما علمنا وهذه الجمعية حزبية والبيعة عندهم ويسمونها العهد أويسمونها طاعة المسؤول، فانظروا إليهم في مواقفهم، وأينما شرّقوا أو غرّبوا في العالم الإسلامي وغير الإسلامي لا تجدهم إلاّ يفرقون الدعوات السلفية ما يجمعون وإنما يأتون إلى التجمعات السلفية فيفرقونها وذلك بسبب المال الذي معهم، فنسأل الله العافية والسلامة، ولقد تكلمت في هذا في كثير من الأشرطة ولي في هذا كلام في شريطين في الكويت عندهم». اهـ

* * * *

المخالفة السابعة

الحويني يطعن في أكابر العلماء، ويتهكم بفتاويهم

أقول: فكما طعن الخوارج في أكابر الصحابة، فقد طعن الحويني في أكابر العلماء السلفيين الذين هم أتباع الصحابة بإحسان، وهو بهذا ينهج منهج محمد سرور زين العابدين، الذي تظاهر بالسلفية مع طعنه الفاجر على كبار العلماء السلفيين.

○ **وإليك عدة أمثلة تثبت هذا:**

المثال الأول: طعنه الصريح في إمام الجرح والتعديل العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

ففي ليلة ٢٢ جمادى الآخر ١٤٢٤هـ اتصل أحد طلبة العلم الثقات عندي بالحويني، وسأله عن رأيه في أبي الحسن المصري؟

فأجاب الحويني: أبو الحسن جيد جداً[1].

فقال السائل: فماذا عن قول الشيخ ربيع فيه؟

قال الحويني: ربيع هذا أحمق[2]!!.

---

(١) لقد بان أمر أبي الحسن وظهر لكل منصف مكره بالدعوة السلفية، ومن ثَمَّ حذَّر منه جمع من أئمة السنة وعلمائها في هذا العصر، وبيَّنوا خطورته وكيده، وما أشبه حاله بحال الحويني؛ فكلاهما يدَّعي السلفية، وكلاهما سعيا للانتساب إلى العلامة الألباني، ثم إذ بهما يخالفان الألباني في مسائل عظيمة من أصول المنهج السلفي.

فالحذر الحذر!!!

(٢) وكرَّر الحويني هذه الكلمة الفجَّة لَمَّا سئل، كما في «مسائل منهجية» (ص٤٢) للشيخ أبي محمد خالد بن عبد الرحمن: «يا شيخ ذُكر عنكم أنكم تتكلَّمون في الشيخ ربيع، تقول عليه: أحمق، هذا الكلام صحيح؟

فأجاب الحويني قائلاً بكل كبر وغرور: «وما الذي يجعلني أتكلم في الشيخ ربيع، الشيخ ربيع

قلت: ألم يطرق مسامع الحويني يومًا ما قاله إمام الحديث والسنة في هذا الزمان، وحسنة الأيام: محمد ناصر الدين الألباني في الثناء على العلامة ربيع بن هادي؟!

بلا شك طرق مسامعه، لكنه لا يرفع رأسًا له؛ لأنه يخالف الألباني في مدحه وقدحه، فيقدح فيمن مدحهم الألباني -وهم يستحقون الثناء-، ويمدح من حذّر منهم الألباني وقدح فيهم -وهم يستحقون هذا القدح والتجريح-.

ومن باب **إقامة الحجة والإعذار إلى الله**: نذكّر الحويني بشيء من ثناء الأئمة على العلامة ربيع لعلّه يتقي الله في هذا الإمام ويؤوب إلى حظيرة العلماء:

١. **ثناء الإمام الألباني -رحمه الله-**: قال -رحمه الله- في شريط (الموازنات بدعة العصر للألباني) بعد كلامٍ له في هذه البدعة العصرية: «وباختصار أقول: **إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر وبحق هو أخونا الدكتور ربيع**، والذين يردون عليه لا يردون عليه بعلم أبدًا، والعلم معه».

وقال كما في سؤالات أبي الحسن المأربي له: «فالحطُّ على هذين الشيخين الشيخ ربيع والشيخ مقبل الداعيين إلى الكتاب والسنة، وما كان عليه السلف الصالح ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصحيح هو كما لا يخفى على الجميع إنما يصدر من أحد رجلين: إما من جاهل أو صاحب هوى.

الجاهل يمكن هدايته؛ لأنه يظن أنه على شيء من العلم، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدى.. أما صاحب الهوى فليس لنا إليه سبيل، إلا أن يهديه الله -تبارك وتعالى- فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين -كما ذكرنا- إما جاهل فيُعلّم، وإما صاحب هوى فيُستعاذ بالله من شره، ونطلب من الله -عز وجل- إما أن يهديه وإما أن يقصم ظهره[1]».

ثم قال -رحمه الله-: «فأريد أن أقول إن الذي رأيته في كتابات الشيخ الدكتور ربيع

=

عندي هكذا، وأشار بإصبعيه يعني يستقل الشيخ ربيعًا، وهو عندي أحمق».

(١) أفلا يخشى الحويني أن يصيبه هذا الدعاء من الإمام الألباني؟! فهو أحد الرجلين بلا شك!!.

أنها مفيدة، ولا أذكر أني رأيت له خطأ، وخروجًا عن المنهج الذي نحن نلتقي معه ويلتقي معنا فيه»[1].

٢. **ثناء الإمام ابن باز -رحمه الله-**: فقد سئل -رحمه الله تعالى- عن الشيخ ربيع بن هادي والشيخ محمد أمان الجامي -رحمه الله- فقال: «بخصوص صاحبي الفضيلة الشيخ محمد أمان الجامي والشيخ ربيع بن هادي المدخلي، **كلاهما من أهل السنة، ومعروفان لدي بالعلم والفضل والعقيدة الصالحة**، وقد توفي الدكتور محمد أمان في ليلة الخميس الموافقة سبع وعشرين شعبان من هذا العام -رحمه الله-، **فأوصي بالاستفادة من كتبهما**».

٣. **ثناء الإمام ابن عثيمين -رحمه الله-**: قال -رحمه الله تعالى- في شريط «إتحاف الكرام» وهو شريط سجّل في عنيزة بعد محاضرة للشيخ ربيع فيها بعنوان «الاعتصام بالكتاب والسنّة»: «إنّنا نحمد الله -سبحانه وتعالى- أن يسّر لأخينا الدكتور ربيع بن هادي المدخلي أن يزور هذه المنطقة حتى يعلم من يخفى عليه بعض الأمور أن أخانا وفقنا الله وإياه على جانب السلفية طريق السلف، ولست أعني بالسلفية أنها حزب قائم يضاد لغيره من المسلمين لكني أريد بالسلفية أنه على طريق السلف في منهجه ولاسيما في تحقيق التوحيد ومنابذة من يضاده».

ثم سئل في الشريط نفسه: هاهنا سؤال حول كتب الشيخ ربيع؟

---

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «أقول: لقد حضرت مجلسًا في مدينة رسول الله ﷺ للإمام الألباني -رحمه الله- حيث كان في زيارة للمدينة والجامعة والمكتبة، وكان أثناء هذه الزيارة له مجلس علم ومذاكرة في كل ليلة تقريبًا، وكان يحضره عدد كبير من المشايخ من أهل المدينة، وطلاب العلم، وكان مجلسه في بيتي -بعد صلاة العشاء- وبحضور شيخنا ربيع بن هادي -حفظه الله- فتذاكرا حول بعض الأحاديث والمواضيع، وأذكر تعليقًا له -رحمه الله- حيث قال: «أنتَ كالربيع يا ربيع» -ضاحكًا مبتسمًا مظهرًا إعجابه من علم شيخنا وتواضعه وحبّه للإمام الجليل. وفسّرها -رحمه الله- كما أن فصل الربيع فصل خير ومنافع، فكذلك الجلوس والمذاكرة معك يا الربيع!!! ثم استمر -رحمه الله- في ذلك المجلس كلّما ناداه وكلّمه وخاطبه يقول: «يالربيع -أي بالتعريف».

فأجاب -رحمه الله تعالى-: «الظاهر أن هذا السؤال لا حاجة إليه، وكما سئل الإمام أحمد عن إسحاق بن راهويه -رحمهم الله جميعًا- فقال: مثلي يسأل عن إسحاق! بل إسحاق يسأل عني، وأنا تكلمت في أول كلامي عن الذي أعلمه عن الشيخ ربيع -وفقه الله-، ومازال ما ذكرته في نفسي حتى الآن، ومجيئه إلى هنا وكلمته التي بلغني عنها ما بلغني لاشك أنه **مِمَّا يزيد الإنسان محبة له ودعاء له**».

وجاء في الشريط الأول الذي هو بعنوان «كشف اللثام عن مخالفات أحمد سلام» -عبر الهاتف من هولندا-: **سؤال**: ما هي نصيحتكم لمن يمنع أشرطة الشيخ ربيع بن هادي بدعوى أنها تثير الفتنة وفيها مدح لولاة الأمور في المملكة وأن مدحه -أي مدح الشيخ ربيع للحكام- نفاق؟

الجواب: «**رأينا أن هذا غلطٌ وخطأ عظيم، والشيخ ربيع من علماء السنة، ومن أهل الخير، وعقيدته سليمة، ومنهجه قويم.**

لكن لمَّا كان يتكلم على بعض الرموز عند بعض الناس من المتأخرين[1] وصموه بهذه العيوب».

٤. **العلامة المحدث مقبل بن هادي**: قال -رحمه الله- في شريط «الأسئلة السنية لعلاَّمة الديار اليمنية، أسئلة شباب الطائف»: «مِنْ أبصر الناس بالجماعات وبدخن الجماعات في هذا العصر الأخ الشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله-، مَن قال له ربيع بن هادي إنه حزبي **فسينكشف لكم بعد أيام إنه حزبي**، ستذكرون ذلك، فقط الشخص يكون في بدء أمره متسترًا ما يحب أن ينكشف أمره لكن إذا قوي وأصبح له أتباع، ولايضره الكلام فيه أظهر ما عنده[2]، فأنا أنصح بقراءة كتبه والاستفادة منها -حفظه الله تعالى-».

وللعلامة ربيع إجازة من الإمام العلامة عبيد الله الرحماني المباركفوري -رحمه الله-[3]،

---

(١) نحو سيد قطب، وحسن البنا، والمودودي، وسلمان العودة، وسفر الحوالي، والحويني.

(٢) هذا الكلام ينطبق تمامًا على الحويني، لمن يعقل!!.

(٣) قال الشيخ خالد الظفيري في «الثناء البديع»: «وهو صاحب كتاب «مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح» أحد علماء الهند المشاهير، ومن المحدثين المعروفين، وقد توفي -رحمه الله- في عام (١٤١٤هـ)، كما أجاز الشيخ ربيعًا جمع من أهل العلم، منهم الشيخ حمود التويجري، والشيخ

ومِمَّا قاله في نص الإجازة في الثناء على الشيخ ما يلي: «أما بعد: فيقول العبد الفقير إلى الله أبو الحسن عبيد الله الرحماني تلميذًا، السلفي الأثري مسلكًا، المباركفوري موطنًا، ابن العلامة الشيخ عبد السلام المباركفوري مؤلف «سيرة البخاري»: إنّ أخانا في الله العالم النبيل، الفاضل الجليل، الشيخ ربيع بن هادي عمير المدخلي من أهل قرية «الجرادية» من ضواحي «صامطة» بجنوبي المملكة العربية السعودية، المدرس في كلية الحديث بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، قد طلب مني الإجازة برواية الحديث عني، ووصل سنده بسند أئمة الحديث من أصحاب الصّحاح وغيرهم، وقد كتب إليّ أنّه درس أولاً بالمدرسة السلفية بصامطة، ثم بالمعهد العلمي فيها، ثم بالجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وتخرج فيها، وأخذ الشهادة الجامعية سنة (١٣٨٥هـ)، ثم أخذ في سنة (١٣٩٦هـ) شهادة الماجستير، ثم الدكتوراة في سنة (١٤٠٠هـ) من جامعة الملك عبد العزيز بجدة، وقد ذكر لي -أيضًا- أنّه سمع من العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز -حفظه الله- في المسجد النبوي الشريف كثيرًا من صحيح البخاري ومسلم وشيئًا من جامع الترمذي، ولازم العلامة الشيخ ناصر الدين الألباني كثيرًا، واستفاد -أيضًا- من الشيخ حمّاد ابن محمد الأنصاري وغيره من المشايخ الكبار، وقد كان مبعوثًا من قبل الجامعة الإسلامية في المدينة إلى الجامعة السلفية ببنارس الهند للتدريس بعد التخرج في الجامعة الإسلامية، وقبل أخذ شهادتي الماجستير والدكتوراة، وكلما ذهبت إلى الجامعة السلفية حين إقامته فيها جالسني وذاكرني في المسائل العلمية، وقدم هو -أيضًا- إلى بلدة مباركفور مرارًا ولقيني في بيتي، **وقد وجدته ذا علم غزير، وفضل كبير، صاحب فهم سليم، وطبع مستقيم**[1]**، على طريقة السلف الصالح -رضي الله عنهم- اعتقادًا وعملاً، متبعًا للكتاب والسنّة ناصرًا لهما، ذابًّا عنهما، متشددًا على**

=

إسماعيل الأنصاري، والشيخ أحمد بن يحيى النجمي، والشيخ بديع الدين السندي، والشيخ عليم الدين الندياوي، والشيخ محمد الصومالي، وغيرهم -رحم الله الجميع وحفظ الأحياء منهم-».اهـ

(١) ألا يتّعظ الحويني من شهادة هذا العالم الرباني ويتوب إلى الله -عز وجل- من سبِّ العالم الرباني الذي زكّاه الربانيّون؟!.

أهل البدع والهوى، رادًّا على المقلدين الذين جلّ مساعيهم بقراءة الحديث وإقرائه تسوية الحديث على مذهب إمامهم، فبارك الله في علومه، ومتّع المسلمين بطول بقائه...»، إلى آخر الإجازة، وقد كتبها الشيخ في التاسع عشر من ذي القعدة سنة (١٤٠١هـ).

ومِمَّن أثنى على الشيخ أيضًا ثناء عطرًا: المشايخ الأفاضل: أحمد النجمي، وزيد المدخلي، وصالح الفوزان، وعبيد الجابري، وصالح السحيمي، ومحمد عبد الوهاب البنا، وشقيقه حسن عبد الوهاب البنا، وعبد العزيز الراجحي، وعلي بن ناصر الفقيهي، ومحمد ابن عبد الله السبيل، وصالح اللحيدان، وعبد المحسن المنيف، ووصي الله العباس، وعبد المحسن العبيكان، وغيرهم من أفاضل أهل العلم -رحم الله الأموات منهم وحفظ الأحياء ومتّع بعلمهم-.

ومن أراد الوقوف على أقوال هؤلاء العلماء فليراجع كتاب «الثناء البديع على الشيخ ربيع» لأخينا الشيخ خالد بن ضحوى الظفيري -وفقه الله-، وذيله: «وصل الثناء البديع العالي على إمام الجرح والتعديل العلامة ربيع بن هادي» للعبد الفقير -عامله الله برحمته وفضله-.

فما قيمة كلام الحويني في حقِّ الإمام العلامة المحدِّث ربيع بن هادي المدخلي -جعله الله شوكة في حلوق أهل البدع والأهواء- أمام شهادة هؤلاء الأئمة الجبال العدول.

لا قيمة له .... ولا وزن له... ولا يضر الشيخ ربيعًا -إن شاء الله-، إنما يضر الحويني.

وأنا أريد ردًّا صريحًا من الحويني على شهادة هؤلاء العدول إما بالقبول لها، والتوبة مِمَّا تفوَّه به في حقِّ هذا الإمام.

وإما أن يطعن فيها ويسفِّه منها ويسقط كلام هؤلاء الأكابر، فيظهر أمره أكثر وأكثر، ويعرف العقلاء مدى اعتداد الحويني بنفسه ومدى استقلاله بالفتوى وضربه لكلام العلماء الكبار وشهاداتهم المؤيدة بالأدلة عرض الحائط إذا خالفت هواه.

وقد قال أبو أحمد الحسن بن عبد الله العسكري في كتابه «المصون في الأدب» (ص١٤٢): أخبرنا أبو بكر بن دُريد قال أخبرنا الرياشي عن العتبي قال: قال زياد: إني رأيت خلالًا ثلاثًا نبذت إليكم فيهن النصيحة: رأيت إعظام ذوي الشرف، وإجلال ذوي العلم، وتوقير ذوي الأسنان، والله لا أوتى بوضيع لم يعرف لشريف شرفه إلا عاقبته له، ولا يأتيني

كهل بحدث لم يعرف له فضل سنّه على حداثته إلا عاقبته له، ولا يأتيني عالم عاقل بجاهل لم يعرف له فضل علمه على جهله إلا عاقبته له، فإنما الناس بعلمائهم وأعلامهم وذوي أسنانهم.

ثم تمثل:

تُهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت ... فإن تولت فبالأشرار تنقادُ

لا يصلح القوم فوضى لا سَراة لهم ... ولا سَراة إذا جُهّالهم سادوا

المثال الثاني: الحويني يطعن في العلماء الذين أفتوا بحرمة العمليات الانتحارية، حيث وصف كلامهم بـ«أنه جليطة»:

وقال الحويني في شريط (أحداث غزوة أحد) بتاريخ يوم الجمعة ١٨ رجب الموافق (١٤٢٥هـ): «وقصة أنس بن النضر العلماء يستدلون بها على جواز الانغماس في العدو، يعني إيه الانغماس في العدو أن أكون رجلاً واحدًا وأدخل في قوم كثيرين، وليس هذا من باب إلقاء النفس إلى التهلكة! بل الفقهاء الأربعة على جواز الانغماس في العدو إن كان يحدث نكالاً فيه، عشان كده إخوانا المجاهدون في فلسطين! الواحد منهم بيبقى عارف أنه سيقتل حتمًا! ويذهب لإحداث نكاية في العدو، **بعض الناس الذين لا يعرفون الحقيقة يقولون منتحر! وهذا أقل ما يقال فيه كما قلت بمنتهى الصراحة دى جليطة!!** أقل حاجة تقال في هذا إن دي جليطة! فضلاً عن أنها مخالفة لما استقر عليه رأي جماهير العلماء الأربعة وأصحابهم، وهو جواز الانغماس في العدو حتى وإن كان الظن الغالب أو اليقين أنني سأقتل، كما فعل أنس بن النضر وهناك طبعًا أدلة كثيرة على جواز الانغماس في العدو ولشيخ الإسلام ابن تيمية رسالة نشرت منذ حوالي سنة اسمها «الانغماس في العدو وهل يجوز» نقل فيها مذاهب أهل العلم في هذه المسألة». اهـ

قلت: هكذا يقرر الحويني أن العلماء الذين أفتوا بحرمة هذه العمليات الانتحارية أنهم:

١) لا يعرفون الحقيقة، أي: لا يفقهون الواقع.

٢) أنهم أصحاب جليطة، وهذه كلمة سبٍّ وتجديع عند المصريين، ومعناها أن العلماء يتبجحون ويهرفون بما لا يعرفون.

ومَن هم العلماء الذين أفتوا بهذا، والذين يتنزَّل عليهم سَبُّ الحويني بهذه الكلمة «أصحاب جليطة»؟!

والجواب: هم أئمة السنة في زماننا: ابن باز والألباني وابن عثيمين -رحمهم الله جميعًا-، وإليك فتاواهم:

١) فتوى العلامة ابن باز -رحمه الله-:

السؤال: ما حكم من يلغم نفسه ليقتل بذلك مجموعة من اليهود؟

الجواب: الذي أرى وقد نبهنا غير مرة أن هذا لا يصح؛ لأنه قتل للنفس، والله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، ويقول النبي ﷺ: **«من قتل نفسه بشيء عُذِّب به يوم القيامة»**، يسعى في هدايتهم، وإذا شرع الجهاد جاهد مع المسلمين، وإن قتل فالحمد لله، أما أنه يقتل نفسه يحط اللُّغم في نفسه حتى يقتل معهم! هذا غلط لا يجوز، أو يطعن نفسه معهم! ولكن يجاهد حيث شرع الجهاد مع المسلمين، **أما عمل أبناء فلسطين هذا غلط ما يصح**[1]، إنما الواجب عليهم الدعوة إلى الله والتعليم، والإرشاد، والنصيحة، من دون هذا العمل».

٢) فتوى الشيخ الألباني -رحمه الله-:

السؤال الثالث: هل يجوز ركوب سيارة مفخخة بالمتفجرات والدخول بها وسط الأعداء، وهو ما يسمى الآن بالعمليات الانتحارية؟

الجواب: قلنا مرارًا وتكرارًا عن مثل هذا السؤال بأنه في هذا الزمان لا يجوز، لأنها إما أن تكون تصرفات شخصية فردية لا يتمكن الفرد عادةً من تغليب المصلحة على المفسدة أو المفسدة على المصلحة، أو إذا لم يكن الأمر تصرفًا فرديًا وإنما هو صادر من هيئة أو من جماعة أو من قيادة أيضًا هذه الهيئة أو هذه الجماعة أو هذه القيادة ليست قيادة شرعية إسلامية، **فحينئذ يُعتبر هذا انتحارًا**، أما الدليل فمعروف! فيه أحاديث كثيرة في

---

(١) هكذا يُخطِّئ الإمام ابن باز عمل إخواننا في فلسطين، فهل هذه «جليطة» من الإمام ابن باز -رحمه الله-؟!.

الصحيحين وغيرهما، أنَّ من نَحَر نفسه بأي آلة فهو في جهنم يعذب بمثلها، إنما يجوز مثل هذه العملية الانتحارية -كما يقولون اليوم- فيما إذا كان هناك حكم إسلامي، وعلى هذا الحكم حاكم مسلم، يحكم بما أنزل الله، ويطبق شريعة الله في كل شئون الحياة[1]، منها: نظام الجيش، ونظام العسكر، يكون أيضًا في حدود الشرع، فإذا رأى الحاكم الأعلى -وبالتالي يمثله القائد الأعلى للجيش- إذا رأى أنَّ مِن مصلحة المسلمين إجراء عملية انتحارية في سبيل تحقيق مصلحة شرعية -هو هذا الحاكم المسلم، هو الذي يُقَدِّرها مستعينًا بأهل الشورى في مجلسه-، ففي هذه الحالة فقط يجوز مثل هذه العملية الانتحارية، أما سوى ذلك فلا يجوز». اهـ (سلسلة الهدى والنور ١٤٥).

٣) فتوى الشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-:

السؤال: استدل بعض الناس بجواز قتل النفس أو ما يسمونه بالعمليات الانتحارية بحديث ذكره مسلم في صحيحه، حديث قصة غلام أصحاب الأخدود، فهل استدلالهم هذا صحيح؟

الجواب: هذا صحيح في موضعه، هذا صحيح في موضعه، يعني إذا وُجد أن قتل هذا الإنسان نفسه يحصل به إيمان أمة من الناس فلا بأس، لأن هذا الغلام لَمَّا قال للملك: خذ السهم من كنانتي ثم قل: «باسم رب هذا الغلام»، فإنك سوف تصيبني، وفعل الملك، ماذا صنع مقام الناس؟ آمنوا كلهم، هذا لا بأس، لكن الانتحاريين اليوم لا يحصل من هذا شيء، بل ضد هذا، إذا [...] أنه انتحر أول من يقتل نفسه، ثم قد يقتل واحدًا أو اثنين وقد لا يقتل أحدًا، لكن ماذا سيكون انتقام العدو؟ كم يقتل؟ يقتل الضعف أو أكثر، ولا يحصل لا إيمان ولا كف عن القتل، أفهمت؟ هذا الرد عليهم، نقول: إذا وجد حالة مثل هذه الحال، فإن النبي ﷺ لم يقصها علينا لنسمعها كأنها أساطير الأولين، قصها علينا لنعتبر، إذا وجد مثل هذه الحال لا بأس، بعضهم يستدل بقصة البراء بن مالك في غزوة اليمامة، حيث حاصروا حديقة مسيلمة، والباب مغلق، وعجزوا، فقال البراء: ألقوني من وراء السور،

---

(١) وهذا لا ينطبق على القيادات الفلسطينية الحالية -وعلى رأسها حماس- كما بيَّن هذا الشيخ -رحمه الله- في موطن آخر؟!.

وأفتح لكم، فألقوه وفتح، هذا ما فيه دليل، ليش؟ لأن موته غير مؤكد، ولهذا حَيِي وفتح لهم الباب، لكن المنتحر الذي يربط نفسه بالرصاص والقنابل، ينجو ولاً ما ينجو؟ قطعًا لا ينجو، ولهذا لولا حسن نيتهم لقلنا: إنهم في النار يُعذبون بما قتلوا به أنفسهم». اهـ (لقاء الباب المفتوح ٢٠٤).

قلت: وهناك فتوى أخرى للحويني في العلميات الانتحارية هذا نصُّها:

«مسألة ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. في مسألة الانغماس في العدو، قال لك انغمس في العدو بشرطين:

الشرط الأول: إنك احتمال تنجوا.

الشرط الثاني: أن تحدث نكاية في العدو.

لكن لا كدة ولا كدة لأ يبقى مصلحة حفظ نفسك مقدمة، لأن أنت رحت ومجبتش منفعة للمسلمين لو فيه منفعة للمسلمين ماشي....

فاحنا عايزين نقول في مسألة حفظ النفس ياتجيب منفعة للمسلمين يا لأ، يبقى مصلحة حفظ نفسك مقدمة.

طيب النهاردة النكاية في العدو وسأرجع للمسألة بتاعتي مرة ثانية مثلاً الذي يحصل للمسلمين في فلسطين وبيفجروا نفسهم والكلام ده، وبعض الناس بيقولك منتحر -والحدوتة دي-[1]، طبعًا مسألة الانتحار دي مسألة بعيدة.

وأنا أرى إن أولى الناس بالفتوى هم علماء البلد[2]، الذي شاف أبوه يتفتح بطنه، وأمه

---

(١) هكذا يتهكم الحويني بالعلماء الذين أفتوا بهذا، ويذكرهم على سبيل الإبهام، بقوله: «بعض الناس»، كأنهم نكرة، لا قيمة لهم، ولا وزن لكلامهم!! بل يسفِّه أيضًا من فتواهم بقوله: «والحدوتة دي» -كذا بالعامية-، وهل كلام العلماء الربانيين المؤيد بالأدلة من الكتاب والسنة حواديت؟!! هل كلام ابن باز والألباني وابن عثيمين -رحمهم الله- حواديت؟!! أجيبوا يا أولي الألباب ﴿إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.

إنه الكبر، كما عرَّفه الرسول ﷺ: «بطر الحق وغمط الناس».

(٢) لعلَّه يومئ إلى قادة حماس، وأنصارهم من الحزبيين، نحو وجدي غنيم: الإخواني التكفيري الجلد، الذي لا يجد بأسًا من التعاون مع السفلة من الرافضة في الانتخابات، مع تكفيره لحكَّام =

يتفتح كرشها وابنه بيتحط تحت الدبابة هما عارفين ظروفهم[1]، وطبعًا مقتل أي يهودي فيه نكاية في اليهود أنا لسة أقول لكم في الخطبة: شارون معندوش غير تيس واحد عجل واحد ده إلّي قدر يخلفه شارون بقى إلي هوا قد كده هو معندوش غير عيل واحد بس وتشوف اليهود أي واحد عنده عيلين ثلاثة بس عشان كده في حرب أكتوبر في حرب رمضان لمّا طلع الملف بقى بتاع حرب أكتوبر ملف وثائقي أربع مجلدات كانت نشرته الأهرام، وقرأت بقى الجانب العسكري في الملف ده أكثر حاجة كانت الدولة اليهودية خايفة منها أن يطول زمن الحرب وكان من الخطط بتاعتنا أن يطول زمن الحرب ليه كل ما يطول الزمن في فاقد بشري عندهم الفاقد العسكري والسلاح والكلام ده ممكن يتعوض مهو في

=

المسلمين، وسبُّهم بعبارات فجّة قد لم يصدر مثلها عن الخوارج الأوائل.

ونحو أسامة بن لادن وأبي قتادة الفلسطيني والزرقاوي، رءوس الخوارج في هذه الأيام.

(١) علّق الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله- على هذا الموضع قائلاً: «سبحان الله! وهل يعد نفسه من علماء البلد؟!، أو ممَّن عانى وذاق ما ذكره من فتح البطون والكروش وغيرها، يقول بالأولوية وأنها لأهل البلد في حين أنه قد أفتى وفصَّل ودندن، بل وتهكم وطعن في فتاوى غيره وغمز ولمز، فهلاً سكتّ كما قررت بحجة أنك لست من أهل البلد، ثم ما معنى قولك: إن لم يكن في البلد علماء، فهل تؤخذ الفتوى ممَّن رأى فتح بطن والده أو غيره من القادة الثوريين الذين يعيشون في القصور في دول أخرى ويأمرون الناس والشباب بالعمليات الانتحارية في فلسطين!! ويذكّرني صنيعه هذا وقصوره في هذا الباب بأحد رموزهم عندنا في الكويت -كان على برنامج بثّ مباشر يفتي في النوازل ويرد على الاتصالات الهاتفية-، فجاءه اتصال من الأردن وإذا بفتاة أخبرت أنها في العشرين من عمرها تنوي القيام بعملية انتحارية في إسرائيل، ولمّا علم والداها منعاها من ذلك، ولم يأذنا لها، فأجابَ البطل الهمام بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وليس عليها أن يأذن والداها في جهاد الدفع بزعمه، وتهكم على من أفتى بأنه انتحار، بل وصفها بالمجاهدة القدوة وطلب منها الدعاء، ثم قال: اذهبي وتوكلي على الله تعالى ونحن من هنا جميعًا نرفع أكفنا بالدعاء ونحوطك بالدعاء والمغفرة من الله تعالى، هكذا يطلب من الفتاة أن تواصل تنفيذ ما نوته، وهو معافى في أهله وأولاده وأمواله وزعامته، ويرفع يديه بالدعاء لها، سبحان الله! لقد تكلفت وتجشمت عظيمًا يا أيها الثوري المتحرك والمجاهد القاعد!!». اهـ

يوم ٢٣ أكتوبر ما هو حصل جسر جوي من أمريكا لليهود وكانت الطيارات ما بتجيش عشان يركبوها كانت الطيارات جاية فيها بنزين تنزل تطير على طول واخد بالك فكانوا خايفيين ليه؟ لأن الرجل في الدولة اليهودية الرجل بيبقى جندي ومزارع وتاجر وأب في نفس الوقت فمعندهمش.. فمقتل أي واحد لو قتل اليهود في مقابل يهودي واحد ألف عربي هما الخسرانين برضه[1]، لأن الواحد عندهم حاجة كبيرة جدا فقتل الواحد من اليهود يحدث نكاية في العدو فعاملين ضاربين علينا الإرهاب وضاربين علينا الذل والكلام ده ولا ... يمكن شفتم أنتو في المعبر اليهودي المسلمين إلى ١٥ يوم نايمين مش عارفين يدخلوا بلدهم على المعبر الموجود هناك ١٥ يوم أنت معاك أسرتك معاك مراتك ومعاك عيالك عرضك ده وحدة عايزة تروح الحمام عايزة تروح تدخل دورة مية تروح فين تعمل إيه ١٥ يوم حاجة..... أي بني آدم يخرج عن نطاق شعوره أمام هذا الذل والعار فيبقى ميجيش واحد يقول لأ ده: هو ألقى بيده للتهلكة وهيعمل إيه في مقابل مدرعات ...

هي قاعدة الانغماس في العدو أهه الأئمة الأربعة قالوا بجوازها، ومنهم من قال باستحبابها، بل الإمام أحمد في منصوصه في رواية صالح لمّا سئل عن واحد وقع في أسر العدو؟ قال: يقاتل، فيقتل أحب إلي من أن يأسر، الأسر شديد يقاتل، ويموت أحسن له؛ فاحنا عايزين نقول: مسألة بقى ضبط مسألة: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥]. مربوطة بالضوابط التي ذكرناها». اهـ

* * *

قلت: نخلص من هذه الفتوى والتي قبلها، أن الحويني يشترط في جواز هذه العمليات الانتحارية أحد الشرطين:

الشرط الأول: احتمال النجاة وحفظ النفس، فإن لم يتمكن من حفظ نفسه، فعلى الأقل يقوم بتحقيق الشرط الثاني، ألا وهو: إحداث النكاية في العدو.

---

(١) علّق الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله- على هذا الموضع قائلاً: «سبحان الله! ويزعمون أنهم يفقهون الواقع، وأنهم أعلمُ بفقه النوازل والنصوص من غيرهم، أيقول هذا عاقل فضلاً عن فاضل، أو عمّن انتسبَ إلى العلم، بل وإلى السلفيّة والسُّنة؟!».

ومن يفقه واقع هذه العمليات يدرك تخلُّف كلا الشرطين.

فبالنسبة للشرط الأول، هل يقال في حق من يحيط بدنه بألغام مدمرة، ثم يفجر نفسه بها: إن هناك أملاً للنجاة ولو بنسبة واحد في المائة -إلا أن يشاء الله-؟!!

وأمّا الشرط الثاني، فمعلوم أن هذا الفعل -وإن أحدث نكاية نسبية في اليهود بقتل عدد منهم-، فإنه في المقابل تكون النكاية في المسلمين أعظم وأشد، حيث يقوم اليهود على إثر هذا بدكِّ قرىً بأكملها، وقتل وتشريد واعتقال الآلاف، ولا يد لهؤلاء على دفع هذا العدوان.

والبعضُ يحتّج بما جاء عن أبي أيوب -رضي الله عنه- في الأثر التالي: «عن أسلم بن يزيد أبي عمران، قال: كنا بالقسطنطينية فخرج صفٌّ عظيم من الروم فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى حصل فيهم ثم رجع مقبلاً فصاح الناس: سبحان الله! ألقى بيده إلى التهلكة، فقال أبو أيوب: أيها الناس إنكم تؤولون هذه الآية على هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، إنا لمّا أعزّ الله دينه، وكثر ناصروه، قلنا بيننا سراً: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنّا قمنا فيها، وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، فكانت التهلكة الإقامة التي أردنا»[1].

وهذا الأثر لا حجة فيه لِمَا يأتي:

قال الأمير الصنعاني في «سبل السلام» (٤٧٤/٢) بعد أن أورد الحديث السابق: «وصحّ عن ابن عباس وغيره نحو هذا في تأويل الآية، قيل: وفيه دليلٌ على جواز دخول الواحد في صفّ القتال، ولو ظنّ الهلاك».

قلتُ -أي الصنعاني-: أمّا ظنُّ الهلاك فلا دليل فيه إذ لا يُعرف ما كان ظنُّ مَن حمل هنا، وكأن القائل يقول: إنّ الغالبَ في واحد يحمل على صفٍّ كبير أنه يظن الهلاك».

وقال المصنِّف في مسألة حمل الواحد على العدد الكثير من العدو: إنه صرّح الجمهور أنه إذا كان لفرط شجاعته، وظنّه أنه يرهب العدو بذلك أو يجرِّئ المسلمين عليهم أو نحو ذلك من المقاصد الصحيحة فهو حسن، **ومتى كان مجرد تهور؛ فممنوع، لا سيما إن ترتب على ذلك وهن المسلمين**.

---

(١) صحّحه العلامة الألباني -رحمه الله- في الصحيحة (١٣)، (٤٧/١).

قلت -أي: الصنعاني-: وخرج أبو داود من حديث عطاء بن السائب -قال ابن كثير ولا بأس به- عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«عجب ربنا من رجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه فرجع رغبة فيما عندي وشفقة مما عندي حتى أهريق دمه»**[1].

قال ابن كثير: والأحاديث والآثار في هذا كثيرة تدل جواز المبارزة لمن عرف من نفسه بلاء في الحروب وشدة وسطوة». اهـ

وفي حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (١٨٣/٢): «والحاصل أن جواز إقدام الواحد على الكثير مقيد بأمرين:

- أن يكون قصده إعلاء كلمة الله.
- وأن يظن تأثيره فيهم». اهـ

وجاء في «تُحفة المحتاج شرح المنهاج» (٢٤٣/٩): «وجزم بعضهم بأنه إذا غَلَّب ظنَّ الهلاك بالثبات من غير نكاية فيهم وجَبَ الفرار».

وقال أبو بكر الجصَّاص في «أحكام القرآن» (٣٦٠/١- ٣٦١) بعد أن ذكر أثر أبي أيوب: «فأمَّا حمله على الرجل الواحد يحمل على حَلبة العدو، فإن محمد بن الحسن ذكر في السِّير الكبير أن رجلاً لو حمل على ألف رجل، وهو وحده لم يكن بذلك بأس إذا كان يطمع في نجاة أو نكاية، فإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية، فإني أكره له ذلك؛ لأنه عرَّض نفسه للتلف من غير منفعة للمسلمين... وإن كان لا يطمع في نجاة ولا نكاية، ولكنه مِمَّا يُرهِبُ العدو، فلا بأس بذلك؛ لأن هذا أفضل النكاية، وفيه منفعة للمسلمين.

والذي قال محمد من هذه الوجوه صحيح لا يجوز غيره....

وإن كان كذلك فلا ينبغي أن يتلف نفسه من غير منفعة عائدة على الدين، ولا على المسلمين». اهـ

قلتُ: فتحصَّل من كلام العلماء حول أثر أبي أيوب أنه يدل على جواز حَمل الرجل

---

(١) **ضعيف**: ضعيف الجامع الصغير (٦٣٥٥)، وضعيف الترمذي (٤٧١) للإمام الألباني -رحمه الله-.

الواحد على عدد من جند العدوِّ المقاتلين إن كان يطمع في نجاة نفسه أو يطمع في إحداث نكاية في العدوِّ، أو في إرهاب العدوِّ مِمَّا يعود بالنفع على المسلمين.

○ **وهذا بلا ريب منتفٍ عن هذه العمليات الانتحارية المعاصرة، لِمَا يلي:**

أولاً: هذا المفجِّر نفسه يحمل على الآمنين لا المقاتلين.

ثانيًا: هذا المفجِّر نفسه لا يطمع في نجاة البتَّة.

ثالثًا: هذا المفجِّر نفسه هو الذي عَجَّل بقتل نفسه بهذه المتفجرات، فلم يقتله العدو، إنما هو الذي قتلَ نفسه، فكيف يُقال: إنه يطمع في نجاة نفسه؟!

رابعًا: هذا التفجير في وسط مجتمع الآمنين من الكفّار يُحدث نكاية نسبية فيهم، وإرهابًا نسبيًّا لهم، لكنه لا يقارن بالتنكيل الذي يَحدث بعده بالمسلمين الآمنين أيضًا، فصار إتلاف نفسه بما لا يعود بمنفعة على الدين ولا على المسلمين.

واستدلال الحويني بما أفتى به الأئمة الأربعة من جواز الانغماس في العدو، استدلال في غير موضعه؛ لأن الانغماس في العدو يفارق هذه العمليات الانتحارية في أن هذا الانغماس في العدو يكون في صف القتال، والحرب قائمة بيننا وبين الكفّار، كما قال شيخ الإسلام : في «قاعدة في الانغماس في العدو، وهل يُباح؟»[1]: «وهذه المسألة هي في الرجل أو الطائفة يُقاتل منهم أكثر من ضعفيهم، إذا كان في قتالهم منفعة للدين، وقد غلب على ظنهم أنهم يُقتلون، كالرجل يحمل وحده على صف الكفّار ويَدخل فيهم، ويسمي العلماء ذلك: الانغماس في العدو؛ فإنه يغيب فيهم كالشيء ينغمس فيه فيما يغمره».

قلت: والعمليات الانتحارية ليست هكذا، فإن الذي يفجِّر نفسه يفعل هذا في صفوف الآمنين من غير المقاتلين، وفي غير صف القتال، فهذا خلاف ما أجازه الأئمة الأربعة.

وهناك صورتان أخريان للانغماس في العدو أشار إليهما شيخ الإسلام بعد كلامه السابق حيث قال:

---

(١) جامع المسائل لشيخ الإسلام (ص٣١١، ٣١٢) (المجموعة الخامسة) (دار عالم الفوائد بمكة).

«وكذلك الرجل يقتل بعض رؤوساء الكُفَّار بين أصحابه، مثل أن يَثِب عليه جهرة إذا اختلسه، ويرى أنه يقتله ويُقتل بعد ذلك.

والرجل ينهزم أصحابه فيقاتل وحده أو هو وطائفة معه العدو، وفي ذلك نكاية في العدو، ولكن يظنون أنهم يقتلون.

فهذا كله جائز عند عامة أهل الإسلام من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم، وليس في ذلك إلا خلاف شاذ، وأما الأئمة المتَّبعون كالشافعي وأحمد وغيرهما فقد نصُّوا على جواز ذلك، وكذلك هو مذهب أبي حنيفة ومالك وغيرهما، ودليل ذلك الكتاب والسنة وإجماع سلف الأئمة». اهـ

قُلْتُ: فصار عندنا ثلاث صور للانغماس في العدو هي التي أجازها عامة أهل العلم، وهي ما يلي:

الصورة الأولى: الرجل يحمل وحده على صف الكفَّار ويَدخل فيهم، فيغيب فيهم كالشيء ينغمس فيه فيما يغمره، وهذا يكون في ساحة القتال والحرب قائمة بين المسلمين والكافرين.

الصورة الثانية: الرجل يقتل أحد رؤوس الكُفَّار، مثل أن يَثِب عليه جهرة إذا اختلسه، ويرى أنه يقتله ويُقتل بعد ذلك.

وهذا أيضًا يكون في صف القتال، أو قد يكون في غير صف القتال، ولكن على أن تكون الحرب سجال بيننا وبين الكافرين، أي أن يكون حدث الالتحام بين الجيشين، وتمايزت الصفوف، ووضحت راية المسلمين، وأن نكون قد أعددنا العدة الكافية التي تمكننا من رد عدوانهم بعد ذلك، وهذا خلاف ما عليه حال أهل فلسطين حيث إنهم لا عدة كافية عندهم ولا عتاد، وليس هناك جيش ممكن ولا راية واضحة يقاتل تحتها، وليس هناك قتال فعلي منهم ضد اليهود، فليس هناك صفٌ للقتال، بل هي مجرد حرب عصابات نحو هذه العمليات الانتحارية.

الصورة الثالثة: السرية من المسلمين تنهزم، فيبقى واحد أو طائفة منها يقاتلون العدو في صف القتال، مع ظنهم أنهم سيقتلون، وأن قتالهم هذا -رغم احتمال قتلهم- سوف يحدث نكاية في العدو.

فهل أيها العقلاء هذه العلميات الانتحارية تدخل في هذه الصور التي سماها العلماء بالانغماس في العدو؟

أم أنها تفارقها مضمونًا ونتيجةً: ابتداء وانتهاءً.

فكما قال الشيخ عبد العزيز الراجحي في إجابته لهذا السؤال:

السؤال: يكثر الكلام حول العمليات الاستشهادية التي تقام في فلسطين وفي غيرها، فما هو حكم هذه العمليات، وجزاكم الله خيرًا؟

الجواب: هذه العمليات، سمعت شيخنا سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- يفتي بأنها انتحار، أنه لا يجوز للإنسان أن يضع على نفسه قنابل ويفجرها، لأن هذا انتحار وقتل.

وكتب بعض الناس كتابات في هذا، وبرروا هذه العمليات، وقال: إنها تشبه ما جاء في بعض الأحاديث أو من فعل الصحابة أن بعض الصحابة يُقْدِمون على الكفار، ويلقي بعضهم بنفسه في جيش الكفار، وكذلك أيضًا يفتح الحصون وحده، ويتعرض للخطر، ولكن هذا ليس بظاهر؛ لأن هذا قياس مع الفارق؛ لأن الصحابة أو الصحابي الذي يلقي بنفسه أو يبرز للكفار، إنما هذا في صف القتال، صف القتال، صف المسلمين، وصف الكفرة، فينفذ فيهم.

أمَّا العمليات الاستشهادية ما فيه صف قتال أمامكم، ما فيه صف، ثم أيضًا الذي ألقى بنفسه ما قتل نفسه، ولا جعل في نفسه شيئًا، ولا عمل شيئًا، ما ضرب نفسه، وما قتل نفسه، وهذا قتل نفسه بفعله، هذا عمل شيئًا يقتل نفسه.

ومِمَّا يدل أيضًا على ذلك ما حصل في غزوة خيبر من أن أخا سلمة بن الأكوع لما بارز رجلاً من اليهود، ارتد عليه ذباب سيفه -طرف سيفه-، فأصاب رجله، بدون اختياره، ارتد إليه سيفه -طرف سيفه- فأصابه، فلما أصابه وتوفي، صار الناس يتحدثون .. صار الصحابة يتحدثون أنه قتل نفسه، فحزن عليه سلمة بن الأكوع، وجاء إلى النبي ﷺ وقال: مالك حزين؟ قال: يا رسول الله، إنهم يقولون -عن أخيه-: إنه قتل نفسه، فقال النبي ﷺ: **«كذب من قال ذلك، إنه لجاهد مجاهد، له الأجر مرتين»**.

فهذا يدل على أن الصحابة أشكل عليهم هذا الأمر، وأنه ارتد عليه ذباب السيف بدون اختياره، فكيف لو كان قتل نفسه باختياره، وفجر نفسه؟! وكل هذا يدل على أنه لا ينبغي للإنسان أن يفجر نفسه، ولا أن يقتل نفسه؛ لأنه يعتبر قاتلاً نفسه، نعم.

ولا يظهر لي الكتابة التي كتبها بعض الناس، رأيت بعض الكتابات، كتب بعض الناس يبررون هذه العمليات، ويرون أنها من الاستشهاد، وأنها من جنس إلقاء بعض الصحابة نفسه في الروم، أو إلقاء ... فتح حصون وما أشبه ذلك، فهي قياس مع الفارق. نعم»[1]. اهـ

وأما قول الحويني: **«ومنهم من قال باستحبابها بل الإمام أحمد في منصوصه في رواية صالح لـمَّا سئل عن واحد وقع في أسر العدو قال: يقاتل، فيقتل أحب إلي من أن يأسر الأسر شديد يقاتل»**.

فهذا القول عن أحمد محمول على ما أخرجه البخاري في صحيحه (٣٠٤٥) من حديث أبي هريرة - وهو من الأدلة التي استشهد بها شيخ الإسلام على جواز الانغماس في العدو-في قصة العشرة الذين بعثهم النبي ﷺ عينًا على الكفّار، وأمّر عليهم عاصم بن ثابت الأنصاري، فغلب عليهم الكُفّار -وكانوا مائة رجل رامٍ، وفي رواية: مائتي رجل- وطلبوا منهم النزول على أن لهم العهد ألاَّ يُقتلوا، فأبى عاصم؛ فرموهم بالنبل فقتلوا عاصمًا في سبعة، وبقي ثلاثة نفر منهم خبيب... إلخ القصة المعروفة؛ فهؤلاء العشرة لم يخرجوا هكذا بمفردهم -عصابات دون إذن أمير ولا راية- إنما خرجوا بإذن رسول الله ﷺ، وقد انغمسوا في العدو، وأبوا أن يسلموا أنفسهم كأسرى إلى الكافرين، محاولين إحداث النكاية فيهم رغم أنهم عشرة أنفس أمام مائة أو مائتين، فهذا هو الذي يتنزل عليه قول أحمد.

هل هذا يقاس على رجل -ذهب ليفجر نفسه ابتداء- وقد علم أنه سيموت يقينًا من أجل أن يقتل ناسًا من الآمنين غير المقاتلين، ودون أن يحدث النكاية المطلوبة في العدو، بل النكاية تكون في المسلمين؟!

وأما قول الحويني: **«الذي شاف أبوه يتفتح بطنه، وأمه يتفتح كرشها وابنه بيتحط تحت**

---

(١) المصدر: «من شرح كتاب الشرح والإبانة، حديث لا يزال العبد مستورًا حتى يرى قبيحه حسنًا» موقع الشيخ الرسمي على الإنترنت.

الدبابة هما عارفين ظروفهم...»، هذه إحدى مجازفات الحويني التي صارت سمة بارزة في دعوته وفتاويه، فصار يبني أحكامه على عواطف هوجاء غير منضبطة بضوابط الشرع ولا العقل.

فهذا الذي رأى أباه يفتح بطنة، وأمه تقتل، وابنه يوضع تحت الدبابة، ما الحل الأمثل له؛ كي يثأر لهؤلاء؟

هل الحل الأمثل أن يندفع بعاطفة هوجاء ليقتل نفسه مع مجموعة من الكافرين الغير مقاتلين -وفيهم نساء وأطفال وعجائز مِمَّن نهى الرسول ﷺ عن قتلهم إلا إذا كانوا يقاتلون-؛ كي يأخذ ثأره؟ وهل هذا يرضي الله سبحانه؟ وهل أفتى بهذا عالم واحد تعتبر فتواه على مر السنين؟

أم أن الحل الأمثل لمثل هذا أن يحتسب عند الله مصيبته، ثم يأخذ بأسباب النصر الحقيقية الشرعية -لا الوهمية الحماسية- من إصلاح المعتقد والعمل، مع إعداد العدة الكافية، حتى يضع لبنة في جيش مسلم قوي يتمكن -ولو بعد حين- من إعلاء كلمة الله، مع أخذ الثأر لهؤلاء الذين أهدرت دماؤهم ظلمًا من الآباء والأمهات والأبناء؟!

وكما قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: «ما يتغير المجتمع الإسلامي إلا بالتصفية والتربية، هؤلاء الذين ينتحرون الله أعلم بعقيدتهم، الله أعلم بعبادتهم، قد يكون فيهم من لا يصلي، قد يكون شيوعيًّا...».

وسئل الشيخ الألباني -رحمه الله-: اليوم أهلنا في فلسطين في حال صراع مستمر مع اليهود فهل يجوز شرعًا إذا أمسك أحد أهلنا بيهودي هل يجوز أن يقتله؟

ج: يقتله هنا ولا هناك؛ هناك؛ يا أخي أنتم ما عم بتشوفوا أنه لا يقتل يهودي إلا ويقتل مقابله عديد من المسلمين، ما رأيتم هل القتلى من المسلمين أكثر ولا من اليهود.

س: هو من المسلمين لكن لا بد من الشغلات هذه حتى نوقع في قلوبهم الرعب.

ج: لا، لابد مش هكذا.

أوردها سعد، وسعد مشتمل ما هكذا يا سعد تورد الإبل.

تصور هل أنت لو بقي الحال هكذا شو بتكون النتيجة المسلمين عم بيتفرجوا والفلسطينيين عم يذبحون شو بتكون النتيجة؟ يقتل يهودي ويقتل مقابله عشرة ويسجن الألوف شو بتكون النتيجة بيكون انتصار عن اليهود مو هذا هو الطريق، الحقيقة أن المسلمين الآن أخطأوا طريق الجهاد، الجهاد يبدأ بجهاد النفس كما قال عليه الصلاة والسلام: «المجاهد من جاهد هواه لله»، لا أقول الحديث المشهور على ألسنة الناس رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر، هذا حديث ضعيف، ولكن يغني عنه الحديث الصحيح وهو قوله -عليه الصلاة والسلام-: **«المجاهد من جاهد نفسه لله»**. اهـ

وسئل العلامة عبيد الجابري -حفظه الله-: ماحكم العمليات الانتحارية التي يقوم بها بعض المقاتلين اليوم؟

أجاب فضيلة الشيخ -حفظه الله-: «اسمٌ على مُسمًى، انتحارية وإن سمّاها بعضهم استشهادية فهي قتلٌ للنفس أولاً، وقد جاءت النصوص المستفيضة الصحيحة عن النبي ﷺ أن قاتل نفسه في النار بشكل عام.

الأمر الثاني: ليس فيها نِكاية للعدو، بل فيها تهييج وتحريض و-يعني- تحريش العدو، وتحريك لِمَا كان يخفيه من قوته على أهل الاسلام.

الأمر الثالث: على أرضية الواقع كما يقولون ماذا صنعت العمليات هذه في فلسطين ضد إسرائيل؟ هذا المنتحر أو المستشهد كما يُسمونه يُفجّر نفسه وسيارة ويُخرّب منشآت محدودة كمحطة محروقات أو محطة سكة حديدية أو متاجر، وقد يقتل أشخاصًا ويجرح آخرين، لكن ماذا تصنع إسرائيل؟ إسرائيل تُدَمِّر جرّاء ذلك الأخضر واليابس، وتُدَمِّر قرى وتُداهم بيوتًا، والله أعلم ماذا يحصل جرّاء هذه المداهمات الكافرة من سلبٍ ونهبٍ وانتهاك أعراض، والواجب على المجاهد أن يسعى في حماية بيضة الإسلام، وأن يتجنب كل ما كان فيه مهلكة للإسلام وأهله، لكن هؤلاء جُهّال ولم يجدوا راية قوية تحكمهم وتُحسن سياستهم ويُعلموهم الجهاد الصحيح بالرجوع إلى أهل العلم وإنما هي نعرات وأحزاب، كل حزب يُجَرِّب قوته، ويستعرض عضلاته.

وقبل يوم أو يومين سمعت في الأخبار نقلاً عن بعض قوات منظمة جهادية في

فلسطين كما يقولون أنها أوقفت أو قررت وقف العمليات الاستشهادية -كما يُؤولون الأمر- وهي في الحقيقة انتحارية.

وفي هذا يستبين أنها ليست من السنة في شيء وليست من الجهاد الحق الشرعي في شيء بل هي عملٌ أرعن، أهوج يُضر بالإسلام وأهله، ويفسد ولا يصلح. نعم». اهـ

أقول: إن هؤلاء الدعاة -نحو الحويني- يحتاجون إلى أن يصدقوا مع الله، ثم يصدقوا مع أنفسهم، وأن يعترفوا بما جرُّوه على المسلمين من ويلات بسبب فتاويهم الغير منضبطة بالضوابط الشرعية، مِمَّا دفع المسلمين إلى الوراء أكثر وأكثر، وجعل الدائرة على المسلمين.

واعلموا -رحمكم الله- أن حال المسلمين في فلسطين ليس أسوأ من حال المسلمين الأوائل في مكة، لمَّا كانوا يعذَّبون بأنكى أنواع التعذيب في رمضاء مكة، وهذا عمَّار بن ياسر -رضي الله عنه-، قُتل أبوه وقُتِلت أمه سُمَيّة، وعُذِّب حتى أكره على النطق بكلمة الكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان، ولمَّا أتى النبي ﷺ يشتكي إليه، ماذا كان ردُّه ﷺ؟ هل غلبت عليه العاطفة العمياء التي غلبت على الحويني حتى أباح لمثل من كان في حال ياسر أن يقتل نفسه ويقتل غيره من الكافرين المستأمنين دون أن ينظر في عواقب الأمور؟ أم أنه ﷺ -وهو أشجع البشر- قال هذه الكلمة العظيمة -والتي لو قال مثلها بعض أهل العلم لرماهم الحزبيون بالعمالة والإرجاء-: «**صبرًا آل ياسر، فإن موعدكم الجنَّة**»[1].

---

(١) حسن لشواهده: أخرجه الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٨٨)، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٨٢)، قال: ثنا إبراهيم بن عصمة العدل، ثنا السَّريُّ بن خُزيمة، ثنا مسلم بن إبراهيم، ثنا هشام بن أبي عبد الله، عن أبي الزبير، عن جابر، أن رسول الله ﷺ مرَّ بعمَّار وأهله، وهم يُعذَّبون، فقال: .... وذكره.. ، وتابع ابن عصمة: إبراهيم بن عبد العزيز، عند أبي نُعيم في معرفة الصحابة (١٩/ ٣٤٤)، والطبراني في الأوسط (١٥٠٨).

قلتُ: إبراهيم بن عصمة محدِّث نيسابور، قال عنه الحاكم في تاريخ نيسابور (١٥٩): «أدركته وقد شاخ... وكانت أصوله صحاحًا، وسماعاته صحيحة، فوقع إليه بعضُ الورَّاقين، فزاد فيه أشياء قد برَّأ الله أبا إسحاق منها». ونقله الذهبي في تاريخ الإسلام (وفيات ٣٣١- ٣٥٠هـ)، (ص٢٦٠)، وزاد: «ولم يكن الحديث من شأن إبراهيم»، وقال الذهبي في الميزان: «أدخلوا في كتبه أحاديث، وهو في نفسه صادق»، وانظر اللسان للحافظ (١/ ٨٠)، وأمَّا إبراهيم بن عبد العزيز، فهو مجهول.
=

وأنا أسأل الحويني: هل هذا الرجل الذي يريد أن ينتقم لنفسه، ولمن قتل من ذويه هل قيامه بتفجير نفسه يعتبر في سبيل إعلاء كلمة الله؟

نترك الإجابة للشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-، حيث سئل كما في [لقاء الباب المفتوح شريط رقم ١٢٥]:

السائل: **ماذا تقول في العمليات الانتحارية في فلسطين؟ هل هم شهداء؟**

فأجاب -رحمه الله-: «هذه سبق الجواب عليها، وقلنا: إن هذا الذي يفعل ذلك قد قَتَل نفسه، وأنه مُعذَّب بما قتل به نفسه في نار جهنَّم خالدًا فيها مخلدًا، كما ثبت ذلك عن النبي -عليه الصلاة والسلام-، وأن هذا حرام عليه، لأن الله قال: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾، لكن هؤلاء الجهال الذين فعلوا ما فعلوا إذا كانوا جاهلين ويظنون أن هذا يقربهم إلى الله -عز وجل-، فإني أرجو ألا يُعذَّبوا بهذا العذاب، لكن ليس لهم أجر، لأن ما فعلوه إثمًا لو تعمدوا ذلك، لكن هم متأولون، فيُعفى عنهم.

ثم إننا لا نتدخل في النيات، هل هذا لأجل أن تكون كلمة الله هي العليا، أو انتقامًا لأنفسهم فقط؟ ما ندري! هذا شيء علمه عند الله، لكن يجب أن نعلم .. أن نلاحظ الفرق بين من يقاتل العدو انتقامًا، وبين من يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا، مَن الذي في سبيل

=

وقد خالفه ابن سعد، فرواه في الطبقات (٣/ ١٣٢)، عن أبي الزبير مرسلاً، وابن سعد بلا ريب أثبت من ابن عصمة، فروايته هي المحفوظة، لكن للحديث شواهد يحسّن بها:

الأول: أخرجه ابن سعد (٣/ ٣٢)، (٤/ ٣٨٦) بسند صحيح عن يوسف بن ماهك مرسلاً.

الثاني: أخرجه الحاكم (٣/ ٣٨٣)، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٥٩) من طريق أحمد بن عبد الجبار العطاردي عن يونس بن بُكير، عن ابن إسحاق مرسلاً، وأحمد، قال عنه الحافظ في التقريب: ضعيف، وسماعه للسيرة صحيح.

الثالث: أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/ ٣٠٣)، من حديث عثمان بن عفان -رضي الله عنه-، وفي إسناده: سليمان بن قَرْم، ضعيف غال في التشيع، وعبد الرحمن بن أبي الزناد، وفيه مقال مشهور، قال ابن المديني: ما حدَّث بالمدينة فهو صحيح، وما حدَّث ببغداد أفسده البغداديون، كما في سؤالات عثمان بن أبي شيبة له، وفي الجملة الحديث حسن لهذه الشواهد.

الله؟ نعم؟ مَن قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، **أما مَن قاتل انتقامًا لنفسه من قوم اعتدوا عليه فهذا لا يكون مقاتلاً في سبيل الله.**

لذلك يجب علينا أن نتعقل لئلا يفوتنا النصر، فإن فوات النصر للأمة الإسلامية التي تبلغ ملايين الملايين على طغاة من اليهود أو الوثنيين أو غيرهم أسبابها أنهم ما مشوا على ما ينبغي[1]، أولاً: المعاصي عندهم كثير، والإهمال كثير، وتجد الواحد منهم يذهب -مثلاً- يقاتل العدو لكنه لا يصلي، هو نفسه لا يصلي! فلا بد أن نجاهد أنفسنا قبل كل شيء، ونصحح مسيرتنا إلى الله -عز وجل- قبل أن نقاتل، أن نحاول تصحيح مسيرة غيرنا.

على كل حال، الجواب باختصار: أن الانتحار حرام، وأن من فعله فقد قتل نفسه، وعَرَّض نفسه للعقوبة العظيمة أنه يعذب بما قتل به نفسه في نار جهنم خالدًا فيها مخلدًا، لكن من فعله عن جهل أو تأويل فإننا نرجو من الله -سبحانه وتعالى- ألا يلحقه هذا العقاب». اهـ

ووصف الشيخ صالح بن فوزان الفوزان -عضو هيئة كبار العلماء واللجنة الدائمة للإفتاء- في صحيفة عكاظ (عدد ٢٨٧٦) (الخميس ١٤٣٠/٤/٢٧) (٢٣ أبريل ٢٠٠٩): «مَن يدَّعون الجهاد في سبيل الله بقتل أنفسهم بأنهم منتحرون ومجاهدون في سبيل الشيطان.

وقال: إن الذين وقعوا في هذه الفتنة لم يسألوا العلماء ولم يتعلموا منهم وإنما انعزلوا عن المسلمين وخلوا إلى أناس من طواغيت البشر فعمدوا إلى غسل أدمغتهم فخرجوا على الناس في هذه الظاهرة، يكفِّرون المسلمين ويقتلونهم وينسفون المباني ويفجرون ويقتلون الصغير والكبير والذكر والأنثى والمسلم والمعاهد والذمي والمستأمن بسبب هذا الفكر المنحرف، وهذه عاقبة من مال إلى أهل الشر والدعاة الذين أخبر عنهم الرسول ﷺ حينما سئل عن فتن آخر الزمان التي أخبر عنها فقال: «دُعاة على أبواب جهنم مَن أجابهم إليها قذفوه فيها».

وهذا هو الواقع الآن ويصدق قول الرسول ﷺ فهؤلاء حينما انحازوا إلى دعاة الضلال قذفوهم فيها، والكل يشمت فيهم ويبغض فعلهم حتى الكفار، فضلاً عن المسلمين، ولا أحد يرضى فعلهم إلا من هو مثلهم وعلى شاكلتهم.

---

(١) قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «أهملوا العقيدة والمنهج إلاَّ قليلاً».

مبينًا أن هذه فتنة عظيمة يجب على المسلم أن يتبصر فيها وألا يستعجل ويسأل أهل العلم ويسأل الله العافية، ولا يثق في الناس دون معرفة حقيقتهم واستقامتهم على الحق حتى ولو تظاهروا بالخير أو بالعبادة والغيرة على الإسلام.

أما من تظاهر بالحق والخير وهو مجهول، فنحن لا نستعجل في أمره ولا نمنحه الثقة حتى نعرف حقيقته وسلوكه وسيرته فما حصل ذلك إلا بسبب إحسان الظن من غير بصيرة وسؤال لأهل العلم والعقل والمشورة، لذلك وقعت هذه الشرذمة فيما وقعت فيه نتيجة لهذا التسرع والجهل ومخالطة الأشرار والثقة بهم والركون إليهم والبعد عن المسلمين وعلمائهم.

لقد ابتعدوا عن الدراسة في المدارس وعند العلماء فوقعوا فيما وقعوا فيه، كما ابتعدوا عن أهاليهم وبيوتهم.

فالواجب على شباب المسلمين الاتعاظ بهم، فالسعيد من اتعظ بغيره، ويجب علينا أن نجعل من هذه الأحداث عبرة لنا وأن نلزم حدنا، ونلزم جماعة المسلمين وإمامهم ولا نشذ عنه إلى غيرهم. اهـ

قلت: وعليه فإنه يتلخص لنا مِمَّا سبق أن العمليات الانتحارية -التي اتفق أئمة العصر المشهود لهم بالعلم على تحريمها- تفارق الانغماس في العدو -الذي أجازه عامة أهل العلم- فيما يلي:

أولاً: الانغماس في العدو يكون في صف القتال عند وقوع الالتحام بين جيش المسلمين وجيش الكفَّار، أمَّا العمليات الانتحارية لا تكون في ساحة القتال، إنما تقع في وسط تجمعات من الآمنين غيلة وفتكًا بهم، وفي الغالب تحتوي هذه التجمعات على شيوخ وعجائز وأطفال ونساء -وهم ليسوا من المحاربين-.

ثانيًا: المنغمس في العدو في صف القتال يغلب على ظنه أنه قد يقتل، لكن هناك احتمالات للنجاة، بخلاف الذي يفجر نفسه في العمليات الانتحارية فإنه يقتل حتمًا، ولا احتمال لنجاته.

ثالثًا: الانغماس في العدو أجازه العلماء لإحداث نكاية في العدو، أو فتح ثغرة فيهم،

أو للتعجيل بنصر محقَّق للمسلمين لا يتم إلا بهذا الانغماس، أو دفع شرٍّ عظيم عنهم لا يدفع إلا بهذا الانغماس.

أما العمليات الانتحارية فإنها في الغالب الأعم لا تحدث النكاية المطلوبة في العدو، إنما تزيد العدو بطشًا بالمسلمين، وتسوّغ له التنكيل بهم دون وجود أدنى قدرة للمسلمين على دفع هذا البطش وهذا التنكيل، وكذلك هذه العمليات -كما هو مشاهد- لا تفتح ثغرة في العدو، ولا تعجّل بالنصر، ولا تدفع شرًّا بل تجلب شرورًا على المسلمين.

وصدق الشيخ عبد الحميد العربي -جزاه الله خيرًا- لَمَّا قال كما في كتابه «دعوة إلى الحكمة والتعقل» (حاشية ص١١، ١٢): «إنّ بعض المغرَّر بهم قد يكون له ماضٍ قاتمٌ بالمعاصي، اقترف جميع أنواع الآثام، فإذا استقام، واتضحت له سبيل أهل الحقّ يأتيه رؤوس أهل الضلال، ويقولون له: إنّ توبتك وحدها لا تنفعك بمقابل ماضيك الأسود، حتى ولو أنّك حجّجت وصمت الدهر وقمت الليل تبقى بحاجة إلى عمل آخر يطهرك من ذنوبك المتراكمة، ولا نجد لك أفضل من الجهاد، فإن ذنوبك تغفر عند أول قطرة تهرق من دمك، فموت الشهيد أيسر من كل ميتة، وهي أفضل الميتات، وإذا أردت أن تختزل الوقت، وتحصل على أعلى وسام في التوبة قبل أن يأتي أجلك فتموت جيفة، فتأمم إزهاق نفسك في سبيل الله! بتفجيرها بحزام ناسف في قلب دعاة الكفر والإباحية، وبهذا الأسلوب الذي ألبس فيه الحق بالباطل، والصدق بالكذب يتمكن رؤوس أهل الضلال ومن يؤزهم أزًّا من السيطرة على عقل المغرَّر به، وإدخاله إلى عالم الخيال والوسوسة والهواجس، ولا يمكن لهذا المسكين بحال إلا أن يشاء الله أن يستفيق من هذا الهوس، وأن يتخلص من هذه الهداريس والدّهاريس وهو طارح عقله وقلبه بين يدي دعاة أهل البدع يزرعون فيهما كلّ فاسد ومطروح.

توبة شبيهة بتوبة الله على بني إسرائيل -يا من غرّر بهم-، الذين أمرنا خالقنا ومولانا بمخالفتهم في الصغيرة والكبيرة». اهـ

قلت: والإفتاء بحرمة هذه العمليات، ووجوب الرجوع إلى العلماء في معرفة حكمها هو ما انتهى إليه شيخ الطائفة الحماسية ومؤسسها أحمد ياسين حيث بيَّن في تصريح له قبل مقتله نشرته مجلة الفرقان (العدد ٩١ - رجب ١٤١٨هـ - نوفمبر ١٩٩٧م) حول حرمة

قتل أطفال اليهود ونسائهم العزل؛ لأنه يرى حماس مضطرة إلى ذلك، ويبدو أن حماس بحاجة إلى دراسة ومراجعة لمدى مشروعية مثل تلك الأفعال وضرورة سؤال أهل العلم في هذه القضية الخطيرة.

وقال: إن استفزاز العدو اليهودي بقتل أطفاله ونسائه يستعدي علينا في وقت لا نستطيع صدهم، وفي حين تبدو حماس والسلطة الفلسطينية غير قادرة على حماية أهل فلسطين من ردود أفعال اليهود حيال تلك العمليات.

كما أن اليهود يستغلون تلك العمليات أسوأ استغلال لا سيما في وسائل الإعلام المختلفة، حيث ينسبون إلى المسلمين العنف والإرهاب ويصوِّرون الفلسطينيين على أنهم يعشقون القتل بوحشية لهؤلاء الأطفال والنساء العزل، وهكذا نجد أن مثل هذه العمليات تعود سلبًا على شعب فلسطين، وتكون ذريعة لحملات الاعتقال العشوائية والتعذيب الذي يتعرض له أبناء فلسطين على أيدي اليهود.

فسئل: هل من مخرج آخر؟

فأجاب: قال تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ المشكلة التي تواجهها الأمة هي فقدان الهوية، ثم سوء الثقة والخوف من بعضها البعض -واحتلال العراق للكويت عام ٩٠ خير شاهد- فما لم تحدد الأمة هويتها وتربي أجيالها عليها، ثم تبحث بحثًا جادًا في إزالة أسباب التوتر وانعدام الثقة، فلن نخرج من هذه الأزمة التي لا تعصف بالدول المحيطة بدولة اليهود فقط وإنما تعصف بعامة الدول العربية والإسلامية.

فإن السبب الرئيسي لهزيمتنا أمام اليهود هو من عند أنفسنا وليس من الولايات المتحدة أو اليهود، وأما انتظار تدخل راعيي المفاوضات: (الولايات المتحدة وروسيا) لتحريك المفاوضات فهو نوع من التخدير للنفس لا غير». اهـ

قلت: وشهد شاهد من أهلها، وبهذا يكون شيخ حماس ومؤسسها -بعد عمر طويل قضى بعضه في السجون- ينتهي إلى ما أفتى به العلماء من قبل، وقد سبق نقل تراجعه أيضًا إلى فتوى العلماء القاضية بمشروعية الصلح مع اليهود، وأنه هو الذي ينبغي المصير إليه في هذا الوقت نظرًا لضعف المسلمين وعدم قدرتهم على إجراء الجهاد الهجومي ضد اليهود.

فهل يتعظ الحويني، ولا يركب موجة العاطفة الكاذبة التي أغرقت فئامًا من الأمة بلا صريخ؟!

فهذا الشيخ الذي كبُر سنُّه ووهن عظمه في هذه الفتن، لم يجد مناصًا في نهاية أمره إلا التسليم لكلام العلماء الأكابر، ويا ليته قبِل هذا من قبل.

وما أشبه تراجع أحمد ياسين بتراجع بعض علماء الكلام نحو الجويني وغيره عن دغل علم الكلام لَمَّا اكتشفوا عظيم ضرره، فهل يتدارك الحويني أمره، أم ينتظر أن يصيبه ما أصاب أحمد ياسين، ثم -في النهاية- تكون أيضًا الأوبة إلى تأصيل هؤلاء الأكابر، إذا أراد الله به خيرًا، لكن بعد أن يكون ضيَّع بفتاويه الباطلة فئامًا من الأمة، وتزيد التبعة على ظهره، أفلا يتدبر ويعقل ويتواضع للحقِّ؟!!

المثال الثالث: الحويني يطعن في العلماء الذين أفتوا بعدم مقاطعة منتجات الدول الكافرة:

وفي موضع آخر يستنكر الحويني فتوى العلماء الخاصة بعدم إقرار القائلين بوجوب مقاطعة منتجات الدول الكافرة، حيث قال في محاضرة «كيف تنصر نبيك»: «الذين يتكلمون الآن عن الحوار وأنا أتابع هذا الزخم الذي أسمعه في الإعلام يقولون: نحن نعترض على المقاطعة، وهذا أسلوب همجي. الذي يقول هذا الكلام أناس ينسبون إلى التنظير الإسلامي يقولون هذا أسلوب همجي، الأسلوب العاقل أن نجلس على طاولة المفاوضات، ونسألهم لماذا تسبون النبي؟! ونخبرهم أنه كان يعلِّم الصحابة ويؤدبهم وأخرجهم من الظلمات إلى النور، وهكذا الحوار يكون فيه تمدن يكون فيه حضارة.

يسب النبي -عليه الصلاة والسلام- ومطلوب منا أن نبقى في منتهى الهدوء ونجلس ونتناول المشروبات وهكذا». اهـ

***

قلت: وماذا أنتَ صانع مع هذا العدو الكافر انتصارًا لنبيِّك ﷺ، وقد خالفت فئام من الأمة سُنَّة نبيِّك ﷺ اتباعًا لشهوة أو شبهة، ووقع بعضهم في الشرك الأكبر وأسبابه المؤدية إليه، والبعضُ الآخر في البدع والمحدثات، وتفرَّقوا إلى أحزاب وطُرق مبتدعة، وناقض

بعض دعاتِهم منهج السلف الصالح في بعض أصوله، وتهكموا بعلمائهم، واتّهموهم بالأباطيل، نحو أنهم علماء حيض ونفاس لا يفقهون الواقع، وأنّهم علماء سلطان ... إلخ؟!!.

ولكن هكذا دأب الحويني يتحدّث في النوازل المدلهمة -نحو مسألة المقاطعة- بعاطفة السياسيين بعيدًا عن المنهج العلمي الذي عليه العلماء، وكذلك قلّما تجده يعزو إلى فتوى عالم من أكابر علماء السنة المعاصرين في هذه النوازل؛ لأنه يرى نفسه مستقِلاً بالفتوى، وأنه رأس في الفتوى.

المثال الرابع: الحويني يتهكم بالعلماء الذين حذّروا من ضلالات سيد قطب:

وفي موضع رابع يتهكم بالعلماء الذين حذّروا من بعض ضلالات سيد قطب، ويعتبر تحذيرهم من سيد تربصًا به[1] ومحاولة منهم لتخطئته بأي طريقة، وهذه هي شنشنة القطبيين.

قال الحويني: «فمثلاً اتهمه الجماعة إلّي هم يشدون الحبل على سيد قطب، بأن سيد قطب يقول: بخلق القران أنا أجزم أن هذا ما خطر على بال سيد قطب أبدًا[2]... كلمة زلّ بها قلمه -بيطنطط بالقلم بتاعه- فكتب العبارة الآتية قال: «أما القرآن فهو من صنع الله»، والصنع دي معناها الخلق خلاص.

قال: يبقى من صنع الله يبقى يقول إن القرآن مخلوق تمام؟ أبدًا هو مش عايز يقول كده هو عايز، يقول: هو من عند الله خلاص، عايز يقول كده فخانه قلمه الأدبي فشطح في مواضع كده....».

قلت: إن كنت صادقًا فيما تدعيه، فهات كل المواضع التي صرح فيها سيد باعتقاده

---

(١) قال شيخنا حسن بن عبد الوهاب -نفع الله بعلمه-: «هذا من شغفه وحبه لسيد قطب -رحمه الله- وأن حبه قد وصل إلى قلب الحويني (هداه الله).

ورأس الأمر -والله أعلم- أن سيد قطب كان هو الشخصية التي قامت بالوقوف في وجه أولي الأمر وتحديهم وجرّأت عليهم الشعب خصوصًا فئة الشباب المتحمسين، وهذا المبدأ من دين الخوارج وأهل السُّنة ينصحون للحاكم والمحكوم ولا ينزعون يدًا من طاعة». اهـ

(٢) وهلاّ شققت عن قلبه؟!.

في كلام الله، حتى نرى هل يصدق اعتذارك هذا عن سيد المقرون بإظهار أكابر علماء السنة في صورة الغلاة الذين يسعون لتخطئة سيد بأي وسيلة مهما كانت؟!!

أما الإجمال والتمويه فهذان يحسنهما كُلُّ مخادع.

تدّبر معي -رعاك الله- بروية كلام سيد الذي قاله في كتابه «السلام العالمي والإسلام» (ص١٥): «... ولا تعدد في الطريقة التي يصدر بها هذا الكون كله عن الخالق الواحد، إنَّها مجرد الإرادة التي يعبر عنها القرآن بكلمة «كن» وتوجه هذه الإرادة كاف وحده لصدور الكون عنها». اهـ

وقارن هذا الكلام بكلام الجهمية الذي نقله الإمام أحمد -رحمه الله- في معرض ردّه عليهم في كتابه «الرد على الجهمية والزنادقة فيما شكوا فيه من متاشبه القرآن وتأولوه على غير تأويله» (ص١٠٨- بتحقيقي) حيث قال -رحمه الله-: «وقلنا لهم -أي للجهمية-: زعمتم أن الله لَم يتكلم فبأي شيء خلق الله الخلق، أموجود عن الله -تبارك وتعالى- أنه خلق الخلق بقوله وبكلامه حين قال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]، فقالوا: إنَّما معنى قوله: إنَّما قلنا لشيء إذا أردناه يكون...». اهـ

قلت: هكذا جعلت الجهمية قول الله هو إرادته، وهو عين كلام سيد السابق، ويزداد الأمر وضوحًا بكلامه التالي في تفسيره قوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١١، ١٢]. وذلك في ظلاله -ولا أقول ظلال القرآن- فقال: «نودي بهذا البناء للمجهول، فما يمكن تحديد مصدر النداء، ولا اتجاهه ولا تعيين صورته ولا كيفيته، ولا كيف سمعه موسى أو تلقاه، نودي بطريقة ما، فتلقى بطريقة ما، فذلك من أمر الله الذي نؤمن بوقوعه، ولا نسأل عن كيفيته لأن كيفيته وراء مدارك البشر وتصورات الإنسان». اهـ

قلت: ألَم يقل الله سبحانه في الآية نفسها بيانًا للمنادي ﴿إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ فبيّن سبحانه أنه هو الذي نادى موسى، وقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى﴾ ألَم يكن يذكر سيد هذه الآية خلال كلامه السابق، وهو يدّعي أن المنادي لموسى مجهول، ولا يعرف مصدره ولا اتجاهه، لكنه نودي بطريقة ما لَم يعرفها سيد، رغم أن الله صرّح بها تصريحًا واضحًا كوضوح الشمس الساطعة!! ولكنه التأويل الباطل والرأي الفاسد الذي سيطر على سيد كما

سيطر على الجهمية والأشاعرة، وسيد منهم بلا شك ولا ريب، وكلامه مطابق لكلامهم لا يخرج عنه قيد أنملة، ولا يقولن قائل: إن سيداً في كلامه السابق، إنَّما ينفي التدخل في الكيفية التي تكلم بها الله فحسب، وليس مقصوده تعطيل صفة الكلام.

فأقول: إنَّما هو ينفي صفة الكلام ولا يقر بأن الله هو الذي نادى موسى بصوته، بدليل قوله عن الطريقة التي نودي بها موسى -والتي هي مجهولة عنده-إنَّها من آمر الله- أي إرادته، وهذا هو عين كلامه السابق، وهو عين كلام الجهمية، بل تسميته تفسيره بـ«ظلال القرآن» ليدل بلا ريب أنه لا يقول بقول السلف: إن القرآن كلام الله ليس بمخلوق، فإن الظلال لا تنتج عن صفة من صفات الله، وإنَّما تنتج من مخلوق.

وقال أبو داود في مسائله للإمام أحمد (ص٣٦٢) «طبعة مكتبة ابن تيمية» مسألة (١٧٤٤) سمعت إسحاق بن إبراهيم بن راهويه يقول: من قال: «لا أقول القرآن مخلوق ولا غير مخلوق» فهو جهمي، وقال -رحمه الله- في المسألة رقم (١٧٤٦): سمعت قتيبة بن سعيد قيل له: الواقفة؟ فقال: هؤلاء -يعني الواقفة- شرٌّ منهم، يعني مِمَّن قال: القرآن مخلوق. وقال أيضًا (١٧٤٧) وسمعت عثمان بن أبي شيبة قال: «هؤلاء الذين يقولون: كلام الله، ويسكتون شر من هؤلاء -يعني: ممن قال: القرآن مخلوق».

قلت: فهذان اثنان من أئمة السلف يرون أن الواقفة أكثر فرق الجهمية شراً، وقد خالف الواقفة نحو من ألف إمام كما قال الذهبي في السير، ولَم نسمع أو نقرأ أن أحدًا من الأئمة قد قال فيمن يبدع الواقفة: إن هذا من الغلو أو من عدم إحسان الظن بهذا الواقف، أو أخذ يعتذر بأعذار واهية لهذا الواقف.

فيقول: لعلَّه نسي أن يذكر «غير مخلوق» أو قال مثلما قال الحويني مدافعًا عن سيد قطب: «اتهمه الجماعة إلِّي هم يشدون الحبل على سيد قطب، بأن سيد قطب يقول: بخلق القران أنا أجزم أن هذا ما خطر على بال سيد قطب أبدًا ...كلمة زلَّ بها قلمه -بيطنطط بالقلم بتاعه- فكتب العبارة الآتية قال: «أما القرآن فهو من صنع الله».

فهل أحمد ومن معه من فحول الأئمة شدوا الحبل على الواقفة لَمَّا بدَّعوهم رغم أن منهم علماء كبار نحو يعقوب بن شيبة؟

فكيف إذا عاش سيد قطب في عصر هؤلاء الأئمة ومنهم الإمام أحمد وسمعوا قوله: «إن القرآن صنع الله»، أو تسميته تفسير كتاب الله بـ«ظلال القرآن»؟! كيف يكون حكمهم عليه؟ هل تشكون لحظة يا إخواني المنصفين في أن الإمام أحمد ومعه سائر هؤلاء الأئمة كانوا سيقولون: إن سيد قطب جهمي، وإنه: مبتدع صاحب هوى.

وهنا لا يكون للحويني وأمثاله وزن ولا صوت مع هؤلاء الأئمة الفحول الذين حملوا الأمانة، وكانوا بحق أَمَنَة لهذه الأمة[1].

فاتقِ الله يا حويني واترك هذا المنهج السياسي الإخواني الذي ضرَّك وما نفع الأمة!!

ثم استمر الحويني في الدفاع المبطن عن سيد قطب والطعن المبطن في العلماء الذين حذَّروا منه، حيث قال: «حاول أنه -أي سيد قطب- يسلك بعض عبارات الصوفية والكلام ده فأوقعته في مزالق حتى أن بعض الناس[2] كذلك اتهمه بأنه يرى عقيدة الحلول والاتحاد كمان!!! لأن له عبارات في سورة الحديد و في سورة الإخلاص - قل هو الله أحد- برضه إيه ممكن أي بنى آدم عايز (يتلككله هيتلكك له!!) وهو مستريح يعنى وهيطلعله العبارة دى هيه، ويرميه بها على طول».

قلت: ما أشبه طريقة الحويني في طعنه في العلماء الذين أدانوا سيد بالقول بخلق القرآن ووحدة الوجود، بطريقة نصر المنبجي مع شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث بلغ نصر المنبجي أن ابن تيمية يقع في ابن العربي، ويتهمه بالحلول والاتحاد، وكان نصر يعتقد استقامة ابن العربي، وان الذي يُنسب إليه من الاتحاد أو الإلحاد من قصور فهم مَن يُنكر عليه، كما قال الحافظ في «الدرر الكامنة» (١/١٦٤)، ثم كتب -أي: ابن تيمية- إليه -إلى نصر- كتابًا طويلاً، ونسبه وأصحابه إلى الاتحاد الذي هو حقيقة الإلحاد، فعظُم ذلك عليهم،

---

(١) قال شيخنا حسن بن عبد الوهاب -نفع الله بعلمه-: «لقد استعرض أهل العلم السلفيون عقائد سيد قطب من كتبه وقرروا أنه كان يجهل أصول أهل السُّنة، إذن فليس بغريب عليه أن يكتب هذه الكتابات المناهضة لعقيدة ومنهج الفرقة الناجية».

(٢) ألا تسمي هؤلاء الناس؟! لماذا أبهمتهم كأنهم نكرة لا وزنَ لهم؟! أليس من هؤلاء الناس إمام السُّنة وحسنة الأيام الألباني -رحمه الله- الذي تتشدق بمحبتكَ له؟!.

وأعانهم عليه قومُ آخرون، ضبطوا عليه كلمات في العقائد مغيرة، وقعت منه في مواعيده (مواعظه) وفتاويه، فذكروا أنه ذكر حديث النزول، فنزل عن المنبر درجتين (كذا) فقال: كنزولي هذا، فنُسِب إلى التجسيم».

قلتُ: والشاهد أن نصر المنبجي اعتبر اتِّهام شيخ الإسلام لابن العربي بوقوعه في بدعة الاتحاد ووحدة الوجود تجنيًا على ابن العربي، كما اعتبر الحويني اتِّهام أئمة العصر لسيد قطب بوقوعه في البدعة نفسها تجنيًا أيضًا على سيد.

ونسأل الحويني: مَنْ هم العلماء الذين (يتلكَّكون) -أي: يتربصون الدوائر- بسيد قطب، هم: ابن باز والألباني وابن عثيمين وربيع بن هادي وعبيد الجابري والدويش وزيد المدخلي وصالح آل الشيخ ...إلخ علماء السنة[1] الذين انتقدوا على سيد قوله بخلق القرآن وتقريره عقيدة وحدة الوجود[2].

---

(١) قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «وهؤلاء العلماء الأفاضل أظهروا أخطاء سيد المنهجية حتى يَحذر منها المسلمون، وقد فعلوا هذا ابتغاء وجه الله ليحيى من حيَّ عن بيِّنة، ويهلك مَن هلك عن بيِّنة، لا تَربُّصًا بسيد».

(٢) قال صاحب: «كشف التعصُّب والمين والكيل بمكيالين»: «ألا تتقي الله يا أستاذ خالد المصري؟ ألا تدري أنّك لو عجزت على إثبات نسبة هذا الانتقاد إلى واحد منهم كنت كاذبًا أبشع أنواع الكذب؟ كيف وأنت أعجز وأعجز، وأنا أسألك: أين قال الشّيخ صالح آل الشّيخ إنّ سيّد قطب قال بخلق القرآن وقال بوحدة الوجود، والسّؤال الثّاني: أين قال الشّيخ الدويش إنّ سيّد قطب قال بخلق القرآن وقرّر عقيدة وحدة الوجود؟!».

قلت: نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المتّقين، ونعوذ بالله من الظلم والمين والكيل بمكيالين.

وأقول: إن ذكري لهؤلاء الأئمة أعلاه كان ردًّا على إطلاق الحويني الطعن على الذين حذَّروا من ضلالات سيد قطب بعبارات شديدة بأنهم يشدون الحبل على سيد قطب ويتلكَّكون له، وهذه عبارة صريحة في اتهام هؤلاء العلماء بالغلو في النقد، ودفاع مبطن عن سيد، وإظهاره في صورة المظلوم الذي جُنِي عليه من قبل هؤلاء العلماء.

فاستشهادي بهؤلاء الأئمة كان من هذا الباب حيث إنهم كلهم قد بيَّنوا طرفًا من ضلالات سيد قطب، وكلهم كانت لهم عبارات شديدة في حقِّ سيد، ومن ثَمَّ يدخلون جميعًا تحت الذين يشدون الحبل على سيد ويتلككون له، ولم يكن حشدي لأسماء هؤلاء الأئمة لهذه العلة الواهية التي ذكرها «صاحب المين -هداه الله-» في قوله: «والظّاهر لكلّ ذي بصيرة أنّ الأستاذ إنّما يحشد أسماء العلماء بهذه الطّريقة السّخيفة؛ لكي يبهر القارئ؛ ولكي يوهم النّاس بنسبة مزاعمه =

إليهم...»، والله سبحانه سائله عمَّا افترىٰ فيه عليَّ.

وصدق شيخ الإسلام -رحمه الله- حينما قال في «الرد علىٰ البكري» (٢/ ٧٠٥): «فغير الرسول ﷺ إذا عبَّر بعبارة موهمة مقرونة بما يزيل الإيهام كان هذا سائغًا باتفاق أهل الإسلام.

وأيضًا: فالوهم إذا كان لسوء فهم المستمع لا لتفريط المتكلمين لم يكن علىٰ المتكلم بذلك بأس ولا يشترط في العلماء إذا تكلموا في العلم أن لا يتوهم متوهم من ألفاظهم خلاف مرادهم، بل ما زال الناس يتوهمون من أقوال الناس خلاف مرادهم ولا يقدح ذلك في المتكلِّمين بالحق».

وأما عن إيراده لهذه السؤال الاستنكاري: «أين قال الشَّيخ صالح آل الشَّيخ إنّ سيِّد قطب قال بخلق القرآن وقال بوحدة الوجود، والسّؤال الثّاني: أين قال الشّيخ الدويش إنّ سيِّد قطب قال بخلق القرآن وقرّر عقيدة وحدة الوجود؟!».

فأقول: لقد نقلت أنت بنفسك كلام الشيخ صالح آل الشيخ، فلِمَ التعمية والتلبيس؟! قال الشيخ صالح: «ومن أمثلته -أي من أمثلة انحرافاته- أنه يُشعِرُ في سورة الإخلاص بأن عنده ميل إلىٰ بعض مذاهب المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود أو نحو ذلك، يفهم منه، ما نقول إنه ظاهر بيِّن».

قال «صاحب المين»: «وكذلك الشيخ صالح آل الشيخ يقول كلامه موهم ..»، وقال قبله: «مع تنبيه القارئ والأستاذ إلىٰ الفرق الشّاسع بين معنىٰ قولهم: قال بخلق القرآن، وقرّر عقيدة وحدة الوجود، وبين قولهم: قال كلامًا يوهم أنه يقول بخلق القرآن، ويوهم بالقول بوحدة الوجود».

قلت: هذا حقٌّ، فالشيخ صالح لم يجزم، ولكن -رغم هذا- فقد عدَّ هذا القول من انحرافات سيد، فلِمَ حذفت بداية كلام الشيخ صالح الذي يوهن زعمك، فقبل أن تتهم غيرك بالكذب وكتم الحق، كان عليك أن تلتزم أنت بهذا أولاً، فقد قال الله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

قال الشيخ صالح: «وأيضًا اشتمل كتابه علىٰ كثير من البدع والضلالات، فكتاب سيد قطب «في ظلال القرآن» **ما فيه من التحريفات أكثر مما في كتاب الصابوني**-أو كتب الصابوني-، ومن أمثلة ذلك: أنه يؤوِّل الاستواء، ومن أمثلته -أي: من أمثلة بدعه وضلالاته وتحريفاته- أنه يُشعِرُ في سورة الإخلاص ...إلخ».

قلت: فماذا صنع صاحب المين -الذي يدعي الإنصاف- حذف السباق، ثم حوَّر مقصود الشيخ فقال: «ومن أمثلته -يعني ما في كتاب الظلال- ...»، فجعل الضمير عائدًا علىٰ ما في كتاب الظلال، وهذا إبهام فسَّره السباق في سياق كلام الشيخ، فما في الظلال -كما صرَّح الشيخ-: «كثير من البدع والضلالات .. التحريفات»، وهذا الصنيع من «صاحب المين» هي طريقة القطبيين في محاولة الإخفاء -أو التخفيف- لأي عبارة شديدة من أهل العلم في حقِّ سيد.

وأما عن الشيخ الدويش، فنقل صاحب المين كلامه في «المورد الزلال»، وهو قوله: «ولعلّه لم يقصد ما يفهمه من قول الاتحادية، ونحن إنما قصدنا التنبيه علىٰ كلامه، لئلا يغتر به من لا يفهمه،

وأما هو فله كلام صريح في الرد على الاتحادية، كما هو في خصائص التصور الإسلامي».

قلت: فهنا لم ينف الدويش كون كلام سيد صريحًا في تقرير كلام الاتحادية الوجودية، وإنما نفى كونه يقصد هذا، لِمَا جاء من كلامه في الرد على الاتحادية في كتابه «الخصائص»، وفرَّق بين الأمرين، فتأمل!.

وتأمل أيضًا كلام الدويش في موضع آخر وهو تعليقه على قول سيد في تفسيره لسورة آل عمران (ص٣٩٨): «والله سبحانه يقول: إن النفخة من روحه في آدم هي التي جعلت له هذا الامتياز والكرامة حتى على الملائكة، فلا بد إذن أن تكون شيئًا آخر غير مجرد الحياة الموهبة للدود والميكروب، وهذا ما يقودنا إلى اعتبار الإنسان جنسًا نشأ نشأة ذاتية ...».

قال الدويش في المورد الزلال (ص٤٧): «إن كان قصده أن الله شرفه بقوله: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ مع أنه مخلوق؛ فهذا حقٌّ، وإن كان قصده أنه من ذات الله بمعنى أنه بعض من الله؛ فهذا أقبح من قول النصارى القائلين باتحاد اللاهوت بالناسوت».

قلت: وسوف يأتي ذكر كلام أصرح لسيد في قصائده يؤكد تقريره لعقيدة وحدة الوجود.

في تفسير الآية نفسها قال سيد: «الكلمة كن التي قد تكون حقيقة، وقد تكون كناية عن توجه الإرادة؟ والكلمة هي عيسى أو هي التي منها كينونته ...».

قال الدويش (ص٤٧، ٤٨): «هذا تردُّد منه هل هي قوله: «كن» حقيقة؟ ومعلوم أن هذا خلاف قول أهل السنة؛ لأنهم يقولون: «كن» من الله قول، وهذا حقيقة كلام الله، **وأما من لم يقل هذا فهو جهمي**، وقوله: «كناية عن توجه الإرادة» **إبطال لكلام الله تعالى حقيقة وتعطيل لصفة الكلام**».

قلت: أليس هذا صريحًا في أن الدويش يتهم سيد بأنه قال بقول الجهمية في تعطيل صفة الكلام ؟!

ألا تستحي أبا حذيفة من كذبك على هؤلاء العلماء؟!

وأما بالنسبة للإمام ابن باز، فقد نقل صاحب المين كلامه -رحمه الله- حيث قال: «فقد عرض عليه كلام سيِّد قطب (الموهم للقول بالاتِّحاد) ثمّ قال له السّائل: ما فيها دلالة على أحدية الوجود؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: «لا، مراده موجد الأشياء، ما قال: ما هنا وجود إلا هو، بل هو موجد الأشياء، وهو الخالق لها، عبارات يعني قد توهم بعض الناس...كلامه موهم، يوهم وحدة الوجود، ما هو مراده، مراده: أن الله هو الوجود الحقيقي الذي به وجدت الأشياء، وبه خُلِقت الأشياء، لكن تنطعه يبغي يمضي مراده ، هذا التنطع الكثير، حتى يلبس على الناس».

وعزا هذا إلى حاشية (ص٤٠) من كتاب براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدع والمذمة.

ولكنه بتر جزءًا هامًا في بداية النقل به يظهر مَينه وكتمه للحق.

هذا الجزء المبتور هو قول الشيخ عصام السناني -صاحب كتاب براءة علماء الأمة-: «وقد اقتصر القارئ على سماحة الشيخ ابن باز -رحمه الله- في الشريط الآنف عند ذكر فتاواه على قراءة النص الثاني، فقيل له: ما فيها دلالة على أحدية الوجود؟ ..».

قلت: والنص الثاني المشار إليه هو قول سيد: «وبعضهم قال: إنه رأىٰ الله من وراء كل شيء في الوجود».

قال الشيخ عصام معقبًا علىٰ فتوىٰ الشيخ ابن باز: «ولو قرئ علىٰ سماحته النص الأول الذي نقل فيه نفي الوجود عمّا سوىٰ الله، وارتضاه -وهو قول سيد: بعضهم قال: إنه يرىٰ الله في كل شيء في الوجود ...وكلها أقوال تشير إلىٰ الحقيقة- لما توقف في دلالتها عليه، مع أن الشيخين الألباني وابن عثيمين وسائر من نقلت كلامهم فيما يأتي جزموا بأن النص الأول يفيد ذلك».

قلت: فلِمَ كتمت هذا التحليل العلمي الفذّ من صاحب كتاب «براءة علماء الأمة»، والذي عرضه علىٰ العلامة الفوزان، وأقره عليه؟!

ولِمَ كتمت كلام سيد الذي علّق عليه ابن باز، واستبدلته بقولك: «عرض عليه كلام سيّد قطب الموهم للقول بالاتّحاد»، موهمًا القارئ أن هذا الكلام المعروض علىٰ الإمام ابن باز هو نفسه الكلام الصريح في وحدة الوجود، والذي عُرِض علىٰ الألباني وابن عثيمين، وبناء عليه جزمًا بأن كلام سيد صريح في أنه يقول بوحدة الوجود؟!

وبهذا يظهر لنا تضليل «صاحب المين» للمسلمين عن الحق بقوله: «وهل من ثبت عنده أقوال هؤلاء العلماء، سيسلّم بأنّ الأستاذ إمّا واقع في الجهل، فليس بأهل للخوض في هذه المسائل، أو واقع في الكذب الصّريح مع سبق الإصرار والتّرصّد حين قال: ابن باز والألباني وابن عثيمين وربيع بن هادي وعبيد الجابري والدويش وزيد المدخلي وصالح آل الشيخ..إلخ علماءالسنة الذين انتقدوا علىٰ سيد قوله بخلق القرآن وتقريره عقيدة وحدة الوجود».

قلت: ولماذا لم تورد كلام الألباني وابن عثيمين وربيع بن هادي الواضح البيِّن في المسألة؟!

والجواب واضح: أن كلامهم ثابت وصريح في إدانة سيد بما ذُكِر، وهذا لا يخدم هدفك في تلميع شيخك.

وبالنسبة لكلام ابن باز وصالح آل الشيخ والدويش فقد بيّنا ما فيه.

فمَن -إذن- الواقع في الجهل الغير مؤهل للخوض في هذه المسائل أو الواقع في الكذب الصريح مع سبق الإصرار والتّرصُد إن كنت صادقًا؟!

اترك الإجابة لكل منصف لا يتبع الهوىٰ، ولا يكيل بمكيالين.

وأما عن احتجاجك بفتوىٰ الشيخ عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله- فشأنك شأن أهل الأهواء قديمًا وحديثًا الذين يأخذون من كلام العلماء ما يعضد أهواءهم -وإن خالف الدليل-، فهم كالذباب الذي ينتقي الخبيث ويترك الطيب، فأقوال العلماء يحتَّج لها، ولا يحتَّج بها، وإن أخطأ العالم الرباني -المعروف باستقامته علىٰ المنهج السلفي القويم- فإنه يبين خطؤه مع الاعتذار عنه.

* وهذا نص فتوى الشيخ عبد العزيز آل الشيخ -كما أوردتها-:

السائل: ما الفرق بين أحدية الوجود في تفسير الظلال وفكرة وحدة الوجود الضالة؟
الشّيخ: يا إخواني تفسير سيد قطب في ظلال القرآن هو كتاب ليس تفسير، لكنه قال تحت ظلال القرآن، يعني كأنه يقول للمسلمين هذا القرآن نظام الأمة فعيشوا في ظلاله واستقوا من آدابه وانهلوا من معينه الصافي وأقبلوا بقلوبكم على القرآن لتجدوا فيه علاج مشاكلكم وحل قضاياكم وتفريج همومكم إلى آخره والكتاب له أسلوب عال في السياق، أسلوب عال... أسلوبًا أدبيًّا راقيًا عاليًا، لكن لا يفهم هذا الأسلوب إلا من تمرس في قراءة كتابه...» إلى آخر كلامه وهو مسجَّل ضمن الدّرس السّادس من شرح الشّيخ على كتاب التّوحيد.

واترك الردَّ على هذه الفتوىٰ للشيخ سعد الحصين -حفظه الله- حيث قال:

«إلى سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية -حفظها الله وحفظه قدوة صالحة-.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد: فقد اطلعتُ على إجابتكم على سؤال عن الفَرْق بين أحديَّة الوجود ووحدة الوجود في تفسير الظلال، ولي ملحوظة عليها:

١- تجنَّبتم -أو نسيتم- الإجابة عن السؤال: الفَرْق بين الأحديَّة في تفسير الظلال ووحدة الوجود، وقد كفاكم الإجابة سيِّد قطب نفسه -رحمه الله- فبيَّن بصريح العبارة: أنَّ أحديَّة الوجود في فِكْرِه هي وحدة الوجود (التي هام بها الصوفيَّة وفيها، وسلكوا إليها مسالك شتَّىٰ) انظر (الظلال) (٦/ ٣٤٨٠ و٤٠٠٢).

وأكَّد ذلك -بعد التمحيص-: ابنُ عثيمين، والألباني، والدويش -رحمهم الله-، والمدخلي -وفَّقه الله-، والأخيران درسا فكر سيِّد دراسة مستفيضة لم تتحقَّق لغيرهما فيما أعلم.

٢- نَفَيْتُم أن يكون الظلال تفسيرًا، ولكن السائل سماه تفسيرًا، وأنتم أنفسكم، سمَّيتموه (تفسير القرآن) في آخر إجابتكم.

وتسميته ظلالاً؛ خطأ لغويٌّ وشرعيٌّ، فلم يصف الله تعالى آياته، ولا بيان رسوله ﷺ لها بالظلال، والقرآن نورٌ، أما (الظلال) فهي الجانب المحروم من النُّور، وتجاوز الله عن سيد (ومن دافع عنه بغير حقٍّ ولا تثبُّتٍ ولا يقين) لقد قال على الله بغير علمٍ، وأضلَّ المتعصِّبون له الناسَ عن يقين التفسير بتعصُّبهم له، وما هو التفسير غير تتبع كلِّ آية بفهمه لها؟

٣- ذكرتم أن لسيد في تفسيره أو ظلاله (أسلوبًا راقيًا عاليًا لكن لا يفهم هذا الأسلوب إلا من تمرس فيه)؛ فهل من رُقِيٍّ وعلوٍّ وأدب الأسلوب وَصفُ كلام الله في سورة الفجر: (بالعرض العسكري الذي تشترك فيه جهنَّم بموسيقاها العسكريَّة المنتظمة الدقَّات) (التصوير الفني في القرآن، ص: ٨٣، دار الشروق: ٢٠٠٠م). ووصف آيات فيها (بالموسيقى الحادَّة التقاسيم) و(يا لجمال التَّغَم) و(لحنًا واحدًا متعدِّد النغمات موحَّد الإيقاع)، و(في بعض مشاهدها شد وقصف سواء مناظرها أو موسيقاها) في (الظلال) (٦/ ٣٩٠١ و٣٩٠٢ و٣٩٠٣ و٣٩٠٦)؟.

ووصف آيات من سور النازعات والضحىٰ والليل والعاديات وغيرها بالموسيقىٰ والتصوير والرَّسم والمناظر المسرحية والتمثيليَّة في (التصوير الفني في القرآن) وحتىٰ لا يَظْلم نفسه بكلامه عن فنون اللهو بغير علم دعا (الموسيقي المبدع: محمد حسن الشجاعي) و(الفنّان ضياء الدين محمد؛ مفتِّش الرسم بوزارة المعارف) لمراجعة (هذا القسم وضبط المصطلحات الموسيقية ومصطلحات الرسم والصور) (ص١٠٦ - ١١٤).

وكلُّ هذا يطبع (شرعيًّا زعموا) بعد موته بعشرات السنين.

وهل من رُقيٍّ وعلوٍّ وأدب الأسلوب: وصف موسىٰ -عليه السلام- (بالزعيم المندفع العصبي)، ووصفه في الصفحة نفسها: (بالتعصب القومي والاندفاع العصبي، ثم بالحنق الظاهر والحركة المتوترة) (التصوير الفني: ص٢٠٠- ٢٠٢) ثم في (ص٢٠٣) يزيد السوء بقوله: (تقابل شخصيَّة موسىٰ شخصيَّة إبراهيم إنه نموذج الهدوء والتسامح والحكمة)!.

وهل من رُقيٍّ وعلوٍّ وأدب الأسلوب: اعتبار خلافة عثمان (فجوة بين خلافة الشيخين وعلي) في (العدالة الاجتماعية: بعد التعديل، (ص١٧٢)؟

وهل من رُقيٍّ وعلوٍّ وأدب الأسلوب: وصف معاوية وعمرو -رضي الله عنهما-: (بالركون إلىٰ الكذب والغش والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذمم) (كتب وشخصيات، ص٢٤٢- دار الشروق). أما ابن باز -رحمه الله- فأفتىٰ بتمزيقه كما قال عن سيِّد في تفسيره أو ظلاله: (مسكين؛ ضائع في التفسير).

وهل من رُقيٍّ وعلوٍّ الأدب: إلغاء حكم الله في الرقِّ (إذا تعارف العالَمُ علىٰ نظام آخر غير الاسترقاق) في (الظلال (٣/ ١٦٦٩)، ونحوه في (١/ ٢٣٠) و(٤/ ٢٤٥٥) و(٦/ ٣٢٨٥)؟

وحكمه بغير ما أنزل الله في (معركة الإسلام والرأسماليَّة، (ص٤٤)- دار الشروق- ١٩٩٣م)، بقوله: «في يد الدولة أن تنتزع الملكيات والثروات جميعًا وتعيد توزيعها علىٰ أساس جديد ولو كانت هذه الملكيات قد قامت علىٰ الأسس التي يعترف بها الإسلام ونَمَتْ بالوسائل التي يبرِّرها» وقد أقامت الثورة المصريَّة اشتراكيَّتها علىٰ هذا النصِّ، وأمثالُه كثير في فكره.

وحكمه بغير ما أنزل الله في الكتاب نفسه (ص٤٠)، بقوله: «الإسلام يَعدُّ العمل هو السبب الوحيد للملكية والكسب»؟ وماذا عن الإرث والهبة ونحوهما؟

وهل من رُقيٍّ وعلوٍّ وأدب الأسلوب: الحكم بالردَّة علىٰ البشرية جمعاء بمن فيهم الذين يردِّدُون علىٰ المآذن خمس مرات في اليوم: لا إله إلا الله، محمد رسول الله؛ لا يخرجهم من الشرك والردَّة اعتقاد الألوهية لله وحده، ولا تقديم الشعائر التعبديَّة لله وحده، لماذا؟ لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها. (في الظلال (٢/ ١٥٠٧)، والمعالم (ص١٠١-١٠٣) وغير ذلك كثير).

بل الحكم بخروج سياسة الحكم نهائيًا من دائرة الإسلام وتعاليم الإسلام منذ عهد المنصور العباسي (العدالة، ص١٦٨) بل الحكم علىٰ الثورة علىٰ عثمان رضي الله عنه بأنها (في عمومها ثورة من روح الإسلام)، وأن الثوَّار هم (الذين أُشْرِبَتْ نفوسهم روح الدين إنكارًا وتأثُّمًا)
=

(العدالة، ص١٦١).

وهل من رقيٍّ وعلوِّ الأسلوب وأدبه: وصف آيات الله بأنَّ الله صنعها وأبدعها وأوجدها؟

وتفسير الألوهية (بالربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية)، وأنه (ما كان الخلاف على مدار التاريخ بين الجاهلية والإسلام وبين الحق والباطل على ألوهية الله سبحانه، إنما كان الخلاف وكانت المعركة على من يكون هو رب الناس) (في الظلال (٤/ ١٨٥٢))؟

٤- عذرتم سيد -تجاوز الله عنه- بقلَّة العلم وأنه ليس من أهل التفسير، ثم رفعتموه فوق مستوى نقَّاده في الأسلوب الذي يتقاصر عنه فَهْم من يقرؤه، فهل يجوز لمثله أن يتعدى على التفسير، وهل يجوز تشجيع الناس على (قراءته مرارًا ليجدوا فيه علاج مشاكلهم وحل قضاياهم وتفريج همومهم)؟

لعلكم لم تعلموا أن ابن باز رحمه الله علَّق على كلام سيِّد عن موسى عليه السلام بقوله: (الاستهزاء بالأنبياء ردَّةٌ مستقلة) وخطَّأ من يوصي بقراءته.

وقول الألباني -رحمه الله- بعد قراءته ردَّ المدخليِّ على سيد: (جزاك الله خير الجزاء على قيامك بواجب البيان والكشف عن جهله وانحرافه عن الإسلام).

وإحالة ابن عثيمين -رحمه الله- سائليه عن سيِّد إلى ردود الدويش والمدخلي عليه، وقال مثل ذلك كبار علماء الأمة: الفوزان واللحيدان والغديان والعبَّاد والأنصاري وبقية علماء الدعوة على منهاج النبوة، صالح بن عبد العزيز آل الشيخ. (انظر كتاب: د. عصام السناني: براءة علماء الأمة من تزكية أهل البدعة والمذمَّة، ط ٢- عام ١٤٢٤هـ) لتفصيل أقوال هؤلاء الأعلام وغيرهم.

وقد وفَّق الله ولاة الأمر في دولة التوحيد والسنة فمنعوا عرض أو بيع كتب سيد بعد أن ظهر فسادها وإفسادها لكلِّ من يحاول التثبت، وأعلن الأمير نايف -نصر الله به دينه- أن الفساد في الأرض اليوم مصدره حزب [سيد وناشر ومنفِّذ فكره] الإخوان المسلمون.

وذكَّرني ظهور هذا الأمر لولاة الأمر من الأمراء وخفاؤه عليكم بما قصَّه عليَّ سلفكم الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ -رحمه الله-: سَكِرَ رجلٌ فاقتحم منزل جيرانه، واغتصب امرأة فيه، فأمر الملك عبد العزيز -رحمه الله- بقتله، فكَبُرَ على العلماء ذلك، وتكلَّموا مع الملك -رحمه الله-، فلم يرجع عن حكمه، يقول الشيخ عمر -رحمه الله-: بحثت المسألة فوجدت أنَّ ابن تيمية -رحمه الله- يقرِّرُ جواز رفع الوالي حدَّ التعزير إلى القتل، فسَبَقْتُ العلماءَ إلى مجلسهم التَّالي مع الملك، وبشَّرتُه بما وجدت، فقال: الحمد لله الذي علَّمنا ما خَفي على علمائنا؛ وشهدتُ قضيَّةً رأى الشيخُ عمر -رحمه الله- إخراجها من المحكمة لوضوحها في رأيه، ولكنَّ الملك سعود بن عبد العزيز -رحمه الله- أصرَّ على أن الأمر من شأن المحكمة بعد أن أُحيلت القضية إليها، ولا يجوز له إخراجها منها، وتبيَّن في نهاية الأمر أنَّ الملك -رحمه الله- كان أقرب إلى الحقِّ مقدمةً ونتيجةً.

٥- إنَّ الحزبيين يستفتون لاستغلال الفتوى إذا كانت في صالحهم، ودفنها إذا لم تصلح للدعاية لهم، كما فعلوا هذه المرَّة وما قبلها منذ عهد ابن باز -رحمه الله-.

=

○ **وإليك ذكر بعض هذه الفتاوى لتدرك هل العلماء يستحقون هذا الوصف السيئ من الحويني، أم أنهم نصحوا للأمة وأدوا ما عليهم:**

أولاً: فتوى الشيخ العلامة المحدِّث محمد ناصر الدين الألباني -رحمه الله-[1]:

قال -رحمه الله- في سياق مناقشة دارت بينه وبين الشيخ عبد الله عزام: «لكن إيش معنى المقاطعة هذه[2]؟ قال: أنت كفَّرت سيد قطب -وهذا الشاهد- قلت له: وأين كفَّرت؟ قال: أنت بتقول إنه هو يقرر عقيدة وحدة الوجود في تفسير أولاً: «سورة الحديد» -أظن- وثانيًا: بـ«قل هو الله أحد»، قلت: نعم، نقل كلام الصوفية، **ولا يمكن أن يفهم منه إلا أنه يقول**

=

وفقكم الله وتجاوز عن الجميع، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

سعد الحصين، الطائف في ١٥/ ٨/ ١٤٢٦هـ». اهـ

قلت: وقد سئل سماحة المفتي الشيخ عبد العزيز آل الشيخ بتاريخ (١٥رجب ١٤٢٦هـ) -أي: بعد أقل من شهر من فتواه السابقة - ضمن سلسلة محاضرات في التوحيد في مدينة الطائف: ما رأيكم في قول القائل: «وحين يركنُ معاوية وزميله عمرو إلى الكذب، والغش، والخديعة، والنفاق، والرشوة، وشراء الذمم، لا يملك عليٌّ أن يتدلى إلى هذا الدرك الأسفل، فلا عجب أن ينجحان ويفشل، وإنه لَفَشل أعظم من كل نجاح». هل هذا الكلام من جملة سبِّ الصحابة؟

فأجاب بقوله: «هذا كلامُ باطنيٍّ خبيث، أو يهوديٍّ لَعين، ما يتكلم بهذا مسلم، عمرو بن العاص شهد له النبي ﷺ بالجنة، ومعاوية من فضلاء الصحابة، وهم [أهل] الدين، [وأهل] تقوىٰ وصلاح، لا يشك مسلم فيهم، وما فعلوا شيئا يُعاب عليهم، وكلُّ ما قاله أولئك فمُجرَّد فرية وكذب وتضليل،- وعياذًا بالله- **عنوانُ نفاق مِمّن قاله».**اهـ

قلت: وهذا دليل واضح على أن سماحة المفتي -سدَّده الله- لا دراية كافية عنده بكتابات سيد قطب، وما تحتويه من ضلال، ولذلك لِمَّا عُرِضت عليه ضلالة واحدة فقط من ضلالات سيد -دون أن تنسب إلى سيد-، أجاب بهذه العبارة الشديدة: «هذا كلام باطني خبيث أو يهودي لعين ما يتكلم بهذا مسلم ...».

فهل يلحق شيخك سماحة المفتي بالذين يشدون الحبل علىٰ سيد؟!

رجاء الإجابة بإنصاف دون تعصُّب أو مين أو كيل بمكيالين.

(١) والذي يدعي الحويني أنه شيخه، ويفتخر بهذا، ورغم هذا لم يجد غضاضة أن يتهمه بأنه يتلكَّك لسيد.

(٢) أي مقاطعة حزب الإخوان المسلمين للعلامة الألباني.

بوحدة الوجود، لكن نحن من قاعدتنا، وأنت من أعرف الناس بذلك لأنك تتابع جلساتي، لا نكفِّر إنسانًا ولو وقع في الكفر إلا بعد إقامة الحجة، فكيف أنتم تعلنون المقاطعة هذه وأنا موجود بين ظهرانيكم...»[١].

ثانيًا: فتوى فضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين -رحمه الله-:

سئل فضيلة الشيخ -رحمه الله- عن صاحب كتاب «في ظلال القرآن» ومنهجه في التفسير؟

فقال: «... قد ذكر بعض أهل العلم كالدويش والألباني الملاحظات على هذا الكتاب، وهي مدونة وموجودة، ولَم أطلع على هذا الكتاب بكامله، **وإنَّما قرأت تفسيره لسورة الإخلاص، وقد قال قولاً عظيمًا فيها مخالفًا لما عليه أهل السنة والجماعة، حيث إن تفسيره لها يدل على أنه يقول بوحدة الوجود**[٢]....».

ثالثًا: فتوى الشيخ العلامة مُحمَّد أمان الجامي -رحمه الله-[٣]:

قال -رحمه الله-[٤]: «كتاب الظلال لسيد قطب...ليس تفسيرًا أثريًا ولا تفسيرًا لغويًا،

---

(١) المرجع: شريط للشيخ بعنوان: «مفاهيم يجب أن تصحح» (وانظر: براءة علماء الأمة ص٣٧).

(٢) قال سيد قطب في تفسير «سورة الحديد» الظلال (٦/ ٣٤٧٩، ٣٤٨٠): «ولقد أخذ المتصوفة بهذه الحقيقة الأساسية الكبرىٰ وهاموا فيها وبها، وسلكوا إليها مسالك شتىٰ، بعضهم قال: إنه يرىٰ الله في كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنه رأىٰ الله من وراء كل شيء في الوجود، وبعضهم قال: إنه رأىٰ الله فلم ير غيره في الوجود، وكلها أقوال تشير إلى الحقيقة، إذا تجاوزنا عن ظاهر الألفاظ القاصرة في هذا المجال، إلا أن ما يؤخذ عليهم علىٰ وجه الإجمال هو أنَّهم أهملوا الحياة بهذا التصور، والإسلام في توازنه المطلق يريد من القلب البشري أن يدرك هذه الحقيقة، ويعيش بها ولها».

وقال في تفسير «سورة الإخلاص» الظلال (٦/ ٤٠٠٢، ٤٠٠٣): «إنها أحدية الوجود، فليس هناك حقيقة إلا حقيقته، وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده، وكل موجود آخر: فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية، وهي من ثم أحدية الفاعلية، فليس سواه فاعلاً لشيء أو فاعلاً في شيء في هذا الوجود أصلاً، وهذه عقيدة في الضمير، وتفسير للوجود».

(٣) رئيس قسم العقيدة في الجامعة الإسلامية سابقًا والمدرس في المسجد النبوي.

(٤) المرجع: شريط محاضرة إجابات علىٰ أسئلة في منهج أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله في شهر ٤/ ١٤١٣هـ (وانظر: براءة علماء الأمة، ص٦٢).

ولكنه إنشاء وخلط وخبط بين آراء الأشاعرة وآراء وحدة الوجود، وآراء المتصوفة، **وهو أشعري ولا نزاع في ذلك**، وأنصح صغار الطلبة بعدم قراءة كتابه الظلال، كما أنصح كبار الطلبة أي من طلاب العلم أن يقرؤه ليبينوا لصغار الطلبة ما فيه من الباطل من باب النصيحة».

رابعًا: فتوى الشيخ العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ -حفظه الله-:

سئل فضيلة الشيخ -حفظه الله-: هل مما ينهى عن قراءته من التفاسير تفسير سيد قطب -رحمه الله- «في ظلال القرآن»[1]؟

فأجاب فضيلته: «..... فكتاب سيد قطب «في ظلال القرآن» ما فيه من التحريفات أكثر مما في كتاب الصابوني -أو كتب الصابوني- ومن أمثلة ذلك: أنه يؤوّل الاستواء، ومن أمثلته أنه يُشعِرُ في سورة الإخلاص بأن عنده ميل إلى بعض مذاهب المتصوفة من القائلين بوحدة الوجود أو نحو ذلك، يفهم منه، ما نقول إنه ظاهر بَيِّن[2]، لكن يفهم منه...»[3].

خامسًا: فتوى الشيخ العلامة عبيد الله الجابري -حفظه الله-:

سئل -حفظه الله- عن تفسير الظلال، وهل فيه أخطاء؟

فقال فضيلته: «الحقيقة مطلب طيب، ولكنه ليس بوسعي الآن؛ لأنه مليء بالأخطاء، فالذي أعرف أن الشيخ عبد الله الدويش -رحمه الله- أحصى عليه إحدى وثمانين ومائة خطيئة، وأنا قفوت فوجدت... اطلعت على بعضها، فمن ذلكم أنه قال في «سورة طه» عند قوله تعالى: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ [طه: ٤]. قال: «والقرآن ظاهرة كونية كظاهرة السماء والأرض تنزلت من الملأ الأعلى»[4]، ما معنى هذه العبارة؟...نقول: ما معنى كلمة كوني؟ كلمة كوني ما معناها؟ يعني كان بكلمة «كن»، وكلمة «كن» يعني: مخلوق، كون سيد قطب -عفا الله عنا وعنه- يعتقد هذا، هذا شيء آخر لكن هذا خطأ في الحقيقة.

---

(١) وكانت تتمة السؤال: «نرجو منكم التفصيل في شأن هذا الكتاب، ولكم جزيل الأجر؟».

(٢) بل هو ظاهر بيِّن كما ذكر هذا الشيخان: الألباني، وابن عثيمين، ويظهر بجلاء في قصيدته «الشاطئ المجهول».

(٣) «شرح مسائل الجاهلية: الشريط السابع الوجه الثاني» (وانظر: براءة علماء الأمة، ص٧٥).

(٤) ظلال القرآن (٤/ ٢٣٢٨).

الـموضع الثـاني: في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ قـرأت أنـا وبعـض الإخـوة وحـدة الوجـود، ووجدنا مذهب الجبر، وهو أن العبد مجبور على كل ما يفعل وأنه لا اختيار له.....»[1].

سادسًا: فتوى الشيخ العلامة صالح بن سعيد السحيمي -حفظه الله-:

سئل -حفظه الله- عن رجل وقع في بدع كثيرة: مثل القول بأن القرآن من صنع الله لا من صنع الإنسان، ويقول عن موسى -عليه السلام-: إنه مثال الزعيم المندفع العصبي المزاج، ويقول بوحدة الوجود، ويطعن في عثمان -رضي الله عنه- طعونات كثيرة في كتابه «العدالة الاجتماعية»، ويشكِّك في الجنة والنار، وينفي بعض الصفات على طريقة الجهمية وعلى طريقة الأشاعرة، ويكفِّر الأمة كلها ولا يستثني إلا جماعته، ويقول: إن توحيد الربوبية هو الذي دعت إليه الرسل وأنزلت من أجله الكتب بعكس كلام السلف، وفسَّر لا إله إلا الله بالحاكمية.

السؤال يا فضيلة الشيخ: ما هو الموقف معه، هل يُبدع بعينه لأني أنكر على بعض الشباب بقولهم: لا تبدعه، لأنه لَم تقم عليه الحجة، ولقد رأيت في كتابه ظلال القرآن أنه ينقل بعض الكلام عن تفسير ابن كثير -رحمه الله- وهل نقله عن كتب السلف الصالح يعتبر إقامة حجة عليه، لأنه عرف كتب السلف..نريد من فضيلتكم التفصيل في هذا الأمر وجزاكم الله خيرًا؟

قال الشيخ -حفظه الله-: «الأمر لا يحتاج إلى تفصيل قيام الحجة والعلم بالدليل والمعرفة لا شك أنَّها لابد منها في حق من عاش في الإسلام وشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمَّدًا رسول الله، ثم وقع في شيء من هذه الأمور الخطيرة التي أشار إليها السائل، لكنه أنا أفرق بين من كانت البدعة منهجًا له أصلاً وبنى كل أموره عليها مثل هذا المنهج الذي أشار إليه السائل، وبين من وقع في شيء من البدع دون أن تكون أصلاً لدعوته وأصلاً لمنهجه، فمن كانت البدعة أصلاً لمنهجه ودعوته فلا شك أنه مبتدع، بل يعتبر بِهذا الوصف من أكبر أنواع المبتدعة، ولولا جهله لحكم عليه بِما فوق البدعة لكن يبدو أنه جاهل...»[2].

---

(١) المرجع: شريط محاضرة «اجتنبوا السبع الموبقات في ١١/ ٢/ ١٤١٣هـ» (وانظر: براءة علماء الأمة ص ٨٨-٩٠).

(٢) المرجع: شرح الطحاوية بعد الانتهاء من باب الإسراء والمعراج، تسجيلات المسجد النبوي =

قلت: وأهدي للحويني -ولصاحبه أبي حذيفة الجزائري (صاحب المين)- هذا التحليل العلمي الفذّ للشيخ ربيع بن هادي -متّع الله بعلمه- يظهر له منه خلاله وهاء اعتذار الحويني عن سيد، وتطاوله على العلماء بغير حق في وصفه إياهم بأنهم (يشدون الحبل على سيد ..ويتلككون لسيد):

قال الشيخ ربيع -حفظه الله- في مقالة له بعنوان: «قول سيد قطب بعقيدة وحدة الوجود والحلول والجبر ودفاعه عن عقيدة النيرفانا الهندوكية البوذية»:

أطوار سيد قطب في وحدة الوجود:

أولاً: نعق بها وهو في سن الكهولة في حدود عام ١٩٣٥م أي في حدود **١٣٥٥**هـ في ديوانه الشعري حيث يقول في قصيدته إلى الشاطئ المجهول والتي منها هذه الأبيات:

إلى الشاطئ المجهول والعالم الذي ... حننْتُ لمرآه إلى الضفة الأخرى

إلى حيث لاتدري إلى حيث لاترى ... معالم للأزمان والكون تُستَقْرى

إلى حيث [لاحيث] تميز حدوده! ... إلى حيث تنسى الناسَ والكونَ والدّهرا

وتشعر أنّ [الجزء] و[الكل] واحد ... وتمزج في الحس البداهة والفكرا

فليس هنا [أمس] وليس هنا [غد] ... ولا(اليوم] فالأزمان كالحلقة الكبرى

وليس هنا [غير] وليس هنا [أنا][1] ... هنا الوحدة الكبرى[2] التي احتجبت سرا

ديوان سيد قطب (ص ١٢٣).

* * *

=

١٤١٣هـ (وانظر: براءة علماء الأمة، ص٩٥).

(١) السوية والغيرية اصطلاحان صوفيان مأخوذان من كلمتي: سوىٰ وغير، والصوفي الحقّ في دين الصوفية من يوقن أنه لا سوىٰ ولا غير، أي: يرىٰ الكلّ عينًا واحدة [انظر هذه هي الصوفية ص١٥]. (الشيخ ربيع).

(٢) الوحدة الكونية الكبرىٰ هي وحدة الوجود. (الشيخ ربيع).

يقول سيد قطب في شـرحه لهـذه الأبيـات في مقـدمة كـتابـه ديوان سيـد قطب (ص٣٠- ٣١):

«الجسم والزمن والوحدة: القُوى الروحية -عند الشاعر- هي التي تربطه بالوحدة الكونية الكبرى.....، في حين تَقصُرُ القوى العقليةُ عن ذلك. وهو يرى أن الشعورَ بالزمن، نتيجةٌ لوجودِ الجسمِ والقوى الواعية، وأن الروح تحسّ بالوجود المطلَقِ، لا يقيده الزمن، وبالبداهة لا يقيده المكان.

ولذلك فهو حينما خَلعَ الجسم وخلع الحِجا في (الشاطئ المجهول) رأى أنْ ليس هناك (حيــــث) ولا (أمـــس) ولا (اليـــوم) ولا (الغـــد) ولا (غـــير) ولا (أنـــا)... إلخ. ولكنه رأى (الأزمان) كالحَلْقَةِ الكبرى، ورأى (الوحدة التي احتجبت سرًا)، وكذلك في قصيدة (الليلات المبعوثة) حين تجرد لم يَرَ للزمان مَعْلَمًا ولا رسمًا ورأى كلّ شيء كرمز الدّوام».

وله أبيات في (ص٩١) من ديوانه عنوانها (عبادة جديدة) نعق بها في عام ١٩٣٧م منها:

لـــك يـــا جمـــال عبـــادتي ... لـــك أنـــتَ وحـــدك يـــا جمـــال

ومنها:

وأرى الألوهيـــــة فيـــــك تُــــو ... حـــي بالعبـــــادة في جــــلال

مـــــا أنـــــتَ إلاَّ مظْهـــــرٌ ... منهـــا تُوشِّـــيه بالعبـــادة في جـــلال

فـــإذا عَبـــدتُكَ لـــم أكـــن ... يـــا حُـــسْنُ مِـــنْ أهـــل الـــضلال

بـــل كنـــتُ مـــحمود العقيـــ ... ـــدة في الـــحقيقةِ والـــخيال

أغْنُـــو لـــمن تعنُـــو لـــه ... كـــل النفـــوس بـــلا مثـــال

مُتفرِّقًـــا في الكـــون في ... شـــتّى الـــمرائي والـــخِلال[1]

---

(١) فسَّر الخلال بقوله: الخلال: منفرج ما بين الشيئين جاسوا خلال الديار، ساروا وترددوا بينها، والمراد منتشر في كل ما نرىٰ، وما بين الأشياء وبعضها.

فـــــإذا تركّـــــز هاهُنَـــــا   بطـــــل التَّمحـــــلُ والـــــجِدال

وفي شيخوخته في حدود سنة (١٩٤٦م) أو سنة (١٩٤٧م) تحمس للدفاع عن عقيدة النيرفانا فمدحها وذبّ عنها وعن أهلها وهي تتضمن أخبث عقائد الوثنيين الهندوك والبوذيين من مثل وحدة الوجود وعقيدة التناسخ...».

***

قلت: فالحويني يسيء الظن بالعلماء ويتهمهم بأنهم يتعمدون تخطئة سيد وتضليله بغير حق!

وأقول: إن الحويني بغمزه ولمزه -بل وبطعنه الصريح- في أئمة السنة المعاصرين، وسخريته منهم، قد خالف أصلاً من أصول منهج السلف الصالح -أصحاب الحديث والأثر-، وهو الذي بيَّنه الطحاوي في معتقد أهل السنة بقوله:

«وعلماء السلف من السابقين، ومَن بعدهم من التابعين -أهل الخير والأثر، وأهل الفقه والنظر- لا يُذكرون إلا بالجميل، ومَن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل».

وتعظيم علماء السنة وتبجيلهم إحدى علامات السلفي الصادق الانتماء إلى منهج أهل الحديث، كما قال الإمام أبو إسماعيل الصابوني -رحمه الله- في «عقيدة السلف وأصحاب الحديث»: «إحدى علامات أهل السنة حبهم لأئمة السنة وعلمائها، وأنصارها، وأوليائها، وبغضهم لأئمة البدع الذين يدعون إلى النار، ويدلون أصحابهم على دار البوار، وقد زيَّن الله سبحانه قلوب أهل السنة ونوَّرها بحب علماء السنة فضلاً منه جلَّ جلاله».

والحويني نفسه قد أنكر على محمد الغزالي ما وقع هو فيه، حيث قال عن الغزالي كما في سمط اللآلئ (ص٢٢): «أنه لم يتأدب في خطابه مع الأئمة الأعلام فعضَّهم بنابه، وعدَّمهم، وأطلق لسانه فيهم لمجرد أنه لم يفهم بعض عباراتهم، وقد تألَّم الأستاذ (ص١١) من الكتاب أن بعض الأحداث من الغلمان الذين لم تقلَّم أظفارهم في العلم يطعنون على مالك وأبي حنيفة -رحمهما الله تعالى-؛ لأنهما خالفا بعض السنن؛ وكان الواجب أن يوقروهما التوقير البالغ لإمامتهما في العلم والعمل، ونحن مع الأستاذ تمامًا في هذا، وننكر أشد الإنكار أن يتطاول أحدٌ على أئمتنا، فيجب أن نذكرهم بالجميل، وأن نعذرهم إن

أخطؤوا، ولكن كيف يفعل الشباب ذلك، والأستاذ -وهو داعية مشهور- قد تطاول على كثير من العلماء في كتابه هذا وفي غيره بدعوى النقد العلمي!! وهل النقد العلمي ينافي الأدب مع المخالف، لا سيما إن كان المخالف يزن كثيرًا جدًا من أمثال الأستاذ؟!».

وقال الحويني في موضع آخر: «الدعاة إلى الله -تبارك وتعالى- إذا فرطوا ظهر كل خبث في الأرض، إن كل البدع الموجودة الآن بسبب سكوت العلماء، ماذا يطلبون ماذا يريدون؟ يريدون مال».

قلت: ومن قال إن العلماء ساكتون عن تحذير الناس من البدع، وكيف تطلق القول هكذا بأن العلماء -على الإطلاق- يريدون المال كي يقوموا بدورهم؟! وهذه مجازفة جديدة تضاف إلى مجازفات الحويني وتهويلاته المتلاحقة.

إن علماء السنة المشهود لهم بالخير قد أدوا الأمانة وبلّغوا الناس التوحيد والأحكام الشرعية المتعلقة بالعبادات والمعاملات والأخلاق، وحذّروهم من الشرك والبدع والأهواء والمعاصي، وهذه مؤلّفات وفتاوى ودروس ابن باز، والألباني، وابن عثيمين، ومقبل بن هادي، والفوزان، وأحمد النجمي، وربيع بن هادي، وعبد المحسن العبّاد، وعبيد الجابري، وزيد المدخلي..إلخ. قد ملأت الدنيا وأظهرت للناس في مشارق الأرض ومغاربها معالم الإسلام الحق وحدوده.

لكن هؤلاء العلماء برمتهم لا يعرف لهم قدر عند الحويني[1]، فلا ذكر لهم في مجالسه ودروسه، ولم نقف أنه دلّ الشباب الحائر عليهم، أو ربط هؤلاء الشباب بهم، إنما المنقول عنه تمجيده لمثل عبد الحميد كشك، والشعراوي، ومحمد عبد المقصود، وفوزي السعيد، وسيد العربي، والعفّاني، ومحمد حسّان ...إلخ.

والشاهد أن الحويني إذا أطلق كلمة العلماء -قاصدًا علماء هذا الزمان- فهو لا يشير بهذا الإطلاق إلى علماء السنة المعروفين في زماننا -مِمَّن أشرنا إلى بعضهم أعلاه- إنما يشير في الغالب إلى صنفين:

الصنف الأول: القصّاص والحزبيون وخطباء الفتنة.

---

(١) باستثناء الألباني -رحمه الله- فقط، فيذكره غالبًا في المسائل الحديثية والفقهية فقط، أمَّا المسائل المنهجية وفتاوى النوازل فإنه يُخالفه في جلّها إن لم نَقُل كلها.

الصنف الثاني: علماء الأزهر وخطباء وزارة الأوقاف من الأشاعرة والمتصوِّفة.

وقد صرَّح الحويني في هذا الموضع أنه يقصد الصنف الثاني حيث قال: «ضعف الأزهر يوم صار شيخه بالتعيين كان قديما قويًا؛ لأن الذي كان يعيِّن شيخ الأزهر وينتخبه هم العلماء.

وراحت الأوقاف لما راحت أوقافها واستذل العلماء لقمة العيش فصار لا يستطيع أن يجهر بكلمة الحق.

* وهل أفسد الدين إلا الملوك وأحبار سوء ورهبانها *

لذلك إذا وجدت العلماء كثرة وعندهم جرأة على إقامة الحق يدخل الخفافيش، لكن إذا رأيتهم يهاجرون تنتهك أعراض الأمة وهم سكوت وتعتلي القلة القليلة على الكثرة الكاثرة وتظهر القلة ولا يظهر على الساحة إلا السماحة والإسلام دين السماحة كأن الإسلام لا شوكة له، كأن الإسلام عاجز عن تأديب المخالفين».

قلت: هذا الإطلاق من الحويني مجازفة منه، حيث إن السامع يخيل إليه -بادي الرأي- أن هؤلاء هم العلماء المعتبرون، ولا ينتبه إلى العلماء حقًّا، وهم علماء السنة، وهم معروفون عند الحويني، لكنه -كما بيَّنا آنفًا- قلَّما يذكرهم أو يشير إلى جهودهم في بيان المعتقد السلفي الصحيح، أو ينصح الشباب بسماع شروحاتهم على كتب العقيدة السلفية، اللهم إلا أن يكون لأحدهم موقف يخدم منهجه الثوري على الحكام، فحينئذ يستشهد بهذا العالم ويمجده، ويذكره بما يليق به، كما صنع مع الشيخ أحمد شاكر فيما نقلناه آنفًا، ويستثنى من هذا الألباني وبعض علماء الحديث، فهو يمجدهم من باب إجادتهم الصناعة الحديثية، لا من باب نصرهم لمعتقد السلف وقمعهم للحزبيات المناهضة للمنهج السلفي.

والحويني يستنكر على شيخ الأزهر وخطباء الأوقاف عدم الجهر بكلمة الحق، والمعني بالجهر بكلمة الحق عنده هو ذكر مساوئ الحكام على المنابر والتنديد بمخالفاتهم وجرائمهم، وحث الناس على نزع الطاعة منهم تلميحًا أو تصريحًا.

فهو يريد أمثال عمر مكرم، والأفغاني، ومحمد عبده ....

ونسي الحويني أمورًا أعظم تستنكر على شيخ الأزهر وخطباء الأوقاف، وهو غلبة التصوف والأشعرية والماتريدية -بل والنزعات الاعتزالية والخارجية، وأحيانًا الشيعية- عليهم، فكان الأولى أن يرشدهم إلى عقيدة السلف الصالح، وإلى كتب السنة الصحيحة كي يصلحوا منها معتقدهم.

ولكن لغلبة النزعة الإخوانية الثورية على الحويني، فلا ضير -عنده- من فساد معتقد هؤلاء ما داموا يجاهرون بكلمة الحق، أي: ينعقون على المنابر بمساوئ الحكام، فحينئذ تغتفر لهم أشعريتهم وتصوفهم وبدعهم[1].

ومن تناقضه أنه ينتظر من هؤلاء تحذير الناس من البدع، وهم الدعاة إليها، فهل يرعى الذئب الغنم؟!!

* * * *

---

(١) قال الشيخ حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «وإهمال الدعوة إلى رأس الأمر وهو التوحيد، فلا تكاد تسمع من ينهى الناس عن العقائد الشركية كدعاء الموتى والاستغاثة بهم والنذر لهم، وإقامة الموالد بأسمائهم إلاَّ أقل القليل من الدعاة أو الخطباء، وربما ينبذونهم لدعوتهم إلى التوحيد الخالص ويتهمونهم بعدم الحكمة».

المخالفة الثامنة

تقرير الحويني لبدعة: «إيجاب الموازنة بين الحسنات والسيئات عند التحذير من المخالف والمبتدع»

في مساء يوم الأربعاء من أواخر شهر ربيعٍ الثاني لسنة ثمانٍ وعشرين وأربعمائةٍ وألفٍ من الهجرة النبوية، في برنامج «فضفضة» على قناة الناس الفضائية، سئل الحويني هذا السؤال: لو سمحت يا شيخ عندي بعض الأسئلة: نحن نسمع هذه الأيام، يعني من بعض الجماعة الذين يقدحون في العلماء ... أمثال حضرتك والشيخ حسان والشيخ يعقوب، يعني، نرجو من حضرتك أن توجه لهم بعض النصائح؟

فأجاب الحويني: «طبعًا هو يعني الأخ إلّي بيتكلم إن فيه بعض الناس بيقدح في أهل العلم فإحنا عايزين نقول يا جماعة: ليس هناك إنسان معصوم[1] من الخطأ، لكن الميزان الذي عليه علماء السنة هو قياس الحسنات والسيئات، وتقرأ للإمام الذهبي في ترجمة محمد بن نصر المروزي..، ومحمد بن جرير الطبري وغيره مِمَّن أخذ عليهم بعض الأشياء، يقول -أي الإمام الذهبي-: لو قمنا بتبديع ابن نصر وابن خزيمة ما سلم لنا أحد لا هذا ولا ذاك.

طالما أن الإنسان عقيدته صحيحه -ده نمره واحد- منهجه صحيح -ده نمره اثنين- أي خطأ في الفروع مغتفر، حتى لو كان الخطأ في العقيدة، ينبغي أن يناظر هذا الإنسان لاحتمال أن يكون عنده قضيه مغلوطة نُصحِّحها له، لاحتمال أن يكون المعترض هو المخطأ وهذا الرجل عنده علمٌ زائد على هذا المعترض فيستفيده».

قلت: هذا الكلام فيه من التلبيس ما فيه؛ حيث إنه أراد أن يخلط بين قاعدة التماس العذر للعلماء إذا أخطؤوا -والتي بيَّنها شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه: «رفع الملام عن

---

(١) كذا، والصواب: معصومًا.

الأئمة الأعلام»-، وبين البدعة العصرية: بدعة الموازنات بين الحسنات والسيئات عند التحذير من أهل الأهواء.

مع الانتباه إلى أن التماس العذر لأهل العلم المعروفين بصحة المعتقد والمنهج، لا يعني السكوت على خطئهم، إنما يبين الصواب مع حفظ أقدار هؤلاء العلماء[1].

وأما المتعالمون وأصحاب البدع والأهواء، فإنه يحذّر من بدعهم ومخالفاتهم دون ذكر حسناتهم، ولا كرامة لهم، بل من هدي السلف الشدة عليهم، وتنفير الناس عنهم؛ حتى لا يغتر ببدعتهم.

ولَمَّا قرأت كلام الحويني السابق على العلامة عبيد الجابري -حفظه الله-، علّق قائلاً: «هذا تحريف لكلام أهل العلم، يعني كلام الذهبي وغيره هو منزل على شخص صاحب سنة حدثت منه مخالفات يُرَد عليه مع حفظ عرضه وكرامته، بخلاف التراجم... فرد المخالفة شيء والتراجم شيء آخر، فكلام الذهبي هذا محمول على محملين:

أحدهما: في أناس على سنة لكن حدثت منهم مخالفة.. يعني كانوا أئمة، فهؤلاء ترد مخالفاتهم وتحفظ كرامتهم.

الثاني: أن كلام الذهبي ليس مجردًا في الرد يعني هو تاريخ ترجمة، والترجمة بخلاف الرد، يعني الأئمة لَمَّا يردون المخالفات ما يعرضون لحسنات الشخص أبدًا، فالتراجم شيء والرد شيء آخر».

فقلت للشيخ: وكذلك الأخطر -شيخنا- أنه يريد أن يضع أمثال هؤلاء القُصَّاص الذين هم ليسوا من العلماء وليسوا من الأئمة أمثال محمد حسان ومحمد يعقوب أن يضعهم في مصاف الأئمة الكبار أمثال محمد بن نصر المروزي، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن خزيمة، ويجعل أخطاء هؤلاء من جنس أخطاء هؤلاء، ولذلك أنا أوردت بعد ذلك نماذج من كلام أهل العلم في التزكية والثناء على محمد بن نصر المروزي، وأنه كان إمامًا، حتى يظهر الفارق، كيف يقارن محمد حسَّان بمحمد بن نصر المروزي، كيف نقارن الثرى بالثريا؟

---

(١) ولا يلزم أيضًا عند ذكر خطأ العالم السُّني السلفي أن تعدِّد محاسنه، فتأمل!.

فقال الشيخ -حفظه الله-: «**قصَّاص متفلسفة متفزلكة يعني صدورهم خاوية من العلم يقارَنون بأئمة كبار!** مع أن الذي يرد عليهم أيضًا ما يذكر حسناتهم، وإنما هذا في باب الترجمة، التراجم شيء وهذا شيء آخر.

النبي ﷺ ماذا صنع بكعب بن مالك وصاحبيه -رضي الله عنهم-؟ ماذا صنع بهم؟ هجرهم جميعًا حتى ضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحُبَت، مع أن لهم حسنات عظيمة، منهم مَن شهد المشاهد كلها؛ فالعقوبة شيء والترجمة شيء آخر، الرد عقوبة ..أحيانا يرد صاحب سنة على صاحب سنة يقول: أخطأ في كذا».

قلت: لا يلزمه ذكر حسناته.

قال الشيخ: هم يُلزمون ...يخلطون حقًّا بباطل ..عرفنا منهج الرجل!». اهـ

وعليه فأنا أسأل الحويني: هل يصح في الأذهان أن يقاس أئمة جهابذة نحو محمد ابن نصر المروزي، ومحمد بن جرير الطبري، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة -رحم الله الجميع-، بالقصَّاص الوعَّاظ نحو محمد حسَّان، ومحمد حسين يعقوب..إلخ؟!!

وحتى لا نرسل الكلام على عواهنه؛ فلنعقد مقارنة بسيطة بين الإمام محمد بن نصر المروزي من جهة، وبين محمد حسَّان، ومحمد حسين يعقوب، والحويني من جهة أخرى.

فنقول: هذه بعض عبارات الأئمة في الثناء على محمد بن نصر المروزي:

قال الخطيب: «أبو عبد الله المروزي الفقيه صاحب التصانيف الكثيرة والكتب الجمَّة»[1].

وقال الذهبي: «الإمام شيخ الإسلام أبو عبد الله الحافظ»[2].

وقال الحاكم: «فضائل أبي عبد الله المروزي ومناقبه كثيرة، فإنه إمام الحديث بخراسان، وأما كلامه في فقه الحديث فأكثر من أن يمكن ذكره ومصنفاته في بلاد المسلمين مشهورة ولعلها تزيد على ستمائة جزء، عندنا من المسموعات، ما يزيد على مائة جزء»[3].

---

(١) تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥).
(٢) السير (١٤/ ٣٣).
(٣) معرفة علوم الحديث (ص٨٢).

وقال السليماني الحافظ: «مُحمَّد بن نصر إمام موفَّق من السماء»[1].

وقال القاضي مُحمَّد بن مُحمَّد: «كان الصدر الأول من مشايخنا يقولون: رجال خراسان أربعة: ابن المبارك وابن راهويه ويحيى بن يحيى ومحمد بن نصر»[2].

قال -أي: مُحمَّد بن يعقوب- وثنا إسماعيل بن قتيبة قال: سمعت مُحمَّد بن يحيى غير مرة، إذا سئل عن مسألة يقول: سلوا أبا عبد الله المروزي.

وقال مُحمَّد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري: «كان مُحمَّد بن نصر المروزي عندنا إمامًا فكيف بخراسان».

وفي شذرات الذهب (٢١٦/١): «الإمام أبو عبد الله أحد الأعلام كان رأسًا في الفقه، رأسًا في الحديث، رأسًا في العبادة، ثقة عدلاً خيرًا». اهـ

وقال ابن حزم في الإحكام (٢٧٣/٦) في معرض ذمه للتقليد والتمذهب: «وإن كان حنبليًّا، فقيل له: قلِّد مُحمَّد بن نصر المروزي، فإنه أتى متعقبًا بعد أحمد، ولقد لقي أحمد وأخذ عنه وحوى علمه ولقي أصحاب مالك والشافعي وأصحاب أصحاب أبي حنيفة وأخذ علمهم، وقد كان في الغاية التي لا وراء بعدها في سعة العلم بالقرآن والحديث والآثار والحجاج ودقة النظر مع الورع العظيم والدين المتين». اهـ

وقال الشوكاني في إرشاد الفحول (١٦٣/١): «وزعم قوم أن العالم إذا قال: لا أعلم خلافًا فهو إجماع، وهو قول فاسد، قال ذلك مُحمَّد بن نصر المروزي، فإنا لا نعلم أحدًا أجمع منه لأقاويل أهل العلم، ولكن فوق كل ذي علم عليم». اهـ

فهات لنا يا حويني كلمة واحدة فقط -لا أقول كلمات- قيلت من أئمة العصر في الثناء عليك أو على ابن حسَّان، وابن حُسَين يعقوب، نحو هذه الكلمات التي قيلت في الثناء على ابن نصر -رحمه الله-!.

أولئــك آبــائي فجئنـــي بـــمثلهم ... إذا جـــمعتنا يــا جريــر الــمجامع

---

(١) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٥٢)، والسير (١٤/ ٣٧).

(٢) السير (١٤/ ٣٧).

ولكن إن بحثنا وجدنا العكس؛ فوجدنا أن أئمة العصر قد حذَّروا منكم، وبيَّنوا مخالفاتكم لبعض أصول أهل السنة، نحو ما بيَّناه نحن في هذا الكتاب.

هذا أولاً، وثانيًا: أين مصنَّفاتكم في الذبِّ عن معتقد السلف الصالح المبنية على الأحاديث والآثار، والتي تضاهي ولو مصنَّفًا واحدًا من المصنَّفات العظيمة لابن نصر، نحو: «السنة»، و«تعظيم قدر الصلاة»..إلخ؟!

والله إنه من الظلم البيِّن أن يوضع الإمام ابن نصر في كفة، ويوضع في الكفة الأخرى مثل محمد حسان أو الحويني أو محمد حسين يعقوب!!

لقد كان الإمام ابن نصر أعلم الناس في زمانه بالسنن، وبمسائل الإجماع والاختلاف، بل كان موسوعة علمية حافلة في علم الاختلاف شهد له بذلك جمع من الأئمة، وهاك بعض أقوالهم:

قال الخطيب: «كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، ومن بعدهم في الأحكام».

قلت: وقد صنَّف كتابه «اختلاف العلماء» الذي يؤكد صحة قول الخطيب، ويعضده، وقد أكثر من الرواية عنه ابن المنذر في كتابه «الأوسط في السنن والإجماع والاختلاف».

وقال الشيرازي: «وصنف مُحمَّد بن نصر هذا كتبًا كثيرة، ضمَّنها الآثار والفقه، وكان من أعلم الناس باختلاف الصحابة، ومن بعدهم في الأحكام...». اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٤/٢١٦): «وقد حكى إجماع العلماء على أنَّها -أي الروح- مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل مُحمَّد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف أو من أعلمهم». اهـ

وقال السيوطي في «تاريخ الخلفاء» (١/١٠٨): «فائدة: رأيت بخط الحافظ الذهبي: من كان فرد زمانه في فنه: أبو بكر الصديق في النسب، عمر بن الخطاب في القوة، عثمان بن عفان في الحياء، علي في القضاء..إلى أن قال: مُحمَّد بن نصر المروزي في الاختلاف». اهـ

وقال أبو مُحمَّد بن حزم: أعلم الناس من كان أجمعهم للسنن وأضبطهم لَها وأذكرهم لمعانيها وأدراهم بصحتها وبما أجمع عليه الناس مما اختلفوا فيه- إلى أن قال: وما نعلم هذه الصفة بعد الصحابة أتم منها في مُحمَّد بن نصر المروزي، فلو قال قائل: ليس

لرسول الله -صلىٰ الله عليه وآله وسلم- حديث، ولا لأصحابه إلا ما عند مُحمَّد بن نصر لَمَا بعد عن الصدق، كما في تذكرة الحفاظ (٢/٦٥٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٢/٢٤٧).

ولذلك رفع العلماء الملام عن محمد بن نصر فيما زلَّ فيه، واعتبروا زلته مغمورة في بحار علمه وعظيم خدمته ونصرته للسنة، وهذا هو معنىٰ ما ذكره الذهبي -فيما أشار إليه الحويني-، وهذا نص كلام الذهبي بحروفه كما في ترجمة ابن نصر في السير:

«قال الحافظ أبو عبد الله بن منده في مسألة الإيمان: صرح محمد بن نصر في كتاب «الإيمان» بأن الإيمان مخلوق، وأن الإقرار، والشهادة، وقراءة القرآن بلفظه مخلوق، ثم قال: وهجره علىٰ ذلك علماء وقته، وخالفه أئمة خراسان والعراق.

قلت: الخوض في ذلك لا يجوز، وكذلك لا يجوز أن يقال: الإيمان، والإقرار، والقراءة، والتلفظ بالقرآن غير مخلوق، فإن الله خلق العباد وأعمالهم، والإيمان: قول وعمل، والقراءة والتلفظ: من كسب القارئ، والمقروء الملفوظ: هو كلام الله ووحيه وتنزيله، وهو غير مخلوق، وكذلك كلمة الإيمان، وهي قول (لا إله إلا الله، محمد رسول الله)، داخلة في القرآن، وما كان من القرآن فليس بمخلوق، والتكلم بها من فعلنا، وأفعالنا مخلوقة.

ولو أنَّا كلَّما أخطأ إمام في اجتهاده في آحاد المسائل خطأ مغفورًا له، قمنا عليه، وبدَّعناه، وهجرناه، لَمَا سلم معنا لا ابن نصر، ولا ابن منده، ولا من هو أكبر منهما، والله هو هادي الخلق إلى الحق، وهو أرحم الراحمين، فنعوذ بالله من الهوىٰ والفظاظة». اهـ

قلت: فهل يقاس اجتهاد ابن نصر الذي أخطأ فيه، مع الأقوال الشنيعة التي صدرت من الحويني ومن حسَّان؟!

فكيف يُقاس الثرىٰ بالثريا؟ والمصباح الخافت بالشمس في رائعة[1] النهار؟!!

وإليك أيضًا بعض أقوال الأئمة في ابن خزيمة -رحمه الله- منقولة من ترجمة الذهبي له في السير؛ ليطمئن قلب الباحث عن الحق، أن مجرد المقارنة بين هؤلاء الأئمة وبين نحو الحويني وابن حسَّان وابن يعقوب ظلمٌ عظيم، وإجحاف بحق هؤلاء الأئمة:

---

(١) قال الشيخ فلاح -حفظه الله-: «قال شيخنا حمَّاد الأنصاري -رحمه الله-: من الأخطاء الشائعة قولهم: (رابعة النهار)، والصواب: (رائعة النهار)، والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم».

قال أبو علي الحافظ: كان ابن خزيمة يحفظ الفقهيات من حديثه كما يحفظ القارئ السورة.

وقال ابن حبان: ما رأيت على وجه الأرض مَن يحفظ صناعة السنن، ويحفظ ألفاظها الصّحاح، وزياداتها، حتى كأن السنن كلها بين عينيه إلا محمد بن إسحاق بن خزيمة فقط.

قال أبو الحسن الدارقطني: كان ابن خزيمة إماما ثبتًا، معدوم النظير.

قال الإمام أبو العباس بن سريج -وذُكر له ابن خزيمة- فقال: يستخرج النكت من حديث رسول الله بالمنقاش.

قال حمد بن عبد الله المعدل: سمعت عبد الله بن خالد الأصبهاني يقول: سئل عبد الرحمن بن أبي حاتم عن أبي بكر بن خزيمة فقال: ويحكم! هو يُسأل عنا ولا نُسأل عنه! هو إمام يُقتدى به.

وقال الذهبي: ولابن خزيمة عظمة في النفوس، وجلالة في القلوب لعلمه ودينه، واتباعه السنة.

ثم قال: «وكتابه في «التوحيد» مجلد كبير، وقد تأوّل في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأول بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل؛ بل آمنوا وكفوا، وفوّضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده -مع صحة إيمانه، وتوخيه لاتباع الحق- أهدرناه، وبدعناه، لقلّ من يسلم من الأئمة معنا رحم الله الجميع بمنّه وكرمه». اهـ

قلت: فهل يقاس كتاب التوحيد لابن خزيمة المبني على الآثار السلفية، والذي يقرر فيه اعتقاد السلف، باستثناء مسألة الصورة، بكتاب التوحيد لمحمد حسّان الذي خلط فيه بين أقوال السلف وأقوال خوارج العصر نحو سيد قطب والمودودي، وتابع فيه سيد قطب على غلوه في توحيد الحاكمية؟

وهل الحويني وابن حسّان وابن يعقوب من الأئمة؛ حتى إذا بدّعهم العلماء، وأهدروهم لبدعهم، يصدق عليهم قول الذهبي: «لقلّ من يسلم من الأئمة معنا؟!»

ثـم قـال الحـويني: «النصيحة تكـون في السر لا تكـون في العلانيـة مـا أمكـن ذلـك[١]، يعني قبل أن نتكلم على العلن، إذا كان هذا الإنسان مخلصًا فعلاً فإنه لا يشهر بأخيه، لأن هذه الأعراض مصونة، صانها الشرع، حتى أن الشافعي - رحمه الله- قال لرجل:

تغمـــدني بنـــصحك في انفـــرادي ... ولا تلقـــي النـــصيحة في الجمـــاعه

فـــإن النـــصح بـــين النـــاس نـــوعٌ ... مـــن التـــوبيخ لا أرضى استمـــاعه

فـــإن خـــالفتني وعـــصيت أمـــري ... فـــلا تجـــزع إذا لـــم تعـــط طاعـــه

يكون الإنسان حريص، يعني يكون حريص[٢] على إخوانه».

ثم قال: «هو إحنا يعني من كثرة العلماء الموجودين الآن عملين نهدم في هذا ونهدم في هذا ونهدم في هذا، إحنا عندنا قحط، عندنا قحط بالنسبة للعلماء الربانيين، الذين فتح الله -عز وجل- قلوب الناس لهم معدودون، أنا..أنت تستطيع أن تعد هؤلاء، فنحن الآن كرجل فقير عليه ثيابٌ بالية، مقطعة من كل حته، الراجل ده مخير ما بين حاجتين:

---

(١) علّق الشيخ فلاح -حفظه الله- على هذا الموضع قائلاً: «سبحان الله! يطالب الآخرين بالنصيحة له ولإخوانه في السرّ، وبأسلوب عاطفي وقياسات فاسدة تقريرًا لها وترويجًا، في حـين يستكثرها -أي: النصيحة في السرّ- على غيره، بل وعلى من جاء الأمر الصحيح والصريح بإسرار النصيحة لهم من الحكّام وولاة الأمر». اهـ

قلتُ: بل إن الحويني خالف ما طالب به الآخرين في صنيعه مع بعض المخالفين نحو القرضاوي، كما بيَّنت هذا في المقدِّمة، وأُذكِّره بجوابه على مَن سأله: لماذا لم تقم بنصيحة د: يوسف القرضاوي سرًّا بدلاً من أن تفضحه؟ حيث قال: «إذا كانت الفتوى -أي: فتوى القرضاوي- فضيحة، فأنا ما فضحته، وإنما هو الذي فضح نفسه...». إلى أن قال: «لكن إذا كان واحد بدعته منتشرة وشهيرة، فحينئذٍ لابد أن ترد عليه».

بل إن الحويني لم يلتزم بهذه النصيحة السريَّة مع مَن تهكم بهم من العلماء الذين خالفهم، كما بيَّنا سابقًا، فوصفهم بـ«الحمق»، وبـ«الجليطة»، و«التلكك» لسيد قطب، فهلاً نصحهم سرًّا قبل أن يستهزئ بهم بهذه العبارات الفجَّة؟!

ولا يقولنَّ قائل: إنه لم يذكر أسماء هؤلاء العلماء؛ لأن فتاواهم التي نقدها، مشتهرة النسبة إليهم اشتهار الشمس في رائعة النهار! فسبُّه منصبٌ عليهم، وإن لم يُصرِّح بأسمائهم.

(٢) كذا، والصواب: حريصًا.

- أن يخلع هدومه يرميها ويمشي عريان.
- أن يرقع هدومه.

حتى لو افترضنا أنه يؤخذ على بعض أهل العلم شيء[1]، وأنا مش عجبني هذا الشيء، هذا الرجل كم نفع الله -عز وجل- به من عباده، سقى الله به بلاده وعباده، يبقى في الحالة إلّي ذي دي أرقع الثوب... الخرق إللي متقطع ده، لكن ما خلعش الثوب وأرميه ويمشي المرء عريان، لا سيما إذا كان يمكن التواصل».

قلت: وهذه فلسفة عقلية لا قيمة لها في ميزان العلماء، بل هي طريقة أهل الرأي والكلام لإبطال الآثار.

وهل الحل لمشكلة قلة العلماء ترقيع أهل البدع من القصّاص والحزبيين وغلاة التكفير، وتزيينهم في أعين الناس؛ حتى ينخدع الناس بهم؟!

أم أن الحل السوي هو نصح هؤلاء والتحذير من انحرافهم عن أصول أهل السنة حتى لا يقع المسلمين في شباك شبهاتهم، وفي الوقت نفسه نقوم بإعداد طلبة علم على العقيدة الصحيحة والمنهج السوي؛ ليحملوا الأمانة بعد ذلك.

وكما قلنا فيما سبق: مَن أثبت لهؤلاء المسئول عنهم العلم وصحة المعتقد والمنهج؟

فإذا قلت: المرء يزكيه علمه، قلنا: صدقت، وكذلك يشينه التلوث بالأهواء المخالفة لأصول المنهج الحق.

فنقول للحويني: ثبت العرش ثم انقش، ألم يحذّر أكابر أهل العلم من هؤلاء الذين يطالب الحويني بترقيعهم؛ لأنهم وقعوا في أهواء ومحدثات؟!

فمكمن التلبيس في كلام الحويني هو في عدّه هؤلاء القصّاص والحزبيين في زمرة أهل العلم الذي يعتذر لهم، ولا يذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل.

---

(١) انتبه إلى أن الحويني يصر في عدّة مواضع على إلباس هؤلاء القُصّاص والوعاظ وخطباء الخوارج القعدية لباس العلماء!!.

وهذا خلاف الواقع لمن يعقل!!

وأخيرًا قال: «يعني نحن نعيش هذه القضية من سنين طويلة، ونسمع السبَّ بآذاننا، ونرى الذين يسبوننا بأعيننا، وما سببناهم وما رددنا عليهم[1]، وليس لأننا سكتنا ليس عندهم عورات وليس عندهم ما يؤخذ عليهم[2]، لا عندهم ما يؤخذ عليهم، لكن إحنا يا إخواننا عندنا عدوٌ متربص... يعني بنقدم الأخطر فالأخطر، أنا إما يكون عندي إنسان يسلط جام غضبه وجهله ومعاول هدمه على السنة مثلاً ... أنا أقول بالنسبة لأخي هذا: أنا أعترف له بالفضل، وإن كان بغى علينا أقول ما قال عليٌ بن أبي طالب في الخوارج الذين كفَّروه لما سُئل: أكفروا، قال: من الكفر فروا، لكنهم فتنة لكنهم قوم أصابتهم فتنةٌ فعموا وصموا، ثم قال: إخواننا بغوا علينا[3]، فنحن نتعامل مع إخواننا بهذه الصورة... إخواننا بغوا علينا،

---

(١) بل سببتهم بأقذع السباب حيث وسمتهم بأنهم خوارج، كما سيأتي في النقل التالي عنه، فهل هناك سبٌّ أشد من الرمي بالبدعة بغير حقٍّ إلا أن يكون الرمي بالتكفير.

والمتعصِّبون لك يسبُّون أهل العلم والشباب السلفي بأنهم: «مداخلة ..جاميون.. ربيعيون... غلاة تجريح»، على سبيل التنقص وعلى سبيل الازدراء، ولا يكاد يخلو منتدى من المنتديات الناطقة باسمكم إلا وفيها هذا التنابز بالألقاب، والسلفيون لا يلحقهم لقب من هذا؛ لأنهم لا يتعصَّبون لشخص بعينه ولا يعقدون عليه الولاء والبراء كما يصنع أتباعكم معكم، إنما اتباعهم المطلق لنبي الهدى ﷺ.

وما أشبه صنيعكم مع السلفيين بصنيع الرافضة، والصوفية حيث ينبزون السلفيين بأنهم وهَّابية وحنابلة، وأنهم غلاة متشدِّدون ...إلخ!!

وكذلك صنوك محمد حسَّان سبَّ السلفيين بأقذع السِّباب من خلال درسه: «رسالة إلى غلاة التجريح»، وطعن في علماء المدينة ووسمهم بالفتَّانين، ولقد أقررت هذا الشريط، بل اعتبرته من حسنات ابن حسَّان.

هذا بخلاف سبِّك للعلماء الذين أفتوا بحرمة العمليات الانتحارية بأنهم أصحاب جليطة ...إلخ.

(٢) هلاَّ بيَّنت لنا ما يؤخذ على العلماء الذين بيَّنوا أمرك؟ فإن كان ما أُخِذ عليهم من قبيل البدع والضلالات التي أخِذَت عليك، بيِّنا هذا وحذِّرنا منهم ! ودعك من إلقاء التهم جزافًا دون بينات تشكيكًا في الحق وأهله، وقذفًا للريبة في قلوب الضعفاء، فإن هذا سبيل الخونة الزائغين عن الحق.

(٣) هذا الأثر بهذا اللفظ فيه نظر في حق الخوارج، إنما قاله عليٌّ -رضي الله عنه- في أصحاب الجمل لا الخوارج، وذلك فيما أخرجه ابن أبي شيبة في مصنَّفه (٧/ ٥٣٥) حيث قال: حدثنا يزيد بن

هارون عن شريك عن أبي العنبس عن أبي البختري قال: سئل علي عن أهل الجمل، قال: قيل أمشركون هم؟ قال: من الشرك فروا، قيل: أمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

وأخرجه البيهقي في الكبرىٰ (٨/ ١٧٣) من طريق ابن أبي شيبة به.

وأما الخوارج، فجاء قول علي فيهم بلفظ: «قوم بغوا علينا»:

قال ابن أبي شيبة في مصنَّفه (٨/ ٧٤٣): حدثنا يحيىٰ بن آدم، ثنا مفضل بن مهلهل، عن الشيباني، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي، فسئل عن أهل النهر أهم مشركون؟ قال: من الشرك فروا، قيل: فمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل له: فما هم؟ قال: قوم بغوا علينا.

وأخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٩١) قال: أنا يحيىٰ بن آدم ثنا مفضل بن مهلهل، عن الشيباني، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب قال: كنت عند علي حين فرغ من قتال أهل النهروان فقيل له: أمشركون هم؟ قال: «من الشرك فروا»، فقيل: منافقون؟ قال: «المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً»، قيل: فما هم؟ قال: «قوم بغوا علينا فقاتلناهم». وهذا سند صحيح.

وقد أورد الشيخ عبد المالك الرمضاني -نفع الله به- في كتابه الماتع «تخليص العباد من وحشية أبي القتاد» (٣٧٨) بحثًا ماتعًا في الردِّ علىٰ عدنان عرعور في إثبات عدم صحة هذا القول المنسوب إلىٰ عليٍّ في حق الخوارج من ناحية الرواية والدراية، فقال: «وقد أورد ابن كثير في البداية والنهاية (١٠/ ٥٩١) رواية في حق الخوارج بلفظ: «إخواننا»، لكنه أحسن صنعًا حيث ساقها بسندها من كتاب الخوارج للهيثم بن عدي عن إسماعيل بن أبي خالد، والهيثم هذا منكر الحديث، كما في ترجمته من «تاريخ بغداد» (١٤/ ٥٠) ويدل علىٰ نكارة ما روىٰ أن ابن نصر روىٰ في كتابه السابق (ص٥٩٣) روىٰ الأثر نفسه لكن من طريق وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد بإسناده إلا أنه بلفظ: «قوم حاربونا»، وهو إسناد صحيح؛ فدلَّ علىٰ أن لفظ: «إخواننا بغوا علينا» بالنسبة للخوارج من منكرات الهيثم.

ولذلك قال ابن تيمية -رحمه الله- في رسالة «فضل أهل البيت وحقوقهم» (ص٢٩): «وقد ثبت عن أمير المؤمنين علي -رضي الله عنه- من وجوه أنه لَمَّا قاتل أهل الجمل لم يسب لهم ذرية ولم يغنم لهم مالاً، ولا أجهز علىٰ جريح، ولا أتبع مدبرًا، ولا قتل أسيرًا، وأنه صلىٰ علىٰ قتلىٰ الطائفتين بالجمل، وصفين، وقال: إخواننا بغوا علينا.

وأخبر أنهم ليسوا بكفار ولا منافقين، واتبع فيما قاله كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، فإن الله سماهم إخوة، وجعلهم مؤمنين في الاقتتال والبغي كما ذكر في قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾».

وقال أيضًا في (ص٣١): «ولا يستوي القتلىٰ الذين صلىٰ عليهم وسماهم: «إخواننا»، والقتلىٰ الذين لم يصلِّ عليهم، بل قيل له: مَن ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾، فقال: هم أهل

ونحن نعلم أن هذا من البغي لكننا لن نسلط ألسنتنا يومًا من الأيام عليهم، ونقول كما قال النبي ﷺ: «قل اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون»، وأقول أيضاً كما قال أبو العتاهية:

إلى ديـــان يـــوم الـــدين نمـــضي ... وعنـــد الله تجتمـــع الخـــصوم

ونسأل الله -عز وجل- أن يهدي إخواننا». اهـ

قلت: وهل هؤلاء الذين تدافع عنهم ليسوا من معاول هدم السنة؟

ولكن الظاهر أن مصطلح أهل السنة عند الحويني واسع، فهو يضم الحزبيين بشتى أحزابهم، ويضم القصّاص والمتعالمين(١).

هذا أولاً، وثانيًا: قياسه صنيع مَن حذَّر منه على صنيع الخوارج مع علي -رضي الله

=

حروراء، هذا الفرق بين أهل حروراء، وبين غيرهم الذي سماه أمير المؤمنين في خلافته بقوله وفعله موافقًا لكتاب الله وسنة نبيه، وهو الصواب الذي لا معدل عنه لمن هدي رشده».

وكذلك قال في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥١٨)، وفي منهاج السنة (٤/ ٤٩٧)، (٧/ ٤٠٧)، وهذا من دقته -رحمه الله-، وما استصوبه ابن تيمية هنا، هو الرواية التي اعتمدها القرطبي في تفسيره (١٦/ ٣٢٣-٣٢٤)، بل صرح في منهاج السنة (٥/ ٢٤٣) بذلك، فقال بعد أن ساق بعض الروايات في قتال علي للخوارج: «الحديث الأول، وهذا الحديث صريح في أن عليًا قال هذا القول في الخوارج الحرورية أهل النهروان الذين استفاضت الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ في ذمّهم والأمر بقتالهم».

بل صرَّح بالفرق جليًا في مجموع الفتاوى (٢٨/ ٥٠٤)، فقال: «ولهذا افترقت سيرة علي -رضي الله عنه- في قتاله لأهل البصرة والشام، وفي قتاله لأهل النهروان، فكانت سيرته مع أهل البصرة سيرة الأخ مع أخيه، ومع الخوارج بخلاف ذلك». اهـ

(١) وأحسن ما يرد به على كلام الحويني السابق، ما قاله يوسف بن عبد الهادي -رحمه الله- في «جمع الجيوش والدساكر على ابن عساكر» (ق٥٦/ مخطوط): «ثم أخذ يذكر أن لحوم العلماء مسمومة، وأن الوقوع فيهم أمر عظيم، والتطاول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لنقش العلم خلق ذميم، وقد صدق في ذلك؛ هذا للعلماء، وأما من فيه أمر وبدعة، فبيان أمره وإظهاره أفضل، كما قد نص على ذلك الأئمة.

وأما ما ذكر من نهي النبي ﷺ عن الاغتياب، وإنما هذا من الدين، الكلام في المبتدع، وإظهار بدعته، والكذّاب بيان كذبه من الدين متعين».اهـ

عنه- قياس فاسد، لعدم اتحاد العلة، حيث إن الخوارج بغوا على علي -رضي الله عنه- وكفّروه بغير حق -كما هو معلوم-، أما من حذّر من الحويني لم يبغ عليه، ولم يكفّره، والعلماء الذين بدّعوه لم يبدّعوه ظلمًا وعدوانًا، إنما بدّعوه لِمَا صدر منه من أقوال وتأصيلات بدعية، والتي بيّنّاها بجلاء في هذا الكتاب.

وفي موضع آخر يطعن أيضًا في علماء الجرح والتعديل ويشبههم بالخوارج أيضًا، حيث قال[1]: «الشاهد أهو الخصومة كانت بين سفيان وبين وكيع، لم تكن كما تكون بين الحمقى[2]، العقلاء لما بيختلفوا بينهم سكك اتصال، وللتأويل مجال، والإنصاف يظلّل هذا كله.

عشان الجماعة الذين ..قاعدين ليل نهار يتكلمون في المشايخ: هذا مبتدع، هذا إمام الجرح والتعديل[3] قال فيه: لا يساوي شيئًا، هذا أصل علان العلاني حطوا في المش عارف إيه، هذا أصله يهادن المبتدعة.

قاعدين فاضيين، إذا كان لك مائة حسنة سيئة واحدة تمحوها عند هؤلاء، طهَّر الله الأرض منهم، دول يعني كانوا نِزاع وشر.

لسه أمس واصلني مكالمة من كندا الفجر، والله بعد ما صليت الفجر، وأنا قاعد أحضر الخطبة، مكالمة جاءتني من كندا الجماعة إياهم الملاطيش دول رايحين كندا، كندا إلّي هيا ما فيهاش إلاّ مسجد في كل مدينة تلاقي مسجد -ده إذا المسلمين عرفوا يبنوا مسجد- لا فيه صوت أذان ولا فيه مسلمين ولا فيه أئمة ولا فيه مش عارف...

---

(١) في إحدى دروس «سلسلة مدرسة الحياة» (قناة الحكمة).

(٢) مَن هُم الحمقى الذين يعنيهم الحويني؟ الجواب: مجموع كلامه في مواطن مختلفة يدل على أنهم علماء المدينة، والذين على رأسهم: الإمام ربيع بن هادي -حفظه الله ونصره، وأذلّ عدوه-، ومن سلك سبيلهم في الجرح والتعديل.

(٣) هذا غمز منه للعلامة ربيع بن هادي -حفظه الله-، وهو إمام الجرح والتعديل بحقٍّ شاء أم أبى بشهادة العدول من أهل العلم!
وهذا الغمز يضاف إلى طعنه في الشيخ ربيع ... وبهذا يظهر الحويني على حقيقته التي طالما كان يسعى لإخفائها أمام إمام السنة الألباني -رحمه الله-.

أوَّل ما نزلوا البلد شُغلتهم: احذروا فلانًا وفلانًا وفلانًا، فإن فلان صفته كذا وعلان صفته كذا، يا ابني ده مش عارف التوحيد هذا الذي تكلمه لا يعرف شيئًا في التوحيد لا يعرف شيئًا عن ربِّه قاعد في البلد ومولود في البلد بقاله ٣٠ سنة مولود في البلد أول ما تيجي تكلمه لا تعرِّفه ربَّ العالمين ولا صفات رب العالمين ولا ما جاء به الرسول الأمين هو كل القضية احذر فلان وفلان، لأن فلان ضلالي وفلان مش عارف إيه وفلان من جماعة كذا فلان من جماعة كذا.

سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان يقولون من قول خير البرية آدي المشكلة.

أوربا تقريبًا صُدِعت بسبب هؤلاء.

شوف الإنسان لما بيختلف أهل العلم لما بيختلفوا تلاقي بينهم أرضية مشتركه الخلاف يحطه في حجمه». اهـ

قلت: بهذه الألفاظ الركيكة العامية السوقية يسفِّه الحويني من أعظم علم حمى الله به هذا الدين طوال هذه القرون: علم الجرح والتعديل، الذي من المفترض أنه من علوم الحديث التي يدعي الحويني أنه من المشتغلين بها، ويصور هذا العلم والقائمين عليه في أسوأ صورة، لو أراد أهل الكفر والإلحاد أن يسيئوا إلى هذا العلم ما استطاعوا أن يبلغوا ما بلغه الحويني بهذا الكلام.

وهو يعلم مَن يعني بهذا السبِّ، فهو يسبُّ العلماء الربانيين الذين يشتغلون بعلم الجرح والتعديل في هذا الزمان -وعلى رأسهم الإمام ربيع بن هادي-، فهم في نظره حمقى عديمو الإنصاف حدثاء الأسنان سفهاء الأحلام ملاطيش ..إلخ.

وصدق الرسول الأمين -صلى الله عليه وآله وسلم-، لمَّا قال في وصف الدعاة على أبواب جهنم: «من بني جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»، كما في حديث حذيفة -رضي الله عنه- في الصحيحين.

وأقول مستمدًا من الله التوفيق في تفنيد هذه الافتراءات التي ملأت جوانح كلام الحويني -هداه الله-:

لماذا لم يكن هناك سكك اتصال بين النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وذي



الخويصرة التميمي -رأس الخوارج-، قبل أن يحذِّر منه الرسول الأمين -صلى الله عليه وآله وسلم-، كما ثبت هذا في عدة أحاديث من أصح الأحاديث؟!

ولماذا لم يكن هناك سكك اتصال بين أحمد، وابن معين، وشعبة، وأبي حاتم، وأبي زرعة، والبخاري ...إلخ، وبين من حذَّروا منهم سواء من أهل البدع والأهواء، أو من الرواة الذين بيَّنوا أخطاءهم وسوء حفظهم؟!

هل يقال في حقِّ النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-، وفي حقِّ هؤلاء الأئمة ومن سار على طريقهم: «قاعدين ليل نهار يتكلمون في المشايخ .. قاعدين فاضيين، إذا كان لك مائة حسنة سيئة وحدة تمحوها عند هؤلاء .. طهَّر الله الأرض منهم .. دول نزاع وشر»، لأنهم يحذِّرون من أهل البدع والأهواء، ومن الكذَّابين والوضَّاعين والمدلسين..إلخ؟!

وهل يقال في حقِّ النبي ﷺ: إنه أهدر حسنات الخوارج من صلاة وصيام وقراءة للقرآن بسبب سيئة واحدة نحو: قتلهم لأهل الإسلام وودعهم أهل الأوثان؟!

وهل يقال في حق ابن عمر -رضي الله عنهما-: إنه أهدر حسنات القدرية -من تقفرهم للعلم وتلاوتهم للقرآن- بسبب سيئة واحدة، وهي: قولهم لا قدر وإن الأمر أنف؟!

وهل يقال في حقِّ أحمد بن حنبل: إنه أهدر حسنات الحارث المحاسبي الساكن الخاشع الواعظ، بسبب سيئة واحدة وهي دخوله في قول الجهمية؟!

وهل يقال في حق هذا الإمام المبجل -رحمه الله-: إنه أهدر حسنات يعقوب بن شيبة -أحد كبار علماء الحديث في زمن أحمد-، بسبب سيئة واحدة، وهو توقفه في خلق القرآن؟!

وهل يقال في حق أئمة الجرح والتعديل قاطبة: إنّهم أهدروا حسنات أئمة البدع والضلال نحو الجهم بن صفوان، وواصل بن عطاء، والمريسي العنيد، وعمرو بن عبيد ...إلخ، بسبب سيئة واحدة؟!!

أم أن هذا هو منهج الموازنات المحدَث ؟!!

والواجب على الحويني إن كان منصفًا، أن يزن بميزان العدل، فيقول: ما هي السيئة -بل السيئات- التي أهدرت بسببها الحسنات؟!

ألا يدري الحويني أن سيئة الشرك تحبط كل الحسنات قاطبة؟!

أما السيئة -إن كانت بدعة- فإنه يترتب عليها وجوب التحذير من صاحبها وبيان حاله للمسلمين، وإن كان له ما كان من الحسنات.

ولعلَّ الحويني أخذ هذا الكلام عن شيخه عبد الرحمن عبد الخالق -حامي حمى الأحزاب البدعية باسم السلفية-، فإن له كلامًا قديمًا يشبه كلام الحويني هذا، حيث قال كما في «موقف أهل السنة والجماعة من البدع والمبتدعة» (ص٢٠-٢١): «إياك ومنهج الخوارج؛ وسبب ضلال الخوارج كما ذكره شيخ الإسلام -رحمه الله- أنهم جعلوا ما ليس بسيئة سيئة وما ليس بحسنة حسنة وكذلك أنهم حكموا على المسلمين بالكفر ورأوه دينًا، وعاملوهم معاملة الكفار فاستحلوا بذلك دماءهم وأعراضهم وأموالهم ... والسائرون على منهج الخوارج هذا موقفهم وللأسف يجعلون ما ليس بسيئة سيئة وما ليس بحسنة حسنة ويتهمون إخوانهم في الدين والعقيدة ويخرجونهم من أهل السنة والجماعة وبذلك يستحلون أعراضهم وحربهم وتحذير الناس منهم وقد يتقربون إلى الحكام بدمائهم».

فردَّ عليه العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- في كتابه «جماعة واحدة لا جماعات» (ص١٥٨/ الغرباء الأثرية): «والظاهر من سيرته ومواقفه في كتبه وأشرطته التي اطلعنا عليها، ومن هذا الكتاب ومن مواجهته للسلفيين أنه يريد بحكمه هذا السلفيين الأبرياء السائرين على منهج السلف الصالح ولقد جار عليهم جورًا شديدًا وتعسف في حكمه عليهم أيما تعسف؛ فهم لا يبدعون إلا من خرج عن السنة ويجابهون بدعة التكفير واستحلال الدماء ...إلخ فهم على طريق ابن تيمية شيخ الإسلام ناصر السنة وقامع البدع وعلى طريق السلف الصالح رافعي راية السنة وقامعي البدع، ومنهم أحمد بن حنبل وأمثاله.

وللأسف أن عبد الرحمن يزج بابن تيمية ومنهج السلف في معاركه ضد السلفيين حقًا السائرين على منهج السلف لا على منهج الخوارج ولا على أي منهج آخر من المناهج التي توجد بقوة في الجماعات التي يدافع عنها ويستعين في الدفاع عنها بحرب ابن تيمية ضد البدع والمبتدعين ومنه الكلام الذي نقله هنا ليجعل من هذا الكلام سلاحًا ضد

السلفيين، فينزله عليهم ليصورهم للناس أنهم سائرون على شر المناهج منهج الخوارج، ويزيدهم قبحًا وخزيًا على خزي، بأنهم قد يتقربون إلى الحكام بدماء أهل السنة.

أما الذين يرون أن المجتمعات الإسلامية مجتمعات جاهلية ويكفِّرونهم ويصفون سوادهم ومثقفيهم ومدرسيهم وحكامهم وفيهم القضاة بأنهم علمانيون ويعتبرون ديار المسلمين ديار حرب ويؤلفون في ذلك الكتب التي تزخر بها المكتبات وتنتشر في معظم البلدان الإسلامية وغيرها.

أما هؤلاء فهم دعاة الإسلام والمجاهدون حقًّا، والآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، وإن ربوا أنفسهم وربوا أتباعهم على كتب التكفير وروَّجوا لهذه الكتب وقدَّسوها وقدَّسوا مؤلِّفيها وكفَّروا بها المسلمين رميًا بالكفر الصريح ورميًا بالعلمانية ورميًا لمجتمعاتهم بأنها مجتمعات جاهلية وبعضهم يعتبرها دار حرب، وبعضهم أقام الحرب في بعض بلدان المسلمين فعلاً على أنها دار حرب ويلقى التأييد من البعض الآخر، وأساس هذه الفتن الأضر والأشد من منهج الخوارج كتابات سيد قطب وأخيه وتلاميذه -أهل مدرسته المدمرة- فكتاب الظلال مشحون بتكفير المجتمعات الإسلامية وأنه لا يصلح تطبيق أحكام الإسلام في هذه المجتمعات الجاهلية ويؤكد ذلك بما في كتابه «معالم في الطريق»، وما في كتابه «العدالة الإجتماعية» و«الإسلام ومشكلات الحضارة».

ونحن لا نرمي الكلام جزافًا فهذا واقع متحقق تحقُّق وجود الشمس ولا يغالط ويكابر فيه إلا ورثة السوفسطائية». اهـ

ونقول للحويني أيضًا: لماذا أهدرت حسنات المسلمين قاطبة، حين قلت في درسك (نداء الغرباء- وجه ٢): «ولا ننكر لأن الجماهير كانت تنتظر فتوى تحليل الربا».

قلت: بهذه الجرأة يتهم جماهير المسلمين برغبتهم في استحلال الربا، وهذه هي طريقة سيد قطب في تكفير المجتمعات الإسلامية.

وقد يقول جاهل -أو متعصِّب للحويني-: إن الحويني لا ينكر تحذير علماء الجرح والتعديل من أهل البدع الذين ثبتت عليهم البدعة، إنما ينكر على الشباب الصغير الذين يبِّدعون المشايخ المشاهير!!

فأقول: ليسمِّ لنا الحويني هؤلاء المشايخ أولاً، حتى يثبت لنا هل هم على السنة فعلاً أم أنهم أدعياء؟

هذا أولاً، وثانيًا: وليسمِّ لنا المعنيين بهذه الأوصاف السيئة، هل هم من العلماء أم من المجاهيل؟

فإن كانوا من علماء الجرح والتعديل، فهل يجوز أن يوصف العلماء بهذه الأوصاف السيئة، حتى لو أخطؤوا في تبديع فلان أو علان؟!

وإن كانوا ليسوا من العلماء، فهل يصح أن تنكر عليهم نقلهم عن العلماء، وأن تستهزئ بهم بقولك: «قاعدين ليل نهار يتكلمون في المشايخ.. هذا إمام الجرح والتعديل قال فيه: لا يساوي شيئًا، هذا أصل علان العلاني حطوا في المش عارف إيه، هذا أصله يهادن المبتدعة؟!!».

هل هذا أدب الإسلام مع العلماء أو مع عامة المسلمين: أن تستهزئ بهم وتحقِّر منهم بغير حقٍّ؛ لأنهم بيَّنوا الحق؟! وقد قال -صلى الله عليه وآله وسلم- كما في حديث أبي هريرة -رضي الله عنه- عند مسلم (٢٥٦٥): «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لا يظْلِمُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَى هَاهُنَا، وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ، كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**».

وهل يصح الاستهزاء بكلام أئمة الجرح والتعديل نحو أحمد وابن معين وأبي حاتم وأبي زرعة والبخاري والدارقطني... إلخ. في بيان حال المبتدعة، نحو قولهم: فلان لا يساوي شيئًا، وفلان يجالس أهل البدع ويهادنهم ... إلخ؟!

فكلا القولين باطل، وفساد أحد القولين مستلزم لفساد أصل القول الآخر، وكل من القولين يناقض الآخر.

وأقول للحويني: لماذا لم تحرص أن يكون بينك وبين هؤلاء العلماء سكك اتصال لتبين لهم خطأهم في هذا التبديع -على حدِّ فهمك-، كما تطالبهم بالشيء نفسه؟!

ولكن -وحتى يعلم الجميع- لقد حاول إمام الجرح والتعديل -الذي يستهزئ الحويني به: العلامة ربيع بن هادي- إيجاد سكك الاتصال والمناصحة مع الحويني، وأرسل إليه الرسل من أجل هذا، ولكنه هرب وتولَّى.

وهذا رغم الفارق الكبير في العلم والقدر والسن بين إمام الجرح والتعديل العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله تعالى-، وبين الحويني، فشتَّان شتَّان!!

ألا تذكر يا حويني أنك زرت من قبل هذا الإمام في بيته، وأخذت ترجوه -وكدت أن تقبل يديه ورجليه- حتى يأذن لك في تصوير أجزاء علل الدارقطني -التي لم تكن طبعت-، حيث علمت إنه هو الوحيد الذي كانت لديه هذه النسخة، كما حكى هذا الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-.

ألم تذهب في يوم ما باكيًا إلى هذا الإمام -الذي تستهزئ به- شاكيًا له من هؤلاء الذين ظلموك وافتروا عليك أنك تعطِّل الصفات على طريقة الجهم بن صفوان، طالبًا منه أن ينصفك، فأخذ يهدئ من روعك، ويثبتك بكلامه.

فلِمَا لا تتنازل عن كبريائك وتكرر الزيارة لهذا العالم الفاضل الذي يكبرك في السن والعلم والقدر، والذي أثنى عليه كبار العلماء، وعلى رأسهم الإمام الألباني -الذي تدَّعي أنه شيخك الذي تسير على خطاه-، حتى توجد هذه السكك للحوار والتناصح؟!!

هل لو زرته طردك؟! لا، لن يطردك.

وحتى لو فعلها لكان محقًّا، نظرًا لجرأتك على أصول المنهج السلفي وعلمائه!

وأما قولك عن هؤلاء الذين ذهبوا إلى أوربا لدعوة أهل الكفر فبدءوا بالتحذير من فلان وعلان، ولم يبدءوا بالتوحيد، فهذا -إن صحَّ- بلا شك خطأ كبير، ولم يقل بهذا أحد من علماء الجرح والتعديل في هذا الزمان -وعلى رأسهم العلامة ربيع-!!

وجهود هؤلاء العلماء في الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وفي مراعاة أحوال المدعوين معروفة، يعرفها القريب والبعيد، لكن أبصار أهل الأهواء عميت عنها!

ولذلك فإن هؤلاء الذين صنعوا هذا لا علاقة لهم بالعلماء، والعلماء براء من صنيعهم.

فهذه الصنائع إنما تصدر من الحدادية، ومن شابههم من الشباب الأهوج المتهور، وقد حذَّر العلماء منهم ومن صنائعهم، فلِمَ التلبيس وقذف الأبرياء بما هم منه براء، والله سبحانه يقول: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٨]؟!!

مـع التنبيـه علـى أن البـدء بالتوحيـد لا يتعـارض مـع التحـذير مـن الفـرق والأحـزاب المعادية لدعوة التوحيد، والمحرفة لمعناه، بل إن التحذير منها من تمام سلامة المدعو، حتى لا يقع في حبائلها، وينحرف عن الصراط المستقيم.

والواجب على المنصف أن يميز أهل الحق عن أهل الباطل، وإلا كان مبطلاً يريد أن يسوي بين أهل السنة وأهل البدعة؟

وأما عن قولك: «سفهاء الأحلام حدثاء الأسنان يقولون من قول خير البرية آدي المشكلة».

فأقول: إن كنت تقصد بهذا الحدادية ومن شابههم، فنحن نؤيدك على هذا، ولكن الذي يظهر أنك لا تفرق، حيث إنه يظهر من مجموع كلامك في أماكن متفرقة أنك تدافع عن القصَّاص والحزبيين أمثال: عبدالحميد كشك، ومحمد حسَّان، ومحمد حسين يعقوب، ومحمد عبد المقصود، ومحمد إسماعيل المقدم ...إلخ، وتعتبر هؤلاء علماء سنة، وليسوا على بدعة، فمن طعن فيهم وحذَّر من بدعهم، اعتبرته من الخوارج الذين يطعنون في الأبرياء بغير حقّ، وأما طعن هؤلاء في العلماء حقًّا فإنك لا ترفع له رأسًا بل تؤيده وتشارك فيه.

فقد نقلنا طعنك المبطن في أئمة السنة في هذا العصر، نحو الألباني، وابن عثيمين، والفوزان، ووصفك فتاويهم في التحذير من العمليات الانتحارية بأنها «جليطة».

وقولك في هؤلاء الأئمة الذين حذَّروا من سيد قطب بأنهم: يتلككون لسيد قطب.

وقولك عن الإمام ربيع بن هادي: أحمق.

وكما قال -صلى الله عليه وآله وسلم-: «**إن لم تستح فاصنع ما شئت**».

فالأحق بوصف الخوارج هو الحويني؛ لأنه رفع بعض قواعد الخوارج، والتي فندناها في طول الكتاب نحو:

١) تكفيره للمصر على المعصية.

٢) إقراره قاعدة سيد قطب الخارجية في توحيد الحاكمية، والتي بها كفَّر سيد المجتمعات الإسلامية.

٣) تصريحه بعدم وجود سلطان شرعي اليوم يستحق أن يسمع له ويطاع في المعروف، وهذه عقيدة قطب وأذنابه.

٤) سلوكه مسلك الخوارج القعدية في التهييج والإثارة على الحكّام.

٥) سبُّه للعلماء الأكابر، كما كان يسب الخوارج أكابر الصحابة.

ونحن نخشى على الحويني وأمثاله أن يكون لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس:٦٩]، ومن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ [النحل:١٠٥].

وممَّن سار على خط واحد مع الحويني في اتهام أهل العدل والإنصاف -الذين حذَّروا من غلو السرورية- بأنهم خوارج: سلمان العودة، فصدق من قال: رمتني بدائها وانسلت، فقال سلمان كما في مقاله: «بيني وبين ابن جبرين»: «... ويوجد وراء هذا وذاك من أهل الخير والتفقه ممَّن لا يقولون بقول الخوارج، وربما أعلنوا عليه الحرب والنكير، لكنهم يقتبسون منهم مسلكهم في القسوة على مخالفيهم، ومحاصرتهم بالتهم، فهذا زنديق، وهذا مبتدع ضال، وهذا خارجي، وهذا مرجئ، دون أن يكون لهم في ذلك بصر ولا أناة، أو يكونوا من أهل العلم المحتكم إليهم في هذه المسائل[1]، وقد يصبح معقد الولاء والبراء على مثل هذه الأغلوطات[2]، وربما استقر في ذهن الشاب (حديث السن) معنى قريب فتشبث به وجادل حوله، وأضاع فيه أثمن سني عمره، إذ كان خليقًا أن يصرف في البناء

---

(١) اتقِ الله يا سلمان، ولا تدلس على الأغمار، فإنك تعلم علم اليقين أنك لم تقبل حكم العلماء في هذه المسائل، بل رددته ليًا بلسانك وطعنًا في الدين، فشابهت أهل الكتاب الذين قال الله سبحانه فيهم: ﴿مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ...﴾ [النساء: ٤٦].

(٢) كما هو واضح: العامل المشترك بين السرورية -بل بين أهل البدع جميعًا-: الإجمال وعدم التفصيل، وذكر القواعد العامة -التي هي حقٌّ في نفسها- لكن في غير الموضع الذي تصلح فيه للحجاج.

فنقول لسلمان: عيِّن لنا هذه الأغلوطات، فإن كانت هذه الأغلوطات هي بدع وضلالات الفرق الضالة فلا جرم أن تصبح معقد الولاء والبراء، وأما إن كانت بخلاف ذلك فلِمَ تتهرب من ذكرها؟!

والتكوين العلمي والسلوكي[١]. إن التصحيح والبيان واجب، على أهله الذين هم أهله[٢]، ممن يملك العلم والرحمة معًا ﴿ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥].

ولقد يدرك أولو الألباب الجهود الإسلامية التي يأكل بعضها بعضًا، ويدمّر بعضها بعضاً، مع مسيس الحاجة إليها والعجز المستحكم عن مدافعة العدو الصريح الذي سلب الديار، ونهب الأموال، وصار يتدخل في خصوصيات المسلمين ومعاقد حياتهم، وأظهر

---

(١) هي هي الشنشنة نفسها التي يدندن حولها السروريون جميعًا: ادعاء أن المتكلّم فيهم المحذّر من باطلهم هم شباب صغار حدثاء أسنان لا يحسنون أبجديات العلم الشرعي.

وهذا من أخبث أنواع التدليس أن أحيِّد الكبار وأقحم الصغار؛ حيث إني لا أقوىٰ علىٰ مصارعة الحق الذي صدع به الكبار؛ فأحوِّل النزال إلَىٰ الصبية الذين أدعي التنزه عن الاهتمام بكلامهم نظرًا لحداثتهم، بل أظهر بمظهر الكبير الناصح لهم.

والأمر علىٰ خلاف هذا تمامًا؛ حيث إن الشباب الذين يتباكي عليهم سلمان لم يضيعوا ثمرة سني عمرهم في الأغلوطات، بل استجابوا لله ورسوله لَمَّا دعاهم لِمَا يحييهم، فاستجابوا لكلام أكابر أهل العلم في كشف أغلوطات أهل الأهواء، والتزموا أصول منهج السلف الصالح وذبُّوا عنها، وتفقهوا فيها، وفي مثل هذا تبذل الأعمار.

وأمَّا من أضاع وقته في القيل والقال والمهاترات ونقل ما لا ينفع من الكلام، فهذا لا يحسب علىٰ السلفيين الذين أنت -ومن علىٰ شاكلتك- تعنونهم بنقدكم الهدَّام، فالأولىٰ أن تصرفوا عنايتكم هذه وحرصكم إلىٰ مَن يستحقه.

(٢) نعم بلا شك لا يتصدر للبيان والتصحيح إلا أهل البصيرة، ولكن هل لَمَّا تصدر أهل البصيرة -المشهود لهم بالعلم والاستقامة من العدول- لهذا البيان والتصحيح قبلت كلامهم، أم التويت ولويت الحق ؟!

فعلىٰ سبيل المثال: لَمَّا أصدر الإمام ابن باز عدة بيانات وبيَّن في عدة مناسبات مخالفته الظاهرة لِمَا أنت عليه وإخوانك من السرورية نحو سفر وعائض وناصر العمر، هل قبلتم بيان ابن باز وتصحيحه ؟!

ولَمَّا ناصحك العلامة ربيع وأرسل إليك كتابه «الفرقة الناجية والطائفة المنصورة هم أهل الحديث» هل رفعت رأسًا للبيان والتصحيح في هذا الكتاب؟ أم أعرضت واستكبرت وأثنيت صدرك استخفاء من الحق؟! ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

منه ضعف تبليغ الإسلام إلى البشرية، ففي الوقت الذي يحتدم الجدل والتمحك بيننا في مسائل ما كانت لتبلغ ما بلغت لولا أننا ألححنا عليها وأكثرنا من الدوران حولها، في الوقت نفسه يظل أربعة من كل خمسة في الأرض كلها من غير المسلمين، وممَّن لم تبلغهم رسالة الإسلام غالبًا.

ونحن نرى أن هذه وتلك هي المعارك الجادة التي يجب أن نتأهل لها، أما العراك مع إخواننا فنؤثر طيّه وتجاوزه، وقبول العذر، وإحسان الظن ...إلخ[1]». اهـ

وأما عن قول الحويني: «أوربا تقريبا صُدِعت بسبب هؤلاء».

فالجواب: إن أوربا تصدعت بسبب مناهج الأحزاب الضالة من إخوان، وقطبية، وسرورية، وتبليغ، وصوفية، وحدادية، وروافض، وبسبب الأفراخ الذين خرجوا من تحت عباءة هذه الأحزاب، والذين حيَّدوا الداخلين في الإسلام عن تعلُّم العقيدة الصحيحة، وشغلوهم بمناهج وأهداف أحزابهم البعيدة عن المنهج الصحيح.

فما كان ولن يكون منهج حماة هذا الدين من أئمة الجرح والتعديل سببًا في تصدع أوربا ولا غيرها، بل سيظل -بإذن الله- دائمًا سياجًا منيعًا يحمي هذا الدين، ويحمي من يدخل فيه من شبهات ومكائد أهل البدع.

وأما عن قولك: «شوف الإنسان لما بيختلف أهل العلم لما بيختلفوا تلاقي بينهم أرضية مشتركه الخلاف يحطه في حجمه».

فالجواب: رمتني بدائها وانسلت، فيا ليتك تلتزم بآداب الخلاف مع العلماء، وتلزم هذه الأرضية المشتركة إن وجدت، فلا تتطاول على علماء الجرح والتعديل في هذا الزمان، وتغمزهم بأنهم خوارج، ويا ليتك تضع الخلاف معهم في حجمه الحقيقي.

يا ليتك تذهب متواضعًا إلى أمثال الأئمة: صالح الفوزان، وربيع بن هادي،

---

(١) ألا تلحظ أخي القارئ أن كلام سلمان هو عين كلام الحويني الذي رددنا عليه وبيَّنا ما فيه من باطل وإخفاء للحق؟! ممَّا يؤكد أن القوم ينطلقون من أصول واحدة لذلك تشابهت عباراتهم بل تشابهت قلوبهم ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ١١٨].

وعبدالمحسن العبَّاد، وزيد المدخلي، وصالح اللحيدان، وعبيد الجابري، وتناقشهم في المآخذ المأخوذة عليك بأدب ودون استعلاء بالباطل!

ولكنه الكبر، فنخشى أن يقال لك: آلكبر منعك؟!

واعلم -رحمك الله- أن الحويني قد أنكر بدعة الموازنات من الناحية النظرية التقريرية فقط، كما في شريط (حول تخريج الأحاديث) حيث سئل عن المبتدع: متى يهجر ومتى لا يهجر؟

فكان من إجابته: «ولكن يبقى شيء وهو مسألة ذكر حسنات المبتدع الحقيقة يعني إذا سأل الإنسان عن رجل مبتدع في بدعته ما ينبغي له أن يذكر حسناته، أما إذا كان يترجم له فيذكر الكل، يعني مثلاً سنفترض مثلاً رجل صالح ممتاز -رجل قوَّام صوَّام بكَّاء- كلّ الخصال دي، لكنه إذا اقترض منك مبلغًا من المال لا يرده إليك، فجاءك رجل فقال: يا شيخ فلان يريد أن يقترض مني مبلغًا من المال ما ترى؟ ما اقعدش أقول له هذا صالح بكَّاء ده ..صوَّام قوّام؛ لأن ده مش الإجابة على السؤال، هذه حيدة! مش الإجابة على السؤال، الإجابة على السؤال أقول له: لا تعطه؛ لأنه مماطل إذا أخذ المال لا يرده، لكن لو جاء رجل فسألني وقال: ما تعرف عن فلان؟ أقول: والله رجل طيب رجل فاضل رجل صالح رجل كذا رجل كذا، لكنه مماطل، يبقى هنا السؤال اختلف لمَّا جاء سألني عن أنه يريد أن يقترض خلاص أنا ما أقول له صوام قوام لا أقول له لا تعطيه لأنه كذا، بخلاف السؤال الثاني، ولذلك نحن نجد علماءنا كالأئمة: الذهبي وابن كثير والمزي وهؤلاء إذا ترجموا لبعض المبتدعة يبدأ بالشيخ العلامة الإخباري...! الحافظ الكذا وبعدين يقول خذل في بدعته، وكان عنده كذا وكذا وكذا، ليه؛ لأنه مترجم، وليس من العدل والإنصاف في باب الترجمة إنك .. تذكر مساوئ الرجل وتترك حسناته، لكن ليس بالضرورة أن أذكر محاسن المبتدع.

إذن السؤال يسأل إذا كان أنا أسأل عن بدعة المبتدع، فأنا ما أذكر له حسنات، لكن إذا كنت أسأل عنه سؤالاً مجردًا أذكر ما أعرفه عنه من الخير والشر وهذا هو سبيل العلماء في ذكر التراجم والله أعلم». انتهى كلامه

وإلى القارئ -الباحث عن الحق- مثال يبين وقوع الحويني في بدعة الموازنات التي أنكرها في كلامه السابق من الناحية النظرية فقط:

قال الحويني في «طليعة سمط اللآلي على الشيخ محمد الغزالي» (ص٣-٤):

«الأستاذ محمد الغزالي -هداه الله- هو أحد الدعاة البارزين في هذا العصر، وهو من أفضلهم عرضًا للقضايا الإسلامية في الجملة لِمَا يتميز به من حسن ظاهر، وحرارة عالية، وتفوق في الأداء، وهو متحدث لبق، يستولي على آذان سامعيه، وقد أحيا الله به قلوبًا كثيرة، لاسيما خطبه المشهورة في أيام الجمعات، وله جهد مشكور في الذود عن حمى الإسلام ضد أعدائه من اليهودية، والنصرانية، والعلمانية، وغيرها، وكذلك دعوته الشباب أن لا يضخموا المسائل الفرعية، فيجعلونها كالمسائل الأصولية؛ لأن معنى ذلك أنهم إذا اختلفوا في مسألة فرعية أقاموا لها القيامة، ولا ترتقي أمة تمضي على هذا النحو، لا سيما ودين الله معزول عن واقع الحياة، كل هذا -وغيره- مما نحمده للأستاذ الغزالي، وندعو الله له أن يزيده توفيقًا!

وإنما قدمت بهذا الثناء الذي أعلمه عن الأستاذ[١]، وأنا في معرض النقد العلمي لكتابه الأخير السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث امتثالاً لكلمة التابعي الجليل محمد ابن سيرين -رحمه الله- حيث قال: «ظلمك لأخيك أن تذكر عنه أسوأ ما تعلم، وتكتمه خيره»، فقد حرصت جدَّ الحرص أن أكون عونًا للأستاذ على فهم ما اختلط عليه من الأقضيات التي طرحها في كتابه، فكان الواجب عليه أن يسأل من هو أعلم منه إذ لم يعلم، وليس في ذلك عيب البتة، بل هو دال على الإنصاف، والإنصاف عزيز[٢]، وقد ترفقت في ردي هذا ما استطعت، إلا في مواضع محدودة، ساورته فيها بمقتضى صنيعه وتعلُّقت بالمعنى العلمي المتنازع عليه، ولو أردنا أن نكيل للأستاذ بمثل ما كال به لغيره، إذن لفعلنا فأشفينا، ولكن عبَّأت له حلمي لأكرم غيره، وأعرضت عنه وهو باد مقاتله». اهـ

قلت: قال الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله- لَمَّا ذكرت له ردَّ الحويني على الغزالي: كما يرد الأشاعرة على المعتزلة[٣]..!

---

(١) يُضاف هذا الثناء العالي على الغزالي إلى جُملة ثناءات الحويني على أهل الأهواء.

(٢) يا ليت الحويني يلتزم بهذه النصيحة في خاصة نفسه.

(٣) وهنا يرد السروري القطبي على الإخواني المعتزلي.

المخالفة التاسعة

مشابهة الحويني القصَّاص في بعض طريقتهم

مَن يتتبع دروس الحويني وخطبه يجد أنها في أغلبها بنيت على ثلاث خطوط عريضة:

الأول: القصص.

الثاني: التهييج السياسي.

الثالث: تفخيم شأن الكبائر العملية(١)، وكثرة الدندنة حولها أكثر من الشرك الأكبر في العبادة.

فقلَّما يتعرض الحويني لبيان مسائل المعتقد على طريقة السلف الصالح.

والناظر في أسماء السلاسل والكتب التي شرحها الحويني يدرك هذا حق الإدراك، وإليك بعضها:

١) سلسلة ساعة وساعة.

٢) سلسلة زهر الفردوس.

٣) سلسلة ترك الهوى.

٤) سلسلة في رحاب سورة القصص.

٥) سلسلة محاسبة النفس.

٦) سلسلة قصة داود وسليمان عليهما السلام.

٧) سلسلة مدرسة الحياة.

٨) سلسلة الوصايا قبل المنايا.

..........إلخ.

---

(١) وعلى رأسها مسألة ترك الحكم بما أنزل الله.

ولـمَّـا تعـرض لـشرح صـحيحي البخـاري ومـسلم، اختـار مـا يخـدم هـذا المـنهج القصصي القائم على الإكثار من الرقائق دون اهتمام ببيان مسائل المعتقد ودحض شبهات أصحاب الفرق والأحزاب البدعية التي تخالف هذا المعتقد، اللهم إلاَّ قليلاً ذرًّا للرَّماد في العيون.

وبعض هذه المسائل التي يناقشها الحويني من خلال هذه السلاسل لا تنكر لذاتِها، إنما المستنكر الإكثار من الاستشهاد بالقصص -سواء القديمة أو الحديثة-، مع عدم الاهتمام ببيـان مـسائل المعتقـد والأحكـام، وإظهـار التمـايز بـين مـنهج الفرقـة الناجيـة والطائفـة المنصورة، ومناهج الفرق والأحزاب المنحرفة.

إنَّما قصص في قصص مع تهييج وإثارة على الحكَّام، وذكر مساوئهم، وغمز ولمز في السلفيين، وتمجيد للقصَّاص وغلاة التكفير.

لذلك صدق أيوب السختياني -رحمه الله- لمَّا قال: «ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصَّاص».

وقال -رحمه الله- أيضًا: «ما أمات العلم إلا القصَّاص، إن الرجل ليجلس إلى القاص برهة من دهره، فلا يتعلَّق منه بشيء، وإنه ليجلس إلى الرجل العالم الساعة فما يقوم حتى يفيد منه شيئًا».

علَّق ابن الجوزي على كلام أيوب قائلاً كما في «القصَّاص» (ص٣٥٣): «أكثر كلام الوعاظ: الرقائق، فإذا تشاغل الإنسان بسماعها عن الفقه قلَّ علمه».

وفي محاضرة: «خفايا الأولياء» التي عقدها الحويني في قطر في رمضان ١٤٣٠، ذكر فيها قصة توبة امرأة راقصة، وكيف أنها مرت بجانب مسجد فسمعت كلمة في محاضرة، فأرسلت سؤالاً إلى المحاضر مضمونه أنها راقصة تريد التوبة، فأصاب المحاضر الفضول أن يعلم قصتها، فخرج إليها عند باب المسجد، وقال لها: اتصلي عليَّ في الساعة العاشرة، وبالفعل اتصلت عليه، وأخبرته كيف اشتغلت بالرقص ...وخلال هذا يقول الحويني: «كانت تجلس مع امرأة فشكت إليها قالت لها: والله بأروح البيوت، وأجد معاكسات، وزهقت من العيشة خلاص، فسألتها المرأة: كم تأخذين في البيوت؟ قالت: خمسين جنيهًا

أو عشرين جنيهًا، قالت: عشرين جنيهًا إيه يا هابلة ..ده أنا حأشغلك شغلانة تأكلين من وراءها دهب، قالت: يعني اشتغل إيه؟ قالت: تعالي اشتغلي رقّاصة، ده أنت هناك كل العالم إلّي يتفرجوا عليك مساطيل، شاربين خمر، ومنيلين بنيلة أي واحد يقوم مطلع الفلوس إلّي معاه ويروح مديهالك، لكن حيحك فيك مرة، ويتمايل عليك مرة، استحملي، وستأخذين ألوف مؤلّفة ....فراحت تشتغل مساعد رقّاصة، ما هو مش ممكن تطلع لازم تتعلم الفن الأول، والرقص له قواعد، مش يتنطط على البتاع وخلاص يبقى اسمه رقّاص لا له قواعد: تهز إيه، وتثبت إيه، وتعمل إيه والحدوتة دي، فعبال لما تتعلم تبقى رقّاصة محترفة أخذت لها شوط في التعلُّم، حتى بقت رقاصة كويسة ومقبولة وبدأت تأخذ ألوف .. في هذا اليوم الذي كتبت فيه الورقة كانت وصلت إلى مرحلة من اليأس والزهق، والجماعة المساطيل إلّي عمالين يرموا جتّتهم عليها، والكلام ده ...فراحت تاخد النمرة أي الفقرة بتاعتها ...إلخ».

قلت: هذا هو كلامه بنصّه وحروفه العامية الركيكة -البعيدة عن قواعد العربية كل البعد- تركتها كما هي، رغم صعوبة قراءتها إلا لمن يحسن فهم العامية المصرية، حتى أعرض نموذجًا واضحًا من عشرات النماذج الأخرى في خطب ومواعظ الحويني، واللاتي لا أحب أن أرهق ذهن القارئ وأمرض قلبه باستعراضها كلها، به يدرك الناقد البصير مدى المنحدر الذي انحدر إليه الحويني في سلوكه مسلك القصّاص في صورة من أسوأ صوره.

وأنا أناشد طلاّب العلم الذين صفت آذانهم من خبث القصّاص واعتادوا على سماع العلماء الربانيين: هل سمعتم -ولو مرة واحدة- هذا الكلام أو شبهه من الألباني، أو ابن باز، أو ابن عيثمين، أو محمد أمان الجامي، أو مقبل بن هادي، أو الفوزان، أو أحمد النجمي، أو ربيع بن هادي، أو عبيد الجابري أو غيرهم من أئمة السلفيين المعاصرين؟!!

بل هل ورد -ولو حرف واحد- من هذا الإسفاف في كلام أئمة السلفيين على مر العصور، هل من الممكن أن تجد مثل هذا الإسفاف في السرد القصصي في كلام أحد من أصحاب النبي ﷺ، ومن اتبعهم بإحسان من أصحاب الحديث؟!!

لا والله يستحيل أن تجد هذا الإسفاف إلا عند طائفة القصّاص الذين ذمّهم السلف قاطبة كما هو ثابت في الآثار التالية:

فعن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: لم يقصّ على عهد النبي ﷺ، ولا أبي بكر، ولا عمر، ولا عثمان، وأول ما كان من القصص حين كانت الفتنة[1].

وعن خالد الأثبَج ابن أخي صفوان بن محرز قال: كنا في مسجد المدينة وقاصٌّ لنا يقص علينا، فجعل يختصر سجود القرآن، فيسجد ونسجد معه، إذ جاء شيخ فقام علينا فقال: لئن كنتم على شيء إنكم لأفضل من أصحاب رسول الله ﷺ.

فمضى فسألنا عنه فقلنا: من هذا الشيخ؟ فقالوا: هذا عبد الله بن عمر[2].

وعن عبد الله بن خَبّاب، عن أبيه قال: إنما هلكت بنو إسرائيل حين قصُّوا[3].

وعن الأسود بن هلال قال: كان رجل يقصُّ فأتى ابن مسعود، فقيل له، فجاء فجلس في القوم فلمّا سمع ما يقولون قام فقال: «ألا تستمعون»، فلما نظروا إليه قال: «تعلمون إنكم لأهدى من محمد ﷺ وأصحابه، أو إنكم لتُمْسِكون بطرف ضلالة»[4].

عن أبي عبد الرحمن السلمي أن عليًا رأى رجلاً يقص، فقال: علمت الناسخ من المنسوخ؟ فقال: لا، قال: هلكت وأهلكت[5].

وعن معاوية بن قرة قال: كنا إذا رأينا الرجل يقص، قلنا: هذا صاحب بدعة[6].

---

(١) أثر صحيح: أخرجه ابن وضّاح في «البدع» (٤٦)، وابن أبي شيبة في مصنّفه (٥/ ٢٩٠)، وابن أبي عاصم في «المذكر والتذكير والذكر» (٤)، وابن شبة في أخبار المدينة (١٥)، وأبو نعيم في أخبار أصبهان (١٦٤)، وابن حبان في صحيحه (٦٢٦١)، والخطيب في تاريخ بغداد (٢/ ١٠١)، والرافعي في التدوين في أخبار قزوين (١/ ٢١٥).
وقد روي عن نافع عن النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- مرسلاً، كما في علل ابن أبي حاتم (٢/ ٣٢٦).

(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن وضّاح في البدع (٥٥).

(٣) أثر صحيح: أخرجه ابن وضّاح في البدع (٥٠).

(٤) أثر صحيح: أخرجه ابن وضّاح في البدع (٥٦).

(٥) أثر صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٥/ ٢٩٠)، وأبو خيثمة في العلم (١٣٠)، وابن أبي عاصم في المذكر (١٤)، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١/ ٨)، وأبو جعفر النحاس في الناسخ والمنسوخ (ص٣)، والحازمي في الناسخ والمنسوخ (ص٦)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ١١٧)، والمدخل (١٨٤)، وابن بشكوال في الغوامض (١/ ٢٥٨).

(٦) أثر صحيح: أخرجه ابن وضّاح في البدع (٤٨).

وعن همام بن الحارث التيمي قال: لما قصَّ إبراهيم التيمي أخرجه أبوه من داره وقال: ما هذا الذي أحدثت[1].

وعن ميمون بن مهران قال: القاص ينتظر مقت الله[2].

وعن ضمرة بن ربيعة قال: سمعت سفيان الثوري، وسأله عمر بن العلاء اليماني فقال: يا أبا عبدالله أستقبل القاص؟ فقال: ولوا البدع ظهوركم[3].

وقال الفوزان -كما في الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة (٢٢٤): «حذَّر السلف -رحمهم الله- من القصَّاص؛ لأنهم في الغالب لا يتوخون في كلامهم ما يؤثر على الناس من القصص والآثار التي لا تصح، ولا يعتمدون على الدليل الصحيح، ولا يُعنَون في تعليم الناس أحكام دينهم، وأمور عقيدتهم؛ لأنهم ليس عندهم فقه».

وسئل العلامة أحمد بن يحيى النجمي -رحمه الله- كما في «الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية»:

س٤٣: فضيلة الشيخ: نَهى السلف عن مجالسة القصَّاصين أو القصَّاص، ما المقصود بهؤلاء القصاصين وهل ذكر ما قصَّه الله ورسوله في الكتاب والسنة على الناس يدخل في النهي الذي أثر عن السلف أم لا، أفتونا مأجورين؟

ج٤٣: المقصود بالقصَّاص أو القصاصين أنَّهم يعتمدون في مواعظهم على القصة، وهذا موجودٌ الآن في محيطنا، فالوعاظ الآن الذين يعتمدون على القصص هم يعتبرون قصَّاصين، وهذه طريقة كثيرٍ من الوعاظ في زمننا هذا وإنَّك لتجد هؤلاء يكثرون من القصص، والرقائق، ولا يُعرِّجون على تعليم الناس العقيدة، ولا تعليمهم للأحكام الشرعية كالصلاة المفروضة، وكيفيتها وما يخل بِها، وهكذا طريقتهم أنَّهم يكثرون من القصص، والرقائق كما قلت سابقًا.

أمَّا ما ذكره الله -عز وجل- من القصص القرآني الذي قصَّه -عز وجل- عن الأمم الماضية، فهذا ليس بداخلٍ في القصص المذموم الذي ذكره السلف.

---

(١) أثر صحيح: أخرجه ابن وضَّاح في البدع (٥١).
(٢) إسناده حسن: أخرجه ابن وضَّاح في البدع (٥٢).
(٣) إسناده حسن: أخرجه ابن وضَّاح في البدع (٤٣).

وما قصه النبي ﷺ فهو كذلك كقصة الأعمى والأقرع والأبرص الذين ابتُلوا، وما أشبه ذلك، علمًا بأنَّ النهي إنَّما هو عن الاستكثار من القصص، إذ أنَّ الأصل في الدعوة إلى الله والمواعظ: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وما عدا ذلك فإن حصل منه شيء قليل فإنَّه لا يضر، وإنَّما النهي عن الاستكثار، وبالله التوفيق.اهـ

قلت: ولذلك كان الولاة قديمًا يأخذون على أيدي القصَّاص، ويكلِّفون بهذا أهل الحسبة، كما جاء عن عقبة بن حريث قال: سمعت ابن عمر وجاء رجل قاص، فجلس في مجلسه، فقال له ابن عمر: قم من مجلسنا، فأبى أن يقوم، فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشرطة: أن أقم القاص، قال: فبعث إليه فأقامه[1].

وعن مجاهد قال: دخل قاصٌّ، فجلس قريبًا من ابن عمر، فقال له: قم، فأبى أن يقوم، فأرسل إلى صاحب الشرط، فأرسل إليه شرطيًا فأقامه[2].

وقال الإمام الماوردي في كتابه «الرتبة في طلب الحسبة» (ص٣٩٣-٣٩٤): «يجب على المحتسب أن ينظر في أمر الوعاظ، ولا يمَكِّن أحدًا مِمَّن يتصدى لهذا الأمر إلا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والفضيلة، عالمًا بالعلوم الشرعية وعلم الأدب، حافظًا للكتاب العزيز، والأحاديث النبوية، وأخبار الصالحين، وحكايات المتقدِّمين، ويمتحنه بمسائل يسأله عنها من هذه الفنون فإن أجاب وإلا منع....

ومن كانت هذه الشرائط فيه مُكِّن الجلوس على المنبر والجوامع والمساجد، وفي أي بقعةٍ أحب، ومن لا يدري ذلك، وكان جاهلاً، فذلك يُمنع من الكلام، فإن لم يمتنع، ودام على كلامه عذَّره المحتسب، ومن عرف شيئًا يسيرًا من كلام الوعاظ وحفظ من الأحاديث والأخبار الصالحة قليلاً، وقصد كلامًا ليسترزق ويستعين على قوته يبيح له بشرط أن لا يصعد المنبر بل يقف على قدميه، فإن رتبة صعود المنبر رتبةٌ شريفةٌ لا يليق أن يصعد عليه إلا من اشتهر بما وصفناه، وكفى به علواً وسمواً أن النبي ﷺ صعد عليه

(١) أخرجه ابن وضَّاح في «البدع» (٤٤)، وسنده صحيح.

(٢) أخرجه ابن وضَّاح في «البدع» (٤٥)، وسنده صحيح بما قبله، وقال ابن وضَّاح -في القصَّاص-: «لا ينبغي لهم أن يبيتوا في المساجد، ولا يُتركوا أن يبيتوا فيها».

والخلفاء الراشدون بعده والعلماء والأئمة، وكان في العصر الأول لا يصعد فيهم المنبر إلاّ أحد رجلين: خطيب في جامع يوم جمعة أو عيد، أو رجل عظيم الشأن يصعد المنبر يعظ الناس ويذكّرهم الآخرة ويحذّرهم ويحثُّهم على العمل الصالح، وكان للناس بذلك نفع عظيم، وفي زماننا هذا لا يطلب الواعظ إلا لتمام شهر ميت، أو لعقد نكاح، أو لاجتماع هذيان، ولا يجتمعون الناس عنده لسماع موعظة ولا لفائدة، وإنّما صار ذلك من نوع الفرح واللعب والاجتماع، ويجري في المجلس أمور لا يليق ذكرها من اجتماع الرجال بالنّساء، ورؤية بعضهم لبعض، وهذا من البدع المعضلة[1]، وكان الأولى حسم الباب في ذلك والمنع منه، وإن تعذّر فلا يمكن من ذلك إلاّ رجلاً مشهورًا بالدين والخير والفضيلة كما تقدّم.

ومن شرطه: أن يكون عاملاً لله مجتهدًا قولاً وفعلاً، قال تعالى-وهو أصدق القائلين-: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقال تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧]، والفقهاء والمتكلمون والنحاة، يسمّون أهل الذّكر والوعاظ قصّاصًا». اهـ

وقال أيضًا، (ص٣٩٥-٣٩٦): «ومن المكروهات للواعظ: القصّاص - الكلام الذي يمزجون به كلامهم- فإنه بدعة، فإن كان يكذب في أخباره فهو فسق والإنكار عليه واجب، **وكذا الواعظ المبتدع يجب منعه، ولا يجوز حضور مجلسه إلاّ على قصد إظهار الرّد عليه،** فإن لم يقدر فلا يجوز سماع البدعة، قال تعالى لنبيه: ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ ﴾ [الأنعام: ٦٨]، ومهما كان الواعظ شابًا متزينًا للنساء في ثيابه وهيئته، كثير الأشعار والإشارات والحركات وقد يحضر مجلسه النّساء فهذا منكر يجب المنع منه، فإن الفساد هاهنا أكثر من الصلاح، ويتبين ذلك منه بقرائن أحواله، بل لا ينبغي أن يُسلَّم الوعظ إلاّ لمن ظاهره الورع، وهيأته السكون والوقار، وزيُه زي الصالحين، وإلا فلا يزداد الناس بوعظه إلاّ إثمًا، ويأتي الضلال، ويجب أن يضرب بين الرجال والنّساء حائلاً يمنعهم النّظر، فإن ذلك مظنة الفساد والعادات تشهد لهذه المنكرات». اهـ

---

(١) وكأن الماوردي -رحمه الله- يصف في زماننا مجالس عمرو خالد؛ والحويني ينكر مثل هذه المجالس التي يختلط فيها الرجال مع النساء عند الواعظ، ولكن ثَمَّ منكر آخر لم ينكره الحويني -بل شارك فيه-، وهو جلوس النساء أمام القنوات الفضائية، فإن بروز الشيخ الواعظ أمامهن على هذه الشاشات يصير فتنة لبعضهن.

وقال ابن أبي عاصم في المذكر والتذكير والذكر (ص٦٠-٦١): «سألتَ عن قوم نُسبوا إلى البدع، ابتنوْا فيها مساجد، كل دار منسوبة إلى رأس منهم يقصُّ، ويجتمع إليه من الناس: النساء وضعفةٌ من الرجال، فيموِّه عليهم بكلام قد زخرفه، ويدعوهم إلى بدعته، حتى كثُر أتباع هؤلاء القوم[١]: ما الذي يجب على أمير ذلك المصر أن يفعله بهم؟ ويفعله فيهم؟

فاعلم -أكرمك الله- أن الذي يجب على الوالي : أن يرسل إلى كل رأس من هؤلاء، فيحضرهم، ويُحضر جماعة من أهل الستر، ومَنْ كان مِنْ أسباب السلطان بالبلد، فيقول الوالي بحضرتهم للرأس الذي دعاه: أنهاك أن تجلس للناس وتقصَّ، أو تجلس بعَقِب الصلاة مجلسًا يجتمع الناس إليك فيه، قد تقدَّمت إليك في هذا، فمتى خالفت عاقبتك.

فيقول الوالي للذين حضروا: اشهدوا عليه أني قد تقدَّمت إليه، ونهيتُه مشافهة بحضرتكم، فاحفظوا اليوم الذي خاطبتُه فيه، فإني أكره العقوبة قبل التقدمة، ثم يرسل الوالي إلى رأس رأس، فيتقدّم إليه بمثل هذا، فإن عاد بعد ذلك لمثل ذلك، وجبت عقوبتهم؛ بخلاف السلطان؛ فإن هذا أبلغ». اهـ

وأقول لمن يدَّعي أن الحويني صار أكبر داعية سلفي على مستوى العالم[٢]: سَمُّوا لنا كتابًا واحدًا من كتب العقيدة السلفية شرحه الحويني أو علَّق عليه، هل شرح أصول السنة

---

(١) وكأن ابن أبي عاصم -رحمه الله- يصف قصّاص هذا الزمان في القنوات الفضائية والمساجد.

(٢) وقد قالوا هذا نظرًا لكثرة أتباعه ومحبيه الذين يسيرون خلفه كالغنم إذا نزل منزلاً نحو معرض القاهرة للكتاب، فتراهم يسعون خلفه سعيًا حثيثًا بكاميرات أجهزة المحمول، وقد خدعهم الشيطان بأن زيَّن لهم أن في صنيعهم هذا إعزازًا للسُّنة؛ حيث إن العامة الغوغاء ينبهرون بهذه المناظر، وقد غفَل الحويني ومَن يسير خلفه بلا عقل أن صنيعهم هذا لا يختلف كثيرًا عن صنيع الفُسَّاق من مشاهير الممثلين، وصدق ابن مسعود -رضي الله عنه- لمَّا قال: «إنه ذِلَّة للتابع وفتنة للمتبوع»، وسبحان الذي أضلَّ الحويني على علم، والحمد لله الذي عافانا مِمَّا ابتلاه به وفضَّلنا عليه، وفضَّلنا على كثير مِمَّن خلق تفضيلاً.

ومن تأمل وجد أن طرائق القُصَّاص وأحوالهم، لا تَختلف كثيرًا عمَّن ذكرهم الماوردي وابن أبي عاصم -رحمهما الله-!!.

للإمام أحمد، أو عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، أو الإيمان لأبي عبيد القاسم ابن سلام، أو الرد على الجهمية لابن مندة، أو الأصول الثلاثة أو الأصول الستة أو التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب ...إلخ[1]؟

نود أن الحويني يشرح كتابًا واحدًا من هذه الكتب مقررًا ما فيه من أصول الاعتقاد السلفية مع ربطها بتقريرات أئمة السنة المعاصرين، إن كان سلفيًا كما يدعي!

أم أنه يعتقد أن هذه الكتب لا تصلح لمعالجة القضايا المعاصرة أو أنها جافة لا تواكب مشاكل العصر، كما قال سلفه محمد سرور، ودندن حوله سميه عبد الرحمن عبد الخالق[2]؟!

ولذلك كان إشغال العامة بالقصص هو من سمة الخوارج.

قال محمد بن سيرين: «أول من قصَّ الخوارج»، وفي لفظ: «أنه سأله رجل عن القصص؟ فقال: «بدعة! إن أول ما أحدث الحرورية القصص».

---

(١) قال العلامة عبيد الجابري تعليقًا على كلامي هذا: «لأنها -أي كتب العقيدة السلفية- لا تخدم أغراضهم ..القوم لهم أغراض، فلو أنهم شرحوها شرحًا على الحقيقة حسب ما تضمنته تهدم ما يريدون، هم لهم أغراض معينة، منها: شغل الناس بالفكر، وإبعادهم عن العلم، وجرّ الناس إلى السياسة وأن الذي لا يفهم في السياسة لا يحق له أن ينظر في مسائل العلم».

(٢) قال الشيخ عبيد الجابري: «سبحان الله أنا لاحظت أن هؤلاء لا يسيرون سير الأوائل من تدريس المتون وشرحها شرحًا علميًا يسير على الكتاب والسنة، وإنما عمدتهم صياغة عبارات هم يختارونها تناسب الحال التي يرونها، عندنا العلماء الأوائل يشرحون المتون يشرحون الكتب، عندك سفر الحوالي درس الطحاوية بعد العصر الذي يحضره عدد قليل أربعون خمسون، لكن يبث بلاياه فيما بين المغرب والعشاء، المسجد لا يكاد يوجد فيه مكان ..مئات.. هذه خطة مقصودة، وكل هذا تحت ظلال شرح العقيدة الطحاوية، وهذا سبحان الله! كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية في رسالة كتبها إلى الوالي: «ولكن تعرفون في الجملة أن هؤلاء يسعون لفساد دينكم ودنياكم؛ وقد جعلوني إمامًا تسترًا؛ لأنهم يعلمون أني أواليكم، وأسعى في صلاح دينكم ودنياكم»؛ لَمَّا قرأتها على الشيخ محمد ... -رحمه الله- قال: إمامًا تسترًا ..هذه المصيبة! إمامًا تسترًا ..هذه المصيبة! هذه ذكرها -رحمه الله- في مجموع الفتاوى الجزء الثالث: صفحة ٢١٥، فسبحان الله هذه علامة من علامات هؤلاء».

قلت: سبحان الله! وكأن شيخ الإسلام -رحمه الله- يتحدث عن صنيع هؤلاء الدعاة المعاصرين مع الأئمة ابن باز والألباني وابن عثيمين -رحمهم الله- حيث جعلوهم أئمة تسترًا!!.

وعلّق عليه ابن الجوزي قائلاً في «القصّاص» (٣٤٤): «اشتغلت الحرورية بالقصص عن حكم القرآن وفهمه، ومالوا إلى آرائهم، فوقع لذلك ذمُّهم»، وقال أيضًا في «القصّاص» (٣٤٦): «لَمّا أظهرت الخوارج القصص وأكثرت منه، كره التشبه بهم»[1].

وظلَّ المنهج القصصي يصاحب الحويني حتى في شروحاته على مصطلح الحديث، ولأن القصّاص تغلب عليهم العاطفة وتهيِّجهم الأحداث والمواقف، فإن لسانهم ينفلت أحيانًا بعبارات فيها مجازفات -لا يلقون لها بالاً- مخالفة لأصول اعتقاد السلف الصالح، وقد تقدَّم ذكر بعض الأمثلة من مجازفات الحويني، والتي نلخصها فيما يلي:

أولاً: جازف فسوَّى بين المصر على المعصية والمستحل لها استحلالاً اعتقاديًّا، وبينهما وبين الذي كَفَر كُفْر الإباء والاستكبار.

ثانيًا: جازف فادعى إجماع العالمين على تكفير من قال: أنا أعلم أن الربا حرام، ولكني سآكله.

وهذا الادعاء مبالغة ومغالطة ظاهرة منه، كما بيَّنا فيما تقدم.

ثالثًا: جازف فادعى أن المشركين رضوا بالله ربًّا، وأنفوا أن يكون حاكمًا عليهم.

وهذا من تحريف معنى توحيد العبادة كما بيَّنا آنفًا.

رابعًا: جازف فادعى أن الجهاد في العراق وفي فلسطين فرضًا عينيًّا على كل مسلم، وقد تقدَّم مناقشته في هذا باستفاضة.

خامسًا: جازف فوقَّع على بيان لتحريض مسلمي فلسطين على إعلان الجهاد الهجومي ضد اليهود، ضاربًا عرض الحائط بفتاوى الأئمة الكبار نحو: ابن باز والألباني -رحمهما الله- القاضية بعدم جدوى الدخول في جهاد هجومي مسلَّح ضد اليهود في هذه الآونة نظرًا لضعف المسلمين وما يترتب على هذا من تنكيل اليهود بالمسلمين المستضعفين، دون وجود قوة رادعة تصد عدوان اليهود بعد هذه العمليات العشوائية التي تقوم بها حماس وغيرها من التنظيمات المقاتلة داخل فلسطين.

---

(١) وانظر: «شرح قول ابن سيرين: إن هذا العلم دين»، لأخينا الفاضل الشيخ أبي عمر أحمد بن عمر بازمول -حفظه الله-.

سادسًا: جازف فأخذ يلقي العبرات على غزة، دون أن يبين السبب الحقيقي لمصيبة غزة، ودون أن يجلي حقيقة «حماس» أمام العامة المخدوعين بشعارات حماس الإخوانية الكاذبة.

سابعًا: جازف فاتهم العلماء القائلين بحرمة العمليات الانتحارية؛ لأنها من قتل النفس المحرم، بأنهم لا يعرفون الحقيقة، وأصحاب جليطة.

ثامنًا: جازف فاتهم العلماء القائلين بأن سيد قطب وقع في بدعة القول بخلق القرآن، وبدعة القول بوحدة الوجود، بأنهم «يتَلَـكَّكُون» لسيد.

تاسعًا: جازف فسبَّ أحد أئمة السنة في هذا الزمان -وهو العلامة ربيع بن هادي-، فقال عنه: أحمق.

عاشرًا: جازف فجعل أخطاء وانحرافات محمد حسَّان، ومحمد حسين يعقوب، ومن على شاكلتهما من القصَّاص والحزبيين من جنس أخطاء الأئمة: محمد بن نصر المروزي، وابن خزيمة، وابن جرير، وأنزل كلام الذهبي في اعتذاره عن هؤلاء الأئمة الفحول على هؤلاء القصَّاص والحزبيين، والبَون شاسع بينهم، كما بين السماء والأرض، والثرى والثريا.

وثَمَّ مجازفات أخرى -لم نتعرض لذكرها فيما سبق- نذكرها فيما يلي:

الحادي عشر: جازف فجعل التطرف في الدين -أي: الابتداع في الدين- خير من التطرف في الدنيا -أي المعصية-، حيث قال في «نداء الغرباء» (وجه ٢):

«إن التطرف في الدين خير من التطرف في الدنيا، مع أن كليهما مذموم، لكن الذي يتطرف في الدين أبعد عن الانحراف والفساد العريض من الذي يتطرف في الدنيا، فإن خفت على ولدك أن يشم الهروين؛ فضعه في أحضان أهل السنة والجماعة».

قلت: وهذه مجازفة ظاهرة من الحويني خالف بها منهج السلف الصالح الذين كانوا يعتبرون التطرف في الدين -أي: الابتداع في الدين- أخطر من التطرف في الدنيا -أي المعصية.

*** وإليك الآثار والنقولات التي تثبت هذا:**

أخرج ابن وضَّاح في «البدع والنهي عنها» (١٢٧) بسند صحيح عن العوام بن حوشب أنه كان يقول لابنه: يا عيسى أصلح الله قلبك، وأقلَّ مالك.

وكان يقول: والله لأن أرى عيسى يجالس أصحاب البرابط والأشربة والباطل، أحب إليّ من أراه يجالس أصحاب الخصومات -يعني: أهل البدع-.

وقال سعيد بن جُبَيْر: «لأن يَصْحَب ابني فاسقًا شاطِرًا سُنيًّا أحبُّ إليَّ مِنْ أن يَصْحَب عابدًا مبتدعًا»[1].

وقيل لمالك بن مِغْوَل: «رأينا ابنك يَلْعَبُ بالطيور، فقال: حَبَّذا إن شغلته عن صُحبة مبتدع»[2].

وقال أرطأة بن المنذر: «لأن يكون ابني فاسقًا من الفُسّاق أحبُّ إليَّ من أن يكون صاحب هوى»[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- في «درء التعارض» (١٩٠/٤): «وكان الكلام [illegible] عند السلف أعظم من الشهادة بالزور وظلم الحق، وذلك لأن الكاذب الظالم إذا علم أنه كاذب ظالم كان معترفًا بذنبه معتقدًا لتحريم ذلك فترجى له التوبة ويكون اعتقاده التحريم وخوفه من الله تعالى من الحسنات التي يرجى أن يمحوا الله بها سيئاته، وأما إذا كذب في الدين معتقدًا أن كذبه صدق وافترى على الله ظانًّا أن فريته حقٌّ فهذا أعظم ضررًا وفسادًا.

ولهذا كان السلف يقولون: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية؛ لأن المعصية يُتاب منها، والبدعة لا يُتاب منها.

---

(١) الشرح والإبانة (٨٩).

قال الشيخ عبد العزيز الراجحي -حفظه الله- في «الإعانة على تقريب الشرح والإبانة» (١/ ٢٣٦): «قوله: (لأن يَصحب ابني فاسقًا..)، يعني: خبيثًا بسبب أعماله السيئة، كأن يكون سكيرًا يشربُ الخمر، أو يأكل أموال الناس بالباطل، أو يتعامل بالربا، فهذا كله فسق، ولكن فاعله سُني ليس بمبتدع، ولذلك قال: (أحبُّ إليَّ من أن يصحب عابدًا مبتدعًا)؛ لأن العابد المبتدع على ضلال، ولو كان عابدًا، وبدعته أحب إلى الشيطان من المعصية، وهي تلي الكفر، وهو يعتقد أنه على حقٍّ، فلا يفكر أن يتوب، فلهذا فضّلها سعيد بن جبير، وهذا فيه دليلٌ على التحذير من البدع، وأن البدع أشدُّ من كبائر الذنوب».

(٢) الشرح والإبانة (٩٠).

(٣) الشرح والإبانة (٨٧).

ولهذا أمر النبي ﷺ بقتال الخوارج المبتدعين مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، ونهى عن الخروج على أئمة الظلم وأمر بالصبر عليهم.

وكان يجلد رجلاً يشرب الخمر فلعنه رجل فقال: لا تلعنه، فإنه يحب الله ورسوله.

وجاءه ذو الخويصرة التميمي وبين عينيه أثر السجود فقال: يا محمد اعدل فإنك لم تعدل، فقال: «ويحك ومن يعدل إذا لم أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أعدل»، ثم قال: «يخرج من ضئضئ هذا أقوام يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم وقراءته مع قراءتهم يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، أينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجرًا عند الله لمن قتلهم يوم القيامة».

فهذا المبتدع الجاهل لمَّا ظن أن ما فعله الرسول ليس بعدل كان ظنُّه كاذبًا وكان في إنكاره ظالمًا، وهذا حال كل مبتدع نفى ما أثبته الله تعالى أو أثبت ما نفاه الله أو اعتقد حسن ما لم يحسِّنه الله أو قَبَّح ما لم يكرهه الله فاعتقادهم خطأ وكلامهم كذب وإرادتهم هوى؛ فهم أهل شبهات في آرائهم وأهواء في إرادتهم.

فالسلف ذمُّوا أهل الكلام الذين هم أهل الشبهات والأهواء، لم يذمُّوا أهل الكلام الذين هم أهل كلام صادق يتضمن الدليل على معرفة الله تعالى وبيان ما يستحقه وما يمتنع عليه، ولكن قد يورث شبهة وهوى». اهـ

وقال -رحمه الله- كما في «مجموع الفتاوى» (١١/٤٧٤)، بعد أن ذكر ذمَّ المبتدعة: فقال مناظره: «البدعة مثل الزنا، والزنا معصية، والبدعة شرٌّ من المعصية»، ثم ذكر مثالاً لصاحب المعاصي بشارب الخمر الذي جلده الرسول ﷺ، ومثالاً للمبتدع بالخوارج، ثم قال: «فهؤلاء -أي: الخوارج- مع كثرة صلاتهم وصيامهم وقراءتهم، وما هم عليه من العبادة والزهادة أمر النبي ﷺ بقتلهم، وقتلهم علي بن أبي طالب، ومَن معه من أصحاب النبي ﷺ، وذلك لخروجهم عن سُنَّة النبي ﷺ وشريعته، وأظن أني ذكرت قول الشافعي: لأن يُبتلى العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير من أن يبتلى بشيء من هذه الأهواء...».

وقال -رحمه الله- أيضًا كما في مجموع الفتاوى (٢٠/١٠٣): «إن أهل البدع شرٌّ من أهل المعاصي الشهوانية -بالسنة والإجماع».

وقال ابن قيم الجوزية -رحمه الله- في «مدارج السالكين» (٣٢٢/١): «وقال مالك بن مغول: الكبائر ذنوب أهل البدع والسيئات ذنوب أهل السنة، قلت: يريد أن البدعة من الكبائر وأنها أكبر من كبائر أهل السنة، فكبائر أهل السنة صغائر بالنسبة إلى البدع، وهذا معنى قول بعض السلف: البدعة أحب إلى إبليس من المعصية، لأن البدعة لا يتاب منها والمعصية يتاب منها». اهـ

وقال القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الحق الزرويلي المعروف بالصغير -رحمه الله- في رسالته «ذمُّ البدعة وأهلها» (ص:٢١٩): «فإن قيل: ولأي شيء تنكرون في رد العصاة للتوبة والطريق إلى الله؟

فالجواب: أن نقول: إنما ردوهم من المعصية إلى البدعة، وقطعوهم عن طريق الله تعالى، **وقد اتفق العلماء أن العاصي أحسن حالاً من المبتدع**، لأنّ العاصي يزعم أنّه عاصٍ، ويقول: نتوب ونرجع إلى الله تعالى.

وأما المبتدع: فيزعم أنه على الحقّ حتى يموت على بدعته، ومن مات مبتدعًا، وجد قبره حفرة من حفر النار».

وقال -رحمه الله- (ص**٢٥٥**): «وترك السنة أعظم وزرًا من كل معصية، لا من الزنا ولا من شرب الخمر ولا من قتل النفس، عصمنا الله وإيَّاكم منها بمنّه وكرمه».

قال الفقيه العالم الصالح الزاهد الورع أبو عبد الله محمد الفشتالي -رحمه الله تعالى-: «ضرر هذه المعاصي إنما هو في الفروع التي هي أعمال الجوارح الظاهرة، وضرر هذه البدع إنما هو في الأصول التي هي العقائد الباطنة، إذا انقطع الأصل ذهب الفرع والأصل، وإذا انقطع الفرع وبقي الأصل يرجى أن يحيى الفرع ولم تبطل بالكلية منفعة الأصل». اهـ

*** وسئل العلامة الفوزان كما في «الأجوبة السديدة»:**

س٥: أيهما أشد عذابًا: العصاة أم المبتدعة؟

ج: المبتدعة أشد، لأن البدعة أشد من المعصية، والبدعة أحب إلى الشيطان من المعصية، لأن العاصي يتوب، أما المبتدع فقليلاً ما يتوب، لأنه يظن أنه على حقٍّ، بخلاف العاصي، فإنه يعلم أنه عاصٍ وأنه مرتكب لمعصية، أما المبتدع فإنه يرى أنه مطيع وأنه على

طاعة، فلذلك صارت البدعة - والعياذ بالله - شراً من المعصية، ولذلك يحذّر السلف من مجالسة المبتدعة، لأنهم يؤثّرون على من جالسهم، وخطرهم شديد.

لا شك أن البدعة شرٌ من المعصية، وخطر المبتدع أشد على الناس من خطر العاصي، ولهذا قال السلف: (اقتصاد في سنة خير من اجتهاد في بدعة). اهـ

قلت: وقول الحويني: «فضعه في أحضان أهل السنة والجماعة»، لو ربطته ببداية كلامه علمت أن أهل التطرف في الدين -وهم أهل البدع والغلو- يدخلون عنده في جملة أهل السنة والجماعة، فهو يسير على قاعدة أبي الحسن المصري المسماة: «المنهج الواسع الأفيح الذي يسع أهل السنة جميعًا»، وأهل السنة عند أبي الحسن يدخل فيهم الأحزاب المنحرفة عن السنة التي تتظاهر بالسنة نحو حزب الإخوان المسلمين، وجماعة التبليغ والدعوة، والقطبية، والسرورية..إلخ، والذين هم أهل غلوٍ وابتداع.

وهذا المنهج هو الذي يسير عليه الآن الشيخ علي الحلبي في منتداه على النت: «كل السلفيين»، وإذا نظرت فيمن ينتسب إلى هذا المنتدى وجدت الإخواني المتستر، والقطبي الظاهر، والسروري المتخفي تحت رداء السلفية، ولا تجد أحدًا من السلفيين الخلَّص إلا قليلاً، اللهم إلا ما ينقلونه أحيانًا عن بعض أئمة السلفيين نحو الألباني وابن باز وابن عثيمين -رحمهم الله-، وأحيانًا عن الفوزان والربيع والعبَّاد، حيث اتخذوهم أئمة تسترًا[1].

بل كان السلف يعتقدون أن مجالسة النصارى لا تضرهم كما تضرهم مجالسة أهل البدع، فكيف بالسقوط في أحضانهم، كما موَّه الحويني:

أخرج ابن وضَّاح أيضًا في «البدع والنهي عنها» (١٤١) بسند صحيح عن يحيى بن عبيد قال: لقيني رجل من المعتزلة فقام، فقمت، فقلت: إما أن تمضي، وإما أن أمضي، فإني أن أمش مع نصراني أحب إليَّ أن أمش معك.

---

(١) وارجع إلى نقد الإمام ربيع بن هادي -حفظه الله- لهذه المنتديات، والذي سيأتي نقله قريبًا -إن شاء الله-.

وقال أبو إسحاق الفَزَاري: «لأن أجلس إلى النصارى في بِيَعِهم أحبُّ إليَّ مِنَ الجلوس في حَلْقَة يتخاصم فيها الناس في دينهم».

الثاني عشر: جازف فاعتبر مدارسة الشباب للمعتقد المتعلِّق بالقرآن، وأنه كلام الله، وما أثير حول مسألة اللفظ، اعتبره إحياء لمسألة قد اندثرت ولا حاجة لمدارستها، حيث قال في (ص٥٤) من «جنة المرتاب» بعد أن أشار إلى قول القائل «لفظي بالقرآن مخلوق»:

«ومن عجيب ما وقع لي، أني دخلت أحد المساجد لأصلي، فشاهدت جماعة من الصبية يتحدثون في هذه المسألة فقلت لأحدهم: هذه المسألة قد اندثرت ووقى الله الأمة شرها، فلا تبعث مطموراً، وتقتنص شارداً، فيقع الشباب في فتنة وشر».

قلت: وهل دراسة معتقد أهل السنة في هذه المسألة الشائكة، ثم معرفة ما يناقضه من أقوال أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة يعتبر بعثًا لمسألة مطمورة أو اقتناصًا لشارد؟!

أم أنه بيان لمعتقد أهل الحق، وتحذير من معتقد أهل الباطل، وكما قال الناظم:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه … فمن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

والواقع يخالف ما قرره الحويني، حيث إن الواقع يشهد بأن هذه المسألة ليست مطمورة أو شاردة، وليقرأ الحويني ما كتبه الكوثري، والسقاف، وعبد الفتاح أبو غدة، وسيد قطب، وحسن البنا، والقرضاوي، والصابوني، وحسن أيوب...إلخ؛ ليدرك هذه الحقيقة، وأغلب المذكورين لهم انتماء لحزب الإخوان، وبعضهم من المؤوِّلة للصفات، والآخرون من المعطِّلة أو المفوِّضة؛ فهذا الحزب هو الجامع لأصحاب منهج التأويل والتعطيل والتفويض لصفات الله -عز وجل-، وغيرهم من صنوف أهل البدع في هذا الزمان.

الثالث عشر: جازف فادعى دعوى عريضة لا ناقة لها ولا خطام إلا محض الخيال -بل الافتراء-، وذلك في إحدى مجالسه الأخيرة في الأردن، حيث قال: «أنا أعلم من خلال كلام الإخوة الجزائريين أني أنا بعد الشيخ الألباني في الجزائر، إلى أن حصلت هذه

المشاكل فأفتوا أن تسجيل أم كلثوم على شرائطي فيه قربة إلى الله؛ لأني مبتدع والبدعة شرٌّ من المعصية»[1].

قلت: أما قولك أنك صرت بعد الإمام الألباني في الجزائر، فإن كنت تقصد إنك بعده في عدد الجماهير المتبعة لك، فهذه دعوى عريضة تحتاج إلى بينات لإثباتها، وإن كانت الحملة الإعلامية التي روَّجت بها لنفسك أنك التلميذ الأول للألباني -بلا ريب- ينخدع بها المئات من المغرَّر بهم، مِمَّن لا يدرك البون الشاسع بينك وبين الألباني، وأنك تخالف الألباني في مسائل تتعلق بأصول المعتقد والمنهج، ليست مسائل فرعية اجتهادية كما تدعي أو يُدَّعى لك.

وأما الدعوى الأخرى فإنها بلا أدنى ريب افتراء محض على أهل العلم الذين يحذِّرون من أهل البدع بحقٍّ لا بهوى، والبدعة بلا شك هي شرٌّ من المعصية، لكن هذا لا يقتضي أن تستبدل البدعة بمعصية، إلاَّ عند تعارض مفسدتين؛ فتقدَّم أدناهما، وهنا لا تعارض، فكيف يفتي عالم بمثل هذا الهراء، وهو تسجيل أغاني الفسَّاق على خطب المبتدعة؟!!

فنقول للحويني: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

وأقول: إنَّ مَن يتتبع مجالس الحويني الأخيرة على القنوات الفضائية، وفي المساجد يجد أن اللَّهجة العامية الساقطة هي الغالبة عليه، بحيث صار من الصعب أن يكتب طالب العلم خلفه عبارة واحدة كاملة باللُّغة العربية الفصحى، وليست المشكلة في التحدُّث بالعامية في ذاته، ولكن المشكلة في الأسلوب، حيث صار أسلوبه لا يختلف كثيرًا عن أسلوب شيخه: عبد الحميد كشك، فكانت خطب ومواعظ كشك تتميز بما يلي:

---

(١) وهذا يُضاف إلى جُملة تهكماته ببعض قواعد أهل السُّنة، وكما تهكَّم بما قعَّده العلماء في حكم العمليات الانتحارية، ومقاطعة منتجات أهل الكفر، وفي تلقيبهم أصحاب الأحزاب بمن وضع أصول منهجهم كالقطبية ثم السرورية المتفرعة عنها؛ يتهكم هنا بهذه القاعدة الهامة، والتي نقلتُ اتفاق السلف عليها كما في «المجازفة الحادية عشرة»، وتهكمه بهذه القاعدة يبرهن على أنه لا يرفع لمدلولها وتطبيقها العملي رأسًا، ومن ثَمَّ جازفَ فقال هذه المقولة التي نقلتها في المجازفة قبل السابقة.

أولاً: إيراد القصص الواقعية الساخرة المتعلقة بطبقة السياسيين والفنانين والصحفيين؛ لإثارة العاطفة ضدهم، وإظهار مساوئهم.

ثانيًا: عدم الاهتمام بتوحيد العبادة، وتفصيل مسائله.

ثالثًا: تعظيم وتفخيم المعتقلين السياسيين الحزبيين من الإخوان وغيرهم، وإظهارهم في صورة المجاهدين أصحاب الكرامات.

وهذه الثلاث صارت سمات بارزة في خُطب الحويني.

ولا تغتر -رحمك الله- بغلبة القصَّاص، وذيوع صيتهم، ولين كلامهم وطلاوته وإظهارهم التنسك والخشوع، فإن السلف -رحمة الله عليهم- ما كانوا يغترون بمثل هذا، بل كانوا يحذّرون منهم كما تقدَّم في الآثار السابقة، وجرى على هذا أئمة الجرح والتعديل؛ وإليك مثالان لاثنين من كبار الوعّاظ في الزمن المتقدّم، وكيف كان موقف العلماء الحاسم معهما؟

○ أولاً: الحارث بن أسد أبو عبد الله المحاسبي:

قال الذهبي في الميزان (١٦٥/٢): «وأما المحاسبي فهو صدوق في نفسه، وقد نَقَموا عليه بعض تصوفه وتصانيفه».

وجاء في سؤالات البرذعي (ص٥٦١): «شهدت أبا زرعة سئل عن الحارث المحاسبي وكتبه، فقلت للسائل: إياك وهذه الكتب هذه كتب بدع وضلالات عليك بالأثر فإنك تجد فيه ما يغني عن هذه الكتب، قيل له: في هذه الكتب عبرة، قال: من لم يكن له في كتاب الله عبرة فليس له في هذه الكتب عبرة، بلغكم أن مالك بن أنس وسفيان الثوري والأوزاعي والأئمة المتقدمين صنّفوا هذه الكتب في الخطرات والوساوس وهذه الأشياء، هؤلاء قوم خالفوا أهل العلم؛ فأتونا مرة بالحارث المحاسبي ومرة بعبد الرحيم الديبلي ومرة بحاتم الأصم ومرة بشقيق البلخي، ثم قال: ما أسرع الناس إلى البدع».اهـ

وفي طبقات الحنابلة (٢٣٣/١، ٢٣٤) في ترجمة علي بن أبي خالد: قال علي: «قلت لأحمد: إن هذا الشيخ لشيخ حضر معنا هو جاري وقد نهيته عن رجل ويحب أن يسمع قولك فيه حارث القصير، -يعني: حارثًا المحاسبي- كنت رأيتني معه منذ سنين كثيرة

فقلت لي: لا تجالسه، ولا تكلّمه، فلم أكلّمه حتى الساعة، وهذا الشيخ يجالسه فما تقول فيه؟ فرأيت أحمد قد احْمَرّ لونه وانتفخت أوداجه وعيناه وما رأيته هكذا قط ثم جعل ينتفض ويقول: ذاك فعل الله به وفعل، ليس يعرف ذاك إلا من خبره وعرفه، أويه أويه أويه، ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره وعرفه، ذاك جالسه المغازلي ويعقوب وفلان فأخرجهم إلى رأي جهم هلكوا بسببه؛ فقال له الشيخ: يا أبا عبدالله يروى الحديث ساكن خاشع من قصته ومن قصته؛ فغضب أبو عبدالله، وجعل يقول: لا يغرك خشوعه ولينه ويقول: لا تغتر بتنكيس رأسه؛ فإنه رجل سوء ذاك لا يعرفه إلا من قد خبره، لا تكلّمه ولا كرامة له، كُلُّ من حدَّث بأحاديث رسول الله ﷺ، وكان مُبتدعًا تجلس إليه لا ولا كرامة ولا نعمى عين، وجعل يقول: ذاك ذاك».

قلت: فهذا هو موقف جبلين من جبال علم الجرح والتعديل من أحد مشاهير القُصّاص في زمانهما، رغم أنه لم يكن جاهلاً متعالِمًا كحال كثير من قُصّاص هذا الزمان، بل كان كما قال الخطيب في تاريخ بغداد (٢١١/٨): «وللحارث كتب كثيرة في الزهد وفي أصول الديانات والرد على المخالفين من المعتزلة والرافضة وغيرهما».

قلت: أي أنه كان له ردود على بعض المخالفين لأصول أهل السنة، وفي الوقت نفسه كان هو واقعًا في مخالفات أخرى لأصول أهل السنة، منها رأي جهم، وكلامه في الخطرات والوساوس، فلم يأبه أحمد بردوده على المعتزلة والرافضة، ولم يعقد موازنة بين حسناته وسيئاته، كما يصنع رويبضة هذا الزمان.

وقال الذهبي في الميزان (١٦٦/٢) بعد أن نقل كلام أبي زرعة: «وأين مثل الحارث؟! فكيف لو رأى أبو زرعة تصانيف المتأخرين كـ(القوت) لأبي طالب؟ وأين مثل القوت؟ كيف لو رأى بهجة الأسرار لابن جهضم وحقائق التفسير للسلمي لطار لُـبُّه؟ كيف لو رأى تصانيف أبي حامد الطوسي في ذلك على كثرة ما في الإحياء من الموضوعات؟ كيف لو رأى الغنية للشيخ عبد القادر؟ كيف لو رأى فصوص الحكم والفتوحات المكية؟ بلى لـمّا كان الحارث لسان القوم في ذاك العصر كان معاصره ألف إمام في الحديث فيهم مثل أحمد ابن حنبل وابن راهوية، ولما صار أئمة الحديث مثل ابن الدخميسي، وابن شحانة، كان قطب العارفين كصاحب الفصوص وابن سبعين، نسأل الله العفو والمسامحة آمين». اهـ

قلت: إنا لله وإنا إليه راجعون!! فكيف إذا رأوا كتب سيد قطب، ومحمد الغزالي، والمودودي، والقرضاوي، والترابي؟ فكيف لو استمعوا لقُصّاص هذا الزمان؟! لطار لُبُّهم.

○ **ثانيًا: منصور بن عمَّار:**

قال الذهبي في السير (٩٣/٩): «الواعظ البليغ الصالح الرباني أبو السري السلمي الخراساني وقيل البصري كان عديم النظير في الموعظة والتذكير... وعظ بالعراق والشام ومصر وبَعُد صيته وتزاحم عليه الخلق، وكان ينطوي على زهد وتأله وخشية ولوعظه وَقْعٌ في النفوس».

قال أبو حاتم: «صاحب مواعظ ليس بالقوي، وقال ابن عدي: حديثه منكر، وقال الدارقطني: يروي عن ضعفاء أحاديث لا يتابع عليها».

وذكر ابن يونس في تاريخه: «أن الليث بن سعد حضر وعظه فأعجبه، ونفذ إليه بألف دينار، وقيل: أقطعه خمسة عشر فدانًا، وأن ابن لهيعة أقطعه خمسة فدادين».

قال أبو بكر بن أبي شيبة: «كنا عند ابن عيينة فسأله منصور بن عمار عن القرآن؟ فزبره وأشار إليه بعكازه، فقيل يا أبا محمد: إنه عابد، فقال: **ما أراه إلا شيطانًا**».

وقال العقيلي في الضعفاء (١٩٣/٤): «منصور بن عمار القاص، لا يقيم الحديث وكان فيه تجهُّم».

قلت: هكذا لم يغتر ابن عيينة به، وقال فيه مثل هذا الجرح الشديد، فهل كان ابن عيينة من غلاة التجريح؟!

وهذا المنهج القصصي ظل يسيطر على الحويني حتى أوقعه فيما كان هو ينكره من قبل، ويعتبره مِمَّا يسقط هيبة العالم، ألا وهو الظهور على شاشات القنوات الفضائية، كما في حوار مجلة الفرقان معه:

هل من رسالة إلى الدعاة بضرورة استغلال أي فرصة إعلامية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لاسيما في ظل تفشي الإعلام الفضائي؟

فأجاب: «ينبغي على الداعية إذا وجد ثغرة أو فرصة للإعلام وإبلاغ الدين أن

يستغلها طالما يستطيع أن يؤدي دوره ويصل إلى الجماهير لا يقصر في ذلك، على الرغم من رأيي المخالف شخصيًا لذلك في أنني لا أرى المشاركة شخصيًا في الفضائيات، **لأنها في اعتقادي تقلل من هيبة العالم وحشمته مع كثرة الظهور**.. كما أن هنالك ممارسات وألاعيب وترتيبات خفية تقوم بها بعض الفضائيات من تجهيز اتصالات محددة والتطاول أحيانًا على الضعيف والتعريض به على الهواء مباشرة ويقصد بها إحراج بعض المشايخ وتوريطهم حتى يتصببوا عرقًا!! إضافة إلى مقاطعة الشيخ وعدم إتاحة المجال لاستيفاء كلامه.

ولكن لا أمانع في أن يشارك الدعاة الموهوبون ممن يجيدون فنون الاتصال بالجماهير.. وبرأيي لا يترك مجال مباح لنصرة الإسلام والمسلمين إلا ويدخله الداعية المسلم إن استطاع، وكان له في ذلك موهبة..». اهـ

قلت: وهذا الحرج الذي كان يشعر به الحويني من الفضائيات في أول الأمر زال مع الوقت نظرًا لصحبته للقصّاص، فصار معهم ومنهم.

ولذلك تغيَّر كلامه بعد ذلك، وهذا نصُّ كلامه الجديد[1]:

---

(١) نقلت كلام الحويني من «الردُّ العلمي على من أجاز ظهور المشايخ في الفضائيات، واحتج بفتوى الشيخ أبي إسحاق الحويني، ونقلِه عن العلامة الألباني» كتبه: أبو نوران حامد بن عبد الحميد.

وهو ردٌّ طيب في مجمله، إلاَّ أني آخذ على أبي نوران -جزاه الله خيرًا- تفخيمه المبالغ فيه للحويني.

وأيضًا لي تعقيب مهم على قوله في المقدمة (ص٣): «فقد كثر الطاعنون في المشايخ من صغار الطلبة، وكثر المتسلقون على أكتافهم».

قلت: إن كان يقصد بالمشايخ العلماء الكبار فهذا حق، وإن كان لا أحد من الأصاغر يستطيع أن يتسلق على أكتاف العلماء.

وأما إن كان يقصد بالمشايخ أبا إسحاق الحويني ومن معه من مشايخ الفضائيات -وهذا هو الظاهر من سياق كلامه-، فهذا الكلام منه فيه إيهام وإجمال، كان الواجب عليه أن يبينه حتى لا تختلط الأمور على ضعاف العقول.

فمن المعلوم أن كبار أهل العلم نحو العلامة مقبل بن هادي، والعلامة أحمد النجمي، والعلامة ربيع بن هادي، والعلامة عبيد الجابري، هم الذين طعنوا في الحويني وحذَّروا منه، فليس صغار طلبة العلم هم الذين طعنوا في الحويني؛ ليتسلقوا على أكتافه.

هذا أولاً، وثانيًا: هذا القول يوهم أن الذين يطعنون في الحويني وأمثاله يطعنون فيهم بغير حق، =

«امتناعي القديم عن الظهور على الفضائيات لم يكن امتناعًا شرعيًّا إنما كان امتناعًا شخصيًّا...

نعم الأصل في الصورة التحريم، ولكن الصورة مُنِعَت سدًّا للذريعة..كالنظر إلى المرأة الأجنبية».

ثم قال: «لمجرد أن الصورة حرام لا تظهر ولا تعرض منهجك، هذا الكلام لا يقوله رجل يقدر المصالح تقديرًا حقيقيًّا..لا إذا كانت المسألة مسألة صورة إحنا قلنا القاعدة إلّي العلماء قالوها: ما منع سدًّا للذريعة يباح للمصلحة الراجحة..».

قلت: وقد أحسن أبو نوران في نقد هذه الشبهة نقدًا علميًّا جيدًا من خلال رسالته المشار إليها آنفًا، وهذه خلاصة نقده:

*** ذكر أن الحويني اعتمد في فتواه على أمرين:**

الأمر الأول: القاعدة الفقهية: «ما حرم سدًّا للذريعة يباح للمصلحة الراجحة».

الأمر الثاني: كلام الشيخ الألباني الذي سمعه من الشيخ مباشرة دون واسطة.

○ والرد على الأمر الأول ما يلي:

القاعدة الفقهية هي حكم أغلبي ينطبق على معظم جزئياته، فالقواعد الفقهية أحكام أغلبية غير مطردة، لذلك فهي لا تصلح أن تكون دليلاً شرعيًّا على الحل والحرمة، كما قال ابن نُجَيم: «لا يجوز الفتوى بما تقتضيه القواعد والضوابط؛ لأنها ليست كلية بل أغلبية».

ثم إذا نظرنا إلى القاعدة نفسها لا نجد فيها متمسكًا لمن قال بجواز ظهور العلماء

=

وهذا مخالف للواقع حيث إن هؤلاء المشايخ -وأغلبهم من نجوم الفضائيات- عندهم مخالفات عظيمة لأصول المنهج السلفي.

فكان الواجب على الشيخ أبي نوران -وفَّقه الله- أن يبين للقارئ حقيقة منهج الحويني عن طريق إلحاقه بعض فتاوى الأكابر المشار إليها آنفًا.

فمسألة الظهور على التلفاز أهون بكثير من المخالفات الأخرى عند الحويني التي تطعن في صميم المنهج السلفي، فكان من النصح الواجب أن يشير إلى هذه المخالفات، وأن لا يصوِّر الحويني كأنه عالم سني زل في مسألة اجتهادية، فإن هذا ينافي النصيحة للمسلمين.

والـدعاة علـى التلفـاز؛ حيـث إن الـذي حُـرم سـدًا للذريعـة -أي في مـسألتنا- هـو الـصورة، والمـصلحة المرجـوة هـي توصـيل الـدعوة إلى أنـاس لا يـأتون المـساجد، وهـذه المـصلحة يمكـن أن تتحقـق بالـصوت فقـط دون الـصورة، فمـا علاقـة وصـول الـدعوة إلى هـؤلاء بظهـور الصورة؛ لأنك تدعو بصوتك لا بصورتك؛ فالجهة منفكة!

وضرب المثال لهذه القاعدة بإجازة النظر إلى المخطوبة قياس مع الفارق؛ لأن الذي حُرِّم سـدًّا للذريعـة هـو النظر، والـذي أجيـز للمـصلحة الراجحـة هـو النظـر أيـضًا؛ فاسـتوى الطرفان.

فإن قلت: إن الصوت والصورة قد التصقَا حتى أصبحَا شيئًا واحدًا في التلفاز؟

قلنا: هذا لأنك ثبَّتَّ التلفاز وسيلة للدعوة، ولكن هـل التصقت الصورة بالـصوت في الدعوة إلى الله؟!

والـجواب: لا ولله الحمـد، فالقاعـدة أن مـا حـرم سـدًّا للذريعـة يبـاح لالتـصاقه بالمصلحة الراجحة!!

والسؤال الأهم الذي نسأله للحويني -ولمن أجاز الظهور في هذه القنوات الفضائية-: ما هي هذه المصلحة الراجحة في ظهور الدعاة والعلماء في التلفاز؟!

أين رجحان المصلحة، وقد أعدت بهذه الفتوى دخول التلفاز بكل مفاسده إلى داخل بيوت المسلمين الذين ظهرت عليهم أمارات الصلاح والالتزام بالسنة، ونبذوا هذا الجهاز من قبل، وأبغضوه لمَا يُعْرَض فيه من محرمات؟!

وأين رجحان المصلحة وأنت تعرف -بيقين- أن غالب من يشاهد هذه القنوات الفضائية من النساء، وأنت تعرف -بلا شك- أن غض البصر في هذه الحال أقرب إلى المحال؟!

فـإن قلـت: لـست مـسئولاً عـن عملـهن؛ فالواجـب علـى النـساء أن يـتقين الله، وأن يغضضن من أبصارهن.

قلنا: هذا كلام من لا يعرف أمر المصالح والمفاسد إلا في الترخص؛ فيخالف النص مراعاة للمصلحة، فإن كانت المصلحة العامة مع النص، قال: لا تلزمني.

وبعد أن كانت المرأة المسلمة المتجلبِبَة المنتقبة تغض بصرها في طريقها عن الرجال، وإذا احتاجت إلى الشراء من الباعة تستحي أن ترفع بصرها إلى البائع؛ صارت بسبب هذه الفتاوى الخاطئة تحملق في الرجال في هذه القنوات الفضائية بحجة أن هؤلاء شيوخًا، وأنها تتعلّم منهم؟

وهل أمر الله سبحانه المرأة بغض بصرها عن كل الرجال دون طائفة الشيوخ؟!

أين المصلحة الراجحة، والملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب ولا صورة؟ وهذا عام كما قال النووي -رحمه الله- بتصرف يسير-: «والأظهر أن الحكم عام في كُلِّ كلب وفي كل صورة، وأنهم يمتنعون من الجميع لإطلاق الأحاديث، ولأن الجرو الذي كان في بيت النبي ﷺ تحت السرير كان له فيه عذر ظاهر؛ حيث إنه ﷺ لم يعلم به، ومع هذا امتنع جبريل -عليه السلام- عن الدخول، وعلّل عدم دخوله بوجود هذا الجرو، لو كان العذر في وجود صورة أو كلب مقبولاً؛ لم يمتنع جبريل عليه السلام عن الدخول».

أين المصلحة الراجحة وقد سقطت هيبة العلماء بظهور هؤلاء الوعّاظ والقصّاص وأنصاف العلماء[1]؟!

(١) ونقول لمن يجيز للنسوة المسلمات أن ينظرن إلى وجوه المشايخ على شاشة الحاسوب أو التلفاز: ألم يأمر ربّك في محكم كتابه هؤلاء النسوة بغض البصر؟ لماذا تبيح لهن ما حرّم الله؟! وتيسره أمامهن؟! وتدنيه منهن؟! وتجعله أمرًا مباحًا لا حرج فيه.

إن هذه الفتنة قد استشرت.. إنك صرت ترى على الأرصفة وجنبات الطريق، أمام مساجد «مَن ينسبون إلى السنة»، المئات من الأقراص الألكترونية التي بها التصاوير التي حرّمها شرعنا، تجد بالصوت والصورة محاضرات الداعية المشهور فلان، بل والفيلم الإسلامي كذا...إلخ، والأتباع مساكين يقولون ما يلقّنونَ، ويأخذون الذي يجدون، وإذا سئلوا: أين الدليل؟ أجابوا تائهين: الشيخ فلان أجازها!!.

فإنه من المنكرات العظيمة أن يقوم المحاضر في المساجد، يُحاضِرُ الناس والمُصوِّرة (أي الكاميرا) موجّهة إليه، والبثّ المباشر (أي التلفاز والقنوات الفضائية) داخل في التحريم، فهو يعتبر صورة، والناس يسمونها صورة! فهي محرّمة.

وقد وقع مؤخرًا بمسجد مشهور، أن قامت إدارة المسجد بوضع شاشة عرض ضخمة أمام المتواجدين بالساحة الكبيرة خارج المسجد، وذلك كي لا يحرموهم من متعة مشاهدة وجه =

أين المصلحة الراجحة، والخارج في هذه القنوات يعرض نفسه للفتنة في الدين قبل المشاهد، وكأنه يقول عن نفسه -كما قال الشيخ الألباني في وصف هؤلاء-: «أنا أحب أن أظهر على الشاشة التليفزيونية من شان -أي من أجل-العالم كله يعرفني، أنا أشقر أنا أبيض أنا فلان، ليقال: محمد ناصر، هذا فيه إهلاك لنفسي أنا»؟!

فليس من المصلحة أن تبذل دينك لدين غيرك، فالمؤمن لا ينبغي أن يكون شمعة يحرق نفسه ليضيء للآخرين، ولكن ليكن سراجًا يضيء للآخرين دون أن يحرق نفسه.

أين المصلحة الراجحة، وأنت تعلم أن هذه القنوات ما أُسِّسَت على تقوى من الله ولا على سنة؟! وما أُسِّس على غير تقوى فإنه على شفا جرف هار، كما قال الله سبحانه:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بُنْيَـٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٠٩، ١١٠]؟!

أين المصلحة الراجحة، وقد جرَّأت هذه الفتوى عددًا كبيرًا من مشاهدي هذه القنوات على استمراء معصية التصوير، وعلى الاستهانة بهذا الحكم الشرعي المنصوص عليه في النصوص المحكمة، وعلى النظر إلى هذه النصوص نظرة استعلاء عن العمل بها أو قل: عدم اقتناع بالعمل بها في هذا الزمان، زمان القنوات الفضائية؟!

= الشيخ، فسنّوا بهذا للمسلمين سنّة سيئة، وللأسف لم ينكر أحد.

وقد وقع من بعض النسوة ما يندىٰ له الجبين، فواحدة تقول: يا محلىٰ الشيخ! يا جمال الشيخ!، وأخرىٰ تقول : الشيخ الفلاني أجمل!، بل قد صارت بعض النسوة ترىٰ أن الأجمل من المشايخ هو الأكثر علمًا، وهذا رجل يجلس مع زوجته فظهر الشيخ علىٰ الشاشة؛ فقالت زوجته : ها هم الرجال لا غيرهم، قالت هذه الجملة بالعامية، كل هذه الأخبار عن ثقة، سواء كانت أقوال الرجال أو النساء... سبحان الله... لو ظهر عالم أسمر اللون علىٰ الشاشة كالإمام أحمد- رحمه الله تعالىٰ- ربما لا يستمع لحديثه كثير من الناس في هذا الزمن!». [انتهىٰ بتصرف من «فتنة تصوير العلماء والظهور في القنوات الفضائية لأبي ذر القلموني»، وأبو ذر هو رجل عابد معروف بالزهد، وهو معظَّم عند هؤلاء القصَّاص، وقد يسايرهم في بعض طريقتهم، فنقده هذا من باب: شهد شاهد من أهلها].

فهل تقارن هذه المفاسد الجمّة بمصلحة موهومة؟!

ومعلوم في القاعدة الشرعية: أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح.

ثم قال الحويني: «وأنا أعلم أن ملايين من الناس في جنبات الأرض صُحّحت أفكارهم لأول مرة يسمعون كلامًا منضبطًا قائمًا على ساق الدليل، وهم أناس لا يأتوننا في المساجد...».

وقال أيضًا: «الإنصاف يقول: «لا.. إن ظهور المشايخ على شاشات الفضائية ليس له فائدة»، هذا نحن نلمسه بأيدينا كل يوم **والذين يرجعون إلى الله بالألوف المؤلّفة!!** ولا ينبئك مثل خبير!!

فمن أجل هذا ما أرى بأسًا بالظهور في الفضائيات، لكن أنا لي رأي في المسألة والذي منعني أن أظهر قبل ذلك، أنني لا أستطيع أن أعمل في مكان يأتي غيري فيمسح عملي...لازم الشاشة التي أعمل إليها ... فلا بد أن تكون شاشة محترمة.. أنا إذا غادرت المكان يأتي غيري، فيؤسس في هذا المكان لبنة في هذا الجدار الذي أبنيه ...». اهـ

قلت: وهذه إحدى مبالغات ومجازفات الحويني، وهي نابعة من منهجه الذي صار يدندن حوله كثيرًا، وهو حرصه على تجميع الجماهير، بغض النظر عن التمايز الواضح البيّن بين أهل السنة السلفيين المتبعين للآثار، وغيرهم من الأحزاب البدعية.

ولو سلّمنا جدلاً أن هناك من صُحّحت معتقداته من خلال هذه القنوات، فمن يدقّق يجد أن هؤلاء نفرٌ قليلٌ جدًا -ليسوا بالملايين أو بالألوف المؤلّفة كما ادعى الحويني[1]-،

---

(١) وقد كرّر هذه المجازفة لمّا سئل في اللّقاء المسمى: «غزة لن تنكسر»: هل تعتبر هذه القنوات بوابة خير للجماهير أو نقطة انطلاق للعلماء؟

قال: حقيقة أنا لا أشك في ذلك لأن يعني أنا بما أتلقاه من عشرات الألوف من الاتصالات في الفترة الماضية واضح جدًّا تأثير هذه القنوات، وأن كثيرًا من الناس عرفوا الحق من أهل العلم الذين حتى لو كان لهم انتشار كثير من الناس ما كان عندهم أي تطلع أن يذهبوا إلى المساجد ولا أن يحضروا خطب الجمعة أو الدروس أو الكلام ده في ناس كثير يعني مغيبين عن المسألة لا يعرفك لا يعرف فلان أو فلان أو فلان من أهل العمل الفضلاء فهي الحقيقة القنوات الفضائية دخلت في كل بيت وتسنى لكل إنسان عنده بعض النظر والتأمل إنه يستقي من قناة جديدة يعني من معين جديد.اهـ

=

فهذا النفر القليل لا يباح من أجلهم ما حرَّم الله سبحانه بالنصوص القطعية، ولا يقارن هذا النفر القليل بالعدد الكبير الذي فسدت أحواله ونكص مع أهله على أدبارهم في مسألة حرمة التصوير، وفي حرمة اقتناء جهاز التلفاز؛ حتى دخلت الفتنة إلى بيوت هؤلاء بعد أن كانوا في معافاة منها؟!

وإن كنت أعتبر أن ما حدث لهؤلاء من هذه الفتنة وهذا النكوص، إنما هي عقوبة قدرية بسبب تعلُّقهم بهؤلاء القصَّاص والوعَّاظ والخوارج القعدية، ونبذهم أكابر أهل العلم وراءهم ظهريًّا.

=

قلت: وأهل العلم في نظر الحويني -كما بيَّنا فيما سبق مرارًا- هم: القصَّاص وخطباء الفتنة؛ لا يعني بكلامه العلماء حقًّا؛ لأنه يعلم أن العلماء حقًّا قلَّما يظهرون على هذه القنوات.

وكذلك له كلام فيه مبالغة في إظهار فضائل القنوات الفضائية، والتي تقوم على دعاة الحزبية والقصَّاص، وكُل حاطب ليل، حيث قال -كما في زيارته إلى الأردن-: «لذلك نحن نراهن على العامة، لما القنوات الفضائية ... ثلاث قنوات فقط مصرية: قناة الحكمة، قناة الرحمة، قناة الناس ...لا أتكلم عن المجد؛ لأن المجد سعودية، كل العلماء فيها سعوديين ..ثلاث قنوات فقط استطاعت أن تزلزل الشارع المصري، فعلاً زلزال حقيقة».

فقال أحدهم معقبًا: الوطن العربي كاملاً.

فرد الحويني: «طبعًا أنا أتكلم عن مصر ..وأكثر بلد تصلني منها اتصالات الأردن، وبعدها الجزائر، يعني أن الإخوة هنا في الأردن قالوا إن لها سوق رائجة هنا في الأردن ..بل وتونس ..أنا لم أتخيل قط أن تونس يحدث فيها هذا الزلزال بسبب هذه القنوات..».

قلت: هل هذا الزلزال زلزل الشرك بكل صوره في الشارع المصري، وفي تونس والوطن العربي؟! وهل زلزل البدع والمحدثات؟!

ثم قال: «(النيل سات) عمل إحصائية الشهر الماضي وجد أن أعلى نسبة مشاهدة: قناة الناس، سبعين بالمائة مشاهدة قبل أي قناة على النيل سات، الذي كان يدير قناة الناس الدعاة السلفيون، ليه ..لسانهم جيد، صح تُرك هؤلاء لمآرب أخرى، ربما حُقِّقت هذه المآرب لأصحابها، ولكن نحن كان قصدنا العامة».

قلت: ويا ليت أن يقوم «النيل سات» أو غيره بعمل إحصائية حول هذه السبعين بالمائة لنرى كم واحد منهم تعلَّم التوحيد والعقيدة السلفية السوية عبر هذه القنوات، وكم واحد تعلَّق بأصول السنة المدونة في كتب الاعتقاد السلفية نحو أصول السنة للإمام أحمد -رحمه الله-، وكم واحد خرج من ربقة البدع والحزبية والعصبية إلى رحبة السنة والسلفية!.

ويا ليت الحويني اكتفى بالظهور في هذه القنوات في سمت العالم، كما ظهر بعض علماء السنة، إلا أنه أبى إلا أن يرتدي رداء القصّاص ويسير على طريقتهم في العرض والحوار.

والحويني يعلم جيدًا أن الغالب على مؤسسي هذه القنوات أنهم أصحاب اتجاهات حزبية إخوانية، أو قطبية أو سرورية، ومن ثَمَّ هم لا يسمحون أبدًا أن يظهر على قنواتهم من يحارب أفكار هذا الحزب، ولا يمكِّنون عالِمًا سلفيًا بحقٍّ من الظهور في قنواتِهم إلا أن يغلب على ظنهم أنه لن يتعرض لبيان مثالب الأحزاب البدعية، ولن يتعرض لكشف حال رموزها نحو سيد قطب وحسن البنا والمودودي وأسامة بن لادن.

وأما قولك: «لازم الشاشة التي أعمل إليها..فلا بد أن تكون شاشة محترمة»، فمن قال إن الشاشة التي تعرض فيها الصور المحرمة يمكن أن تكون محترمة، إن النبي ﷺ أرسل عليًا -رضي الله عنه- بطمس الصور وهدم القبور، فصور ذوات الأرواح غير محترمة شرعًا، بل نحن مأمورون -عند القدرة والتمكين- بإزالتها وطمسها، فكيف تكون محترمة؟!

وإن قلنا بوجود خلاف معتبر في هذه المسألة، لا يعني هذا أن نسكت عن هذا التهويل وهذه المجازفة.

ولو كانوا صادقين في الحرص على هداية الناس؛ لسعوا جاهدين إلى إرشاد الناس إلى دروس وكتب أكابر أهل العلم المبثوثة في جنبات الإنترنت، والتي تغني عن هذه القنوات.

ثم قال الحويني: «أنا سألت الشيخ الألباني -رحمة الله عليه- بنفسي، وكلامه الذي سأنقله كان من فمه لأذني بلا واسطة، لمَّا تكلَّمت معه في مسألة التليفزيون؛ والشيخ كان يفتي بحرمة اقتناء الجهاز، قلت له: طيب يا شيخنا لو إحنا في دولة إسلامية والإعلام مسيطر عليه الدين الصح يعرض والغلط يمنع طيب التليفزيون ده كيف نستغله؟

قال: نستغله فيما ينفع.

قلت له: زي إيه مثلاً؟

قال لي: مثلاً صفة صلاة النبي ﷺ... أنا أعلِّم الرجل كيف يصلي إحنا بنشوف ناس حتى الآن لا يعرفون كيف ينشرون أيديهم في تكبيرة الإحرام ...إلى أن قال: الحج مثلاً..نعلِّمه الاضطباع... الرمل مثلاً... كيف يرمي الجمرات... كيف يطوف.

قلت له: طيب يا شيخنا الصورة .. فيه إشكالية الصورة .. لأن إحنا عندنا أن أشد الناس عذابًا يوم القيامة المصورون.

قال: نجعلها كعرائس عائشة».

* * *

قلت: هذه الفتوى من الشيخ الألباني -إن صحَّت عنه، والعهدة على الحويني في نقلها- مقصورة ومقيَّدة بالمثال المذكور، وهو استخدام الصورة لتعليم الناس صفة الصلاة وأحكام الحج، فهل الحويني وخطباء القنوات الفضائية استخدموا الصورة في هذا، أم أنهم يظهرون في هذه القنوات يتكلَّمون الساعات الطوال ويقصُّون القصص دون أن يتعرضوا إلى شيء من أحكام الصلاة والحج التي تحتاج إلى بيان بالصورة؟!!

بل وصل الأمر بالحويني نفسه أنه صار يتبع طريقة الممثلين والقصَّاص أمثال عمرو خالد -الذي هو يحذِّر منه- في محاولة إظهار المؤثرات على وجهه خلال كلامه مع حركات يده، لتحريك عواطف المشاهدين وإثارتها، وهذا دور المخرج أن يحرك كاميرا التصوير لتتبع هذه المؤثرات، ثم في نهاية البرنامج يتبعها بالمؤثرات الصوتية.

فأين هذا من كلام الألباني الآخر المبثوث في مواضع عدة من دروسه الصوتية، وإليك شيء منه:

قال الشيخ الألباني -رحمه الله-: «فإذن أين الضرورة المدعاة في سؤالك بأن يبرز المحاضر أو الواعظ أو المتعلم أو الفقيه أو المحدِّث بشخصه فقط؟

أنا لا أنكر أن لبروز الشخص بصوته وذاته تأثيرًا للناس، ولكن ليس من ضرب الضرورات، وإنما هو من ضرب الكماليات».اهـ

وقال: «ما فائدة تجاوبي مع اللجنة المسئولة في التلفاز، أن ألقي درسًا منظمًا بواسطة التلفاز؟!

وما الذي يستفيده الناس سوى أن يروا صورتي؟ ولكن يمكنهم أن يسمعوا صوتي بدون طريقة التلفاز، فالفائدة المرجوة والمؤثرة ليست هي بروزي أنا بشكلي، وإنما بروزي

أنا بصوتي؛ فإذن ليس هناك فائدة كبرى من وراء تبرير هذا العمل من أجل إفادة الناس الآخرين، فليكن ذلك بطريقة الإذاعة بالراديو وليس بالتلفازه.

وقال الشيخ -رحمه الله- أيضًا: «فما الذي يستفيده الجمهور أن يُرى المحاضر الفلاني هو فلان، والصوت هو الصوت الذي يسمعه من الراديو، فقط يرى أنه شخص، أنا قلت سلفًا لا شك أن بروز الشخص بشخصه وصوته معًا بالتأكيد له تأثير على المشاهدين والسامعين معًا من أي يقتصروا على أن يسمعوا الصوت دون أن يروا الشخص، أنا أعرف هذا، ولكن هل هذا من المسوّغات لارتكاب ما أصله محرم؟ الجواب: لا، إذن يكفي أن يستعمل الراديو».

وسئل أيضًا الشيخ الألباني: ما حكم الصور والندوات في التليفزيون؟

فقال: «لا يجوز استعمال الصور مهما تعددت أساليب تصويرها، سواء كانت باليد أو بالآلة الفوتوغرافية أو بالفيديو فإن ذلك لا يجوز، أما التوسع هذا الذي نراه في العصر الحاضر أنه إنسان مثلاً يريد أن يلقي محاضرة فيطلع في التلفاز..وين الضرورة؟! بينما إذا كان المقصود هو التعليم، فيحصل بمجرد أن يسمع الناس كلام المتكلّم، وهذا كافٍ في تحقيق المصالح الشرعية». اهـ

* * * *

فصل منه

من أساليب القُصّاص: الترويـج لأنفسهم بالــــرؤى والمنامات

من الصور المعاصرة لتزكية النفس -والتي انتشرت في الآونة الأخيرة بين قصّاص القنوات الفضائية، وصارت سوقًا رائجًا لهم-: هي قيام أحد المشاهدين بالاتصال على «الداعية النَّجم»، وإخباره برؤيا رآها له، غالبًا يدعي فيها صدور كلمة ثناء من الرسول -صلى الله عليه وآله وسلم- على هذا الداعية، ونذكر أمثلة حديثة لهذه الظاهرة:

المثال الأول: ما جاء في أحد برامج الحويني:

المتصل: أريد أن أبشركم ببشرى يا شيخ ..

الحويني: بشّر .. تفضل ..

المتصل: يا شيخ، لقد رأيت في الرؤية النبي ﷺ، ورأيتك في نفس الرؤية يا شيخ، جلستم مقابل النبي ﷺ، وجلست أنا على يمينكم، وجلس شخص لا أعرفه على يساركم، وبدأ النبي يثني عليكم، ويمدحكم بما فيكم يا شيخ، بكلام طيب، والله العظيم، كلام مؤثر جدًّا، ولا أتذكر معظمه، ثم إني لا أتذكر إلا آخر كلمات، قال لكم: والله أنتم فخر لهذه الأمة، وأنتم نصر لهذه الأمة...، فقلتم يا شيخ للنبي، قلتم له: أنا لست هذا الرجل الذي تتكلم عنه، أنا أقل من ذلك، وقال لكم النبي ﷺ بعد أن أشار بيده: بل أنتم أكثر من ذلك، بل أنتم أكثر من ذلك، بل أنتم أكثر من ذلك، وقلت وأنا في المنام: والله لأبشرن شيخنا أبا إسحاق، هذه بشرى لكم يا شيخ...

الحويني: جزاكم الله خيرًا...

المثال الثاني: قال محمد بن حسّان في إحدى لقاءاته على قناة الرحمة بعد عودته من حج عام (١٤٣٠هـ): «فوالله إنها لبشرى عظيمة رأت أخت صالحة -لا نزكيها على الله جل

وعلا- هذه الرؤيا وأقسمت بالله -تبارك وتعالى- على ذلك ورأتها في بيت الله الحرام... غفت هذه الأخت إغفاءة يسيرة وهي تجلس في بيت الله الحرام تقسم بالله أنها رأت النبي ﷺ يقف بين باب الكعبة بين هذا الباب الذهبي وبين الملتزم يقف الحبيب ﷺ وظهره للكعبة ووجهه للطائفين حول بيت الله الحرام.. تصور معي وعش بقلبك وكيانك هذا المشهد الجليل، الرسول ﷺ -تقسم لنا الأخت بالله: أنها رأته بين الباب والملتزم ظهره للبيت ووجهه للطائفين حول بيت الله الحرام، ثم هو ﷺ ينادي عليّ -على هذا الحقير الفقير- باسمي ويقول لي: يا محمد يا حسان بشر الركب بالقبول .. الله الله الله الله الله[1]... يا فلان بشر الركب بالقبول أبشر أبشر.. والله لقد بشرت إخواني وأخواتي في عرفة وفي المناسك كلها...وقلت لهم: أنا ألمح هذا العام منحة خاصة ومكافأة ربانية مميزة لكل من حج بيت الله الحرام هذا العام بشرت إخواني بذلك في يوم عرفة وبشرتهم بذلك في منى وفي جلّ محاضراتي! كنت أتعمد أن أبشر الحجاج -حجاج هذا العام- بهذه المنحة الربانية الخاصة هذا العام على وجه التحديد! تبرز فيه خيرية من حج بيت الله! وتتجلى فيه خيرية أمة سيدنا رسول الله لماذا؛ لأن من حج البيت هذا العام جاء متحديًا هذه الحرب الضروس! وهذه الحرب الشرسة! التي أعلنت بقوة وضراوة..». اهـ

قلت: أرأيت -أخي القارئ-؟! إنها صوفية عصرية تشبه صوفية التبليغ العصرية، لكنها باسم السلفية!.

وتلحظ -أيها اللّبيب- الحبكة الصحفية في كلتا الروايتين!! فهذه الألفاظ المعزوة إلى أفصح البشر ﷺ في تزكية الحويني وابن حسّان ليست معهودة من ألفاظه ﷺ في الثناء على مَن هم أفضل منهما مئات المرات، فقد أثنى ﷺ على عدد من الصحابة -رضوان الله عليهم- في حياته، فما تلمس أبدًا في ثنائه هذه الرّكاكة في التعبير في قوله: «والله أنتم فخر لهذه الأمة، وأنتم نصر لهذه الأمة.. بل أنتم أكثر من ذلك»، كذا بصيغة الجمع للتعظيم، والتي

---

(١) بلا ريب يعلم محمد حسّان أن ذكر الله -عز وجل- بلفظ الجلالة المفرد هو إحدى بدع المتصوِّفة!.

ما استخدمها مع أفضل الصحابة أبي بكر -رضي الله عنه-، فكيف بمن دونه؟! أضف إلى هذا أن استخدام هذه الصيغة مع واحد من آحاد المسلمين -مهما بلغ شأنه- لا يليق بمقام الرسول ﷺ.

وقوله: «يا محمد حسان بشر الرَّكب بالقبول»، والتي ما قالها في ركب حجة الوداع الذي حضره بنفسه ﷺ، وحضره جمع غفير من الصحابة -رضي الله عنهم-، أفيقولها في ركب حضره محمد حسَّان..؟! ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ [النجم:٢٢].

وثَمَّ سؤال مهم يطرح نفسه:

لماذا يُخص مشاهير القنوات الفضائية بهذه الرؤى دون غيرهم من أفاضل وأكابر أهل العلم الذين لا نصيب لهم في هذه القنوات -وهم متوافرون بفضل الله -مِمَّن هم أعلم وأرسخ بلا ريب من الحويني وابن حسَّان؟!

فإن قيل: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، أتحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله؟!

قلت: حاشا لله أن يكون المرام من كلامي الحسد أو الافتئات على فضل الله! إنما القصد إزالة الغشاوة عن عيون المفتونين بهذه الأساليب الصوفية القديمة في الترويج لرموزها؛ كي تنفق عند العامة السُّذج.

المثال الثالث: وهذا محمد الزغبي في برنامج حصاد عام (١٤٢٨هـ) لقناة الحكمة الفضائية يدعي رؤية النبي ﷺ للمرة السابعة والأربعين، ويدعي رؤية أنبياء الله إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم الصلاة والسلام-، بل يقسم بالله العظيم على ذلك!!.

يا إخواني -بصَّركم الله بالحق وأزال غشاوة التعصُّب من على قلوبكم-: هل عهدتم الأئمة الكبار في زماننا: الألباني وابن باز وابن عثيمين ومقبل بن هادي ...إلخ، يحرصون على سرد الرؤى التي رأوا فيها الرسول ﷺ، خاصة إن كان فيها تزكيات لهم، أو يحرصون على عدِّها؟! بل مَن هم قبل هؤلاء الأئمة من أئمة السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان هل كان هذا ديدنهم الحرص على حكاية الرؤى التي تثبت تزكية النبي ﷺ لهم، وعدّ هذه الرؤى؟! أم أن هذا كان دأب الصوفية القديمة، والصوفية العصرية المتمثلة في جماعة التبليغ والدعوة؟! ثم صار سمة بارزة عند قُصَّاص العصر.

نعم... قد يُذكر أحيانًا في تراجم بعض الأئمة أنهم رأوا النبي ﷺ في النوم كذا وكذا مرة، لكن لم يكن دأب هؤلاء الأئمة في حياتهم سرد هذه الرؤى لأتباعهم والمفاخرة بها واستخدامها وسيلة للترويج لأنفسهم عند العامة.

نعم قد تكون حدثت مرة مع الإمام الألباني -رحمه الله-، لَمَّا قصَّت عليه هذه المرأة هذه الرؤية المبشرة له أنه يسير على خطوات النبي ﷺ، ولكن مَن الألباني ..؟! ومَن الحويني .. وابن حسَّان .. والزغبي؟! لكنك ما تلمح في رؤيا هذه المرأة للألباني هذا التكلُّف المسجوع في الألفاظ المنسوبة إلى النبي ﷺ، مِمَّا يتنزه عنه وقد أوتي جوامع الكلم، مِمَّا جعل العاقل يزداد ريبة من صحة هذه الرؤى المنسوبة لنجوم القنوات الفضائية، ويرجح أحد أمرين:

الأول: أن تكون مصطنعة ملفقة من قبل حاكيها، ظنًّا منه أن هذا يحقِّق لمتبوعه نصرًا وشهرة وانتشارًا، وهذا من أفرى الفرى كما ثبت في الحديث:

أخرج البخاري في صحيحه (٦٦٣٦) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-: أن رسول الله ﷺ قال: «**إن من أفرى الفرى أن يُري عينه ما لم تر**».

وأخرج أيضًا (٦٦٣٥) من حديث ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «**من تحلَّم بحلم لم يره كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين**»، وفي رِوَايَة عِنْدَ أَحْمَد: «**عُذِّبَ حَتَّى يَعْقِد بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَيْسَ عَاقِدًا**»، وَعِنْدَهُ أيضًا: «**مَنْ تَحَلَّمَ كَاذِبًا دُفِعَ إِلَيْهِ شَعِيرَة وَعُذِّبَ حَتَّى يَعْقِد بَيْنَ طَرَفَيْهَا وَلَيْسَ بِعَاقِدٍ**».

قال الحافظ في الفتح (٢٠/٤٦): «قَالَ الطَّبَرِيُّ : إِنَّمَا اِشْتَدَّ فِيهِ الْوَعِيد مِنْ أن الْكَذِب فِي الْيَقَظَة قَدْ يَكُون أَشَدّ مَفْسَدَة مِنْهُ إِذْ قَدْ تَكُون شَهَادَة فِي قَتْل أَوْ حَدّ أَوْ أَخْذ مَال؛ لأن الْكَذِب فِي الْمَنَام كَذِب عَلَى الله أَنهُ أَرَاهُ مَا لَمْ يَرَهُ، وَالْكَذِب عَلَى الله أَشَدّ مِنْ الْكَذِب عَلَى الْمَخْلُوقِينَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]. الآية، وَإِنَّمَا كَانَ الْكَذِب فِي الْمَنَام كَذِبًا عَلَى اللَّه لِحَدِيثِ: «**الرُّؤْيَا جُزْء مِنْ النُّبُوَّة**»، وَمَا كَانَ مِنْ أَجْزَاء النُّبُوَّة فَهُوَ مِنْ قِبَل الله تَعَالَى». انْتَهَى مُلَخَّصًا. اهـ

والثاني: أن يكون تمثل الشيطان في صورة مخالفة لصورة النبي ﷺ، فظن الرائي أنه رأى النبي ﷺ، وذلك لغلبة الجهل بحقيقة صورة النبي ﷺ التي لا يستطيع الشيطان أن يتمثل بها، كما قال الحافظ في الفتح (٤٦٩/١٩): «**إِن مَحَلّ ذَلِكَ إِذَا رَآهُ الرَّائِي عَلَى صُورَته الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا**، وَمِنْهُمْ مَنْ ضَيَّقَ الْغَرَض فِي ذَلِكَ حَتَّى قَالَ: لا بُد أَنْ يَرَاهُ عَلَى صُورَته الَّتِي قُبِضَ عَلَيْهَا حَتَّى يُعْتَبَر عَدَد الشَّعَرَات الْبِيض الَّتِي لَمْ تَبْلُغ عِشْرِينَ شَعْرَة، وَالصَّوَاب التَّعْمِيم فِي جَمِيع حَالاته **بِشَرْطِ أَنْ تَكُون صُورَته الْحَقِيقِيَّة فِي وَقْت مَا** سَوَاء كَانَ فِي شَبَابه أَوْ رُجُولِيَّته أَوْ كُهُولِيَّتِهِ أَوْ آخِر عُمْره، وَقَدْ يَكُون لِمَا خَالَفَ ذَلِكَ تَعْبِير يَتَعَلَّق بِالرَّائِي»، ثم قال: «وَأَمَّا كَوْنه قَدْ يُرَى عَلَى غَيْر صِفَته أَوْ يُرَى فِي مَكَانَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ مَعًا فَإِنَّ ذَلِكَ غَلَطٌ فِي صِفَته وَتَخَيُّل لَهَا عَلَى غَيْر مَا هِيَ عَلَيْهِ، وَقَدْ يُظَنّ بَعْضُ الْخَيَالات مَرْئِيَّات لِكَوْنِ مَا يُتَخَيَّل مُرْتَبِطًا بِمَا يُرَى فِي الْعَادَة». اهـ

وقد يسأل سائل: ولماذا يصنع الشيطان هذا؟

والجواب: يصنع هذا مع أهل البدع، كي يزين بدعهم للعامة، فيعظم قدر متبوعهم في البدعة في أعينهم، فيزدادون تشبثًا بمقالاته المخالفة للكتاب والسنة، وبهذا يقعون في الضلال، وهذا مرام الشيطان.

ولذلك شدَّد أهل العلم في قبول هذه الرؤى، فلا يقبلونها من المجاهيل، الذين هم في الغالب الأعم لا يحسنون معرفة أوصاف النبي ﷺ الثابتة في الأحاديث الصحيحة، نحو صاحبي هاتين الرؤيتين، كما قال الإمام ابن باز -رحمه الله-: «ثم ليس كل من ادعى رؤيته ﷺ يكون صادقًا وإنما تقبل دعوى ذلك من الثقات المعروفين بالصدق والاستقامة على شريعة الله سبحانه، وقد رآه في حياته ﷺ أقوام كثيرون فلم يسلموا ولم ينتفعوا برؤيته كأبي جهل وأبي لهب وعبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين وغيرهم، فرؤيته في النوم -عليه الصلاة والسلام- من باب أولى». اهـ

***

قلت: وفي هذا الكلام لفتة لطيفة إلى أن مجرد رؤيا النبي ﷺ في النوم لا تثبت صحة معتقد رائيه، ولا تنفعه إلا أن يكون على معتقد صحيح، حيث رآه في حياته المنافقون وعتاة أهل الكفر، فهل نفعتهم مجرد الرؤيا؟!

وقال الشاطبي الاعتصام في (١/٣٢٢): «وعلى الجملة فلا يستدل بالرؤيا في الأحكام إلا ضعيف المنّة نعم يأتي المرئي تأنيسًا وبشارة ونذارة خاصة بحيث لا يقطعون بمقتضاها حكمًا ولا يبنون عليها أصلاً وهو الاعتدال في أخذها حسبما فهم من الشرع فيها».

* * * *

فصل

فِي فتاوى العلماء الأكابر فـي التحذير من أبي إسحاق الحويني

بعد هذا التقرير المفصَّل عن مخالفات الحويني لأصول منهج السلف الصالح أصحاب الحديث والأثر- يظهر لكل منصف صدق فتاوى العلماء في التحذير منه، وإليك بعضها:

١) **الإمام مقبل بن هادي الوادعي -رحمه الله-:**

(المصدر: شريط (المجروحون) العدد (٣)، تسجيلات أهل الحديث، الجزائر العاصمة):

السائل يقول: ما رأيكم فيمن يدعي السلفية، وهو لا يقتني الكتب السلفية ولا الأشرطة السلفية، وكذلك يدافع عن المتحزبين؟

قال -رحمه الله-: «الذي ننصح به إخواننا أن يقبلوا على الكتب النافعة، مثل: «رياض الصالحين»، ومثل «بلوغ المرام»، ومثل «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، هذا حتى أنفع لهم من الأشرطة؛ لأن الذي نقوله والذي يقوله غيرنا في الأشرطة هو قطرة من مطرة، نعم، فننصح إخواننا بحفظ «رياض الصالحين»، وقبله حفظ «القرآن الكريم»، وكذا حفظ «بلوغ المرام» إن استطاعوا، وحفظ «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» أيضًا، فماذا؟ فهذا أنفع لهم، أما عدم اقتنائه للأشرطة فليس دليلاً على أنه ليس بسلفي، لكن ينبغي أن ننظر إلى من يواد، أيواد المبتدعة؟ نعم، **مثل عبد الرحمن عبد الخالق، وأبي إسحاق الحويني، فهذان يُعتبران من المبتدعة**، أي نعم، وكذا مثل أيضًا سَفَر، **وكذلك سلمان، يُعتبران من المبتدعة**[1]، وكذا أيضًا مجلة «السنة» التي هي لائقة بالبدعة، وهي التابعة لمحمد سرور، فهذه أيضًا وأهلها القائمون عليها، تُعتبرُ مجلة بدعة». اهـ

---

(١) ثمَّ قرأت هذا الموضع من كلام الإمام مقبل بن هادي -رحمه الله- على العلامة **عبيد الجابري** -حفظه الله-؛ علَّق قائلاً: «لا ننكر عليه تبديعه لهؤلاء؛ لأن هؤلاء استنكفوا عن السنة **عنادًا**».

وفي كتاب «المجروحون عند الإمام الوادعي» لأبي أسامة عادل بن محمد السياغي (ص٩١): «أبو إسحاق الحويني: يقول: مسألة البرلمان مسألة فرعية وليست بأصلية، ولا ينبغي أن نختلف عليها، قاله عنه أبو عبد الله المصري، فقال الشيخ: نأسف على هذا الرجل، ويعلم الله أنني لم أكن مطمئنًا لهذا الرجل، ولا ينصح بسماع أشرطته.

وذات مرة أشار الشيخ إلى فمه وملأه بالهواء، وقال: يحب أن يأكل من هاهنا، ومن هاهنا».

***

٢) العلامة مفتي جنوب المَملكة أحمد بن يَحيى النَجمي -رحمه الله-:

- ما هو وضع كل من: محمد المغراوي، أبو إسحاق الحويني، وحسين يعقوب؟

«الذي أعرفه عن محمد المغراوي أنه تكفيري، وأبو إسحاق الحويني كذلك، وهو من أصدقاء أبي الحسن ومناصريه، أما حسين يعقوب فأنا لا أعرف حاله». اهـ

ووجاء في صعقة المنصور (ص٣٤٨) أن العلامة أحمد النجمي -رحمه الله- قرئ عليه كلام الحويني في تكفير المصر على المعصية، فقال: «**الحويني يعتبر من الخوارج**».

***

٣) الشيخ العلامة ربيع بن هادي المَدخلي -حفظه الله-:

*** الفتوى الأولى:**

س: «يدعي بعضهم أن طاعة السلطان، وأن أمر التكفير للحكّام مسألة خلافية، بل قال أحد الدعاة[1] في شريطه (نداء الغرباء ١): «ليس هناك سلطان شرعي في الأرض اليوم!!!»، فما تعليقكم جزاكم الله خيرًا؟

ج: «.. هناك الشباب من هو مغامر، ولا يميّز بين ما ينفع المسلمين، وما يضرهم، فيغامر بشباب المسلمين، ويرميهم في ترهات الحروب والفتن، كما حصل في الجزائر وغيرها...، ولم يلتفتوا إلى أقوال العلماء.

---

(١) يشير إلى الحويني.

فهـذا الـصنف المتهـور مـن الـشباب لا يجـوز أن يُطـاع، ولا يجـوز أن يُـصغى إليـه، ويجب أن يرفضهم الشباب، ويلتفوا حول العلماء.

فإذا كان في عهد الرسول الكريم (من يوجد، بل لا يصلح للتقرير في هذه القضايا، وكُلِّفوا بالرجوع إلى العلماء الذين يستنبطون هذه القضايا من دين الله الحق، ويميِّزون بين ما يضرهم، ويميِّزون بين المصالح والمفاسد، ففي هذا الأصل أولى وأولى أن يلتف الشباب حول العلماء، وينتظروا منهم البيان الشافي، والنصح، وقد حصل هذا -ولله الحمد- من علماء السنّة فنصحوا، ونصحوا لكثير من هذا الشباب المتهور، أن يتركوا مثل هذه الثورات، ويتركوا مثل هذه الفتن، ويقبلوا على العلم، وعلى تربية الأمة على كتاب الله وسنة رسوله)، وتطهير المجتمعات الإسلامية من الانحرافات العقائدية، والمنهجية في أصول دينهم، وفروعه.

هذا هو دين الدرب الصحيح، أن نربيهم على العلم، وعلى الدين.

فهذه الأمور على كل حال يُرجع فيها إلى العلماء على التفصيل الذي ذكرته سَلَفًا، ولا يُسمعُ لكثير من الرعاع الذين ينعقون بما لا يعرفون، فلا يعرفون منهج السلف، ولا يعرفون العلم الشرعي الصحيح، ولا يميزون بين المصالح والمفاسد، فألقوا بشباب الأمة في أتون الفتن وألقوا بالإسلام في أبواب الضياع .

نسأل الله -تبارك وتعالى- أن يهيئ كل خير لهذه الأمة، وأن يجعل همتها بأيدي علمائها، وفقهائها، والناصحين المخلصين منها، إنه ربنا لسميع الدعاء».

*** الفتوى الثانية:**

- لما سئل عن انتقاد الشيخ عبد المالك الجزائري للحويني قال: انتقد هذا أبا إسحاق في أي شيء؟!، في أي شيء انتقده؟!».

أجاب السائل: «يعني أنه ثوري، وأنه يكفر المصرّ على الكبيرة، ومخالفات كثيرة...».

ج: «هذه أمور جليّة، طالب علم ولو صغير ويسمع إنسان يكفّر بالكبيرة هذه من الأمور المشهورة والمعلومة هذه ما يُشترط لها ذلك العالم الكبير.

***

* الفتوى الثالثة:

«أنا من سنوات ما أجيب[١]، أريد أن أتريث في أمره، أريد أن أناقشه، أرسلت له مناصحات، لكن كما هو، ما يزداد إلاَّ بُعدًا عن المنهج السلفي وتلاحمًا مع القطبيين، فهذا حاله، هذا حاله الآن، هو يَدَّعي أنه من أهل السنّة ويقترب من أهل البدع، ويعاشرهم، ويتلاحم معهم»[٢].

* الفتوى الرابعة:

مكالمة هاتفية أجريتها مع العلامة ربيع في ليلة الأثنين (٢٧ شوال ١٤٢٩هـ)، اقتطف موضع الشاهد منها:

قلت للشيخ -حفظه الله-: هنا عندنا مَن يدَّعي أن الأصل في أبي إسحاق الحويني، ومحمد حسّان، وأبي الحسن المصري أنّهم سلفيُّون؟!

فقال الشيخ -حفظه الله-: مَن قال الأصل إنهم سلفيون؟!

قلت: يقول إنهم يظهرون السلفية!!

فقال الشيخ -حفظه الله-: الأصل فيهم أنهم من الإخوان، وتربية الإخوان.

قلت: يعني مسألة اشتراط إقامة الحجة عليهم قبل التبديع، هل يقال هذا يقال لا نبدعهم حتى نقيم عليهم الحجة كاملة؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله-: **والله أنا أرى أنهم مبتدعة؛ لأنه أصله ما هو سلفي بارك الله فيك.**

* * *

٤) الشيخ عبيد بن عبد الله بن سليمان الجابري -حفظه الله-:

س: ما زال العلماء يتكلمون في الرجال قديمًا، وحديثًا، وهذا من أشرف العلوم، وعليه شيخنا، تنتشر كثير من أشرطة أبي إسحاق الحويني في الجزائر، وما أكثرها، وخاصة

---

(١) أي: في بيان حال الحويني.

(٢) راجع باب: «ثناء الحويني على القُصّاص والحزبيين»، لتدرك مصداقية كلام الشيخ -حفظه الله-.

خطبه، فتفرّق الناس حوله عندنا بين: مزَكٍّ، ومعدّل، ومجرّح، ومتوقف فيه، فلعّل الشيخ له شيء من الأمر حوله حتى ينتفع به الشباب؟

ج: الشَيخ الحُوَيني لم أعرفه معرفة تامة، ولم أدرس منهجه دراسة وافية[1]، ولكن أسمع من الثقات أنه مع جمعية إحياء التراث الحركية السياسية، وغيرها من أهل الأهواء، **ولا أعرف له وجهًا ونصيحة للسلفيين!!!**، هذا قولي فيه»[2].

***

٥) الشيخ محمد بن عبد الوهَّاب البنا -رحمه الله-:

- سئل -رحمه الله- عن قول الحويني في تكفير المصر على المعصية؟

فقال -رحمه الله تعالى-: هذا..هذا ..[قول] الخوارج.

و سئل -رحمه الله- عن قوله في الحاكمية؟

وسئل -رحمه الله-: أعوذ بالله! [...] الحاكمية من توحيد الألوهية !

***

٦) الشيخ عبد الْمالك رمضاني -حفظه الله-:

السائل: كلمة في منهج الشيخ أبي إسحاق الحويني حتى يكون لنا منك سند عال؟

الشيخ: أما الشيخ أبو إسحاق الحويني فأنا أخشاه على مصر، كما كنت أخشى على أهل بلدنا الجزائر «علي بلحاج»، يتّبع نفس المنهج في الإثارة والدغدغة بالعواطف، وكثرة التهييج السياسي، هذا يظهر في الخطب أكثر منه في الدروس والمحاضرات، ولعل السائل

---

(١) ثم تبين للشيخ -حفظه الله- حاله جليًا لمَّا قرأت عليه -حفظه الله، ومتّع ببقائه- مقتطفات من هذا البحث، فقال -بعد انتهائي من القراءة-: «وبهذا نكتفي ... عرفنا أن الحويني تكفيري قطبي ينهج منهج الإخوان المسلمين».

ثم قال في تقريظه على هذا البحث: «فمثل هذا الرجل -أي: الحويني- لا يجوز أخذ العلم عنه، بل يجب الحذر منه، وإن زكَّاه مَن زكَّاه من المنتسبين إلى العلم، فجزى الله أخانا أبا عبد الأعلى خيراً لقاء ما كشف لنا عنه من انحرافات الحويني». اهـ

(٢) من شريط «النصيحة الصريحة للجزائر الجريحة».

[...] يجد ذلك واضحًا مسموعًا، خطب تخالف السنة: ساعة وساعتين، ثم محتوى فارغ كله حديث عن الوزراء والمسئولين، وتضييع وقت المسلمين في التحريش السياسي، هذا لا يفيد كما تعلمون، وهذا من باب الأمانة في دين الله -عز وجل- ذكرناها». اهـ

* * *

٧) الشيخ محمد بازمول -حفظه الله-:

- سئل الشيخ محمد بازمول -حفظه الله-: هذا يسأل يقول: ما رأيكم في المحدِّث أبي إسحاق الحويني؟

فأجاب -حفظه الله-: «**أقول**: أبو إسحاق في الحديث يعني شُهِد له، وهو رجل له فهم وله معرفة بتخريج الأحاديث، لكن نقلت عنه أقوال يعني مخالفة لكلام أهل السنة والجماعة في مسائل عديدة؛ **فينبغي أن يعامل معاملة أهل البدع**، وفي غيره من أهل السنة ممَّن يحسن التخريج غنية عن الرجوع إليه، إذ الطريقة التي كان عليها السلف الصالح طريقة تقتضي على طالب العلم أن يحذر من أن يكثِّر سواد أهل البدع أو أن يرفع منارهم أو أن يقوي من شوكتهم، والرجوع إلى كتبهم والاستفادة منهم قد يقع فيها شيء من ذلك، وفيما كتبه أهل السنة في التخريج والمصطلح غنية -إن شاء الله- عن الرجوع إلى كتب أبي إسحاق».

* * *

٨) الشيخ محمد بن هادي المدخلي -حفظه الله-:

صاحب الفضيلة: جاء في مقدمة صحيح مسلم أثرًا عن عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما-، قال: «إنا كنا مرة إذا سمعنا رجلاً يقول: قال رسول الله ﷺ ابتدرته أبصارنا، وأصغينا إليه بآذاننا، فلما ركب الناس الصعب والذلول، لم نأخذ من الناس إلاَّ ما نعرف»، هل هذا الكلام من حَبر الأمة -رضي الله عنه- ينطبق على وُعَّاظ هذا الزمان، مثل مواعظ أبي إسحاق الحويني التي ابتلي بها الشباب عندنا في الجزائر؟

الحمد لله، هذا الحديث حديث ابن عباس أو أثر ابن عباس -رضي الله عنهما- في قصته مع نوف البكاري، وذلك حينما حدثه وكان يتشاغل -رضي الله **عنه**- عن حديثه، فقال

له: «عجبًا يا ابن عباس أحدثك عن رسول الله ﷺ ولا تسمع لي»، أو كلمة نحوها، فقال له عبد الله بن عباس -رضي الله عنهما- هذا الأثر.

وذلك أن الناس إذا نزلت بهم الفتن، وحَلَّتْ النوازل واختلطت فيها الأمور، فإن الأخذ والسماع إنما يكون عن الموثوقين في العلم والدين؛ لأنه يقتدى بفعالهم ويؤخذ بأقوالهم.

وهذا بابٌ معروف عند أئمة الدين، «باب تجنب الرواية عن أهل الأهواء والبدع وتحمل العلم عنهم» معروف، فإنه قد تكاثر حتى تواتر عنهم قولهم: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذون دينكم».

ولقد ذكر طرفًا من هذا الإمام مسلم في مقدمة صحيحه التي نقلت منها هذا الخبر، ولا شك أنه في زمن انتشار البدع والأهواء، وتشعب الآراء، واختلاف الطرق في المسلمين، فإن المرء يجب عليه ألاَّ يأخذ إلا عن أهل السنة والجماعة، المعروفين بذلك، المشهود لهم بذلك، المقتفين لآثار رسول الله ﷺ الصادقين في قولهم وفعالهم؛ لأنهم مأمونون وهم أمناء على حمل الشريعة، وهم أهل الحديث والخبر، ونَقَلَة الآثار عن رسول الله ﷺ، هم المأمونون في هذا؛ لأنهم يخافون الله-سبحانه وتعالى-ويتقونه، وبهم حفظ الله الْمِلَّة والشريعة، وأقام الصراط لهذه الأمة كما تركها عليه رسول الله ﷺ.

فأين أمثال الحسن، وابن سيرين، أيوب السختياني، والْحَمَّادَيْن، والْسُفْيانَيْن، والإمام مالك، والإمام الشافعي، والإمام أحمد، وإسحق بن راهويه، والإمام أبي داوود، وغيرهم من بقية أصحاب الكتب الستة، ويحيى بن معين، وعلي بن المديني، وابن أبي حاتم، ووالده أبي حاتم، وأبي زرعة الدمشقي، وغيرهم كثير حَدِّثْ عنهم ولا حرج، وأيضًا في المشرق، من أمثال الإمام الذي جمع الله فيه جميع خصال الخير -عبد الله بن المبارك-، رضي الله عنهم جميعًا وأرضاهم.

فإن أمثال هؤلاء كانوا في أزمانهم القدوة وبهم الأسوة، وبهم عصم الله -سبحانه وتعالى- الأمم، كُلٌّ منها في منطقتها، أو في جهتها، أو في قطرها وعصرها من الفتن، ومن الأهواء التي ظهرت في أعصارهم وأمصارهم، حتى أسلم الله -سبحانه وتعالى- الدين إلى من جاء بعدهم، وسَلَّمَه أيضًا من عبث العابثين ولعب اللاعبين.

وهذا هو الوعد الذي قطعه الله -سبحانه وتعالى- على نفسه في قوله: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

والذِكْر ذِكْرَان:

ذِكْرٌ مَتْلو: وهو كتاب الله العظيم، وكلامه الْمُنَزَّل، القرآن الكريم.

ذِكْرٌ غير مَتْلو: وهو بيان هذا الكتاب الْمُنَزَّل، وهو السنة النبوية المطهرة، فهي وحي من الله كالقرآن، شاهده في سورة النجم فاحفظه ولا تهن كما قال ذلك شيخ شيوخنا الشيخ حافظ -رحمه الله تعالى- في ميميته في وصاياه لطالب العلم في الآداب التي يجب أن يتحلى بها، في قوله: «وحيٌ من الله كالقرآن، شاهده في سورة النجم فاحفظه ولا تهن» يعني: قول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴾ [النجم: ٣-٦]. فهذه السنة وحيٌ يوحى، فهي وحيٌ من الله كالقرآن.

وقولنا كالقرآن هذا قول النبي ﷺ: «**ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه**». يعني: السنة النبوية.

فحفظ الله القرآن بحفظه له -سبحانه وتعالى-، وحفظ الله -سبحانه وتعالى- السنة النبوية المطهرة، بتهيئة هؤلاء الجهابذة الأعلام، فحفظوها حتى بلغوها إلينا.

وإذا كان هذا حال الأسلاف -رضي الله عنهم-، «إن هذا العلم دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم» في زمن الفتنة التي حصلت في زمن الخوارج، حدوث الفتنة في عهد عثمان، ثم خروج الخوارج، وتشيع الشيعة، إذا كان هذا قولهم مع قربهم من عهد النبي ﷺ وتواجد كثير من الصحابة، فما بالنا نحن في هذه الأعصار المتأخرة، وما عسى أن نقول نحن، إننا يجب علينا مرات ومرات أن نقول بمقالهم هذا وهو أن نحترز لأنفسنا، فلا نأخذ هذا العلم إلاَّ عمَّن عرفنا صدقه، وأمانته، وديانته، واستقامته، وإخلاصه، وإتباعه لرسول الله ﷺ بحقٍ وصدقٍ وعدل، لا بالدعاوى والجعجعة التي لا دليل ولا برهان عليها. اهـ

* * * *

فصل

بين الإمـام الألباني والحويني

كما هو ظاهر مِمَّا مضى أن الحويني يخالف الإمام الألباني -رحمه الله- في عدة مسائل تمس أصول أهل السنة، وهي:

أولاً: الحويني يكفِّر المصر على المعصية، ويجعل المُصر مستحلاً؛ والألباني لا يكفِّر المصر على المعصية، ولا يجعل المصر مستحلاً.

ثانيًا: الحويني وافق سيد قطب في قوله: «أخص خصائص توحيد الإلهية: توحيد الحاكمية»، وتقدَّم كلام الألباني في شأن الحاكمية، وإنكاره الغلو فيها، والحويني على خلاف هذا.

ثالثًا: الحويني يثني على طائفة من القصَّاص والحزبيين، مِمَّن حذَّر الألباني من أمثالهم، بل مِمَّن هو أحسن حالاً منهم.

رابعًا: الحويني يعتبر الذين ينسبون القول بوحدة الوجود إلى سيد قطب -تلكيكًا- أي تربصًا بسيد وظلمًا له-، والألباني على رأس العلماء الذين نسبوا القول بوحدة الوجود إلى سيد.

خامسًا: الألباني يثني على ربيع بن هادي ثناء عاليًا، نحو قوله: «إن حامل راية الجرح والتعديل اليوم في العصر الحاضر وبحق هو أخونا الدكتور ربيع، والذين يردون عليه لا يردون عليه بعلم أبدًا، والعلم معه».

والحويني يقول عن العلامة ربيع: إنه أحمق، وأخذ يقلِّل من علم العلامة ربيع.

والألباني وصف من يطعن في العلامة ربيع بن هادي بالجهل، ودعا عليه حيث قال: «فالحطُّ على هذين الشيخين الشيخ ربيع والشيخ مقبل الداعيين إلى الكتاب والسنة، وما

كان عليه السلف الصالح ومحاربة الذين يخالفون هذا المنهج الصحيح هو كما لا يخفى على الجميع إنما يصدر من أحد رجلين : إما من جاهل أو صاحب هوى؛ الجاهل يمكن هدايته، لأنه يظن أنه على شيء من العلم، فإذا تبين العلم الصحيح اهتدى.. أما صاحب الهوى فليس لنا إليه سبيل، إلا أن يهديه الله -تبارك وتعالى- فهؤلاء الذين ينتقدون الشيخين -كما ذكرنا- **إما جاهل فيُعلّم، وإما صاحب هوى فيُستعاذ بالله من شره، ونطلب من الله -عز وجل- إما أن يهديه وإما أن يقصم ظهره».**

سادسًا: الألباني يقول بحرمة هذه العمليات الانتحارية -كما تقدَّم-، والحويني يعتبر القائلين بالتحريم: أنهم أصحاب جليطة، وأنهم لا يعرفون الحقيقة، وأصحاب حواديت، فهذا سبٌّ غير مباشر من الحويني للألباني.

وهناك طائفة من الغلاة في الحويني يدعون أن الألباني قال: إن خليفتي الحويني.

وبعضهم يقول: إن الألباني قام من مقعده وأجلس الحويني مكانه تكريمًا له، وإيذانًا بأنه خليفته[1].

---

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «لقد حضرنا مجالس كثيرة في مدينة رسول الله ﷺ أثناء زيارات الشيخ الإمام -رحمه الله- للمدينة والجامعة، والعمرة، وكان الاحتفاء بالشيخ ظاهرًا واضحًا، والدعوات تتوالى في بيوت المشايخ أولاً، وكذلك طُلاَّب العلم، وممَّا حضرت: مجلس مذاكرة وعَشاء في منزل الشيخ الجليل عمر بن محمد فلاتة تلميذ وخليفة الشيخ الإمام عبد الرحمن الإفريقي -رحمهما الله- في مجلسه في مسجد رسول الله ﷺ، وكان أمينًا عامًا للجامعة الإسلامية، وآخر في منزل الشيخ الإمام محمد أمان بن علي الجامي، وحضر المجلسين علماء ومشايخ من إخوانه وأقرانه -رحمه الله-، مثل: الشيخ الإمام عبد المحسن العبَّاد، وشيخنا ربيع بن هادي، وعدد والله لا يُحصر.

ولم يحصل قط أن قام الشيخ من مقعده الذي كان مُعدًا له في صدر المجلس ليجلس أحدًا مكانه، ونحن نعلم أن هذا الأمر لم يكن من عادته، ولا يدخل في مجاملاته -رحمه الله- وما كان يُشير إلى الاستخلاف؛ لأنه معلوم أنها ليست من علامات أهل السُّنة وسلف الأمة، مع العلم أن من بين الحضور من كان يُلقب بين أهل العلم وطُلاَّبه بالألباني الصغير، وكان الشيخ يضحك من هذا اللقب ويفرح به، ولكنه ما أضاف ولا عيَّن ولا حدَّد ولا استخلفَ أبدًا.

ولكن أقول: لعلَّ في كلمته لشيخنا ربيع أنه حامل راية الجرح والتعديل، وهو العلم الذي يقوم عليه ويتأسس عليه علم الحديث والتصحيح والتضعيف وتنقيح النصوص ما يشير إلى هذا، ولعلَّ =

وهذا كله كذب، وصدق شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- لَمَّا قال في «منهاج السنة» (٤١/٧): «وأن الناس كذبوا في المثالب والمناقب، كما كذبوا في غير ذلك ...».

ولقد كذَّبه الألباني بنفسه، حيث سئل -رحمه الله- كما في سلسلة الهدى والنور في آخر (شريط ٢٢٩):

شيخنا: هل جرى بينك وبين أخينا أبي إسحاق حوار قلت له: إنه خليفتك؟

فأجاب العلامة الألباني: لا.. ما جرى.

وفي شريط (٥٩١):

سئل الشيخ -رحمه الله-: يخبرنا بعض الإخوة في مصر أن أبا إسحاق يخبرهم أن معه إجازة منكم، فهل هذا صحيح، وكذلك يقول بعض الإخوة: إن أبا إسحاق يدَّعي بأنه خليفتكم في هذا العلم -أقصد علم الحديث-، بينما نسمع نحن في اليمن أن الرجل الذي بعدكم في علم الحديث هو الشيخ مقبل بن هادي الوادعي، فما تعليقكم على ذلك؟

فأجاب الشيخ -رحمه الله-: «الدعاوى كثيرة وكثيرة جدًّا، وأنا لا أعتقد أن أحد الرجلين صحَّ عنه ما تنسبه إليهما، أما أنا فلا أقول شيئًا من هذا في أحد ما دمت حيًّا، لأني أرجو أن يكون الخلفاء من بعدي أكثر من واحد أو اثنين». اهـ

قلت: وصدق الشيخ علي الحلبي لِمَّا قال في كتابه «ناصر السنة والدين» (ص٣٤) (ط المنهاج): «إنَّ ما يتهامس به بعض الشانئين -مكرًا-، أو بعض المحبين -سذاجة- من الكلام حول خلافة الشيخ، ومَن يتبوأ مكانه!، حديث خرافة لا خِطام ولا زِمام ...

فالشيخ لم يستخلفه أحدٌ قبله، حتى يستخلف -هو- أحدًا بعده؛ فضلاً عن أن ينصِّب أحدٌ نفسه هذا المنصب، -سواء بنفسه إعجابًا! أم لغيره إرهابًا-!!». اهـ

قلت: ونحن لا ننكر أن للعلامة الألباني كلمات ثناء على الحويني في جانب الصناعة الحديثية، أما في جانب المعتقد والمنهج، فلا نعلم أنه أثنى عليه، وحتى لو كانت

=

هذا هو الذي أقض مضاجعهم، وآلمهم أشد الألم، فراحوا يكذبون بل ويستهزئون بمثل هذا المدح والثناء، ويحاولونَ دفنه بما يكذبون لأنفسهم وشيوخهم، والله تعالى أعلى وأعلم».

هذه الكلمات تحتمل ثناء الألباني عليه في المعتقد، فإن هذا محمول على ما أظهره الحويني له.

سئل الشيخ العلامة ربيع المدخلي -حفظه الله تعالى- : بعض الدعاة لا تُعرَف لهم سلفية وقد حُذِّرَ منهم، فما زال هناك من يجالس أولئك الدعاة بحجة أنه لم يُجرَح بجرحٍ مفصّل وقد زُكّوا من قبل الشيخ العَبّاد وغيره فانقسم الأخوة بين مُجرِّحٍ ومُعدِّل بسبب أولئك الدعاة فما قولكم لهم؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله- قائلاً:

«يجب على هذا الشخص الذي يفترق حوله الناس ولا يُزكّي نفسه بإبراز المنهج السلفي، وإنما يعتمد على تزكية فلان وفلان، وفلان وفلان ليسوا بمعصومين في تزكياتهم فقد يُزكّون بناءً على ظاهر حال الشخص الذي قد يتملقهم ويتظاهر لهم بأنه على سلفية وعلى منهجٍ صحيح، وهو يبطن خلاف ما يظهر، ولو كان يبطن مثل ما يظهر؛ لظهر على فلتات لسانه وفي جلساته وفي دروسه وفي مجالسه فإن الإناء ينضح بما فيه.

وكل إناء بما فيه ينضحُ....

فإذا كان سلفيًا فلو درَّس أيّ مادة ولو جغرافية أو حساب لرأيت المنهج السلفي -بارك الله فيك- ينضح في دروسه وفي جلساته وغيرها، فأنا انصح هذا الإنسان الذي لا يُظهر سلفيته، ويكتفي بالتزكيات أن يُزكّي نفسه بالصدع بهذا المنهج في دروسه في أيّ مكانٍ من الأمكنة، فإن الأمة بأمس الحاجة إلى الدعوة إلى هذا المنهج السلفي، فإذا كان هذا الشخص -بارك الله فيكم- من هذا النوع الذي قلت أنه يعتمد على التزكيات ولا يُزكّي نفسه فإن هذا يضرُّ نفسه بكتمان العلم وكتمان العقيدة وكتمان هذا المنهج، وأخشى أن تصدق عليه الآيات التي في كتمان العلم وعدم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن أعظم المنكرات وأقبحها وشرها عند الله البدع التي تتفشى في أوساط الأمة ثم كثير من الناس يأتون إلى التزكيات ولا يواجه هذا الواقع المظلم بما عنده مِمّا يزعمه أنه على المنهج السلفي مكتفيًا بتزكيات من لا يعرف حقيقته وواقفه وهو لا تُزكيه أعماله ولا مواقفه ولا تشهد له بأنه سلفي، فيلجأ إلى هذه الوسائل الدنيئة للاحتيال على بعض الناس والتملق لهم

حتى يحصل على التزكية ويكتفون بهذا ويذهبون ليتهم يَكُفُّون بأسهم وشرهم عن أهل الحق والسنة فيذهبون فيتصيّدون أهل السنة بهذه التزكيات فتكون مصيدة فيُضيّعون بها شبابًا كثيرًا يحرّفوهم عن المنهج السلفي، وأنا أعرف من هذا النوع كثيرًا وكثيرًا من الذين يسلكون هذا المسلك السيئ، فنسأل الله العافية، بأن يُزكّوا أنفسهم بأعمالهم وأن يجعل من أعمالهم شاهدًا لهم بالخير والصلاح وبالمنهج السلفي». اهـ

***

قلت: وهذه إحدى وسائل حزب الإخوان المسلمين في تحقيق أهدافه، وهو الزجّ بأتباعهم في وسط مشايخ أهل السنة، لتحقيق مصالح لهم، وقد بيّن هذا الأمر الشيخ صالح آل الشيخ -حفظه الله- حيث قال -كما في شريط «مسائل منهجية-لقاء بين الشيخ عبيد الجابري والشيخ صالح آل الشيخ»:

«أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتل والخفاء والتلون والتقرب إلى مَن يظنون أنه سينفعهم، وعدم إظهار حقيقة أمرهم، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها، وحقيقة الأمر يخفي منهم مَن خالط بعض العلماء والمشايخ زمانًا طويلاً وهو لا يعرف حقيقتهم، يُظهر كلامًا ويبطن غيره لا يقول كُلّ ما عنده».

قلت: وهذا الذي صنعه الحويني بدقة متناهية، حيث خالط الألباني لتحقيق النفع المرجو له، ولحزبه، وذلك بعد أن علم القطبيون أن الألباني صار إمامًا، وأن اختراق أهل السنة لن يتم إلا بزرع رجل من بني جلدتهم ويتكلم بلسانهم، كي يمرر إليهم المنهج القطبي بصورة خفية دون أن يشعروا بشيء.

ومَنْ يتتبع تاريخ ظهور الحويني يجد أن أغلب المخالفات التي أخذت عليه لم تظهر إلا بعد موت الألباني، فلم يجرؤ أن يعلن بها في حياة الألباني وإلا افتضح أمره، وفشلت خطته.

فلا يشك من يعرف الألباني ومنهجه أنه إن عرف المخالفات العظيمة عند الحويني لأصول منهج السلف الصالح -منهج أصحاب الحديث-، لكان له شأن آخر معه.

وقارنوا بين مجالس الألباني -وهي بالمئات-، ودروس وخطب الحويني -وقد

بلغت المئات كذلك-، ليتبين لكم الفروق المنهجية والعقدية الجلية بين الإمام الألباني والحويني، والتي أشرنا إلى بعضها فيما تقدَّم.

ولا تغتروا -رحمكم الله- بتباكي الحويني على الألباني بعد وفاته، وبالتظاهر بلزوم طريقته في الاعتناء بعلم الحديث، فإن العبرة بلزوم طريقته في تقرير مسائل المعتقد والمنهج، وأن يتوافق معه في طريقته السلفية في التحذير من الأحزاب ورءوسها الذين ينخرون بسمومهم في شباب الأمة، وأن يسير على منهجه النقي في التصفية والتربية، وأن يترك طريقة القصَّاص وأصحاب التهييج السياسي الذين كان يحاربهم الألباني في حياته.

وصدق أيضًا الشيخ علي الحلبي في كتابه «ناصر السنة والدين» (ص٣٠) (ط المنهاج): «إن مجرد التباكي على الشيخ ووفاته، والأثر الذي خلَّفه في الأمة فقده -دونما سير على منهجه، واتباع لطريقته، ودعوة لسبيله- **هو نوع من المتاجرة باسمه، والاستغلال لشهرته!**، ومنه صنيع بعض الخاذلين له في حياته، ثم المتباكين عليه بعد مماته». اهـ

قلت: والعجيب أن الشيخ علي حسن قد وقع -كذلك- فيما حذَّر هو منه في كلامه هذا، كما سيظهر لنا في الفصل التالي -إن شاء الله-.

****

فصل

في موقف الشيخ علي حسن الحلبي والشيخ مشهور حسن سلمان من أبي إسحاق الحويني

○ أولاً: موقف الشيخ علي الحلبي:

سئل الشيخ علي الحلبي في شريط سجّله معه أحد الشباب من (المنيا- مصر):

«بعض الإخوة للأسف... بدأ ينشر أقوال العلماء في الشيخ أبي إسحاق الحويني وطبعًا... العوام أو غيرهم، بدءوا لا يسمعون الشيخ؟

فأجاب الحلبي:

«نحن نعتقدِ أن هذا خطأ، وأن أخانا أبا إسحاق رجل فاضل من أهل السنة، وهو من الدعاة السلفيين المعروفين منذ أكثر من عشرين سنة، ولكن هذا لا يعني أنه لا يخطئ، هو يخطئ ونحن ننبه عليه[1].

---

(١) لَمَّا قرأت هذا الموضع على الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله- علَّق قائلاً:

«هناك خطأ شكلي، وخطأ فرعي، وخطأ في الأصول؛ وأخطاء الحويني في الأصول.

وهكذا علي حسن يتلاعب فيقول عن عدنان عرعور، وأبي الحسن، والحويني، ومحمد حسَّان: أخطؤوا، كأنهم أخطؤوا في مسائل فرعية، وهذا من التلبيس؛ فأخطاء عرعور، وأبي الحسن، والحويني، وحسَّان في الأصول، وهم حربٌ على أهل السنة، ودروع لأهل البدع يدافعون عنهم».اهـ

قلت: وهذا حقٌّ لا امتراء فيه إلا عند من عمي بصره أو لم يدرك حقيقة أخطاء المذكورين.

وسئل العلامة عبيد الجابري -حفظه الله- في لقاء أبي عبد الرحمن رائد المهداوي معه بعد مغرب السبت، التاسع والعشرين من شعبان ١٤٢٩، الموافق للثلاثين من أغسطس ٢٠٠٨م، وذلك ببيته العامر بمدينة النبي ﷺ.

يقال: إنكم أثنيتم على علي الحلبي قديمًا والآن اختلف كلامكم، فالبعض اتهمكم بالتناقض فما قولكم بارك الله فيكم؟

=

فأجاب -حفظه الله- قائلاً: أولاً: ليس الباعث على تزكية رجل والثناء عليه هو التقرُّب إليه والتزلف له، كما أنه ليس الباعث على ذمِّ رجل وجرحه ومقته هو التشفي منه، فما ورثناه عن الأئمة أنّ الجرح والتعديل مبني على مصلحة شرعية، وقدّ دلّ الدليل على أنّ هذا المنهج هو من أصول أهل السنّة والجماعة، بالجرح والتعديل يذبّون عن السنّة وعن أهلها، فالتزكية تقوي العزيمة عند أهل السنّة وتشد أزرهم وتعينهم على ما هم عليه من السنّة، والجرح هو دحض البدع والوقوف في وجه المبتدعة؛ حتى لا تتسرب أفكارهم الفاسدة إلى صفوف أهل السنّة فتفرق جمعهم وتشتت صفّهم.

ثانيًا: يُثنى على الرجل ويُزكّى حين يظهر الخير، ومن ذلك الذبّ عن السنّة وأهلها والتقرب إلى السنّة وأهلها ونشر السنّة في مقالاته وفي كتاباته؛ بهذا يستوجب الثناء، ويذمّ الرجل ويُجرح -وإن كان قد زُكّي من قبل- إذا انحرف عمّا كان عليه من منهج وسمت؛ فأصبح يخلط ويخبط، ويلقي عبارات تُجرئ أهل البدع وتناصرهم على أهل السنّة وتقوّي شوكتهم.

الأمر الثالث: يعلم مِمّا سبق -أنّا ولله الحمد- لم نتناقض في أمر أخينا الشيخ علي، فنحن زكّيناه بما أظهر لنا من السنّة، وتعرفنا عليه من خلالها؛ فاقتربنا منه وفرحنا به، لا سيما أنه ينتسب إلى إمام الحديث -شيخ الإسلام الثالث في هذا العصر- أعني به الشيخ ناصر الألباني -رحمه الله-، لكن ظهرت من أخينا الشيخ علي -عفا الله عنّا وعنّه وهدانا وإياه وإياكم إلى مراشد الأمور- **كلمات وعبارات تفت في عضد أهل السنّة وتشدّ أزر المبتدعة، يعني نظرنا فيه، وأصبحت تزكياته عندنا غير مقبولة، وأقولها ولا أجد غضاضة تزكيات الشيخ علي عندنا غير مقبولة؛ لأنه زكّى رجالاً ليسوا أهلاً للتزكية**، هاكم أمثلة:

أولاً: يزكي عدنان بن أحمد عرعور ويصف ما بينه وبين الشيخ ربيع من الردود التي ظهر خلالها أنّ الرجل فاسد المنهج -أعني: عدنان- يقول: هذا مِمّا يحدث بين الأقران، أنظروا من يقول إن عدنان بن أحمد عرعور هو قرين الشيخ ربيع في العلم والفضل ونصرة السنّة، بل ثبت عندنا أنّ عدنان عرعور هذا قطبيٌّ مُحترق، وبضاعته في أوروبا وفي أمريكا -يعني: في الغرب- هي نشر فكر سيد قطب، ويعاونه في هولندا أحمد سلاّم، أظنه شاميًّا.

ثانيًا: زكّى حسين عشيش لا أدري من أي الأقطار هو، حسين عشيش هذا يقول في شروط «لا إله إلا الله» إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو الذي أتى بها -يعني يقول إنها بدعة-، والشيخ محمد ابن عبد الوهاب -رحمه الله- لم يأتِ بها من تلقاء فكره بل أتى بها مدلّلاً عليها من الكتاب والسنّة، وهكذا كل شروط يذكرها العلماء يدلّلون عليها من الكتاب والسنّة، يزكّيه الشيخ علي ويثني عليه، ويذكر أنه من السلفيين.

ثالثًا: لما ظهرت فتنة **أبي الحسن المأربي** -مصطفى بن إسماعيل السليماني- المصري منشأً، الذي استوطن مأربًا باليمن-، لمّا تكلّمنا فيه مع من تكلّم فيه من أهل السنّة وأبنّا فساد منهجه،

ونحن ناصحناه بالوجه مباشرة في أمريكا، وفي الإمارات، وفي السعودية ثلاث مرات، وحاولنا أن نلتقي معه في القاهرة، وعسى أن يكون اللقاء قريبًا نتناصح ويذكّر بعضنا بعضًا.

ولكن بالمقابل نقول: لا يعني ذلك تبديعه ولا يعني ذلك هجره، ولا يعني ذلك عدم الاستفادة منه.

وأنا أقول: لعل محاضرات أخينا الشيخ أبي إسحاق الآن في القنوات الفضائية وما أشبه لعلها أنفع الموجود لطلبة العلم حتى العوام قد لا ينتفعون به كمثل ما ينتفع به طلبة العلم، وغيره من الدعاة أيضًا المبرزين والمشهورين، نفعهم للعوام أكثر ما ينتفع به طلبة العلم، لكن نحن ننصح ونوصي أخانا أبا إسحاق أن يتكلم في أمور العقيدة وفي المنهج السلفي الحق، وأن يتكلم في المنهج وأن يرد على أهل البدع، وأن لا ينزع إلى هذا المنزع

=

شارك بقية المشايخ في الشام -ومنهم مشهور وسليم- فصدر عنهم بيان ضدنا، وهذا البيان أملاه عليهم أبو الحسن نفسه باعتراف أبي الحسن -اعترف بهذا وذكر أنه أملاه عليهم-.

فأنا أنصح أخانا الشيخ عليًّا أن يعود إلى أهل الحديث فيسلك مسلكهم، ويبتعد عن أهل الحزبيات والبدع فإنهم لا يألون جهدًا في التفريق بينه وبين إخوانه، وسيوغرون صدره وصدر الآخرين بغضًا وعداوةً وحقدًا وحسدًا، أنصحه أن يعود إلى إخوانه أهل السنّة، وأن يدع هذه العبارات الفلسفيّة والقواعد التي مبناها على القياس الفاسد، والله وبالله وتالله إني ناصحٌ له، وإلى الآن ما تكلمت فيه كما أتكلم في أهل البدع أعيذه بالله من ذلك ولكن أقول مكررًا خاتمًا بها المجلس والإجابة على أسئلتكم: **تزكيات الشيخ علي غير مقبولة؛ لِمَا فيها من التعدي على أهل السنّة، وظلمهم، وشد أزر أهل البدع، وتقوية صفوفهم**، وأسأل الله الكريم ربّ العرش العظيم -وأنا في ختام هذه الكلمة- أن يرينا وإياكم والشيخ عليًّا الحقّ حقًّا ويرزقنا اتباعه، وأن يرينا جميعًا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، ولا يجعله ملتبسًا علينا فنضل.اهـ

قلت: وفي المجلس الأول الذي قرأت فيه على الشيخ عبيد -حفظه الله- هذا البحث (وكان بتاريخ ٤ رجب ١٤٣٠)، قال الشيخ في حكمه على علي حسن: «**أظنه إخوانيًّا متسترًا في وقت شيخه**. وهو قريب من الشيخ -أي: الألباني-، فكان يتستر بالإخوانية، ويظهر السلفية، فلمّا رحل شيخه كانت فرصة له.. هذا الذي أظنه.. **رجل لعّاب لعّاب**».

الذي بلغنا عنه في كلامه على موضوع الحاكمية، فهذا خطأ، وموضوع الإصرار وأن الإصرار استحلال، **هذا أيضًا خطأ، وإن كان هو لا يزال معتقدًا به**، أنا اعتقد أن هذا خطأ، وقرأت أنا وجهة نظره وسمعتها، وأنا أرى أن وجهة نظره صحيحة ولكن لا أحكم عليه بالخارجية، كما حكم عليه غيري، وإنما أقول: هذا خطأ علمي أملي بالله -إن شاء الله- أن يصلحه ويصحّحه».

وسُئل أيضًا -ردَّه الله إلى الحق- في لقاء عبر البالتوك بتاريخ (٢٠٠٦/٣/٢٢): هل الشيخ أبو إسحاق الحويني مبتدع؟ وهل يجوز أن نأخذ عنه علم الحديث؟

فأجاب قائلاً: أقول **لا أستطيع أن أقول إن الشيخ أبا إسحاق مبتدع**، وإن كانت عليه بعض المؤاخذات [...]، وأنا لا أعتقد أنها من منهج منحرف؛ لأننا نعرف الرجل معظّمًا للسنة ومُعَظِّمًا للحديث وأهله، وهذه الأشياء لم -يعني- نقف عليها عنده إلا في الفترة الأخيرة التي التف على بعض .. التف فيها، والتف عليه فيها أيضًا بعض الدعاة والوعّاظ وتوسّع في العبارة، وصار عنده شيء من -يعني- لا أعرف ماذا أقول .. من الخوض أحيانًا في أمور قد لا يكون يعني مدركًا (بدقة) معناها وآثارها، **كمثل -يعني- تعظيمه -فيما يبلغنا- لبعض عبارات سيد قطب وما أشبهه، ومثل تعظيمه لبعض المبتدعة المصريين الذين يتهمون شيخنا الألباني في العقيدة**[1].

ولا أُخفيكم أنني نصحت مع بعض إخواننا أخانا أبا إسحاق، ووعدنا خيرًا، والظن به -إن شاء الله- أن يميز نفسه عن هؤلاء؛ ليرجع كما عرفناه أول مرة داعيةً للسنة، ناصرًا للحديث، وقائمًا على صناعة الحديث التي لا يُحسنها اليوم إلا القليلون، وكنت قد قلت مرةً ما أكرره اليوم، قلت: «الوعّاظ في مصر ألف واعظ، وأهل الحديث لا يتجاوزون العشرة»، فلماذا يريد أخونا أبو إسحاق أن ينأى بنفسه عن أهل الحديث لينتقصهم واحدًا

(١) هل هذا وحده لا يكفي في التحذير من التلقي عن الرجل؟! .

ويزيد الوعاظ الألف واحداً[1]؟ هذا مِمَّا لا نحبه لأنفسنا ولا نحبه لأخينا، والرسول -عليه الصلاة والسلام- يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، ولكن نحن لا نُبَدِّعه ولا نُخرجه من السلفية، وإن كنا ننتقده[2].

---

(١) كذا يؤكد الشيخ على علمه التام بكلِّ طوام الحويني، ورغم هذا هو يعتبر هذه الطوام كالذباب الذي يطيِّر عن الوجه دون أن يؤذي صاحبه، وهو كما قال شيخنا ربيع -سلّمه الله-: يتلاعب بالألفاظ فيذكر هذه الطوام مهوِّنًا من شأنها كأنها أخطاء في مسائل اجتهادية تختلف فيها أنظار العلماء، وكأن الخلاف فيها فيه سعة!!.

(٢) ليس مِمَّا أُنكر عليك عدم تبديع الحويني، فمسألة التبديع للحويني اختلفت فيها أنظار العلماء، ولكن المستنكر تلميعك للحويني وإظهاره في صورة العالم الذي يؤخذ عنه العلم، مع علمك وإقرارك بما عنده من طامات وافق فيها القطبية السرورية، وأصر عليها، وهي بلا شك أخطاء مؤثرة في منهج صاحبها وبالتالي تؤثر تأثيراً سيئًا في كل مَن يتلقى عنه!.
وبالتالي صار انتقادك له لا قيمة له؛ لأنه يضيع وسط كلمات الثناء والتبجيل التي لا تقال إلا في الأئمة أمثال الألباني وابن باز وابن عثيمين ومقبل بن هادي والفوزان وربيع بن هادي وعبد المحسن العبَّاد وعبيد الجابري ...إلخ أئمة هذا العصر.
وفتاويك الأخيرة في الحويني وأصحابه -بلا ريب- مبنية على منهج الموازنات المُحْدَث.
وبهذا يُرَد أيضًا على أصحاب «إقامة الدلائل الصِّحائح على المسائل الصرائح»، حيث قالوا كما في (ص١٥٤): «لو أن الحلبي وافقكم وبدَّع أبا إسحاق الحويني ومحمد حسَّان والمغراوي والسُّليماني؛ هل كنتم ستعاملونه بهذه الطريقة أم سترشحونه لأن يكون هو الخليفة في العلم وتجعلون كتابه أصلاً؟!».
قلت: هناك من أهل العلم مَن توَّقف في مسألة تبديع المذكورين أو لم يتعرض لها بالكليَّة إثباتًا أو نفيًا، ولم يتعرض له أحد بتجريح، ولكن الحلبي أمره يختلف -لو كانوا منصفين-، فإن تعرُّض بعض العلماء الأكابر له بالنقد جاء على مرحلتين:
المرحلة الأولى: ما نقلناه آنفًا عن الشيخ عبيد الجابري، من نقده للحلبي في كونه يزكي مَن لا يستحق التزكية من الذين ثبت انحرافهم وضلالهم بالأدلة البيِّنة المفسَّرة، نحو المذكورين، ورغم هذا كان الحلبي يصر على مدحهم وربط الشباب بهم، متحديًا العلماء، ورغم هذا ما تعدى كلام العلماء فيه إلا تخطئته في هذه المسألة فحسب.
المرحلة الثانية: لَمَّا استنكر عليه بعض أهل العلم إصراره في الدفاع عن هؤلاء المنحرفين، وتهوين مخالفاتهم، رام الدفاع عن نفسه، فكان ما أصَّله وقعَّده في كتابه «منهج السلف الصالح» على خلاف ما استقر عليه علماء الجرح والتعديل في هذا الزمان، كما هو موضح في الردود عليه، =

فنرجو الله تعالى أن يشرح صدره للحق، وأن يرجع إلى الحق، فنحن نحب له الخير كما نحبه لأنفسنا، ونرجو له الصواب كما نرجوه لأنفسنا، والله شاهد، وصلى الله على نبينا محمد». اهـ

وقال الشيخ علي الحلبي في فتوى قديمة له: «أما بالنسبة للأخ أبي إسحاق الحويني، فأبو إسحاق الحويني لم نعرفه إلا بالحديث، وبالسنة والتخريج والأسانيد وبـ«حدثنا وأخبرنا»، وهو في مصر بين أناس من أهل الحديث لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة، وبين أناس وعّاظ وقصّاصين يتجاوزون الألف، **فأبى للأسف أبو إسحاق إلاَّ أن ينقل نفسه من دائرة أهل الحديث؛ لينقصهم واحدًا ليزيد الوعّاظ والقصّاصين الألف نفرًا آخر، فنسأل الله أن يهديه وأن يرده إلى منهج السنة والحديث**، وأن يبعده عن طرائق هؤلاء التي تُعدي الأجرب الصحيح».

قلت: هكذا كان الشيخ علي حسن -قديْمًا- يخرج أبا إسحاق الحويني من منهج أهل السنة والحديث إلى منهج القصّاص الوعاظ وهذا تجريح شديد، وهو الحق لا ريب فيه.

وقد يقول قارئ غير متيقظ: إن الشيخ عليًا لم يُغيِّر كلامه، حيث إنه كرَّر عبارته القديمة في كون أبي إسحاق زاد الوعاظ واحدًا.

قلت: تأمل العبارتين كي تدرك الفارق بينهما:

في المرة الأولى: قال: «فأبى للأسف أبو إسحاق إلا أن ينقل نفسه من دائرة أهل الحديث؛ لينقصهم واحدًا ليزيد الوعّاظ والقصّاصين الألف نفرًا آخر، فنسأل الله أن يهديه وأن يرده إلى منهج السنة والحديث».

=

ثم طبَّق هذه القواعد المحدثة تطبيقًا عمليًا على المذكورين، وأحيانًا يأتي بقواعد صحيحة في ذاتها، لكنه أخطأ في تنزيلها على هؤلاء، متناقضًا في طرحه، حيث أكّد معرفته ببعض أخطاء هؤلاء، وهي كما بيَّنا أخطاء مؤثرة في معتقد ومنهج أصحابها، ورغم هذا إذ به يصر على تبجيل أصحابها، وربط الشباب بهم، والاعتذار عنهم، في وقت عمَّت فيه البلوى بأمثال هؤلاء القصّاص، الذين تبوءوا مكان العلماء بغير حق، فأفتوا بغير علم -في مسائل غاية في الخطورة تتعلّق بصميم المعتقد والمنهج- فضلُّوا وأضلُّوا- ممَّا أحدث تصدعًا في منهج هؤلاء الشباب يدركه كل من كان يراقبهم عن كثب ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾.

وفي المرة الثانية: قال: «الوعّاظ في مصر ألف واعظ، وأهل الحديث لا يتجاوزون العشرة، فلماذا يريد أخونا أبو إسحاق أن ينأى بنفسه عن أهل الحديث لينتقصهم واحدًا ويزيد الوعاظ الألف واحدًا؟ هذا مِمَّا لا نحبه لأنفسنا ولا نحبه لأخينا ... ولكن نحن لا نُبَدِّعه ولا نُخرجه من السلفية، وإن كنا ننتقده».

قلت: ففي المرة الأولى جزم بانتقاله من دائرة أهل الحديث إلى دائرة القصَّاصين، وأهل الحديث على السنة، والقصَّاصون على بدعة، فهذا انتقال من أهل السنة إلى أهل البدعة، ولذلك دعا الله أن يهديه وأن يرده إلى منهج أهل السنة، فهذا صريح أنه خرج من منهج أهل السنة، وإلا كيف يرد إلى شيء لم يخرج منه؟!

وفي المرة الثانية: أكَّد عبارته الأولى لكن بعد أن حوَّرها وعدَّلها، لتوافق منهجه الجديد القائم على ملاينة أهل الأهواء -خاصة من أدعياء السلفية-، فنقض جزمه الأول وعلَّقه بإرادة أبي إسحاق، وجزم بما كان يجزم بعكسه في المرة الأولى، جزم بسلفية أبي إسحاق، وعدم تبديعه.

وهذا موطن آخر فيه كلام أشد من الشيخ علي الحلبي في حقّ الحويني، قال فيه:

«إذا قال أبو إسحاق الحويني في محمد عبد المقصود وفوزي السعيد وربعهم من التكفيريين الجهلة الذين يطعنون بنا وبمشايخنا، ويتهموننا بالإرجاء قال إنهم علماء، **فهذا يدل على جهله ويدل على ابتداعه، ويدل على أنه على وشك الخروج من السلفية التي لم يُعرف إلا بها**، ولم ندعو له وننتصر له إلا بسببها، فإذا خرج منها وناوئ أشياخها وأهلها وأبناءها، فالحق والله أغلى منه، وأغلى من ألف مثله، والله ناصر دينه وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين». اهـ

قلت: والسؤال الآن هل تغير منهج أبي إسحاق الحويني حتى يغير الشيخ علي حسن كلامه القديم؟

هل ترك الحويني منهج القصَّاص وتاب من مخالفاته الصارخة لمعتقد أهل الحديث، حتى يتراجع الشيخ علي الحلبي عن تحذيره القديم من الحويني؟!

أم أن الشيخ علي الحلبي هو الذي غيَّر وبدَّل؟!

والجواب واضح لكل ذي عينين!!

وفي موطن آخر سئل الشيخ علي الحلبي: ما رأيكم في المخالفين لمنهج أهل السنة كالحويني، والمغراوي، والمأربي، وعرعور؟

فأجاب قائلاً: «أنا أقول هؤلاء أنا أعرفهم منذ سنوات بعيدة وقرأت ما كتبوا وسمعت ما قالوا أنا أعلم أنهم عندهم أخطاء وبعض هذه الأخطاء قد لا يكون قليلاً[١]، وأعلم أنه زيد على بعضهم في شيء مما قال وأخذ بعض كلامهم على غير وجهه[٢]، أنا من أستطيع أن أناصحه منهم أناصحه وأذكِّره وأبين له خطأه وأتواصى معه بالحق وبالصبر، ولكني أخاف الله وأتقيه في أن أبدعهم أو أخرجهم من السنة.

من رأى أنه بينه وبين ربِّه يكون عامرًا لتبديعهم وتضليلهم فليفعل، وأنا لا أنكر عليه، وإنما بيننا وبينه التناصح فإذا تناصحنا فيهم فأقنعني واقتنعت؛ فليحمد الله وإذا تناصحنا فيهم؛ فتناقشنا فأقنعته أنا فليحمد الله، أما أن نختلف نحن فيما بيننا، ونحن متفقون على ما عند هؤلاء من أخطاء، ثم إذ بنا يبدع بعضنا بعضًا ويسقط بعضنا بعضًا بسببهم؛ أقول: فليفرح هؤلاء بخلافنا، فإن هذا ما يسعدهم ويسعد من وراءهم.

لكن؛ إذا أنت تريد أن تبدعهم وأنت مطمئن أنك على ديانة وعلى تحقيق علمي وعلى تقى من الله وعلى تثبت ويقين وبينة على ما أنت تبدعهم به؛ فحسابك على الله، والله حسيبك، وإذا كنت أنا أعرف ما عندهم من أخطاء وهذه الأخطاء أعالجها بقدر ما أستطيع من نصيحة وبالتحذير من هذه الأخطاء لكن أعرف أن هؤلاء على ثغرات[٣]، وأن أصولهم

---

(١) أليست هذه الأخطاء الغير قليلة، إذا كانت تمس أصول أهل السنة، مع كونها صادرة عن هوىً لا عن اجتهاد، كان يُبدع أئمة الحديث أصحابها؟!

(٢) يا ليتك تحدِّد لنا هذا الكلام الذي زيد عليهم، وهذا الذي أُخِذ من كلامهم على غير وجهه، حتى نصفهم، ولا نتهمهم بما هم منه براء.
وما الغرض من ذكر هذه العبارة إلا التمحل في الدفاع عن قوم بُهْت، مع إظهارهم بمظهر المنتقَص حقُّه، مع غمز العلماء الذين بيَّنوا حالهم بأنهم تزيدوا عليهم تشفيًا؟!!

(٣) رجاء أن تحدِّد لنا هذه الثغرات: هل هي القنوات الفضائية؟ حيث يشرحون التوحيد والعقيدة السلفية السوية، ويحذِّرون الناس من الشرك بصوره، ومن أصول أهل البدع من الفرق والأحزاب، =

مِمَّا يحتاج المسلمون إلىٰ معرفته !!

فإن كان الجواب بـ«نعم»، فرجاء أن تذكر لنا ما يثبت هذا، فإن ثبت، فهم علىٰ ثغرة في هذا المكان، بغض النظر عن المخالفات العملية الفرعية التي تحتف بهذه القنوات من تصوير ونحوه، فسوف نتنزل معك، ونقول إن مصلحة تبليغ التوحيد الصافي وأصول منهج السلف الصالح إلىٰ عامة المسلمين، وتحذيرهم من الشرك بكل صوره ومن البدع والمحدثات، تقدَّم علىٰ هذه المفاسد.

ولكن الواقع بخلاف هذا، فإنهم وإن تكلَّموا أحيانًا عن التوحيد، فإنهم لا يجعلون توحيد العبادة محور دعوتهم، ولا يجعلون التفصيل في مسائله شغلهم الشاغل، كما كانت دعوات الرسل والأنبياء؛ فقلَّما يحذِّرون من الشرك في دعاء غير الله، ومن اتخاذ الأموات وسائط ووسائل عند الله -عز وجل-، وقلَّما يتعرضون لبيان العقيدة السلفية السوية في باب الإمامة والجماعة والجهاد والولاء والبراء، وإذا ذكروا أحيانًا بعض مسائل هذه الأبواب، إنما يذكرون كلامًا نظريًا لا ينزلونه علىٰ واقع الأمة، ولا يترتب عليه الولاء الواضح لأئمة هذا المعتقد من المعاصرين، والبراء من المخالفين لهذا المعتقد من رموز الأحزاب، بل يوُظفون بعض هذه المسائل لخدمة منهجهم القطبي القائم علىٰ الإثارة العاطفية للجماهير، مثلما صنع الحويني وابن حسَّان في قضية الجهاد في العراق، وقد تقدَّم نقد كلامهما.

وهذا محمد حسَّان يشرح كتابه «حقيقة التوحيد» علىٰ هذه القنوات، الذي قال فيه كما في [ص(٩ـ١٧) ط- مكتبة فياض سنة ١٤٢٧]: «ومن مقتضيات كلمة التوحيد: الإقرار بتوحيد الألوهية ... ومن مقتضيات كلمة التوحيد: أن يكون الحكم لله -عز وجل-».

قلت: هكذا يفعل الغلو بأهله، فكما فسَّر سيد قطب -من قبل- الألوهية بالربوبية، وجعل الإله بمعنىٰ الربِّ، قام محمد حسَّان بإتمام مسيرة سيد في تحريف معاني التوحيد، فجعل الألوهية من مقتضيات التوحيد، ولو كان حسَّان درس شيئًا من كتب العقيدة السلفية، لعلِم أن كلمة التوحيد هي توحيد الألوهية، فمعنىٰ لا إله إلا الله: لا معبود بحقٍّ إلا الله.

فما هي حقيقة التوحيد عند محمد حسَّان؟ هي -باختصار-: الحاكمية المزعومة، كما هي عند: سيد قطب -رأس الخوارج في هذا العصر- الذي يقول عنه حسَّان: إنه جدَّد الدين في قلوب الشباب، وإنه الرجل الذي قدَّم دمه وفكره وعقله لدين الله -عز وجل-، وقال: وأنا أُشهد الله أني أحب هذا الرجل في الله مع علمي يقيناً أن له أخطاء.

ويدعي البعض أن حسَّان تراجع عن النقل عن سيد قطب، كما في اللِّقاء المدبلج بينه وبين الشيخ مشهور، حيث سأله الشيخ مشهور: رأيكم في (سيد قطب)؟

فأجاب محمد حسان: كتبي التي سطرتها -أخيرًا- لا أستدلُّ -بفضل الله- إلا بأقوال أئمة السلف، وأنصح إخواني بأن لا يقرءوا كتب سيد قطب؛ لأنها كتب فكرية، وليست كتباً منهجيَّة.

قلت: ولكن هل تراجع عن هذا الثناء العالي علىٰ سيد قطب، وهل تراجع عن منهج سيد قطب في



أصول عقائدية سُنية سلفية[1]، ولا أحد منهم يقول أنا لست بسلفي أو أنا قطبي أو أنا حزبي

=

تفسير كلمة التوحيد، وفي تكفير الحكّام بدون تفصيل، وفي إثارة الجماهير بكلام عاطفي مرسل؟!

وهل تراجع عمّا قاله في شريط له بعنوان: «بشائر من القدس» المسجَّل بتاريخ (٢٠/ ٨/ ٢٠٠٣م)، وما زال على موقعه الرسمي على الإنترنت، حيث قال: «...ومع ذلك ترى ابنًا من أبنائنا، من أبناء الإسلام وأبناء المسلمين لم يبلغ الخامسة والعشرين من عمره، شايف الفخر والشرف!! يُقَدِّم نفسه لله، كذّاب من يقول بأنه منتحر، والله يكذب على الله، أي انتحار؟!».

قلت: فهل الألباني وابن باز وابن عثيمين والفوزان والنجمي يكذبون على الله؟!!

وهل تراجع عن هذا التمجيد العالي لأسامة بن لادن؛ حيث قال في شريط له بعنوان «لك الله يا أفغانستان»: «وأميريكا ما تدخلت الآن بذريعة القبض على أسامة أو قتل أسامة هذا البطل، أسأل الله أن يحفظه بحفظه وإخوانه جميعًا الذين ردوا شيئًا من الكرامة المسلوبة لهذه الأمة أقول ما تذرعت أميريكا لقتل أسامة الإرهابي الدولي العالمي -كما يقولون- إلا ليكون لها قدم في منطقة بحر قزوين».

فهل أعضاء تنظيم القاعدة الخارجي الذين أفسدوا في الأرض، وقتلوا الأبرياء هم الذين ردوا كرامة الأمة المسلوبة؟!

وهل تراجع عن قوله في شريط «تحريف الإنجيل» واصفًا قصة امرأة العزيز مع نبي الله يوسف -عليه السلام-: «قصة فيها أشد الحبكة الفنية والقصة الفنية بكل جزئياتها ...قصة متكاملة ..أشد لحظات التعري النفسي والجسدي للمرأة»، وهذا عين أسلوب سيد قطب في «التصوير الفني في القرآن».

وهل هذه الأخطاء -الغير قليلة- عند حسّان لا تكفي عندك -على أدنى تقدير- في التحذير من التلقي عنه، بغض النظر عن مسألة تبديعه ؟!

أليست صيانة أصول الدين وقواعده أولى من صيانة الأشخاص؟!

أليست حماية شباب الأمة -الذين يتابعون هذه القنوات، وهم بالملايين- من هذه السقطات العقدية والمنهجية عند نجوم هذه القنوات واجبًا شرعيًّا على المستطيع، حتى يتم هذا الفرض الكفائي؟!

(١) تقدَّم في التعليق السابق الإشارة إلى بعض أقوال محمد حسّان، فهل هذه الأقوال -يا أولي الألباب- نابعة من عقائد سُنية سلفية؟!

وبلا ريب لا يوجد صاحب بدعة إلا وهو يوافق أهل السنة في شيء من أصولهم، ولكن العبرة ليس بما وافق فيه أهل السنة، إنما العبرة بما خالفهم فيه، ووافق فيه أهل البدع.

وها نحن في طول هذا البحث قد ناقشنا المسائل التي وافق فيها أبو إسحاق الحويني أصول القطبية السرورية، فأنا أحيل القارئ المنصف إلى ما نقلناه في طول هذا البحث عن الحويني؛ ليدرك وهاء دعوى الشيخ الحلبي.

وصدق شيخنا العلامة ربيع بن هادي -حفظه الله- في جوابه عن سؤالي: هناك مَن يدَّعي أن محمد

=

أو أنا تكفيري بل كلهم يتبرأ من ذلك[1]، وإنْ كانت على فترات وعلى درجات، فأنا أخاف الله وأتقيه في أن أقول هؤلاء تكفيريون أو قطبيون أو حزبيون، وأنا أعلم -وربي يعلم مني- أني لست على قناعة بأن هؤلاء على ذلك؛ وإن كانوا مخطئين وإن كنت أخطِّئهم، وأحذِّر من أخطائهم، لكني أخاف الله؛ مَن لا يخاف الله في تبديعهم؛ فليبدعهم، أما أنا فأخاف الله وأتقيه في ذلك، ونسأل الله أن يستر عوراتنا وأن يؤمِّن روعاتنا». اهـ

قلت: وإليك موطن ثالث نافح فيه الشيخ علي الحلبي عن محمد بن حسَّان والحويني ومحمد حسين يعقوب، وكأنه كرَّس جهوده في الآونة الأخيرة في الذبِّ عن عرض المفتونين المدَّعين السلفية، حيث سئل علي الحلبي: أحسن الله إليكم شيخنا هذا سائل يقول: اسأل الشيخ عن قوله في الشيوخ محمد حسين يعقوب، محمد حسان، محمد الزغبي، أبي إسحاق الحويني، وعبد الحميد الكشك، بارك الله فيكم؟

=

حسَّان والحويني وأبا الحسن المصري سلفيون وإن أخطؤوا؛ فالأصل فيهم أنهم سلفيون؟ حيث قال: «الأصل فيهم أنهم من الإخوان، وتربية الإخوان».

(١) ومنذ متى كان المبتدع يقول عن نفسه: أنا مبتدع ! هذا والله أمر عجيب !!

هل سمعنا على مرِّ القرون السابقة أن الجهمي يقول عن نفسه: أنا معطِّل للصفات، أو أن الأشعري يقول عن نفسه: أنا مؤوِّل للصفات مخالف لعقيدة السلف الصالح، أو أن الشيعي الإمامي يقول عن نفسه: أنا رافضي، أو أن النصراني صاحب عقيدة التثليث يقول عن نفسه: أنا مثلث، ...إلخ.

فهل تنتظر من الحزبي القطبي أن يقول: أنا حزبي قطبي، خاصة إذا كان يتدثر بلباس السلفية تخفيًا؟!

ثم نقول: أين براءة هؤلاء من منهج سيد قطب ومن الأحزاب البدعية نحو الإخوان وما تفرع عنه من أحزاب منحرفة؟!

فنحن نريد عبارة واضحة صريحة من محمد حسَّان ومن الحويني يقولان فيها: نبرأ إلى الله سبحانه من هذا الحزب الأم: الإخوان المسلمين، وما تفرع عنه من هذه الأحزاب البدعية المعاصرة، ونبرأ إلى الله من طرائقهم الفاسدة، ونبرأ إلى الله سبحانه من كلام سيد قطب في الحاكمية الموافق لكلام الخوارج، والذي أضر الأمة في هذا الزمان أيَّما ضرر، ومن كلامه في تفسير لا إله إلا الله، والذي حرَّف به معنى التوحيد، كما بيَّن أهل العلم!!.

فأجاب قائلاً: هؤلاء ليسوا سواء وأنا أقسمهم إلى ثلاث درجات:

نبدأ بالدرجة الدنيا ثم نصعد إلى العليا؛ فنقول: أما كشك فقصّاص واعظ وخطيب لا يميز، ونسأل الله أن يغفر له وأن يرحمه فقد كان مستودعًا للأحاديث الضعيفة والعقائد الأشعرية والآراء الصوفية.

وأمّا محمد حسين يعقوب فهو لا يتكلم في عقيدة ولا في منهج، يتكلم في الرقائق ويتكلم في الأخلاق، وأنا نصيحتي له أن يظل هكذا وأما إذا دخل في موضوع الفتيا.. وأنا سمعت له كلمة يتكلم فيها حول الجماعات فأتى بما لا يَحْسُن وما لا يُحْسِن، فنصيحتي له -حفظه الله وزاده من فضله ونفعه ونفع به- أن يقتصر على الكلام في الأخلاق وفي الرقائق وفي السلوك وأن يجعل مهمة الكلام في الجماعات أو في الفقه أو في العقيدة لمن هو أهل لها[1].

وأما الفئة الأخيرة وهو أخونا الشيخ الزغبي والأخ محمد حسّان أخونا الشيخ محمد حسان، وأخونا الشيخ أبو إسحاق الحويني فأنا أقول: هؤلاء سلفيون! أقولها بملئ فمي!! هؤلاء سلفيون ليسوا تكفيريين، وليسوا قطبيين[2]....................، ولا يخالفوننا في أولياء

---

(١) قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «كيف يتسنى لداعية إسلامي يذكر محاسن الإسلام ويدافع عنه ويجعل منه منهجًا متكاملاً أن يتحدث في كل شيء، ويدع أمر العقيدة والمنهج لأهل السُّنة والجماعة؟ أيرضى الله تعالى عن أمثال هؤلاء الدعاة، وقد تكلموا في أمور كهذه وأهملوا الأساس الذي خُلق من أجله الإنس والجن، فنصيحتك له بالاستمرار على ما هو عليه دون تتويجه بالعقيدة والمنهج أمرٌ جلل!!.

فكيف يكون حال هؤلاء الجُهّال بالعقيدة والمنهج الذين يتربَون على الأسلوب القصصي فحسب؟!».

(٢) قال الله سبحانه: ﴿وَلَا تُجَٰدِلۡ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخۡتَانُونَ أَنفُسَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء: ١٠٧]، وقال سبحانه: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٩].

ونحن نرجو أن يكون هؤلاء كما وصفهم الحلبي: ليسوا تكفيريين وليسوا قطبيين! ولكن:

الدعاوى إذا لم تقم عليها ... بينات فأبناؤها أدعياء

فلا مصلحة عند العلماء أن يقذفوا الأبرياء بما ليس فيهم.

=

الأمــــور[1]،..

=

ولكـن مـاذا نـصنع بـأقوالهم وتأصيلاتهم النابعـة مـن كتابـات سـيد قطـب؟ ومـاذا نـصنع بثناءاتهم المتوالية على شيعة سيد قطب، والتي تثبت بيقين ما قيل فيهم؟!

(١) وماذا نصنع بقول محمد حسَّان في شريط «الثبات حتىٰ الممات» (تسجيلات التقوىٰ الإسلامية): «تُصَبُّ الابتلاءات علىٰ رؤوس إخواننا في كل مكان صبًّا، ويتمنىٰ الشباب أن لو رُفِعَت راية الجهاد «يا خيل الله اركبي»؛ لينطلق الجميع بدمه ونفسه وماله، إلا أن الطواغيت قد حالوا بين الأمة وبين عِزِّها، قد حالوا بين الأمة وبين شرفها، ووقفوا حَجَر عَثْرَة في طريق سيادة وشرف وعِزِّ هذه الأمة، أسأل الله أن يَمُنَّ علىٰ الأمة بقائد رباني يقود الأمة بكتاب الله وبسنة رسول الله، لِيَشفِي الله صدور قوم مؤمنين، إنه ولي ذلك والقادر عليه».اهـ

فنسأل الشيخ عليًّا: مَن هم الطواغيت في هذا الكلام؟ أليسوا هم ولاة أمر المسلمين؟!

وماذا نصنع بقوله في مقال: «يا قدس هذا زمن الليل فاصطبري» (مجلة التوحيد: عدد رمضان ١٤٢١): «أرىٰ أن الشعوب بدأت تضغط علىٰ حكَّامها، ولو بصورة خفيفة، لكنها بداية ...».

قلت: نعم هي بداية الخروج المسلح ...أليست هذه العبارة هي عبارة حزب الإخوان: «الضغط علىٰ الحكومات»، وكيف يكون الضغط علىٰ الحكومات؟ يكون بالمظاهرات والاعتصامات والاغتيالات، ثم محاولات الانقلاب.

وقد أكَّد إقراراه للمظاهرات لكن بضوابط، من باب أنها وسيلة تأثير علىٰ متخذي القرار من ولاة الأمر؛ حيث قال: «وأنا أقول يا إخواننا ينبغي أن نفرق بين **المظاهرات كوسيلة تعبير** وبين المظاهرات كمنهج تغيير، مظاهرة كوسيلة من وسائل التعبير بضوابط، بضوابط، لا يكون فيها اختلاط فاضح بين الرجال والنساء إلىٰ حد الالتصاق، لا يكون فيها تهريج ولا تخريب، أنت عاوز تعبر، فلا ينبغي علىٰ الإطلاق أن تعبر بالخراب والتخريب، أنا ضد هذا تمامًا... هذا لمن قال بأن المظاهرة بهذه الضوابط، بعدم الاختلاط بعدم التخريب بعدم التجريح بالألفاظ ولا بالأفعال، لمن قال بأنها تجوز كوسيلة من وسائل التعبير، **لا سيما وأن الوضع الآن قد اختلف وصارت وسيلة من وسائل الضغط علىٰ متخذي القرارات والأحكام**، وقد رأينا بكل أسف هذه المظاهرات المليونية **في بلاد الغرب في بريطانيا وفي أمريكا نفسها بل وفي إيطاليا**، ولا يستطيع أحد منصف أن يقول بأنها لم تؤثر ولو بصورة ما علىٰ **متخذي القرار... من خلال فهمي أنا للمصالح والمفاسد ومن خلال فهمي للقواعد العامة-** أقدر أقول وسيلة تعبير بالضوابط دي ماشي، لكن أوعىٰ تعتقد علىٰ الإطلاق أنها منهج تغيير لواقع الأمة ...إلخ».

قلت: هل هذا الكلام يتوافق مع قواعد المنهج السلفي في التعامل مع ولاة الأمر؟!

ولا يُقال إن هذه مسألة من مسائل الاجتهاد التي تختلف فيها أنظار المجتهدين؛ لأنها صارت

=

إحدىٰ صور الخروج في الوقت الحاضر؛ فالمظاهرات في أصلها بدعة غربية ابتدعها الكفَّار الثوَّار في أوروبا -الذين عظَّم ابن حسَّان من شأنهم-، فهي ممنوعة شرعًا في ذاتها حتىٰ وإن لم تقترن بالتهريج والتخريب، وهذا هو ما اتفق عليه أئمة السنة في هذا العصر، ولا نعلم بينهم خلافًا يُذكر في هذه المسألة، فالمظاهرات -سواء كانت سلمية أو تخريبية- هي بدعة من بدع الخوارج في هذا العصر.

وقال الشيخ حسن -حفظه الله-: «وفحوىٰ كلام حسَّان أنه من الممكن أن يكون اختلاطًا دون حد الالتصاق في المظاهرات، وبالنسبة لتقييده الحكم فهل يكون هذا جائزًا؟! خلوُّها من التخريب والتهريج، فأقول له: وهل يملك أحدٌ ذلك؟! فإن المظاهرات يسير فيها من يشاء، فإذا حدث وشذَّ بعض الشباب -بعد تحريشهم- وأحدثوا فوضىٰ فكيف تعالج هذه الجموع؟! فإنها ستكون فتنة تعم لا رحمة تخص، قال تعالىٰ: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [الأنفال: ٢٥]. فالمظاهرات مستحدثة في بلاد المسلمين تقليدًا لحزب الأحرار في بريطانيا، أو ألمانيا، فهل يسير أهل السُّنة علىٰ طريقتهم الفوضوية؟!. اهـ

ألا يحق لنا بعد هذا أن نقول تعليقًا علىٰ قول محمد حسَّان: «المظاهرات وسيلة تعبير لا وسيلة تغيير»، ما قاله رسول الله ﷺ لحَمَل بن النابغة الهذلي، لَمَّا قال: يا رسول الله كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ولا نطق ولا استهل؟ فمثل ذلك يُطَلُّ، فقال: «إنما هذا من إخوان الكُهَّان»، من أجل سَجعه الذي سجع؟!

قال النووي -رحمه الله- في شرحه علىٰ مسلم (٦/ ٩٦): «فقال العلماء: إنمَا ذَمّ سَجعه لِوَجهَين:

أَحَدهمَا: أنهُ عارَضَ بِهِ حُكم الشرع ورَام إبطاله.

وَالثانِي: أنهُ تَكَلَّفهُ فِي مُخَاطَبته، وَهَذَانِ الْوَجهَان من السَّجع مَذمومَان.

وَأَمَّا السَّجْع الَّذِي كَانَ النَّبِيّ ﷺ يَقُولهُ فِي بَعْض الأَوْقَات وَهُوَ مَشْهُور فِي الْحَدِيث فَلَيْسَ مِنْ هَذَا، لأنهُ لا يُعَارِض بِهِ حُكْم الشَّرْع، وَلا يَتَكَلَّفهُ، فَلا نَهْي فِيهِ، بَلْ هُوَ حَسَن».

وقال الحافظ في الفتح (١٦/ ٢٩٢): «قَالَ اِبْن بَطَّال: فيه ذَمّ الْكُفَّار وَذَمّ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِم فِي أَلفَاظهم، وَإِنمَا لَم يُعَاقِبهُ لأنهُ ﷺ كَانَ مَأْمُورًا بِالصَّفحِ عَن الجَاهِلِينَ، وَقَد تَمَسَّكَ بِهِ مَن كَرِهَ السَّجع فِي الكَلام، وَلَيسَ عَلَىٰ إِطْلاقه، بَلْ الْمَكْرُوه منهُ مَا يَقَع مَعَ التَّكَلُّف فِي مَعرِض مُدَافَعَة الحَق، وَأَمَّا مَا يَقَع عَفْوًا بِلا تَكَلُّف فِي الأُمُور المُبَاحَة فَجَائِز».

قلت: وكذا محمد حسَّان عارض حكم الشرع في المظاهرات- الذي هو يعلمه جيدًا من فتاوىٰ أئمة السنة المعاصرين- بتكلُّف هذا السجع في التعبير مدافعة للحقِّ وإبطالاً له.

ولقد ذمَّ النبي ﷺ من تشبه بالكفَّار في ألفاظهم، فكيف بمن تشبه بهم في طرائقهم وأفعالهم؟ هو أولىٰ بالذم بلا شك؛ فالمظاهرات -كما بينت- بدعة أحدثها الكفار وتابعهم عليها الخوارج والغوغاء، فمن أقرها أو أراد أن يزينها ويحسِّن منها علىٰ الوجه الذي صنعه محمد حسَّان لا ريب له نصيب من هذا الذمِّ، وهذا هو سبيل الخوارج القعدية أنهم يزينون الخروج وصوره بمثل هذه

الأساليب، دون أن يباشروا الخروج بأنفسهم، ولذلك تجد أن محمد حسَّان مع تزيينه المظاهرات بهذا الكلام، مِمَّا يغتر به الشباب المندفع، فإنه لا يخرج في هذه المظاهرات السلمية -إن تمت على الصورة التي ادعاها-.

وأقول أيضًا للشيخ علي -بصَّره الله سبحانه بالحق-: ماذا نصنع بقول الحويني: «لا يوجد سلطان يحمي حدود الله في الأرض ...لا يوجد سلطان شرعي؟!»

وماذا نصنع بتفكهه المتوالي في دروسه بمخالفات الحكَّام، وإنكاره لمساوئهم على المنابر؟ هل هذه المقالات هي وسيلة تعبير كما قال محمد حسَّان؟!

قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «ولو كان يقصد التعبير، فهل كان أهل السُّنة كذلك، لا شك أن هذا من سبيل الخوارج القعدية الذين يؤزون الشعوب للثورات والاعتصامات». اهـ

وقد نقلنا ما فيه الكفاية من كلامه الذي يثبت هذا عند بيان المخالفة الخامسة من مخالفاته لأصول منهج السلف الصالح: «سلوكه سبيل التهييج السياسي والإثارة للعامة ضد الحكَّام الذي هو سبيل الخوارج القعدية»؛ فليرجع الشيخ علي الحلبي إليه؛ ليدرك عدم صحة دعواه.

واسأل عشرات الشباب من الذين يواظبون على سماع خطب محمد حسّان والحويني -خاصة الذين لم يستضيئوا بعلم الأكابر، إنما نشؤوا على هذه الخطب الحماسية-: ماذا تعتقدون في حكَّام المسلمين؟

وسيأتيك الجواب الواضح: هم كفَّار طواغيت عملاء لأمريكا مبدِّلين لشرع الله، ويتمنون اليوم الذي يتمكنون فيه من الخروج بالسلاح لإزالتهم بالقوة، وقد يوري البعض بالكلام، لكن إذا فتشت خلفه وجدت هذا معتقده !!

أليست هذه المقالات والأساليب هي من معالم المنهج القطبي السروري، أو على أدنى تقدير: هي علامات مَن يسعى لتقريب المنهج القطبي السروري إلى المنهج السلفي، محاولاً إيجاد قطاعًا مشتركًا أو برزخًا بين المنهجين، على طريقة أصحاب فكرة التقريب بين المناهج الباطلة ومنهج أهل الحق؟!

وهل هذه المقالات كما قال أصحاب «إقامة الدلائل الصحائح» (ص٢٢٨-٢٢٩) مفتراة عليهم، أو نُسبت إليهم ظلمًا وقطعت من كلام لهم؛ ففُهِم على أسوأ محامله، أم أنها مبتورة مجردة عن سياقها وسباقها ولحاقها، أو أنها مجملة مطلقة قد جاء في كلامهم ما يخصِّصها أو يفصِّلها ويقيدها ...إلخ؟!

نرجو إجابة مفصَّلة من أصحاب «إقامة الدلائل الصحائح» يثبتون بها صحة دعواهم في كل مقالة من المقالات السابقة والتي هي -على حسب ما هو ظاهر لكلِّ باحث منصف مدقِّق- على خلاف ما ادعوا؛ فهذه المقالات صحيحة النسبة -بلا ريب- إلى أصحابها، وهي صريحة واضحة مفصَّلة في بابها ليست مجملة ولا عامة، ولا مبتورة عن سياقها وسباقها ولحاقها، والعلماء الذين انتقدوها لم يفهموها على أسوأ المحامل؛ لأنه لا يحتمل منها إلا السوء والضلال، إلا عند أصحاب منهج المعذرة والتعاون!.

ولا يتكلمون في الطعن بعلماء أهل السنة[1]، نعم قد ينقل عن بعضهم بعض القول

=

وليحذر الشيخ عليٌّ من بطر الحق وغمط الناس، فإنهما الكبر الذي يمنع صاحبه دخول الجنة، كما بيَّن رسولنا ﷺ، أسأل الله سبحانه أن يشرح صدره للحق، والاعتراف بالحق فضيلة، والرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل.

وله العظة والتذكرة في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٧- ٧٩].

(١) وماذا نصنع بقول محمد حسَّان عن العلماء الذين أطلقوا على مَن يفجِّر نفسه أنه منتحر: «كذَّاب من يقول بأنه منتحر، والله يكذب على الله»؟! وقول الحويني عن أكابر العلماء: «أصحاب جليطة»، وإنهم «يتلكّكون لسيد قطب».

وماذا نصنع بوصف ابن حسَّان العلماء الذين بدَّعوا سيد قطب، وحكموا عليه بالضلال؛ أنهم: «غلاة التجريح» في شريطه: «رسالة إلى غلاة التجريح»، هذا الشريط الذي ملأه حسَّان بالتدليس على العلماء، بل وبالكذب عليهم، وبتلبيس الحق بالباطل، وفيه طعن في علماء المدينة، وادعى أن الفتنة إنما خرجت من المدينة؛ حيث قال: «فتنة تجيلنا -أي تجيء لنا- من المدينة، وتمر على الأردن، وبعدين تيجي تعصف بنا في مصر».

قلت: كذب! بل إن الإيمان ليأرز إلى المدينة، كما تأرز الحيَّة إلى جحرها، كما أخبر بهذا الصادق المصدوق -صلى الله عليه وآله وسلم-.

قال القاضي عياض في «إكمال الْمُعلِم بفوائد مسلم»: «مَعْنَاهُ أن الإيمَان أوَّلاً وآخرًا بِهَذه الصِّفَة لأنهُ فِي أوَّل الإسْلام كَانَ كُلّ مَنْ خَلَصَ إيمَانه وَصَحَّ إسْلامه أتَى الْمَدِينَة، إمَّا مُهَاجرًا مُسْتَوْطنًا، وَإمَّا مُتَشَوِّقًا إلَى رُؤْيَة رَسُول الله ﷺ وَمُتَعَلِّمًا منْهُ وَمُتَقَرِّبًا ثُمَّ بَعْدَهُ هَكَذَا فِي زَمَن الْخُلفاء كَذَلكَ، وَلأخْذ سِيرَة العَدل منهُم وَالاقْتدَاء بِجُمْهُور الصَّحَابَة -رضوَان الله عَلَيهم- فِيهَا ثُمَّ مَن بَعدهم مِنْ الْعُلَمَاء الَّذِينَ كَانُوا سُرُج الوَقت وَأئمَّة الْهُدَى لأخذ السُّنَن الْمُنْتَشِرَة بِهَا عَنْهُمْ فَكَانَ كُلّ ثَابت الإيمَان مُنْشَرِح الصَّدْر بِهِ يَرْحَل إلَيْهَا».

قلت: والشاهد قوله: «ولأخذ سيرة العدل من العلماء والاقتداء بهم»، فهذه صفة علماء المدينة فهم سُرج الوقت وأئمة الهدى، وعلى أيديهم انتشرت السنن واضمحلت البدع، وأُخمدت الفتن، فالفتنة لم تخرج من عندهم، وإنما خرجت من عند الطاعنين فيهم.

وقد يقول قائل: هل يعني أن المدينة تخلو من أصحاب الفتن وأهل البدع والأهواء؟ فكلام الشيخ ابن حسَّان يتنزل على هؤلاء لا على العلماء؟

=

قلنا: بلى، لكن المدينة تنفي خبثها، كما أخرج البخاري (٤٣١٣)، ومسلم (٤٩٠) عن زيد بن ثابت -رضي الله عنه- ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾، رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أُحُد وكان الناس فيهم فرقتين فريق يقول اقتلهم، وفريق يقول لا، فنزلت: ﴿ ۞ فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ ﴾، وقال: «إنها طيبة تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة».

وأخرج البخاري (١٧٨٤)، ومسلم (٤٨٩) عن جابر -رضي الله عنهما- قال: جاء أعرابي النبي ﷺ فبايعه على الإسلام فجاء من الغد محمومًا فقال أقلني -أي بيعتي-؛ فأبى ثلاث مرات، -وفي رواية مسلم: فخرج الأعرابي- فقال: «المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها».

قال الحافظ في الفتح (٢٠/ ٣٨١): «قَالَ ابن بَطَّال: عَنْ الْمُهَلَّب فِيهِ تَفْضِيل الْمَدِينَة عَلَى غَيْرهَا بِمَا خَصَّهَا الله بِهِ مِنْ أنها تَنْفِي الْخَبَث، وَرَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ الْقَوْل بِحُجِية إِجْمَاع أَهْل الْمَدِينَة، وَتُعُقِّبَ بِقَوْلِ اِبْن عَبْد الْبَرّ أَن الْحَدِيث دَالّ عَلَى فَضْل الْمَدِينَة، وَلَكِنْ لَيْسَ الْوَصْف الْمَذْكُور عَامًّا لَهَا فِي جَمِيع الْأَزْمِنَة، بَلْ هُوَ خَاصّ بِزَمَن النَّبِيّ ﷺ؛ لأنه لَمْ يَكُنْ يَخْرُج مِنْهَا رَغْبَة عَنْ الإقَامَة مَعَهُ إلا مَنْ لا خَيْر فِيهِ، وَقَالَ عِيَاض نَحْوه، وَأَيَّدَهُ بِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَة الَّذِي أَخْرَجَهُ مُسْلِم: «لا تَقُوم السَّاعَة حَتَّى تَنْفِي الْمَدِينَة شِرَارهَا، كَمَا يَنْفِي الْكِير خَبَث الْفِضَّة»، قَالَ: وَالنَّار إنمَا تُخْرِج الْخَبَث وَالرَّدِيء، وَقَدْ خَرَجَ مِنْ الْمَدِينَة بَعْد النَّبِيّ ﷺ جَمَاعَة مِنْ خِيَار الصَّحَابَة، وَقَطَنُوا غَيْرهَا وَمَاتُوا خَارِجًا عَنْهَا، كَابْنِ مَسْعُود وَأَبِي مُوسَى وَعَلِيّ أَوْ أَبِي ذَرّ وَعَمَّار وَحُذَيْفَة وَعُبَادَةَ بْن الصَّامِت وَأَبِي عُبَيْدَة وَمُعَاذ وَأَبِي الدَّرْدَاء وَغَيْرهمْ، فَدَلَّ عَلَى أن ذَلِكَ خَاصّ بِزَمَنِهِ ﷺ بِالْقَيْدِ الْمَذْكُور، ثُمَّ يَقَع تَمَام إِخْرَاج الرَّدِيء مِنْهَا فِي زَمَن مُحَاصَرَة الدَّجَّال». اهـ

وقال الإمام الألباني في الصحيحة (١/ ٢١٧): «فعلى هذا فقوله في هذه الأحاديث «تنفي» ليست للاستمرار، بل للتكرار، فقد وقع ذلك في زمنه ﷺ ما شاء الله، وسيقع أيضا مرة أخرى زمن الدجال كما في حديث أنس المشار إليه، و إلى هذا مال الحافظ في «الفتح» (٤/ ٧٠) وختم كلامه بقوله: «و أما ما بين ذلك فلا»؛ فهذا هو الراجح بل الصواب، والواقع يشهد بذلك، والله أعلم».اهـ

قلت: وبهذا يُرد أيضًا على من غمز في العلامة ربيع بن هادي لَمَّا انتقل من المدينة إلى مكة، فهل يكون العلامة ربيع أفضل من هؤلاء الصحابة الأفاضل -رضي الله عنهم-؟!

بل حتى لو قلنا بعموم الحديث في كل زمان فإنه مقيَّد بمن بدت عليه علامات الخبث نحو هذا الأعرابي الذي نقض بيعته، فمن على شاكلته تنفيهم المدينة، وهذا لا يتنافى مع إمكانية خروج أهل الخير والصلاح منها لعلل أخرى.

وقال العيني في «عمدة القاري» (١٠/ ٢٤٧): «فإن قلت إن المنافقين قد سكنوا المدينة وماتوا فيها ولم تنفهم؟! قلت: كانت المدينة دارهم أصلاً، ولم يسكنوها بالإسلام ولا حباله، وإنما سكنوها لِمَا فيها من أصل معاشهم ولم يرد بضرب المثل إلا من عقد الإسلام راغبًا فيه ثم خبث قلبه».

وقال السَّمهودي في «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ﷺ» (١/ ٣٢): «وقد أبعد الله عنها أرباب

الخبث الكامل -هم الكفَّار-، وأما غيرهم، فقد يكون إبعاد إن مات بها بنقل الملائكة له، كما أشار الآقشهري، فقوله: (تنفي خبثها، وتنفي الذنوب)، أي: أهل ذلك، أو المراد إبعاد أهل الخبث الكامل فقط، وهم أهل الشقاء لعدم قبولهم للشفاعة، أو المراد فيما عدا قصة الأعرابي والدجال، أنها تخلص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها مِمَّا فيها من اللأواء والمشقات، ومضاعفة المثوبات والرحمات، إذ الحسنات يذهبن السيئات، أو المراد من كان في قلبه خبث وفساد ميزته عن القلوب الصادقة، وأظهرت ما يخفى من عقيدته، كما هو مشاهد بها، ويؤيده قوله ﷺ عند رجوع المنافقين في غزوة أُحُد: «المدينة كالكير...» الحديث.

والذي ظهر لي أنها تنفي خبثها بالمعاني الأربعة، و(تَنصع) بفتح الفوقانية وسكون النون، وبالمهملتين، أي: تميز وتخلص طيبها بالنصب على المفعولية، هذا هو المشهور».اهـ

قلت: فيتحصل عندنا ثلاثة أزمان: زمن النبي ﷺ، وآخر الزمان، وما بينهما، فأما الأوليان فكما قال الحافظ والألباني -رحمهما الله-، وأما ما بينهما فالذي يترجح ما قرَّره السَّمهودي، لعموم لفظ الحديث، واشتماله على كل هذه المعاني المذكورة، فيُحمل كل معنى على ما يناسبه من الزمان، فما بين الزمانين يكون نفي الخبث -أو نفي الذنوب- على معنيين:

الأول: تخليص النفوس من شرها وظلمات ذنوبها، وذلك بما يبتلى به صاحب هذه النفس من اللأواء والمشقات والأسقام، وهذه يدركها كل من مكث في المدينة -ولو يومًا واحدًا-، فمن لأوائها حرُّها الشديد الذي يكاد يذيب الرأس في وقت الظهيرة، وكذلك بمضاعفة المثوبات بالصلوات في المسجد النبوي وحضور حلقات العلم والصبر على لأوائها..إلخ.

والثاني: تميز أصحاب القلوب المريضة من أهل الفجور والبدع والأهواء، عن أصحاب القلوب السليمة من أهل السنة، وأظهرت معتقدهم، وهذا يكون عن طريق علمائها الأجلاء الذين هم ظاهرون على الحق ثابتون.

وما رجَّحه الحافظ -وتابعه عليه الإمام الألباني-، لا ينافي أنه لا يصح إطلاق القول بأن الفتنة جاءت من المدينة؛ حيث إن إطلاقه القول بأن الفتنة جاءت من المدينة -وإن كان مقيَّدًا بالسياق، وكذا في أذهان الفاهمين- إلا أن الإطلاق في ذاته منافٍ لتعظيم المدنية وعلمائها، ولا يتفوَّه به عالم يعلم فضائل المدينة وعلمائها.

فكيف إذا كان محمد حسَّان - كما هو معلوم لدى الفاهمين- يقصد أن الفتنة جاءت من عند علماء المدينة، وهم المشايخ السلفيون الأفاضل: محمد أمان الجامي، وربيع بن هادي، وعبيد الجابري، وصالح السحيمي، وعلي بن ناصر الفقيهي، والذين أثنى عليهم الإمام ابن باز -رحمه الله-، فهو في إطلاقه وتقييده يذمُّ المدينة وعلماءها؛ وجريرة علماء المدينة عنده أنهم صدعوا بالحق في فتنة الخليج وكشفوا عوار سفر الحوالي، وسلمان العودة، وناصر العمر، وعائض القرني، الذين شكَّكوا العامة والشباب في علمائهم وولاة أمرهم في المملكة، وأسقطوا مرجعيتهم، وطالبوا الناس بالخروج تلميحًا

فيناصحون به نحن عندنا سلفي، وعندنا سلفي يخطئ وعندنا مبتدع، ولا نقول ليس عندنا إلا قسمان سلفي لا يخطئ أو مبتدع هؤلاء سلفيون إذا أخطؤوا يناصحون ويذكرون فأما أن نأخذهم بجريرة أخطائهم، وقد تراجعوا عنها ثم إذا تراجعوا لا نقبلها منهم، ونقول: هؤلاء كذابون وهؤلاء سياسيون هذا دخول في النيات ولا يجوز[1].

=

وتصريحًا، وأحدثوا صدعًا في المجتمع السعودي السلفي لم يلتئم حتى الآن.

فمحمد حسّان يوالي هؤلاء السرورية؛ لأنه معهم وعلى منهجهم، ومن ثَمَّ يرى الكلام فيهم وفيه وفي أشباههم من الفتنة التي أثارها علماء المدينة.

فليحذر محمد حسّان من الوعيد المذكور في حديث سعد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا يكيد أهل المدينة أحد إلا انماع كما ينماع الملح في الماء**»، أخرجه البخاري (١٧٧٨) -وبوَّب عليه: «باب: إثم من كاد أهل المدينة»-، وأخرجه مسلم (٤٩٤) بلفظ: «من أراد أهل المدينة بسوء أذابه الله كما يذوب الملح في الماء»، وبرقم (٤٩٢) من حديث أبي هريرة أنه قال قال أبو القاسم ﷺ: «**من أراد أهل هذه البلدة بسوء** (يعني المدينة) **أذابه الله كما يذوب الملح في الماء**».

وأقول أيضًا: ماذا نصنع بطعن الحويني في الإمام العلامة ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله ونصره-، بأخس عبارات الطعن، حيث قال فيه -كما تقدَّم-: أحمق؟!

وصدق الرازيان: أبو حاتم وأبو زرعة لَمَّا قالاَ: **علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر**.

وقال السفاريني -رحمه الله- كما في «لوائح الأنوار» (٢/ ٣٥٥): «ولسنا بصدد ذكر مناقب أهل الحديث، فإن مناقبهم شهيرة، ومآثرهم كثيرة، وفضائلهم عزيزة؛ **فمن انتقصهم فهو خسيس ناقص، ومن أبغضهم فهو من حزب إبليس ناكص**».

(١) قال فضيلة الشيخ الوالد حسن بن عبد الوهاب البنا -حفظه الله تعالى-: «لا يخفى على فضيلة الشيخ الكريم أن البدع العقدية عند الداعية يجب على أهل العلم السلفيين أن ينصحوا للقائل بها، وتستمر النصيحة وتراجع أقواله بين وقت وآخر، فإن اقتنعَ بخطئه فيلزمه أن يرجع مع المسارعة في ذلك ولا يتلكأ بعد اقتناعه بخطئه، وإلاَّ يكون غير جاد في اعترافه بأن بعض أقواله من البدع العقدية وتزداد الفتنة بين الطالب والمطلوب، وتزداد الفرقة بين أصحاب المنهج الصحيح خصوصًا من المبتدئين.

ويلزمه أن يعلن ذلك في كلامه وتسجيلاته وفي الفضائيات بكل صراحة ووضوح وإلا إلى متى نصبر على هذا التمزق، وندعو إلى وحدة الصف تحت مظلة العقيدة والمنهج، وفينا مخالفون في المسائل العقدية وأصحاب نزعات من الفرق التي خالفت أصول أهل السُّنة، وهذا ينصب على الدعاة الذين ذكروا في هذا البحث، سيما وأنهم ادَّعوا ووعدوا بتصحيح أخطائهم ولم نر ذلك على

=

أكرِّر وأختصر: هؤلاء الآخرون سلفيون وهم دعاة إلى الكتاب والسنة، ونفع الله بهم وعليهم بعض الملاحظات ناصحنا بعضهم بالأمس القريب كانت مناصحة طيبة مع الأخ الشيخ محمد حسان أظهر فيها ولله الحمد مخالفته لسيد قطب مخالفته لابن لادن مخالفته لتنظيم القاعدة مخالفته لأفكار سيد قطب في الحاكمية وغيرها وأظهر موافقته لعلماء الإسلام أظهر موافقته لأولياء الأمور ضمن طاعة الله ورسوله، ماذا نريد من هؤلاء أكثر ماذا نريد منهم[1]؟

نقول لأنفسنا ونقول لمن لم يستطع أن يفعل فعلهم: فليتوكلوا على الله فلقد قاموا بأكثر مما نقوم، وفعلوا أكثر مما نفعل[2]، فإذا نحن جلسنا نراقبهم لا بأس أن نراقبهم بنية حسنة طيبة حتى نزيدهم وحتى نمدهم وحتى ندعوا لهم وحتى نناصحهم وحتى نصلح ما أخطؤوا فيه، أما أن تكون أفعالنا للتشفي والانتقام وللتصيد، فهذه ليست أخلاق المسلمين فضلاً على أن تكون أخلاق السلفيين.

ومع ذلك فأنا أعذر من خالفني في هذه المسألة إذا ظهر له غير ذلك، أما وقد بيّنت فأرجو أن ينقطع عذره في هذا، والله المستعان.

وكلامي هنا ليس عن الشيوخ والعلماء وإنما كلامي عن الشباب والمتمشيخين دون الشيوخ من الذين يأخذون كلام أهل العلم ويطيرون به كل مطار دون تأمل ودون تأنٍ ودون معرفة للمصالح والمفاسد والله المستعان». اهـ

قلت: صدق حذيفة -رضي الله عنه- لَمّا قال: «إن الضلالة كل -وفي رواية: حق-

=

أرض الواقع، سيما وأن بعض أقوالهم أثبت علماء السنة أنها من البدع العقدية، والمنهجية». اهـ

(١) نريد منهم الصدع بهذا الحق، وأن يتبرءوا صراحة من أقوالهم الباطلة القديمة على الملأ في دروسهم وخطبهم وقنواتهم الفضائية ومواقعهم على الإنترنت، لا في جلسة سرية مغلقة بينك وبينهم، ثم بعد خروجهم من عندك عادت ريمة إلى عادتها القديمة، فلا يكون حالهم كحال مَن قال الله سبحانه فيهم: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد: ١٦].

(٢) هم بالفعل قاموا بجهود جبارة في إبعاد الشباب عن منهج أكابر علماء السُّنة، وربطهم بشرذمة من الخوارج والقُصَّاص والمتعالمين.

الـضلالـة أن تعرف مـا كنت تنـكر، أوتنكر ما كنت تعرف، وإياك والتلون في دين الله، فدين الله واحـد»[1].

وأخرج ابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٧٤) من طريق عصمة بن عروة، عن مغيرة، عن إبراهيم قال: كانوا يكرهون التلون في الدين، وبرقم (٥٧٥) من طريق هشيم عن مغيرة، عن إبراهيم قال: كانوا يرون التلون في الدين من شك القلوب في الله.

ثم قال برقم (٥٧٦): «حدثنا الصفار قال: حدثنا الرمادي قال: حدثنا يحيى بن بكير قال: قال مالك: «الداء العضال التنقل في الدين».

وهذا آخر كلام وقفت عليه للشيخ علي الحلبي في الثناء على الحويني، وذلك في المجلس الذي جمعهما سويًا ومعهما الشيخ مشهور في رحلة الحويني الأخيرة للأردن، حيث قال الحلبي: «فكما ذكر أستاذنا الفاضل سماحة قاضي القضاة -في ديارنا- الشيخ أحمد هِليِّل: أن الأردن بإخوانها، ودعاتها، وأبنائها، طلبة علم، ومشايخ، ودعاة، يرحبون بأخينا الشيخ أبي إسحاق الحويني بعد مفارقة لهذا البلد، مضى عليها عشرون سنة؛ كانت هي فاتحة الخير بالنسبة له -إن شاء الله- في الجد في طلب العلم، وشق الطريق بقوة وثبات كما عهدناه[2]، وكما عرفناه من اللحظة الأولى؛ ناصرًا للسنة -ولا نزكيه على الله- ورادًّا للبدعة[3].

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنَّفه (١١/ ٢٤٩)، والبغوي في مسند ابن الجعد (٣٠٨٣)، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (١٢٠)، وابن بطة في الإبانة الكبرى (٥٧١-٥٧٣) (٢/ ٥٠٤)، والحارث في مسنده (٤٧٠/ زوائد الهيثمي) (٣٠٠٨/ إتحاف المهرة للبوصيري) (٣٣٦٨/ المطالب العالية لابن حجر)، وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١٠٩٤)، والبيهقي في الكبرى (١٠/ ٤٢).

(٢) نعم لقد شقَّ الطريق بقوة وثبات وسط القصَّاص نحو محمد بن حسَّان ومحمد بن حسين يعقوب والزغبي وغيرهم حتى صارت له المكانة العليا في وسطهم، وصار نجمًا مبرَّزًا في قنواتهم الفضائية.

(٣) هذه دعوى مبينة على العاطفة البحتة لا على التحقيق العلمي.

والتحقيق العلمي هو ما قرَّره العلماء في فتاويهم في شأن أبي إسحاق، وفصَّلناه وأثبتناه في هذا الكتاب متَّبعين سبيل أئمة الجرح والتعديل ما استطعنا في النقد النزيه المبني على نقل كلام المنتَقَد -دون زيادة أو نقصان- مع توثيق مصدر الكلام، ثم القيام بوزن هذا الكلام بميزان الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة.

=

ردوده في حواشيه، أو في بعض الكتب المستقلة على المناوئين للسنة، ولأهل السنة هي التي كان لها التقديم والتقدم في نفوسنا، وفي نفوس كل محب للسنة وداع إليها، كما قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «كل داع للسنة له نصيب من قوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴾ وكل مناوئ لها له نصيب من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾.

وذهب الذين ناوءوا السنة، وذهبت جهودهم، ولم يبق لهم ذكر.

وأهل السنة وإن كانوا موتى لكنهم أحياء بدعاء أهل العلم، وأهل السنة لهم.

وأنا أقول -دائمًا-: لولا أن شيخ الإسلام ابن تيمية رد على البكري والأخنائي، والله ما عرفنا لا البكري، ولا الأخنائي.

وشيخ الإسلام حتى خصومه، وحتى مخالفوه أقروا له بالعظمة، وبالإمامة، وبالتقدم -رحمه الله-.

فنرحب بأخينا الشيخ أبي إسحاق، ولن ننسى -بعد تلكم الأيام الثلاثين التي قضاها في ربوع بلادنا المباركة هذه- لن ننسى رحلة الحج التي كانت آخر مطاف شيخنا للديار المقدسة -شيخنا الشيخ الألباني-....

وأنا قلت كلمة لإخواني، وأقولها الآن أمام أخينا أبي إسحاق - من باب قوله تعالى: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

أقول : جزى الله أخانا أبا إسحاق على ذكره وتمجيده لشيخنا - وهو مستحق لذلك وأكثر - بما فاق ذكرنا نحن وتمجيدنا[١]، ونحن نظن أننا الأقرب إلى الشيخ سكنى وصلة وما أشبه، لكن وفقه الله لحب عظيم لشيخنا، جعل لسانه يلهج بذكره، وهذا - إن شاء الله كما قلنا - باب خير له، ولشيخنا، ولأهل السنة جميعًا[٢].

=

ومن هذا النقد العلمي النزيه تدرك مصداقية دعوى الحلبي من عدمها.

(١) المتصوِّفة وأهل البدع بشتى طوائفهم يلهجون ليلاً ونهارًا بذكر النبي ﷺ وتمجيده، وينشدون القصائد الطويلة في إطرائه، فهل نفعهم هذا بشيء أو أدخلهم في عداد أهل [illegible]

(٢) لكن هل أثمر هذا الحب -إن صحّ- اتباعًا لمنهج الإمام الألباني [illegible] لمنهج السلف الصالح؟ أم أن الحويني خالف الإمام الألباني في مسائل عظيمة من أصول هذا المنهج، كما بينت

=

لنا رجاء جميعاً لأخينا أبي إسحاق: أن تظل لُغة العلم -وهي إن شاء الله موجودة-، لكن أن تظل رايتها مرفوعة وخفاقة، وأن يكون لإخوانه وأبنائه من طلبة العلم توجيهات منهجية، وعقائدية[1]؛ لأن موعظة عامة الناس طيبة ومطلوبة، والرسول - عليه الصلاة والسلام - له مواعظ، والقرآن الكريم مواعظ ، لكن أنا أقول:

[الشباب وتوجيههم العقائدي، والمنهجي، والفكري -إن جاز التعبير- هو الذي له البقاء؛ لأن العامة في كل زمان -كما هو معروف في التجارب- يذهبون مع الأفصح، ومع الأشهر، وينتقلون إلى غيره إذا تغيَّرت الأحوال، وتبدلت الأحوال، أما العلم، والمنهج، والعقيدة، والسنة ، الشيخ الألباني -رحمه الله- أشرطته وكتبه كلها علمية، كلها عقائدية، كلها منهجية، كلها في نصرة السنة والرد على أهل البدع، ومع ذلك لها البقاء.

الآن لو نظرنا إلى غيره مِمَّن انتشر ذكرهم في حين من الأحيان، أو في سنة من السنوات نرى أنهم كانوا في فترة من الفترات أكثر شهرة من الشيخ، وأكثر منزلة بين العامة من الشيخ ، لكن انتقلوا إلى غيره، بينما الشيخ لا يزال له الموقع الأعلى والقدح المُعلى في أهل العلم من قبل ومن بعد.

ووصيتنا لأخينا الفاضل الكبير الشيخ أبي إسحاق: أن يظلّ على سَنَن شيخه وشيخنا][2]، وهذا هو الأمل به، ....

=

هذا في فصل «بين الإمام الألباني والحويني»؟!

(١) فاقد الشيء لا يعطيه ! فإن الحويني لم يقبل توجيهات مَن يكبره من أهل العلم في أبواب العقيدة والمنهج، فكيف يسدي هو هذه التوجيهات إلى غيره؟

(٢) هذه النصيحة التي ما بين المعكوفتين طيبة، لكن هل من مجيب؟

فالذي يظهر من إجابة الحويني أنه لم يستسغ هذه النصحية أو قل: لم يفقهها؛ حيث أجاب أيضًا بإجابة سياسية كعادته.

ويا ليت الشيخ عليًّا اكتفى في كلامه بهذه النصيحة وحذف ما قبلها وما بعدها، لكانت مقبولة وفي محلها -بعد تعديل يسير-.

وقد يعتذر معتذر عن الشيخ علي أن يقول: إنما أراد الشيخ عليٌّ تأليف قلب أبي إسحاق بهذه الكلمات واستجلاب مودته للسلفيين.

=

بل هذا الذي نراه[1]، لكننا نطلب المزيد، وربُّ العالمين أمرنا بالمزيد ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]. أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يكتبكم في الصالحين، وأن يكتبنا معكم في الطيبين من عباده، وأن يمن علينا وعليكم بالشفاء ظاهرًا وباطنًا إنه سبحانه سميع مجيب، وأعتذر على الإطالة، وجزاكم الله خيرًا جميعًا. اهـ

أقول: وإني أنصح إخواننا الذين يريدون معرفة الحق في شأن التأصيلات الأخيرة التي أصّلها الشيخ علي الحلبي[2] أن يرجعوا إلى هذين الكتابين:

الأول: كتاب «تنبيه الفطين على تهافت تأصيلات علي الحلبي المسكين»، للشيخ سعد الزعتري -وفقه الله-.

وهذا الكتاب قد أثنى عليه إمام الجرح والتعديل في زماننا شيخنا ربيع بن هادي،

=

فنقول لهذا المعتذر: هذا التأليف لا بأس به إن خلا من المداهنة والإقرار على الباطل، ولا بأس باستخدام المداراة دون تضييع الحق أو تمييعه، وعلى أن يسدي إليه النصيحة سرًّا حتى إذا لم ينتفع بها لا يكون استخدامه هذا اللِّين والتلطف سببًا في التغرير بضعاف القلوب.

لكن هذا التفخيم والتبجيل للحويني -وكأنه إمام متَّبع- فيه تغرير بالمستمعين، بل فيه تغرير بالحويني نفسه، وبه يضيع الحق الذي كان الواجب على الشيخ علي أن ينتصر له -ولو على حساب الحويني-، وأن يبينه للآلاف الذين غُرِّر بهم من خلال هذه القنوات الفضائية، حيث ظنوا أن منهج القصص والتهييج والإثارة العاطفية -الذي عليه الحويني وإخوانه- هو منهج أهل السنة.

فأين المفاصلة بين منهج أهل السنة وهذه المناهج المخلَّطة بين الحق والباطل؟ أليست إجابة الشيخ علي هذه فيها تضييع للأمانة التي حمّلها بما عنده من علم بحدود منهج السلف الصالح التي بها يتمايز عن مناهج القصّاص والحزبيين؟! أم أن هذا العلم فُقِد من الشيخ علي؟!

وصدق الرسول ﷺ لَمَّا قال إجابة على سؤال الأعرابي: متى الساعة؟: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قال الأعرابي: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، أخرجه البخاري في صحيحه (٥٩) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

(١) بل إن كل ذي عينين يرى أن الحويني لا يسير على سنن الإمام **الألباني** -رحمه الله-، وهذا واضح وقد بيّناه سابقًا بما يغني عن إعادته هنا.

(٢) في فتاويه ومجالسه الأخيرة، وفي كتابه الأخير: «**منهج السلف الصالح في ترجيح المصالح** وتطويح المفاسد والقبائح في أصول النقد والجرح والنصائح».

وأوصى بالاستفادة منه، ونقل هذا الثناء الشيخ أحمد بازمول ونشره على شبكة سحاب السلفية، وهذا نصُّ كلامه:

«فأبشر كل السلفيين في كل مكان بهذه البشرى السارة، ألا وهي تزكية شيخنا حامل راية الجرح والتعديل ربيع بن هادي المدخلي -حفظه الله تعالى- لكتاب «تنبيه الفطين لتهافت تأصيلات علي الحلبي المسكين» بقلم: الشيخ أبي عبد الرحمن سعد بن فتحي بن سعيد الزعتري، فقد سألته حفظه الله تعالى عن رأيه في الكتاب؟

فقال -حفظه الله تعالى-: قد قرأت الكتاب كاملاً، وقد أجاد فيه مؤلفه، وتعقَّب الحلبي في مسائل كثيرة متعددة جانب فيها الحلبي وجه الصواب، وهو ردٌّ علميٌّ قويٌّ ما شاء الله تعالى، جزى الله مؤلفه خير الجزاء.

(وكتبه في ١٥ / ١ / ١٤٣٠هـ)

قلت: وقد سألت بنفسي شيخنا العلامة ربيع عن رأيه في هذا الكتاب وذلك في شهر جمادى الثانية ١٤٣٠؟

فقال -حفظه الله ونفع بعلمه-: «ردٌّ قوي، فرغم أنه موجز إلا أنه في ظني من أقوى ما كُتِب في الرد على تأصيلات الحلبي الأخيرة».

والثاني: كتاب «صيانة السلفي عن وساوس وتلبيسات علي الحلبي»، للشيخ أحمد بن عمر بازمول -وفَّقه الله ونصر به الحق-، وهو ردٌّ علمي مفصَّلٌ على كتاب علي الحلبي: «منهج السلف الصالح».

وقد أثنى شيخنا ربيع -حفظه الله- أيضًا على ردِّ الشيخ بازمول، كما سمعته بأذني منه.

وقال أخونا الشيخ أحمد بن يحيى الزهراني -وفَّقه الله- في مقاله: **«البيان الصادق البديع لوقائع جلسة الفلسطينيين (أبو هنية وزمرته) مع الشيخ ربيع»:**

سُئِل الشيخ ربيع -حفظه الله- عن علي الحلبي؟ فقال: أنا أبين لكم حال علي الحلبي، خلال عشر سنوات نحن صابرون عليه، وما من فتنة إلا وهو مؤيد لها ويسعى في الفرقة، وفي المشاكل. ومنها:

أ- تقديمه لكتاب مراد شكري وفيه إرجاء واستدلال بأقوال أهل البدع.

ب- موقفه من فتنة عدنان عرعور .

ت- موقفه من فتنة المغراوي .

ث- موقفه من فتنة أبي الحسن المأربي، ومِمَّا قاله -حفظه الله - بخصوص المأربي: اتفقنا معه -أي الحلبي- على أمور ونزل بيان بذلك وفرح السلفيون، وفي الليلة الثانية التقى بأبي الحسن وأصدر بيانًا جديدًا أغضب السلفيين في كل مكان[1].

ج- موقفه من جمعية إحياء التراث وثناؤه عليها بأنها سلفية، فتكلم الشيخ عن خطورة هذه الجمعية، وكيف فرَّقت السلفيين في عدد من البلدان.

قال الشيخ حفظه الله: جاءني الحلبي في رمضان وقلت له: أنت لست من طلاب الألباني، فغضب غضبًا شديدًا!! فقلت له: أنت لست من طلاب الألباني، فقال لي الحلبي: لن أحاربك!! فذهب يحارب وطبع كتابين، وفتح موقعًا (أي: كل السلفيين) يحارب فيه السلفيين حربًا ضروسًا، وهو من أسوأ المواقع.

فقاطعوا الشيخ ورفعوا أصواتهم ويحلفون أنه ليس كذلك -أي الموقع-.

فقال لهم الشيخ: أنا رأيت ما فيه لا تحلفوا بالباطل لا تحلفوا بالباطل، فقالوا: بأن موقعهم (كل السلفيين) ما أنشئ إلا للدفاع عن النفس، أنشأه علي حسن للدفاع عن نفسه، وندافع عن أنفسنا !!

أقول: ما شاء الله يفتح موقعًا لحماية الذات!!! ونصرة أهل البدع والأهواء لا لنصرة السنة والذبُّ عنها وعن أهلها، بل في هذا الموقع من البلايا والرزايا ما الله به عليم.

قال الشيخ -حفظه الله-: علي الحلبي ما درس على الألباني وإنما حضر مجالسه، فصاحوا كعادتهم.

---

(١) وهذا من التلوُّن في دين الله -عز وجل-، ويحسن أن ينطبق عليه قول رسول الله ﷺ: «إن شرَّ الناس ذو الوجهين، الذي يأتي هؤلاء بوجه، وهؤلاء بوجه»، أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-.

فقال لهم: هل درس العقيدة؟ هل درس البخاري أو أصول الفقه عند الألباني؟ علي الحلبي طالب علم.

فقالوا: ما شاء الله علي الحلبي طالب علم.

فقال أحدهم: وأحمد بازمول؟

فقال الشيخ: أحمد بازمول عالم، درس الحديث والعقيدة والفقه على علماء ومؤصل تأصيل علمي ودكتور في الجامعة، ولو لم يرد على علي الحلبي لرددت أنا عليه، لكنه كفاني، وقد طلبت منه أن لا يدافع عني.

فقال علي أبو هنية: أحمد بازمول صاحب هوى، والشيخ علي حافظ وبحر.

فقال له الشيخ: وأنت، فقال علي أبو هنية: أنا سلفي.

فقال الشيخ: ما شاء الله.

تكلم الشيخ عن قول أبي الحسن المأربي في قوله عن بعض الصحابة: غثائية، فقال: لمَّا سألوا علي الحلبي عن وصف الصحابة بغثاء، هل تعتبر سبًّا؟ أجابهم بكون النبي ﷺ قال: «أنتم يومئذ غثاء كغثاء السيل»؛ فجعل الحديث عامًا لكل الصحابة.

فقالوا: تراجع، فقال الشيخ، أين تراجعه؟

فقاطعه أحدهم - وسألت عنه فقالوا: خضر شاكر العالم -وما أكثر حركاته ومقاطعاته-: لكن المعلمي يقول عن زيد بن حارثه: فضحه الله؟

فقال الشيخ: أين ذلك؟

فقال المقاطع: كأنه قال: في التنكيل.

فقال الشيخ: هاته، فقال المقاطع: ما أذكر موضعه.

فقال الشيخ: هل هذا مثل هذا؟ فقال المقاطع: نعم.

فقال الشيخ: اسمع لو أن ابن تيمية -وعدَّ علماء- قالوا هذا الكلام فهو خطأ؛ لأن حقَّ الصحابة عظيم.

ثم وجَّه لهم الشيخ نصائح وتوجيهات مفيدة، ومع ذلك كُل ما تكلَّم قالوا: والشيخ علي... والشيخ علي، فقال الشيخ: أنا كلّ ما أكلِّمكم وأبيِّن الطريقة الصحيحة، تقولون:

علي علي علي!! ما فيه كتاب الله ما فيه سنة رسول الله، لا تحاربوا الحق يا أخوة لا تناصروا عليًّا ولا ربيعًا ولا أحدًا.. ناصروا الحق وتعلَّموا وميِّزوا.

وعاد الشيخ لنصحهم، ثم ما زالوا على الوتيرة نفسها، بل لمَّا يذكر الشيخ بعض أخطاء الحلبي يعترضون على الشيخ فيقولون: طيب والعبَّاد وصالح آل الشيخ!! فتعجب الشيخ منهم، وقال: هل هذا كلام سلفي.

ومع ذلك أجابهم الشيخ بما يدين الله به قائلاً: أما العبَّاد فلا يقرأ، وأما الشيخ صالح آل الشيخ فما تذكرونه لا أدري عنه، ولكن أرسلوا لي ملاحظاتكم وأنا أناصحه، أما علي الحلبي فيعرف هذه الأمور ويقرأ.

فأخذوا يرددون ما يقوله علي الحلبي في كتابه: ما يلزمني والإمام أحمد جالس فلانًا ولم يبدع فلانًا ونحو ذلك!

فقال لهم الشيخ: أنتم لا تريدون الحق، ووجوهكم وجوه لا تريد الحق. اهـ

قلت: وليعلم المتعصِّبون -أو المتحمِّسون- للرجال أن ما ذكره الشيخان: ربيع بن هادي، وعبيد الجابري -حفظهما الله- في حقِّ الشيخ علي الحلبي لم يكن بسبب خطئه في تزكية واحد أو اثنين من أهل الأهواء اجتهادًا منه، إنما بسبب التأصيلات الفاسدة التي بنى عليها هذه التزكية، مع قيامه بنشر هذه التأصيلات مع التزكيات لأناس عدة يدعون السلفية بلسان مقالهم فقط، في وقت قد تكالب أهل البدع فيه على التشكيك في نزاهة ومصداقية علماء السنة الكبار نحو العلامة ربيع بن هادي، وعلى إظهارهم بمظهر الغلاة زورًا وبُهتانًا، مِمَّا كان له الأثر السيئ في نفوس الشباب، فنبذوا كلام علمائهم وتعلَّقوا بالشبهات التي أثارها علي الحلبي، ثم ماذا كان ...؟

هل سلكوا مسلك الوسطية المدعاة؟ أم أنهم تعلَّقوا بهؤلاء الأدعياء للسلفية الذين يخشى علي الحلبي من تبديعهم ويتقي الله فيهم، مِمَّا جعل هؤلاء الشباب في حيرة وتردي وانحسار عن السلفية، وانغماس في شبهات هؤلاء المنتحلين للسلفية، مع البُعد التدريجي عن منهج الأئمة الأكابر؟!!

وأقول للشيخ علي الحلبي -ردَّه الله إلى الحق-: يا شيخ علي اتقِ الله سبحانه في شباب العالم الإسلامي، وفي شباب مصر خصوصًا الذين فتنتهم بفتاويك الأخيرة في منتحلي السلفية، فلقد أصبحت هذه الفتاوى التي صرت تكررها في كل عام عند زيارتك لمعرض القاهرة للكتاب، وتلقيها -مصحوبة بغمز العلماء بالغلو - على مسامع الشباب - السلفي الغض الطري- سببًا في تأجيج نار الفتنة بينهم، وإثارة العصبيات المقيتة، ووقوع البعض في التمييع المشين تحت دعوى الوسطية، مع الطعن الخفي والصريح في أصول علم الجرح والتعديل وفي أئمته، **أفلا تتقي الله في هؤلاء الشباب، كما أنت حريص على تقوى الله في أدعياء السلفية؟!**

***

○ ثانيًا: موقف الشيخ مشهور حسن آل سلمان:

ولقد سار على درب علي حسن: رفيقه في الأردن الشيخ مشهور حسن سلمان، حيث سئل في درس فجر السبت (١٩ /٥) الدقيقة (٢٨): هناك درس للشيخ أبي إسحاق يوم الأربعاء في شرح صحيح البخاري... هل تنصح بسماعه؟

فقال: أشهد الله أن أبا إسحاق من علماء الحديث..ومن أهل الحديث الراسخين فيه[1].. ولم أرَ شيخنا الألباني فرحًا بأحدٍ كما رأيتُه فرحًا بقدوم الشيخ أبي إسحاق.. ومجالسه مع الشيخ محفوظة تُنبئ عن علم غزير.. بل عن تدقيق قلَّ أن يصل إليه أحد.. فالذي يلمز في أبي إسحاق المطلوب منه أن يأتي بالبرهان والدليل[2].. جعْل أبي إسحاق الحويني مثل الجفري ظلم عظيم عند الله.. لا أدري صاحبه كيف يلقى الله؟؟! نجعل أبا

---

(١) هذا قد يصدق في علم الآلة، كما بينت في المقدمة، أمَّا في معتقد أهل الحديث، فقد خالفه في عدة مسائل، وهي التي دار بحثنا على بيانها.

(٢) وقد سردنا بالبراهين والأدلة في هذا البحث على المخالفات الواضحة عند الحويني لأصول منهج السلف الصالح -أصحاب الحديث والأثر-، فهل تفي بوعدك وتقبلها، أم ماذا؟

إسحاق الحوينى مثل الجفرى؟؟ هذا ظلمٌ!! هذا ظلمٌ عظيم عند الله -عز وجل-[١].. أنا لا يوجد عندى تلفاز ولا ستلايت.. ولكن لي بعض الأقارب.. أرى فيهم يعنى تقدمًا وتقربًا وحبًا لدعوتنا وللسنة وأثرًا ظاهرًا.. وبدأت أسمع منهم يقولون تصفية..وتربية» من أين لكم هذا؟ قالوا: هذا أبو إسحاق.. يقول هذا أبو إسحاق.. نقول جزى الله خيرًا أبا إسحاق .... جزى الله خيرًا أبا إسحاق.... وأسأل الله أن يثبت أبا إسحاق على الخير!! فهو إذا كان عمله فى التصفية والتربية وهذا الذى نعهده به[٢]، فجزاه الله خيرًا...

---

(١) ومَن الذي سوَّىٰ بينهما؟! فما نعلم أحدًا من أهل العلم المعتبرين قال بهذا؟

والجفري هذا صوفي جلد، بل رافضي متستر.

وأهل البدع على مراتب وأصناف، ولم يسو بين كل أهل البدع، إلا الحدادية، فلا أدري لماذا تعرَّض الشيخ مشهور لذكر هذا دون وجود الداعي إلى ذكره؛ حيث لا يعرف أحد من العلماء السلفيين قال بهذا؟! إلا أن يكون الغرض من ذكر هذا هو تشكيك المسلمين في أحكام العلماء الذين حذَّروا من الحويني وأمثاله من أدعياء السلفية، وإظهار العلماء في صورة الجناة الظَلَمَة الذين لا يرقبون إلاًّ ولا ذمَّة في أعراض المسلمين، وأنهم غلاة تجريح كما قال محمد بن حسَّان!!

وهذا فيه بلا شك غمز واضح لأهل العلم الذين تكلَّموا في الحويني بالحجة والبينة دون إجحاف ولا تعدي، والعجيب أن الشيخ مشهورًا لم يتعرض لِمَا نقله هؤلاء العلماء من بينات واضحات في حكمهم على الحويني، وكأنه لا يرفع رأسًا لها، ولا يعتبرها من الجرح المفسَّر، بدليل أنه طالب من تكلَّم في الحويني أن يأتي بالبرهان والدليل على كلامه!

فهل لم يبلغه كلام هؤلاء العلماء ؟ هذا مستبعد ..!

(٢) أي تصفية هذه وأي تربية؟ هل هي التصفية والتربية التي كان يسير عليها أئمة السنة في هذا الزمان، وعلى رأسهم: الإمام الألباني -رحمه الله-؟

فلنبحث مصداقية هذه الدعوى ..فأقول: إن التصفية تعني تصفية هذا الدين مِمَّا علق به من العقائد الفاسدة والبدع والمحدثات ومقالات الفرق الضالة التي تتحدث باسم الدين، ثم تربية الناس على هذا المنهج المصفَّىٰ.

والناظر المنصف إلى منهج الحويني يجد أنه قد علَق به بعض هذه العقائد الفاسدة والمقالات الباطلة للفرق الضالة، والتي كشفنا عن شيء منها في طول بحثنا.

فهل من التصفية أن يلصق الحويني بمنهج أهل السنة المقالات التالية والتي هي من مقالات الفرق والأحزاب الضالة كما سبق بيان هذا بالتفصيل:

١- المصرُّ على المعصية مستحل، والمستحل كافر.

=

=

٢- توحيد الحاكمية هو أخص خصائص توحيد الإلهية -وهي مقولة سيد قطب-.
٣- التوحيد عشرة أقسام أو يزيد.
٤- أي بنئ آدم عايز (يتلككله هيتلكك له!!) -أي لسيد قطب -ويدخل فيهم من نقده من العلماء- وهو مستريح يعنئ وهيطلعله العبارة دئ هيه، ويرميه بها علىٰ طول.
٥- قال الحويني مستنكرًا علىٰ من أفتىٰ بحرمة العمليات الانتحارية: «الواحد منهم بيبقىٰ عارف أنه سيقتل حتمًا! ويذهب لإحداث نكاية في العدو، بعض الناس الذين لا يعرفون الحقيقة يقولون منتحر! وهذا أقل ما يقال فيه كما قلت بمنتهىٰ الصراحة دي جليطة!! أقل حاجة تقال في هذا إن دي جليطة». !
٦- قال الحويني في الثناء علىٰ السماوي: «فكان معي في الزنزانة الشيخ عبدالله السماوي، وهذا الرجل كان حسن الخلق جدًّا قَلَّ من رأيته في مثل أخلاقه وحلمه مع اختلافي معاه آنذاك في مسائل الهجرة والعزلة والمش عارف إيه الكلام ده، كنا نقعد نتناقش في المسألة دي لكنه كان يحفظ كتاب الله -عز وجل- عن ظهر قلب يحفظه كالماء مع الأخلاق الجميلة والطيبة والهدوء». (قلت: والسماوي هذا كان من رءوس فرقة التكفير والهجرة).
٧- قال الحويني مخاطبًا الشعراوي: «لا يجوز أن يكون أعراض العلماء -يقصد الشعراوي وأمثاله من الأشاعرة والمتصوفة- مضغة في أفواه هؤلاء المجرمين السفهاء، وعندك جيش من المستشارين من المعجبين الذين يحبونك، جنِّد هؤلاء كل واحد يرفع عليه قضية من بلد عشان ما يفوقش من دايرة محكمة إلا يلاقي دايرة ثانية باعتالوا دول يخافوا ما يختشوش قلت له: افعل هذا لوجه الله علشان تحمي الذين ليس لهم حشمتك وليس لهم مكانتك، لمَّا أنت تتبهدل ويتهموك ويشتموك ليل نهار وأنت ساكت! ساكت ليه».
٨- إن كلَّ البدع الموجودة الآن بسبب سكوت العلماء، ماذا يطلبون ماذا يريدون؟ يريدون المال.
٩- إن التطرف في الدين خير من التطرف في الدنيا، مع أن كليهما مذموم، لكن الذي يتطرف في الدين أبعد عن الانحراف والفساد العريض من الذي يتطرف في الدنيا.
١٠- أنا أعلم من خلال كلام الإخوة الجزائريين أني أنا بعد الشيخ الألباني في الجزائر، إلىٰ أن حصلت هذه المشاكل فأفتوا أن تسجيل أم كلثوم علىٰ شرائطي فيه قربة إلىٰ الله؛ لأني مبتدع والبدعة شرٌّ من المعصية. ...إلخ -قالها مستهزئًا-.
وعليه فإن تصفية الحويني تحتاج إلىٰ تصفية!
فما هو مصير الشباب الذين يُربون علىٰ هذه المقالات، ويعتقدون ما فيها من باطل وبدعة، هل نأمل في هؤلاء أن ينصر الله -عز وجل- بهم الأمة؟!
نرجو من الشيخ مشهور إجابة منصفة دون تعصُّب أو مين أو كيل بمكيالين.

وهذه دعوتنا!! هذه دعوتنا وهذا الذي نرى أن الأمة لا تنهض إلا به!! الأمة تنهض بالتصفية والتربية. اهـ

وللشيخ مشهور فتوى -على ما يظهر- أقدم من هذه الفتوى، أشار فيها إلى معرفته ببعض ما أُخِذ على الحويني، حيث قال بعد انتهاء درسه يوم الخميس (٨ محرم ١٤٢٦هـ) في تعليقه على شرح النووي على مسلم[١]: أكثر من سؤال جاءني يقول: كثير من الإخوة يخوضون في الشيخ أبي إسحاق الحويني فيتهمونه بالسرورية والحزبية، ما قولكم؟

فأجاب قائلاً: «أخونا أبو إسحاق ليس بسروري، ولا حزبي، أخونا أبو إسحاق طالب علم، وهو ممن جوَّد علم الحديث، وأُتِيَ من جلسائه، أُتِيَ من جلسائه، وأما هو فليس بسروري، ولا حزبي، وأُتِيَ من إطلاقات يقولها، ويا ليته يفصّل ويبيّن على وجهٍ فيه نقلٌ لفتاوى علماء العصر، فضلاً عن كلمات علمائنا الأقدمين[٢].

فسمعت له كلمات في (الاستحلال والإصرار) ففهمت منها: أنه لا يفرق بين المستحلّ والمصرّ!! ويكفّر كلّ من أصرّ على فعل كبيرة!! ولا يلزم من الإصرار الاستحلال.

ولعدم إتقان نقل وضبط العبارات[٣] جعل نفسه في ألسنة بعض المتحمّسين، وبعض

---

(١) كما في «صعقة المنصور» (ص٣٤٤).

(٢) هذا اعتراف من الشيخ مشهور أن الحويني يطلق إطلاقات لا يراعي فيها النقل عن أئمة السلف، ولا عن كبار علماء العصر، وإنما هي من جعبته.
والشيخ مشهور يذكر هذا، وكأنه لا يشين الحويني، ولا يعيبه أن ينفرد بأقوال تمس جانب المعتقد والمنهج دون مرجعية لا للسلف ولا لأئمة العصر !!

(٣) أليست هذه وحدها من مقالات الخوارج والإباضية؟!
وقال الشيخ علي حسن في مقدمة كتابه «سؤالات علي الحلبي لشيخه الإمام الألباني» (١/ ١٣): «زعم غير واحد أن الشيخ أبا إسحاق يكفر بالإصرار على المعصية! وكنت أرفض -جدًّا- أن ينسب هذا القول إليه، وأعزو هذا الغلط -مدافعًا- إلى خلط في الفهم، أو التعبير-إذ توهم الإصرار استحلالاً!-، لا إلى خلل في العقيدة والمنهج - شتان بينهما». اهـ
قلت: سوف نسلم جدلاً أن منشأ الغلط عند أبي إسحاق نتج عن عدم إتقان النقل وضبط العبارات، كما قال مشهور، أو عن خلط في الفهم والتعبير كما قال علي حسن، فلِمَ -حتى الآن ورغم مرور أكثر من عشر سنوات على مقالته الأولى- لم يصلح هذا النقل ويضبط العبارات، ويتراجع عن هذا الغلط =

الـشباب[1]، وإلاّ فنحسبه على خير، وفي علـم الحـديث مـبرّز متقن، ويـاليتـه ينـشغل بعلـم الحديث، ويخدم كتب الحديث، ويقلّل من الوعظ.

مصر فيها ألوف الوعّاظ وفيه أربعة أو خمسة مشتغلين -كذا- بعلم الحديث، فأبو إسحاق نقّص الأربعة أو الخمسة فزاد الألوف واحدًا، ويا ليته يجعل الألوف يتحولون إلى منشغلين بعلم الحديث! فهو في الحقيقة من المجوّدين المتقنين لهذا العلم! ومن حبّنا له نقول هذه المقولة لعلّها تبلغه.

وقد حرصت على لقائه لمّا ذهبت القاهرة ولكن ما قدّر الله، وما أقول هذا إلاّ لأني سمعت كلامًا كثيرًا عنه، فهو مجوّد في علم الحديث.

وبِودِّي لو أنه يقلّل من الوعظ، وينشغل بعلم الحديث تصنيفًا وتحقيقًا وتدريسًا، كما كان عهده في أول نشأته، وفي أول طلبه، فالإنسان في أول الطلب ينبغ، وأبو إسحاق الآن ليس كأبي إسحاق لمّا بدأ[2]، لكن أبو إسحاق لمّا بدأ في التأليف والعطاء العلمي أحسن

=

تراجعًا واضحًا دون مماطلة، ويؤوب إلى كلام أئمة السنة في هذه المسألة الشائكة؟!

ألكبر منعه؟ أم أنها عقيدة ثابتة عنده لا يريد التراجع عنها، ولكن نظرًا لكثرة اللوم الذي وُجِّه إليه اضطر إلى التهويش والتهريش، وللأسف وجد مَن يعينه على الاستمرار في غيِّه من المنتسبين إلى السنة مثل علي حسن، ومشهور حسن، والله المستعان.

(١) مرة أخرى يغمز مشهور غمزًا واضحًا أهل العلم الذين تكلّموا في الحويني بالحجة والبينة دون إجحاف ولا تعدي؟! ومشهور يعرف حق المعرفة أن الذين تكلّموا في الحويني ليسوا شبابًا متحمسين، إنما هم أئمة كبار، فلماذا هذا التشكيك في نزاهة العلماء دون بينة؟! ولماذا هذا التمحل في الدفاع عن الحويني؟! أمن أجل الحويني تسفّه -أو تُهمِّش- طائفة من كبار الأئمة في هذا الزمان؟!

(٢) هذا الكلام غير منضبط، فإن الطالب في أول نشوئه يكون غير مكتمل الآلة، فكيف يكون نبوغه في أول طلبه، وكيف يضعف مع استمراره في الطلب؟! .. هذا أمر عجيب، بل هو خلاف سنة الله -عز وجل- في خلقه أن الشيء يبدأ صغيرًا ثم يكبر.

نعم قد يكون الطالب في أول أمره ذا ذهن وقّاد وهمة عالية فسرعان ما ينبغ أو بتعبير أدق تظهر بوادر نبوغه، ولكن بلا مرية هذا النبوغ لا ينضج إلا مع التحصيل وملازمة أهل العلم والتلقي عنهم، مع مكابدة سهر الليالي وقطع المفاوز كي يظهر نبوغه أكثر وأكثر، وكما قيل:

=

منه -من هذه الحيثية- الآن[1]. وما أنصح إخواني - يعني - الفتش والبحث والتنقير على المؤخذات في هذا الباب عمّا يقع، ولكن أنصحهم -كما أقول دائمًا- بالتعلق بكلام العلماء، فيسمعون أشرطتهم، علمائنا الكبار هم الذين تُسمع أشرطتهم، ويقلّلون من سماع أشرطة الوعظ[2]، ويُعذرون، ولا يتعجّلون، ولا يتّهمون، ويلقون التهم هكذا[3]، والله أعلم». اهـ

بقدر الكدِّ تكتسب المعالي ... ومن طلب العلا سهر الليالي

تروم العزَّ ثم تنامُ ليلاً ... يغوص البحر من طلبَ اللآلي

(١) أليس صنيع مشهور هنا هو صنيع أصحاب بدعة الموازنات، والتي أنكرها أئمة العصر قاطبة؟!
والسؤال الآن: هل الحويني من الأئمة الكبار الذين صدرت منهم زلّات تغمر في بحار فضلهم وعلمهم؛ حتى يعتذر مشهور عنه، ويعدّد محاسنه، بعد أن أشار إلى ضلالة من أعظم ضلالاته، ألا وهي تكفير المصر على المعصية؟!
أم أن الحويني قد لحق بركب الوعّاظ باعتراف مشهور نفسه، أي أنه ليس من العلماء المعتبرين الذين يعتذَر لهم بنحو هذا ؟!

(٢) يا ليتك كنت اكتفيت بهذا القدر الأخير، لكان أنفع للمستمعين وأنفع لك عند الله من التمحل في الدفاع عمّن لا يستحق هذا؛ لأنه مبطل، ولا يرعوي أو يفيء إلى الحق رغم نصح الناصحين وزجر الزاجرين من أهل العلم الربانيين!.
ويا ليتك وجّهت هؤلاء أيضًا إلى سماع فتاوى العلماء الكبار في الحويني، لتكتمل النصيحة!.

(٣) مَن الذين يوجّه لهم هذا الكلام؟!
إن كان يوجّه إلى العلماء الذين حذّروا من الحويني بالبينة والبرهان، فهذا -والله- تنقص منهم وافتراء عليهم بما هم منه براء!.
وإن كان يوجه إلى الشباب الذي قبل كلام العلماء المؤيد بالبراهين في جرح الحويني جرحًا مفسَّرًا، فإنهم بهذا يكونوا أدوا ما عليهم، ولا يجوز لأحد أن يتهمهم بالعجلة أو بإلقاء التهم على الأبرياء!.
وإنك تلمح في هذا الكلام هذه القاعدة الباطلة التي تسمى بقاعدة المنار الذهبية، والتي وضع أصلها محمد رشيد رضا، ثم أشهرها وثبّتها: حسن البنا، وهي: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه، وصارت هذه القاعدة درعًا يحتمي تحته أهل البدع والأهواء، وبها تبطل شعيرة الإنكار عليهم بحجة الإعذار لهم.

وآخر ثناء من مشهور على الحويني، على حسب ما بلغنا كان في زيارة الحويني الأخيرة للأردن، حيث قال الشيخ مشهور في المجلس الذي جمعه بالحويني في هذه الرحلة:

«أول ما التقينا بأخينا فضيلة الشيخ أبي إسحاق -حفظه الله-، وعافاه وأطال في عمره، ويسّر له خدمة دينه، ونشر سنة نبيه ﷺ بعد منتصف الثمانينات، وأظن تحديدًا ٨٧، واستفادت الأمة من أسئلة الشيخ وتدقيقه في مشاكل والمسائل الدقيقة في علم الحديث، ومن حقّ أهل الأردن على الشيخ - كما أنه يعني استفاد من شيخنا في حياته، فمن حقّهم عليه- العودة المرة تلو المرة، وأن يستفيدوا منه الفوائد الجمّة والتقريرات التي استفادوها عبر الشاشة، أو عبر التقريرات العلمية في الكتب النافعة القيمة الطيبة»[1].

ومن علامة حب الله -عز وجل- للرجل: أن يضع له القبول، وقد وضع الله القبول لأخينا الشيخ أبي إسحاق بفضله سبحانه وتعالى، ولا ينسى أحد ممن يحب الشيخ -في أقاصي الدنيا ومغاربها-، لا ينسى أبدًا أبا إسحاق إذ ربط جلسات أبي إسحاق مع الشيخ ارتباطًا وثيقًا»[2].

---

(١) هل هذه التقريرات والفوائد الجمّة نصر بها الحويني معتقد ومنهج السلف الصالح؟ أم أن أبرز تقريراته -والتي اشتهرت بين محبيه وأثرت فيهم-، كانت نصرًا لمنهج السرورية القطبية، وإعزازًا لأهله، وبخسًا لحقّ علماء السُّنة حقًّا؟! ونخشى أن يقع عليه قول رسولنا ﷺ حينما قال: «إن لم تستح فاصنع ما شئت».

(٢) لا أدري لماذا هذا الإصرار على تضخيم شأن لقاءات الحويني مع الإمام الألباني؟!

وفي الجانب الآخر لا يذكرون مَن لازم الإمام الألباني سنوات في الجامعة الإسلامية وغيرها، وصار بعد وفاة الألباني -رحمه الله- من كبار علماء العصر، بل حمل منهج الألباني حقًّا وصدقًا لا ادّعاءً، وصار إمامًا في السُّنة مثل: الشيخ محمد بن عبد الوهاب البنا -رحمه الله-، والشيخ ربيع ابن هادي -حفظه الله-.

قال الشيخ حسن بن عبد الوهاب البنا -حفظه الله-: «كان الأشياخ: الألباني، ومحمد البنا، ورمضان أبو العز، يسكنون في بيوت متجاورة في المدينة، ويدرسون في الجامعة الإسلامية، ويطلبان العلم على الشيخ الألباني.

=

ولعل من أنفس تقريرات الشيخ التي قررها في أشرطته الأسئلة التي وجهها أخونا أبو إسحاق، وذلك عن معاناة، وعن قرب من علم الحديث الشريف[1].

ومن حقِّ أخينا الشيخ أبي إسحاق أن نزوره، وقد في الحقيقة في معرض القاهرة السابق جهدنا كثيرًا أنا وفضيلة الشيخ علي كنا حريصين كل الحرص أن نلتقي بأخينا الشيخ أبي إسحاق، وبعد سؤال واتصال وما شابه تبين أن الشيخ .... في صحته...، فدعونا له كثيرًا[2].

=

وكان الشيخ محمد البنا -رحمه الله- يجمع بين صفات طالب العلم السلفي والأخوة في الله والصداقة في الله لفضيلة الشيخ ناصر الدين الألباني.

وقد لازم الشيخ محمد البنا -رحمه الله- الإمام الألباني -رحمه الله- سنوات، وأخذ من علمه وخلقه، والكثير لا يعرف تلمذة الشيخ محمد البنا للألباني؛ لأنه كان لا يُحب الدعاية لنفسه خوفًا من الرياء والسمعة.

وبعد أن ترك الألباني الجامعة الإسلامية، كان إذا أتى للحج والعمرة، ينزل في ضيافة الشيخ محمد البنا في بيته في جدة، ويلقي المحاضرات في مسجده الذي بجوار بيته، وفي بيته أيضًا في أوقات مختلفة، وكان يجتمع عليه الجموع الغفيرة من طلبة العلم.

وكان الشيخ محمد البنا يؤازر الشيخ الألباني في دعوته في الجامعة ضد الخرافيين من الصوفية وغيرهم، وضد مزوِّري الحقائق من أهل الأهواء». اهـ

(١) هذه مبالغة ملحوظة، ومغالطة مكشوفة! ومَن يقرأ كتب الشيخ -رحمه الله-، ويسمع سلاسل دروسه العلمية، -دون لقاءات أبي إسحاق معه- يُدرك هذا بلا أدنى ريب!!.

(٢) كما قلت من قبل: أليس صنيع مشهور هنا هو صنيع أصحاب بدعة الموازنات، والتي أنكرها أئمة العصر قاطبة؟!

والسؤال الآن: ألم يعترف مشهور في كلامه السابق بوقوع الحويني في بدعة تكفير المصر على المعصية؟! وأن الحويني قد لحق بركب الوعَّاظ؟!

فمن كان هذا حاله -مع الطوام الأخرى التي عنده- أيُثنى عليه هذا الثناء المبالغ فيه، والذي لم يقل مشهور مثله أو قريب منه فيمن يستحقه من الأئمة المعاصرين؟!

أليس في هذا تغرير بالشباب والناشئة الذين لا دراية لهم كافية بأصول أهل السنة، ولا تمييز عندهم بين السلفي والمدعي السلفية، ولا بين العالم والواعظ؟!

وقد يرد مشهور قائلاً: إنما قلت له هذا الكلام من باب التشجيع والتحفيز له بأن يترك سبيل الوعَّاظ، ويعود إلى سبيل أهل العلم، الذي أظهر الانتساب إليه في أول أمره؟!

=

واللقاءات والتواصي بالحـقّ والتـواصي بالـصبر بلا شك من أسباب النجاة عند الله -سبحانه وتعالى-، فنحن قبل كوننا طلبة علم، ومع كوننا طلبة علم، وبعد كوننا طلبة علم؛ نحن طلبة نجاة عند الله -عزوجل-.

نحن نطلب العلم ونتعلم ونعلم من أجل أن ننجو عند الله سبحانه وتعالى، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر هو سمة الفائزين الناجين عند الله رب العالمين.

الكلام كثير، وفي الجعبة شيء ليس في الحقيقة -يعني- جاء من تراكمات السنوات، والغياب الطويل، ولا أريد أن آخذ الحديث في مجلسي، ولعلّ الله ييسر لقاءات عديدة قادمة، فأخونا الشيخ أبو إسحاق تكلم نيابة عن سائر إخوانه الموجودين والغائبين: أن مركز الإمام الألباني يدعوه لعقد دورة، وأخونا الدكتور باسم صاحب الدعوة هو الآن مدير المركز.

وتواصينا وتكلمنا كثيرًا في الحقيقة قبل قدوم الشيخ أبي إسحاق، نود أن يعقد المركز دورة علمية مميزة[1].

ولأخينا الشيخ أبي إسحاق حق عظيم علينا، وقد قصّرنا معه، فنرجوا منه العفو والمسامحة، ولكن حالت أشياء ما كنا نود أن تكون، وحالت بعض الترتيبات، وحرصنا من قبل قدوم الشيخ على المواصلة مع الشيخ، وأن نكون - يعني - نضع إخواننا وإمكاناتهم في خدمته على الوجه الذي يليق به، وكنا نود أن نكون معه من أول قدومه، ولكن الحمد لله «ما

=

فنقول: نحن لا نحجر باب النصيحة التي قد تؤدي إلى رجوع المخالف إلى الصواب، لكن مع مراعاة المصالح الأخرى والمنع من المفاسد التي قد أشرنا إليها في كلامنا السابق؟!

فكان على الشيخ مشهور -إن أراد نصح الحويني وتحفيزه على العودة إلى سبيل العلماء- أن يناصحه سرًّا، ولا بأس أن يترفق به في هذه المناصحة، لكن دون أن يغرَّه بنفسه بهذا الإطراء الذي قد يقطع عنقه، وفي الوقت نفسه لا يمدحه على الملأ بهذا الأسلوب الذي يغرِّر به السُّذَّج!

(١) بلا شك هذه الدورة العلمية -حتى تكون مميزة- فإنها لن تخلو من إظهار معتقد السلف ومنهجهم المباين لمعتقدات ومناهج الأحزاب البدعية المعاصرة، فكنا نقترح أن يُعرَض على الحويني شرح متن «أصول السنة» للإمام أحمد -رحمه الله-، على أن يفصّل القول في الأصول التي ثبتت عليه مخالفتها في مواضع أخرى؛ ليظهر للجميع موافقته من عدمها لهذه الأصول! وعلى أن يربط الشباب بفتاوى أئمة العصر في المسائل المدلهمة التي تمس هذه الأصول!

لا يدرك كلُّه لا يترك جلُّه» فيسِّر الله - سبحانه وتعالى - هذا اللقاء في نهايات المطاف، والخير في التالي، الخير في التالي ولله الحمد، والأعمال بالخواتيم، فالحمد لله -عزوجل- على ذلك[1].

وكثير من الأخوة يقول: ياليت أبو عبيدة يسكت حتى يتكلم الشيخ، فأكتفي بهذا المقدار لإفساح المجال لأخينا الشيخ أبي إسحاق بالكلام. اهـ

قلت: وقد صار كلام الشيخ علي حسن والشيخ مشهور حسن في تزكية أدعياء السلفية سلاحًا في أيدي العابثين من حدثاء الأسنان يطعنون به في أهل الحق، ومن هؤلاء

---

(١) ما زال الشيخ مشهور يفخِّم أمر الحويني، ويغلو في تعظيمه، ويتحدث عنه كأنه إمام يقتدىٰ به، فنقول للشيخ مشهور: مَن الأولىٰ أن تسخَّر له إمكانات مركز الألباني، ويُحرص علىٰ قدومه وعلىٰ اللقاء به: آلذي يخادن ويوالي الطاعنين في الألباني ويصفهم بأنهم نجوم الدعوة، أم الذي يذبُّ عن الألباني وعن عقيدته السلفية، ويحذِّر من الطاعنين في معتقده؟!

أمثل هذا الكلام يقال للحويني؟! أين جهود الحويني في الانتصار لعقيدة الألباني ومنهجه، حتىٰ يقال في حقِّه: «ولعلَّ أنفس تقريرات الشيخ التي قررها في أشرطته الأسئلة التي وجهها أخونا أبو إسحاق، وذلك عن معاناة، وعن قرب من علم الحديث الشريف»؟!

وهل يقاس المرء بمدىٰ علمه بعلوم الآلة، أم أنه يقاس بمدىٰ صحة معتقده ومنهجه؟!

أين تقريرات الألباني النفيسة في مئات المجالس الأخرىٰ -غير مجالس الحويني-، والتي قرَّر فيها أهم مسائل المعتقد والمنهج فيما يتعلَّق بتوحيد العبادة، والأسماء والصفات، وأبواب الإمامة وحقوق ولاة الأمر والجهاد والموقف من أهل البدع، والبراءة من الحزبية وأهلها، وترسيخ مبدأ الصبر علىٰ جور الولاة والانشغال بمنهج التصفية والتربية ..إلخ فيما نقلناه سابقًا؟!

أتجد شيئًا من هذه التقريرات النفيسة في مجالس الحويني مع الألباني؟!

والجواب: لا... ولا نتفة منها، إلا قليلاً؛ لأن الحويني ما حرص علىٰ إظهار هذه الجوانب من المعتقد، إنما كان له مآرب أخرىٰ.

وأما الذين ساروا علىٰ هذه التقريرات النفيسة للألباني، وانتصروا لها أيَّما انتصار في مؤلَّفاتهم ودروسهم، وباينوا أعداء الألباني الذين اتهموه بالإرجاء في حياته، فصاروا هم الأئمة حقًّا لا ادعاء بعد الإمام الألباني؛ فإنهم لا يستحقون أن تسخَّر لهم إمكانيات مركز الألباني ولا أن يحرص القائمون عليه علىٰ دعوتهم لعقد الدورات العلمية بالمركز، بل صارت إمكانيات المركز تسخَّر في التنقص منهم، وتأليف النشرات التي تزهد الشباب في علمهم حيث يغمزونهم بأنهم غلاة مفرِّقون حدادية ...إلخ! وإلىٰ الله المشتكىٰ من غربة الحق وأهله!!

هذا الفتى الجزائري صاحب مقالاته التالفة «كشف التعصُّب والمين ..دفاعًا عن شيخنا الحويني»، حيث قال في الحلقة الثالثة من هذه المقالات في الردّ عليّ: «أمّا الشّيخين الفاضلين محمّد حسّان ومحمّد يعقوب فهما من أسيادك في العلم والفضل والأدب، وإن قيل فيك وفيهم ما قيل، ولستَ أعرف بهم وبأصول البدع وبمعنى الحزبي والسّروري و(البطانة) من الشّيخ علي الحلبي والشّيخ مشهور حسن، ولو كنت أهلاً للأخذ لدخلت في قول مالك: «كلٌّ يؤخذ من قوله ويردّ»، ولست كذلك، وقول هذين العالمين في محمّد حسّان وإخوانه مقدّم على قولك بل هما كالسّيف والعصَا، ورحم الله امرءًا عرف قدر نفسه».

وقال: «قد نزل الشّيخ الحويني مؤخرًا ضيفًا على أهل الشّام وكان أن استقبله المشايخ هناك وهم يومها لا حزبيّين ولا مميّعين ولا مبتدعة، فكان استقبالهم إيّاه سببًا من أسباب تقلّب القلوب والأحكام».

قلت: اعلم -أيها الفتى المتعصِّب- أني لا أنقم على محمد حسَّان ومحمد يعقوب شيئًا إلا ما خالفَا فيه منهج سيد المرسلين والسلف الصالحين، فليس بيني وبينهما ثأر على مال أو أرض أو دم، ولا أغضب أن يكونَا أسيادي في العلم والفضل والأدب، لكن بحقٍّ، لا بدعوى مبطل مثلك ينطلق في دفاعه عن الرجال من عصبية عمية، فيكون حاله كحال البعير إذا تردى في البئر، وأراد أن ينزع بذنبه فلا يقدر على خلاصه؛ فيهلك، كما قال رسول الله ﷺ: **«مثل الذي يعين عشيرته على غير الحق مثل البعير، رُدِّيَ في بئر؛ فهو يَمُدُّ بذَنَبه»**، وفي رواية: **«من نَصَر قومه على غير الحق...»**[1].

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٩٣)، والبزار في مسنده (٥/ ٣٨١) من طريق محمد بن جعفر عن شعبة عن سماك قال سمعت عبد الرحمن بن عبد الله يحدث عن أبيه -أي ابن مسعود- مرفوعًا به، قال البزار: «وهذا الكلام لا نعلمه يروىٰ عن عبد الله إلا من هذا الوجه».

وأخرجه الطيالسي في مسنده (٣٤٢- ط هجر) ومن طريقه البيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ٢٣٤) من طريق شعبة وعمرو بن ثابت به، وقال الطيالسي: رفعه عمرو بن ثابت، ولم يرفعه شعبة.

وأخرجه ابن عدي في الكامل (٥/ ١٢١) من طريق عمرو بن ثابت به مرفوعًا.

وأخرجه أبو داود (٥١١٧) من طريق زهير بن معاوية عن سماك به موقوفًا.

وخالف زهيرًا ثقتان من أصحاب سماك، وهما: سفيان الثوري، وإسرائيل فروياه مرفوعًا، وقد =

يضاف شعبة إليهما، على حسب ظن غندر -وهو أثبت أصحاب شعبة-.

ويرجح الرفع أمران:

الأول: سماك قد تغير بأخرة، وكما قال يعقوب بن شيبة في ترجمة سماك: روايته عن عكرمة مضطربة، وهو في غير عكرمة صالح، ومن سمع منه قديمًا مثل شعبة وسفيان فحديثه عنه صحيح مستقيم.

وقد رواه عنه سفيان بالرفع جزمًا، وشعبة بالشك، فروايتهما المقدَّمة على رواية زهير.

الثاني: يؤكد الرفع أن سفيان رواه مطوَّلاً في قصة فيها زيادة.

وأخرج هذه الرواية: أحمد في مسنده (١/ ٤٠١)، وأبو يعلى في مسنده (٥٣٠٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٧٥)، وأبو نعيم في الحلية (٧/ ١٠٢) عن ابن مسعود قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو في قبة من أدم في نحو من أربعين رجلاً فقال: «إنكم مفتوح عليكم منصورون ومصيبون، فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر وليصل رحمه، ومن كذب علي متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار، ومثل الذي يعين قومه على غير الحق كمثل بعير في بئر فهو ينزع منها بذنبه».

ففي هذه الرواية زيادة حفظها سفيان عن بقية أصحاب سماك، وهي قول ابن مسعود: أتيت رسول الله ﷺ وهو في قبة من أدم...وهي تؤكد الرفع، وقد أخرج أبو داود في سننه (٥١١٨) هذا القدر فقط من هذه الرواية.

وأخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٩٤٢) من طريق سفيان مختصرًا دون القصة مقتصرًا على موضع الشاهد.

ويؤكد أيضًا الرفع أن الطيالسي روى هذه الرواية المطولة عن شعبة لكنها مقطعة إلى ثلاثة أحاديث، جزم فيها بالرفع في الروايتين برقم: ٣٣٥، ٣٤٠؛ والثالثة تقدمت.

وأخرج رواية إسرائيل: أحمد في مسنده (١/ ٤٤٩)، والهيثم بن كليب الشاشي في مسنده (٢٨٠-٢٨١)، وأبو محمد الفاكهي في فوائده (١٣٠)، وابن بشران في أماليه (٥١٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٢٣).

وتابع أيضًا الثوري وشعبة وعمرو بن ثابت على الرفع: حفص بن جميع، أخرجه الرامهرمزي في أمثال الحديث (٦٤) بلفظ: «مثل الذي يعين قومًا على الظلم مثل البعير الذي يتردى في الركي ينزع بذنبه».

قال أبو محمد الرامهرمزي: «الركي البئر الصغيرة تقول ركية وركي وركايا، وأحسب الركي بطرح الهاء في معنى الجميع، والنزع: قلعك الشيء من الشيء، وهذا مثل في ذمِّ الحمية والتعاون على العصبية، ومثّل بالبعير الذي يتردى في البئر فيحاول نجاة نفسه بهلاك بعضه، وكان هذا من شأن العرب ومذهبها».اهـ

وقال القاري في مرقاة المفاتيح (٨/ ٦٤٣)(١): «والمعنى: أن من نصر قومه على غير الحق فقد

ودعك من هذا البتر والإجمال في القول، وانزل -إن كنت محاربًا مقدامًا- إلى ميدان التفصيل، كي تثبت صدق دعواك، فإن الدعاوى تحتاج إلى بينات في إثباتِها.

فقد سردت للقارئ الفطن أمثلة يسيرة من بعض أقوال ومواقف الشيخين الفاضلين: محمد حسَّان، ومحمد يعقوب، واترك له الحكم في تحقيق مصداقية دعوى الفتى المتعصِّب من عدمها.

وما أشبه تمحل هذا الفتى في الدفاع عن ابن حسان، ومحمد يعقوب بتمحل تاج الدين السبكي في دفاعه عن الرازي والآمدي، وما أشبه طعنه فيَّ وفي مشايخي الكبار، بطعن السبكي في شيخه الذهبي وفي غيره من الأئمة، حيث قال السبكي في «طبقات الشافعية الكبرى» (١٤/٢) طاعنًا في الذهبي: «فإني أعتقد أن الرجل إذا مدَّ القلم لترجمة أحدهم -يقصد الأشاعرة والمتكلّمين- غضب غضبًا مفرطًا، ثم قرطم الكلام ومزّقه، وفعل من التعصُّب ما لا يخفى على ذي بصيرة، ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الألفاظ كما ينبغي، فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لِمَا نطق بها، ودائمًا أتعجب من ذكره الإمام فخر الدين الرازي في كتاب الميزان في الضعفاء، وكذلك السيف الآمدي، وأقول: يا لله العجب! هذان لا رواية لهما، ولا مدخل لهما في هذا الكتاب، ولا سمع من أحد أنه ضعفهما فيما ينقلانه من علومهما، فأي مدخل لهما في هذا الكتاب؟».

قلت: وما قاله السبكي في ذمِّ الذهبي هو الأحقُّ به، كما أن ما قاله الفتى العجول في ذمي هو الأحق به، وبرّأ الله الذهبي وأئمة السنة جميعًا من طعون السبكي، ومن طعون هذا الفتى الجزائري ومن يحرضه على غيِّه.

وأما قولك عن الشيخ علي الحلبي والشيخ مشهور: «وقول هذين العالمين في محمّد حسّان وإخوانه مقدَّم على قولك بل هما كالسّيف والعصا».

=

أوقع نفسه في تهلكة بتلك النُّصرة الباطلة، حيث أراد الرفعة بنصرة قومه، فوقع في حضيض بئر الإثم، وهلك كهلاك البعير. فلا تنفعه تلك النُّصرة كما لا ينفع البعير نزعه عن البئر بذَنَبه.

وقيل: شبَّه النبي ﷺ القوم ببعير هالك؛ لأن من كان على غير حق فهو هالك، وشبَّه ناصرهم بذنب هذا البعير. فكما أن نزعه بذنَبه لا يخلصه من الهَلَكة، كذلك هذا الناصر لا يخلصهم عن بئر الهلاك التي وقعوا فيها». اهـ

قلت: هذا حال المتعصِّبين للرجال الذين إذا أعوزتهم الحجة لجؤوا إلى الإجمال في القول مع التهويل، ثم التعلُّق بالرجال، تعلُّق الغريق بالقشة، وتعلُّق البعير -الساقط في البئر- بذنبه، وكما قال إمام السنة أحمد بن حنبل: من قلة فقه الرجل أن يقلِّد دينه الرجال.

فلو كان كلام العلماء في الجرح يؤخذ بدون تفسير، لكان أخذ قول الأعلم في هذا المجال هو المقدَّم عند كافة العقلاء.

وسأتنزل معك أنه حدث خلاف بين العلماء في شأن الحويني ومحمد حسَّان ومحمد يعقوب ...إلخ، فلننظر إلى المعدِّلين وإلى المجرِّحين، ونزن كلامهما بموازين العدل التي بيَّنها لنا أئمة الجرح والتعديل.

فمن المعدِّلين: الشيخ علي الحلبي والشيخ مشهور.

ومن المجرِّحين: الإمامين: مقبل بن هادي، وأحمد النجمي -رحمهما الله-، والإمامين: ربيع بن هادي، وعبيد الجابري -حفظهما الله-.

ومن المعلوم لدى صغار طلبة العلم فضلاً عن كبارهم البون الشاسع بين المذكورين من المجرِّحين والمعدِّلين في: السن والقدر والرسوخ في المنهج، وفي العلم -خاصة علم الجرح والتعديل-.

فلو كنا نتعلَّق بالرجال فقط، فمن الأولى أن نأخذ بكلام المجرِّحين لِمَا عُرفوا به من الخبرة والديانة والاستقامة والرسوخ في هذا العلم والتقدُّم فيه على المعدِّلين المذكورين، هذا العلم الذي لا يلجه إلا الفحول في العلم وفي الصدع بالحق دون محاباة أو مداهنة.

فأما الشيخ مشهور، فإنه وإن تميز في باب التحقيق والتدقيق لكتب التراث، وصار له باعًا في هذا الشأن لا ينكره منصف، إلا أن انشغاله بهذا الأمر صرف اهتمامه عن الاعتناء بدراسة أحوال الرجال والأحزاب في زماننا المعاصر، ولا تعرَف له جهود بارزة في هذا الباب، مثلما عُرف للأكابر المذكورين: مقبل والنجمي وربيع والجابري.

ومن ثَمَّ قد يحدث عنده خلل في حكمه على بعض الرجال، فلا يعتمد على قوله وحده إذا انفرد بحكم عن سائر أهل هذا الشأن، فكيف إذا كان تفرده مبنيًا على مناقضة الأدلة بلا برهان.

وأما الشيخ علي الحلبي، فقد تقدَّم قول الشيخين: ربيع بن هادي المدخلي، وعبيد الجابري فيه، وأنه يزكي مَن لا يستحق التزكية، وتقدمت الإشارة إلى بعض الردود العلمية عليه، بالإضافة إلى ما ذكرته من إشارات سريعة إلى عدم صحة بعض ادِّعاءاته، وبمجموع هذا يدرك القارئ اللَّبيب أن الشيخ عليًا ليس من المتثبتين في هذا الباب.

ولو سلَّمنا تنزلاً استواء المجرِّحين والمعدِّلين في المرتبة العلمية وفي الخبرة في هذا المجال، فإن التعديل لا يقدَّم على الجرح المفسَّر المؤيد بالبراهين والأدلة، وهذه إحدى القواعد المعروفة عند صغار الطلبة في هذا العلم، فما بال الفتى العجول ومن يطأ عقبه من المحرِّضين له على هذا الرد الهزيل يجهلون -أو يتجاهلون- هذه القاعدة المحكمة؟!

ثم قال صاحب المين معقِّبًا على كلامه السابق: «وأنتم اليوم تعتدون بشراسة على الشّيخ علي الحلبي والشّيخ مشهور حسن بتهمة التّمييع الإخوانيّة ومخالفة (منهج السّلف) وممّا صرتم تنقمونه عليهم موقفهم من الحويني، فبالله عليكم أعطونا تعريفًا واضحًا لقواعدكم السّلفيّة المزعومة حتّى نستطيع أن نتقيّد بها فإنّنا نراكم تسيرون مع قوم على منهج:

نعادي الذي عادى من النّاس كلّهم ... بـ(جرح) و لو كان الحبيب المواتيا

و تسيرون مع قوم آخرين على منهج:

خليليّ ما واف بعهدي أنتما ... إذا لم تكونا لي على من أقاطع

و هذا طريق لا يفرح به طالب حقّ ولا يطمئنّ إليه صاحب صدق». اهـ

قلت: صدقت إن كان الطريق بهذه الصفة فإنه لا يفرح به طالب حقّ ولا يطمئنّ إليه صاحب صدق.

لكن .. حنانيك.. فإن طريق مَن تعنيهم بهذا التنقص هو طريق أئمة الجرح والتعديل من السلف الصالح، ولم يحيدوا عنه -إن شاء الله- قيد أنملة، إلا ما كان من الزلل والخطأ الذي لا يخلو منه بشر، دون أن يخرجوا عن جادة الطريق[1].

---

(١) وإذا بُيِّن لهم الحق فهم يرحبون به.

ولكن أمثالك من أصحاب الأهواء هم الذين يسعون لتشويه صورة هذا الطريق المعبَّد الممهد؛ كي يظهروه في صورة طريق معوَّج لا نهاية له، وهذا من باب التمويه وتلبيس الحق بالباطل، كحال الذين قالوا عن محمد -صلى الله عليه وآله وسلم-: مُذمَّمًا، كما قال رسول الله ﷺ: **«ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش ولعنهم؟! يشتمون مُذمَّمًا ويلعنون مُذمَّمًا، وأنا محمد»**.

وكذلك هؤلاء يشتمون أئمة الهدى في هذا الزمان نحو: ربيع بن هادي، وأحمد النجمي، وزيد المدخلي، وعبيد الجابري ...إلخ، ويذمونهم، بأنهم دعاة إقصاء وفرقة، وأنهم يعادون الناس كلهم، وأنهم مخابرات، وأنهم حمقى، وأنهم.. وأنهم ..، وإنما هم أئمة هدى، وبهذا يصرف الله سبحانه شتم هؤلاء الجهال عن أئمة الهدى.

وكان المشركون يلقبونه ﷺ في جاهليتهم بـ«الصادق الأمين»، فلَمَّا بيَّن لهم طريق الحق -الذي يشوِّهه هذا الفتى المفتون بهذه الأساليب الإبليسية-، ولم يواف كلامه -صلى الله عليه وآله وسلم- قلبًا مواتيًا، استبدلوا قولهم عنه: «الصادق الأمين» بـ«ساحر أو كاهن أو مجنون»، كلّ هذا قلبًا للحقائق وتشويهًا لهذا السبيل القويم.

وكذلك طلبة هؤلاء الأئمة فإنهم يسيرون على سبيل شيوخهم دون تعصُّب أو إحداث أو انحراف، متحلين -إن شاء الله- بما تعلَّموه من شيوخهم من أدب وحياء وسكينة وحرص على نُصرة الحق، وانشغال بما ينفعهم في الدين والدنيا، ونبذ الأخلاق الذميمة[1].

---

(١) وبسبب تضليل هؤلاء المبتدعة للعامة، كانوا يسيئون الظن بالعلماء السلفيين وبطلبتهم، فلمَّا يتداخل هذا المخدوع مع هؤلاء العلماء أو الطلبة ويرى حقيقة ما هم عليه، يعجب من تدليس هؤلاء وكذبهم.

وأذكر على سبيل المثال: أن أحد إخواننا من الجزائر دعا أحد هؤلاء المخدوعين أن يمكث معه يومًا أو يومين عندنا، فحضر لي خطبة جمعة في سلسلة «التفقه والتدبر في آيات الكتاب»، ودرسًا في شرح عمدة الأحكام، وتداخل مع الطلبة عندي، فوجد منهم -بفضل الله- علمًا وأدبًا -ولا نزكيهم على الله-، فقال لصاحبه الجزائري متعجبًا: لقد صوَّروا لي أبا عبدالأعلى بخلاف ما رأيته منه تَمامًا، فكأنهم كانوا يحدثونني عن شخص آخر؛ حيث صوَّروا لي أنه لا همَّ له إلا نهش لحوم

وأما إذا أردت أن تطلع على مساوئ الأخلاق، وعلى السب والشتم والقذف وانتهاك أعراض الأبرياء من صفوة العلماء وطلبة العلم دون حياء، فادخل على منتديات هؤلاء الحزبيين.

ولكن هذا الفتى العجول [ادعى دعاوى لم يضبط أكثرها، ولا عرف وجوه التصرف فيها، وتساخف في حكايات أوردها، وروايات أسندها إلى رجال له، مِمَّن لا يعدُّ كلامه من عمله، ولا له واعظ يزجره من نفسه، ولو أنصف لأيقن أن الغامز على حزبه أكثر، والخلاف الواقع بين كبراء أهل مقالته أوسع، وما يلحق به وبهم من أنواع الشناعة أعظم، ولقاده الإنصاف إلى أن يحكم على نفسه بمثل ما حكم به على خصمه ...

وجدير أن يعقل اللسان عن الخطل، ويقرن العلم بصالح العمل، من كان ذا فهم ثاقب، ولسان بيِّن؛ ليكون العمل داعيًا، والعلم هاديًا، واللِّسان معبرًا][1].

وأنا أسألك -أيها الفتى العجول-: ألا توافقني أنه قد يدخل رجل كافر في الإسلام ويحسُن إسلامه، ثم يقلِّب مقلب القلوب قلبه؛ فيتحول إلى الكفر مرة أخرى، فإذا حكمنا عليه بالكفر بعد إسلامه، هل يكون العيب فينا أم فيه إن كنتم تعقلون؟ فإذا تكرَّر هذا الأمر من أكثر من واحد، كما حدث في حروب الردة في زمن أبي بكر -رضي الله عنه-، مِمَّا اضطر أبا بكر إلى قتالهم، هل يقال لأبي بكر: أعطنا تعريفًا واضحًا لقواعدك السّلفيّة المزعومة حتى نستطيع أن نتقيّد بها فإنّنا نراك تسير مع قوم على منهج:

نعادي الذي عادى من النّاس كلّهم ... بـ(جرح) ولو كان الحبيب المواتيا

=

الآخرين، والطعن فيهم بحقٍّ أو بباطل، وأن الطلبة عنده لا همَّ لهم إلا القيل والقال والغيبة والنميمة ...إلخ.

فلمَّا رأى حقيقة دعوتنا على أرض الواقع -كما يقال-، ثم بُيِّن له شيء من حقائق الأحزاب البدعية، ورءوسها نحو سيد قطب، ازداد يقينًا بتدليس هؤلاء وخداعهم، وأنهم يفترون على أهل العلم، ويخفون الحقائق التي تخالف أهواءهم.

(١) ما بين المعكوفتين منقول من «المحدث الفاصل» (ص٣١٠-٣١١).

وكذلك قد يوجد داعية على السنة والسلفية، ثم يقلِّب مقلب القلوب قلبه؛ فيتحول إلى البدعة، فإذا حكمنا عليه بالبدعة، هل يكون العيب فينا أم فيه إن كنتم تعقلون؟! فإذا تكرَّر هذا من أكثر من واحد، فحكم أهل العلم عليهم بما يستحقونه نصحًا للمسلمين وتحذيرًا من فتنتهم، هل يقال لهؤلاء العلماء: أعطونا تعريفًا واضحًا لقواعدكم السلفية المزعومة؟! أم أن هذا السائل حاله كحال من ذكرهم الله سبحانه عنهم في قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾ [محمد:١٦].

أو كحال شيوخ القمراء، حيث قال أبو محمد الرامهرمزي في كتابه «المحدِّث الفاصل» (ص٣٠٦) (٢٠٤): حدثني سهل بن إسماعيل ثنا محمد بن عقبة الشيباني ثنا هارون ابن حاتم، ثنا عثَّام بن علي: قال سمعت الأعمش يقول: إذا رأيت الشيخ ولم يكتب الحديث فاصفعه، فإنه من شيوخ القمراء، قلت لابن عقبة: ما معنى شيوخ القمراء؟ قال: شيوخ دهريون يجتمعون في ليالي القمر، فيتحدثون بأيام الخلفاء، ولا يحسن أحدهم أن يتوضأ للصلاة.

ولو كنت أسير على سبيله المعوَّج في الإلزام بإلزامات شنيعة، لألزمته بإلزام من أشنع ما يكون، ولا يستطيع أن يخرج منه بحال، وهو أن يقال له: لقد حذَّر ربنا سبحانه في عديد من آيات كتابه من نماذج عديدة من الكافرين والمنافقين، بل بيَّن سبحانه ضلال طوائف عديدة من البشر، فقال: ﴿ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال -عز وجل-: ﴿ وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [يوسف:١٠٣]، وقال -عز وجل-: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف:١٠٦].

فهل يقال في حق الملك العليم القدير سبحانه أنه جرح أغلب البشرية ...إلخ الهراء الذي لا يقوله مسلم البتَّة في حق الله -عز وجل-، تعالى الله سبحانه وتقدس عن مقالات أهل الأهواء؟!

وأقول لهذا الحيران: إن أردت أن تعرف القواعد السلفية حتى تتقيَّد بها، فأنصحك نصيحة صادق أمين أن تدرس كتب العقيدة السلفية على أيدي العلماء السلفيين الصادقين،

نحو أصول السنة للإمام أحمد، وشرح السنة للبربهاري، وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني، والإبانتين لابن بطة ...إلخ.

لكن للأسف لن تجد شرحًا لأحد مشايخك من القصّاص على هذه الكتب؛ لأنهم لا يعتنون بربط طلبتهم بها، أو دلالتهم عليها، إلا ذرًّا للرَّماد في العيون.

ولعلَّ هذا هو سبب جهلك بهذه القواعد السلفية، واستهجانك إياها!

وإن كان تغيُّر علي الحلبي فتنة، فبالأمس القريب كانت الفتنة الأشد في شأن فالح الحربي، حيث كان من قبل يُظهِر السير في ركب العلماء، ومن ثَمَّ نال منهم التزكية والثناء، ثُمَّ لما حوَّل مساره إلى ركب الحدادية، ما وسع العلماء إلاَّ الإلغاء لهذا الثناء، والتحذير من فتنته العمياء، فبات بعض الشباب -أمثال الفتى الجزائري المفتون- يدوكون في ظلمات الحيرة والشك، وقالوا: لقد سئمنا من هذا المنهج -منهج الإقصاء-: اليوم تزكيات وثناء، وغدًا لا شيء!!

وقالوا: هذا المنهج -منهج الإقصاء- وَلَج فيه الشيخ ربيع، والشيخ النجمي، والشيخ زيد، والشيخ عبيد، والشيخ محمد بن هادي، والشيخ فالح، ولكن الآن غيَّروا، وبقي فالح فنُسِب إليه كل شيء، وهذا بشهادة علماء آخرين[1]؟

---

(١) قال الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار -حفظه الله-: «إن تغيير الأقوال والشهادات والتزكيات أمرٌ متقرر شرعًا وعقلاً، بل قد يكون واجبًا وحتمًا؛ فإن التزكيات والشهادات والأقوال في الناس تبنى على ظاهر حالهم، والشرع يأمر أن يُوزن الناس ويعاملوا على ظاهر حالهم وأمرهم، ويمنع من أن يُتعامل معهم على لوازم أفعالهم وأقوالهم وظواهرهم، وأعظم دليل على هذا صنيع نبينا ﷺ مع المنافقين الذين كان يعلم نفاقهم، فالشاهد أن ظاهر المرء يتغير من حال إلى حال؛ لذلك وجب ولزم أن يتغير القول فيه بحسب حاله، وتدبر حديث النبي ﷺ: «يُصبح الرجل مؤمنًا ويُمسي كافرًا...»، فهل يُراد مِمَّن أثنى على أحد أن يبقى على ثنائه له وإن تغيَّر حاله؟! حفاظًا على شهادته السابقة؟ وحتى لا يُقال عنه أنه متقلِّب متغيِّر في منهجه ومتناقض في شهادته من مثل هؤلاء الأصاغر؟ ثم يستنكر عليه بقوله إن هذا تذبذب من العالم؟ ثم يزيد من قُبح موقفه فيتساءل ما هي قواعدكم السلفية حتى نتقيد بها؟ أو ما علم أن تغيير الأقوال فيمن تغيَّر حاله واجبٌ شرعًا وعقلاً؟ وأن قاعدتهم أن الرجال إنما يُعرفون بالحق، فمن قال ولزم الحق يمدح، وإن تغيَّر وتبدَّل يُنصح، فإن استمرَّ وأصرَّ يُذمّ ويُحذر منه، وقواعدهم في هذا:

=

وإذ بهم يقولون بلسان حالهم: ﴿مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١٢]، وزاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وصاروا يظنون بالله الظنونَا.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:١١].

○ فأقول لهذا الشباب الحائر:

لا شك أن الأمر فتنة، ولكن هذه هي سنة الله في عباده، أن يبتلي بعضهم ببعض ليميز الخبيث من الطيب، وليحيى من حي عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة، فإن أردنا دنيا بلا فتنة فقد رُمنا جنة في الحياة الدنيا، وهذا خلاف سنة الله -عز وجل-؛ فالراحة هناك في دار القرار.

=

القاعدة الأولى: حديث: «**الدين النصيحة....**»، وعموم النصوص التي توجب النصح والتناصح.
وذلك نصح منهم لدين الله ولكتابه ولرسوله وسنته وهديه، ونصح لعامة أهل الإسلام تحذيرًا، ولعدم الاغترار بأخطاء مَنْ مدحوه وأثنوا عليه قديمًا؛ لأن العامة إنما يعرفون الحق بالرجال والأسماء وعن طريق الفضائيات وغيرها، ثم نصح منهم للمتغير نفسه ردعًا وزجرًا عن مخالفاته وبدعته.
القاعدة الثانية: نصوص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:
فإن من الواجب على كل مسلم، والوجوب يتأكد في حق طُلاَّب العلم والعلماء إن رأوا منكرًا أن يُنكروه، ويبيِّنوه، ويُحذروا الناس منه، وكلَّما كانت المنكرات أعظم خطرًا أو أثرًا، تأكد الواجب أيضًا، كيف والمنكر هُنا عظيم من جهة أن أهله يرفعون شعار السلفية ويدَّعونها ويتكلَّمون باسمها، على الرغم من مخالفاتهم العظيمة لأصول السلفية ومناهجها وقواعدها وأهلها.
القاعدة الثالثة: نصوص الولاء والبراء، والحب في الله والبغض في الله.
التي توجب كذلك بعد النصح والأمر والنهي والتحذير، إعلان ذلك تحقيقًا للولاء والبراء وإظهار الحب في الله والبغض في الله، وإن اقتضى الأمر والإعلان تغيير الأقوال والشهادات القديمة فيمن مدحوه وأثنوا عليه قديمًا، فإن الواجبَ كما تقرر يوجب تغيير التزكيات متى تغير حال الممدوح وإن كان أخًا وشقيقًا، أو كان حبيبًا وقريبًا قبل ذلك، فإن دين الله أعظم وأحب إلى أهل الحق من كل أحد كائنًا من كان.
وأذكِّر هنا ذاك المتعجل وأمثاله أن يتدبروا قول الإمام التابعي الجليل إمام أهل السُّنة في زمن التابعين، أعني قول الحسن البصري في عمرو بن عبيد ليعلموا القواعد والمناهج السلفية.
والله أسأل أن يهدي قلبه، وغيره، ليلتزمها ويقف عندها ولا يتجاوزها، فضلاً عن أن ينتقدها ويسخر منها ومن أهلها!!». اهـ

والعباد مستريح ومستراح منه، كما ثبت في الصحيحين عن أبي قتادة بن ربعي الأنصاري -رضي الله عنه- أنه كان يحدِّث أن رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- مُرَّ عليه بجنازة فقال: «مستريح ومستراح منه»، قالوا يا رسول الله: ما المستريح والمستراح منه؟ قال: «العبد المؤمن يستريح من نصب الدنيا وأذاها إلى رحمة الله، والعبد الفاجر يستريح منه العباد والبلاد والشجر والدواب».

وإني أنصح هؤلاء الشباب أن يصدقوا مع أنفسهم في إجابة هذه الأسئلة حتى نقف على موطن الداء:

أولاً: هل درستم شيئًا من كتب العقيدة السلفية على أيدي العلماء الكبار دراسة المتأني الحريص على الفهم والعلم؟ هل درستم كتب: الأصول الثلاثة، والتوحيد، والقواعد الأربع، والأصول الستة، وأصول السُّنة للإمام أحمد، والواسطية، والطحاوية، والسنة لعبد الله بن أحمد، والسنة للبربهاري، والسنة لابن أبي عاصم، والسنة للخلال، والشريعة للآجري، وغيرها من كتب الاعتقاد؟ هل استمعتم لشروحات ابن باز وابن عثيمين والفوزان والنجمي والعباد وربيع وغيرهم من الأعلام على بعض هذه الكتب؟

ثانيًا: هل درستم شيئًا من الكتب التي أُلِّفت في بيان الأصول السلفية في الرد على المخالف، والتحذير من أهل البدع والأهواء، والتي كان من أعظمها وأجمعها في زماننا ما ألَّفه فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي المدخلي حفظه الله؟

ثالثًا: هل تفقهون لم حذَّر العلماء من فالح، ومن غيره -مِمَّن كانوا على المنهج السلفي- بعد أن كانوا يثنون عليهم بالأمس القريب؟

وإني أستأذنكم أن أجيب عنكم، لأن الإجابة ظاهرة لائحة لكل مستبصر:

أما عن السؤال الأول: فالظاهر أنكم ما نلتم الحظ الوافر من دراسة الكتب المذكورة، ولذا صرتم في هذه الحيرة والشك والريبة، والتي لا يقع فيها إلا ضعيف العلم، وضعيف الإيمان، الذي لم ترسخ قدمه في فقه العقيدة السلفية.

وكذلك أقول في إجابة السؤال الثاني: حيث إنكم لو كنتم درستم القواعد السلفية في

الرد على المخالف، ما سئمتم من كثرة الردود على المخالفين، ولأدركتم أن هذا أصل عظيم من أصول المنهج الحق، به تحفظ بقية الأصول، وعن طريقه ندرك السني السلفي من المبتدع المحدث.

فهل سئمتم من المنهج السلفي أم ماذا إن كنتم تعقلون؟!!

فإن قلتم: وهل فرض علينا دراسة هذه الكتب؟

قلت: وهل فرض عليكم إصدار الأحكام على العلماء وطلبة العلم بلا علم؟!!

وإن قلتم: لكن هل هذه الأصول السلفية تبيح هذه الفوضى في إعلاء أناس في السماء العلياء ثم إسقاطهم في غمضة عين إلى أسفل سافلين؟!!

قلت: هذه مبالغة منكم أوتيتم فيها من جهلكم أولاً: بهذه الأصول، وثانيًا: بحقيقة الأمور التي حدثت، ويأتيكم مزيد من التفصيل في إجابة السؤال الثالث، وهي كالتالي:

إنكم تقيسون الأمور بمقياس عاطفي، ومن ثَمَّ تظنون أن تحذير العلماء من فالح الحربي أو أبي الحسن أو عدنان عرعور أو سفر الحوالي، أو سلمان، أو الحويني ...إلخ، نابعٌ من عوامل نفسية ومصالح شخصية، وتخيلتم بخيالاتكم الفاسدة أن المنهج السلفي هو أرض مملوكة للعلماء يُدخلون في ملكهم من يشاءون ممن يحبون بأهوائهم، ويخرجون منها من يشاءون مِمَّن يكرهون هكذا بلا ضابط ولا رابط.

وإني أكاد أجزم أن هؤلاء الحائرين ما قرءوا شيئًا من ردود العلماء على المذكورين، وما فقهوا شيئًا منها، ولكنهم صيَّروا آذانهم مصائد للشبهات من هنا ومن هناك، وحجبوا أعينهم عن النظر بتدبر فيما سطره العلماء من سطور مضيئة بنور الأدلة.

إخواني -بارك الله فيكم- إن المشايخ: ربيع بن هادي، وأحمد النجمي، وزيد المدخلي، وعبيد الجابري، ومحمد بن هادي ليسوا أصحاب منهج منفصل عن المشايخ: الفوزان، والعبَّاد، والراجحي، وعبد العزيز آل الشيخ، وصالح آل الشيخ، وغيرهم من أعلام الهدى.

لكن قد يكون اشتغال المذكورين -أولاً- بعلم الجرح والتعديل أكثر من المذكورين -ثانيًا- هو السبب الذي جعلهم -كما يقال- في المواجهة، فظنَّ من لا فقه عنده، أنهم متفردون بهذا المنهج، وقال بجهله: لو كانوا على حقٍّ، لشاركهم في طريقتهم المذكورون ثانيًا؟

وفي كل زمان كان يشتغل طائفة من أهل العلم بهذا العلم الجليل: الجرح والتعديل، دون آخرين من أهل العلم، فما عاب هؤلاء على هؤلاء، ولا هؤلاء على هؤلاء.

إخواني، في زمن الإمام أحمد كان يوجد عشرات من أعلام الهدى، لكن ما السبب الذي رفع أحمد فوقهم حتى صار هو إمام السنة؟ السبب: ذبُّه العظيم عن أصل من أصول الاعتقاد، ثم تحذيره من كل من يخالف هذا الأصل ويلج مع أصحابه.

فلم يَسلم من حُسام أحمد جماعة من كبار العلماء مِمَّن أجاب في محنة خلق القرآن خوفًا من التعذيب، ومنهم رفيق رحلته وقرينه يحيى بن معين، وعلي بن الجعد، وسعدويه، وعبيد الله بن عمر القواريري، وعلي بن المديني، وأبو خيثمة زهير بن حرب، وأبو نصر التمَّار، وآخرون ذكرهم ابن الجوزي في مناقب أحمد (ص٥١٩).

وذكر ابن الجوزي في المناقب (ص٥٢٣): أن أبا خيثمة جاء فطرق على أحمد الباب، فلما خرج فرآه أغلق الباب ورجع مغضبًا يتكلَّم هو ونفسه بكلمات سمعها أبو خيثمة فلم يعد إليه، وعاده يحيى بن معين في مرضه، فولاَّه ظهره وأمسك عن كلامه حتى قام عنه وهو يتأفف، ويقول: بعد الصحبة الطويلة لا أُكلَّم.

ولم يعتبر أحمد لهم عذرًا، فهل قال منصف: إن أحمد قد أتى بمنهج غريب شديد خالف به علماء عصره؟!!

وهل يقال إن أحمد استخدم منهج الإقصاء مع رفيق رحلته، فبعد أن كان عنده إمامًا مقدَّمًا، يقصيه ويحذِّر منه؟!!

وهل يقال لأحمد: أعطنا تعريفًا واضحًا لقواعدك السَّلفيَّة المزعومة حتى نستطيع أن نتقيَّد بها؟!!

وهل يقال: إن أحمد صاحب غلو في الجرح؛ لأنه لم يلتمس لهؤلاء الأعلام عذرًا، ولكن الأمر كما قال ابن الجوزي في المناقب (ص٥٢٥): «فإن قال قائل: إذا ثبت أن القوم أجابوا مُكرهين فقد استعملوا الجائز، فلِمَ هجرهم أحمد؟ فالجواب من ثلاثة أوجه:

أحدها: أن القوم تُوعِّدوا ولم يضربوا فأجابوا، والتوعُّد ليس بإكراه...

والثاني: أنه هجرهم على وجه التأديب ليعلم العوام تعظيم القول الذي أجابوا عليه؛ فيكون ذلك حفظًا لهم من الزيغ.

والثالث: أن معظم القوم لما أجابوا قبلوا الأموال وترددوا إلى القوم وتقربوا إليهم، ففعلوا ما لا يجوز؛ فلهذا استحقوا الذمَّ والهجر». اهـ

قلت: وثبت مع أحمد في محنته: أحمد بن نصر الخزاعي، ومحمد بن نوح، ونُعَيم ابن حمّاد، وأبو نعيم الفضل بن دُكَيْن، ويحيى الحِماني، وغيرهم.

فهل يقال: فهل يقال إن أحمد ومَنْ ثبت معه قد غلوا في إحقاق الحق وأنهم يسيرون على منهج قوم آخرين:

خليليّ ما واف بعهدي أنتما ... إذا لم تكونَا لي على من أقاطع

فهناك من قَسَّم علماء أهل السنة المعاصرين إلى ثلاثة أقسام: قسم مغالي في إحقاق الحق، وقسم مفرِّط، وقسم وسط، وهو تقسيم باطل مبني على الرأي والهوى.

فالعالم الذي يتكلَّم في مخالف بالدليل والبرهان لا يقال عنه: إنه غالى في إحقاق الحق؛ فمن وافق الحق لا يوصف بالغلو!!

ولَمّا يكون هذا العالم من المشهود لهم بالعلم وصحة المنهج، وأنه صاحب قدم ثابتة في علم الجرح والتعديل ثم أخطأ في الحكم على شخص، فلا يجوز أن يُتَّهم بالغلو لمجرد خطئه.

وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١٩٣/٧): نا مسلم بن الحجاج النيسابوري قال حدثني إسحاق بن راهويه قال نا يحيى بن آدم قال نا بن إدريس قال: كنت عند مالك ابن أنس وقال له رجل: يا أبا عبد الله، إني كنت بالري عند أبي عبيد الله وثَمَّ محمد بن إسحاق فقال محمد بن إسحاق: اعرضوا عليَّ علم مالك فإني أنا بيطاره؛ فقال مالك: دجال من الدجاجلة؛ يقول: اعرضوا عليَّ علمي.

فلم يصف أحد من العلماء مالكًا بأنه من أهل الغلو في الجرح، وإن كان لم يصب الحق في هذه الكلمة الشديدة في ابن إسحاق، اللهم إلا ما قاله الخطيب في تاريخ بغداد (٢٢٣/١): «قد ذكر بعض العلماء أن مالكًا عابه جماعة من أهل العلم في زمانه بإطلاق لسانه في

قوم معروفين بالصلاح والديانة والثقة والأمانة»، فرد عليه الذهبي في السير (٣٨/٧): «كلا ما عابهم إلا وهم عنده بخلاف ذلك، وهو مثاب على ذلك، وإن أخطأ اجتهاده رحمة الله عليه».

قلت: وذلك لأن مالكًا كان من أهل الاجتهاد ومن أئمة السنة.

وكذا إذا تكلَّم النجمي أو ربيع أو زيد أو غيرهم من أئمة الجرح والتعديل في هذا الزمان في فلان أو علان، فإنهم أصابوا أم أخطؤوا، فهم إن شاء الله مثابون على اجتهادهم، ولا يجوز تنقصهم، أو وصفهم بالغلو أو أن يقال: لقد زهدنا في كلامهم لكثرة كلامهم في الرجال، أو إنهم يتحكمون في بوابة السلفية، أو إنه لا قواعد مضبوطة عندهم، أو..... إلخ.

والعلماء إن تكلَّموا في طالب علم سلفي، لا يكون مرادهم الأول إسقاطه كما تظنون، فما هي الفائدة التي تعود عليهم من إسقاطه؟! إنما قصدهم -كما هو قصد أئمة الجرح والتعديل على مر الأزمان- النصح للأمة، وحفظها من البدع والأهواء.

وهذا ابن تيمية يُرفع على سائر علماء عصره بكثرة ردوده على المخالفين، وتحذيره منهم بأسمائهم، مما جعل الكُلَّ يرميه عن قوس واحدة، حتى كان بعض أتباعه وتلاميذه يتخفَّون من الناس، ويخفون انتسابهم إلى منهج ابن تيمية حتى لا يُنكَّل بهم.

فهل يقال إن ابن تيمية وابن القيم وابن عبد الهادي قد أتوا بمنهج جديد غريب خالفوا به علماء عصرهم؟!! أو يقال إنهم قد غالوا في إحقاق الحق، وفرَّطوا في رحمة الخلق.

وهذا الأمير الصنعاني يظهر في بيئة من الزيدية المتعصِّبة فيجهر بكلمة السنة، ويحذِّر ممَّن يخالفها، وفي زمانه أيضًا علماء كبار، لكنهم لم يقوموا بما قام به الصنعاني من الصدع بكلمة الحق، ومن التحذير من مخالفي السنة، وتفنيد شبهاتهم والرد عليها، لذا لم يُحارَب هؤلاء العلماء مثلما حورب الصنعاني.

وأما عن قولكم: إن هذا المنهج -منهج الإقصاء- وَلَج فيه الشيخ ربيع، والشيخ النجمي، والشيخ زيد، والشيخ عبيد، والشيخ محمد بن هادي، والشيخ فالح، ولكن الآن غيَّروا، وبقي فالح فنُسِب إليه كل شيء، وهذا بشهادة علماء آخرين؟

فأقول: هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين؟!!

إن هؤلاء العلماء الأفاضل ما تكلَّموا في أحد إلا ببينة وبرهان؛ فها هي ردودهم على سلمان وسفر وعائض ثم المغراوي ثم أبي الحسن المصري؟ ثم فالح؟ هاتوا لنا دليلاً واضحًا أنهم افتروا عليهم؟ أو أنهم على زعمكم قد قاموا بإقصائهم عن المنهج السلفي هكذا بدون أسباب أو اتباعًا للهوى؟

ثم العلماء الآخرون الذين سكتوا عن هؤلاء، هل كان سكوتهم في حد ذاته حجة، يتهم بها الآخرون الذين تكلَّموا بأنهم على منهج مغالي في الجرح؟

وقد تقدَّم الاستئناس بمحنة أحمد وانقسام العلماء في عصره على النحو الذي بيناه.

والذي يتهم هؤلاء العلماء بأنهم كانوا موافقين لفالح فيما هو عليه الآن ثم غيَّروا وتركوه وحده، فنُسب إليه كلُّ شيء، يحتاج في تثبيت دعواه إلى بينات واضحات حتى يقبل قوله، والحق أحقُّ أن يتبع.

وأما عن قولكم: إن العلماء متذبذبون، ففي الأمس القريب يقولون عن فالح إنه إمامٌ في السنة، ثم اليوم يقولون: هو من أعدى أعداء السنة؟

فأقول: -بارك الله فيكم- العلماء ليسوا بأنبياء، ولا اطلاع لهم على الغيب، فهم يثنون على فلان أو يجرحونه على حسب ما يظهر لهم من حاله، فإذا كان في وقت ما ناصرًا للسنة، وظهرت له جهود واضحة في الذبِّ عن أهلها، فإنهم يثنون عليه، ويرفعونه إلى المرتبة التي يستحقها على حسب اجتهادهم؛ ثم إذا بدَّل وغيَّر، وتحول إلى الجانب الآخر وأبى قبول النصح؛ فلا يسعهم إلا التحذير منه بعد أن كانوا يثنون عليه.

وكان أحمد، وابن معين، وأبو حاتم وغيرهم من أئمة الجرح والتعديل يتغير قولهم في الشخص الواحد، أو يكون لهم فيه أكثر من رواية على حسب حاله.

وأنتم تعلمون أن ابن باز والألباني وابن عثيمين ومقبلاً والعبَّاد كانوا يثنون على سفر وسلمان وعائض ثم صاروا يحذِّرون منهم.

فهل يقال عن هؤلاء الأعلام: إنهم متذبذبون؟!!

إن هذا -والله- لافتراء عظيم نابعٌ من جهل بعلوم السنة وطرائق علمائها.

فاعلموا -بارك الله فيكم- أن إسقاط علماء فحول أمثال العلامة ربيع بن هادي، والنجمي، والجابري، وزيد المدخلي أمرٌ ليس بالهين، إلا أن يكونوا اقترفوا بالفعل ما يدينهم ويثبت هذا في كتاباتهم أو مجالسهم؟ أما إلقاء الكلام على عواهنه هكذا بدون حجة يثير الفتنة أكثر، ويجعلكم تزدادون حيرة.

وعليكم أن تخرجوا أنفسكم من القيل والقال، وكثرة السؤال فيما لا ينفعكم، وانشغلوا بتربية أنفسكم وذويكم على العقيدة الصحيحة والمنهج السوي.

وإن كنتم لم تفقهوا أسباب تحذير العلماء من الحويني، أو أبي الحسن، أو المغراوي، أو علي حسن أو غيرهم؛ فالزموا السكوت ولا تخوضوا بأهوائكم وآرائكم الخاصة في أعراض العلماء دون علم ولا بينة؛ فإنكم بهذا تضرون أنفسكم لا تضرون هؤلاء العلماء، واتقوا الله واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه.

نسأل الله أن يرينا الحقّ حقًّا وأن يرزقنا اتباعه، وأن يرينا الباطل باطلاً وأن يرزقنا اجتنابه.

ولعلّه من حقّي بعد أن استفرغت وُسعي في النصح والبيان لصاحب التعصُّب والمين -ولأشباهه من المفتونين- أن أذكِّره بما ذكَّرني به في آخر الحلقة الثالثة من مقالاته، وهو قوله: «إنّ دولة الباطل ساعة ودولة الحقّ إلى قيام السّاعة، وأنّ الله تعالى أمرنا بالعدل والقسط وأخبرنا أنّه غفور رحيم شديد العقاب، وأنّه لن يترك صاحب الباطل حرًّا طليقًا بل ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨]».

ولو كنتُ مِمَّن يلزمون الآخرين بلوازم شنيعة كما صنع معي هذا الفتى العجول؛ لألزمته بسبب كلامه السابق هذا بلوازم لن يستطيع الخروج منها بحال.

○ وأقول أخيرًا للشيخ علي الحلبي، وللشيخ مشهور حسن، ولبقية مشايخ مدرسة الأردن:

ألا تدرون أن تراجعكم المفاجئ عن التحذير من أدعياء السلفية تسبب في إهدار جهود قد بذلها العلماء وطلبة العلم والدعاة السلفيون منذ سنوات؛ كي ينتشلوا الشباب المسلم من بوتقة الحزبية والغلو في التكفير -خاصة تكفير الحكّام- التي وقعوا فيها بسبب

ارتباطهم بمثل محمد حسّان، وأبي إسحاق الحويني، ومدرسة الأسكندرية الحزبية، ومن على شاكلتهم من دعاة المنهج القطبي السروري؟!

وكان من ضمن الجهود المبذولة في هذا الباب في مصر فيما يتعلّق بابن حسّان والحويني -وأقول هذا تحدثًا بنعمة الله لا منًّا أو تزكية للنفس-: سلسلة دروس «التوضيح في ردِّ شبهات صاحب رسالة إلى غلاة التجريح»[1]، وقد انتشرت هذه السلسلة بفضل الله بين الشباب عبر الإنترنت وغيره، فكان لها عظيم الأثر في كشف حقيقة منهج محمد حسّان والحويني وحسين يعقوب وسفر الحوالي وسلمان العودة وعائض القرني ..إلخ، ومن قبلها: صدر كتابي «الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية»[2]، والذي كان يعتبر أول ردٍّ علمي مفصّل تذكر فيه بعض مخالفات محمد حسّان المنهجية صراحة وبتفصيل دون تمويه أو تضليل، وكانت تأتيني الاتصالات من شباب مصري وعى الحقيقة من السلوم إلى أسوان، يبشرونني أنهم قد أفاقوا من الغفلة التي غشيتهم بسبب هؤلاء الأدعياء، وأن «الكواشف» كشف لهم أصول هؤلاء الحزبية، وأن سلسلة «التوضيح» زادت الأمور وضوحًا -والفضل لله وحده-[3].

---

(١) وهي عبارة عن ثمانية وعشرين درسًا ألقيتُها على مدار عام ونصف تقريبًا بمسجد أهل الحديث بطرَّة البلد بحلوان مصر في الردِّ على شريط «رسالة إلى غلاة التجريح» لمحمد حسّان.

(٢) وهو شرح لمحاضرة ألقاها الشيخ محمد بن رمزان الهاجري -حفظه الله- بهذا العنوان.

(٣) وهذا مِمّا اضطر محمد حسّان -ولأول مرة- إلى تدبيج ردٍّ حاول فيه إنقاذ ما يمكن إنقاذه بعد أن كُشف أمره للعقلاء، ثم هرع بعدها إلى عمان- الأردن لزيارة مركز الألباني، إمعانًا في تضليل الشباب، وضربًا للمحاولات التي بُذلت لإنقاذ الشباب من براثن هؤلاء وحزبيتهم التي طالما أسروهم فيها؛ حيث اتخذ ابن حسّان ترويج دعاة مدرسة الأردن له درعًا يتقى به ضربات أهل الحق في كشف منهجه الحزبي القطبي.

وفي الوقت الذي تمت فيه حوارات التقريب بين السلفية المتمثلة في مدرسة الأردن، والقطبية السرورية المتمثلة في محمد حسّان والحويني، والتي كانت تتم تحت مسمى التناصح والتآلف، كان محمد حسّان على قناته الفضائية يُشهد الله أنه يحب وجدي غنيم -التكفيري الإخواني الضال-، وكان يملأ هو والحويني وإخوانهما القنوات الفضائية بالآهات الحزبية على حماس الإخوانية ويظهرون أهلها بمظهر الشجعان المجاهدين، دون أن ينبسوا ببنت شفة في بيان حقيقة =

وبدأ إقبال طائفة من الشباب المصري الواعي -بفضل من الله- يزداد على كتب العلماء السلفيين من شمال مصر إلى جنوبها، وأفاق كثير منهم من الوهم الذي كانوا يعيشون فيه حينما كانوا مستغرقين في سماع محمد حسَّان والحويني ومحمد حسين يعقوب، حتى جاءت فتنة مدرسة الأردن لتجعل البعض يعود القهقري، وينكص على عقبيه إلى المنهج القطبي السروري، أو يظل حائرًا مترددًا لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وذلك بسبب عودته إلى الاستغراق في سماع خطب ومواعظ هؤلاء ومتابعة أحدث برامجهم عبر القنوات الفضائية محتجًا بفتاوى مدرسة الأردن، مع إعراضه عن دروس وشروحات أئمة السنة.

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَن تَشَآءُ وَتَهْدِى مَن تَشَآءُ أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٥].

* * * *

=

حماس، وحقيقة جرائمها التي يندى لها الجبين، ودون أن يبينوا أنه -بسبب تعنت حماس وعجرفتها الكاذبة- أبيد المئات من المسلمين من أهل غزة، ودُمرت غزة.

ولم تمر أيام من هذه المبادرات الحلبية الأردنية (تحت رعاية مركز الألباني وجمعية إحياء التراث) في تلميع أدعياء السلفية في مصر، إلا وكانوا مجتمعين عن بكرة أبيهم في حفلة زواج ابنة الحويني، وكان يتقدَّم الركب: محمد بن عبد المقصود -القطبي الجلد- والذي حمل مع قرينيه فوزي السعيد وسيد العربي لواء اتهام الإمام أبي عبيد القاسم بن سلام، والعلامة الألباني -رحمهما الله- بالإرجاء، ونشروا هذه الفرية في ربوع مصر، ورغم هذا إذ بالحويني يقدِّمه لجموع الشباب على أنه سلفي، بل على أنه نجم من نجوم الدعوة.

فلا أدري هل الشيخ علي الحلبي لا يخشى الله ويتقيه سبحانه في شباب مصر الذين ضلُّوا بسبب تلميعه لهؤلاء الأدعياء؟! ولا أدري ما هو موقفه من محمد بن عبد المقصود؟!

فإن صدق مع نفسه وبدَّعه لمَا صدر منه من طوام، فكيف يكون الحكم على مَن يلمِّعه ويرفع من شأنه ويخادنه، بل يوافقه في بعض تأصيلاته القطبية الخارجية، بل يوافقه موافقة صريحة على نفسه التهييجي القطبي، كما هو واضح من أدنى تأمل لدروسهما، ألا يُلحق به، ويُحذِّر المسلمين من التلقي عنه، كما هو مقرَّر في أصول علم الجرح والتعديل، أم ماذا؟! ﴿نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

وقفة
مع زيارة الحويني الأخيرة للأردن

في الآونة الأخيرة رُتبت للحويني زيارة إلى الأردن، عقد خلالها عدة مجالس مع الدعاة السلفيين هناك[١]، والذين على رأسهم: دعاة مركز الألباني، وكان الغرض الرئيس من هذه المجالس -كما هو ظاهر- رد اعتبار -أو قل: رد شرف- للحويني، واعتذار صريح ومبطن إليه عن أي كلمة تجريح صدرت ضده: منهم أو من غيرهم، سواء كانت صدرت بحقٍ أم بباطل.

وقد استقبلوه كما يستقبل الملوك الفاتحون، والمرجفون في المدينة والمتعصِّبون من أهل الأهواء يعتبرون هذا نصرًا لهم وفتحًا، وصدق الله -عز وجل- في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٠].

ومن أغراض هذه الزيارة أيضًا -كما هو ظاهر من عبارات المضيفين-: التمهيد لتنصيب الحويني الأب الروحي -أو قل: الراعي الرحيم والزعيم القائد- للدعوة السلفية، مع السعي الحثيث على إسقاط الولاية العلمية عن أولي الأمر حقًا من أكابر العلماء الذين هم خير خلف لمن سبقهم من الأئمة: ابن باز، والألباني، وابن عثيمين -رحم الله الجميع-[٢]، وكأنهم قالوا بلسان حالهم: أهؤلاء العلماء منَّ الله عليهم دوننا بزعامة الدعوة السلفية.

---

(١) أو قل: المنسوبين إلى السلفية.

(٢) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «إسقاط الولاية العلمية...! شأن الأمم الكافرة مع الأنبياء، وشأن أهل البدع مع الأئمة الأعلام، حتى قال أهل الحق في وصفهم: إنها علامة عليهم على مرِّ الدهور: علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر، والهدف واحد: صرفُ الخلق والعباد عن العلماء، ليخلوا لهم الجو في نشر بدعهم، وتولِّي الزّعامة والإمامة».

- ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

- ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٥٣، ٥٤].

وقد باتت هذه الإرهاصات بيِّنة في هذا المجلس، وإليك أهم وقائعه لتدرك مصداقية هذا التحليل السابق من عدمه[1]:

قال أحد الحاضرين: أقول نحن بحاجة إلى أبٍ حنون في الدعوة السلفية يجمع الدعوة السلفية ... غياب الشيخ الألباني كان مصيبة على الدعوة السلفية، الشيخ ابن باز، والشيخ ابن عثيمين.. مرجع ... نحن لا نقر بإمارةٍ ولا بيعة؛ لكن وجود الرمز الذي تدور حول رحى علمه وفكره ومنهجه، الشباب التابعة هذا الآن تفكك للأسف الشديد، وأصبح الدعوة يقودها أطراف كل واحد شغال على خط خاص مغاير للآخر[2]، وأقول حتى والله

(١) وقد نقلت الكلام بحروفه بركاكته العامية وأخطائه، ونظرًا لإكثار الحويني استخدام العامية المصرية؛ أقوم أحيانًا في الحواشي بتوضيح كلامه حتى يفهم، وبتصويب ما تيسر من أخطائه في الإعراب.

(٢) أقول: بعد انتهاء المحاضرة العامة التي ألقاها العلامة عبيد الجابري -حفظه الله- على الطلبة عندي عبر الهاتف، والتي كانت في ليلة الثلاثاء ٢٢ ذي القَعدة ١٤٣٠هـ، وجَّهت إلى الشيخ -حفظه الله- بعض الأسئلة كان منها هذا السؤال:
قد كنت قرأت على فضيلتكم شيئًا من البحث الذي رددت فيه على أبي إسحاق الحويني ... وبعد أن نزلت مصر أُحضرت إليَّ مجالس كان قد عقدها الحويني في زيارته للأردن ..هذه المجالس وجدت فيها كلامًا جديدًا احتجت إلى أن أضيفه إلى ردِّي ..فأقرأ عليكم موضعًا واحدًا -إن شاء الله- ..فقرأت على الشيخ هذا الكلام أعلاه، ثم قلت للشيخ: نرجو من فضيلتكم تعليقًا على هذا الكلام؟
فقال الشيخ -حفظه الله-: «هذا الكلام ليس صحيحًا، منذ وقت والمشايخ والناس مختلفون؛ ولكن الاختلاف في الأصول غير موجود.. الاختلاف في أصول الدين ليس موجودًا بين السلفيين ولله الحمد، السلفيون مجتمعون، والعلماء الربانيون مجتمعون ولله الحمد؛ ولكن بعض المنتسبين للسلفية تلوّث بسبب مخالطته لمن ليس على المنهج، فأصبح يُزكي المتلوثين بالبدع ويُنافح عنهم- فنسأل الله العافية والسلامة-، هذا أمر؛ وأمر آخر: هذا فيه اتهام للمشايخ السلفيين الذين =

ربما معظم الخلافات الموجودة في الساحة هي مرتبطة في قضية مَن يقود الدعوة أكثرها هي حقيقة عقدية منهجية أصولية -والله أعلم-[1].

=

يدعون الناس للمنهج الحق، وهو الاجتماع على أصول الدين وفروعه التي ثبتت بالدليل القطعي، فهذا اتهام لهم بأنه دخلهم حظوظ النفس، وفي زعمه هذا؛ أن من تلوث بالقطبية مثل: أبي الحسن المأربي، ومحمد حسان...، أنه ليس عندهم حظوظ النفس، وليسوا منحرفين، المنحرف: هو الذي استبد به حظ النفس، هو من كان يرد على هؤلاء، فهذا في الحقيقة كلام ساقط متهافت، لا يقوله مَن يعرف السلفية حقَّ المعرفة، ويعرف حَمَلتها في كل زمان ومكان، الحمد لله مشايخ السلفية الذين هم ربانيون مشهودٌ لهم بجلالة القدر، والسابقة في الفضل، والرسوخ في العلم، وثبوت القدم على المنهج الحق موجودون، ولله الحمد.

فقلت للشيخ -حفظه الله-: أحسن الله إليكم، كأنه يفهم من هذا الكلام أن المتكلّم أراد بهذا الكلام إسقاط العلماء بعد موت ابن باز والألباني؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله-: هو هذا.. لا شك هذه نتيجة محصّل متوقع... يعني ما فيه علماء إلا هؤلاء الثلاثة، نحن لا شك لا ننفي قيمة هؤلاء وفضلهم وكل سلفي عالة عليهم هذا لا يُشك فيه؛ لكن ذهاب المنهج السلفي بذهابهم هذا لا نقره. اهـ

(١) أقول ردًّا على هذا القائل كما قال الإمام الألباني -رحمه الله-: «لا يقول هذا عالم، أما غير عالم فجائز أن يقول هذا وأكثر من هذا».

ألا يدري هذا القائل المسكين أن كلامه هذا مناقض مناقضة صريحة لأحاديث الطائفة المنصورة والتي منها:

حديث المغيرة بن شعبة عند البخاري: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

وحديث ثوبان عند مسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك».

وحديث معاوية بن أبي سفيان عند مسلم: «لا تزال طائفة من أمتي قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم أو خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس».

وبوَّب البخاري على حديث المغيرة قائلاً: «باب قول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين ..وهم أهل العلم».

فالذي يقود الدعوة هم العلماء الربانيون، وقد اقتضت سنة الله سبحانه في هذه الأمة أن يخلف العلماء بعضهم بعضًا، وأن هؤلاء العلماء هم ورثة الأنبياء في الولاية الدينية العلمية على هذه الأمة، وقد خلَف الأئمة: ابن باز، والألباني، وابن عثيمين -رحمهم الله-: علماء أفاضل ساروا

=

ثم تدخل متكلِّم آخر قائلاً: ليأذن شيخنا لبعض المشايخ بكلمة مختصرة -إن شاء الله-: أذكِّر شيخنا قلتم كلمة قديمة لشيخنا الألباني في قدومكم... قلتم: نحن الإخوة الآن في مصر ليس لنا رأس...

شيخنا: حقيقة واقع الحال كما لا يخفى هو في هذه البلاد وأيضًا في بعض البلدان مشابه جدًّا -حقيقة-، وليس هناك مشرب يجتمع عليه الجميع، هم جميعًا ينطوون تحت راية الكتاب والسنة[1]، وحقيقة هناك خلافات، لكن شيخنا -حفظكم الله- كما ذكرتم أنتم

=

على طريقهم، وإليهم انتقلت قيادة الدعوة، وهم المشايخ: صالح الفوزان، وعبدالمحسن العبَّاد، وربيع بن هادي، وعبدالعزيز آل الشيخ، وزيد بن هادي، وعبيد الجابري، وصالح السحيمي، وعلي ابن ناصر الفقيهي، وصالح آل الشيخ ...إلخ -حفظ الله الجميع ونفع بهم-.

فلا يخلو زمان إلى قرب قيام الساعة من علماء قائمين بأمر الله يكونون رأسًا للطائفة المنصورة والفرقة الناجية، ومن سمات هؤلاء العلماء كما في الأحاديث السابقة أنهم ظاهرون قائمون بأمر الله على ما يحبه ويرضاه، وأن هناك مخذِّلين يخذِّلون عن هؤلاء العلماء، وما أخال هذا القائل -ومن وافقه على جهله من الحضور في الجلسة، ومنهم الحويني- إلا من هؤلاء المخذِّلين.

ولكن كما هو معلوم من أحاديث أشراط الساعة أن العلم سوف يرفع وأن الجهل سوف يكثر، كما في حديث أنس في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويثبت الجهل -وفي رواية: يكثر الجهل، وفي أخرى: يظهر الجهل»، وفي حديث أبي هريرة في الصحيحين أيضًا عن النبي ﷺ قَالَ: «يُقْبَضُ الْعِلْمُ، وَيَظْهَرُ الْجَهْلُ وَالْفِتَنُ، ويكثر الهرج، قيل: يا رسول الله، وَمَا الْهَرْجُ؟ فَقَالَ: هَكَذَا بِيَدِهِ، فَحَرَّفَهَا كَأنه يُرِيدُ الْقَتْلَ».

وهذا الرفع للعلم يتم بقبض العلماء، كما في حديث عُرْوَةَ قَالَ: حَجَّ عَلَيْنَا عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِي ﷺ يَقُولُ: «إن الله لا يَنْزِعُ الْعِلْمَ بَعْدَ أَنْ أَعْطَاكُمُوهُ انْتِزَاعًا وَلَكِنْ يَنْتَزِعُهُ مِنكم مَعَ قَبْضِ الْعُلَمَاء بِعِلمهِم، فَيَبْقَى نَاسٌ جُهَّالٌ يُسْتَفْتَوْنَ، فَيُفْتُونَ بِرَأْيِهِمْ، فَيُضِلُّونَ وَيَضِلُّونَ»، فَحَدَّثْتُ بِهِ عَائِشَةَ زَوجَ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الله بْنَ عَمْرٍو حَجَّ بَعْدُ، فَقَالَتْ: يَا ابْنَ أُختِي انْطَلِقْ إِلَى عَبد الله فَاسْتَثْبِتْ لِي مِنْهُ الَّذي حَدَّثْتَنِي عَنْهُ، فَجِئْتُهُ، فَسَأَلْتُهُ، فَحَدَّثَنِي بِهِ كَنَحْوِ مَا حَدَّثَنِي، فَأَتَيْتُ عَائِشَةَ فَأَخْبَرْتُهَا، فَعَجِبَت، فَقَالَت: وَالله لَقَدْ حَفِظَ عَبْدُ الله بْنُ عَمْرٍو». أخرجه البخاري -بهذا اللفظ- في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب في ذم الرأي وتكلُّف القياس، برقم (٧٣٠٧).

(١) هذه مقالة التائه الحائر الذي لم يهتد إلى الحق، ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١]، وإلا فإن الحق واضح

=

أعلم بهذا الأمر: ما يقرره شيخ الإسلام ابن تيمية من أخوة أهل السنة والجماعة[1]، وأن مسائل.. لا يكاد يجتمع عليها، فهنالك شيخنا الخلاف موجود، وليس هو فقط موجود فقط في هذه البلاد[2]، بل هو -وللأسف- كما أخبرتمونا يعني أذكر مرّة أن ما ظهر من قضية الجرح والتعديل

=

بيِّن لمن جاهد في طلبه، وصدق مع الله سبحانه في هذا الطلب، وهذا وعده سبحانه المذكور في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

فقوله: «ليس هناك مشرب يجتمع عليه الجميع»، هذا كذب وإفك مبين، بل إن المشرب الذي أمر الله سبحانه جميع عباده أن ينهلوا منه وأن يجتمعوا عليه موجود واضح بيِّن لمن سعىٰ في طلبه، وهو مشرب السلف الصالح، ومعالم هذا المشرب جلية ليست مغيَّبة أو خافية، ويذكِّرني كلام هذا التائه بكتاب عبد القادر عودة: «الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه».

(١) لعلَّ المتكلِّم من أذناب المأربي صاحب المنهج الواسع الأفيح الذي يسع أهل السنة جميعًا، وأهل السنة عنده كلمة فضفاضة مطاطة تدخل فيها الأحزاب البدعية المعاصرة التي تعادي الدعوة السلفية، ومن هذه الأحزاب ومن المتعصِّبين لها تنشأ الخلافات والفتن، والتي يكون مبدؤها بغي هذه الأحزاب علىٰ السلفيين حقًّا.

وهذه القاعدة المأربية المحدثة هي امتداد لقاعدة المعذرة والتعاون الإخوانية.

(٢) ليس هناك خلاف حول أصول الدعوة السلفية، فإن أصولها مدونة في كتب المعتقد من القرون الأولىٰ، وإنما المشكلة في أدعياء السلفية الذين يتعامَون، ويعمُّون غيرهم عن تلك الأصول الجلية، فالخلاف الموجود الذي يشير إليه المتكلِّم إنما هو خلاف أهل الأهواء، ولا وزن لخلافهم أمام البينات التي يأتي بها أهل الحق من الطائفة المنصورة والفرقة الناجية.

وهذه الدعوىٰ ليست حديثة، بل أثار مثلها أهل البدع قديمًا، فحذّر منهم الإمام ابن بطة -رحمه الله-، فبوّبَ في كتابه العظيم «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»، كما في «كتاب الإيمان، المجلد الثاني، الجزء الثالث، (ص٥٥٣): «باب: التحذير من استماع كلام قوم يريدون نقض الإسلام ومحو شرائعه، فيكنون عن ذلك بالطعن علىٰ فقهاء المسلمين وعيبهم بالاختلاف»، فقال ابن بطة ردًّا عليهم: «أمَّا ما تحكيه عن أهل البدع مِمّا يعيبون به أهل التوحيد والإثبات من الاختلاف، فإني قد تدبرت كلامهم في هذا المعنىٰ، فإذا هم ليس الاختلاف يعيبون، ولا له يقصدون، وإنما هم قوم علموا أن أهل الملة وأهل الذمة والملوك والسوقة والخاصة والعامة وأهل الدنيا كافة إلىٰ الفقهاء يرجعون، ولأمرهم يطيعون، وبحكمهم يقضون في كل ما أشكل عليهم وفي كل ما يتنازعون فيه فعلىٰ فقهاء المسلمين يعوِّلون، ففي رجوع الناس إلىٰ فقهائهم، وطاعتهم لعلمائهم ثبات للدين، وإضاءة للسبيل، وظهور لسُنة الرسول، وكل هذا فيه غيظٌ لأهل الأهواء، واضمحلال للبدع، فهم يوهِّون أمر الفقهاء، ويُضعِّفون أصولهم، ويطعنون

=

بهذه الصورة، يعني حقيقة ما أحوجنا شيخنا إلى إعادة أن ننضبط بضوابط -حقيقية- بضوابط السلف الصالح -رحمهم الله- التي نحن ننتسب لهذه الدعوة لكن حقيقة علميًّا وعمليًّا لعلنا في بُعد قد يكون نوعًا ما، قد يكون كبيرًا في جوانب عديدة، فيعني أقول شيخنا -والله أعلم- هناك أمران مهمان: الأول -كما تفضلتم- وجود رأس، وتفضل أخونا أن يكون حقيقة هناك رأس؛ لأنه إن لم يكن هناك رأس إشكال[1]، والأمر الثاني: تحقيق مذهب السلف حقيقة.

=

عليهم بالاختلاف؛ لتخرج الرعية عن طاعتهم، والانقياد لأحكامهم...

وما قد ظهر مِمَّا لا خفاء به على العقلاء، فأما أهل البدع -يا أخي رحمك الله- فإنهم يقولون على الله ما لا يعلمون، ويعيبون ما يأتون، ويجحدون ما يعلمون، ويبصرون القذى في عيون غيرهم، وعيونهم تطرف على الأجذار، ويتَّهمون أهل العدالة والأمانة في النقل، ولا يتَّهمون آراءهم وأهواءهم على الظن، وهم أكثر الناس اختلافًا، وأشدهم تنافيًا وتباينًا، لا يتفق اثنان من رؤسائهم على قول، ولا يجتمع رجلان من أئمتهم على مذهب....».

ثم قال -رحمه الله- في (ص٥٥٧): «فأمَّا الاختلاف فهو ينقسم على وجهين: أحدهما: اختلافٌ الإقرار به إيمان ورحمة وصواب، وهو الاختلاف المحمود الذي نطق به الكتاب، ومضت به السُّنة، ورضيت به الأمة، وذلك في الفروع والأحكام التي أصولها ترجع إلى الاجتماع والائتلاف.

واختلاف هو كفرٌ وفرقة وسخطة وعذاب يؤول بأهله إلى الشتات والتضاغن والتباين والعداوة واستحلال الدم والمال، وهو اختلاف أهل الزيغ في الأصول والاعتقاد والديانة.... وأمَّا اختلاف أهل الشريعة الذي يؤول بأهله إلى الإجماع والألفة والتواصل والتراحم....».

ثم استطرد الإمام ابن بطة في ذكر أهم المسائل المجمع عليها في أصول الاعتقاد والديانة، إلى أن قال: «ثم اختلفوا بعد إجماعهم على أصول الدين واتفاقهم على شريعة المسلمين اختلافًا لم يضر بهم إلى فرقة ولا شتات، ولا معاداة ولا تقاطع وتباغض، فاختلفوا في فروع الأحكام والنوافل التابعة للفرائض، فكان لهم وللمسلمين فيه مندوحة ونفس وفسحة ورحمة، ولم يعب بعضهم على بعض ذلك، ولا أكفره، ولا سبَّه، ولا لعنه». اهـ

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «يقول: ليس عندنا رأس... والآخر يقول -ويريد-: وجود أب حنون يجمع الدعوة السلفية... وجود الرمز؛ ليدور الشباب حول رحى علمه وفكره ومنهجه..!! نعم؛ يقبض الله العلم بقبض العلماء، حتى يتخذ الناس رءوسًا ورموزًا يقومون على الفكر البدعي لا على العلم الموروث... يجمعون بلا تصفية ولا تربية.. سبحان الله! إنها السُّنن!! هيهات قيام الرءوس والرموز، والعلماء متواجدون متوافرون على منهاج النبوة والصحابة، راسخون ثابتون حاملون للعلم الموروث، وضع الله لهم القبول بين أهل الإيمان وطُلاب الحق».

قال أبو إسحاق الحويني: والله هو يعني مسألة الرأس دي تكلمت عنها كثيرًا جدًا، حتى أنا جئت وكلمت الشيخ الألباني -رحمه الله- وكان منذ عشرين سنة؛ قلت: ليس عندنا في مصر رأس للسلفيين، فالشيخ قال: هذه مشكلة.

ليس عندنا رأس آن ذاك؛ لأن إحنا كنا قبة السلفيين، الدعوة السلفية لسه دعوة جديدة[1]، وليس بيننا من هو في سن الشيخ، أو حتى أنزل منه في

(١) إن كان يقصد بالدعوة السلفية -في هذا السياق- دعوة القصّاص والحزبيين، فهي بالفعل دعوة جديدة أي: مُحدثة، ولكنها ليست هي دعوة السلف الصالح.

وأما الدعوة السلفية فإنها معروفة في مصر قبل ظهور القصّاص وبعد ظهورهم فلم يكن القصّاص والحزبيون -بشتى أحزابهم- هم المنشئون للدعوة السلفية في مصر وغيرها، بل هم في حقيقة الأمر أحدثوا دعوة تمييعية جديدة أخذت الرسوم العامة لحزب الإخوان، وقامت على القصص والتهييج السياسي الذي هو امتداد منهج الخوارج القعدية، وخلطت مع هذه المحدثات شيئًا من كلام أهل السنة في بعض الأبواب نحو باب الأسماء والصفّات، وألبست هذا الخليط لباس السلفية زورًا وبهتانًا، وإلا فالحويني ومن معه ليسوا الممثلين للدعوة السلفية في مصر، ولا يروِّج لهذه الفرية إلا إعلامهم القائم على البُهت، ومَن له مصلحة في تشويه الدعوة السلفية، وقد عالجت هذه المشكلة وبيَّنت كذب هذه الدعوى -دعوى انتساب هؤلاء للسلفية-، من خلال كتابي: «التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات من منهج الخوارج والبغاة وليست من منهج السلف الصالح»، و«الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية».

فمصر لم تعدم علماء سلفيين صاروا رءوسًا في زماننا المعاصر نحو: الإمام عبد الرزاق بن عفيفي -رحمه الله-، وشيخنا فضيلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب البنا -رحمه الله-، وشقيقه فضيلة الشيخ حسن بن عبدالوهاب البنا -حفظه الله-، وفضيلة الشيخ سعد ندا -حفظه الله-، والشيخ محمد علي عبد الرَّحيم -رحمه الله-، وإن كان هؤلاء ليسوا معروفين عند كل المصريين؛ نظرًا لافتقادهم الترويج الإعلامي الذي توفَّر لهؤلاء القصَّاص، وكذلك لعدم اتباعهم المنهج القصصي الذي يروق للعامة مِمَّا يسهل انتشار هؤلاء في وسطهم.

والشيخ محمد علي عبدالرحيم كان رئيسًا لجمعية أنصار السنة، قبل دخول الحزبيين فيها، ويُذكر له دور بارز في تأسيس المعاهد العلمية ووضع مناهجها بالمملكة العربية السعودية، وقد ظل سنوات طويلة يدرس بالحرم المكي.

وشيخنا العلامة محمد عبد الوهاب البنا -رحمه الله- ترك مصر منذ خمسين سنة تقريبًا، إلا أنه كان دائم الزيارة لها كل عام، وقد وفَّقني الله سبحانه من الاستفادة منه في أعوامه الأخيرة، خاصة =

السن(١)، إنما كل من هو شباب تزاحم في مناطق شتىٰ ندعو إلىٰ هذه الدعوة المباركة، لكن في مصر الحقيقة نتميز إلىٰ حدّ ما بالأخوة الصادقة والأدب العالي؛ يعني إحنا مثلاً إذا أحببنا نعد رؤوس السلفيين في مصر مثلاً ممكن نلاقي رؤوس السلفيين في مصر حوالي خمسة عشر في خلال الثلاثين السنة الفائتة.

=

في آخر عام نزل فيه مصر، حيث صحبته في أغلب أوقاته، وكما يقال: جنيت من باكورة ثمرة علمه في آخر عمره، فالشيخ محمد البنا كان رأسًا بحقٍّ، ولا شك أن الحويني يعرفه، لكنه لا يعتبره رأسًا؛ لأنه لا يوافقه علىٰ منهجه الفاسد.

أمّا العلامة عبد الرزاق عفيفي الشنشوري المصري -رحمه الله تعالىٰ- فإنه يعد بحقٍّ رأس العلماء السلفيين المصريين في القرن الأخير، ولكنه للأسف حُرِمَت منه مصر حيث استقر به المطاف في المملكة، وما كان ينزل مصر، ولكنه كان رأسًا، وكان من الممكن أن يكون من مكانه مرجعية لهؤلاء من أدعياء السلفية الذين نصَّبوا أنفسهم رموزًا للسلفية بغير حقٍّ، إلا أنهم لم يحرصوا علىٰ الارتباط به، ولا بغيره من علماء مصر، إنما ارتبطوا بسيد قطب والمودودي والبنا، وبغيرهم من الرموز الفكرية لحزب الإخوان والجماعات الإسلامية.

وفي الجيل السابق لهؤلاء، كان رءوس الدعوة السلفية في مصر: العلامة المحدِّث أحمد شاكر، وشقيقه الأديب محمود شاكر، والعلامة محمد حامد الفقي، والشيخ محمد خليل هرَّاس، وآخرون رحم الله الجميع، فكيف يقول عالم بالحديث وفقيه بالواقع: إن الدعوة السلفية في مصر جديدة؟! ثم يدَّعي أن القصَّاص هم الذين أدخلوها مصر، وصاروا رءوسًا لها!! ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾.

وقال الشيخ فلاح -جزاه الله خيرًا- منتقدًا لمقالة الحويني -أعلاه-: «يزعم أن السلفية جديدة في مصر؛ أي: هو راعيها، ومن ثَمَّ يريد الرئاسة بإعانة إخوانه..! يهذي بما لا يدري، ويهرفُ بما لا يعرف! فمصر مازالت، وستبقىٰ رحمًا لأهل الحقِّ والعلماء الورَثة، لست أدري ما يقول المسكين في شيخنا الجليل العلامة عبد الرزاق عفيفي -رحمه الله-، وكذلك شيخنا الجليل محمد بن عبد الوهاب البنا -رحمه الله-، وأخيه الشيخ الجليل حسن بن عبد الوهاب البنا -حفظه الله ومتّع به-، وكذلك الشيخ الجليل محمد سعيد رسلان -حفظه الله ونفع به-، وكذلك من سبقهم من العلماء الربانيين: محمد خليل هرّاس -شيخ مشايخنا-، والعلامة أحمد شاكر والعلامة محمد حامد الفقي، وغيرهم والله كثير، ولهم تلاميذ وطُلاّب علم ومدارس ومراكز علىٰ منهاجهم وطريقتهم صدقًا وحقًّا، لا كالأدعياء والمتسبين كذبًا وزورًا».

(١) قال الشيخ فلاح: «وما أعظم تلبيسه حين يقول: «ليس بيننا من هو في سن الشيخ، أو حتىٰ أنزل منه في السن!!!» سبحانك ربي هذا بهتان عظيم، والغرض منه واضح جلي لكلِّ صاحب لُبٍّ وعقل».

أنا لا أعلم أحدًا شدّ على أحد، ولا شتم أحدًا، ولا خذّل على أحد، حتى الفتنة التي حدثت في الخليج وانتشرت في كل مكان تأتي على حدود مصر وتقف.

بل أنا عايز أقول حاجة: الشيخ ابن باز لا يُعرف لعوام مصر، إحنا إلّلي دخّلنا أسامي المشايخ في مصر.

الشيخ ابن عثيمين والكلام ده آخر عشر سنوات من حياة الشيخ هو بس اسمه يتردد؛ لأن إحنا إلّلي كنا نذكر أسماء المشايخ في المحاضرات[1]، وإلا المشايخ كبار ولا واحد يعرفهم داخل مصر كمعرفة عامة[2].

---

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -نفع الله بعلمه- مستنكرًا لهذا الكلام: «ثم يصف نفسه: نتميز إلى حدٍّ ما بالأخوة الصادقة والأدب العالي؟!

ثم يدّعي أن المشايخ الكبار ابن باز وابن عثيمين غير معروفين في مصر، وأنه هو وإخوانه القُصّاص أدخلوا هذه الأسماء إلى مصر؟!

ما أسهل الدعاوى؟! ولكن لننظر في أثر دعوتك وإخوانك في الشباب الذين حولكم، هل هم على منهاج الشيخين الجليلين، أم على منهاج سيد قطب وحسن البنا، وعلى مناهجهما؟ لننظر إلى من حولكم بمن تأثروا، ومَن هم رموزهم؟ وبهذا يتبين أنك وإخوانك إن ذكرتم العلماء تتسلقوا على ظهورهم، بل ربما لإظهار أنفسكم بأنهم أخطؤوا، ونحن نرد عليهم ونبيّن أخطاءَهم!!.

ثم نسألهم أيضًا: إن كنتم كذلك كما وصفت نفسك، فما موقفك وموقف إخوانك القصّاص مِمَّن حَمل لواء الأكابر الذين مضوا: ابن باز، وابن عثيمين، والألباني -رحمهم الله- أعني: العلماء الأكابر بعد هؤلاء الأكابر، مثل شيخنا صالح الفوزان، وشيخنا عبد المحسن العباد، وشيخنا ربيع بن هادي، وشيخنا عبيد بن عبد الله الجابري، وشيخنا صالح بن سعد السحيمي، وشيخنا علي بن ناصر الفقيهي، وغيرهم والله كثير -حفظهم الله ونفع بهم-، فإن موقفك من هؤلاء وقولك في هؤلاء فرع عن موقفك الحقّ من المشايخ الكبار -رحمهم الله-.

وأقول: إن مثل هذه العبارات والأوصاف وتزكية النفس، وتلميعها ومدحها بلا خجل ولا حياء، يبين عدم صدق انتسابك لمنهج الأكابر! فمن أين تعلّمت هذا؟! ومن سمعت مِنَ الأكابر يمدح نفسه بمثل مدحك لنفسك في مثل قولك: «إحنا غبنا فترة طويلة- إحنا ما بنعملش مشاكل- إحنا الرءوس- نتميز- نفيك عن نفسك الشتم والتخذيل والشدة حتى صرت سدًّا أمام دخول الفتن إلى مصر- إحنا إلّلي دخلنا أسماء المشايخ في مصر - لمّا صرنا مشايخ- إحنا كنا أساتذة...!!».

(٢) هات الدليل على صحة هذه الدعوى! فلو قمنا بعمل مسح شامل لكل خطب ومواعظ مَن عناهم =

طبعًا دي لها أكثر من وضع منها وضع مصر كمصر، كبلد يعني أنها طول عمرها تؤثـر وأخبارها برّه معروفة، يعني أنت ممكن هنا تبقى عارف في مصر فيها كذا كذا كذا ...

إحنا نعرف أقدار بعضنا حتى صرنا رأسًا، إحنا يعني غبنا فترة طويلة لا رأي لنا بس

=

الحويني والذين على رأسهم: الحويني نفسه، ثم محمد حسان، ومحمد حسين يعقوب، ستجد أنه قلّما ذكروا الأئمة: ابن باز، والألباني، وابن عثيمين -رحم الله الجميع-، اللهم إلا الألباني فإنهم يذكرونه في الغالب في معرض الاحتجاج بأحكامه الحديثية، أو الاستشهاد ببعض ما دوّنه في أبحاثه الفقهية الحديثية نحو صفة صلاة النبي ﷺ، وصفة حجة النبي ﷺ ..إلخ، وكذلك إذا ذكروا ابن باز وابن عثيمين -وقلّما يحدث هذا- يذكرون كلامهما في المسائل الفقهية فقط، وأما ربط الشباب بشروحات هؤلاء التأصيلية في أبواب الاعتقاد والمنهج وفتاويهم في المسائل المنهجية المعاصرة، نحو حكم الغلو في التكفير، والانتماء للأحزاب، والردود على أهل البدع ..إلخ، فإنهم لم يربطوا الشباب البتّة بها، بل على العكس كانوا يزهّدون فيها من طرف خفي، وأحيانًا جلي، وإذا ذكروها مضطرين ذكروا منها ما يوافق أهواءهم فقط ويحجبوا ما يفضح طريقتهم كما صنع محمد حسان في رسالة «إلى غلاة التجريح»، وفي الجانب الآخر إذا ذكروا رموز حزب الإخوان نحو سيد قطب، ومحمد الغزالي، وعبد الحميد كشك... والثلة التي عذّبت في معتقلات عبد الناصر، يذكرونهم بالتمجيد والتبجيل، ويعتبرونهم نماذج للجهاد، مقدّمين إياهم على أنهم رموز الدعوة والأسوة التي يؤتسى بها، مِمَّا لم يصنعوا عشر معشاره مع هؤلاء الأئمة ابن باز، وابن عثيمين، والألباني -رحم الله الجميع-.

ونقول للحويني: إن هؤلاء الأكابر قد نشر الله سبحانه صيتهم في الآفاق بعلمهم النافع الذي كان يبث في كتبهم وفتاواهم ومحاضراتهم، التي أبى الله سبحانه إلا أن تنتشر انتشارًا واسعًا في داخل مصر في أواخر حياتهم وازداد الانتشار بعد موتهم، مِمَّا أوقع أمثال الحويني وابن حسان وابن يعقوب في حرج مع أتباعهم، لَمَّا بدأ هؤلاء الأتباع يسمعون كلامًا وتأصيلاً من هؤلاء الأكابر لم يعهدوه من شيوخهم، فانكشفت عورات هؤلاء وبان تدليسهم وكتمهم لبعض الحقائق ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

أما كبار تلامذة هؤلاء نحو مقبل بن هادي، والفوزان، وربيع بن هادي، وعبيد الجابري ...إلخ؛ فلا يذكرونهم البتّة، وإن ذكروهم ذكروهم بغير الذكر الجميل، كما صنع الحويني فيما تقدّم نقله عنه من طعنه في بعض هؤلاء الأكابر.

فنحذّر الحويني مما حذّر منه الرسول ﷺ في قوله: «**المتشبع بما لم يعط كلابس ثوبي زور**».

وأخشى أن يكون هذا الذي دلّسه الحويني في كلامه السابق نوعًا جديدًا من أنواع تدليس الشيوخ.



مفيش مشاكل؛ عشان احنا بنعملش مشاكل مع بعض، لحد ما بقينا إحنا الرؤوس، ليه؛ لأن الذي سمعني الآن بيني وبينه في العمر مثلاً ليعتبرني شيخًا له، بيني وبينه في العمر مش أقل من عشرين سنة كثير من الصغار طلع لقي لحيتي بيضة.

وكان عبد الله المبارك -الإمام المبارك كثيرًا- ما يقول: «عالم الشباب محقور»[1]، طول ما لحيته سودة، طول ما هو عيِّل صغير، تيجي تتكلم اركن يا عم ليه[2]؛ لأن أول ما لحيته تبيض خلاص يبقى الوقار والمشيخة[3]، وابتاع والسلام.

فاستقرت الدعوة أكثر وأكثر، لما صرنا مشايخ والطلبة الصغار الذين هم في طبقة أولادنا، ده هم ليبقوا التلاميذ والإنتاج الحقيقي: الصف الأول، أو الصف الثاني، أو الصف الثالث فيما يتعلق بالدعوة العلمية دول إحنا كنا أساتذة هؤلاء[4]، حتى لما جاء بعض المشايخ حاول أن يخلخل هذا الصف يَجيب الفتنة برَّه يدخلها جوى عندنا[5] مات هو

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «ولستُ أدري من أين جاء أن ابن المبارك كان كثيرًا ما يقول ما زعمه عنه؟!».
قلتُ: هذه مجازفة أخرى تُضاف إلى قائمة مجازفات الحويني، ومثال آخر لانتهاجه منهج القُصّاص في التعلُّق بأي شيء صحَّ أم لم يصح لإثبات فكرة ما، أو لإثارة ودغدغة عواطف المستعمين.

(٢) أي: تأتي تتكلم يقال لك: اسكت وتنحَّ جانبًا؛ لأنك صغير.

(٣) وهل الترأس العلمي يكون بالسنِّ وباللحية البيضاء؟! ومَن الذي نصَّبكم رءوسًا؟! هل أجازكم من قبلكم من الأكابر -كما هي السُّنة السلفية- إجازة تثبت صحة معتقدكم ومنهجكم، أو هل زكَّاكم علمكم وعملكم الموافق لأصول السُّنَّة؟ أو بعبارة أخرى: هل حملتم منهج الرءوس قبلكم، ورفعتم به رءوسكم؛ كي تصيروا رءوسًا بعدهم، أم أنكم خلطتم حقًّا بباطلاً وسنة ببدعة، ولبَّستم على الناشئة أمر دينهم، وقعَّدتم لهم قواعد فاسدة، وأعرضتم عن سبيل الأكابر وغمزتم في فتاويهم، كما بيَّنا من قبل؟!
وقال الشيخ فلاح: «ثم تفسيره أنه في مصر متى تكلَّم صاحب اللحية السوداء يُقال له: اركن واسكت...! مع أننا نعلم أن كثيرًا من علماء مصر مِمَّن يسمع لهم العامة لا لحية لهم لا سوداء ولا بيضاء، فمتى صار هذا قولاً من أقوال العامة؟!».

(٤) قال الشيخ فلاح: «مَن وصفك بالمشيخة، والرئاسة، والأستاذية، وغيرها؟!».

(٥) أي: يأتي بالفتنة من الخارج فيدخلها عندنا.

نفسه مات، حتى ما استطاع أن يحيي هذا الخلاف ليه؛ لأننا اتفقنا أن لا نرد مطلقًا، فكنا نُشتم ونُتَّهم في عقائدنا، ونُتَّهم في فهمنا[١]، ولكننا تواصينا[٢]؛ لأننا أذكر مرة: كنا مؤتمر كذا

(١) قال الشيخ فلاح -سدَّده الله-: «مَن شتمك واتَّهمك في عقيدتك؟! بل بيَّن أخطاءك في أبواب الاعتقاد، وفهم المسائل، وكشف وجه الخطأ بالعلم والموعظة والنصيحة!!
وأمَّا سكوتك؛ لأنك تعلم أنك على خطأ، وتنتسب إلى ما ليس فيك، ولن تستطيع أن ترد ردًّا علميًّا؛ لأنه سيزيد من كشف حالك وبيان حقيقتك.
والحقُّ إن كنت من أهله؛ وسبيل الأنبياء والعلماء الورثة إن كنت متَّبعًا لهم، أن تسكت إن كان الطعنُ في ذاتك ولونك، وآبائك، وفقرك، وغناك، ولكن إن كان الطعنُ في أخطاء دينية في العقائد والمناهج، فلا والله، بل نرد ونُبيِّن الحق، ونَذُبّ عن دين الله؛ لنُبين صحة عقيدتنا، ونرد على المخالفين الطاعنين في عقيدتنا وفهمنا ومنهجنا، هذا من حيث العموم، ويتأكد -أعني: الردّ والبيان- إن كنت كما زعمت أنك رأس وشيخ المشايخ وأستاذ أهل الحق والسلفيين في مصر، فإن من أوجب الواجبات: الذبُّ عن منهج الرأس، وصحة اعتقاده؛ ليسلم للأتباع دينهم وتطمئن نفوسهم إلى الحقِّ الذي هم عليه، فسلامةُ عقيدة الشيخ والرأس يتفرع عنها سلامة عقيدة الأتباع؟!
ولكن علم الله أنك أصغر وأقل شأنًا ومكانةً وعلمًا أن تردَّ على طعون مَن تكلَّم فيك فإنهم أعلامٌ وأكابر هذا الزمان، فمنهم: شيخنا مقبل بن هادي، وأحمد النجمي -رحمهما الله-، وشيخنا ربيع بن هادي، وعبيد الجابري، وغيرهم -حفظهم الله-، وعلم الله والمؤمنون والسلفيون الصادقون أنك إن رددت فلا تزداد إلا بُعدًا، وينكشف حالك، ويظهر زيفك، سبحان الله!!.

(٢) وهل كان من هدي أئمة السلف أنه إذا اتُّهم أحدهم في معتقده أن يسكت سكوتًا مريبًا، ولا يدفع عن نفسه هذا الباطل؟!
والجواب واضح عند أهل العلم، وهو: أن هذا السكوت بلا شك ليس من هدي أئمة السلف، بل هو سكوت المبطل الذي لا حجة عنده، أو سكوت الماكر الذي يمكر مكرًا سيئًا، ويخشى أن يفتضح أمره عند المواجهة العلمية التي تكشف المستور، وتظهر خداعه للمنصفين.
وقد طُعِن على الرسل والأنبياء عليهم السلام في عقيدتهم، فهل كان من هديهم السكوت عن المبطلين الطاعنين فيهم بالباطل؟!
بلا شك ليس هذا من هديهم، بل كانوا يدفعون هذه الفرى بالوحي المنير والحجج القاطعة؛ ولَمَّا اتُّهم رسولنا الكريم ﷺ بأنه مَجنون، رغم أنه أعقل البشر؛ واتُّهم بأنه شاعر، وأنه كاهن؛ دفع عنه الله -عز وجل- هذه الفرى في آيات تتلى، حيث قال ربُّنا سبحانه: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ﴾ [الصافات: ٣٦- ٣٨]، وقال -عز وجل-: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ۝ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الحاقة: ٤٠- ٤٢].
فدفع المؤمن البغي عن نفسه مِمَّا مدح الله به المؤمنين، فليس الانتصار للنفس مذمومًا مطلقًا =

كما يعتقد البعض؛ وليس هذا معارضًا لحديث عائشة في الصحيحين: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلاَّ أن تُنتهك حرمة الله فينتقم لله بها»، أو لقوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى: ٤٠]. وغيرها من النصوص التي تحض على العفو والتجاوز عن البغي والظلم الموجهين للنفس.

قال الشوكاني -رحمه الله- في تفسير آية الانتصار للنفس في «فتح القدير» (٤/ ٥٤١): «ذكر سبحانه هؤلاء المنتصرين في معرض المدح كما ذكر المغفرة عند الغضب في معرض المدح؛ لأن التذلل لمن بغىٰ ليس من صفات من جعل الله له العزة، حيث قال: ﴿...وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ ....﴾ [المنافقون: ٨]. فالانتصار عند البغي فضيلة، كما أن العفو عند الغضب فضيلة».

قال النخعي: «كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم؛ فيجترئ عليهم السفهاء».

وقال أيضًا أبو بكر الجصاص في تفسيره للآية (٣/ ٥٧٣): «وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشورى: ٣٩]. يدل ظاهره على أن الانتصار في هذا الموضع أفضل، ألا ترىٰ أنه قرنه إلى ذكر الاستجابة لله تعالىٰ وإقامة الصلاة؟ وهو محمول علىٰ ما ذكره إبراهيم النخعي أنهم كانوا يكرهون للمؤمنين أن يُذلوا أنفسهم فيجترئ الفساق عليهم؛ فهذا فيمن تعدىٰ وبغىٰ وأصر علىٰ ذلك، والموضع المأمور فيه بالعفو إذا كان الجاني نادمًا مقلعًا».

وبالتالي فإن قيام العالِم بدفع مطاعن أهل الأهواء في عقيدته وعرضه ليس من باب حظ النفس، إنما هو من باب إظهار الحق حتىٰ لا يغتر الغوغاء بتشنيع السفهاء، ظانين أنهم علىٰ الحق، وبالتالي يبغضون السنة في شخص هذا المفترىٰ عليه، ويحقِّرون من شأنه، ويعظِّمون المبتدعة والفسَّاق، وهذا من الفساد في الأرض الذي لا يرضاه الله، وهو من انتهاك حرمات الله التي كان ينتقم فيها الرسول ﷺ لله -عزَّ وَجَلَّ- إعلاءً لكلمته سبحانه، ودحضًا للباطل؛ لذا لَمَّا أشاعَ المنافقون الإفك علىٰ أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها- قام الرسول ﷺ يدفع البغي عن أهل بيته قائلاً: **«يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغ أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمتُ على أهلي إلاَّ خيرًا»**.

* **وإليك هذه الأمثلة المشرقة عن أئمة الحديث في هذا الشأن:**

١) **الإمام البخاري -رحمه الله-** لَمَّا طُعِن عليه في عقيدته، وقيل: إنه يقول: لفظي بالقرآن مخلوق، ألَّف كتابه: «خلق أفعال العباد والرد علىٰ الجهمية».

٢) **الإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله-**، لَمَّا طُعِن عليه في عقيدته؛ حيث اتُّهِم بالتشيع وببدعة اللَّفظ، كما قال الذهبي في «الميزان» (٤/ ١١٤): «إن ابن أبي داود قام وأصحابه علىٰ ابن جرير ونسبوه إلى بدعة اللفظ، فصنَّف معتقدًا حسنًا سمعناهُ تنصل فيه ممَّا قيل عنه، وتألم لذلك». وقال ابن جرير بعد أن عرَّج علىٰ بيان عقيدة السلف في كلام الله، والتي هي عقيدته: «فمن روىٰ عنا أو حكىٰ عنا أو تقوَّل علينا فادَّعىٰ أنا قلنا غير ذلك، فعليه لعنةُ الله وغضبه، ولعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين، لا قبل الله له صرفًا ولا عدلاً، وهتك ستره وفضحه علىٰ رءوس الأشهاد، يوم لا

=

ينفع الظالمين معذرتهم، ولهم اللعنة، ولهم سوء الدار».

٣) **العلامة الألباني -رحمه الله-**؛ حيث طعن في عقيدته العديد من السفهاء وأهل البدع، فكان يقف لهم بالمرصاد، ويدفع عن نفسه هذه الفرىٰ، والأمثلة علىٰ هذا عديدة، منها:

◊ ردوده -رحمه الله- علىٰ أبي غدة الكوثري، والتي دفع فيها افتراءاته العديدة عليه، وعلىٰ السلفيين، فلو كان الحويني صادقًا في سلفيته، وفي سلفية إخوانه الذين تواصىٰ معهم علىٰ عدم الرد علىٰ مَن يطعن فيهم، فكان الواجب عليه أن يدفع الفرىٰ عنهم؛ لأن الطعن فيهم -علىٰ زعمه- طعن فيمن يمثل السلفيين في مصر.

◊ ردُّه -رحمه الله- علىٰ وزير الأوقاف في بعض الإمارات العربية، حينما اتهم السلفيين في تلك الإمارة بتهم شتىٰ منها كما قال الشيخ -رحمه الله- في مقدمة المجلد الثالث من الضعيفة (ص٥): «التطرف والخطورة علىٰ العقيدة الإسلامية وإنكار المذاهب الأربعة»، ثم عقَّب هذا المفتري قائلاً: «ويتزعمها شخص يُدعىٰ ناصر الدين الألباني»، فدفع الشيخ عن نفسه قائلاً: «فهذا كذب وزور، يشهد به كل مَن يعرفني شخصيًّا، فإن انكبابي علىٰ التأليف والتحقيق أكثر من نصف قرن من الزمان يحول بيني وبين التزعم المزعوم...»، واستغرق ردُّه عليه ثلاث صفحات.

◊ ردُّه -رحمه الله- علىٰ عبدالله بن الصديق الغُماري، والذي أصدر كتابًا في طنجة سنة (١٩٨٦) بعنوان: «القول المقنع في الرد علىٰ الألباني المبتدع»، فدافع -رحمه الله- عن نفسه كما في مقدمة المجلد الثالث من الضعيفة (ص٨)، فقال: «إن كل مَن يقرأ هذا العنوان من القرَّاء مهما كان اتجاهه -يتساءل في نفسه متعجبًا: ماذا ارتكب الألباني من البدع- وهو المعروف بمحاربته إياها في محاضراته وكتبه، ومن مشاريعه المعروفة «قاموس البدع» ...إلخ».

◊ ردُّه -رحمه الله- علىٰ محمد رمضان البوطي في كتاب «دفاع عن الحديث النبوي والسيرة في الرد علىٰ جهالات الدكتور البوطي»، لَمَّا طعن عليه -رحمه الله- من خلال كتابه «فقه السيرة».

◊ ردُّه علىٰ أحد المتعصِّبين الأحناف، حيث قال في «الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات» (ص٧): «ولو أن هذا الرجل كان مُخلصًا في ردِّه، غير متعصِّب لمذهبه -ولا **أقول**: لمذهب إمامه- لنقل من «المقدِّمة» -المشار إليها- كلامي الذي يراه خطأً وردَّ عليه، وقارع الحجَّة بالحجَّة، وحين ذلك يتبين الحقّ لكل ذي عينين».

وهذا غيض من فَيْض من دفاعات الإمام الألباني الفرىٰ عن نفسه -وما أكثر المفترين عليه -رحمه الله- في حياته وبعد موته-، والذي به يثبت لنا عدم موافقة الحويني للإمام الألباني في هذه المسألة المنهجية، والتي تتعلَّق بذبِّ العالم أو طالب العلم عن نفسه إذا طُعِن في دينه؛ لأن الطعن هنا يمس بالأولوية هذا الدين الذي يحمله العالم أو طالب العلم، لا يمس شخصه فقط.

ولم يقل أحد البتَّة من أئمة السلف طوال هذه القرون الماضية -علىٰ حدِّ ما هو معلوم من ردود هؤلاء الأئمة علىٰ الطاعنين فيهم وعلىٰ المخالفين-: إن السكوت عن الطاعنين قتل الفتنة قتلاً، أو

=

=

قال: أول ما تتكلم كلامًا جديدًا، الطرف الآخر عنده كلام جديد بيردوا يقعد يتكلم على الجديد، بيردوا هو لما يلاقي جديد بيرد ...إلخ هذا الهراء، وهذه القواعد المحدثة والتي لا تصدر من عالم سلفي البتّة.

قال الشيخ حسن -حفظه الله-: «المفهوم من قول الحويني أننا لا نرد على المخالف، ولو خالف أصول أهل السنة، وهذا يعني إبطال علم الجرح والتعديل».

قلت: ومن تناقض الحويني أنه خالف قاعدته؛ حيث إنه لَمَّا طُعن فيه بأنه يكفِّر بالكبيرة، دفع عن نفسه، ولم يتذرع بالسكوت، بخلاف لَمَّا طُعِن عليه أنه يكفِّر المصر على الكبيرة، أخذ يتلاعب ويلف ويدور، بل لقد خصَّص على موقعه الخاص ركنًا للرد على بعض أقوال الطاعنين فيه، وهي الأقوال التي وجد ردًّا مقنعًا عليها، أما باقي المطاعن والتي لم يجد ردًّا مقبولاً عليها؛ فقد أعرض عن الردِّ عليها -حتمًا لا إشكال فيه عنده-، ولجأ إلى السكوت المريب؛ حيث إنه لا مخرج له منها إلا التسليم للناقد البصير، وهذا ما لا يريده.

واعلم -رحمك الله- أن هذه المسألة أيضًا تضاف إلى المسائل العديدة التي خالف فيها الحويني الإمام الألباني -رحمه الله- والتي سبق الإشارة إليها-؛ حيث قال الشيخ الألباني -رحمه الله- في كتابه «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» المجلد الأول (ص٢٧-٣٠):

«فليعلم هؤلاء القراء أنني بحمد الله لا أبتدئ أحدًا يردّ عليّ ردًّا عِلميًا لا تهجُم فيه، بل أنا له من الشاكرين، وإذا وُجد شيءٌ من تلك الشدة في مكان ما من كتبي؛ فذلك يعود إلى حالة من حالتين:

الأولى: أن تكون ردًّا على من ردّ عليّ ابتداء، واشتط فيه وأساء إليّ بُهتًا وافتراءً؛ كمثل أبي غدة، والأعظمي الذي تستر باسم أرشد السلفي! والغماري، والبوطي،وغيرهم؛ كالشيخ إسماعيل الأنصاري غير ما مرة، وما العهد عنه ببعيد!

ومثل هؤلاء الظَّلَمة لا يفيد فيهم -في اعتقادي- الصفح واللين، بل إنه قد يضرهم، ويشجعهم على الاستمرار في بغيهم وعدوانهم؛ كما قال الشاعر:

إذا أنتَ أكرمتَ الكريم ملكته ... وإن أنت أكرمتَ اللئيم تمرَّدا

ووضع الندى في موضع السيف بالعُلى ... مُضِرٌّ كوضع السيفِ في موضع الندى

بل إن تحمُّل ظلم مثل هؤلاء المتصدرين لإرشاد الناس وتعليمهم، قد يكون أحيانًا فوق الطاقة البشرية، ولذلك جاءت الشريعة الإسلامية مراعية لهذه الطاقة، فلم تقل- والحمد لله- كما في الإنجيل المزعوم اليوم: «إن ضربك على خدّك الأيمن؛ فأدرْ له الخدّ الأيسر، ومن طلب منك رداءك؛ فأعطه كساءك!».

بل قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾، وأنا ذاكر بفضل الله تعالى أن تمام هذه الآية الثانية: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ

=

ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورىٰ: ٤٠- ٤٣].

ولكني أعتقد أن الصفح المشكور، والصدر المأجور؛ وإنما هو فيمن غلب علىٰ الظن أن ذلك ينفع الظالم ولا يضره، ويعز الصابر ولا يذله؛ كما يدل علىٰ ذلك سيرته ﷺ العملية مع أعدائه، وقوله ﷺ: «**أشد الناس عذابًا يوم القيامة، رجل قتل نبيًّا أو قتله نبي**». انظر: «الصحيحة» (٢٨١).

وأقل ما يؤخذ من هذه الآيات ونحوها أنها تسمح للمظلوم بالانتصار لنفسه بالحق دون تعد وظلم؛ كقوله تعالىٰ: ﴿ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ﴾ [النساء: ١٤٨]، والسنة تؤكد ذلك وتوضحه؛ كمثل قوله ﷺ لعائشة حين اعتدت إحدىٰ ضراتها عليها : «دونك فانتصري»، قلت: فأقبلت عليها حتىٰ رأيتها قد يبس ريقها في فيها، ما ترد علي شيئا، فرأيت النبي ﷺ يتهلل وجهه.

رواه البخاري في «الأدب المفرد»، وغيره بسند صحيح، وهو مخرج في المجلد الرابع من «الصحيحة» (١٨٦٢). اهـ

قلت: فبيَّن الإمام الألباني أن من منهجه -والذي هو منهج السلف الصالح- أن يرد علىٰ مَن طعن في عقيدته ومنهجه، وافترىٰ عليه في دينه خاصة إذا اشتط في هذا الافتراء، بل بيَّن أن السكوت عن هؤلاء الطاعنين يعتبر أحيانًا فوق الطاقة البشرية؛ وهذه نُكتة مهمة نستفيد منها أن المطعون عليه إن كان مظلومًا ومفترىٰ عليه، ففي الغالب لا يصبر علىٰ السكوت إلا أن يدفع عن نفسه، ولا يصبر علىٰ هذا السكوت إلا أحد رجلين:

الأول: المبطل الظالم المتَّبع لهواه الذي تعوزه الحجة، فلا ردَّ عنده؛ لأنه قد طُعِن عليه بحقٍّ.

والثاني: الذي يظن في نفسه أن له طاقة فوق طاقة البشر، وهذا يستحيل أن يوجد، وإن تحقَّق شيء منه فإنما يكون في المتجبرين، الذين لا يأبهون بأحد من أهل الحق، ولا يرفعون رأسًا لإنكاره عليهم، ولطعنه فيهم بحقٍّ ولو كان إمامًا من أئمة السنة، كما هو حال الحويني، حيث لم يأبه بطعن الأئمة: مقبل، والنجمي، وربيع، والجابري عليه، ولم يرفع رأسًا لـمَا أنكروه عليه من أقوال مُحدثة، بل اعتبر السكوت المريب وعدم الرجوع إلىٰ الحقِّ منقبة يُحمد عليها، وهذه صفة مذمومة لا تكون في المؤمنين حقًّا، كما جاء في حديث حارثة بن وهب -رضي الله عنه- أنه سمع النبي ﷺ قال: «**ألا أخبركم بأهل الجنة؟**»، قالوا: بلىٰ، قال ﷺ: «**كل ضعيف متضعّف لو أقسم على الله لأبره**»، ثم قال: «**ألا أخبركم بأهل النار؟**»، قالوا: بلىٰ، قال: «**كلُّ عتلٍّ جواظ مستكبر**»، وفي رواية: «**كل جواظ زنيم متكبر**».

أَمَّا (الْعُتُلّ) بِضَمِّ الْعَيْن وَالتَّاء، فَهُوَ: الْجَافِي الشَّدِيد الْخُصُومَة بالباطِل، وَقِيلَ: الْجَافِي الفَظّ الغَلِيظ، أَمَّا (الْجَوَّاظ) بِفَتْحِ الْجِيم وَتَشْدِيد الْوَاو وَبِالظَّاء الْمُعْجَمَة، فَهوَ: الجَمُوع المَنُوع، وقيل: كَثِير اللَّحم الْمُخْتَال فِي مِشْيَته، وَقِيلَ: الْقَصِير الْبَطِين، وَقِيلَ: الفَاخر بِالخَاء، وَأَمَّا (الزَّنِيم) فَهُوَ: الدَّعِيّ فِي النَّسَب الْمُلْصَق بِالْقَوْمِ، وَلَيسَ مِنْهُمْ شَبَّه بِزَنَمَة الشَّاة، وَأَمَّا (المتكبر وَالمُسْتَكبر) فَهُوَ صَاحِب

في الخارج، كنت والشيخ محمد حسان، والشيخ صفوت نور الدين -رحمة الله عليه-[1]،

=

الكِبر، وَهُوَ بَطَر الْحَقّ وَغَمْط النَّاس.

والحويني ينسب نفسه إلىٰ السلفيين وهو يخالفهم في مسائل من أصولهم، فهو دعيٌّ في نَسَبِه إليهم، وكذلك يستكبر عن قبول الحق المؤيد بالأدلة، فليخش علىٰ نفسه من الوعيد المذكور في هذا الحديث، هذه نصيحة مشفق لا شامت -عياذًا بالله-.

ولو سلَّمنا أن الحويني يعتبر الطاعنين فيه من الجهَّال، فهل السكوت عن الردِّ عليهم وبيان جهلهم -إن كانوا هكذا- من سبيل أئمة السلف؟

والجواب نجده في كلام الإمام الألباني التالي، حيث قال -رحمه الله- كما في «النصيحة» (ص٧): «وإني لأعلم أن بعضًا من إخواننا دعاة السنة أو الحريصين عليها قد يقولون في أنفسهم: أليس في هذا الردِّ -أي الردّ علىٰ حسَّان بن عبدالمنَّان- إشهار لهذا الجاهل وتعريف بهذا الهدَّام؟ فأقول: فكان ماذا أليس واجبًا كشف جهل الجاهل للتحذير منه؟ أليس هذا نفسه طريق علماء الإسلام منذ قديم الزمان؛ لنقد كل منحرف هجَّام، ونقد كل متطاول هدَّام؟ ثم **أليس السكوت على مثله يُغرِّر به العامة والدَّهماء والهمج الرّعاع؟ فليكن إذن ما كان، فالنصيحة أسُّ الدين، وكشف المبطل صيانة للحقِّ المبين**، ولينصرنَّ الله من ينصره ولو بعد حين».اهـ

قلت: واعلم أيضًا -فهمك الله- أن هذا الدفع الذي يكون بين أهل الحق وأهل الباطل هي سنة ربانية ماضية إلىٰ قيام الساعة، وهي المذكورة في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

(١) قال الشيخ حسن بن عبد الوهاب -حفظه الله-: «كان محمد حسَّان يُدعىٰ من بعض أعضاء جماعة أنصار السُّنة المحمدية لإلقاء محاضرات بمسجدها، وكنت لا أرتاح لكلامه؛ لأنه مبنيٌّ علىٰ الإثارة، وكان أسلوبه مثل أسلوب الخوارج، ولم يتكلم في العقيدة ومنهج أهل السُّنة بوضوح، ولم يجعلها قطب الرحىٰ في خطبه، كما هي صبغة علماء السلف، وصبغة مشايخ أنصار السُّنة منذ نشأتها، نحو: «فضيلة الشيخ محمد حامد الفقي ومن بعده كالشيخ أحمد شاكر، والشيخ عبد الرزاق عفيفي -رحم الله الجميع-، ثم تلاهم الشيخ محمد خليل هراس، ثم الشيخ عبد الرحمن الوكيل، حيث دأب علماء الجماعة علىٰ التركيز علىٰ العقيدة والمنهج وتتويج خطبهم ومحاضراتهم بهما.

ثم فوجئت بأن إدارة الجماعة برئاسة الشيخ محمد صفوت نور الدين ووكالة الشيخ صفوت الشوادفي وافق علىٰ عمل فرع للجماعة في بلدة محمد حسان، وفرع آخر في بلدة أبي إسحاق الحويني، فلم أرتح إلىٰ هذا التصرف في نفسي لما علمته عن محمد حسان وعن أبي إسحاق الحويني من مخالفات في المنهج، وصرَّحت بذلك لبعض أعضاء الجماعة والرد كان معروفًا؛ لأنه كانت هناك صداقة بين بعض أعضاء الجماعة وبين محمد حسان والحويني، مع تغاضيهم عن

=

وكان شيخ أو الشيخ ده كان فيه مشاكل بينه وبين شيخ آخر، بس كانوا هـم حبايب، وقعت مشكلة معينة فاتفقت أنا والشيخ محمد حسان، والشيخ صفوت نور الدين أن لا نتكلم في هذه القضية مطلقًا، ولا نثيرها على أي مستوى، ولا حتى في الجلسات الخاصة ليه، لأنها تعمل مشكلة كبيرة جدًا لو دخلت.

يعني قدّر الله -سبحانه وتعالى- أن كان فيه واحد جالس في هذا المجلس العاصفة ده، وقام رايح ناقل الحديث برمته إلى طرف من الأطراف، الطرف ده أول ما نزل مصر، أول محاضرة عملها أنه ذكر القضية برمتها، وقال: أنه كان حاضر في القضية فلان وفلان، عايزين تستوثقوا من صدق قولي روحوا لفلان وفلان، طبْعا كل ما ييجي واحد من هؤلاء عشان يستثبت كنا نزجره، ونقول له: ابحث عما ينفعك، دوَّر على مصلحتك، ولا تأتيني أبدًا بهذا القول مرة أخرى.

وكان عندنا كنا خرجنا بأى بحكم إحنا بقينا شيوخ[١] يعني كنا تخلّصنا من عقدة الخجل، يعني كان الأول مثلاً لما ييجي الأخ يعرض عليّ قضية هو أدي في السن[٢] فكنت أباه مُحرج[٣]، إننا إيه أمسك أذنه مثلاً.. أقول له كذا عيب ما نحن أد بعض في السن، زيّ بعض[٤]، لكن لييجوا بعد كده من صغار آه ممكن تفرك له أذنه؛ لأن هو في مقام أخيك الصغير، أو في مقام ابنك. فبأى عندنا[٥] الجرأة بعد الطبقة الأولى إلّلي إحنا عملناها، والتي

=

أخطائهما المنهجية وكأن الصداقة تحول بين هؤلاء الأعضاء وبين الغَيْرَة والحرص على العقيدة والمنهج.

وكان الشيخ محمد حسَّان يطالب الجماعة بأن تحضر له (Sound) -أي: مكبر للصوت-؛ ليجلجل صوته في المسجد وخارجه، فلمَّا سمعت بذلك قلت للذي أخبرني: أنا أرفض حضور مثل هذا الشيخ لأن محاضراته مصبوغة بالرياء والسمعة مغترًا بكثرة السامعين ممن هبَّ ودبَّ».

(١) أي: صرنا شيوخًا.

(٢) أي: في مثل سِني.

(٣) أي: أكون محرجًا.

(٤) أي: أقول له أنا وأنت في سنٍّ واحدة، فيعيب عليَّ إمساك أذنه، وهو في مثل سني.

(٥) أي: صارت عندنا.

هي زيّنا[١] في السن، أو أكبر منّا في السن، ولم يعني الحقيقة ننجح في إننا نخرج منهم طلبة علم، إنما أزيل عنهم عرض الجهل[٢]، إنما طلاب العلم جاءوا في الطبقات التي جت[٣] بعد كده، فتستطيع أنك تزجر الطالب، وتستطيع أنت تقسوا عليه باتباع الكلام ده، لو قلت له: ممنوع تتكلم، محدش[٤] يقدر يتكلم.

استمرت الفتنة دي حوالي سنة، واتهمنا إننا إحنا بنكتم الحق، وهذه شهادة مطلوبة منا، ومع ذلك نحن لم نؤد الشهادة[٥]، جاب[٦] أحاديث كتم الشهادة، وآيات كتم الشهادة، ومش عارف إيه الكلام ده، ونحن لم نرد تواصينا حتى مثلاً كان ممكن الشيخ محمد يقول لي: يعني فلان قال كذا، فلان قال كذا.

قلت له: يا شيخ محمد نحن اتفقنا على سطح الحرم وحلفنا اليمين لبعض إنَّ إحنا لا نتكلم، وحنفضل كده منتكلمش[٧]، فين وفين، بعد حوالي سبع سنوات واحد برضه واحد من الشباب قام جاب شريط لواحد من الّي بينفخوا في النار دول[٨]، وقال: شوف يا شيخ محمد بيتكلموا كذا ويقول كذا، ومش عارف إيه، فالشيخ محمد تكلم كلام جيد جداً، وسمى الشريط (مهلاً يا غلاة الجرح)، ده الكلام ده بعد سبع سنين من السكوت والتواصي على السكوت، وسبحان الله: هذا السكوت قتل الفتنة قتلاً[٩].

---

(١) أي: مثلنا.
(٢) لأنكم سلكتم مسلك القصّاص الذي لا يربي على العقيدة ولا على المنهج الصحيح، فكيف تنتظر خروج طلبة علم من هذا المنهج؟!
(٣) أي: جاءت.
(٤) أي: لا أحد.
(٥) وهذا حقٌّ، وليس افتراء عليكم.
(٦) أي: أحضر.
(٧) أي: سنظل هكذا لا نتكلم.
(٨) مَن الذي ينفخ في النار: ألذي يُظهر الحق بالحجج والبينات؛ دفاعًا عن أصول المنهج السلفي، أم الذي يُحْدِث في هذه الأصول، وينسب إليها ما ليس منها؟!
(٩) علّق الشيخ فلاح على هذا الموضع قائلاً: «سبحان الله! يصف نفسه، ويُجاهد ويحاول بكلِّ وسيلة وطريقة أن يظهر نفسه أنه الحكيم، العالم بعواقب الأمور، بل وأنه هو وابن حسَّان السدّ المنيع، والباب الموصود بين مصر وأهلها، وبين عامة الفتن.

=

ليه متتكلمش كلام جديد، أول ما تتكلم كلام جديد الطرف الآخر عنده جديد برضه يقعد يتكلم على الجديد، هو لما ما لاقاش حد بيرد، تكلّم وبعدين تكلّم وتكلّم، وبعدين تكلّم، قالوا له: يا عم، اقلب الشريط باه إلّلي أنت بتقوله بنسمعه من ميت سنة خلاص اقلب الشريط[1]، وإحنا مش مديين أي فرصة لأي حد يلاقي مادة جديدة يتكلّم فيها.

لكن قدّر الله -عز وجل- الشيخ -أي حسّان- لما وصله يعني كلام فظيع، يعني فردً ردًا رفيقًا[2] على عادة الشيخ محمد حسّان في الرفق، وأنه هو يميل دائمًا للجمع والضم،

=

ثم يصور غيره مِمَّن نصحه وبيَّن أخطاءه بأنه «واحد من إلّي بينفخوا في النار دول»، ولكن وبعد طول صمت -كما زعم- أخرج قرينه ابن حسّان لسانه وتكلّم وأطلق العنان، فأصدر شريطًا بعنوان: «مهلاً يا غُلاة الجرح»!! أقول: الويل لأهل مصر إذا كُسِرَ الباب -أي: مات الحويني وأمثاله!!».

(١) ترجمة هذه الفقرة: «نحن تواصينا ألاّ نتكلّم كلامًا جديدًا؛ لأنه إذا تكلّمنا كلامًا جديدًا -أي في الرد على الطاعنين فينا-، سوف يردون هم بالتالي علينا، وأمّا إذا لم يجدوا منّا ردًّا، فسوف يظل هو يرد ويتكلم دون أن يجد مجيبًا، حتى يملّ منه الناس، ويقولون له: منذ مائة سنة وأنت ترد، يا عم اقلب الشريط هذا الذي نسمعه منك منذ زمن بعيد».

قلت: كذا بهذه السُّوقية يسفّه من ردود أهل العلم وطلبة العلم المؤيدة بالأدلة من الكتاب والسُّنة وفهم سلف الأمة!.

وأقول دحضًا لهذا التأصيل الفاسد: إن أئمة الإسلام منذ مئات القرون يردون على المخالفين للحقّ، دون أن يملّ من ردودهم أحد إلاّ أصحاب البدع والأهواء، فهم الذين يتضجرون من هذه الردود؛ لأنها تكشف عوارهم وتحبط كيدهم.

(٢) لا والله، لم يكن ردًّا رفيقًا، ولا جيدًا، بل كان ردًّا غليظًا سيئًا، فيه ما فيه من التدليس، والكذب، والطعن في العلماء، وتشويه صورة المنهج السلفي، وتمجيد أهل الأهواء، وتأصيل القواعد المحدثة ..إلخ، كما شهد بهذا العلماء الربانيون، والعقلاء المنصفون.

وإليك بعض عباراته الفجّة التي نفر منها أصحاب الفطر السليمة، حتى من كان يتعاطف منهم مع محمد حسّان، فقد نفض يده منه بعد هذا الردّ السيئ الذي أبان فيه حقيقته والتي طالما سعى إلى إخفائها بالعبارات المزينة، فأبى الله إلا أن يظهر ما في سريرته من حقد دفين على بعض أصول المنهج السلفي وعلى طائفة من علمائه المعاصرين، و ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ

=

فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠]، وكما قيل:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تُعْلَمُ

قال محمد حسّان: «كل البدعة بتاعتي أني أنا ذكرت سيد قطب -رحمه الله- وقلت: رحمه الله، كارثة بقيت مبتدع ليه يا إخوانا كده».

قلت: وهذا كذب له قرنان، فمَن الذي حكم عليه بالبدعة بسبب ترحمه على سيد قطب؟! أليس هذا من الافتراء على أهل الحق؟ هات لنا نصًا واحدًا -مقروءًا أو مسموعًا- عن أحد العلماء المعتبرين تثبت فيه أنهم بدَّعوك لترحمك على سيد قطب!!.

وقال: «ما أنا بأقول بلاش تجريح فمش عاوز أقع في التجريح إلّي هو التجريح والتفنيش، يفَنْشك يعني: يدِّيك كارت أحمر يطلّعك خالص من السلفية، وأنا مش عارف يعني مين إلّي يِدِّي لنفسه الحق يخلي نفسه بواب حارس للسلفية واقف على البوابة: أنت ادخل تبقى سلفي، وأنت اطلع برَّه متبقاش سلفي، مين إلّي يدِّيك الحق ده يا أخي..شيء غريب جدًّا».

قلت: لا يقول هذا الكلام عالم أبدًا ! أمَّا غير العالم فقد يقول هذا وأكثر من هذا!.

والذي نفسي بيده لا يقر هذا الكلام أو يثني على صاحبه إلا جاهل أو صاحب هوىً أعمى الهوىٰ بصره، فلم يعد يرىٰ الحق المبين!!

ووالله لو قلَّب الحويني وابن حسَّان والمتعصِّبون لهما صفحات مصنَّفات ودواوين الجرح والتعديل منذ نشأة هذا العلم إلىٰ وقتنا هذا ما وجدوا عالِمًا واحدًا من علماء الجرح والتعديل تفوَّه بنحو هذا الهراء الذي لا يصدر إلا من أحد رجلين:

- إما جاهل متعالم متفيهق لا يعرف حدود هذا العلم ولا مراميه، ولم يدرس أصوله وقواعده علىٰ أيدي أهله.
- وإمَّا حاقد علىٰ هذا العلم العظيم.

وإن أعداء هذا الدين من المنافقين واليهود والنصارىٰ لو أرادوا الطعن في هذا العلم الشريف وتشويه صورته ما وجدوا عبارات أسمج من هذه العبارات التي تفوَّه بها ابن حسَّان -سلَّمه الله من شرِّ لسانه-.

فما معنىٰ قوله: «بلاش تجريح ..» إلا إلغاء الجرح بالكلية، أو بصورة أدق أراد أن يقول: كل من أظهر السنة بلسان مقاله -أو حتىٰ أظهر التدين وحب الإسلام بشعارات جوفاء أو تصرفات حمقاء-: لا يجوز المساس به بأي حال، ولا الحكم عليه ببدعة أو بما يستحقه من جرح، مهما أتىٰ بأصول وقواعد محدثة، فهو محمي الجانب، ومَن جرحه صار من غلاة التجريح عند ابن حسَّان وأتباعه، وصار بوابًا للسلفية، وصار مثل الحكم في مباريات كرة القدم الذي يطرد اللاعب المنحرف عن قوانين اللُّعبة ظلمًا وبهتانًا.

=

وسبحان الله! فإنه كما قيل: شر البلية ما يُضحك، فقد أقام الحجة علىٰ نفسه بهذا المثال، فإن كانت كرة القدم -وهي من اللهو الباطل- محمية الجانب من قبل حكّامها حتىٰ لا يتمكن مفسد من إفساد المباراة علىٰ بقية اللاعبين بتصرفات حمقاء؛ وذلك بأن يطرد هذا المفسد المخالف، فكيف بدين الله العزيز الحكيم؟!!

ومحمد حسّان بهذا الكلام الساقط قد خالف إجماع أئمة السُّنة علىٰ وجوب جرح أهل البدع والأهواء، فإن جرح مَن يستحق أن يُجرح إذا صدر من عالم بهذا الشأن مفسَّرًا مبيِّنًا أسبابه، وجب شرعًا قبوله من كل مؤمن يؤمن بالله واليوم الآخر، إلا أن يأتي مَن لم يقبل هذا الجرح المفسَّر بأدلة واضحة بيِّنة يبين بها خطأ هذا الجرح أو يبين عدم صحة نسبة أسباب هذا الجرح إلىٰ المجروح؛ هذا هو الذي جرىٰ عليه أئمة الجرح والتعديل قاطبة منذ فجر الإسلام إلىٰ وقتنا هذا، لم يخالف في هذا إلا مبطل لعَّاب أو ملحد جاحد.

وكان يكفي محمد حسّان أن يقرأ مقدمة ابن حبّان علىٰ «المجروحين»، أو مقدمة العقيلي علىٰ «الضعفاء»، ليدرك وهاء تأصيله، وأنه سلك مسالك المتفلسفة الذين جلُّ اشتغالهم بالآراء المجردة عن الآثار؛ حيث إن الآثار وحدها كافية في ردِّ تأصيله الباطل، ولا يسمح المجال هنا للتوسّع في دحض هذه الشبهة، ولعلَّ الله أن ييسر لنا مقامًا آخر لهدم هذه الشبهة الواهية، من خلال ردٍّ موسّع علىٰ محمد حسّان.

وقد رددت علىٰ هذا التأصيل الباطل من قبل ردًّا موجزًا من خلال مطوية: «علم الجرح والتعديل ..تعريفه..تاريخه.. ثمراته»، ومن خلال سلسلة دروس «التوضيح في ردِّ شبهات صاحب رسالة إلىٰ غلاة التجريح»؛ فليرجع إليها طالب الحق بأدلته.

ويُرجع كذلك بالأصالة إلىٰ مؤلَّفات إمام الجرح والتعديل في هذا الزمان العلامة ربيع بن هادي؛ فهو مجدِّد هذا العلم في هذا الزمان، وإن رَغِمَت أنوف الحاقدين.

ومن الكلمات الساقطة التي ملأ بها محمد حسّان هذه المحاضرة السيئة، والتي تدل اللَّبيب علىٰ حاله، قوله: «يبقىٰ إحنا عايزينها سمك لبن تمر هندي .. ها حد يقدر يبدع الشيخ، حد يقدر يبدع الألباني، أظن ما حدش من دول يقدر يفتح بُقه -أي: فمه- بكلمة مع الشيخ ناصر؛ لأن الكل يتمسح ويقول: شيخنا شيخنا تقدر تتطاول علىٰ شيخك.. وكله بقىٰ كله هيصة .. قالوا ده الشيخ عاوزها هيصة عاوز يجمع علىٰ الهيصة .. ياخبر أبيض بهدلونا بهدلة بشعة بشعة.. هو يعرف يعني المهلبية ..إلخ».

قلت: هل يتفوّه بمثل هذه العبارات عالمٌ سلفي؟!

هذا بخلاف تدليسه علىٰ الألباني، واللجنة الدائمة في شأن فتاويهم في سيد قطب والأحزاب المعاصرة من إخوان وتبليغ وتكفير وهجرة، وإخفائه جرحهم المفسَّر الشديد في هؤلاء، وكذلك ذكره رموز القطبيين السروريين ممجدًا لهم مظهرًا من حذَّر من مخالفاتهم الواضحة لأصول المنهج السلفي علىٰ أنه ظالم مفتر ..إلخ ما قد بيَّنته في سلسلة دروس: «التوضيح».

وليس إلى التفرقة[١]. الشيخ يتكلم وده أي بني آدم فينا مهما أوتي من قوة البيان والحافظة يتعرض لها: أنه يزل لسانه بخطأ غير مقصود، فمثلاً لما نيجي نتكلم في مسألة الجرح والتعديل فالشيخ مثلاً بيقول مثلاً: أو جاء السيوطي فقال: كذا كذا كذا، وجاء ابن الصلاح فقال: كذا كذا كذا، فالطرف الثاني اصطادها بآه، ازاي ابن الصلاح يبقى بعد السيوطي؟! يبقى إذن الرجل لا يعرف طبقات العلماء، ولا عارف يرتب طبقات العلماء، دا يتكلم في الجرح والتعديل ازاي؟! هو ده كان المدخل إللي أقدر أردح به، وأفرش الملاية[٢]، زي ما احنا بنقول للمخالف وكده دي القصة، وكانت ساعتين محترمتين كده في اللّمز والغمز والهمز، أنه لا يعرف طبقات العلماء، ولا مين قبل مين، قلت له: ياشيخ محمد الواحد يصوم ويصوم يصوم، ويفطر على بصلة، يعني ماحنا كنا ساكتين لكنا بنتكلم والشريطين دول إنو والدولة ماتت وراحت، ومن الكلام ده، إحنا بهذا السكوت رغم أنه مرّ اتهامات في العقيدة، واتهامات في المنهج والكلام ده، إلا أنها أتت بثمرة رائعة جدًّا أن هذا الزخم لم يصل إلى إخواننا الشباب الصغير المتلقي[٣].

وأنا أقول وبالله أحلف، وأنا لا أحلف عادة أبدًا على كلامي، لكن أحلف على هذه:

---

(١) نعم، صدقت أنه يميل إلى قاعدة التجميع التي أسّس عليها حسن البنا حزبه -حزب الإخوان-، وهي القاعدة التي اشتهرت باسم: قاعدة المعذرة والتعاون: «نجتمع فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه».

وهل كان السلف هكذا: جمّاعين.. حطّابين ليل؟!

لا، والله، ما كانوا أبدًا هكذا، إنما هذا حال أهل البدع من أهل السياسة الحزبية في هذا الزمان، الذين يعملون على جمع الفتات المتناثر من النطيحة والموقوذة والمتردية؛ كي يصنعوا منه مزيجًا غير متجانس، يرومون به نصرًا على العدو ..ولكن هيهات.

(٢) «أردح، أفرش الملاية» هذه الكلمات يتفوّه بها الغوغاء من العامة عند الشجار والمخاصمة، ولا أظن عالمًا -يحترم نفسه وعلمه- يتفوّه بنحو هذه العبارات، خاصة في مجلس علم يجمع طلبة علم، ألم يستحِ ...؟!

(٣) لكن وصل إليهم زخمٌ أشدّ، وهو زخم السرورية القطبية، والتي عشّشت في قلوبهم، وفتنتهم في دينهم، فصرفتهم عن العلم الصحيح، وأدخلتهم في مزالق الغلو فِي التكفير، والطعن في أكابر العلماء تلميحًا وتصريحًا.

جاءني شاب في رمضان قبل قبل الماضي، وقال: أنا جئت من عند فلان في مكة، وقال لي: إذا نزلت إلى مصر فحذّر من الخبيث فلان، الخبيث فلان ده صديق هذا المكي جداً بس انحرفوا عن بعض وكلام من ده، قال: أنا أوصيك، وأشدّد عليك لما تنزل تقول مثالب هذا الخبيث وتفضحه وتقول: كذا وكذا[1].

وهذا الذي يقول عنه خبيث هو أحد الذين تولوا كبر أذاي... بالخصوص، مثلاً بيقول: أخطر إنسان على الدعوة السلفية في مصر كلها هو أبو إسحاق الحويني، ليه؛ لأن كان بيحط السم في الدسم، يحط السم في علم الحديث، يتكلم عن قاعدة من قواعد الجرح والتعديل يقوم شارد على عادته يشرد ويرجع، ويشرد ويرجع، يشرد يقوللوا كلمتين كده في الخباثة. وينزل ثاني مش عارف إيه[2]؟!

فلما الأخ جاني وقال لي: والله أنا جيت، والشيخ فلان قال: حذّر من الخبيث فلان.

---

(١) ما زال الحويني يستخدم الإجمال في القول؛ لإثارة الشبهات على أهل الحق، ولتشويه صورتهم.
فهذا الذي أنت أشرت إليه في مكة هو عالم كبير جليل، لا يضره طعنك فيه -إن شاء الله- أو تصغيرك إياه بعد أن أثنى عليه أكابر أهل العلم، وشهدوا له بالتقدم في العلم بل والإمامة في الدين، فهو إمام وقته -شئت أم أبيت-، أسأل الله -سبحانه- أن يحفظه وأن يثبته على الحق حتى الممات.
وقد تقدّم نقل طعنك الصريح فيه بقولك: ربيع هذا أحمق، وقد نقلت هناك شهادات العدول من أهل العلم في الثناء على العلامة ربيع بما يغنيني عن الإعادة هنا.
واعلم -هداك الله- أن إمام الجرح والتعديل بحقٍّ في هذا الزمان -كما كان يقول شيخنا محمد بن عبد الوهّاب البنا -رحمه الله- لم يرد على أحد من المخالفين إلا بالحجة والبرهان، ونقلك عنه هذا نقل مبتور مكذوب، وفيه ما فيه من التدليس وكتم الحق، وقد قال الله سبحانه: ﴿لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٤٦].
ومن باب تعظيم القسم بالله الذي أقسمه الحويني، نقول: إن العهدة في هذا البتر أو التدليس المتعمَّد أو المبني على سوء فهم هي على هذا الناقل المجهول الذي لا ندري حاله، فسند الحويني معلٌّ!
وصدق الإمام ابن القيم -رحمه الله- حينما قال في الصواعق المرسلة (ص٥٢): «ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولّد بينهما جهل الحق وإضلال الخلق».
(٢) وهذا حقٌّ، وهو يؤيد نقدنا السابق له، فمن قال هذا لم يفتر على الحويني، بل هو بالفعل يدس السُّمَّ في العسل، وهذا هو صنيعه في هذا المجلس.

طب إنت ما توصيني، قلت له: لا يحل لك أنت تفعل ذلك إطلاقًا يا بنيّ احرص على ما ينفعك، إنت انزل إلى بلدك واطوِ هذه الصفحة تمامًا، وأعراض المسلمين لا ينبغي أن تمس، أنا قلته ديانة.. يعني ما قلته من باب المروءة، مثلاً إنما أنا قلته[١] ديانة، -فسبحان الله- مرّ الزمان حتى أن هذا الأخ وأنا أقولها آسفًا؛ لأن هذا الأخ كان له جهد علمي، وكان بيدرس كويس، أو كان دارس كويس، يعني عنده معلومات جيدة، وكلام من ده، لكن وصل به الحال الآن، أنه ما يطلعش المنبر إلا ببدلة وكرفطة، ويطلع بكسكتة فوق المنبر لابس بنطلون جنز ..... يخطب ببنطلون الجنز ..... وكان هو لسه أولى طب مش عارف إذن رجع درس الطب ثاني، وأظنه في سنة رابعة، والدنيا تحولت وبأت العملية[٢].

(١) علّق الشيخ فلاح على هذا الموضع قائلاً: «قصة عجيبة.. مبتورة الأطراف.. يرويها عن مجاهيل، وفيها إجمال كثير -كل ذلك ليوهم الناس برئاسته وديانته وعلمه وورعه!!
يقول للناقل لمَّا نقل له: إن فلانًا في مكة يقول: الحويني الورع الناصح لهذا الناقل: «يا بني احرص على ما ينفعك.. اطو هذه الصفحة تمامًا، وأعراض المسلمين لا ينبغي أن تُمس.. أنا قلته ديانة..».
هلاّ عملت بما نصحت به ابنك وحبيبك، هلاّ طويتها ولم تذكرها، أتأمرون الناس بالبرّ وتنسون أنفسكم؟! تُعلِّم غيرك، هلاّ لنفسك كان ذا التعليم؟! لا تنه عن خُلق وتأتي مثله عارٌ عليك إذا فعلت عظيمُ».
(٢) أراد الحويني -كعادته في هذا اللقاء وغيره- بمكر ودهاء- أن يخفي الحقائق عن طريق الإجمال والإبهام؛ كي يوصل مبتغاه إلى السامعين بأقصر طريق دون أن يشعرهم بوقوعه في البتر المتعمَّد للحقائق، بل في التدليس القبيح والخيانة المتعمَّدة، والله يعلم السر وأخفى.
وهذا الذي أبهمه الحويني كان في أول أمره على الجادة السلفية، ثم تقلَّب قلبه في فتنة أبي الحسن المصري، حيث أورد عليه أبو الحسن الشبهات والأراجيف التي أثرت فيه، وحيَّدته عن سبيل العلماء الراسخين، فبعد أن كان بالأمس يذكرهم بالجميل، صار اليوم في ركاب الرامين لهم بالغلو، مِمَّا يثبت لنا خطورة مجالسة أهل الأهواء، ويبين لنا لماذا شدَّد السلف في المنع من مجالستهم!.
والحويني أراد بهذا البتر والتدليس أن يصوِّر للسامعين أن سبب تغيُّر هذا الداعية هو اشتغاله السابق بعلم الجرح والتعديل، وأنه إنما تغيَّر وفُتن بسبب طعونه السابقة في الحويني ومحمد حسان، ومن على شاكلتهما، وفي الوقت نفسه يُظهر العلامة الإمام ربيع بن هادي -حفظه الله- بمظهر السفيه الغادر الذي لا يبقي وُدًّا لأحد ولو كان من أقرب أصفيائه، وأنه سرعان ما يغدر بهذا الصفي لأتفه الأسباب.
وهذا كله -كما بيَّنت- بتر للحقائق وتدليسٌ قبيح، حيث إن تغيُّر فلان لم يكن بسبب تحذيره من

أهل الأهواء، ولو كان التحذير من المخالفين للحق مُضلاً لصاحبه، لما اشتغل به كبار الأئمة من السلف الصالح ومن اتبعهم بإحسان إلىٰ زماننا هذا.

ولو سلمنا جدلاً بصحة نسبة هذه المقولة: «حذِّر من الخبيث» إلىٰ الشيخ ربيع، فهل هذا مِمَّا يُعاب به -إذا كان بحقٍّ-؟! وقد تقدم ذكر سخرية الحويني من بعض ألفاظ الجرح التي قالها أئمة الجرح والتعديل، نحو قولهم: «فلان لا يساوي شيئًا»، فيُضاف هذا الموضع أيضًا إلىٰ قاموسه في التنقص من هذا العلم الشريف وأهله.

واعلم -أرشدك الله إلىٰ الحقّ- أن الشدة علىٰ أهل الأهواء يُحمد عليها صاحبها لا يُذم ويُسخر منه، ولكنها غربة هذا العلم الشريف في هذا الزمان حتىٰ في وسط من يدَّعي الانتساب إليه بلسان مقاله!!.

ورغم هذا نقول: إن صبر الشيخ ربيع وحلمه علىٰ المخالف معروف عند أهل العلم وطلبته، وأنه -حفظه الله- يوالي النصيحة تلو النصيحة لهذا المخالف آملاً منه الرجوع إلىٰ الحق، خاصة إذا كان هذا المخالف يُظهر الانتماء إلىٰ السلفيين، وليس من طريقته -حفظه الله- أنه يسارع في التحذير منه إلاَّ إذا يئس من رجوعه أو وجد منه عنادًا للحقِّ وشدة علىٰ أهله وإثارةً للشبهات لإخفاء هذا الحق؛ ولا يجهل هذا إلاَّ الجُهَّال أو المغرضون من أصحاب الأهواء الذين يستبيحون عرض الشيخ؛ لأنه كشف ألاعيبهم وخططهم الماكرة وأهواءهم الزائفة.

ولا أدري كيف يكون حال الحويني ومَن يُدافع عنهم بالباطل إذا عاشوا في زمن شُعبة، وأحمد، وابن معين، وأبي حاتم، وأبي زرعة، والبخاري، والنسائي -رحمهم الله جميعًا-، وسمعوا كلمات هؤلاء الأئمة في بيان حال العشرات من أهل البدع والأهواء بأشد العبارات؟! لا أخالهم إلا طاعنين فيهم متهمين إيّاهم بالغلو والسَّفه وتفريق الأمة!!.

فكيف يكون حكم هؤلاء الأئمة عليهم؟!

فلا تغتر -هداك الله- بما يزخرفه الحويني من الباطل! والزم غرز أئمة السلف الصالح تسلم.

وأقول: إن هــذا الذي عــناه الحويني في كلامه قد صدرت منه أقوالاً شنيعة ضد المنهج السلفي -وذلك بعد تغيُّره-، فكان الواجب علىٰ الحويني شرعًا إن كان ناصحًا لهذا الشاب الذي سأله وناصحًا للأمة، أن يسأل هذا الشاب: لماذا أوصاك الشيخ ربيع بالتحذير من فلان؟ هذا لو اعتبرنا صحة ما نقله هذا الشاب عن الشيخ.

وإليك أيها الناقد البصير بعض هذه المقالات الشنيعة؛ لتدرك تدليس الحويني وإخفائه لهذه الحقائق:

١] يقول في الدفاع عن أحد مشايخ الصوفية القبورية في هذا الزمان: إن الذين يقدحون فيه هم علىٰ طريقة تشبه طريقة الخوارج.

ويقول أيضًا عن هذا الصوفي القبوري: «مجتهد جدًّا، وعالم ليس جاهلاً».

وقال -مهوِّنًا من شأن بدعته-: «كونه عنده شيء من التمشعر وشيء من التصوف، لا يعني أننا

=

نقدح فيه».

وهذا الصوفي القبوري يقول -طاعنًا في الموحدين-: «إن مَن يقول إن الأضرحة حرام وشرك عندهم هَوَس»، ويقول: «إن الصحابة كانوا أشاعرة». ويدَّعي رؤية النبي ﷺ في اليقظة، ويجوِّز التبرك ببول النبي ﷺ... إلخ مقالاته الشنيعة.

أمثل هذا يُحترم ويوصف بالعلم؟!

٢] ويقول مدافعًا عن أبي الحسن -والذي فُتن وتنكب عن سبيل أهل السنة- بالباطل ومناصرًا له ضد علماء السنة الذين ذبُّوا عن الكتاب والسُّنة ومنهج سلف الأمة: «مسألة تبديع أخينا أبي الحسن .... هل أنا كعالم من حقِّي أن أقول: فلان مبتدع؟ ما رأيكم؟ لا ليس من حقِّي».

وهذه المقالة الأخيرة وافق فيها قائلها ما أصَّله الحويني في هذا المجلس، ووافق فيها مقالة ابن حسَّان في «رسالة إلى غلاة التجريح»: «وليس هناك بواب للسلفية... يفتِّشك... يعطيك كارت أحمر.. يطردك خارج السلفية..».

وهكذا تلاقت قلوبهم على الطعن في علم الجرح والتعديل، وضعُفت نفوسهم عن قبول كلام أئمة هذا العلم في التحذير من أهل الأهواء!.

وبعد أن بذل الشيخ ربيع النصح إلى صاحب هذه المقالات، وصبر عليه سنوات آملاً عودته إلى الجادة التي كان عليها، ومراعيًا المفسدة المترتبة على التحذير منه، وإذ به لا يزداد إلاَّ افتتانًا بما هو عليه وبُعدًا عن الحق، فما وسع الشيخ ربيع -كما لا يسع أي عالم رباني- السكوت عمَّن هذا حاله أو مجاملته ومجاملة أتباعه على حساب المسلمين، فصرَّح -حفظه الله- في كلمات معدودة إجابة على سؤال وُجِّه إليه بالتحذير منه، فكان ممَّا قاله -حفظه الله-:

«..... فلان سابقًا كان سلفيًا صادقًا -إن شاء الله-، ثم لمَّا جاءت فتنة أبي الحسن انجرفَ فيها، ثم استمر في هذا الانحراف إلى درجة نسأل الله أن ينقذ المسلمين، وأن ينقذه منها، وأنا لا أرى أن تحضروا في محاضراته، ولا في دروسه حتى يتوب إلى الله -تبارك وتعالى- ممَّا وقع فيه، فإنه مِمَّن أجَّج فتنة أبي الحسن -وبارك الله فيك- كرَّس جهوده فيها، ورسَّخها، ومن أعماله في ترسيخ هذه الفتنة زيارته لهذه الجمعية ودعوتهم إيَّاها، كل هذا إمعانًا -والله أعلم- في الفتنة، والابتعاد عن ربيع وإخوانه، بل عن المنهج السلفي، فإن أبا الحسن وضع أصولاً كثيرة كلها باطلة، فلم يدن... منها شيئًا، ثم هو الآن يزكِّي ويمدح ويثني على أهل البدع -مع الأسف الشديد-.... فنسأل الله التوفيق، ونسأله أن يتوب علينا جميعًا». اهـ

قلت: وبهذا التفصيل والتبيين تسقط دعوى الحويني على إمام الجرح والتعديل، وتنكشف خيانته للمنهج السلفي وعلمائه بهذا البتر للحقائق إمعانًا منه في تشويه صورة هذا الإمام، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

فأنا عايز أقول يعني بالنسبة للوضع ما لم يكن فيه رأس حكيم لا أقول رأس علمي؛ لأن فيه جانبًا إداريًّا، وفيه جانبًا علميًّا، دعوات دائمًا تحتاج دائما قبل الرأس العلمي إلى رأس حكيم[1].

الشيخ الألباني -رحمة الله عليه- لَمَّا كان موجودًا هنا أثَّر تأثيرًا بالغًا في الجانب العلمي، وأنا طبعًا لا أحد يزايد على محبتي للشيخ الألباني، ولا أحد يزايد على إنني وإن كنت من صغار تلاميذ الشيخ، ولست من كبارهم، إلا أن الشيخ الألباني -رحمة الله عليه- -أنا مش عايز افتات على حد يعني- بس ربما أقول: قلَّما أحب الشيخ المحبة القلبية الصادقة مثل ما أحببته أنا[2].

أنا كل رصيدي مع الشيخ الألباني في الملاقاة شهر: واحد وثلاثين يومًا، دا كل رصيدي مع الشيخ الألباني، ثلاثة أسابيع الزيارة الأولى من اثنين وعشرين سنة، ثم أيام الحج لما حجّجت معه أول مرة، وكان دي آخر حجة للشيخ الألباني، ما حج بعدها فيما أعلم.

لكن أنا عندما أتيت الشيخ أتيته محبًا للحديث، ولَمَّا رجعت من عنده رجعت مُحبًا للسنة[3]، وطبعًا لا يخفاكم الفرق كبير بين أن أكون مُحبًا للحديث، وأن أكون مُحبًا للسنة، يعني ممكن المبتدع يحب الحديث، ويبقى محدثًا بصفة أهل الحديث، ولكن أنا رجعت

(١) من أين لك هذا التفريق بين الرأس العلمي والرأس الحكيم في إدارة شئون الدعوة؟!

(٢) نعم قد تكون صادقًا في قولك أنك أحببته، لكنك لم تحبه محبة اتباع لما يحمله من المنهج الحق، إنما أحببته محبة عشق وهيام، كحال المتصوفة الذين يدعون محبة النبي ﷺ، وإنما أحبوه محبة عشق وهيام في أوصافه، يعبِّرون عنها بالإطراء عبر هذه المدائح والقصائد والتواشيح، ولكنهم لم يحبوه محبة اتباع، حيث خالفوا منهاجه ﷺ.
وكذا الحويني خالف الألباني في كثير من أصول منهجه السلفي، كما بيَّنت هذا في فصل «بين الإمام الألباني والحويني».

(٣) قال الشيخ فلاح -حفظه الله-: «يزعم حبَّ الألباني، لو كان حبُّك صادقًا؛ لسلكتَ مسلكه في السُّنة والجرح والتعديل!.
لو كان حبك صادقًا؛ لأحببت طلابه الذين أحبّهم وأثنى عليهم، إذ السبب واحد ولا شك!.
لو كان حبُّك صادقًا؛ لرددت التهم والكذب الذي تفوَّه به الدعاة والمنتسبون ضد الشيخ الجليل!.
أين ذبُّك عمَّن تُحب؟! أين موقفك مِمَّن كذّب واتّهم الشيخ؟! أين دفاعك عمَّن تُحبّ؟!».اهـ

محبًا للسنة[١]، ومع ذلك أنا قلت في حياة الشيخ حتى في محاضراتي، وفي بعض كتبي -تقريبًا- مفاريد الشيخ الألباني التي انفرد بها، أنا لم أوافقه على واحدة منها خالص، وكنت أقول هذا الكلام في محاضراتي، وفي دروسي، وفي بعض كتبي التي أهديتها للشيخ -رحمة الله عليه- بيدي، وكتبت عليها إهداء مني، يعني تواضع الشيخ، وقبِل مني الكتاب إهداء -ابن الجارود-[٢].

فأنا عايز أقول: تأثير الشيخ -رحمة الله عليه- علميًا التأثير البالغ عليّ مش على الفهم[٣]... من فقط بل على العالم الإسلامي ممن يعني يقولون أثر الشيخ.. لكن ربما بسبب ظروف الشيخ، وأنه لم يكن يبذل نفسه، ولم يكن يُسمح له بالمحاضرات العامة في المساجد، ولا أنه يختلط بالناس ذاك الاختلاط، وإنما هي كلها مجالس خاصة في البيوت كما حضرت أنا، وكما كنت أستفسر من إخواني هل الشيخ بيدي في المساجد؟ دا لو أني والوضع اتغير أبدًا الوضع كما هو عليه، وربما مرّ بالشيخ فتن زي قصة فلسطين، وقصة أن يخرجوا من فلسطين، لَمّا الفلسطينيين ينزلوا الآن لليهود، قصة مانتم عرفنها دي، وقلت

---

(١) كما ذكرت في التعليق السابق هذه المحبة لم تثمر الاتباع للسنة الصحيحة في مسائل هامة من مسائل المعتقد والمنهج، فليست العبرة بالدعاوى وإنما العبرة بالبينات.

(٢) علّق الشيخ فلاح على هذا الموضع قائلاً: «يقول: إنه ذكر مفاريد الشيخ، وأنه لا يوافقه عليها، ولا على واحدة منها، ما شاء الله!! الحويني يزعم عدم موافقته للشيخ -يعني: تفرد الشيخ وأخطأ، وأصاب الحويني-. هكذا يتسلقون على ظهور العلماء؛ لذلك يذكرون أسماءهم في مجالسهم في مصر وغيرها.

يذكّرني بأستاذ وصف نفسه -زعمًا وزورًا- بأستاذ الحديث ودراسة الأسانيد في الأزهر، كان يقول لطلابه: «أنا كشفت أخطاء كثيرة جدًا في السلاسل الخطيرة للألباني.. أنا كشفت أكثر من مائة خطأ في العزو في المعجم المفهرس...!!».

وقوله: «وفي بعض كتبي التي أهديتها للشيخ...»، هكذا يتطاول الأقزام على سادات الأنام؟!.

يريد المسكين أنه نصحه في أخطائه وأهدى إليه عيوبه؛ للدلالة على أنه الرأس والنحرير والخبير؟!»).

(٣) قال الشيخ فلاح: «لم أفهم مراده! هل يريد أن الشيخ الألباني يؤخذ منه الجانب العلمي -النصوص-، وأما الفهم فلا؟!!».

فيها كلام، قالوا لي الشيخ ما زال كما هو في الدروس الخاصة، فأنا أعتقد أن هذا لم يتح للشيخ الألباني -رحمة الله عليه- أن يربي بالعلم، ربما الشيخ ربى الذين تسنى لهم أن يلاصقوه، وأن يكونوا قريبين منه، لكنه لم يحدث طفرة في التربية على المستوى العام بالنسبة للبلد هم تربوا يعني كده[1].

عشان كده أنا شايف أن القصة معادتش قصة تنظير فقط؛ لأن الحق الآن من السهل أن نصل إليه، على الأقل عندنا مجموعة من العلماء هي في السقف بتاعنا، ولو أخذنا ابن القيم، وابن تيمية في الغالب ستصيب الرمي..أقول: في الغالب تصيب الرمي، ولو ضممت لهم الذهبي وابن كثير، والطبقة دي .... في الغالب برضه ستصيب الرمي إلا ما يخطئ في... فالتنظير العلمي أعتقد ليس له شيء، لكن المشكلة أن يكون هناك رأس حامي الكل يعتبره أبًا له..[2].

---

(١) لا، بل لم يصنع طفرة في التربية -وقبلها التصفية- مثلما صنع الإمام الألباني -رحمه الله-، ليس على مستوى الأردن فقط، بل على مستوى العالم الإسلامي، بل إن مثلك لم يكن ليعرف هذا المنهج: منهج التصفية والتربية، إلا لَمَّا أكثر هذا الإمام من الدندنة حوله في دروسه حتى صار عَلَمًا عليه، لا من الناحية التنظيرية فقط، بل من الناحية العملية كذلك؛ حيث إن دروسه وكتبه التي بلغت الآفاق قد تربى عليها جيل كامل، وجدَّد الله -عز وجل- بها دينه، وأحيا بها سنة نبيه ﷺ، وتم تصحيح عقائد فئام من الأمة في أبواب كثيرة من الاعتقاد، كانت اندرست السُّنة فيها بسبب غلبة أهل البدع، وظهرت آثار الهدي النبوي على كثير من الشباب والشيوخ والنساء بسبب كتب ودروس الألباني، وأحيا الله بها السُّنن التعبدية التي كادت أن تموت، نحو الصفة الصحيحة لصلاة النبي ﷺ، والصفة الصحيحة لحج النبي ﷺ، وسنة صلاة العيدين في المصلى لا في المسجد ...إلخ، فكيف يُقال بعد هذا الجهاد المرير لهذا العَلَم: إنه لم يحدث طفرة في التربية على المستوى العام بالنسبة للبلد؟ لا والله بل لقد نصر الله -عز وجل- به عقيدة ومنهج السلف الصالح في هذا الزمان في شتى البلاد، وكشف الله -عز وجل- به عوار أهل البدع والأهواء، وتربى على علمه الآلاف في شتى البقاع، وبدت علامات السنة ظاهرة عليهم اعتقادًا ومنهجًا وعبادةً وسلوكًا تأثرًا منهم بعلم الألباني -رحمه الله رحمة واسعة-.

(٢) قال الشيخ فلاح: «وكشف عن سبب تهوينه من آثار الشيخ ونتائج جهوده وآثار علمه وتعليمه، ليزعم بعد ذلك: «التنظير العلمي أعتقد ليس له شيء، لكن المشكلة أن يكون هناك رأس حامي الكل يعتبره أبًا له»، أي: -الآن- الأمة ليست بحاجة إلى حَمَلة العلم والعلماء بقدر حاجتهم إلى رأس وزعيم وأب روحي يجمع ولا يفرِّق...!!».

أنا أشتكي وخصمي يشتكي، مِمَّا لفت نظري، وأعتقد أنه لفت أنظاركم جميعًا: أن هذا الوصف كان متحققًا في الشيخ ابن باز أيام الفتنة بدأ يرد على دا، كلهم يروح للشيخ ابن باز مثلاً لو قال: يجوز الترحم على السيد قطب مثلاً.

وأنا أقول: يجوز الترحم على سيد قطب، أنا تطلع الكتب فيّ واتشتم، وأبأى ابن ستين في سبعين، والشيخ ابن باز مافيش حد يقرب له؛ مع إنه يقول بقولي، أو أنا أقول بقوله واخد بالك ازاي - لا نيجي لحد هنا ونقف منعرفش نتكلم[1]، وأنا أقول القول وخصمي يقول الضد، وكل واحد يروح للشيخ ابن باز ويعمل كده شيخنا وأستاذنا، ومش عارف إيه وبتاع، ومفيش حد يقدر يقول إنه ميّع القضية، حتى لو قال: مسك العصاي من النصف... قال يا جماعة الوضع كده ومش عارف ايه الكلام ده، حتى لو أفتى بفتوى ضدي أنا أجعل عهدة الغلط على السائل مش على الشيخ.. يا شيخ أنت تثني على التبليغ والدعوة، الشيخ قال: نعم، التبليغ بارك الله فيهم، وأرى من جهودهم المشكورة، ومش عارف إيه وبتاع[2].

---

(١) ومن قبل قالها محمد بن حسّان في «رسالة إلى غلاة التجريح» تشابهت قلوبهما!.
وأقول للحويني -هداه الله عز وجل-: «هلاَّ أسندت لنا هذا الكلام؟ وأين هذه الكتب التي أُلِّفت في سَبِّك لأنك ترحمت على سيد قطب؟ ومَن مؤلِّفها؟ وأين قال علماء السُّنة أن الترحم على أموات المسلمين -ولو كانوا من أهل البدع ما داموا من أهل القبلة- لا يجوز؟ إنَّما قال بهذا الحدادية!
والحويني -ومَن على منهجه من السرورية- يلصقون دائمًا هذه التهم الباطلة بالسلفيين، وهم يعلمون جيدًا أن القائل بها الحدادية، لا السلفيون.
ومن تدليسه أيضًا في كلامه هذا، إظهاره للإمام ابن باز -رحمه الله- بمظهر المترحم على سيد قطب المزكّي له دون أدنى تحذير، وهذا معلوم بطلانه لمن عنده أدنى اطلاع على فتاوى الإمام -رحمه الله- في شأن سيد قطب، ويكفيك قوله فيه: «مسكين ضايع في التفسير»!.
فهلاَّ سلكت مسلك الإمام ابن باز، وانتهجت منهجه السلفي النقي، حتى تعامل بمثل ما عومِلَ؟!.
وقال الشيخ فلاح -حفظه الله- مُعقبًا على هذا الهراء: «هكذا أصحاب المين والكذب، ما هذه المقارنة بينه وبين الشيخ ابن باز؟!! ما مراده؟! ومَن شتمه لترحمه على سيد قطب... ومَن خالفه في ذلك؟! وتدبر قوله: «مع أنه يقول بقولي...» أي: الشيخ ابن باز يقول بقول الحويني؟!!
(٢) هذا الكلام فيه تغرير بالقارئ، وتدليس قبيح على الإمام ابن باز؛ وذلك من وجهين:
=

الوجه الأول: أنه يظهر الإمام ابن باز في صورة المادح لجماعة التبليغ مدحًا مطلقًا علىٰ ما هم عليه من بدع وضلال.

الوجه الثاني: أنه يخفي الموقف الأخير الصارم من الإمام ابن باز ضد هذه الجماعة، وهذا من كتم الحق أيضًا.

وصدق الإمام ابن عبد البر -رحمه الله- لَمَّا قال في جامع بيان العلم وفضله» (١/ ١٠٧-١٠٨):

«إن للعلم غوائل، فمن غوائله: أن يُترك العمل به حتى يذهب، ومن غوائله النسيان، ومن غوائله الكذب فيه، وهو شر غوائله».

وقال الشيخ سعد الحصين في آخر تهذيبه لكتاب «حكم الانتماء للفرق والجماعات الإسلامية» (ص١٠٤-١٠٥) : «شبهة وجوابها:

الشبهة: أن بعض العلماء وبخاصة الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- أثنىٰ علىٰ هذه الجماعة أو تلك في رسالة خاصة، وفي إجابة لسؤال خاص.

الجواب: معلوم أن الشيخ -رحمه الله- يُملي فتواه، ولا يُملي -بالضرورة- رسائله، بل أكثر رسائله يكتبها كُتّابه ويَرِدُ عليهم ما يَردُ علىٰ غيرهم من الميل إلىٰ هذه الجماعة أو هذا الحزب والتَّعَصُّب لمَا يميلون إليه، كما قال عن أمثالهم: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

وعلىٰ فرض إملاء الشيخ -رحمه الله- الرسالة، أو اطلاعه عليها كاملةً، فله أسوةٌ برسول الله ﷺ الذي قد يُنوِّع الجواب علىٰ قدر حال السائل، كما ثبت عنه في الإجابة عن أفضل الأعمال بأنه الصلاة علىٰ وقتها، أو برُّ الوالدين، أو الجهاد في سبيل الله، وأحكام الإسلام ثابتة.

وعلىٰ سبيل المثال: فإنّ الإخوة من جماعة التبليغ يُعْرضون عن فتوىٰ اللجنة الدائمة رقم (١٦٧٤) في (٧/ ١٠/ ١٣٩٧) وعلىٰ رأسها الشيخ -رحمه الله-، وفيها عن جماعة التبليغ أنها: «تركتِ الكلام في تفاصيل عقيدة التوحيد، وهو أصل الإسلام، وهو الذي بدأت به الرّسل -عليهم الصلاة والسلام- دعوتهم وصارحوا به أممهم ...

ولم يُعرف عنهم إلا مجرّد الخروج والدّعوة إليه الذي هو من المبادئ والأصول المعروفة عند جماعة التبليغ ... ولم يُعرف عن جماعة التبليغ أنهم وقفوا مواقف الرّسل عليهم الصلاة والسلام في الدّعوة إلىٰ تفاصيل الشريعة أصولها وفروعها إنما لديهم مجرّد خروج وإجمال في الدّعوة لا يصل بمن يخرج معهم إلىٰ وعي إسلامي، أو معرفة بتفاصيل دينه، وليس في هذا اتّباع لسبيل الرّسل -عليهم الصلاة والسلام-». انتهىٰ النقل.

وهم يُعرضون بل يُخفون، ويطمسون الفتوىٰ المُضادة لهم التي أمر بإدخالها مجموع فتاواه، وأوصىٰ بإقصاء كلّ رسائله وأجوبته الخاصّة عن جماعة التبليغ وغيرها، وهي آخر فتاواه في جماعة التبليغ.

ونُشرت في مجلّة الدّعوة بالرّياض عدد (١٤٣٨) في (١٣/ ١/ ١٤١٤)، وفي مجموع فتاواه (ج٨،

مثلاً هذا يبدع، أقول يا عم الشيخ، قال: آه، أقول: لا الخبيث الذي إدّاله السؤال لبّس

=

ص ٣٣١) قال -رحمه الله-: «جماعة التبليغ ليس عندهم بصيرةٌ في مسائل العقيدة، فلا يجوز الخروج معهم إلاّ لمن لديه علم وبصيرةٌ بالعقيدة الصّحيحة التي عليها أهل السنّة والجماعة حتى يرشدهم وينصحهم ...».
انتهىٰ النقل.

ومعلوم أن غالبيّة أمرائهم ومشايخهم وأفرادهم عوام.

كما ألّف العلاّمة الشيخ حَمود التويجري -رحمه الله- مُجلّدًا كاملا في بيان حالهم، والتحذير من الانتماء إليهم عنوانه: (القول البليغ في التحذير من جماعة التبليغ) ولكنّهم -هداهم الله- (كبقية الأحزاب والجماعات المبتدعة) يتحايلون علىٰ تحصيل ما يُفهم منه تأييدهم والمبالغة في نشره، واجتناب الاستفادة من مخالفة العلماء الأعلام لهم، وإسكات كلّ صوت يُحاول نُصحهم أو بيان حالهم، والتّعصّبُ نتيجةٌ حتميّةٌ للتّحزّب، وكلاهما باطل».اهـ

قلت: وقال أيضًا الإمام ابن باز في إجابة سؤال آخر وُجِّه إليه بتاريخ (٦/ ١٢/ ١٤١٦) كما في شريط «القول البليغ»: «لا يصح التعصُّب والتحزب لجماعة التبليغ ولا الإخوان المسلمين، وقال: أما الانتساب إليهم، لا، ولكن زيارتهم للصلح بينهم والدعوة إلىٰ الخير وتوجيههم للخير ونصيحتهم لا بأس».

وفي دروسه في شرح المنتقىٰ في الطائف قبل موته بسنتين سئل -رحمه الله- عن جماعة التبليغ علىٰ ما عندهم من شركيات وبدع، هل تدخل في الفرق الهالكة؟ فأجاب: «نعم، من ضمن الثنتين والسبعين».

ثم أين أنت يا حويني من كلام ناصر السنة وحسنة الأيام الذي تدعي أنك اتخذته إمامًا لك، وأنه لا يزايد أحد علىٰ محبتك له، وأنت تخالفه في أكثر فتاويه المنهجية، ومنها حكمه علىٰ جماعة التبليغ، حيث قال -رحمه الله-: «الذي أعتقده أن دعوة التبليغ هي صوفية عصرية لا تقوم علىٰ كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ».

وقال الشيخ فلاح -حفظه الله- مُذكرًا ومُنتقدًا علىٰ الحويني: «انظر كذبه وتزويره في قول الشيخ ابن باز في التبليغ!! من سيد قطب قفز إلىٰ التبليغ.. هكذا يريدون التجميع وعدم التحذير.. يظهرون ما لهم -وإن كان فاسدًا-، ويخفون ما عليهم -وإن كان حقًا-.

نقول: هذه حقيقة حبّك للألباني، وللحديث، وللسُّنة؟!!

بل -والله- أين أنت من الألباني ومواقفه من أهل البدع والأخطاء والأهواء؟! وأين أنتَ من الحديث والسُّنة، وصيانتهما من أخطاء وتحريفات وتأويلات أهل البدع والزيغ؟!

وأين أنت من قوله الفصل والبليغ في جماعة التبليغ؟! أم أن هذه -أيضًا- من مفاريده التي نصحته فيها لعدم موافقتك له فيها -وأنها من أخطائه-؟!!». اهـ

على الشيخ، شفت إزاي، لكن لا يلام الشيخ في أي حال من الأحوال، إيه السرّ في المسألة دي.

السرّ في المسألة دي سرّ فيما نحسب يعني في قلب الشيخ السلفي محبة الخير للمسلمين، وإنه ميحبش المسلم يتورط[1]، ويقع، زي عمر بن الخطاب لما طُعن، وقال لابن عباس: امش في الناس وانظر من قتلني.

لمَّا عرف أن الذي قتله (أبو لؤلؤة المجوسي) حمد الله -عز وجل- أن مسلمًا لم يتورط بطعنه[2].

والقصة التي يذكرونَها في ترجمة الأعمش: هو وإبراهيم النخعي ماشيين مع بعض، والأعور أعور، والأعمش أعمش..فإبراهيم كان صاحب نكتة -دمه خفيف-، والأعمش كان يباريه في خفة الدم[3]، والكلام ده، فإبراهيم قال للأعمش: قال له إيه: إليك عني إذهب إلى جانب الطريق، قال له: ليه؟ قال له: أعمش وأعور الإثنين ماشيين مع بعض، يعني حتى مش راكبه على بعضها والناس حتتكلم علينا.. فالأعمش قال: نمشي ويأثمون، يعني إلِّي عايز يتريء علينا[4] يأثم ...، قال: بل نفترق ويسلمون، يعني لما أنت تروح يمين، وأنا أروح

---

(١) أي: لا يحب للمسلم أن يتورط.

(٢) بلا شك محبة الخير للمسلمين من الإيمان، لكن العبارة فيها إجمال يترتب عليه التلبيس.

فهل من محبة الخير للمسلمين: تزيين أهل البدع في أعينهم، والثناء عليهم؟!

واستدلاله بصنيع عمر في السؤال عمَّن قتله استدلال في غير موضع الحجاج!

هل كان عمر يهادن المبتدعة من أهل القبلة، ويزينهم في أعين المسلمين بحجة محبة الخير والسلامة للمسلمين؟!

أين أنت يا حويني من صنيع عمر -رضي الله عنه- مع صبيغ بن عسْل، لَمَّا ضربه بالدُّرة على رأسه حتى أدماه وكاد أن يقتله، وذلك أنه تكلم بالمتشابه من القرآن في الجيش المسلم، فهل صنيع عمر هذا ليس من محبة الخير للمسلمين؟!

(٣) بلا ريب لا ينبغي ابدًا أن يُوصف هذان الإمامان بهذه الأوصاف: «صاحب نكتة... خفيف الدم»، ولكنه الأسلوب القصصي الذي غلب على الحويني، ممَّا جعله يستمرئ مثل هذه الألفاظ في مجالس العلم والذكر!.

(٤) أي: يسخر منا.

شمال ويسلم المسلمون من الوقوع في المسألة دي، ده الواجب علينا، يعني سلامتنا، أو طلب السلامة للمسلمين[1].

أنا أعتقد دي كانت موجودة عند الشيخ ابن باز -رحمة الله عليه-، ولذلك كان محل إجماع من هذه الجهة إلّي إحنا بنتكلم فيها يطبطب على الكل، ويطلع الكل من عنده مرضي[2].. ده الخصم مع خصمه والاثنين

(١) أليس من طلب السلامة للمسلمين: طلب السلامة لهم في عقائدهم ومناهجهم؟!
فهل ربط شباب المسلمين برموز الغلو في التكفير والقصّاص نحو: فوزي السعيد، ومحمد عبد المقصود، وسيد العربي، ومَن على شاكلتهم يعد من طلب السلامة لهؤلاء الشباب؟
وهل إعلاء قاعدة سيد قطب التي بنى عليها تكفير المجتمعات الإسلامية: «أخص خصائص توحيد الإلهية توحيد الحاكمية»، يعد من طلب السلامة للمسلمين؟
وهل تكفير المصر على المعصية من المسلمين من طلب السلامة لهم؟
وهل من طلب السلامة للمسلمين تزيين الخروج في أعينهم عن طريق التهييج السياسي؟!
وهل من طلب السلامة لهم الغمز واللمز في قواعد علم الجرح والتعديل، وفي أئمة هذا العلم في هذا الزمان، ممَّا يوقع المسلمين في شباك أهل الأهواء؟!
أم أنه يترتب على كل هذه الأشياء: الغلو في التكفير الذي يعقبه استحلال دماء المسلمين؟
وهل من طلب السلامة للمسلمين: إفتاؤهم بجواز الانتحار بحجة النكاية في العدو، رغم علم المفتي ما الذي يترتب على هذه العمليات من تنكيل العدو بالمسلمين، دون وجود قوة كافية عند هؤلاء المستضعفين لصد هذا العدوان؟ فمَن أفتى بهذا فقد رمى بالمسلمين في آتون الدَّمار ولم يطلب السلامة لهم لا في الدين ولا في الدنيا.
وهل من طلب السلامة للمسلمين: إفتاؤهم بجواز الدخول في هذه الحروب الخاسرة مع اليهود وغيرهم دون وجود القوة الكافية التي شرعها الله سبحانه لردع هؤلاء، مِمَّا يترتب عليه الإبادة التدريجية للمسلمين وفقد طاقاتهم بلا ثمرة مرجوة؟!
وهل من طلب السلامة للمسلمين الطعن في فتاوى الأكابر التي أفتوا بها طلبًا لسلامة المسلمين، نحو وصفك لمن أفتى بحُرمة هذه العلميات الانتحارية أنهم أصحاب جليطة، ولمن شدَّد النكير على سيد قطب -مصدر تكفير المجتمعات الإسلامية والطاعن في الصحابة- بأنهم يتربصون لسيد ويتلمسون أخطاءه، كأن العلماء حذَّروا منه حقدًا وحسدًا؟!
(٢) قال الشيخ فلاح -حفظه الله-: «حقيقة! كلّ إناء بما فيه ينضح! أوصاف سوقية عاميّة!! يصف العلماء بأنهم ينفخونَ في النار... يصف عمر بن الخطاب بالفرح والسرور لعدم تورط مسلم في أن يكون خصمًا له.. يلمح أنه يُحب الخير لجميع المسلمين -مهما كانت عقائدهم-... يصف =

طلعين مرضيين[1]، أو هـذا حـدث طبعًا بوضوح قـوي مع بداية الفتنة إلّـي حصلت بهـذا

=

إبراهيم النخعي بـ«صاحب نكتـة.. خفيف الـدم»، ويصف الأعمش بأنه كـان يباريه في خفة الـدم والكلام ده!!، والشيخ ابن باز بيطبطب على الكل -أي: كل المسلمين:

- يمدح التبليغ -كما نصّ عليه-: عندهم خير بارك الله فيهم لهم جهود مشكورة؟!

- وأن كل المتخاصمين يخرجون على الرضا، مهما اختلفت عقائدهم ومشاربهم ومناهجهم.

وهذا ما يريده بالأب الروحي للجميع! ومعلومٌ أن الشيخ ما سكت على خطأ أبدًا، فضلاً عن بدعة وضـلالة ومنكـر، والكـل يعلـم مـدى جرصه على الردّ على المخـالفين، ولكـن بالحكمـة والموعظة والكلمة الحسنة واللين والرفق الشرعيين، لكن يقول للمخطئ إنه مخطئ، وللمصيب إنه مصيب».اهـ

(١) هذا الكلام ظاهره الحق في وصف الإمام ابن باز بحرصه على صلاح الجميع، وإصلاحه لذات البين، وجهاده في جمع كلمة المسلمين، لكن العبارة فيها إجمال ماكر يترتب عليه إخفاء حقائق أخرى تتعلّق بمنهج ابن باز، كان الواجب على الحويني أن يبينها إن كان منصفًا، ولا يُظهر الإمام ابن باز في صـورة المهـادن لكـل الأصـناف -وإن كـانوا علـى بدعـة- دون أن يحـذّر مـن بـدعهم، ويـبين حالهم، حيث عبّر بقوله بالعامية المصرية: «بيبطب على الكل»، أي: يحنو على الكل، ويرفق بالكل، ولا يغضب أحدًا من المتخاصمين، دون التفرقة بين المحق والمبطل، والسُّنّي والبدعي.

قال فيصل بن قزار الجاسـم في إبطال هذه الفرية في كتابه: «أصول الشيخ عبد العزيز بن باز في الرد على المخالفين» (ص١٩٧-٢٠١) : «لم يكن الشيخ -رحمه الله- كما يصفه بعض من ترجم له رفيقًا ليّنًا مع كل أحد وعلى كل حال، حتى ليظن من يقرأ لهؤلاء أن الشيخ لا يغضب لله، ولا يُغلّظ على من يستحق التغليظ، أو يُشدّد في المقام الذي يستحق الشدّة، وهذا من الافتراء على الشيـخ -رحمه الله-. **وبعض هؤلاء لـهم أغراض سيّئة في هذا، إذ أنهم يريدون من أهل الحق السكوت عن أهل البدع، أو اللين معهم، ولو كانوا مِمَّن استحقوا التغليظ والتشديد تحذيرًا من بدعهم، وبيانًا لخطرها، لئلا يغترّ بها أحدٌ من المسلمين.**

ولا ريب أن ترك البدعة في مقامها ممًّا يساهم في نشر الخطأ والبدعة، وقد مرّ سابقًا من كلام الشيخ أن الشدّة مطلوبة في موضعها، والشريعة كما أنها جاءت بالرفق فقد جاءت بالشدّة أيضًا، وإهمال شيء مما جاءت به الشريعة يسبّب الخلل والفساد.

والشيخ -رحمه الله- قد بيّن في تقريراته، وفي أفعاله: أن الشدّة مطلوبة في حقّ من تعدّى وظلم، وتجاوز الحدود، أو فعل أمرًا أو قال كلامًا لا يجهله مثله، وقد يكون فساد الكلام معلومًا بالضّرورة أو عند عامة الناس.

فعن أسامة بن زيد -رضي الله عنه- قال : «بعثنا رسول الله ﷺ في سريّة، فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلا فقال : لا إله إلا الله، فطعنته، فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي ﷺ، فقال

=

رسول الله ﷺ: «أقال لا إله إلا الله وقتلته؟»، قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفًا من السّلاح، قال: «أفلا شققت عن قلبه حتى قالها أم لا؟»، فما زال يُكرّرُها عليّ حتىٰ تمنَّيت أني أسلمت يومئذٍ».

وعن جابر بن عبد الله الأنصاري -رضي الله عنه- قال: «أقبل رجلٌ بناضِحَيْن وقد جنح الليل، فوافق معاذًا يُصلي، فترك ناضحه وأقبل إلىٰ معاذ، فقرأ بسورة البقرة أو النساء، فانطلق الرّجل- وبلغه أن معاذا نال منه-، فأتىٰ النبي ﷺ فشكا إليه معاذًا، فقال النبي ﷺ: «يا معاذ، أفتّانٌ أنت»، أو «فاتن» ثلاث مرار-، فلولا صليت بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، و﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾، و﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾، فإنه يُصلي وراءك الكبير والضعيف وذو الحاجة».

وعن ابن عبّاس -رضي الله عنهما-: أن رجلاً أتىٰ النبي ﷺ فكلّمه في بعض الأمر، فقال: ما شاء الله وشئت، فقال النبي ﷺ: «أجعلتني لله عَدْلاً؟ قل: ما شاء الله وحده».

والظاهر من كلام الشيخ أن من ظهر منه العناد، أو الظلم، أو التعدّي والمُعارضة بالباطل؛ ينبغي إغلاظ القول له، والتعنيف عليه، ولا شك أن هذا من الحكمة، ومما أمر الله به، كما في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ﴾، وقال -جلّ وعلا-: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾.

والعناد والتعدّي يُعرف تارة: باعتبار المتكلم؛ من حيث كونه قد بلغه البيان، وتوجّه إليه النصح، فيعاند ويُعارض، وتارة: قد يظهر باعتبار شهرةِ مخالفةِ ما ذكر من المسائل للكتاب والسنّة، بحيث يبعد جهل مثله بها». اهـ

وقال عبد الرّحمن بن يوسف بن عبد الرّحمن الرّحمة في كتابه «الإنجاز في ترجمة الإمام عبد العزيز بن باز» (ص٢١٩-٢٢١): «لم يكن- رحمه الله- يغضب انتقامًا لنفسه، أو انتصارًا لهواه ورأيه، بل كان أغلب غضبه إذا انتهكت حُرُمات الله، أو رُدّت السنّة والأدلة الواضحة بأقوال الرجال وآرائهم الفاسدة، ويغضب ويقلق باله من المنكرات وفشُوّها، ومن الشرك وانتشاره، والبدعة وعظيم ضررها، وثمّة مواقف تدلّ علىٰ بعض غضبه- رحمه الله- أسوقها حتىٰ تعلم أخي القارئ أن غضب سماحته لله وفي الله، ويكفي أن تعلم أن أشد كلمة تصدر منه حال الغضب سبّح سبّح، فسبحان الله الذي أعطاه الحلم والعلم والكرم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم:

(أ) القصة الأولىٰ ذكرها أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري-رحمه الله- عن غضب الشيخ: «أن قارئًا يقرأ عليه في البيت بعد صلاة الجمعة، والشيخ يشرح، إلا أن بعض الحاضرين يتظاهر بالعلم ويسابق الشيخ بالشرح، فلما نفد صبر سماحة الشيخ -رحمه الله- ألتفت أليه، وقال له: تأدب الدرس لي، وليس لك». [الجزيرة عدد٩٧٣٠].

(ب) ومن القصص التي تبين غضب الشيخ -رحمه الله- أنه مرّة في درس من دروسه قرّر جواز نكاح الكتابيات بشرطه، فقال بعض الطلاب: يا شيخ بعض الصحابة كان ينهىٰ عن ذلك!! فالتفت إليه الشيخ وقد احْمَرّ وجهه وقال: هل قول الصحابي يضاد به الكتاب والسنة؟!

(ج) ومن القصص: أنه في درس من دروسه قرر -رحمه الله- حُرمة التصوير، وساق الأدلة على هذا، واستفاض جدًا -رحمه الله- في بيان ذلك الحكم مُفنّدًا كلّ شبهة تُعارض الأدلة، فلما انتهى من تقرير ذلك قال أحد الطلبة: هذه صُورك تخرج في التلفاز والجرائد نراها كلّ يوم؛ فردّ عليه: اتبع الأدلة واترك فعل ابن باز، هل أنا معصوم، عليك بالأدلة خذها واعمل بها، ولا تنظر إلى أفعالي وأفعال الرجال، وأنا لست راضيًا عنها، سبحان الله؟!.

(د) ومن القصص النيّرة التي تدل على غضبه لله ما ذكره الشيخ الأديب أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري في مقال له قائلاً: «ومن صراحته في ذات الله أن أحدَ العوام الجهلة ذبح الذبائح عند عجلات سيارة الملك سعود-رحمه الله- بالصفا ابتهاجًا بقدومه، فقام الشيخ ابن باز يدور والدمع يَخنُقه، ويصيح بأعلى صوته : إنها حرام حرام لا يجوز أكلها.... ولمّا علم الملك سعود -رحمه الله- بفعل الجاهل غضب، و أظنها نُقلت لحديقة الحيوانات، وشكر للشيخ موقفه». [الجزيرة، عدد ٩٧٣٠].

قلت: هـذه بعض صور من شـدة غضبه لله -عـز وجل- والانتصار لدينه وحبله المتين، لقد كان -رحمه الله- قرّة عيون الموحدين، حليمًا أليفًا مألوفًا، مُوطأ الأكناف، ليّن العريكة؛ لكنه الأسد الصهور، والليث الهَزَبْر، إذا انتهكت حرمات الله، وفشت المنكرات، مُترسمًا لهدي خير البشر ﷺ في أمره كله -رحمه الله وغفر له-».اهـ

قلت: وإليك هذه النماذج من كلام ابن باز في الرجال كما في «أصول الشيخ ابن باز في الرد على المخالفين» (ص٢٠٤-٢١٠)، والتي تبين أنه ما كان (يطبطب على الكل) كما ادعى الحويني، وإنما كان يعطي كلّ ذي حقٍّ حقَّه، فمن استحق أن يثنى عليه أثنى عليه، ومن استحق أن يُنصَح برفق ولين مع بيان الخطأ، نصحه برفق ولين، ومن استحق أن يُعنَّف ويغلَّظ عليه غلَّظ عليه وعنَّفه، فلم يكن يطبطب على الكلّ -كما ادَّعى الحويني-:

«- قال في ردّه على بعض الصحف في تقريب الأديان، واصفًا ما فيه: «كلام يخالف صريح الكتاب العزيز والسنة المطهرة ويخالف العقيدة الإسلامية».

- وقال في ردّه على أحمد دلهوب: «إن ما نسبه... إلى السلف في تفسير الاستواء بالاستيلاء غلط كبير، وكذبٌ صريح لا يجوز الالتفات إليه... ».

- وقال في ردّه على د: مُحي الدّين الصّافي: «أما قوله: « أما طريقة الخلف فهي تأويل هذه الكلمات وصرفها عن ظاهرها...» إلى قوله: «وكل الطريقتين صحيحة مذكورة في الكتب المعتمدة للعلماء الأعلام ». اهـ أقول: «هذا خطأ عظيم..».

- وقال في ردّه على حمد السعيدان، فيما يتعلق باللحية: «ولا شك إن هذا جرأة من الكاتب، وسوء أدب منه مع سنة رسول الله ﷺ...، وهذه الجرأة من الكاتب في حمل الحديث على وجوب حلقها جرأة شنيعة في نشر الباطل، والدعوة إليه...».

التمزق، وإلّي حصل والكلام ده. كان الكل بيروح عند الشيخ ابن باز، الكل يقول الشيخ ابن باز يتكفل بي الشيخ ابن باز... الشيخ ابن باز نصرني والكلام ده...»[1].

=

- وقال في ردِّه على صالح محمد جمال، في اعتراضه على خطيب المسجد الحرام بشأن المولد :« فالاعتراض عليه غلط محض، واعتراض في غير محله، وجرأة على الله، وعلى دينه بغير علم ولا هدى...».

- وقال في ردّه على الشيخ علي الطنطاوي، في إنكاره دخول الجنّي الإنسي: «فكيف يجوز لمن ينتسب إلى العلم أن يُنكر ذلك بغير علم ولا هدى، بل تقليدًا لبعض أهل البدع المخالفين لأهل السّنّة والجماعة، والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله...».

- وقال في ردِّه على الصابوني، في تهذيب اللحية: «رأيت من الواجب التنبيه على ما تضمنه كلامه -وفقه الله- من الخطأ العظيم، والمخالفة الصريحة لسنة النبي ﷺ ...».

- وقال واصفًا القصيمي بـ«الزائغ المرتاب» و«الضال»، «وقد أكثر في كتابه من أنواع الكفر والضلال والإلحاد».

- وقال في ردِّه على الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق: «وهذا قول باطل...، وأن ما قلته خطأ منكر...، فاقرأ إن كنت جاهلاً بهم مجموعة التوحيد...».اهـ

(١) لم تمحص الحقيقة في هذه المسألة، إنما أجملت القول كعادتك، مِمَّا يحدث التلبيس عند القارئ! وكأن القوم ينطبق عليهم ما قاله أبو إبراهيم بن سلطان العدناني في كتابه «القطبية هي الفتنة ..فاعرفوها» (ص٣٣): «..لكن بعد أن نتذكر أن كلمة سرهم -أي: كلمة سر القطبيين- هي: أن أي وسيلة أو فكرة أو مقولة يراد لها أن تُروَّج بين الناس؛ فلا بد من عرضها **بثوب مُجمل ليقف منها الجميع** -الموافق والمخالف- موقف الحياد على أقل تقدير».

فأقول: هذه الفتنة التي تحدَّث عنها الحويني كان فيها محق ومبطل، ولم يسوِّ الإمام ابن باز -رحمه الله- بينهما، كما يوهم كلام الحويني المجمل، وإنما نصر المحق بكلام واضح صريح، وكذلك أخذ على يد المبطل بما يستحقه، وإليك التفصيل الذي يهدم هذا الباطل المترتب على كلام الحويني المجمل:

لَمَّا أظهر سفر وسلمان منهجهما القطبي السروري، وبدت تجاوزاتهما ظاهرة للعلماء، ما وسع الإمام ابن باز -رحمه الله- إلا إرسال هذه الرسالة إلى الأمير نايف، وهذا نصُّها:

من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة صاحب السمو الملكي الأمير المكرم نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية -وفقه الله- سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد:

فأشير إلى كتاب سموكم الكريم رقم (م/ ب/ ٤/ ١٩٢/ م ص)، وتاريخ (٢١- ٢٢ / ٣/ ١٤١٤هـ) المتضمن توجيه خادم الحرمين الشريفين -حفظه الله- بعرض تجاوزات كل من: سفر بن

=

عبد الرحمن وسلمان بن فهد العودة في بعض المحاضرات والدروس على مجلس هيئة كبار العلماء في دورته الحادية والأربعين المنعقدة بالطائف ابتداء من تاريخ (١٨/ ٣/ ١٤١٤هـ) ضمن ما هو مدرج في جدول أعماله.

وأفيد سموكم أن مجلس هيئة كبار العلماء اطلع على كتاب سموكم المشار إليه ومشفوعة ملخص لمجالس ودروس المذكورين من أول محرم (١٤١٤ هـ) ونسخة من كتاب سفر الحوالي (وعد كيسنجر) وناقش الموضوع من جميع جوانبه، واطلع كذلك على بعض التسجيلات لهما وبعد الدراسة والمناقشة رأى المجلس بالإجماع: مواجهة المذكورين بالأخطاء التي عرضت على المجلس -وغيرها من الأخطاء التي تقدمها الحكومة- بواسطة لجنة تشكلها الحكومة ويشترك فيها شخصان من أهل العلم يختارهما معالي وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد فإن اعتذرا عن تلك التجاوزات والتزما بعدم العودة إلى شيء منها وأمثالها، فالحمد لله ويكفي، وإن لم يمتثلا مُنِعَا من المحاضرات والندوات والخطب والدروس العامة والتسجيلات حماية للمجتمع من أخطائهما هداهما الله وألهمهما رشدهما». اهـ

وقد طلب إلي المجلس إبلاغ سموكم رأيه هذا. وأعيد لسموكم برفقه كتابكم المشار إليه ومشفوعاته.

وأسأل الله أن يوفق خادم الحرمين الشريفين وسموكم لما يحبه ويرضاه وأن يعين الجميع على كل خير إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...». اهـ

مفتي عام المملكة العربية السعودية ورئيس هيئة كبار العلماء و إدارة البحوث العلمية والإفتاء.

وعقد في منزل الشيخ عبد العزيز بن باز -رحمه الله- بمكة في شهر رجب عام (١٤١٣هـ) مجلس ضم مجموعة من المشايخ وطلبة العلم، فسأله أحد القضاة فقال: **سماحة الشيخ هل هناك ملاحظات وأخطاء على سفر وسلمان؟**

فأجاب فضيلة الشيخ: نعم، نعم عندهم نظرة سيئة في الحكام ورأي في الدولة وعندهم تهييج للشباب وإيغار لصدور العامة، **وهذا من منهج الخوارج، وأشرطتهم توحي إلي ذلك.**

قال القاضي: يا شيخ هل يصل بهم ذلك إلى حد البدعة؟

قال الشيخ: لا شك أن هذه بدعة اختصت بها الخوارج والمعتزلة -هداهم الله هداهم الله-.

فهذه نبذة من فتاوى هذا الإمام العَلَم في أخذه على يد المبطلين في فتنة الخليج، وإليك الآن إحدى فتاويه في نصر المحق في هذه الفتنة:

سئل سماحته عن مراده بالبيان الصادر عن سماحته فأجاب -رحمه الله- وذلك في الثامن والعشرين من شهر رجب لعام (١٤١٢هـ)، وبما نصه وذلك في شريط بعنوان توضيح للبيان:

«فالبيان الذي صدر منا المقصود منه دعوة الجميع، جميع الدعاة والعلماء إلى النقد البنَّاء، وليس المقصود إخواننا من أهل المدينة من طلبة العلم والمدرسين والدعاة، وليس المقصود غيرهم في مكة أو الرياض أو في جدة، وإنما المقصود العموم وإخواننا المشايخ المعروفون في المدينة ليس عندنا فيهم شك، هم أهل العقيدة الطيبة ومن أهل السنة والجماعة مثل الشيخ محمد أمان بن علي، ومثل الشيخ ربيع بن هادي أو مثل الشيخ صالح بن سعد السحيمي ...ومثل الشيخ محمد ابن هادي كلهم معروفون لدينا بالاستقامة والعلم والعقيدة الطيبة، ولكن دعاة الباطل وأهل الصيد في الماء العكر هم الذين يشوِّشون على الناس ويتكلمون في هذه الأشياء ويقولون المراد كذا وكذا وهذا ليس بجيد، الواجب حمل الكلام على أحسن المحامل».اهـ

قلت: ولمعرفة المزيد عن أقوال العلماء في «سفر وسلمان»، ومعرفة حالهما عليك بـ:«إتحاف البشر بفتاوى العلماء في سلمان وسفر»، وبكتاب «القطبية هي الفتنة فاعرفوها»، ومن خلال هذا الأخير تدرك أيضًا أبعاد هذه الفتنة التي أجمل القول فيها الحويني.

وقال الشيخ فلاح -نفع الله به- مضيفًا المزيد من التفاصيل التي تقضي على الباطل في إجمال الحويني: «أصدر الشيخ -أي: ابن باز- بيانًا عامًّا ينصحُ فيه الجميع بالنقد البناء، والرفق في النصيحة، وكان هذا بعد الفتوى بجواز الاستعانة بالكفار في حرب الخليج الثانية، وكان علماؤنا جميعًا -وأهل المدينة على وجه الخصوص- يقولون بالجواز، وخاصة بعد صدور الفتوى من هيئة كبار العلماء -وهيئة رابطة علماء المسلمين- برئاسة الشيخ عبد العزيز بن باز-، وذلك بعد بحث طويل دقيق كتبه شيخنا الشيخ ربيع حيث جمع الأدلة في ذلك.

المهم أن سفرًا وسلمان وناصر العمر، ومن نحا نحوهم من الأصاغر صاحوا وتراكضوا يَمنةً ويسرة، فأصدروا بيانًا، ونشروه في وسائل الإعلام المتنوعة أن الشيخ الجليل يقصد ببيانه علماء المدينة -أي: ينصحهم بعدم الكلام في الفتنة، وعدم التعرض لسفر وسلمان وناصر العمر ومَن وافقهم إلى غير ذلك من الكذب على طريقة أهل البدع.

فانبرى الشيخ -رحمه الله- وسريعًا- بإصدار بيانه الثاني يوضح مراده، فأثنى على علماء المدينة، وسمَّاهم بأسمائهم إسكاتًا لهم وقمعًا لباطلهم وتلبيساتهم، ووصفهم -أي: الدعاة الأصاغر- بأنهم دعاة الباطل، وأهل الصيد في الماء العكر، والذين يشوِّشون على الناس.

حتى أذكر أنه لمَّا جلسنا مع عبد الرحمن عبد الخالق -ذكر البيان الأول وشرحه، كما كان سفر وسلمان يشرحانه، فقلتُ له: أين أنت من البيان الثاني للشيخ، فالإجمال في الأول، فصَّله في الثاني -رحمه الله-، فقال: الأول: كتبه الشيخ بإرادته وعلى سجيته، وأمَّا الثاني فكان بأمر من الحُكَّام

أنا عايز أقول الشيخ -رحمة الله عليه- كانت له حشمة في نفسه، ثم أعطته الدولة من حشمتها كمان، لَمَّا كان الملك يجالسه وكان يخبره دي برضه بتخلي الكبير والصغير ميعرفش يتكلم -يمسك لسانه-...

ثم قال: «.... يعني في كل فن يقول لك: حافظ دائمًا على أصالة المصادر، زي ابن تيمية ما بيعمل، وابن تيمية إذا أصَّل لمسألة فقهية دائمًا يجيب الصحابة، وهو قول فلان وفلان من الصحابة، وبعدين يجيب التابعين، وبعدين تابع التابعين، بعدين وقول في مذهب الإمام أحمد، وقول أبي حنيفة، وسفيان الثوري، ومش عارف إيه والكلام من ده.

يعني ... شيخ الإسلام كرجل يراعي أصالة المصادر، وهذه مسألة مفقودة عندنا الآن نحن معاشر السلفيين معندناش أصالة المصادر[1]، تلاقي دائمًا كل إلِّي بيدرسوا يدرسوا كتب حديثة.. حديثة جدًّا، حتى أن شبابنا إلِّي هم بيدرسوا في العقيدة، ميعرفوش قول سعيد بن جبير: «الإسلام يزيد وينقص»، مَن الذي رواه، ولا أين هو، في حين أنه لو درس للالكائي مثلاً، أو درس للآجري، أو الكلام ده.

اطلع على أصالة المصادر عرف الأقوال بأسانيدها، ويقدر بعد كده أن يستخدم كتب شيخ الإسلام ابن تيمية ككتب مساعدة في فهم هذه القضايا المجملة.. يعني أنا لو عايز

=

سترًا على مشايخ السلطة؟!.

سبحان الله! مع أنهم جميعًا يعلمون أن الشيخ ابن باز هو رئيس هيئات العلماء التي أصدرت تلك الفتوى التي يسميها الأصاغر -وإلى يومنا هذا-: «فتنة الخليج»، نعم، فتنة لهم، ولكن موقف العلماء كان واضحًا بيِّنًا، فكانوا راسخين ثابتين فيما قالوا، وأفتوا -رحم الله الجميع-». اهـ

(١) هذا حقٌّ بالنسبة لكم معاشر القصَّاص والقطبيين خاصة، ومعاشر أهل البدع عمومًا، لا معاشر السلفيين -حقًّا-!.

فإن الذين يتخذون سيد قطب، وحسن البنا، والمودودي، إلى آخر رموز حزب الإخوان -والأحزاب المتفرعة عنه- رموزًا ويعتمدون نتاج فكرهم البدعي كمصدر رئيسي لبعض القضايا المنهجية الخطيرة، والتي على رأسها مسألة الحاكمية؛ بلا شك ليست عندهم أصالة في المصادر.

أقول: إن الإيمان يزيد وينقص مثلاً، عايز أسمي من الذي قال بهذا من الصحابة، والتابعين، وتابعي تابعيهم، لحد الأئمة المتبوعين.

أنا أعرف أن أكثر شبابنا السلفي لا يستطيع أبدًا أن يقول: هو قول فلان وفلان من الصحابة، فضلاً عن التابعين، وتابع التابعين، والكلام ده.

لكن إذا رفع سقف علمه يصل إلى ابن تيمية سقف العلم لمعظم شبابنا، إحنا سقف العلم عندنا مش ابن تيمية، بل سقف العلم حتى في باب الاعتقاد زي ما كان ابن تيمية يقول: «ما يؤخذ الإعتقاد عني، ولا عمَّن هو أكبر مني، بل يؤخذ عن الله ورسوله»، دا كلام شيخ الإسلام، أو كان كثيرًا ما يردد هذا الكلام[1].

---

(١) أنت أول من نحاكمك إلى هذا الكلام! ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢- ٣]!.

سَمِّ لنا كتب العقيدة السلفية -المسندة وغير المسندة- التي قمت بشرحها على طريقة السلفيين، وربطت المسلمين بما فيها من آثار ثابتة عن السلف الأوائل.

نعم، قد تتعرض في خلال خطبك ودروسك إلى الاستدلال ببعض الآثار السلفية، لكنها في الغالب تكون من باب القصص، أو في أبواب الرقائق، أما المسائل الاعتقادية التي اشتهر فيها النزاع في هذا الزمان بين السلفيين وأهل البدع، ففي الغالب الأعم، نجد كلامك مستقى من تأصيلات أهل الأهواء في هذا الزمان، لا من الآثار السلفية.

وإلا قل لي بربك: أين سقف العلم في مسألة الحاكمية؟ أهو سيد قطب؟

فإن قلت: لا، قلنا: فلِمَ رفعت قاعدته وعظَّمتها ودافعت عنها؟

فإن قلت: أنا لم أنسبها إلى سيد، ولم أحتّج بها لأن سيدًا قالها، لكن لأنها حقٌّ في نفسها، وإن لم يقل بها سيد، قلنا: لكن سيدًا هو الذي أشهرها وعُرِف بها، بل صارت عَلَمًا على منهجه، فلا يُعلَم أحد قال بها من السلف، ثم هي باطلة في نفسها، وتتوافق مع منهج الخوارج القائم على الغلو في مسألة الحكم، وجعلها مسألة المسائل.

وأين سقف العلم في حكم الإصرار على المعصية ..؟ وقد عزوت الحكم عليه بالاستحلال ثم بالكفر إلى نفسك، وأبيت أن تعود إلى سقف العلم، أي: إلى أئمة السلف، رغم اعترافك باطلاعك على أقوالهم في المسألة.

وأين سقف العلم في النوازل المعاصرة نحو مسائل تفجير النفس في وسط الكفَّار، ومقاطعة منتجات الكفَّار ...إلخ؟ أهم الألباني، وابن باز، وابن عثيمين، والفوزان، وربيع بن هادي ...إلخ أئمة =

فاحنا حصل ... عندنا تدني للسقف العلمي، لم يعد عندنا علو السقف الذي كان موجودًا عند مثل هذه الطبقة، وده أورثنا ضعفًا علميًا ..... سواء أكان في المسائل العقدية الكبيرة، أو كان في المسائل الفقهية[1].

فأنا باعتقد أن مشكلة السلفيين في الأردن ستحل كما هي محلولة عندنا بأن يكون لها رأس، أو رأسان[2]، ممكن الرأس العلمي يتعبنا أوي على ما نجيبه، ونتفق عليه، دلوقتي،

=

السنة المعاصرين، أم هم رموز القصّاص والحزبيين الذين وقعت معهم على بيان غزة، والذين تشارك بعضهم في هذه القنوات الفضائية، وتوافقهم على تأصيلاتِهم، وعلى فتاويهم في هذه النوازل؟!!

وأين سقف العلم في مسائل الجهاد؟ أهم رموز حزب الإخوان الذين وقّعت معهم على هذا البيان الذي يحرّض على الجهاد الهجومي ضد اليهود، رغم مخالفة هذا لفتاوى أكابر أهل العلم الذين يمثلون سقف العلم في هذا الزمان؟!.... إلخ.

(١) قال الشيخ فلاح مندكار: «هذا شأن الأصاغر، وجزاء من ترك وخالف ميراث النبوة ومنهاج الصحابة القائم على الأخذ والتلقي عن الأكابر، وإنها من أشراط الساعة:

روى أبو أمية الجمحي -مرفوعًا-: «إن من أشراط الساعة أن يلتمس العلم عند الأصاغر».

وعن ابن مسعود: «لا يزالُ الناس بخير ما كان علماؤهم المشايخ، ولم يكن علماؤهم الأحداث».

وعنه أيضًا: «لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل الأكابر، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم هلكوا». أمَا عَلِمَ -هو وأقرانه- أن تعظيم الأكابر، والأخذ عنهم، وعدم التعالي عليهم فضلاً عن تشويه صورتهم والكذب عليهم: دين يُدان الله به.

أما علم أن أول أوصاف أهل البدع، وأعظم أسباب انحرافهم عن الحقّ وأهله أنهم حُدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام.

روى عُبادة بن الصامت -مرفوعًا-: «ليس منا من لم يجل كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالمنا حقّه». ورُوي عن علي قوله: «محبة العلماء دين يُدان الله به».

وعن عكرمة: «إيَّاكم أن تؤذوا عالِمًا، فإن من آذى عالِمًا فقد آذى رسول الله ﷺ». وعن طاوس بن كيسان: «إن من السُّنة توقير العلماء».

أما علم -هو وأقرانه- أن المحبة والتوقير تستلزمان الأخذ عنهم، والصدور عن أقوالهم، وعدم مخالفتهم والتعالي عليهم.

لا يصلح الناس فوضى لا سَراة لهم ... ولا سَراة لهم إذا جُهّالهم سادوا

(٢) والله إن كان الرءوس هؤلاء القصّاص والحزبيين، دون أكابر أهل العلم، فإنها علامة من علامات الساعة، وهي المذكورة في قوله ﷺ: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم**

=

ليه؟ لأن كثير أوي ماسك الراية كعادة أي رجل متعلِّم، وكلام من ده، لكن أسهل من ده بكثير يبقى فيه أب، ودي عاوزه واحد من طراز خاص، يبقى زي الزجاج الأملس كده يمر عليه السوائل، والكلام ده هو، ومَا تلصق فيه.

إذا وجد الرأس الحنون الإداري، أنا بعتقد أن خمسين في المية حتُحَلّ المشكلة، بشرط أن هذا الرأس ما له دعوة بالعلم؛ لأن احنا عندنا إشكالية كبيرة الداعية العالم مينفعش يبقى إداري[1].

= بقبض العلماء، حتى إذا لم يبق عالمًا اتخذ الناس رءوسًا جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»، أخرجه البخاري في صحيحه (١٠٠)، ومسلم في صحيحه (٢٦٧٣) من حديث عبدالله بن عمرو -رضي الله عنهما-.

وقد علَّق الشيخ فلاح -سلَّمه الله وسدَّد قلمه ولسانه- على اقتراح الحويني بقوله: «ولستُ أدري كيف حلَّها -كبيرهم- في مصر؟ وكيف رفع السقف العلمي؟ وكيف أزالَ عن أهل مصر الضعف العلمي في المسائل العقدية الكبيرة؟ ما هي الوسائل والسُّبل؟ أو السحر الذي استعمله؟ وكيف أنشأ رأسًا في مصر أو رأسين؟ ومَن هُم الرءوس؟!!

وهل مثل هذا -وبأقواله هذه- ستُحَل مشاكل الأردن؟!

إذا كان الغرابُ دليلَ قوم يمر بهم على جِيَفِ الكِلاب

وتدبَّر يا أخي، وأمعن النظر في لحن أقوالهم حتى تعرف أهدافهم، فهو بدأ بأن السلفيين بلا رأس، وصوَّر فقدان الرأس بموت المشايخ العلماء الأجلاء الثلاثة: الألباني وابن باز وابن عثيمين -رحمهم الله-، وتدبَّر قوله في أول كلامه: «أن مصر تفتقرُ إلى وجود الرأس، وأنه أباح بهذا السر للشيخ الألباني قبل عشرين عامًا، فأجابه الشيخ: بأنها فعلاً مشكلة، عِلمًا بأن وجود المشايخ الثلاث كان حينئذٍ، وقبل أكثر من عشرين عامًا.

فتدبر مكرهم في تلميع أنفسهم وأقطابهم، ثم تدبر ما قرَّره بأن مشكلة إخوانه في الأردن يسهل حلَّها، وذلك كما فعل هو وإخوانه في مصر، حيث أوجدوا رأسًا أو رأسين، أي: فكذلك واجبكم في حلِّ مشكلتكم، وصُنع الرأس أمره سهل عنده، فالمصنع بأيديهم في مصر».

(١) لمَّا قرأت هذا الكلام على شيخنا أ.د: عبد الرحمن محيي الدين -حفظه الله تعالى- علَّق عليه قائلاً: «... معاشر الإخوة الكرام نستخلص من الكلمات السابقة التي تعرض لها الأخ أبو إسحاق الحويني حيث قال: إن السلفي إذا تولى الإدارة لا يمكن أن يجيدها أو بنحو هذا المعنى، أليس كذلك؟ وهو يتكلم عن الخلاف بين السلفيين، نستخلص من ذلك أن الإدارة والعلم يعطيها الله -عز وجل- من شاء كما أعطى سليمان وداود -عليهما السلام-، أعطاه مُلكًا وهو نبي، ونبينا ﷺ =

كان يدير الأمور ويُسيِّر الدولة وهذه هبة، قد يكون الداعية والمؤمن إداريًا وقد لا يكون إداريًا، قد يكون إداريًا -يعني يستطيع أن يدير عنده مملكة إدارية تنظيمية كالقسم رباعية-، قد يكون عالمًا ربانيًا إداريًا يمشي على المنهاج، وقد يكون عالمًا ربانيًا غير إداري، وقد يكون إداريًا غير عالم، وقد لا يكون لا عالمًا ولا إداريًا مطلقًا أليس كذلك؟ جاهل وهو عامي ويديره غيره لا يستطيع أن يدير، كما يقولون: مثل فقراء اليهود لا دنيا ولا دين، عرفتم فقراء اليهود عندنا إذا الإنسان فاشل في حياته لا عنده تقوى ولا عنده إيمان مجرم فاسق وفقير إيش يقولون: مثل فقراء اليهود لا دنيا ولا دين، عرفتم كيف..؟ نسأل الله أن يجعلنا من أهل العلم، أنتم سلكتم هذا الطريق طريق العلم؛ احمدوا الله -جل وعلا- واسألوا الله الإخلاص والمتابعة فيه، وأن يجعل عملكم خالصًا ولا تغتروا ولا تفتخروا، يقول أحدكم أنا سلفي، احمد الله أنك سلفي وأن الله وفقك، الله له فضل عليك، وإلا بعض الناس عنده علم في رأسه أمثال الجبال وهو ليس بسلفي فهو من الصوفية.. وعندهم علم قال فلان وقال فلان، قال علان وقال فلان، قال علان وقال فلان، وهو إذا قلت له [..] قال: ما أعرف، كيف الطريق؟ ما يعرف من هو القدوة والإمام؟ يقول لك: عبد القادر الجيلاني، إمامك مَنْ؟ حسن البنا، مَن إمامك؟ سيد قطب؟ مَن...؟ إمامنا المصطفى ﷺ...». ثم استطرد الشيخ في موعظة طويلة نافعة.

قلت: بارك الله فيكم وأحسن إليكم، بقيت قضية واحدة من كلام أبي إسحاق نرجو أن نستوضحها من فضيلتكم، وهي أنه من المقاصد الظاهرة من كلام أبي إسحاق الحويني الذي قرأناه قبل قليل كأنه أراد أن يقول: بعد موت الأئمة الألباني وابن باز وابن العثيمين -رحمهم الله جميعًا-، كأننا صرنا بلا رأس، يعني صارت الدعوة الآن ليس لها رأس -على حد تعبيره بالضبط- فهل يصح هذا الكلام؟ وأليس هذا يناقض حديث النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**»، وهم أهل العلم؟ ألم يخلف الألباني وابن باز والعثيمين مَن يحمل إمامة هذا الدين وهذه الدعوة، هذا ما نود أن نستوضحه من فضيلتكم؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله- قائلاً: **أولاً**: أسأل الله -تبارك وتعالى- أن يهدي ضال المسلمين وأن يبصرهم وأن يشرح صدورهم، وأن يهيء لهم من أمرهم رشدًا، وأن يوجد بينهم مَن يحمل هذا الدين ولا يخاف في الله لومة لائم، وأن يجعلنا مِمَّن حفظوا الدين، ندعوا الله -جل وعلا- أن يجيرنا في مصيبتنا ويخلفنا خيرًا منها، هذا الدين ثابت ثبوت الجبال الراسيات باق إلى يوم القيامة يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الضالين وانتحال المُبطلين وتأويل الجاهلين، المنهج باق، والطريق باق، وكل منا يأخذ لكن الله -تبارك وتعالى- له حكمة، يجعل إمامًا يقتدي الناس به يبعثه الله على رأس كل مئة سنة، يبعث الله إمامًا يثني الناس عليه خيرًا ويفرحون به، ويطمئنون إليه، ويجعلونه قدوة يتحاكمون إليه، هذا هبة من الله يجعل محبته في قلوب الناس، وقد ورد: إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل، قال: يا جبريل إني أحب فلانًا فأحبه،

فيحبه جبريل ويوضع له القبول عند أهل السماء، ثم يوضع له القبول في الأرض، وليس الإنسان مأمورًا ومكلفًا أن يكون رئيسًا إنما الله الذي يجعله.. يختاره سبحانه -جل وعلا-، وقد سأل أبو ذر الإمارة قال الرسول ﷺ له: «إنك ضعيف، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، وإنها والله خزي وندامة»، ما ولَّىٰ أبا ذر الإمامة: المصطفىٰ -صلوات الله وسلامه عليه-، قال: «إنك ضعيف»، وقال: «إنا والله لا نعطي هذا الأمر أحدًا طلبه أو حرص عليه»، فهم يريدون أن يكونوا رؤساء، الرئيس الله يأتي به، يجعله الله في أمور في الحياة، يهيئها الله له، من كان يظن أن عمر بن عبد العزيز يجدِّد الإسلام في القرن الأول؟ وأجمعت الأمة عليه.. علىٰ أنه مُجدِّد وهو خليفة، وهو حاكم وكان في مرحلة شبابه في غاية الترف والغنىٰ ولين العيش، لكن شرح الله صدره، والشافعي في القرن الثاني، وفلان في القرن الثالث وهلم جرًّا، وليس بالملائم أن نقف ونكتف أيدينا حتىٰ يأتينا قدوة ورئيس، وإنما نعمل ونتعلم ونعلِّم غيرنا، قد يكون ابني أو ابنك، حفيدي أو حفيدك من المجدِّدين ما ندري، وإنما الذي أدري وتدري أني مأمور أن أتعلم كلام الله وكلام رسوله ويعلمه لمن بعده، كما قلت لكم: الآن العلم أعظم شيء والعمل والدعـــوة، ثم الله -عز وجل- كفيل بأن يخرج... الأمة ما يضيِّعها أبدًا سبحانه -جلَّ وعلا- ولا نيأس، ونسأل الله أن يهيء لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعته ويذل فيه أهل معصيته، الدعوة نقوم بها، نعلِّمها ونصبر علىٰ هذا الأمر حتىٰ ندخل جنات النعيم ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجۡرَهُم بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ الصبر له عاقبة حميدة، اصبروا وصابروا، كان الشيخ الألباني ما شاء الله تبارك الله كان يقوم ستة عشر ساعة في المكتبة مكتبة الظاهرية في دمشق منذ أن تفتح حتىٰ تغلق، وأولاده يأتون له بطعام الغداء في المكتبة، حَبَّبَ الله إليه العلم، مَن حُبِّب إليه العلم؟ فيه غيره كثير علماء لكن جلس يفهرس يقرأ، عنده صبر عـنده جـلد، نحاول نصبر..هكذا يعطي الله -عز وجل- من يشاء من عباده، والله كفيل سبحانه -جل وعلا-.

قلت: يعني بارك الله فيكم قال: أين تلامذة هؤلاء، هل هؤلاء العلماء لم يخلفوا أحدًا، ألم يخلفوا نحو الشيخ الفوزان ... الشيخ ربيع ...إلخ؟

فأجاب الشيخ -حفظه الله-: «فتح الله عليك هؤلاء هم العلماء الآن في العصر، المفتي، الشيخ الفوزان، الشيخ اللحيدان، الشيخ ربيع، الشيخ العبَّاد، مشايخ كثيرون...».

ثم سئل الشيخ بعض الأسئلة منها: هناك من ينادي بإزالة علم الجرح والتعديل أو كما يسمونه علم الجرح والتجريح أو علم التخميش؟

فأجاب الشيخ: «إيش يبغىٰ.. الدنيا فوضىٰ، إن هذا الأمر دين ماذا يقول ابن المبارك: الإسناد من الدين، ما معنىٰ الإسناد؟ الجرح والتعديل إسناد، أنا قلت هذا في محاضرات، الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء، يقول: نرمي علم الجرح والتعديل ولا نستفيد منه، **هذا شيطان ناطق، شيطان فاسق**، استغفر ربك قل له: لا تقل هذه الكلمة فهمت أم لا؟ حتىٰ يظهر للناس إيش؟ ماذا قال ابن سيرين: إن هذا دين فانظروا عمَّن تأخذون دينكم، كيف ننظر؟ نعرف هذا

إذا العالم مسك الإدارة حتفسد الإدارة، وإذا الإداري مسك العلم أو الدعوة حتفسد الدعوة، ليه[1]؟!

=

طيب بطَّال: الجرح والتعديل أم لا؟ لهذا إذا جاءنا خبر، إذا جاءكم فاسق، هل هذا محكم أم منسوخ؟ ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ تثبتوا في قراءة، إيش معناها؟ محكمة ولا منسوخة هذه الآية؟ محكمة إلىٰ يوم القيامة، نحن مخاطبون بها، .. إذا جاءنا خبر نتوثق فلان الذي جاب الخبر ما هو فاسق ولا زاني ولا كذاب ولا رافضي إيه؟ نعرف، أم فوضىٰ الدين فوضىٰ؟! قاتلهم الله، يقولون الجرح والتعديل ما في جرح وتعديل!». اهـ

(١) أليست هذه حيلة ماكرة لإسقاط مرجعية العلماء وتسليمها إلىٰ حفنة من الجهلة بالعلوم الشرعية يسمُّون بالإداريين تمويهًا وتدليسًا، وما هم إلا أمراء هذه الأحزاب الضالة المنشقة عن أهل السنة والجماعة؟!

وقول الحويني هذا في عدم صلاحية العلماء لإمساك إدارة الدعوة يشبه قول سلمان العودة في شريط «وقفات مع إمام دار الهجرة» حيث قال: «...في بلاد العالم الإسلامي اليوم جهات كثيرة جدًّا لم يبق لها من أمر الدين -وقد تكون مسئولة عن الفتيا أحيانًا أو عن الشئون الدينية- لم يبق لها إلا أن تعلن عن دخول شهر رمضان أو خروجه»، وقال في حوار له مع مجلة الإصلاح الإماراتية (عدد ٢٢٣) (ص١١): «...الأحداث التي حدثت في الخليج لم تزد علىٰ أنها كشفت النقاب عن علل وأدواء كان المسلمون يعانون منها، وأكَّدت علىٰ أنهم ليسوا علىٰ مستوىٰ مواجهة مثل هذه الأحداث الكبيرة، **وكشفت كذلك عن عدم وجود مرجعية علمية صحيحة وموثوقة للمسلمين بحيث أنها تحصر نطاق الخلاف**، وتستطيع أن تقدِّم لهم حلاً جاهزًا صحيحًا وتحليلاً ناضجًا..».

قلت: فما أشبه دعوىٰ الحويني بدعوىٰ إخوانه القطبيين الفجَّة العريضة أن العلماء -كهيئة كبار العلماء بالمملكة وغيرهم مِمَّن هم علىٰ منهجهم- لا يفقهون الواقع، ولا يستطيعون معالجة وإدارة الأمور وقت الأزمات والنوازل، ومن ثَمَّ لا ينبغي للعامة الرجوع إليهم في الوقائع والنوازل، إنما عليهم أن يرجعوا إلىٰ من سمَّاهم الحويني بـ«الإداريين»، وسمَّاهم «سفر وسلمان والقرني وناصر العمر» بـ«فقهاء الواقع!!».

وعقَّب الشيخ فلاح مندكار على هذا الموضع قائلاً: «يزعم ويحكم ويقرر «إذا العالم مسك الإدارة حتفسد الإدارة»، سبحان الله! ويزعم حبَّه للألباني، وللحديث والسُّنة، وقد قرَّر قبل قليل أنه بموت العلماء الثلاثة فقدت الأمة رأسها! أليسوا علماء ورءوس؟!

ألم يسمع ويتدبر قول الرسول ﷺ: «إن الله لا يقبضُ العلم انتزاعًا من الصدور، إنما يقبضُ العلم بقبض العلماء، حتىٰ إذا لَم يُبق عالمًا، اتَّخذَ الناسُ رءوسًا جُهَّالاً...»؟! ألا يدل هذا علىٰ أن الإمامة والرئاسة في الجوانب الدينية إنما هي للعلماء؟! ألم يعقل أن النبوة والأنبياء هم الرءوس في

=

كلاهما له من الصفات أو ينبغي أن يكون له من الصلاحيات ما يضاد الآخر، الإداري لو داهن في الإدارة فسدت، الإداري لازم يبقى صارم الصارم دا.. أنا واحد.. هو رجل إداري وطبعًا أنا رايح راجل كُبَّارا وهو... من مكاني يمشيك... فلان جاني ومشيته... ده مينفعشي... يا عمّ مشّيها يا عمّ وتوكل على الله هو لو خذ كلامي، ومشّى كلامي فسدت الإدارة؛ لأني أنا عشان يمشيني دي سيبقى لها نظائر، الثاني سيقوله مشّي لي دي؟

طيب ما فلان ماشتها له، ليه ما تمشليش المسألة دي لا الإدارة مفيش حاجة اسمها «مشّي»، الإدارة فيها حاجة اسمها «نظام»[1].

الداعية لو حب يشتغل إداري حيبوظ -أي يفسد- الدعوة؛ لأن الداعية بيطبطب، والإداري بيضرب.. أنا أخوك، أخي يقول لي: والله يا فلان ظلمني مش عارف بتاع، أقول له: التمس له سبعين عذرًا يا أخي أخوك واخد بالك.. لذو حظ عظيم، أخي لا تذكر النبي ﷺ لمَّا جاءه فلان وعلان، وجاء فلان وعلان، يا أخي... ده شغلتي أنا، أنا ييجي حيطاً من جِنابه أهدئه خالص وأصفّيه، لكن لم أحُل مشكلته، وإنما أحلته على الصبر الجميل؛ فالإداري لا بد أن يكون إداريًا.

=

الأمم والأقوام؟!

ماذا يريد؟!! ألم يتدبر وينظر إلى هذه الزعامات الإداريّة في الجماعات الإسلامية من أيام المرشد العام: حسن البنا، كيف أرشدوا الشباب إلى الضياع والهلاك والبُعد عن نور الوحي بسبب جهل المرشدين والرءوس والأغمار؟!». اهـ

(١) وهل العالم الرباني لا يعرف النظام ولا يعرف الصرامة؟! ما هذا الهراء ؟!!

العالم الرباني أو الداعية -على مذهب الحويني- بـ«يِمَشّي» -أي: يداهن-، وبـ«يطبطب» -أي: يحنو ويرفق ولا يأخذ على يد الظالم، ولا يبين الحق لخوره ولحرصه على التهدئة ولو على حساب الحق-، أمَّا «الإداري» -المبتدع، أو الجاهل- عنده الحكمة والصرامة والقوة والهيبة ..إلخ.

وهذا يشبه قول من قال: «العلماء دراويش»، وقول الآخر: «العلماء يجلسون في برج عالٍ، لا يدرون شيئًا عن الواقع».

هل وقفت على تسفيه للعالم وللداعية نحو هذا ؟!

وكما قيل: حسبُك من شرٍّ سماعه.

أكثر الفساد الذي وقع في بلاد المسلمين فيما يتعلق بالسلفيين: أن دعاة السلفيين تحولوا إلى الإدارة مع الدعوة، فبأوْ -أي: صاروا- مكروهين.

فأنت أنا مش عايز تمشيلي مصلحتي، وعمّال تكلمني عن السماحة، ومش عارف إيه، وفلقت دماغنا بحسن الخلق، وكلام من ده، وشخط فيَّ، وبرّأتلي، وعملتلي، ومش عارف إيه، وبتاع إيه[1].

أنا عايز الإداري يبقى إداري لوحده خالص، وإذا الإداري ارتكب أي مخالفة حييجي يعاتبك، ويقول: شوف عمل فيّ يا أخي أخوك، إنت ألا تذكر له كذا، وفعل كذا، ومش عارف.

صح ممكن ما يقتنع بكلامي بس أطفي نار، الذي نحتاج إليه الآن أنا يعني أقول: لا نحتاج إلى رأس علمي، مع احتياجنا إليه، بقدر حاجتنا إلى رجل يجمع كل هذه الطوائف ويكون صبورًا، ويكون حليمًا[2]، ويكون... لو إحنا وجدنا هذا الرأس، واتفقنا عليه، أنا باعتقد أن خمسين في المئة تقريبًا من المشكلة هنا ستحل -والله أعلم-[3].

---

(١) أرأيت -أيها القارئ الكريم- كيف تغلَّب أسلوب القصَّاص على تعبيرات الحويني وألفاظه، وهذه ثمرة ما استقاه من عبد الحميد كشك؟!

(٢) عقَّب الشيخ فلاح مندكار -بارك الله في علمه- على هذا الموضع قائلاً: «انظر وتدبّر ماذا يُقرِّر ويؤصل مُحب الحديث والسُّنة والعلماء: «لا نحتاج إلى رأس علمي -مع احتياجنا إليه- بقدر حاجتنا إلى رجل يجمع كلّ هذه الطوائف..»، حقيقة -يهذي بما لا يدري، ويهرفُ بما لا يعرف-، زعم قبل أسطر فقدان الرأس بعد موت الألباني وابن باز وابن عثيمين، أفلم يكونوا مِمَّن يجمعون -أو تجتمع عندهم- الطوائف كلها؟! ألم يكونوا علماء، ورءوسًا في العلم؟! أم هم إداريون لا شأن لهم بالعلم؟! الحويني يرد على الحويني، الحويني يتناقض في أقواله وتقريراته!!». اهـ

(٣) حنانَيْك قد بلغ السَّيل الزُّبَى، ونالني ما حسبي به وكفى، وبلغ الشِّظاظ الورِكَيْن، وجاوز الحزام الطُّبْيَين، (انظر شرح رسالة ابن زيدون ص١٠٧).

مَن سبقك من السلف إلى هذا التأصيل؟

والذي نفسي بيده لو كان ما قاله الحويني به تحل مشاكل الدعوة -كما يدعي-، لبيَّنه رسول الله ﷺ، وقد تركنا على المحجة ليلها ونهارها سواء، ولم يترك شيئًا يقربنا إلى الجنة إلا وأخبرنا به، أو شيئًا يباعدنا عن النار إلا وحذّرنا منه.

=

(متكلم): يا شيخ: أتأذن لنا بس يعني الإشكال الموجود اليوم ليس صيام السبت، الإشكال في الدعوة هنا قائم على مسائل عقدية هنا بين الشباب وهي مسألة اتهام الشيخ ناصر بالإرجاء، هذا منتشر في بعض البلاد، بس حبيت أن تبين هذا.

أبو إسحاق: أنا فاهم أن واقع البلد أنا أعرفه جيدًا، وأنا حريص ألاَّ أخوض فيه؛ لأنني عارف كمَّ الزخم، وكمَّ الزَّخم، لكن أنا الذي أقول: هو إدارة الأزمة.. الأزمة لم تدر بوجه حكيم، وأنا لا أقصد طرفًا من الأطراف.

كان يمكن الأزمة أن تدار بأحسن من كده ويكون شرها أقل من كده، لا أقول أن ليس لها شرر، حيبقى لها شرر، لكن عندنا في مصر، وفي كل بلد أزمات، كل بلد فيه أزمات يعني ما نقول: إحنا مثاليين أوي، لا إحنا عندنا أزمات؛ لكن أزماتنا قدرنا نحلها، المشايخ لما كانت أزمة ما بين المشايخ إنما يتكلمون في الغرف المغلقة فيصبر بعضهم على بعض؛ حتى لو حنضرب بعضنا بالأطباق، حنضرب بعضنا في الغرف المغلقة، ونطلع مفيش حد يسمع بنا.

إحنا في مسائل برضه... عندنا في مصر ما أحد يعلم بها بيننا وبين مشايخ كبار، ومن أحبابنا أيضًا، لكن لا أحد إطلاقًا يعلم بها، وما خرجت عن الغرف المغلقة، وأكثر الإخوة في مصر لا يعلمونها، تناقشنا فيها، وتباحثنا، وفيه بعض المسائل أخذت سنة، وسنتين ونتكلم ونروح نبحث في الكتب، والكلام ده هو[1].

=

أليس هذا التأصيل إحداثًا في دين الله -عز وجل-؟ وقد قال الرسول ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»، فيما أخرجه الشيخان من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

والذي تدلنا عليه النصوص الشرعية، أن مشاكل الدعوة لا تحلّ إلا عن طريق العلماء الربانيين الذين يحملون ميراث الرسول ﷺ، فالعلماء هم رءوس الفرقة الناجية والطائفة المنصورة، كما بوَّب البخاري -رحمه الله- في صحيحه: كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة: (باب قول النبي ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق**»، وهم أهل العلم)، وأخرج تحته حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «لا يزال ناس من أمتي ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون».

(١) قال الشيخ فلاح مندكار -حفظه الله-: «يذكر دواءًا جديدًا نجح استعماله في مصر: (غرف مغلقة- وضرب بالأطباق- وإخفاء المسائل والمنكرات والبدع حتى لا يسمع بها أحد- يصبر بعضهم =

وأنا قد أذهب أحيانًا وأنا متضايق جدًا، لأن الطرف الآخر من المشايخ أنا عارف هو حيجر شَكَلي، وأنا عارف ومقتنع بقولي، وهو مقتنع بقوله، وعارف مش حنوصل بس، طُلب أن نجلس خلاص، بنروح ونختلف، ونطلع مختلفين، ولكن المسألة مسألة إدارة أزمة[1]. اهـ

=

على بعض). وتدبر أن بعض المسائل بحثها استغرق سنة وسنتين؟!!

وتدبَّر أن كلامه هذا في معرض الإجابة أو الذبِّ عن عقيدة محبوبه الألباني -رحمه الله- بزعمه، لمَّا سأله السائل أن أناسًا يطعنون في عقيدة الإمام، الحمد لله الذي هيأ ورزق الشيخ الألباني تلاميذ يَذبون عنه، ويُدافعونَ عنه، وعن عقيدته.

وأمَّا الحويني -المحب الذي لا يُبارىٰ ولا يُجارىٰ في حبِّه- هكذا أجابَ، ولعلّه على فلسفته التي قررها، ويقررها -أن الواجب هو السكوت، وعدم الخوض، وعدم الإنكار، والمهم: هو الاجتماع مرجئًا كان أو رافضيًا أو غير ذلك، لابد من إدارة الأزمات، السكوت والاجتماع وعدم الإنكار، بل والطبطبة على الجميع حتى يصدر عنه الجميع بالرضا والشعور والإحساس أن الرأس أيّده وناصره على خصومه». اهـ

(١) هل هذا ردٌّ علميٌّ أم رد فلسفي سياسي؟!

وصدق شيخ الإسلام -رحمه الله- حينما قال كما في مجموع الفتاوىٰ (٢/ ٢٢) مبيِّنًا فساد طرق الفلاسفة والمتكلّمين: «وهذه الطرق فيها فساد كثير من جهة الوسائل، والمقاصد: أما المقاصد فإن حاصلها بعد التعب -الكثير والسلامة- خير قليل، فهي لحم جمل غثٌّ على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقل، ثم أنه يفوت بها من المقاصد الواجبة، والمحمودة ما لا ينضبط هنا، وأما الوسائل فإن هذه الطرق كثيرة المقدِّمات ينقطع السالكون فيها كثيرًا قبل الوصول، ومقدّماتها في الغالب إما مشتبهة يقع النزاع فيها، وإما خفيَّة لا يدركها إلا الأذكياء».اهـ

قلت: فالسائل يسأل الحويني عن قضية علمية شائكة تتعلّق بمعتقد إمام السنة في زمانه، والذي هو يتبجح دائمًا بالانتساب إليه، فكان من المنتظر في هذا المقام أن يدافع عن معتقد هذا الإمام، وفي الجانب الآخر يبين غلو الطاعنين فيه، وأنهم شابهوا الخوارج في طريقتهم، كما كان هو دأب أهل العلم حينما سئلوا نحو هذا السؤال.

لكن الحويني -لغلبة النزعة القطبية السرورية عليه في الآونة الأخيرة- كأنه نسي دفاعًا قديمًا له عن هذا الإمام في هذا الشأن، وحيث إن الطاعنين في الشيخ من دعاة مصر القطبيين هم عنده نجوم للدعوة، وكبيرهم -محمد بن عبدالمقصود- ما زال محبوبًا مقربًا للحويني، فأنه لا يريد أن يحرج

=

=

نفسه ولا أن يغيِّر جلده الذي اكتساه في الآونة الأخيرة، وعليه راوغ هذه المراوغة الكلامية التي لا علاقة لها بأصل السؤال الذي سئل عنه، وحوَّل ذهن السائل إلىٰ مسألة أخرىٰ تصرفه عن الحق الذي يجب أن يعتقده فيها.

وسبحان الله! إن هذا الرد يثبت تناقض الحويني حيث إنه -كما تقدَّم- كان ينكر علىٰ الشباب عدم التأصيل العلمي بعدم العود إلىٰ المصادر الأصلية للآثار المنقولة عن السلف، وإذ به يتنكب هو عن هذا السبيل -سبيل التأصيل-، وعند أول معترك فعلي يترك سقف العلم الذي دعا إليه في كلامه السابق، وينزل إلىٰ مستنقع سُفلي من الفلسفة المتهافتة.

وصدق قوام السنة أبو القاسم بن الفضل الأصبهاني لمَّا قال في كتابه «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٤٦٢): «قال أهل السُّنة: لا نرىٰ أحدًا مال إلىٰ هوىٰ، أو بدعة إلا وجدته متحيِّرًا... ممنوعًا من النطق بالحقِّ».

يا إخوة اصدقوا مع أنفسكم هل علمتم أن علماءكم الكبار يتكلمون بهذا الأسلوب أو يناقشون مثل هذه القضايا الاعتقادية الشائكة بهذه الطريقة؟!

وانتبه -رعاك الله- إلىٰ أن الحويني حرص في كلامه السابق علىٰ ادعاء نجاح دعوته مع إخوانه القصَّاص في مصر، وحرص علىٰ أن يظهر نفسه وإياهم بمظهر الحكماء الفقهاء، وأنهم هم الذين نجحوا في القضاء علىٰ مواطن الخلاف، وأما العلماء الآخرون -سواء في معقل العلماء في مكة والمدينة، أو في الشام- فإنهم مشتَّتون مهلهلون لا يجتمعون علىٰ منهج وليس لهم كبير يُرجع إليه، خاصة بعد موت ابن باز!!

فما أقبحه من تدليس وما أخبثه من تشويه للحقِّ وأهله لا يصدر من سلفي يحترم المنهج السلفي ويعرف قدر علمائه!!

إن العلماء السلفيين الأكابر في مكة والمدينة وفي غيرهما هم أعرف الناس بفقه الخلاف، وبالطرق السوية لعلاجه، وأحرص الناس علىٰ وحدة صف المسلمين، وفي الوقت نفسه هم أَمَنة هذه الأمة، والسياج الحامي لها من أهل البدع والأهواء؛ فهم ليسوا في حاجة إلىٰ هذا الإداري -الذي اقترحه -أو قل ابتدعه- الحويني؛ كي يدير شئون الدعوة لهم.

واعلم -فهمك الله- أن الحويني بهذا التقرير يصيغ -ما قرَّره البنا ونفَّذه بالفعل في تنظيم الإخوان- لكن في صورة ماكرة جديدة حتىٰ يتمكن من الدخول بها علىٰ السلفيين- وذلك من تحويل دفة قيادة الدعوة إلىٰ أيدي عدد من القياديين الجهلة، الذين نَصَّبهم البنا كأمراء تجب طاعتهم الطاعة العمياء، وقرَّر هذه الطاعة العمياء وأكَّد عليها أيَّما تأكيد، كما في «التعاليم».

=

نصيحة أخيرة نابعة من القلب

وأخيرًا، فأنا أنصح أبا إسحاق الحويني، وكل من دافع عنه بالباطل -خاصة من المنتسبين إلى العلم والسلفية نحو الشيخ علي بن حسن والشيخ مشهور بن حسن -وفقهما الله-، أن يقف كلُّ واحد منهم وقفة صادقة حاسمة مع نفسه يحاسبها قبل أن يحاسب بين يدي الله -عز وجل-، وليعلم الجميع أن محاسبة النفس في الدنيا وكبحها عن هواها أهون بكثير من مناقشة الحساب يوم القيامة بين يدي العدل الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٠- ٢٣].

فنعوذ بالله من حال هؤلاء، ومازال باب التوبة مفتوحًا للجميع، والمؤمن مفتّن تواب؛ ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠]. ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٤٨]. ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. ﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ١٦، ١٧].

=

وهو بهذا يمهد أيضًا لتصحيح الوضع الذي عليه جمعية إحياء التراث، فهي -تقريبًا- تسير على هذا الوضع، من وجود هذا الإداري مع الداعية، وهذا الإداري تكون له الولاية على الدعاة، فلا يتمكن أحدهم من إلقاء درس أو محاضرة إلا بإذن هذا الإداري الجاهل.

فما أمكر هؤلاء!!

ونقول للمتعصِّبين: اتقوا الله ربكم، ولا تجادلوا عن شيوخكم بالباطل فإن هذه المجادلة لا تنفعهم وتضركم: ﴿ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ﴾ [النساء: ١٠٩].

وأقول لكل من يحب الحويني: إن كنت صادقًا في حبك له، فعليك أن تنصره ظالمًا كما تنصره مظلومًا.

ومن الظلم البيِّن الذي وقع فيه الحويني أن يكفِّر أصحاب الإصرار على المعاصي من عصاة هذه الأمة؛ فيسوي بين الموحدين أصحاب الكبائر الذين معهم أصل التوحيد وبين المستكبرين الذين كفروا كفر الإباء والاستكبار، كما قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- في «شرح الطحاوية» (ص٣١٨) : «وأما الشخص المعين، إذا قيل: هل تشهدون أنه من أهل الوعيد وأنه كافر؟ فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة، فإنه من أعظم البغي أن يُشهد على معيَّن أن الله لا يغفر له، ولا يرحمه بل يخلده في النار، فإن هذا حكم الكافر بعد الموت».

ومن الظلم البيِّن أيضًا أن يقعد الحويني هذه القواعد المحدَثة، ويتحدث بلُغة القصَّاص، ثم ينسب كل هذا إلى طريقة أهل العلم، وإلى المنهج السلفي.

وهو في تقعيده لهذه القواعد ينطلق من هوى لا من اتِّباع لمن سَلَف، وهذا حال كلِّ من انتمى إلى المنهج القطبي السروري، كما دلَّلت على هذا بأمثلة عدة طول البحث، ويصدق عليهم جميعًا ما قاله قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن الفضل الأصبهاني -رحمه الله- في كتابه «الحُجة في بيان المَحجة» (٢/٣١٥):

«فتفرقت بهؤلاء القوم -الذين ادَّعوا أن العقل يهديهم إلى الصواب- السُّبل والأهواء، وتلاعب بهم الشيطان، فزيَّن الباطل في قلوبهم، فلم يصلوا إلى برد اليقين، وصدوا عن الصراط المستقيم.

وإذا تأملت تعمُّقهم في التأويلات المخالفة لظاهر الكتاب والسُّنة وعدولهم عنهما إلى زخرف القول والغرور؛ لتقوية باطلهم، وتقريبه إلى القلوب الضعيفة، لاح لك الحقُّ،

وبانَ الصدق، فلا تلتفت إلى ما أسّسوه، ولا تُبالِ بما زخرفوه، والزم نص الكتاب، وظاهر الحديث الصحيح اللَّذين هُما أصول الشرعيات تقف على الهدى المستقيم». اهـ

إخواني في الله، اصدقوا مع الله واعترفوا بالحق ولو كان على آبائكم ومشايخكم، وقارنوا بين النقولات التي نقلناها عن الحويني وغيره من السروريين في طول هذا البحث، وبين النقولات التي نقلناها عن أئمة السنة من السابقين والمعاصرين، هل يستويان؟!

إن تأصيلات السروريين وتقريراتهم وفتاويهم -المشار إليها في طول البحث- نابعة من منهج خارجي فلسفي متذبذب يفسد ولا يصلح، يهدم ولا يبني.

أما تأصيلات أئمة السنة وتقريراتهم وفتاويهم في خطبهم وشروحاتهم وردودهم نابعة من منهج سلفي قويم، يصلح ولا يفسد، يبني ولا يهدم.

والله من وراء القصد ... وصلى الله على محمد وعلى آله وأصحابه وسلم.

❊ ❊ ❊ ❊

نصيحة ختامية كتبها

الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار حفظه الله تعالى

وهي آخـر تعليقاته النفيسة على هذا الكتاب

أقول للشيخين: علي بن حسن، ومشهور بن حسن -حفظهما الله-: حفظت كلمة سمعتها من مشايخنا في المدينة بعد انتقال شيخنا -وشيخ الجميع- إلى الرفيق الأعلى -بإذن الله-، وكانت الكلمة مثل العزاء يتعزون بها، أو يُعزِّي بعضهم بعضًا -أو بعضنا بعضًا-، والكلمة: «إن الله -تبارك وتعالى- قد هيأ في حياة الشيخ مَن يحمل لواءه، ويواصل مسيرته من بعده»، وسمعتُ أيضًا قولاً جميلاً، كُلَّما ذكركم أحد بشيء -ولو يسيرًا- يقولون: «اتقوا الله في إخواننا -تلاميذ الشيخ- فإنهم والله على ثغرة عظيمة في بلاد الشام، وأنهم بحاجة إلى إعانتهم ونُصرتهم والوقوف معهم».

أقول: ما أجملها من كلمات وأوصاف، ويكفي والله الوصف بأنهم «تلاميذ الشيخ وحَمَلة لوائه».

فأقول: اتقوا الله في شباب أهل الإسلام، والشباب السلفي على وجه الخصوص، واثبتوا على ما كان عليه الشيخ الجليل؛ لتكونوا حقيقة حَملة لوائه، ووَرثة علمه، ثم تدبروا ما قاله الحويني: إنه لا يوافق الشيخ على ما تفرد به -وأن مفاريده كما يقول كثيرة-، وأنه كتب له في ذلك، أي كأن الحويني يُصحِّح أخطاء الشيخ، ويُهديها للشيخ، والشيخ يتقبلها منه؟!.

أسألكم بالله: هل ترضَوْن بهذه الترهات عن الشيخ الجليل؟!!

مع أنه يقول: «إنه لازم الشيخ شهرًا واحدًا» أي: في هذا الشهر، وهذه الملازمة استدرك على الشيخ ما كتبه في مؤلفات، وسلَّمها للشيخ.

شابه بذلك البوطي والأعظمي، ومَن نحا نحوهما من الكذب على الشيخ.

وأقول لأخي الشيخ علي: تذكر ما كنت تقوله في الحزبيين، والجمعيات، بل حتى جمعية إحياء التراث، وأنهم لا يهتمون بطلأب العلم، وغيره، وتذكر تحذيراتك للإخوان منهم، ومن أموالهم وعطاءاتهم.

ودعوتي في الختام للجميع بقراءة وتدبُّر ما سطره أخونا الكريم الشيخ المحب: خالد أبو عبد الأعلى في بحثه هذا، وتدبّر أحوال هؤلاء الأدعياء، والرجوع إلى الحقّ فإنه ضالة المؤمن، وهذا والله عهدنا بإخواننا، وهو الأصل في المنتسبين إلى السُّنة والسلفية، والمتَّبعين للأكابر من مشايخنا -رحمهم الله جميعًا-.

ولا أجد ما أقوله لأخينا وحبيبنا الشيخ خالد فيما أكافأه به على ما قدَّم ونصح وبيَّن وذبَّ إلا:

«جزاك الله خير الجزاء في الدنيا والآخرة، وجزاك خير ما جزى به من نصح إخوانه وأقرانه، ونصح العامة والخاصة.

وجزاك أيضًا خير الجزاء على ما ناصرت الدعوة السلفية، ودافعت ونافحت عن العلماء الأجلاء، وأسأله -تبارك وتعالى- أن يُحقِّق فيك وعده عاجلاً غير آجل، وأن يُحقِّق في الدنيا قبل الآخرة -أعني وعده -جلا وعلا-:

﴿ ۞إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج: ٣٨].

وأسأله أن يُهيئ قلوب إخوانك لقبول النصيحة، والعودة والأوبة إلى الحقّ.

ثم أسأله -تبارك وتعالى- أن يُبارك لك في علمك وعملك وعقبك وأثرك، إنه ولي ذلك والقادرُ عليه.

وأشهدُ الله تعالى أنني استفدتُ مِمَّا كتبت وسطرت كثيرًا، فجزاك الله عني وعن



المسلمين والسلفيين خير الجزاء، وحفظك ذخرًا، وبوَّأكَ أن تكون من الذَّابين عن دين الله الكاشفين تحريفات الغالين وانتحالات المبطلين وتأويلات الجاهلين وادِّعاءات المدَّعين الكاذبين.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

هولندا ١٨ رجب سنة ١٤٣١هـ

الموافق ٢٩/ ٦/ ٢٠١٠م

*** ملحوظة:**

تسلَّمت الأوراق[1] يوم الأحد ١٦ رجب ١٤٣١هـ- الموافق ٢٠١٠/٦/٢٧م.

* * * *

---

(١) يقصد الشيخ -حفظه الله-: أوراق القسم الأخير من الكتاب: «رحلة الحويني الأخيرة إلى الأردن» حيث كنت أرسلتها إليه مفردة.

الملاحق

الملحق الأول: ثناء العلماء على المصنف وأعمال المصنف العلمية.

الملحق الثاني: الوثائق والأصول الخطية لمقدمات العلماء وتقاريظهم.

الملحق الثالث: كشَّاف تفصيلي للمسائل والفوائد العلمية.

ثناء العلماء على الْمُصنِّف

أبي عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان الْمصري

أولاً: قـال إمـام الـجرح والتعـديل العلامـة الْـمُحدِّث ربيـع بـن هـادي الْـمَدخلي -حفظه الله-[1]:

«بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه.

أما بعد، فإني لا أعرف عن خالد محمد عثمان أبي عبد الأعلى إلا أنه من طُلاَّب العلم الجادين والسائرين على منهج السلف الصالح، ولا أعرف عنه إن شاء الله إلا خيرًا، وإني لأرجو له أن ينفع الله به، أرجو له الثبات على هذا المنهج، وأن ينفع الله به الشباب في مصر، لنشر المنهج السلفي في أوساطهم، ودفع الشبهات التي يقذفها أهل الفتن والأهواء على هؤلاء الشباب، وأسأل الله أن يُكثِّر من أمثاله، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»[2].

*** وسئل العلامة ربيع بن هادي -أعزه الله- بعد انتهاء درسه في شرح كتاب الشريعة للآجري في يوم الجمعة ١٢ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ:**

السؤال التالي: يا شيخنا بعض الإخوة في مصر يسألون عمَّن يُؤخذ العلم في مصر؟

*** فقال فضيلته: أنصح إخواني بأن يأخذوا العلم على -فذكر أربعة منهم-:**

* الأخ أبو عبد الأعلى خالد.

ثم ذكرت له أن البعض هناك يُحذِّر من بعض من ذكرت، ويقولون إنه لا يوجد في مصر من نأخذ العلم عليهم؟! وتركوا طلب العلم؟!

---

(١) مدير قسم السنة بالجامعة الإسلامية سابقًا.

(٢) مكالمة هاتفية سُجلت مع الشيخ -حفظه الله- ليلة السبت الموافق ١٠ شعبان ١٤٢٥هـ.

فقال الشيخ : **أخاف أن يكونوا هؤلاء من الحدادية.**

فقلت له هل تسمح لي يا شيخ أن أنقل عنك هذا؟ فقال: نعم[١].

وقال -حفظه الله- في موطن آخر: «الأخ خالد بن محمد بن عثمان سلفي، وكتاباته طيبة، ومنهجه طيب، وأنا راضٍ عن كتاباته، وأرى أن يسعى للتدريس في أحد المساجد عندكم في مصر، لعل الله ينفع به الشباب عندكم»[٢].

و قال -حفظه الله- دفاعًا عن أبي عبد الأعلى ضد أحد الشباب المتحمِّسين الطاعنين فيه بغير حقٍّ:

«خالد.. أنا أشهد له أنه ألَّف كتابًا في ليلتين، **ما رأيت أسرع منه كتابةً، ولا أقوى ذهنًا من هذا الرجل**.. هذا الرجل -خالد- عندي ألَّف كتابًا قبل أربع أو خمس سنوات ألَّف كتابًا في الرد على رسالة «انصر أخاك ظالِمًا أو مظلومًا» **جهَّزه في ليلتين** أو ثلاثة، والله أنا ما أقدر **أجهزه في شهر** ...قدرة قدرة قدرة !»[٣].

وسأله هذا الشاب المتحمِّس: أنتم -جزاكم الله خيرًا- نصحتم بالرفق وبالتلطف .. فإذا وُجِد الخطأ ماذا نصنع؟

فأجابه الشيخ -حفظه الله- قائلاً: «ماذا تصنع؟! **لا تتكلَّم.. اتصل على خالد** ..وقل له فلان عنده كذا وكذا، لا تجلس رقيبًا عليهم في كل دقيقة.. اترك شدة المراقبة.. اترك شدة المراقبة، إذا كانت مسألة خفيفة تلطف، إذا كانت مسألة كبيرة تمس العقيدة تمس المنهج اجعل غيرك يعالجها، **اتصل على خالد** قل له: فلان حصل منه كذا وكذا تكلَّم في المجال الفلاني في العقيدة الفلانية في المكان الفلاني في الشريط الفلاني **يرد على كلامه ويروح يناصحه**، المناصحة قائمة، المناصحة تكون باللطف.. المناصحة إذا كان معها شدة وتشهير وكذا ما تقبل، الشيطان يركض».

---

(١) السائل هو أبو زياد الأثري -المشرف العام على إذاعة الدروس السلفية-.

(٢) في مكالمة هاتفية تمت بين الشيخ وبين أحد الشباب من مصر.

(٣) مجلس مُسجَّل مع فضيلة الشيخ ربيع بن هادي -حفظه الله- ليلة ٢٣ جمادى الثانية ١٤٣١هـ.

وقال الشيخ يوسف الدخيل -رحمه الله- في مكالمة هاتفية بين فضيلته وأبي عبد الأعلى ليلة السبت ٢٥ ذي الحجة ١٤٣٠: «لا سيما أنه بلغنا أن الشيخ ربيعًا يعني يثق فيك إلى ما لا نهاية».

○ **وقرأ أبو عبد الأعلى على الشيخ عدة أبحاث وكتب، منها:**

١) كتاب: «دفع بغي الجائر الصائل على إمام الجرح والتعديل والمنهج السلفي بالباطل»، وقد قرّظه الشيخ، فقال في تقريظه: «فقد تصفحت كتاب: «دفع بغي الجائر الصائل ... نقد عملي لكتاب (انصر أخاك ظالِمًا أو مظلومًا)»، فوجدته كتابًا قيّمًا دفع فيه بغي هذا الظالم بالحجج والبراهين الساطعة ..إلخ».

٢) ثلاثيات البخاري، والترمذي، والدارمي، وابن ماجه، وعبد بن حُمَيد، والطبراني.

٣) ما تيسر من صحيحي البخاري ومسلم، والسنن الأربعة، وشروحاتها.

٤) ترتيب متن العقيدة الطحاوية على أركان الإيمان.

٥) جزء من كتاب السنة لمحمد بن نصر المروزي (تحقيق أبي عبد الأعلى).

٦) مواضع من جامع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

٧) بحث له بعنوان: «السمو في عقيدة العلو»، وقد قرأه وراجعه الشيخ -حفظه الله- كاملاً، ونصحه الشيخ بتدريسه على الطلبة في مصر، (ولم يُطبع بعد).

٨) فتوى عن اشتراط إقامة الحجة في التبديع.

٩) مختصر مؤلف الشيخ ربيع: «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله»، وقد قرأه العلامة ربيع كاملاً، وأذن له في نشره.

١٠) تعليقات المصنِّف على «حصن المسلم» للقحطاني.

١١) جزء من كتابه: «كشف العلاقة المريبة بين الإخوان والشيعة الرافضة».

١٢) مواضع من كتابه: «الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية».

١٣) مواضع من كتابه: «ترجمة وجامع فتاوى الإمام عبد الرازق عفيفي -رحمه الله-.

١٤) مواضع من ردود العلامة ربيع على أبي حسن المصري.

١٥) درس العلامة ربيع: «المخرج من الفتنة»، والذي قام المصنِّف على تفريغه.

١٦) بحث للمصنِّف بعنوان: «اعتقاد ومنهج العبد السلفي الرباني»، والذي غيِّر عنوانه بعد ذلك إلى: «أصول اعتقاد ومنهج السلف الصالح -أصحاب الحديث والأثر-» (لم يُطبع بعد).

١٧) بحث للمصنِّف بعنوان: «وجوب بيان الدلالات الفاسدة في الإطلاقات والإجمالات والزلأت الواردة في كلام العلماء». (لم يُطبع بعد).

وقد أجاز العلامة ربيع بن هادي أبا عبدالأعلى بكل مسموعاته وبثَبَتِه عن أشياخه.

ثانيًا: قال فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب البنا -حفظه الله-[1] في تقديمه لكتاب «التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات هي من منهج الخوارج والبغاة.... وليست من منهج السلف الصالح»:

«فأنا أنصح شباب مصر أن يلزموا غرز أهل العلم السلفيين عندهم، والذين منهم: الشيخ أبو عبد الأعلى خالد محمد عثمان، **صاحب المؤلفات القيمة والتحقيقات النافعة**، ومنها: كتابه «دفع بغي الجائر الصائل على العلامة ربيع بن هادي والمنهج السلفي بالباطل»، والذي فنَّد فيه شبهات وأباطيل أهل الأهواء ضد إمام الجرح والتعديل بحقٍّ فِي هذا الزمان: الشيخ ربيع المدخلي -حفظ الله عليه ذاكرته الوقادة-، ومنها أيضًا: كتاب «المسائل الماردينية» لشيخ الإسلام ابن تيمية، والذي حوى مسائل فقهية هامة، وقد قرأتُهُ كلَّه، **فوجدتُ أبا عبد الأعلى قد أجاد وأفاد فِي تحقيقه.**

والشيخ خالد عثمان معروفٌ لدينا بقوة الحجة العلمية والاستقامة على المنهج السلفي؛ فأسأل الله أن يزيده توفيقًا، وأن ينفع برسالته المسلمين أجمعين». اهـ

وقال العلامة محمد عبد الوهاب البنا مقرظًا كتاب «دفع بغي الجائر الصائل» داعيًا لصاحبه[2]:

---

(١) الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة، ومدير التوجيه الإسلامي بجدة سابقًا.

(٢) مرفق صورة خطية منه في الوثائق آخر الكتاب.

إلى الأخ العزيز والكاتب الأديب الشيخ خالد محمد عثمان أبي عبد الأعلى...

خالص دعائي ربي له بدوام التوفيق ونُصرة الحق...

أدام الله توفيقه لذلك الخير ونفع به في نصر السنة والدفاع عن أهلها.

وجزاه الله خير الجزاء...

أخوك المحب لك في الله

محمد عبد الوهاب مرزوق البنا

٢٠٠٥/٥/١٧

* * *

○ وقرأ أبو عبد الأعلى على الشيخ عدة أبحاث وكتب، منها:

١) متن أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله-.

٢) صريح السنة للإمام ابن جرير الطبري -رحمه الله-.

٣) كتابه: «التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات هي من منهج الخوارج والبغاة».

٤) جزء من كتابه: «دفع بغي الجائر الصائل».

* * *

○ ثالثًا: قال فضيلة الشيخ حسن بن عبد الوهاب مرزوق البنا -حفظه الله-[1]:

قال -حفظه الله-: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم...

أما بعد: هذا تعريف بالأخ الشيخ أبي عبد الأعلى خالد محمد عثمان المصري، وقد قرأت بعض كتبه واجتمعت به في المسجد وناقشته في كتاباته، فوجدته -بفضل الله- على علم، وليس أي علم مخلوط كما هو شأن الكثيرين، ولكن أشهد وأشهد الله تعالى **أن علمه خالصٌ ومُدعَّمٌ بالأدلة من القرآن الكريم والسُّنَّة الصحيحة، وهو على قدر لا بأس به من العلم**

---

(١) مدرس العقيدة بالجامعة الإسلامية، وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة سابقًا.

الصحيح من الكتاب والسُّنَّة، وقد استفدت كثيرًا من علمه، والله على ما أقول شهيد، وهذا للتعريف ولا أزكّي على الله أحدًا.... وصلِّ اللَّهُمَّ على مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم.

حسن عبد الوهاب البنا

١٥ ذو الحجة ١٤٢٥ - ٢٤ يناير ٢٠٠٥

* * *

وقال -حفظه الله- في موطن آخر: «فمنذ أن تعرَّفت بالأخ خالد محمد عثمان المصري لمست فيه حبَّه لكتب السلف الصالح، ولاحظت منه نشاطًا في الاطلاع والتحقيق لكتب السلف الصالح فضلاً عن التأليف في العلوم الشرعية، وعلى رأسها العقيدة الصحيحة ومنهج السلف الصالح.

ولم يبدو لي منه أي انحراف في هذه العلوم والتعليقات ...

وقد قرأ عليَّ متن العقيدة الطحاوية مع بعض الشروحات، وأكثر كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

وقد قدَّمت لبعض مؤلَّفاته فضلاً عن مقدِّمات شقيقي الشيخ محمد عبد الوهَّاب البنا -رحمه الله-، فضلاً عن دراساته مع فضيلة الشيخ العلامة ربيع بن هادي.

هذا وإني أقر أن كلَّ طالب علم قد يخطئ، فإذا أشار إلى كتاب باسم معين، ثم ظنَّه غيره غير متعمِّد، فإن هذا لا يعد سببًا للطعن في دينه ومنهجه.

ومَن يحاول الطعن في مثل هذا الأمر، فنخشى أن يكون مغرضًا أو حاقدًا، ولا يقصد وجه الله.

وهذا ليس دفاعًا عن شخصه، بل إحقاقًا للحق، ودفاعًا عن طلاَّب العلم في العقيدة والمنهج السلفي، وعن المنهج نفسه.

والله من وراء القصد.

وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم(١).

المعرّف

حسن عبدالوهاب البنا

المدرس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

وعضو هيئة التوعية الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا

حُرِّر في الخامس من المحرم ١٤٣١ - ٢١ من ديسمبر ٢٠٠٩-١٢-٢١

***

وقال -حفظه الله تعالى- في مقدِّمته على كتاب «الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية»: «ثم قام الشيخ **أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان** -زاده الله علمًا وفقهًا- بالشرح الواضح المستفيض لهذه الكواشف العشرة في هذا المصنَّف -الذي بين أيدينا-، وقد استوعبت قراءته كلَّه، **فلمستُ في شرحه البراعة في تأصيل وتفصيل معالم المنهج السلفي الواضحة**، والتي بها تنكشف معالم أهل الأهواء الذين سعوا للتخفي تحت شارات سُنية سلفية تلبيسًا وتدليسًا على الأمة.

وهذا هو ما عهدته دائمًا في كتابات أبي عبد الأعلى، أنه يراعي فيها دائمًا التأصيل والتفصيل وسدَّ الثغرات على المخالفين، وهذا مما يرتفع به شأن العالم وطالب العلم؛ فيصير ذا تأثير حميد في قلوب قرائه...».

ثم قال: «**وقد ذكر الشارح نماذج من هؤلاء الدعاة المشهورين على الساحة، أمثال:** سفر الحوالي، وسلمان العــودة، وعائض القرني، ومحمد حسان، وعمرو خالد، وغيرهم -هدى الله الجميع-، وقام بالكشف عن طرف من تصريحاتهم وكتاباتهم المناهضة للمنهج السلفي، ودعَّم هذا بالأدلة الواضحة من الكتاب والسنة ومن أقوال العلماء فِي التحذير من بعض مخالفاتهم في الأصول، وهذا من باب النصح للمسلمين حفظًا لأصول أهل السنة من أن يُنسَب إليها ما ليس منها، وهذا الصنيع هو دأب علماء الجرح والتعديل طوال القرون

---

(١) مرفق صورة خطية منه في الوثائق آخر الكتاب.

السابقة، ولنقرأ كتاب الإبانة لابن بطة، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم، والضعفاء للعقيلي، وميزان الاعتدال، وغيرها من مصنَّفات العقيدة والجرح والتعديل لنتعلَّم هدي السلف فِي التحذير من المخالفين بأسمائهم، وأنا أنصح من يقرأ هذا ألاَّ يظن بأهل العلم السابقين والحاضرين -ومنهم الشيخ خالد أبو عبد الأعلى- إلا خيرًا، فهل يضيرنا أن يكون هؤلاء الدعاة على مذهب أهل السنة والجماعة عقيدةً ومنهجًا؟!

وإنه من الإنصاف بل من الواجب على كُلِّ تقيٍّ ألاَّ يقدِّم أقوال المذكورين وأضرابهم على كلام وفتيا كبار العلماء أمثال ابن باز، والألباني، وابن عثيمين -رحمهم الله-...».

وقال: «وكان من أنصار الغلو فِي هذه المسألة -أي: التكفير-: الشيخ سفر الحوالي -ردَّه الله إلى الحقِّ- حيث تأثر تأثرًا واضحًا بمنهج الأخوين: سيد قطب، ومحمَّد قطب؛ وصارت طريقته في الكتابة مشابهة لطريقتهما الغالية في تصوير هذه المسألة بصورة عاطفية خالية من الضوابط العلمية الصحيحة، وعليه فقد أراد أن يسطو على رسالة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم -رحمه الله- ويجعلها حجة له في تقرير المنهج القطبي الغالي في تكفير المجتمعات الإسلامية.

وقد وفَّق الله سبحانه الشيخ خالدًا إلى تفنيد شبهات الحوالي، ونقض عُراها، ليميز الله الخبيث من الطيب؛ فجاء ردُّهُ عليه قويًّا مُفحمًا، وبه ظهر تهافت دعوات أصحاب الغلو فِي التكفير...»، إلى أن قال -حفظه الله ونفع به-: «فهذا قليل من كثير في هذه الكواشف العشرة، والتي وضع أساسها الأخ الشيخ محمد رمزان الهاجري في محاضرته النافعة، وقام على شرحها في هذا المصنَّف الممتع: الأخ الشيخ خالد محمد عثمان، ولقد استفدت كثيرًا -بفضل من الله- من المحاضرة وشرحها، وأنصح كلَّ من فتح الله قلبه للتوحيد والسنة بفقه سلف الأمة أن يسهم في نشر مثل هذه الكتابات الوافية النافعة -إن شاء الله- في المفاصلة والمباينة بين مذهب السلف ومذهب الخلف، وبين أهل السنة وأهل البدعة». اهـ

وقال -حفظه الله تعالى- في مقدِّمته على كتاب «دفع بغي الجائر الصائل»: «فقد دعاني أخي في الإسلام طالب العلم أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان -مع

كـوني أعـتبر والـدًا له في السن ولكن يجمعـنا بفضل الله دين الإسـلام موحـدين على مـذهب أهـل السنة والجماعـة بفهـم سـلف الأمـة- إلَى أن أقـدم لـه في بعـض بحوثـه وكتبه...»، إلى أن قال: «وقد نما إلَى علمنا أن البعض يطعنون في كتاب «**دفع البغي**» بحُجة أن مستواه ضعيف، كيف؟ وقد قرّظ الشيخ ربيع بن هادي -سلمه الله- الكتاب، ومما ذكره في المقدمة: «... فوجدته كتابًا قيمًا دفع فيه بغي هذا الظالم بالحجج والبراهين الساطعة..»، فقل لي بربك يا أخي القارئ: هل هؤلاء الناقدين للعلم الذي في كتاب «**دفع البغي**» في المستوى العلمي للشيخ ربيع بن هـادي؟ إن هـذا في القياس لبديعٌ، وليس المقصود من هـذا إطراء الشيخ ربيع أو تنزيهه عن الخطأ، **لكن الكتاب -بفضل الله- يشهد بما فيه من حجج قرآنية وحـديثية وأقـوال أهـل العلم من أهـل السُّنَّة والْجَمَاعة على اعتدال المصنِّف في كتاباته دون غلُوٍّ ولا جَفاء، وليس كما ذكروا أن مستواه ضعيف رغم تقريظ فضيلة الشيخ الدكتور ربيع هادي للكتاب**». اهـ

ورغم علمي القليل فقد استجبت له ابتغاء وجه الله لشد أزر الشباب من أهل السنة ثم **تشجيعًا له على مواصلة بحوثه وكتاباته القيمة الْمُدَعَّمة بأصول أهل السنة؛ وقد قرأت له أكثر من بحث ولمست فيها منهجه واضحًا دون مواربة ولا التواء**.

وقال -حفظه الله تعالى- في مقدِّمته على كتاب «التعصُّب للشيوخ»: «هذا؛ وقد آثرت أن أجعل هذه المقدمة مُلخصًا لمواضيع الكتاب، وإبرازًا للعناصر الرئيسة فيه لتكون عونًا للقارئ على تلمُّس أبعاد هذه القضية الخطيرة التي ناقشها الكتاب، وسوف يلحظ القـارئ أيضًا أني قمت خلال هذه المقدمة باقتباس بعض تعبيرات المصنف، وشيئًا كثيرًا من استشهاداته؛ حيث إني لمستها تعبيرات سديدة واستشهادات جيدة تُنبئ -إن شاء الله- عن **دقة العبارة عند المصنف وعن تمكُّنه من استخراج الشواهد الصائبة من كلام أهل العلم، وهاتان الصفتان تَجتمعان بحول الله في العبد الموفّق**، وأحسبه كذلك؛ ولا نزكيه على الله، **وهو -إن شاء الله- جاد مُجتهد في الترقي في مدارج العلم النافع -نفع الله به وزاده علمًا-**». اهـ

○ **وقرأ أبو عبد الأعلى على الشيخ عدة أبحاث وكتب، منها:**

١) متن أصول السنة للإمام أحمد -رحمه الله-.

٢) كتاب التوحيد من صحيح البخاري.

٣) متن العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

٤) متن العقيدة الطحاوية، وترتيبه، وبعض شروحاته.

٥) مواضع من «القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى»، للشيخ ابن عثيمين -رحمه الله-.

٦) مواضع من صحيح السيرة النبوية للعلامة الألباني -رحمه الله-.

٧) مواضع من صحيح مختصر «منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله» للعلامة ربيع -حفظه الله-، والذي اختصره المصنِّف بإذن من الشيخ ربيع.

٨) أغلب مؤلَّفاته، ومنها: «الكواشف الجلية»، و«دفع بغي الجائر الصائل»، «والتفجيرات من منهج الخوارج»، و«التعصُّب للشيوخ»، و«أتباع هاروت وماروت».

٩) كتابي «الطهارة والصلاة»، من تلخيصه على الشرح الممتع.

* * *

رابعًا: ثناء أ.د. عبد المحسن المنيف -أستاذ الفرائض بكلية الشريعة وعميد البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية-:

قال -حفظه الله- في تقريظه على «جزء في مشاورة النساء»: «فقد اطلعت على ما كتبه الأخ الشيخ خالد بن محمد بن عثمان بعنوان جزء في مشاورة النساء، فوجدت أنه أوضح في هذا الموضوع ما دل عليه كتاب الله -عز وجل- وسنة رسوله -عليه الصلاة والسلام- وما درج عليه السلف الصالح -رحمهم الله- على حسب ما وقف عليه بأسلوب واضح.

وبناء على ذلك فإنني أرى أنه بحث قيم وجدير بقراءته». اهـ

○ **وقد قرأ أبو عبد الأعلى على الشيخ -حفظه الله-:**

١) متن الرَّحبية في الفرائض.

٢) جزء «مشاورة النساء».

٣) الحديث المسلسل بالأولية.

وقد أجاز الشيخ عبدالمحسن بن المنيف أبا عبدالأعلى بثَبَت مسموعاته من كتب الاعتقاد والحديث والسنة، والذي يرويه عن العلامة حمود التويجري -رحمه الله-، بل أجازه بكل مسموعاته الأخرى إجازة عامة.

* * *

خامسًا: ثناء أ.د. عبد الرحمن محيي الدين -حفظه الله- أستاذ الحديث ورئيس قسم السنة بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقًا:

قال -حفظه الله-(١):

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده،

وبعد؛ فإن الأخ خالد بن محمد بن عثمان المصري أبو عبدالأعلى أحد الأخوة الفضلاء طالب علم من مصر، **وله اجتهاد في العلم، نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحدًا**، وله «دار الحديث والأثر»، يُعلِّم فيها السنة، ويتدارسها مع طلاَّب العلم على صحة المنهج وسلامة العقيدة؛ **فهو أحد الأخوة الفضلاء النوادر من طلاَّب العلم، وقد زكَّاه جمع من أهل العلم، وشهدوا له بالفضل والحرص على العلم النافع على منهج صحيح، فهو من حَمَلَة العلم الذين** أثنى الله عليهم في قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]. هذا، وأسأل الله له التوفيق والسداد.

وصلَّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبها وأمضاها

د. عبد الرحمن بن صالح محيي الدين

أستاذ الحديث الشريف بالمدينة النبوية

٢٠/ ٢/ ١٤٣١هـ

---

(١) مرفق صورة خطية منه في الوثائق آخر الكتاب.

○ وقد قرأ عليه أبو عبد الأعلى:

١) الأصول الستّة للإمام محمد بن عبد الوهاب.

٢) والرسالة المدنية في المجاز والحقيقة في الأسماء والصفات (لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- بتحقيق أبي عبد الأعلى).

٣) كتاب «الإيمان» للإمام أبي عبيد القاسم بن سلاّم -رحمه الله-.

٤) متن البيقونية في المصطلح.

٥) جزء من ألفية السيوطي في الحديث (ضبطها أبو عبدالأعلى على أصولها الخطية)[1].

٦) بعض المواضع من ترتيب متن العقيدة الطحاوية.

٧) متن العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية.

٨) واطلع الشيخ أيضًا على مؤلّفاته وتحقيقاته الأخرى وأثنى عليها خيرًا، خاصة كتابه الأخير: «التعصُّب للشيوخ».

وقد أجاز الشيخ عبد الرحمن محيي الدين أبا عبدالأعلى بثَبَت مسموعاته.

ونصح الشيخ -حفظه الله- الشباب في مصر بالاستفادة من أبي عبدالأعلى، كما شهد بهذا كل من حضر مجالس الشيخ -حفظه الله- مع أبي عبد الأعلى، وإذا سأله الطلبة الوافدون عليه من ليبيا ومن غيرها عمَّن يُطلب عليه العلم في مصر، كان ينصحهم دائمًا به.

***

سادسًا: الشيخ يوسف الدخيل -رحمه الله تعالى-:

في **مكالمة هاتفية تمت بين الشيخ يوسف الدخيل** -رحمه الله- والشيخ حسن بن عبد الوهاب البنا -حفظه الله تعالى-، قال له الشيخ حسن: معك الشيخ خالد يسلِّم عليك الشيخ خالد -صاحب الكواشف الجلية-.

فقال الشيخ يوسف: أين هو؟

---

(١) والمجالس التي قرأ فيها هذه المتون الخمسة مسجَّلة صوتيًّا.

فقال أبو عبد الأعلى: السلام عليكم ..

فقال الشيخ يوسف: أبو عبد الأعلى كيف حالك؟ .. ما شاء الله الزيارة التي قمت بها إلى الآن نحن نذكرها .. وكان لها يعني طعم خاص[1].

فقال أبو عبد الأعلى: جزاكم الله خيرًا.. هل الكتب[2] وصلت إليكم؟

فقال الشيخ يوسف: ما وصلت **أنا مستعجل عليها جدًّ الاستعجال».**

وقد تقدَّم قول الشيخ -رحمه الله-: **«لا سيما أنه بلغنا أن الشيخ ربيعًا يعني يثق فيك إلى ما لا نهاية».**

* * * *

(١) يشير الشيخ -رحمه الله- إلى الزيارة التي قام بها المصنِّف إلى المدينة في شهر رجب (١٤٣٠هـ).

(٢) يشير أبو عبد الأعلى إلى مؤلَّفاته وتحقيقاته المطبوعة.

* الأعمال العلمية السابقة للمصنف *

أولاً: كتب قام على توثيق نصوصها وتصحيحها على أصول خطية:

١. الرد على الجهمية والزنادقة فيما تأولوه من متشابه القرآن، للإمام أحمد بن حنبل (على ثلاث نسخ خطية). (دار المنهاج).

٢. كتاب السنة لمحمد بن نصر المروزي. (دار الآثار)(١).

٣. الإجماع لابن المنذر. (دار الآثار).

٤. تسهيل الانتفاع بمتن العقيدة الطحاوية بترتيبه على أركان الإيمان والأصول السلفية، (على خمس نسخ خطية). (دار الآثار).

٥. أصول السنة للإمام أحمد بن حنبل. (دار علم السلف)(٢).

٦. صريح السنة لابن جرير الطبري (على نسختين). (دار علم السلف).

٧. الرد على ابن القطان للذهبي. (دار الفاروق الحديثة)(٣).

٨. مجموع الرسائل الفقهية للأمير الصنعاني. (دار الفاروق الحديثة).

٩. المهذّب فيما جاء في القرآن من المعرّب للسيوطي. (دار الفاروق الحديثة).

١٠. مجموع فيه ستّة أجزاء حديثية -لم تطبع من قبل-، وهي: فوائد حسان، وأحاديث منتخبة من أجزاء أبي منصور الخوجاني -كلاهما- لأبي طاهر السِّلَفي، وجزء في

---

(١) اقترح أحد إخواننا أن نضيف عناوين دور النشر التي تنشر مؤلَّفات وتحقيقات المصنِّف؛ كي يسهل وصول الراغبين فيها إليها، فوجدناه اقتراحًا مناسبًا، ومن ثَمَّ نبدأ بذكر عنوان دار الآثار، وهو: ٢٨ ش منشية التحرير متفرع من ش جسر السويس- عين شمس الشرقية- القاهرة.

(٢) منشورات دار علم السلف تباع في الدور التالية:

١] مكتبة عبد المصور، ومكتبة الهدي المحمدي، ودار الاستقامة، وكلها تقع أمام مسجد الهدي المحمدي- مساكن عين شمس- القاهرة.

٢] دار الحرمين، ومكتبة المورد بدرب الأتراك خلف الجامع الأزهر- القاهرة.

٣] دار الإمام أحمد، وتقع في ٦ ش عزيز فانوس- متفرع من ش منشية التحرير المتفرع من ش جسر السويس- عين شمس الشرقية- القاهرة.

(٣) درب شريف رقم ٣- خلف رقم ٦٠ ش راتب باشا- حدائق شبرا- القاهرة.

أمالي الحافظ سراج السنة أبي نصر الغازي، وجزء في حديث الحافظ ابن ديزيل، وجزء في أحاديث ابن بلال، وجزء فيه فوائد أبي القاسم الْحُرُفي. (دار الفاروق الحديثة).

١١. المسائل الماردينية لشيخ الإسلام ابن تيمية. (مكتبة ابن تيمية).

١٢. العدة شرح العمدة في فقه الإمام أحمد لبهاء الدين المقدسي. (مكتبة أولاد الشيخ).

١٣. جزء فيه أحاديث من حديث أبي حفص عمر بن محمد بن علي الزَّيَّات. (مكتبة أولاد الشيخ).

ثانيًا: كتب قام بتخريج أحاديثها والتعليق عليها:

١. الرد على البردة لعبدالله أبي بطين. (دار الآثار).

٢. أشراط الساعة الكبرى للسفاريني. (دار الآثار).

٣. الأنوار الرحمانية لهداية الفرقة التيجانية للشيخ عبد الرحمن بن يوسف الإفريقي. (دار علم السلف).

٤. رسالة الإمام عبد العزيز الأول في التوحيد. (دار علم السلف).

٥. أزهار من رياض سيرة الإمام العادل عبد العزيز بن عبد الرحمن بن فيصل للعلامة محمد حامد الفقي. (دار علم السلف).

٦. ترجمة وجامع فتاوى الإمام عبد الرزاق عفيفي. (دار علم السلف).

٧. الرسالة المدنية في الحقيقة والمجاز في صفات الله لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-.

ثالثا: مؤلفات:

١. الكواشف الجلية للفروق بين السلفية والدعوات الحزبية البدعية، وهو شرح محاضرة للشيخ محمد بن رمزان، راجعه وقدَّم له: الشيخ حسن بن عبد الوهاب. (دار علم السلف).

٢. التفجيرات والأعمال الإرهابية والمظاهرات هي من منهج الخوارج والبغاة، وليست من منهج السلف الصالح، راجعه وقدَّم له: الشيخان الشقيقان: محمد، وحسن ابنا عبد الوهاب. (دار علم السلف).

٣. دفع بغي الجائر الصائل على إمام الجرح والتعديل والمنهج السلفي وأئمته بالباطل: نقد علمي لكتاب «انصر أخاك ظالِمًا أو مظلومًا»، راجعه وقدَّم له: الإمام المُحدِّث ربيع بن هادي المدخلي، والشيخان الشقيقان: محمد، وحسن ابنا عبد الوهاب. (دار علم السلف).

٤. جزء في أحكام مشاورة النساء، راجعه وقدَّم له: أ.د: عبد المحسن المنيف. (دار علم السلف).

٥. وصل الثناء البديع العالي على إمام الجرح والتعديل العلامة ربيع بن هادي. (دار علم السلف).

٦. مختصر منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله للعلامة ربيع بن هادي. (دار علم السلف).

٧. دفع الشبهات عن كلمة العلامة ربيع: دعوة جادة إلى العالم الإسلامي. (دار المحجة البيضاء).

٨. تعليم فتيان الإسلام عقيدة السلف الصالح في صفات رب الأنام. (دار الآثار).

٩. صحيح القصص في العقيدة والمنهج. (دار الآثار).

١٠. أتباع هاروت وماروت، راجعه وقدَّم له: الشيخ حسن بن عبدالوهاب. (دار الآثار).

١١. التعصُّب للشيوخ...عواطف مشوبة بالأهواء. (دارسة نقدية في تحليل داء التعصُّب، وبيان سماته، وطرق علاجه) (دار علم السلف).

١٢. فتاوىٰ نادرة لثلاثة من كبار علماء مصر في حسن البنا وحزب الإخوان (دار علم السلف).

* * * *

ملحق الوثائق

بسم الله الرحمن الرحيم

حمد لله رب العالمين وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لاشريك له الملك الحق المبين
أشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد ولد آدم أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه
طيبين الطاهرين وسلم تسليماً كثيراً على مر الأيام والليالي والشهور والسنين.
أما بعد ،

فقد اطلعت على ما كتبه أخونا أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان
بعنوان (المسائل التي خالف فيها أبو إسحاق الحويني أصول منهج السلف الصالح
ـــ أهل الحديث والأثر ـــ ووافق فيها منهج القطبية السرورية) .
فألفيته بحثا نفيسا جميلاً كشف الكاتب فيه جزاه الله خيراً بالدليل عن جملة من مخالفات
أبي إسحاق الحويني لأهل السنة ومن تلك الجمل تكفيره المصر على المعاصي؛لأنه في زعمه
مستحل والمستحل كافر ومنها:ثناؤه على رموز في السروريه القطبية.
مثل :محمد حسان

إلى غير ذلك من التقريرات الشنيعة التي ضمنها الحويني كثيرا من خطبة ودروسه
مخالفات لعلماء السنة والجماعة .
فمثل هذا الرجل لايجوز أخذ العلم عنه بل يجب الحذر منه وإنْ زكَّاه من زكَّاه من المنتسبين
إلى العلم

فجزى الله أخانا أبا عبد الأعلى خيراً لقاء ماكشف لنا عنه من انحرافات الحويني...
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبة أجمعين
كتبه :عبيد بن عبد الله الجابري
المدرس بالجامعة الإسلامية سابقاً — [توقيع]

حرر صباح الاثنين السادس من رجب عام ثلاثين وأربع مئة وألف
بمدينة الرسول

نص تقريظ الشيخ عبيد الجابري -حفظه الله- وعليها خاتمه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

فقد تأملت الأخ الفاضل أبو عبد الأعلى خالد بن محمد بن عثمان في كتابه الموسوم (المسائل التي خالف فيها أبو الحسن الحد بين أصول منهج أهل السنة - أهل الحديث والأثر - ووافقه فيها منهج القطبية السرورية -

وهي ثمانية مسائل جمعها الأخ أبو عبد الأعلى من كلام أبي الحسن من أشرطته وأقواله فإن كان ما نقل أبو عبد الأعلى صحيحاً عن الشيخ أبي الحسن فإني أدعوه أن يرجع عن هذه الأباطيل. وإلا فالأخ أبو عبد الأعلى نشرها ونشر الردود عليها للعامة حتى يكونوا على بينة من هذه المسائل التي دلت على منهج من يدعي السلفية ومنهج السلف بريء منها براءة الذئب من دم ابن يعقوب ويكون الأخ عبد الأعلى قد أدى ما عليه فجزاه الله خيراً

والعناد والمكابرة من صفات أهل الأهواء وإنما المسلم خطاء وخير الخطائين التوابون والله أسأل أن يهدي ضال المسلمين ويتوب عليهم فيما أخطؤوا حتى لا يتتبع الأمر على خطئه وأسأل من الشيخ أبي الحسن أن يصدر بياناً عن هذه المسائل أنه بريء منها ويحمد الأخ أبو عبد الأعلى الذي يعرفه بها لأنه كان هو داعية ومرشد العباد إلى منهج السلف الصالح والناقد بصير وأذكره بالإمام أبي الحسن الأشعري لما كان على منهج ومذهب الاعتزال حيث نشأ عليه ثم لما تبين له خطأه رجع وصعد ثم أعلن تبرأه على الأشهاد على المنبر في مسجد البصرة كما هو مذكور في سيرته رحمه الله ولا أزكيه

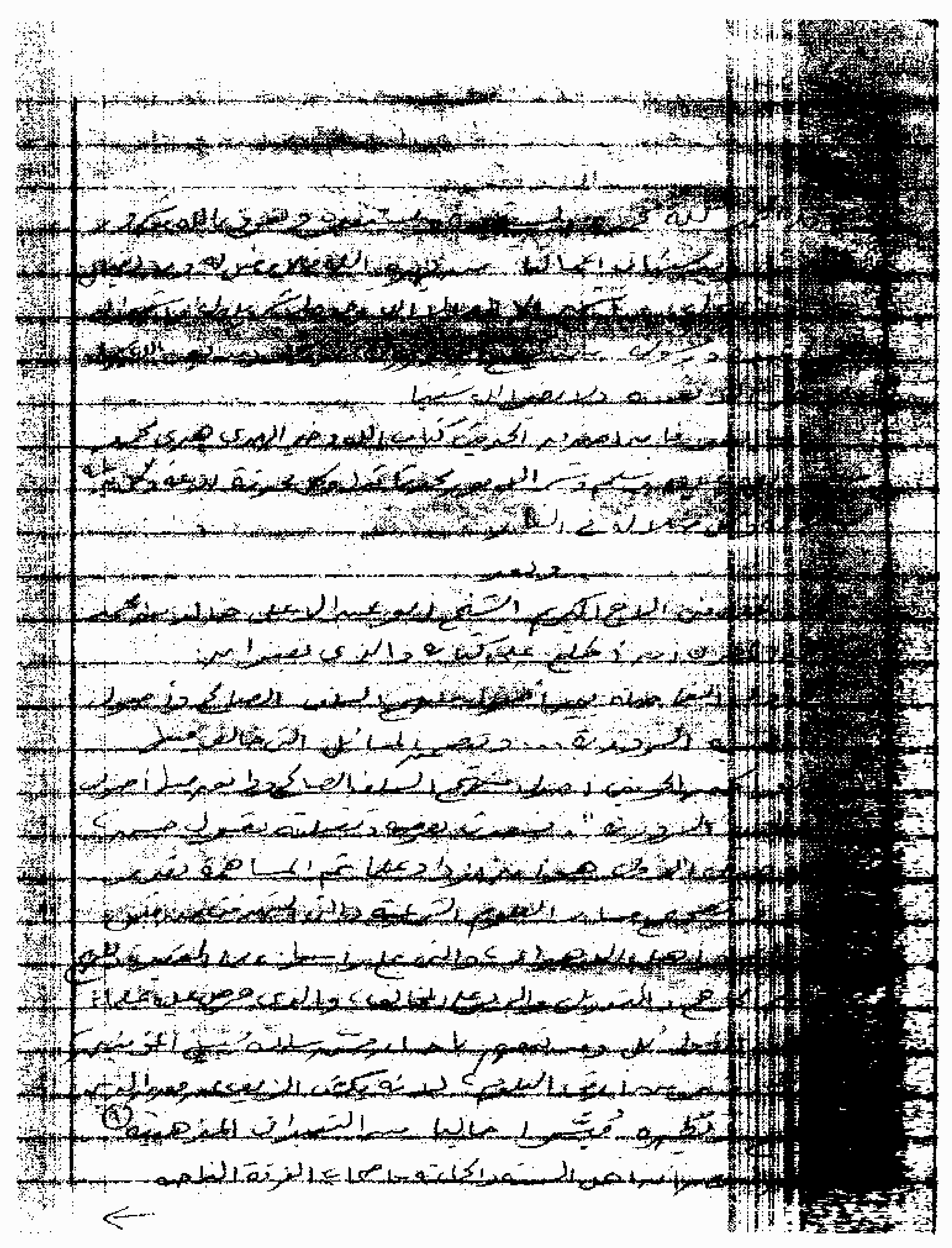
كتبه وأمضاه

د. عبد الرحمن بن صالح محيي الدين

المدينة المنورة

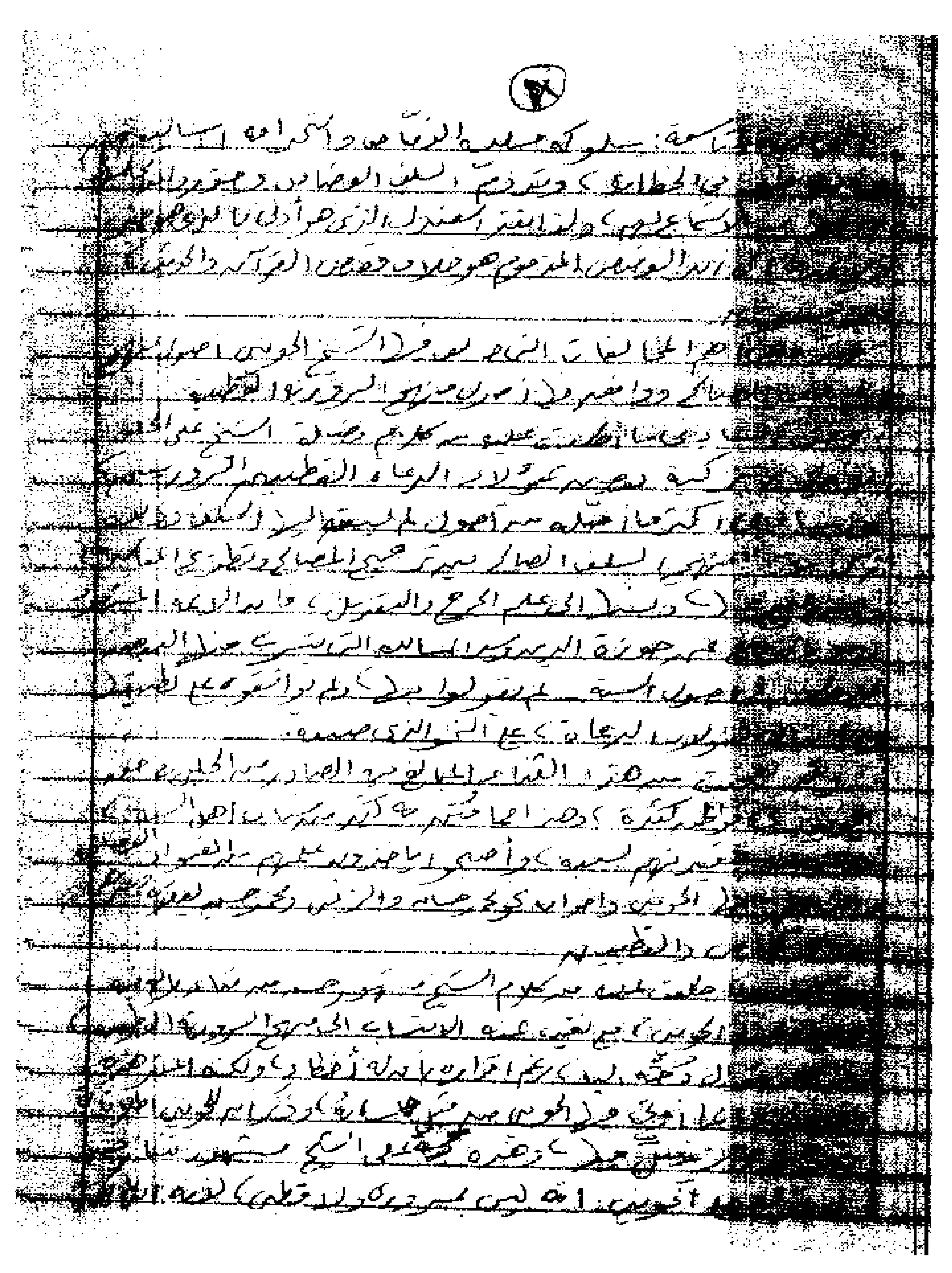
[توقيع]

الأصل الخطي لتقريظ د: عبد الرحمن بن صالح محيي الدين -حفظه الله-



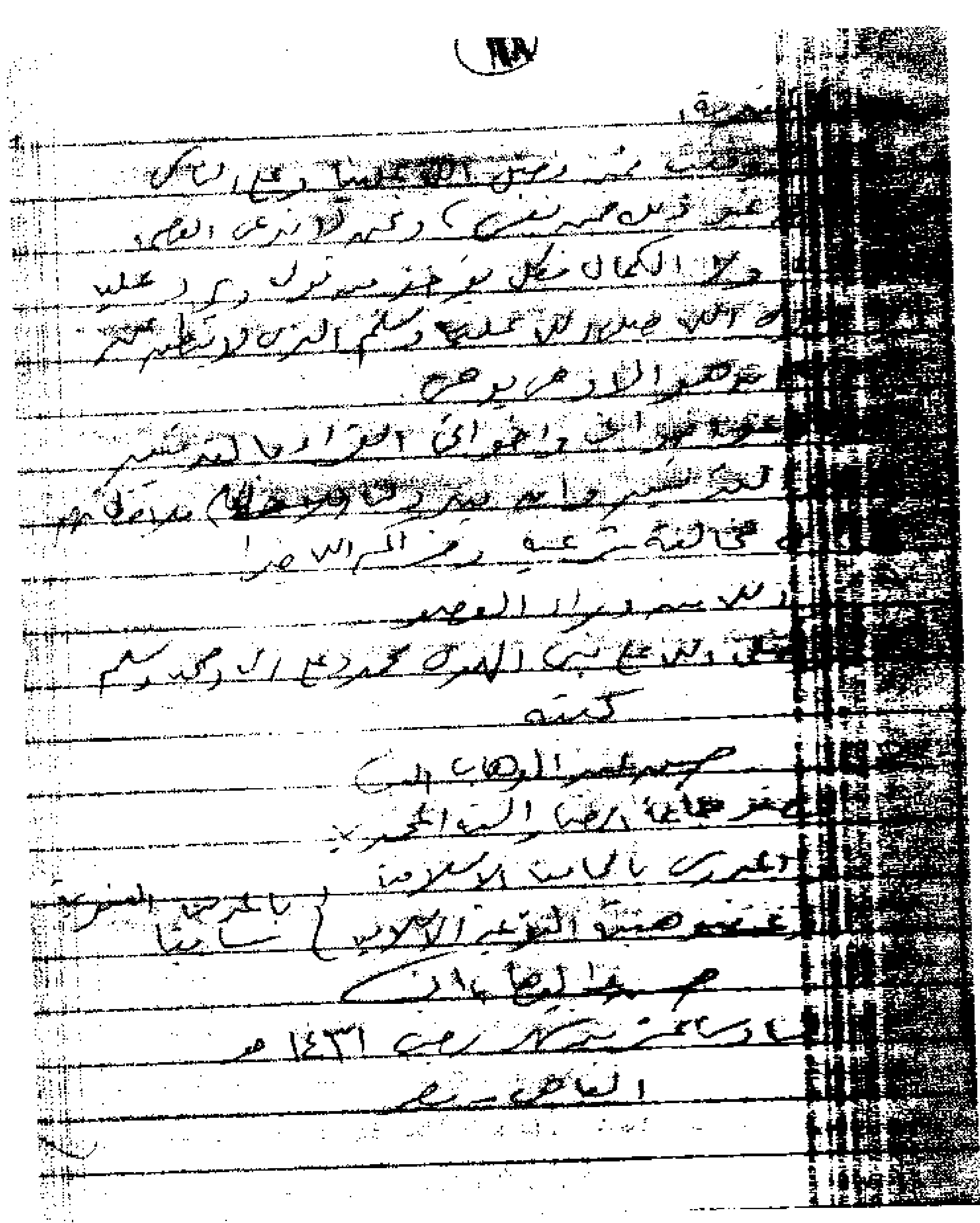
الصفحة الأولى من الأصل الخطي لمقدّمة فضيلة الشيخ الوالد

حسن عبد الوهاب البنا -حفظه الله-



الصفحة الثامنة من الأصل الخطي لمقدّمة فضيلة الشيخ الوالد

حسن عبد الوهاب البنا -حفظه الله-



الصفحة الأخيرة من الأصل الخطي لمقدّمة فضيلة الشيخ الوالد

حسن عبد الوهاب البنا -حفظه الله-



رعاية متكاملة
خبرة عريقة
خدمات متميزة

(١)

[illegible] ... أما بعد

[illegible] ... الشيخ الكريم ... [illegible]

[illegible]

9651545 - 9021647 - 9035168
ص.ب. 9034 - الأحمدي - دولة الكويت - فاكس 5240841
mendekar@hotmail.com

الصفحة الأولى من الأصل الخطي لمقدّمة فضيلة

الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار -حفظه الله-



رعاية متكاملة
خبرة عريقة
خدمات متميزة

[illegible]

9651545 - 9021647 - 9035168
ص.ب: 9034 - الأحمدي - دولة الكويت - فاكس: 5240841
mendekar@hotmail.com

الصفحة السابعة من الأصل الخطي لمقدّمة فضيلة

الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار -حفظه الله-



رعاية متكاملة
خبرة عريقة
خدمات متميزة

[illegible]

المانيا الجمعة ١٠/٤/١٤٣١هـ
للموافق ٢٦/٣/٢٠١٠م
كتبه/ فلاح بن إسماعيل مندكار

9651545 - 9021647 - 9035168
ص.ب. 9034 - الأحمدي - دولة الكويت - فاكس: 5240841
mendekar@hotmail.com

الصفحة الأخيرة من الأصل الخطي لمقدّمة فضيلة

الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار -حفظه الله-



وليسمح لي الشيخ الكريم أن أتناول مسألة واحدة من جملة
مسائل مخالفات أبي إسحاق، وأعرضها وأعلّق عليها شيئاً يسيراً
ويكون بعد المقدمة الإجمالية مقدمةً لما [illegible]
تفصيله نوعاً ما ([illegible])
انظر وتدبر يا عبد الله، بعد التجرد من الهوى [illegible]
أبي إسحاق في عرضه للمسألة الأولى التي خالف فيها
أنه أصّل وفرّع ثم مثّل عليه، وهو في كل ذلك موافق
لتأصيلات المعتزلة، ثم شيوخه وسلفه، شاء أم أبى، ثم
أمعن النظر في تمثيله للمسألة، وكم أبان بالمثال عن جهل عظيم
أو هوى قديم، أدرك ذلك أم خفي عليه، يقول عن مثال
"كأن يقول: الربا، أنا أعلم أنه حرام، لكني [illegible]
بذلك - لكنه [illegible] فعله"، ثم علّق على المثال بما يريد توضيح المقال
فقال: "هذا واضح الاستحلال فيه" !؟!
أقول: سبحان الله!! أين الاستحلال؟ وأين الوجه
لقد فهم أبو إسحاق الاستحلال من قول المصر "[illegible]" [illegible]
تماماً، [illegible] وجه وتعليقه لو قال القائل العاصي: الربا [illegible]

9651545 - 9021647 - 9035168
ص.ب 9034 - الأحمدي - دولة الكويت - فاكس 5240841
mendekar@hotmail.com

الصفحة الأولى من الأصل الخطي لتعليق

الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار على تكفير الحويني للمصر على المعصية



رعاية متكاملة
خبرة عريقة
خدمات متميزة

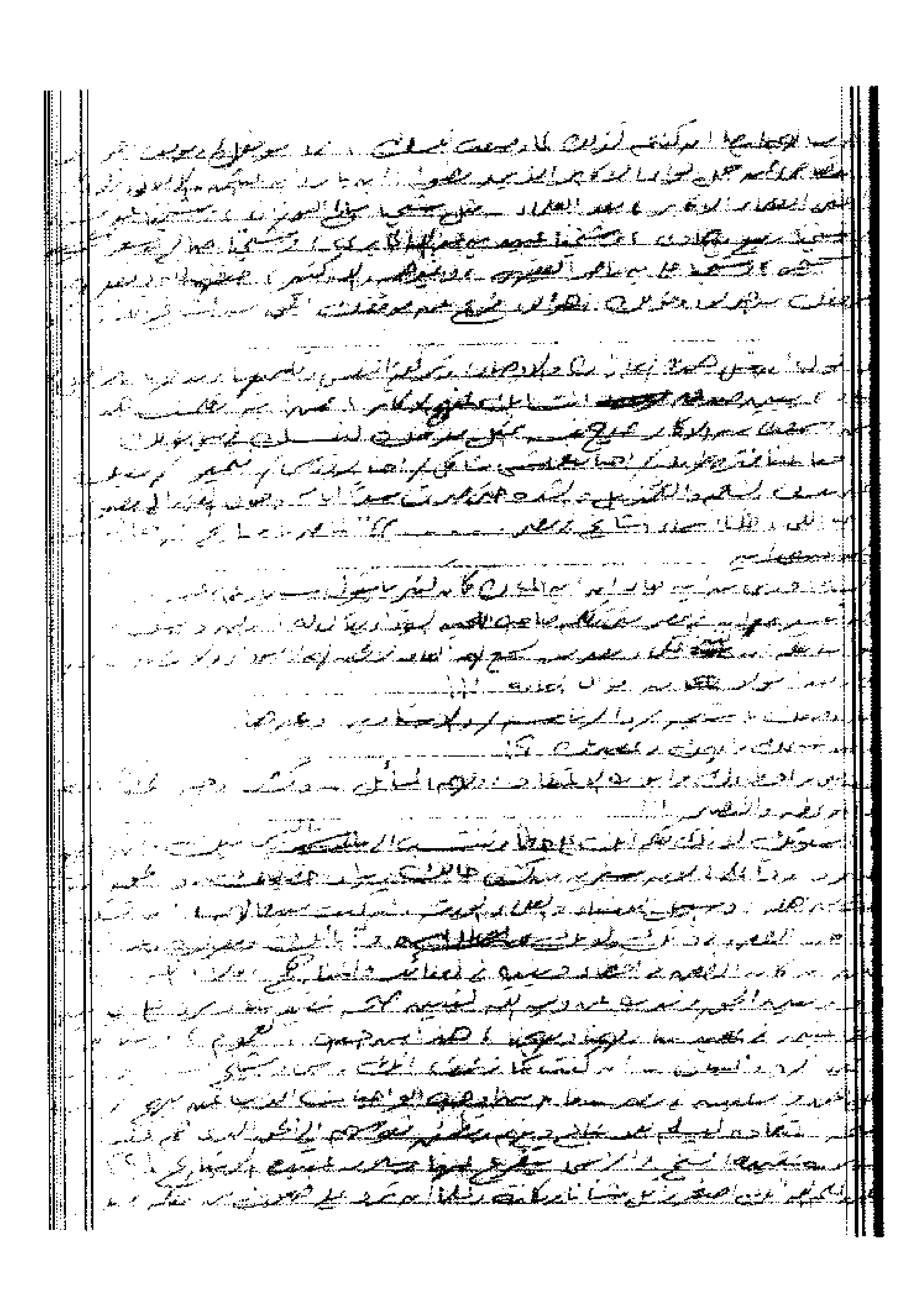
من الحويني أيضاً ما نقله – حفظه الله – من أقوال
ومذاهب الخوارج والمعتزلة ليتبين له أنه على سبيلهم وقد
وافقهم، وأنهم سلفه فيها قديماً وشيوخه !؟!
وأقول له: لقد نصحتك، فانظر لمن كنت، ومن أنت على
الآن وأذكرك ناصحاً بقول القائل:
قد هيؤوك لأمر لو فطنت له ... فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل
ومن آلمني ما رأيت من طريقة الحويني وتلبيسه حين ناشد طلابه
بالله إن كانوا يوماً سمعوا منه القول بالمصر أنه على الكبيرة
كافراً !؟ ويعلم أصغر طالب علم، أن السؤال لم يرد في محل النزاع
وأن هذا من هروب وتلبيس وحيدة. كان الواجب أن يسأل
إن كانوا سمعوا منك أن المصر على الكبيرة مستحل؟ والمستحل كافر
معلوم كفره عند عامة من طلبة العلم، والمصيبة أنه لم يقبل قول
الناصح، ولم يراجع نفسه، ولم يقارن قوله بأقوال العلماء المسؤول [illegible]
في النصيحة) بل راح بعد ذلك يلمز الناصح ويصفه بعدم [illegible]
ثم زاد بادعائه الاطلاع على سوء قصده بما زعمه من القرائن الظاهرة
ولست أدري ما هي هذه القرائن؟ والذي كشفت له البواطن
والنوايا والمقاصد
أسأل الله الهداية والتوفيق للجميع وأن يرزقنا حسن القول والعمل
والتواضع للناصحين ومعرفة قدر العلماء وطلاب العلم.

9651545 - 9021647 - 9035168
ص.ب 9034 - الأحمدي - دولة الكويت - فاكس: 5240841
mendekar@hotmail.com

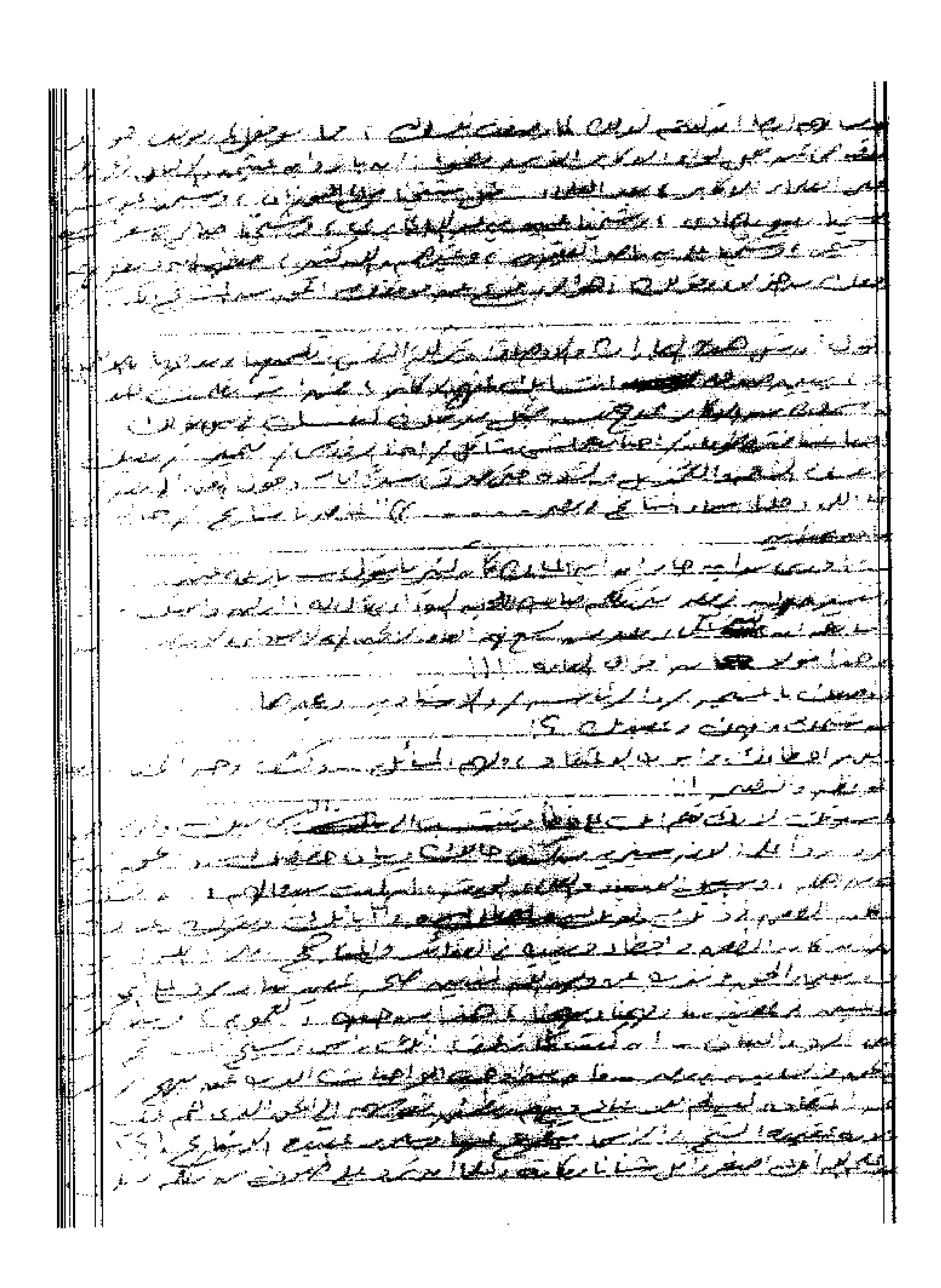
الصفحة الأخيرة من الأصل الخطي لتعليق

الشيخ فلاح بن إسماعيل مندكار على تكفير الحويني للمصر على المعصية

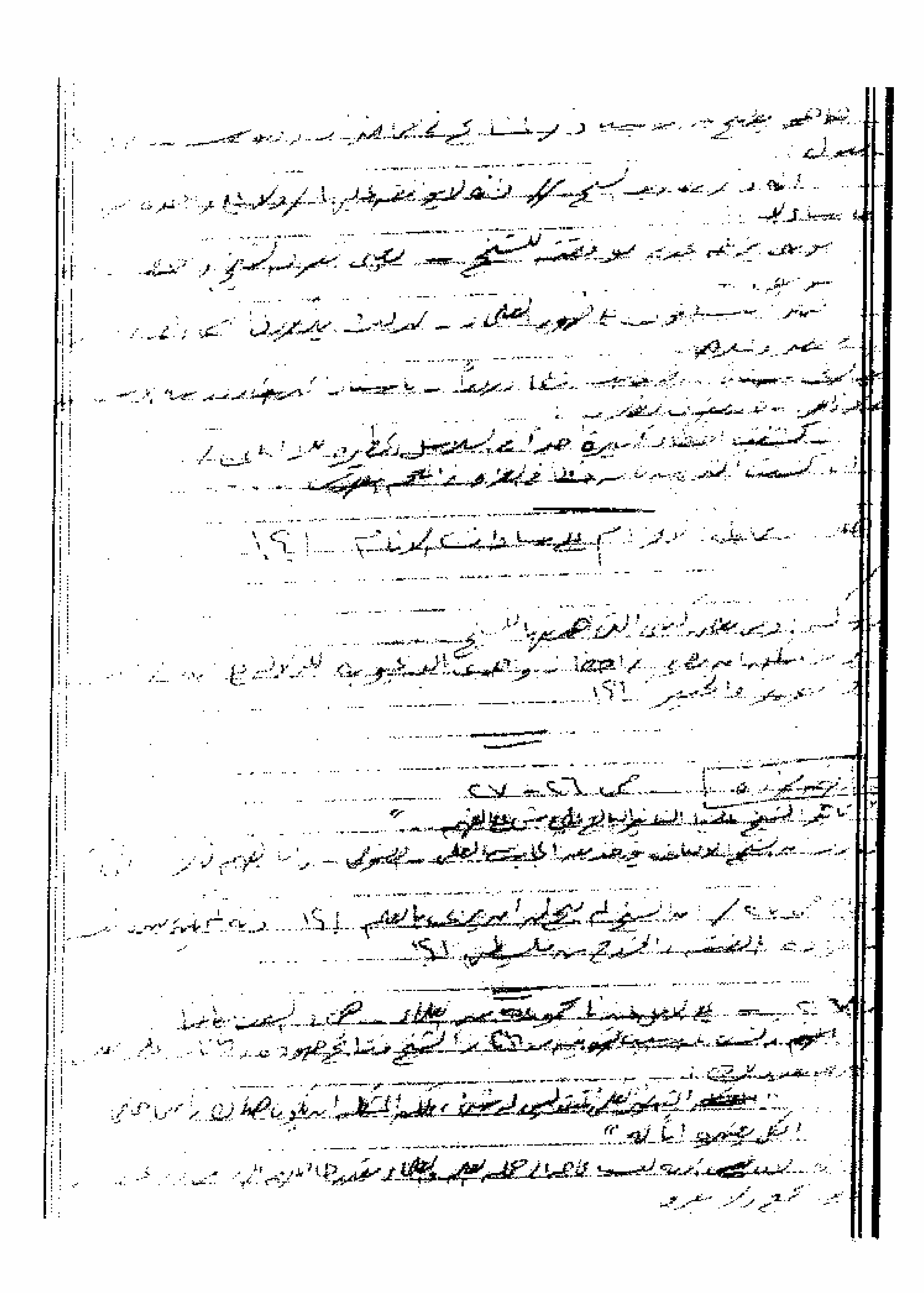
الصفحة الأولى من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن



الصفحة الثانية من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن

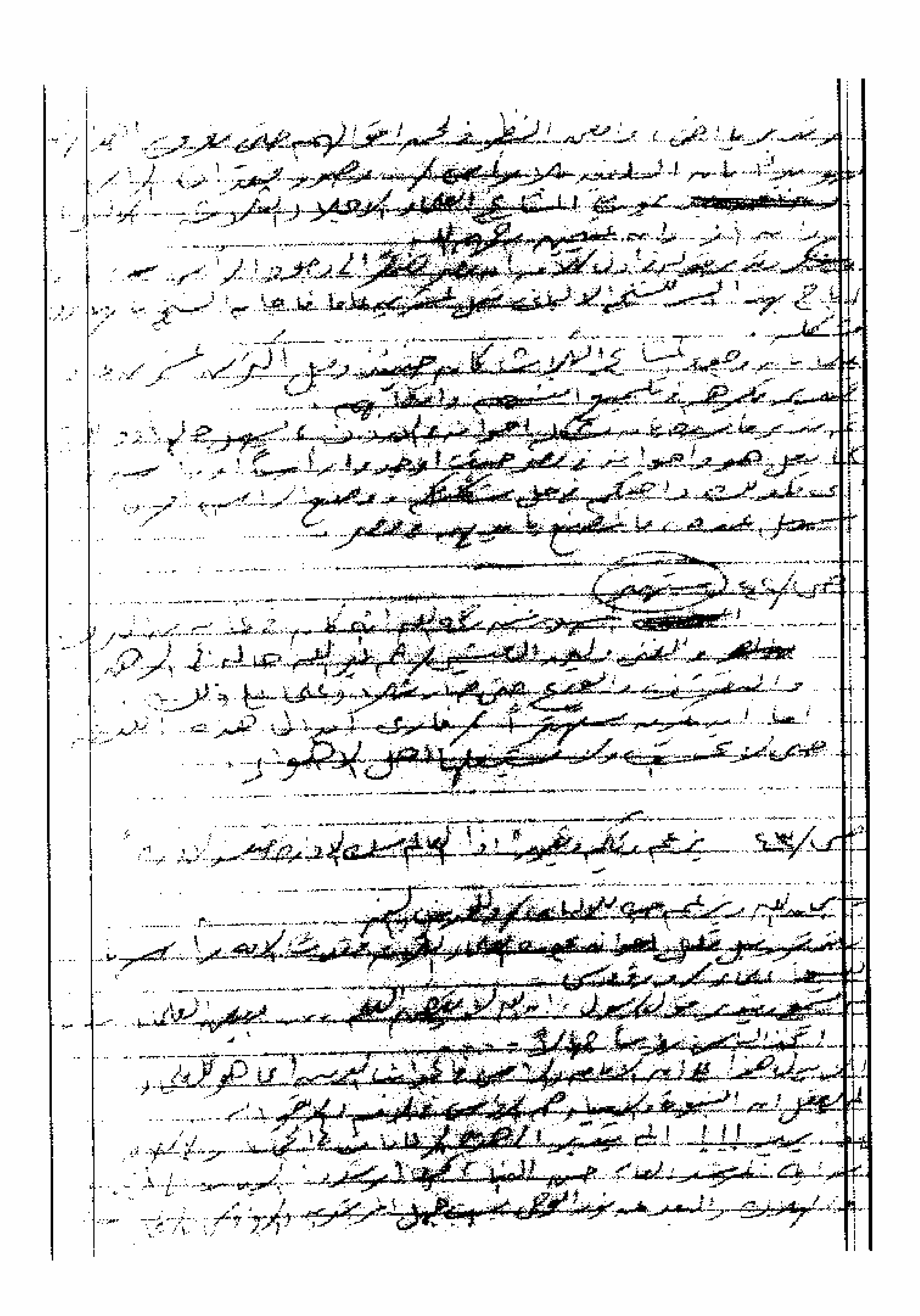


الصفحة الثالثة من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن



الصفحة الرابعة من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن

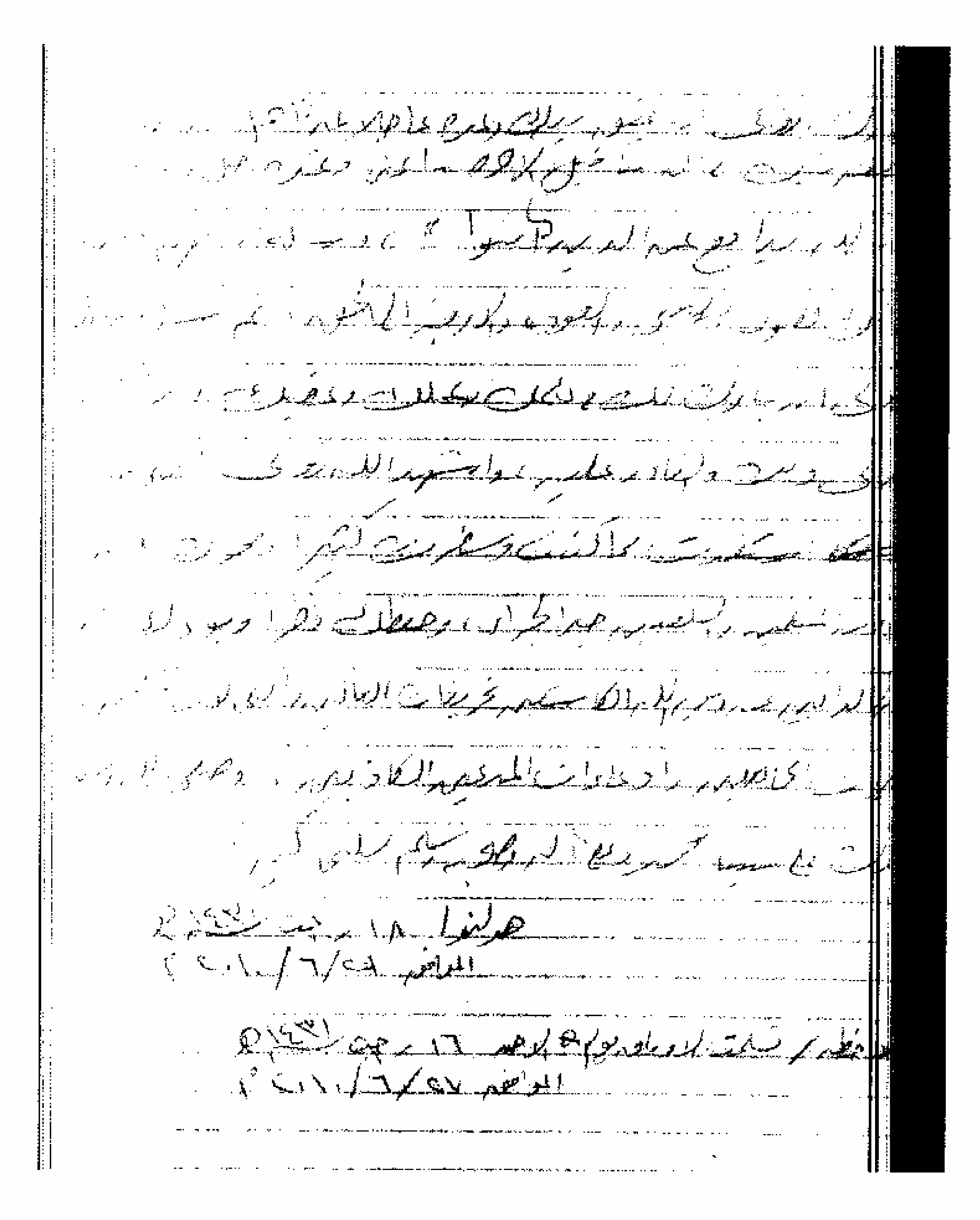
الصفحة السادسة من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن



الصفحة الثامنة من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن

[illegible]

الصفحة التاسعة من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن



الصفحة الحادية عشر من تعليق الشيخ فلاح على رحلة الأردن

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سعادة كريم بالأخ في الله

أبو عبد الأعلى خالد محمد عثمان المصري

فقد أسعدني تعرفي بالأخ خالد محمد عثمان المصري فهو محب لكتب السلف الصالح
ووجدت منه نشاطاً في الاطلاع والتحصيل لكتب السلف الصالح وعلماء [illegible]
النافعين في العلوم الشرعية مع رسائل العقيدة الصحيحة ومنهج السلف الصالح.
وهو يبذل وقته في تحصيل هذه العلوم والمعلومات
وقد قرأ علي متن العقيدة الطحاوية مع العقيدة الواسطية وكتاب التوحيد
من صحيح البخاري
وقد قرأت له [illegible] وقرأت عليه [illegible] الشيخ
محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) [illegible] رسائله مع [illegible]
[illegible] فإذا [illegible] كتاب [illegible]
[illegible]
[illegible]
ولا نزكي على الله أحداً
وهذا [illegible] من طلاب العلم
في العقيدة والمنهج السلفي [illegible]
والله [illegible] القصد
وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حرر في [illegible] ١٤٣١

[illegible] ٢٠٠٩

المعرف

[illegible]

المدرس [illegible] بالمدينة المنورة

[illegible] بالمدينة المنورة

دفاع الشيخ حسن بن عبد الوهاب عن المصنّف

وسيرًا وراء علماء هذا الشأن، وتأسيًا بهم لبيت طلب أخ في الله.

الشيخ خالد بن محمد بن عثمان المصري وفقه الله ....

الذي طلب مني الإجازة، بجميع مروياتي، ومؤلفاتي، ومسموعاتي، من كتاب الله تعالى، وكتب التفسير والحديث، كالأمهات الست، وسائر الصحاح والسنن والمسانيد والمعاجم والمصنفات والمستخرجات والأجزاء والأربعينات.

وكتب علوم الحديث، وكل مايتعلق بالحديث النبوي الشريف وكتب الفنون الأخرى، ككتب التوحيد والعقيدة، والفقه على المذاهب الأربعة وأصولها، وغير ذلك من تصانيف جهابذة الأمة وحفاظها ونقادها، من المقرئين والمفسرين والمحدثين والفقهاء والأصوليين مما تضمنه ثَبَتي هذا من إجازات وأسانيد وأثبات.

وإني لأوصي نفسي وإياه وحملة الحديث والسنة خاصة وسائر المسلمين عامة بتقوى الله في السر والعلن وبالاعتصام بالكتاب والسنة.

ولزوم ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان وأوصي نفسي والجميع باجتناب البدع والفواحش والفتن ما ظهر منها وما بطن.

وأوصي الجميع بالجد في تحصيل العلم النافع من مصادره الأصيلة القرآن والسنة [illegible]

والموعظة الحسنة، وعلى علم وبصيرة.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

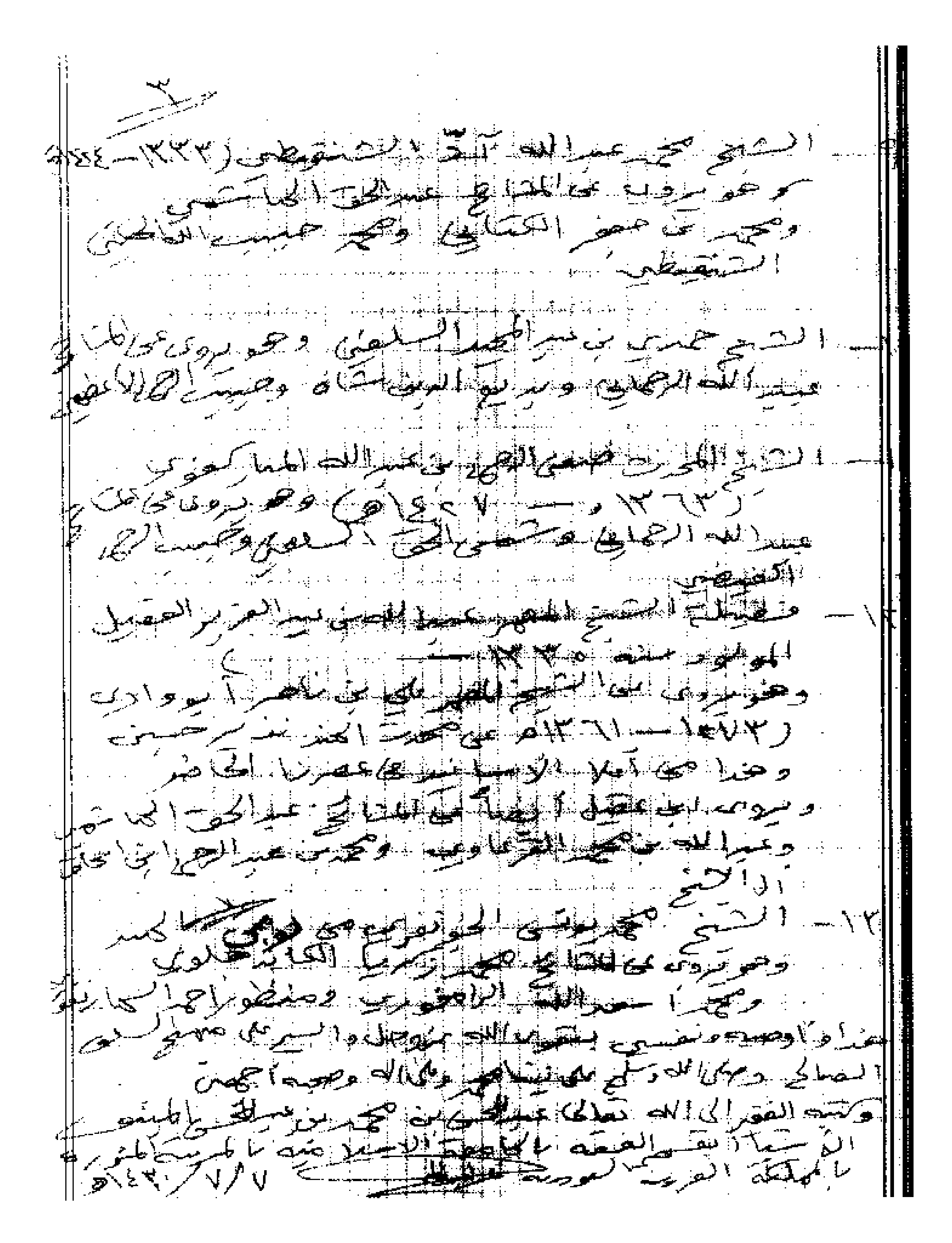
قال ذلك المجيز

ربيع بن هادي بن محمد عمير المدخلي

ربيع بن هادي عمير المدخلي

حرر في ٢٧ جمادى الآخرة من عام ١٤٢٠هـ

إجازة العلامة المحدِّث ربيع بن هادي –حفظه الله– للمصنِّف



٣

ـ الشيخ محمد عبد الله آدّ الشنقيطي (١٣٣٣ - ١٤٤[illegible]هـ) وهو يروي عن المشايخ عبد الحق الهاشمي ومحمد بن جعفر الكتاني ومحمد حبيب الله الشنقيطي

ـ الشيخ حمدي بن عبد المجيد السلفي وهو يروي عن المشايخ عبيد الله الرحماني وبديع الدين شاه وحبيب الرحمن الأعظمي

ـ الشيخ المحدث مصطفى [illegible] بن عبد الله [illegible] (١٣٦٣ - ١٤٢٧هـ) وهو يروي عن عبيد الله الرحماني و[illegible] والسلفي وحبيب الرحمن الأعظمي

١١ ـ فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد العزيز العقيل المولود سنة ١٣٣٥هـ وهو يروي عن الشيخ العلامة علي بن ناصر أبو وادي (١٢٧٣ - ١٣٦١هـ) عن محمد نذير حسين وهذا من أعلى الأسانيد في عصرنا الحاضر ويروي ابن عقيل أيضاً عن المشايخ عبد الحق الهاشمي وعبد الله بن محمد القرعاوي ومحمد بن عبد [illegible] آل الشيخ

١٢ ـ الشيخ محمد يونس الجونفوري [illegible] وهو يروي عن المشايخ محمد زكريا الكاندهلوي ومحمد أسعد الله الرامفوري ومنظور أحمد [illegible]

هذا وأوصيه ونفسي بتقوى الله عز وجل والسير على منهج السلف الصالح وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

وكتبه الفقير إلى الله تعالى عبد المحسن بن محمد بن عبد المحسن المنيف الأستاذ بقسم الفقه [illegible] بالمملكة العربية السعودية ٧/٧/١٤٣٠هـ

الورقة الأخيرة من إجازة أ.د: عبد المحسن المنيف -حفظه الله- للمصنِّف

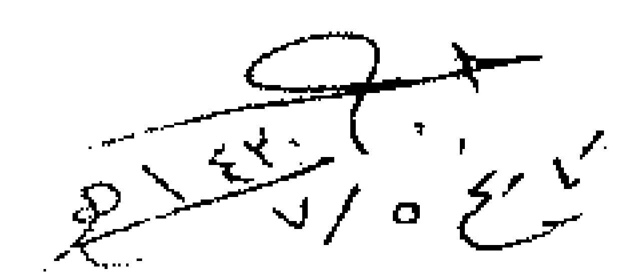
وبعد فأقول أنا عبد الرحمن قد أجزت الطالب ﴿ فالح بن محمد [illegible] ﴾ المذكور رواية ما ذكر.

هذا وأوصيه ونفسي بتقوى الله جل وعلا في السر والعلن والإعتصام بالكتاب والسنة ومنهج السلف الصالح رضوان الله عليهم واجتناب البدع والفتن وهذه وصيتي وأن لا ينسانا من دعوة صادقة والله يتولانا وإياه بتوفيقه وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

كتبه المجيز

أبو محمد عبد الرحمن بن صالح محي الدين

مدرس علم الحديث النبوي بالمدينة النبوية



الورقة الأخيرة من إجازة أ.د: عبد الرحمن محيي الدين –حفظه الله- للمصنِّف

بسم الله الرحمن الرحيم

[illegible] والسلام على من لا نبي بعده وبعد

[illegible]

[illegible] مع طلاب العلم على صحة المنهج [illegible]

[illegible] على منهج صحيح [illegible]

[illegible]

ثناء أ.د: عبد الرحمن محيي الدين -حفظه الله- على المصنِّف

أو ينقصه ويقدح فيه والبعد عمن يتركه ويتساهل فيه.

كما أحذره من الصوفية ومن تربى في أحضانها ورضع من لبانها وإن زعم أو زُعِمَ له أنه يدعو إلى الله.

كما أوصيه بنشر العلم علم السنة وذلك بالتعليم والدعوة إلى الله والمجاهدة بحسب الطاقة فيما يقرب من الله، والحياء من الله، وحسن الظن بالله وألاَّ يغفل عن ذكر الله المطلق وتلاوة كتابه وتدبر معانيه.

كما أوصيه بالمتعلمين وبخاصة الغرباء منهم، أوصيه بمواساتهم والنصح لهم وحثهم على ما ينفعهم.

وألاَّ ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته في حياتي وبعد موتي ووالديَّ وأولادي ومشايخي.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا[1].

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وأنا المجيز العاجز الفقير

وأنا الفقير إلى عفو ربه: أجيز هذا المجاز الشيخ/ أبا إبراهيم محمد بن عثمان ... بما أجازني به شيخي الشيخ العلامة/ أحمد بن يحيى النجمي -رحمه الله-

التوقيع

وأوصيه بما أوصاني به الشيخ في هذه الإجازة وبما أوصاني به مشايخي: أوصيه بتقوى الله والتمسك بالمنهج السلفي)

الختم

كتبه

عبد الواحد بن هادي المدخلي

(١) تم الفراغ من تسويد هذا الثبت ومقابلته بأصوله على يد العبد الفقير المعترف بالتقصير: عبد الله بن محمد بن عامر الأحمري المكي وزوجه أم أحمد بنت عبدالله البشري في غرة شهر شعبان من عام ألف وأربعمائة وستة وعشرين من هجرة النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والحمد لله رب العالمين.

إجازة بمرويات العلامة أحمد النجمي -رحمه الله-

من طريق الشيخ عبد الواحد بن هادي المدخلي

أو ينقصه ويقدح فيه والبعد عمن يتركه ويتساهل فيه.

كما أحذره من الصوفية ومن تربى في أحضانها ورضع من لبانها وإن زعم أو زُعمَ له أنه يدعو إلى الله.

كما أوصيه بنشر العلم علم السنة وذلك بالتعليم والدعوة إلى الله والمجاهدة بحسب الطاقة فيما يقرب من الله، والحياء من الله، وحسن الظن بالله وألاَّ يغفل عن ذكر الله المطلق وتلاوة كتابه وتدبر معانيه.

كما أوصيه بالمتعلمين وبخاصة الغرباء منهم، أوصيه بمواساتهم والنصح لهم وحثهم على ما ينفعهم.

وألاَّ ينساني من صالح دعواته في خلواته وجلواته في حياتي وبعد موتي ووالديَّ وأولادي ومشايخي.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا[1].

وأنا المجيز العاجز الفقير

أحمد بن يحيى محمد النجمي

التوقيع

٢٩/٧/١٤٢٨هـ

الختم

الشيخ أحمد بن يحيى النجمي

---

(١) تم الفراغ من تسويد هذا الثبت ومقابلته بأصوله على يد العبد الفقير المعترف بالتقصير: عبد الله بن محمد بن عامر الأحمري المكي وزوجه أم أحمد بنت عبدالله البشري في غرة شهر شعبان من عام ألف وأربعمائة وستة وعشرين من هجرة النبي الأمين عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، والحمد لله رب العالمين.

الإجازة:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد:

فقد طلب مني الأخ الكريم فضيلة الشيخ / [handwritten: illegible] — حفظه الله

و نفع به المسلمين — إجازة الرواية وأنا لست أهلاً لأن أجاز فكيف أن أستجاز ولكن لـ

حسن الظن أجبته إلى ذلك.

فأقول:

إني أجزت الأخ الكريم بما أجازني به مشايخي:

وهم الشيخ سليمان الحمدان والشيخ عبدالحق الهاشمي والشيخ عبيدالله الرحماني

المباركفوري و الشيخ محمد بن عبدالله اللكنوي وكذا ما وجدته من إجازة السيد نذير حسين

الدهلوي الوالد رحمهم الله تعالى جميعاً.

قد عدل مده على مدي الذي عدلته على مد شيخنا محمد عبدالله اللكنوي .

يرفق ذلك إجازة مشافهه ومكاتبة ، و أوصيه و نفسي بتقوى الله تعالى ودوام ذكره

وقراءة كتابه العزيز بالتدبر والعمل بسنة الرسول صلى الله عليه وسلم و مجانبة البدع والمنكرات

والفتن.

وأســأل الله تعالى لي وله ولكل مسلم الهداية إنه تعالى على كل شيء قدير و صلى الله

على محمد وعلى آله وصحبه.

كتبه راجي عفو ربه

يحيى بن عثمان المدرس

[signature]

[stamp: يحيى عثمان الحسين — المدرس بالحرم المكي الشريف]

إجازة الشيخ يحيى بن عثمان – المدرس بالحرم المكي الشريف – للمصنِّف

كَشّاف تفصيلي للمسائل

والفــوائد العلمية

(المخالفة الرابعة)

عدم اعتبار الحويني شرعية ولاية الحُكَّام المسلمين الذين توَّلوا بالغَلَبة والقهر

(المخالفة الخامسة)

سلوك الحويني سبيل التهييج السياسي والإثارة للعامة ضد الحُكَّام الذي هو سبيل الخوارج القعدية

(فصل)

موقف الحويني من حماس ومن الجهاد في فلسطين

(المخالفة السابعة)

الحويني يطعن في أكابر أهل العلم ويتهكم بفتاويهم

وقفة مع زيارة الحويني الأخيرة للأردن

- الشيخ فلاح يدعو الله -عز وجل- للمصنِّف أن يُبوئه مكانة الذَّابين عن دين الله الكاشفين تحريفات الغالين وانتحالات المبطلين وتأويلات الجاهلين. ٨٢٤

* * * * *

فهرس الموضوعات